المدينة التي تتوق إلى السلام

القدس

1973
İLİM YAYMA
VAKFI

المدينة التي تتوق إلى السلام

القدس

منشورات وقف علم يايمه / نشر العلم: ١٠

İlim Yayma Vakfı Yayınları

اسم الكتاب
القدس: المدينة التي تتوق إلى السلام

رقم الكتاب المعياري الدولي
ISBN
978-605-63698-8-9

الناشر
وقف علم يايمه / نشر العلم | İlim Yayma Vakfı
Molla Hüsrev Mahallesi
Akifpaşa Sokak Nr: 6-12
Vefa-Fatih/ İSTANBUL
+90 212 511 22 90
www.iyv.org.tr iyv@iyv.org.tr

كل الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا العمل ميكانيكيًا ولا يجوز نسخها عن طريق التصوير أو بأي شكل من الأشكال دون الحصول على إذن كتابي مسبق من وقف علم يايمه / نشر العلم. أما بعض أجزاء أو فقرات العمل فيمكن استخدامه فقط من أجل البحث أو الدراسات الخاصة من خلال ذكر اسم المؤلف ووقف علم يايمه / نشر العلم.

رئيس التحرير
عثمان آيدنلي

لجنة التحرير
نجم الدين غوككر
عبدالله طرابزون
عثمان يلماز
آدم ياووز
عثمان آجون
بيرم يالجين

التحرير العلمي
عالم قهرامان

الخرائط والرسومات التخطيطية
أحمد المصري

الترجمة
محمد عز الدين سيف

محرر الترجمة
أحمد حمدي يلدرم
عثمان يلماز

الصور
إرسيكا
القنصلية الألمانية في إسطنبول
وقف علم يايمه/ نشر العلم
محمد طوب
فتاح آيكاج

تصميم المشروع
Yedifark
Şenlikköy Mah. İmbat Sok.
Nr:3/2 Florya/İSTANBUL

تصميم تخطيط عربي
Muarrib
Aziz Mahmud Hüdayi Mah. Tepsi Fırını Sok.
Nr:9/3 Üsküdar/İSTANBUL

الطباعة
Yılmaz Basımevi Litros Yolu 2. Matbaacılar Sitesi 1. Kat ZE1 Topkapı/İSTANBUL
إسطنبول 2021

مسؤولية ما ورد في المقالات والأسلوب فيها تقع على عاتق الكُتَّاب

الفهرس

تقديم
نجم الدين بلال أردوغان ٧

كلمة رئيس التحرير
عثمان آيدنلي ٨

معلومات عامة عن القدس
ألدار حسن أوغلو ١١

فتح المسلمين للقدس، والقدس في عهد الخلفاء الراشدين
عثمان آيدنلي ٦٣

القدس في العهد الإسلامي من الأمويين إلى الصليبيين
نوح أرصلان طاش ٧٣

القدس في عهد الصليبيِّين
ألدار حسن أوغلو ٩٥

القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي والأيوبيين
زيا بولات ١٠١

القدس في عهد المماليك
جنغيز طومار ١١١

القدس في الحكم العثماني
عبد الله جقمق ١١٧

احتلال فلسطين: من وعد بلفور إلى قيام إسرائيل

جان دفَجي ١٣٦

القدس موضوع للجدل السياسي

محمد حسين مرجان ١٤٦

القدس في العرف اليهودي

نوح أرصلان طاش ١٥٥

القدس في المسيحية

إسماعيل طاشبنار ١٦٣

القدس وأهميتها في الإسلام

ألدار حسن أوغلو ١٦٩

القدس في الفن الإسلامي

محمد طوب ١٧٨

القدس في الأدب التركي الإسلامي القديم والحديث

عالِم قهرمان ٢١٠

القدس في كتب الرحلات

سليم تزجان ٢٢٤

الحياة العلمية والعلماء والمؤسسات التعليمية في القدس

هارون يلماز - محمد أنس ميديللي ٢٤٤

نظرة على الطبقة العلمية في القدس العثمانية

مصطفى أوكسوز ٢٦٢

التصوف في القدس

ويسال آقّايا ٢٧٨

المعالم الإسلامية المهمة في بيت المقدس

فتاح آيقاج ٢٩٠

التعايش في القدس العثمانية

عبد الله جقمق ٣٥٣

الوظائف الاجتماعية والاقتصادية لأوقاف القدس في العهد العثماني

مصطفى غولار ٣٧٠

اختصارات أرشيف الصور

أرشيف القنصلية الألمانية بإسطنبول	:	D-DAI-IST-R
أرشيف فتاح آيكاج	:	FA
أرشيف عبد الحميد خان IRCICA	:	IRCICA-FAY
أرشيف وقف نشر العلم	:	iYV
أرشيف محمد طوب	:	MT

تقديم

تُعَدُّ القُدس من أقدم مدن العالَم لتاريخها العريق وما فيها من أماكن مقدسة، وهي مركز ذو أهمية عظيمة للإسلام واليهودية والمسيحية. وتحمل هذه المدينة في صفحات تاريخها آثار كثير من الأنبياء، وتضم بين جنباتها أماكن تُعَدُّ مقدسة لليهود والمسيحيين، ولها في قلوب المسلمين مكانة مرموقة، فهي قِبلتهم الأولى، وفيها يقع المسجد الأقصى/ الحرم الشريف على مساحة كبيرة تبلغ ١٤٤ دونمًا تضم كثيرًا من المباني المقدسة لدى المسلمين مثل الجامع القِبلي وقبة الصخرة. وهذا يعني أن أهمية القدس للمسلمين كأهميته لليهود والمسيحيين، لا بل هي عند المسلمين مدينة مقدَّسَة. واسم القدس أو بيت المقدس من القداسة والبَرَكة والطهارة، مدينةٌ تحمل في أرجائها آثارًا من الفاتحين والدول الكبرى التي أُقيمَت فيها على مدى التاريخ الإسلامي. وقد عاشت المدينةُ في سلام وسكينة وتسامح مذ ضمها سيدنا عمر رضي الله عنه إلى ديار الإسلام، وليس بخفي على أحد حقيقة أن هذه المدينة تحتاج إلى السلام مرة أخرى أكثر من أي وقت مضى.

إن غاية وقفِنا وضعُ حجر الأساس لتنشئة علماء مميَّزين في علوم الدنيا والآخرة يقودون المجتمع، وإيصالُ مجتمعنا والإنسانية إلى مستقبل مشرق تسود فيه الأخوَّة والعدالة، وذلك باستعمال جميع طاقات الوقف وقدراته. وقد حققنا إنجازات عظيمة حتى الآن في هذا الطريق الذي سرنا فيه وشعارنا قول: «رتبة العلم أعلى الرتب». وبنينا مؤسسات تُقام فيه أنشطة علمية، وتوَّجنا أعمالنا هذه بـ(جائزة نشر العلم) التي بدأنا بتقديمها منذ عام ٢٠١٩. وكان من ثمار مساعينا هذا الكتابُ الذي وضعناه تحت عنوان: (القدس المدينة التي تتوق إلى السلام). وقد سعى (وقف نشر العلم) لمدة طويلة من أجل جعل هذه المدينة المقدسة على رأس الأولويات دائمًا، وتقديمِ المعلومات الصحيحة عنها تقديمًا منظَّمًا لينتفع بها الباحثون والمهتمون. وأُعِدَّ هذا الكتاب القائم على معلومات موضوعية للنشر نتيجة جهود كوكبة من الأكاديميين الضليعين في مجالاتهم ومساعي لجنة النشر. وإننا نعتقد أن هذا الكتاب سيكون ذا نفع عظيم لكل مهتم بالقدس يود أن يغوص في تاريخها، ولكل باحث يريد أن يبحث في هذا الموضوع. ونتقدم هنا بجزيل الشكر للذين عملوا ليل نهار من أجل وضع هذا الكتاب بين أيدينا، وفي مقدمتهم أستاذنا رئيس التحرير الأستاذ المساعد د. عثمان آيدنلي، والفريق الفني الذي أعد الكتاب للنشر، ونخص بالشكر أساتذتنا الذين أثْرَوا الكتاب بمقالاتهم بعد أبحاث دقيقة، وقدموا لنا معلومات توسِّع آفاقنا. وفي الختام أدعو المولى القدير أن يجعل كتابنا هذا وسيلةً للخير، وإسهامًا لحل مشكلات تلك البقعة المباركة، وأن يعيد الأمن والأمان والسلام والطمأنينة إليها عاجلًا غير آجل.

نجم الدين بلال أردوغان

رئيس مجلس الأمناء في وقف نشر العلم

كلمة رئيس التحرير

الحمد لله سبحانه وتعالى حمدًا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين... وبعد،

إن الشرق الأوسط الذي نعرفه اليوم أولُ منطقة شهدت حركةً في تاريخ البشر. وعلى هذه الجغرافية التي لم تخلُ من حركة واضطراب حتى اليوم تعلَّمَ الإنسان أُولى تجاربه في الحياة، وكانت هذه البقعة من الأرض مهدًا لحضارات متتالية. وأما العامل الأساسي الذي جعل من هذه المنطقة مركزًا فهو مولدُ الأديان السماوية الثلاثة اليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام في هذه الجغرافية، ووجودُ الأماكن المقدسة فيها.

ولهذا السبب حصرًا كانت القدس بالاتفاق أهمَّ مدينة في العالَم منذ أول عصر من عصور التاريخ. وقد شهدت هذه المدينة المقدسة تبدل الحكم فيها أكثر من أربعين مرة، وهي في الوقت نفسه المدينة الوحيدة التي نستطيع فيها أن نتتبع تاريخها عبر آداب أمم مختلفة. فبهذه المدينة تشكلت الهوية الدينية والسياسية لبني إسرائيل، وفي هذه المدينة ومحيطها أدى سيدنا عيسى عليه السلام مهمة النبوة للمسيحيين، وكانت القدس القبلة الأولى للمسلمين. وفي هذه المدينة عاش كثير من الأنبياء الذين يؤمن المسلمون بهم، وفيها جرت معجزة المعراج التي كانت وسيلة لعالمية رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي استلم راية التوحيد بعد الأنبياء الذين سبقوه. لهذا كانت القدس أكثر من مدينة، فهي تاريخ حي شاهدٌ على مسيرة الإنسانية.

ولقد شهدت القدس كثيرًا من الخراب والتدمير والإبادات الجماعية منذ ما قبل الميلاد، ففي عام ٥٨٦ قبل الميلاد دمَّر نبوخذ نصر ملك بابل أرجاء المدينة بما فيها معبد سليمان وقتل كثيرًا من اليهود وهجَّرهم، وغزا القائد الروماني تيتوس عام ٧٠م والقائد الروماني هادريان عام ١٣٥م المدينةَ ودمَّرا معابد اليهود وأماكنهم المقدسة وقتلا منهم الكثير. واحتل الساسانيون القدس عام ٦١٤م وكان اليهود في جيوشهم، فأحرقوا كثيرًا من معابد المسيحيين ودمَّروها وقتلوا الكثير منهم، فذاقت القدس بذلك أشد الآلام والمآسي وحلَّ فيها الدمار والخراب وشهدت أبشع المجاز طوال تاريخها حتى فتحها سيدنا عمر رضي الله عنه عام ٦٣٨م، فعمَّ فيها السلام والأمان والطمأنينة والسكينة، وكان الأساس في الحكم الإسلامي فيها العيش بأخوة الإنسانية واحترام حرية المعتقدات لأصحاب الديانات المختلفة.

ولم يكن فتحُ المسلمين للقدس حدثًا عاديًّا، بل نقطة تحول استمرت تأثيراتها الإيجابية في المدينة المقدسة إلى يومنا هذا، ذلك أنه مع فتحِ المسلمين دخلت القدس مرحلة جديدة تقوم فيها العلاقات على الاحترام المتبادل بين أتباع الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، واستمرت هذه المرحلة بأمنها وأمانها وسكينتها طوال حكم المسلمين للقدس باستثناء بعض من الفترات. وكانت المدينة كلما خرجت من حكم المسلمين لمدة قصيرة، ذاقت الويلات مرة أخرى. فالقدس كانت مدينة السلام لأتباع الديانات الثلاث لـ٤٦٢ عامًا من فتح المسلمين، ولكن حينما احتلها الصليبيون عام ١٠٩٩م وارتكبوا فيها المجازر الوحشية بقتل المسلمين واليهود، عادت المدينة لتغرق في أشد الآلام والأحزان. ثم جاء صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧م ليواجه الصليبيين الذين عاثوا في المدينة فسادًا لنحو من قرن، ففتح المدينة ولم يكن همه أي انتقام، فمثَّل هوية الإسلام خير تمثيل حين أطلق سراح عشرات الآلاف من الأسرى من غير أن يقتلهم أو يطلب فدية، مع أنه كان قد عرض على الصليبيين أن يسلِّموا المدينة من غير سفك الدماء إلا أنهم أبوا وأصروا على القتال. وعاشت مدينة القدس تحت حكم المسلمين في سلام وطمأنينة عمومًا منذ ذلك التاريخ حتى عام ١٩١٧م، ولكن مع خروجها عام ١٩١٧ من أيدي المسلمين أي خروجها عن الحكم العثماني، عادت لتكون مركز الآلام والمشقات والمشكلات. لذلك القدسُ اليوم مدينة تتوق إلى السلام الذي لطالما غاب عنها.

إن السبب في مكانة القدس العظيمة في قلوب المسلمين إيمانُهم بجميع الأنبياء المرسَلين بدءًا من آدم عليه السلام كما ورد في سورة البقرة في الآية ٢٨٥، ولأنهم يرون في القدس «مدينة الأنبياء»، فقد عاش كثير من الأنبياء فيها. ومن العوامل التي تجعل من القدس أقدس المدن لدى المسلمين بعد مكة والمدينة المنورة وجودُ المسجد الأقصى الذي أثنى الله تعالى عليه في بداية سورة الإسراء في هذه المدينة، وصلتُها بحادثتَي الإسراء والمعراج، وأنها كانت قبلة المسلمين في صلاتهم من بدء الدعوة الإسلامية حتى نزول أمر الله تعالى (البقرة: ١٤٤/٢) بتحويل القبلة إلى مكة سنة ٦٢٤م.

وقد حكمَ القدسَ أمم شتى طوال تاريخها للأهمية التي تحظى بها لدى الأديان السماوية ولموقعها الاستراتيجي، فصارت هذه المدينة كمرآة تنعكس عليها سياسة العالَم. وصار تنوعها سواء من حيث الدين أو اللغة أو العِرق أو غيرها سببًا للتعريف بها كثيرًا من وجهات نظر مختلفة. وثمة آلاف من المؤلفات عن القدس وُضِعَت على مدى تاريخها. ونحن بدورنا نضع بين أيديكم كتابنا هذا، وهو نتاج علمي ثقافي قدَّمه أكاديميون متخصصون بلغة بسيطة يفهمها الناس على اختلاف طبقاتهم، بهدف إثراء المحتوى في هذا المجال، والإسهام ولو قليلًا في التعريف بهذه المدينة المقدسة، وتقديم معلومات موضوعية عنها.

وشرعنا هذا الكتاب بمقالة الأستاذ ألدار حسن أوغلو بعنوان: «معلومات عامة عن القدس»، وفيها عرضَ معلومات عن القدس كما ورد في صفحات التاريخ العام لا سيما من منظور المجتمع المسيحي واليهودي. وسعى الكاتب لعرض صورة عن القدس قبل الإسلام

بتحليل تاريخي ذاكرًا الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى هذه البلدة المباركة في إطار المعلومات التاريخية. وقد ذكر الكاتب أيضًا في هذه المقالة «المباني اليهودية والمسيحية في القدس».

وقد كتب عثمان آيدنلي مقالة بعنوان: «فتح المسلمين للقدس، والقدس في عهد الخلفاء الراشدين» ذكرَ فيها دخول الإسلام إلى القدس التي كانت قِبلة دين التوحيد ومن أهم مراكزه. ووضَّح نوح أرصلان طاش في مقالته «القدس في العهد الإسلامي من الأمويين إلى الصليبيي» معاملةَ الصحابة الكرام ومَن جاء بعدهم للقدس التي كانت أمانة من أمانات النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته. وتناول ألدار حسن أوغلو في مقالته «القدس في عهد الصليبيين» ما عانته هذه المدينة الإسلامية من محن بعد دخولها في حكم سياسي آخر. وتحدث زيا بولات في مقالته «القدس في عهد صلاح الدين والأيوبيين» عن عودة القدس إلى الحكم الإسلامي الذي عاشت في ظله في أمان وسلام لخمسة قرون. وذكَرَ جنغيز طومار في مقالته «القدس في عهد المماليك» بدءَ عهد الاستقرار في القدس تحت الحكم الإسلامي. ووضعَ عبد الله جقمق مقالته «القدس في الحكم العثماني» الذي دام لأربعة قرون، كي يستفيد القرَّاء منها. وعرضَ جان دَفَجي في مقالته «احتلال فلسطين: من وعد بلفور إلى قيام إسرائيل» بالأدلة تاريخَ فلسطين الحديث بعد أن احتُلَّت بطريقة مدروسة واقتُطِعَت من الحكم الإسلامي بعد خروجها من سلطة الدولة العثمانية التي كان سقوطها علامة على تغير موازين القوى في العالَم. وسعى محمد حسين مرجان في مقالته «القدس موضوعٌ للجدل السياسي» لشرح وضع القدس اليوم.

وكتبَ نوح أرصلان طاش مقالته «القدس في العُرف اليهودي» ليحدثنا عن تاريخ القدس المليء بالظلم والآلام والمآسي التي بدأت باحتلالها، ويذكر لنا الأسباب الأساسية للصراع اليوم. وكتب إسماعيل طاشبينار مقالة بعنوان: «القدس في المسيحية». وعرضَ ألدار حسن أوغلو لنا باختصار ما ورد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة عن القدس في مقالته «القدس وأهميتها في الإسلام» الدِّين الذي ثبتَ تاريخيًّا أن القدس لا تجد الطمأنينة والسلام إلا في ظلاله. أما نظرة الإسلام إلى القدس التي تُعَدُّ أمانةً نبويةً فلم تكن نظرة دينية فقط، بل نجد اهتمام المسلمين بها من الناحية العلمية والفكرية والأدبية والمعمارية والإنسانية والثقافية، أي من جميع نواحي الحياة، وهذا ما يبيِّنه عالِم قهرمان في مقالته «القدس في الأدب التركي الإسلامي القديم والحديث»، وسليم تزجان في مقالته «القدس في كتب الرحلات»، ومحمد طوب في مقالته «القدس في الفن الإسلامي»، وفتَّاح آيقاج في مقالته «المعالم الإسلامية المهمة في بيت المقدس»، وهارون يلماز ومحمد أنس ميديللي في مقالتهما «الحياة العلمية والعلماء والمؤسسات التعليمية في القدس» حتى العهد العثماني، ومصطفى أوكسوز في مقالته «نظرة على الطبقة العلمية في القدس العثمانية»، وويسال آقّايا في مقالته «التصوف في القدس». وقد عرضَ عبد الله جقمق في مقالته «التعايش في القدس العثمانية» أفضل وأحسن صورة للقدس في الإسلام المبنية على أساس السلام على مدى العصور. وفي نهاية هذه الرحلة التاريخية للقدس مهد الحضارات كتبَ مصطفى غولار مقالته «الوظائف الاجتماعية والاقتصادية لأوقاف القدس في العهد العثماني».

وهنا لا بد أن نشير إلى أن الاسم الأول والمشهور للقدس هو بيت المقدس. وثمة اختلاف في وجهات النظر حول استعمال كلمة «بيت المقدس» والمجال الذي تشمله، بناءً على الأحاديث الشريفة والتفاسير والآراء المتعلقة بآيات القرآن الكريم والروايات المنقولة. لذلك نجد مَن يعبِّر بكلمة «بيت المقدس» عن المسجد الأقصى أي الحرم الشريف، ومنهم مَن يقصد بهذه الكلمة مدينة القدس، ومنهم مَن يرى هذه الكلمة كلمةً جامعةً للأماكن المقدسة. وقد استعمل المسلمون لهذه المدينة المقدسة على مدى التاريخ الإسلامي أسماءً مختلفة تتعلق بالدول الإسلامية التي كانت قائمة والأحداث التاريخية. وسُمِّيَت القدس بأسماء شتى من الأمم والأديان التي كانت حاكمة عليها، وهي إلى الآن تُسمَّى بأسماء كثيرة. وقد وردَ عن الأحاديث المروية عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة أسماء للقدس، لذلك تركنا لمؤلِّفينا حرية اختيار اسم أو أكثر من هذه الأسماء الثلاثة أثناء كتابة مقالاتهم.

ومع إتمامنا لهذا الكتاب شاكرين المولى جلَّ جلاله، أتقدم بجزيل الشكر ووافر التقدير وكريم الامتنان لكل مَن أسهم في إعداد هذا الكتاب سواء سعيًا أو عملًا أو دعمًا، مبتدئًا برئيس وقف نشر العلم الأستاذ يوجل تشليكبيلك، ونائب رئيس الوقف نجم الدين بلال أدروغان المحترم، ثم أعضاء هيئة الأمناء في الوقف، ومدراء وقف نشر العلم الأستاذ آدم ياوز وعثمان أجون وبيرم يالتشين، وأعضاء لجنة النشر الأستاذ د. نجم الدين غوكقر و د. عبد الله طرابزون عضو الهيئة التدريسية ود. عثمان يلماز عضو الهيئة التدريسية، الذين سعوا سعيًا كبيرًا لنشر الكتاب بالجودة التي يستحقها وزوَّدونا بأفكارهم وآرائهم، ومكتبة (İSAM) لإفادتنا بالمراجع والمصادر، ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (IRCICA) الذي لم يبخل بدعمه لنا في موضوع تأمين الصور، وللقنصلية الألمانية في إسطنبول، و د. محمد طوب، و د. فتَّاح آيكاج، ومدير مسكن وقف نشر العلم وطلبته، وأستاذنا عالِم قهرمان والسيدة عقيلة تكين لجهودهما في تدقيق هذا الكتاب وتصحيحه، والعاملين في وقف نشر العلم الذين لبوا طلباتنا أثناء اجتماعاتنا الكثيرة تلبيةً نابعةً من صميم قلوبهم، ولا سيما أساتذتنا الأعزاء أصحاب هذه المقالات التي سلمونا إياها بأمانة وصدق مع حرصهم على جعل كتاباتهم كتابات أكاديمية. وفي الختام نترككم أعزاءنا القرَّاء مع صفحات كتابنا (القدس المدينة التي تتوق إلى السلام) ونحن نذكِّركم بأن أي عمل من صنع البشر لا يخلو من علة، ونستميحكم عذرًا عن أي خطأ وردَ في الكتاب سهوًا.

واللهَ تعالى نسأل التوفيق.

الأستاذ المشارك د. عثمان آيدنلي

٢٠٢٠/٠٢/٢٠

أيوب سلطان

معلومات عامة عن القدس

* ألدار حسن أوغلو

القدس مدينة مقدَّسة في اليهودية والمسيحية والإسلام، فهي ذات مكانة مرموقة لدى الأديان السماوية الثلاثة، ويرى أتباع هذي الأديان هذه المدينة قِبلةً لهم، ويصفونها بالمدينة المباركة المقدسة. وإذا كان ثُلُثَا سكان العالَم يؤمنون بقدسية هذه المدينة، فهي المدينة الأولى من حيث الإيمان بقدسيتها، وهي على رأس قائمة المراكز الدينية التي تحظى بالاحترام والتقدير. وكانت مكانتها هذه سببًا لأهميتها ودافعًا للهجمات والمصائب التي حلَّت عليها. إن طبيعة المنطقة جبليةٌ بعيدةٌ عن طرق القوافل التجارية، وهذا ما أعاق أن تكون المدينة مركزًا تجاريًّا. غير أن ما تُكِنُّه من سِرٍّ إلهي وما تتميز به من موقع استراتيجي كان دافعًا لتحِلَّ دائمًا نُصب أعين الحُكَّام والقادة الذين أدركوا أن حُكمَ هذه المدينة يعني حُكمَ العالَم، من أجل ذلك كانوا لا يجدون ضيرًا في التضحية بأرواح ما لا يحصى من جنودهم في سبيل السيطرة عليها والتمتع بهذا الامتياز. تعرضت القدس مرات كثيرة للحصار وتبدُّلِ الحُكَّام والحرق والدمار والنهب، وقُتِل أهلوها ونُفُوا في مراحل كثيرة. ويذكر المؤرِّخون أن المدينة أُعِيدَ بناؤها ثماني عشرة مرة. وما زالت المدينة تحافظ على وجودها وتحمل على كاهلها حِملَ قدَرِها الثقيل على الرغم من جميع الهجمات عليها وما حلَّ فيها من خراب وتدمير.

عاش الناس معًا على اختلاف معتقداتهم وأعراقهم وألوانهم في القدس لقرون مديدة. وتشكَّلت أحياء القدس وفقًا لمعتقدات ساكنيها وأعراقهم وحتى مِهَنِهم. المسلمون والمسيحيون واليهود والأحباش والسُريان والأقباط والمغاربة والألمان والهنود جميعهم من سكان المدينة القدماء عاشوا معًا في جو من التفاهم والاحترام المتبَادَل، غير أن ظهور الفكر الصهيوني عكَّرَ جو هذه الأخوَّة. وعاشت هذه المدينة المقدسة في طمأنينة وسكينة تحت الحكم الإسلامي لعصور حتى حُرِمَت من السلام والاستقرار بعد أن خرجت من يد العثمانيين، وصارت المدينة لا تغيب الشمس عنها إلا وعاشت حادثة مفجعة أو سمعت عن خبر أليم.

موقعها الجغرافي

تقع القدس على خط طول ٣٥ درجة و١٣ دقيقة شرق خط غرينتش، وخط عرض ٣١ درجة و٤٧ دقيقة شمال خط الاستواء. وإذا نظرنا إلى موقعها في الخريطة، نجد أنها من أهم نقاط العالَم، فهي تحتل مركز الكرة الأرضية من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. وتقع المدينة على سلسلة جبلية تمتد من الشرق إلى الغرب، وهي قريبة من البحر المتوسط غربًا. ولموقع القدس الجغرافي أهمية استراتيجية، فهي تشكل جسرًا يربط بين آسيا وأوروبا وأفريقيا. لذلك كان مَن يسيطر على القدس، يسيطر على الطرق الممتدة إلى هذه القارات الثلاثة. والمدينة إضافةً إلى أنها نقطة تقاطع الطرق البرية تقع على مسافة قريبة من الطرق البحرية مثل البحر المتوسط وقناة السويس وخليج العقبة، فمن اليسير الوصول منها إلى المدن والطرق المهمة المجاورة. تقع القدس على مسافة ١٧٥ كم من عكا، و١٥٠ كم من حيفا، و٦٥ كم من نابلس، و٣٦ كم من الخليل، و٦٢ كم من يافا، و٩٤ كم وغزة، وهي ليست ببعيدة عن الدول العربية المجاورة، إذ تقع على بُعد ٩٠ كم من عمَّان، و٣٠٨ كم من دمشق، و٣٠٦ من بيروت، و٥٣٠ كم من القاهرة، أما إذا نظرنا إلى الممرات البحرية، فنجد أنها على بُعد ٢٤ كم من البحر الميت (بحيرة لوط)، و٥٢ كم من البحر المتوسط، و٢٥٠ كم من البحر الأحمر.

* الأستاذ المساعد د. ألدار حسن أوغلو عضو في الهيئة التدريسية في قسم الفلسفة وعلوم الدين في كلية العلوم الإسلامية بجامعة كاتب شلبي.

[1] رفيق شاكر التشة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، (الرياض/عمان: دار الكرمل، ١٩٨٤)، ٥-٦؛ شفيق جاسر أحمد محمود، تاريخ القدس (عمان: دار البشير، ١٩٤٨)، ٤٢٠؛ محمد حسين محاسنة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، (الكويت: مكتبة الفلاح، ٢٠٠٣/١٤٢٣)، ٤٢٢ عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤)، ١٣-١٥.

مناخها

مناخ القدس التي تحدها الصحراء من جانب والبحر من جانب آخر يعتمد على طبيعتها الجغرافية، فمناخها ماطر بتأثير مناخ البحر المتوسط من ناحية، وجاف بتأثير مناخ الصحراء في شرقها من ناحية أخرى، غير أن مناخها عمومًا ليس بالمناخ القاسي. فالمدينة تمر عليها فصول أربعة، وتقلل الرياح الخفيفة التي تهب من البحر حرارة الطقس في ليالي الصيف. ولا تبلغ الرياح في المدينة درجة الخطورة، ويسود فيها الطقس الدافئ عمومًا بتأثير الرياح التي تهب من جهة الشمال الغربي. والطقس في الصيف يكون حارًا جافًّا بدرجة متوسطة. أما الطقس في الشتاء فيكون ماطرًا باردًا، وإذا تساقطت الثلوج مرةً كل سنتَين أو ثلاث، فإنها تستمر لمدة قصيرة. وتضرب الرياح الشديدة المدينةَ من الغرب في الشتاء، وكثيرًا ما يهطل المطر بعد هبوب هذه الرياح. ويبدأ فصل الشتاء من شهر كانون الأول/ديسمبر إلى شهر آذار/مارس. ويكون الطقس دافئًا في الربيع والخريف. وتُشاهَد ظاهرة الندى في أوقات المساء وبها تبتل الأشجار ويترطب التراب. تعتمد الزراعة في المدينة على مياه الأمطار عمومًا. وتبلغ كمية الأمطار التي تهطل سنويًّا نحوًا من ٥٥١ مل٢ ويهطل ٧٠٪ من الأمطار في الشتاء. أما تربة القدس فهي عمومًا من الحجر الكلسي تصلح لزراعة نباتات مختلفة.

طبيعة منطقتها

تقع القدس في منطقة جبلية على السلسلة الجبلية الممتدة من الشرق إلى الغرب. وتشكلت نواة أول منطقة سكنية في القدس في مرحلة مبكرة من التاريخ على سفوح أوفل المطلة على قرية سلوان في تل موريا الذي يقع عليه الحرم الشريف. وكانت مصادر المياه الطبيعية السبب الأساسي الذي جعل من الإنسان يسكن المنطقة في تلك الحقبة. ومع مرور الوقت كبُرَ هذا التجمع السكني الصغير القائم على تل صغير واتسعت المدينة حتى أُقيمَت فيها «دولة مدينة».

القدس القديمة

قبة الصخرة تحت المطر الغزير (أرشيف MT)

القدس في الربيع المزهِر (أرشيف iY٧)

[٢] شوقي شعث، القدس الشريف، (الرباط: منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة- الإيسيسكو، ١٩٨٨)، ٤١٩؛ محمود، تاريخ القدس، ٣٥-٣٧؛ محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ٢٤.

[٣] النتشة، تاريخ مدينة القدس، ٢٦.

تل موريا

تقسِّم المصادر التاريخية والجغرافية القدسَ إلى قسمَين: قسم داخل السور وقسم خارجه. فالقدس القديمة داخل السور التي تقع فيها الأماكن المقدسة لليهودية والمسيحية والإسلام بُنيَت على

تل أوفل

أربعة تلال يتراوح ارتفاعها بين ٧٢٠ و٨٣٠ مترًا عن سطح البحر. وارتفاع القدس داخل السور عن سطح البحر المتوسط نحو ٨٠٠ متر، وعن سطح البحر الميت ١١٥٠ مترًا.[٤] وتقع القدس داخل السور وخارجه على تلال وجبال تفصل بينها أودية.

تل سلون (أرشيف iY٧)

القدس القديمة داخل السور

بُنيَت القدس القديمة داخل السور على أربعة تلال هي موريا وبزيتا وأكرا وصهيون، وأشهر هذه التلال وأهمها تل موريا.[٥] ويعتقد اليهود أن النبي إبراهيم أراد ذبح ابنه على هذا التل. ويقع معبد «ملكي صادق» خادم الرب على هذا التل. وقد أراد النبي داوود أن يبني معبدًا لله في تل موريا، وهذا ما فعله ابنه النبي

مشهد من جبل الزيتون لوادي قدرون والمسجد الأقصى والقدس على تل موريا (أرشيف iY٧)

سليمان. ويعتقد اليهود أن حجر «أفن شاطياح» متعلق بعرش الرب وهو مركز العالَم، وهو في تل موريا. أما في المصادر الإسلامية فيُسمَّى هذا الحجر باسم «الصخرة المعلَّقة» ومنها عُرِجَ بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء في ليلة الإسراء. ومسجد قبة الصخرة والجامع القِبلي على هذا التل في أيامنا، وكذلك الحرم الشريف.

لذلك سُمِّي هذا التل باسم تل الحرم الشريف أو تل الصخرة.[٦] ويُقَال إن تل أوفل الذي كان فيه أول تجمع سكني في القدس هو امتداد لتل موريا.

ويسمِّي بعض من الجغرافيين تل أوفل باسم تل الظهور. وتل أوفل سفح مطل على قرية سلوان التي تقع جنوب شرقي الحرم الشريف. وقد بدأ أول تجمع سكني في القدس في هذه النقطة في بدايات الألفية الثانية قبل الميلاد لقربها من مصادر المياه في قرية سلوان.

[٤] ميخائيل مكسي إسكندر، القدس عبر التاريخ: دراسة جغرافية تاريخية أثرية، (الجيزة: رسيس، ١٩٧٢)، ٤٦
Menashe Har-El, Golden Jerusalem, (Jerusalem: Gefen, 2004), 8; George Adam Smith, Jerusalem: The Topography, Economics and History From The Earliest Times To A.D. 70, (London: Hodder and Stoughton, 1907), 1: 34-37.

[5] Dan Bahat, The Illustrated Atlas of Jerusalem / Shlomo Ketko (Jerusalem: Carta, 1996), 12؛ دري غِر; Galyn Wiemers, Jerusalem: History, Archeology and Apologetic Proof of Scripture, (Waukee: Last Hope Books, 2010)
عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥)، ٣ وغيره.

[6] Nebi Bozkurt, “Kubbetu’s-Sahre”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi (Ankara: TDV Yayınları, 2002), 26/ 305;
محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ٢٣.

ومن التلال الواقعة داخل السور تل صهيون، ويُسمَّى أيضًا باسم جبل صهيون، ويقع في الزاوية الغربية من المدينة. وهو المقصود من صهيون الذي يشير إلى القدس في النصوص المقدَّسة اليهودية. وقد بنى النبي داوود قلعة عليها بعد أن حكم القدس، ويقع قبره في هذا التل. وقد سُكِنَ هذ التل قبل مجيء بني إسرائيل، إذ يُعَدُّ من أحياء المدن القديمة. ويعتقد المسيحيون أن الغرفة التي تناول فيها النبي عيسى العشاء الأخير في هذا التل.

أما التل الذي يقع في شمال شرق المدينة داخل السور فهو تل أكرا. وعلى هذا التل تقع كنيسة القبر المقدس التي تُعَدُّ قِبلة المسيحيين، وقد أُسِّس حي النصارى في هذا التل. وبدأت الحياة السكنية في تل أكرا بدءًا من أواسط القرن الثاني قبل الميلاد. وبنى الملك السلوقي أنطيوخوس الرابع قلعة أكرا (١٦٨ قبل الميلاد) فصارت حاميةً عسكريةً للرومان، وبدأ السكن في التل.

ومن التلال المأهولة بالسكان داخل السور تل بزيتا، ومن أسمائه تل طور زيتا وتل زيتا، وهو التل الموجود اليوم بجانب باب الساهرة. ويمتد التل إلى باب العامود ويطل على الحرم الشريف. بدأ السكن في التل في عهد الرومان،

قلعة صهيون (أرشيف القنصلية الألمانية في إسطنبول - ٣٢٥٠٨)

تل صهيون

فقد بُنيَ حي في عهد هيرودس أغريبا (٣٧-٤٤م) حفيد هيرودس الكبير، وكان الحي مميزًا بدُورِه وقصوره الفاخرة، وبُنيَت فيه القاعات الكبيرة، وشُرِعَ ببناء سور حوله.

القدس القديمة خارج السور

اتسعت مدينة القدس مع مرور الوقت، وامتد السكن من أول منطقة سكنية في تل أوفل/موريا إلى التلال المجاورة، وبُنيَ سور حول هذه التلال لأسباب عسكرية. لكن مع زيادة عدد سكان المدينة، بدأت الحياة السكينة خارج السور، وبدأ الناس يسكنون في الوديان والجبال المجاورة، لتتحول كل منطقة من هذه المناطق إلى حي من أحياء القدس، مثل جبل الزيتون، جبل المشارف/سكوبوس، وجبل التكبير/الجبل المُكبَّر. [٨]

ويُعَدُّ جبل الزيتون أشهر جبال القدس وأهمها، وقد سُميَّ بهذا الاسم نسبةً إلى أشجار الزيتون عليها. ويُعرَف أيضًا باسم جبل الطور. وبين القدس القديمة وجبل الزيتون يقع وادي قدرون.

بزيتا- أكرا

مشهد للقدس في أواخر القرن التاسع عشر (أرشيف القنصلية الألمانية في إسطنبول- R٣٢٤٨٢)

[٨] محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ٢٤ وغيره؛ عارف باشا العارف، تاريخ القدس، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٤)، ١٨٧ وغيره.

وقد قيل إن العلاقة بين جبل الزيتون والمدينة القديمة علاقة وطيدة كعلاقة الروح بالجسد. ويقع جبل الزيتون في الجهة الشرقية من المدينة القديمة داخل السور، وهي أفضل نقطة لمشاهدة المدينة. وقد شاهد القادة الذين أرادوا السيطرة على القدس مثل تيتوس الروماني وصلاح الدين الأيوبي المدينةَ من هنا قبل الهجوم عليها. وقد قدَّم الأسقف الفرنسي أركولف معلومات عن الزراعة المثمرة في جبل الزيتون أثناء زيارته للمدينة في أواخر القرن السابع الميلادي.[٩] ولجبل الزيتون مكانة كبيرة في المصادر الإسلامية والمسيحية واليهودية. فقد فسَّر بعض المفسرين أن المقصود من الزيتون الذي أقسم به الله تعالى في سورة التين إنما هو جبل الزيتون. وفي جبل الزيتون مساجد ومقابر للمسلمين، وفيها قبر رابعة العدوية. ويُقال إن قبرَي النبي زكريا والنبي يحيى في سفوح جبل الزيتون. أما لدى المسيحيين فجبل الزيتون هو المكان الذي لجأ إليه النبي عيسى. فقد وردَ في الإنجيل أن النبي عيسى جاء إلى جبل الزيتون هربًا من أذى اليهود ومكائدهم، ودعى على المدينة من هنا.[١٠] وتذكر مصادر المسيحيين أن النبي عيسى صعد إلى السماء من جبل الزيتون. وبُنِيَت كنائس وأديرة كثيرة للمسيحين على الجبل وسفحه. ويقع بستان جَثْسَيماني (أو حديقة الجسمانية) التي فيها قبر السيدة مريم وأبَوَيها وزوجها يوسف النجار على سفح جبل الزيتون. وهذا المكان هو مزرعة الزيتون التي زارها النبي عيسى ليلة القبض عليه، وقد بُنِيَت فيها كنيسة كل الأمم. ولجبل الزيتون أهميةٌ عظيمةٌ في العرف اليهودي، فهو المكان الذي وُضِعَ فيه تجلي يهوا[١١] وعليه سيضع يهوا قدمَيه في آخر الزمان[١٢] وعندما هُدِمَ المعبد الثاني ومُنِعَ اليهود من دخول المدينة القديمة، اجتمعوا في جبل الزيتون وأدوا عبادة الحج. ويعتقد اليهود أنه من جبل الزيتون ستبدأ القيامة والحشر، وسينفخ إلياهو هانافي في الصور/الشوفار من هنا ليعلن عن بدء القيامة، وسيُبعَث الموتى الذين يسمعون صوت نفخته. وكان اليهود يتسابقون لدفن موتاهم في جبل الزيتون لأنهم يعتقدون أن المدفون هنا له فضائل عند الرب ويميِّزه عن غيره.

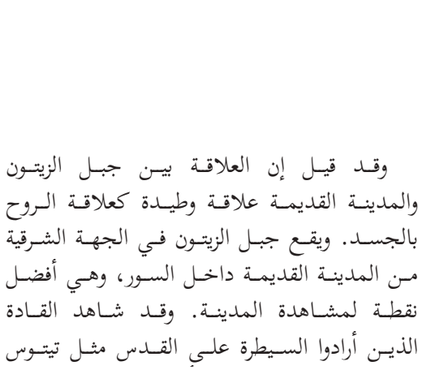

جبل الزيتون في الوقت الحاضر (أرشيف iY٧)

جبل الزيتون في أواخر القرن التاسع عشر (أرشيف RCICA- ٢٢,٤١,٢٩.FAY)

أما جبل المشارف/سكوبوس فيقع في الجهة الشمالية من المدينة القديمة داخل السور ويُطِل عليها. ويُسمِّي أهل القدس هذا الجبل باسم جبل المشهد. ويُعَدُّ هذا الجبل أفضل مكان لمراقبة المدينة. وأسماء الجبل في اللغات الأخرى كلها مشتقة من معنى اسم الجبل هذا. ويستطيع الناظر من هذا الجبل أن يرى بسهولة المدينة القديمة ومحيطها الذي يمتد لكيلومترات. وقد كان القادة الذين يريدون السيطرة على المدينة يأتون إلى هذا الجبل ليشاهدوها منه. ويُروَى أن الإسكندر المقدوني (وفاته: ٣٣٢ قبل الميلاد) حاصر المدينة وراقبها من هنا.

[٩] عارف، المفصل في تاريخ القدس، ١٠٦.
[١٠] إنجيل متى ٢٣: ٣٧-٣٨.
[١١] سفر حزقيال ١١: ٢٣.
[١٢] سفر زكريا ١٤: ٤.

وبين جبل المشارف والمدينة وادي الجوز. ونجد اليوم مباني حديثة على هذا الجبل، وعليه أيضًا الجامعة العبرية، ومقبرة الجنود البريطانيين الذين فقدوا أرواحهم أثناء الحرب العالمية الأولى. وأما جبل التكبير/المُكبِّر فهو في الجانب الغربي من المدينة القديمة داخل السور. وقد مر سيدنا عمر بن الخطاب من هذا الجبل أثناء فتحه القدس. وسُمي الجبلُ

جبل المشارف

بهذا الاسم لأن المسلمين كبَّروا أثناء مرورهم منه. ويُسمِّي الناس هذا الجبل باسم جبل المؤامرة وجبل المشورة الفاسدة لأن المحكمة اليهودية في زمن النبي عيسى كانت هنا، ولأن الحواري يهوذا الإسخريوطي الذي خان النبي عيسى قدَّم مشورته للمحكمة على هذا الجبل. ويفصل وادي سلوان هذا الجبل عن جبل الزيتون، ويفصله وادي الربابة عن جبل صهيون.

وتفصل الأوديةُ بين الجبال والتلال التي أُقيمَت عليها القدس القديمة داخل السور وخارجه، من هذه الأودية وادي

الوادي والقدس على التلال (أرشيف القنصلية الألمانية في إسطنبول -R٣٢٤٧٧)

الربابة وقدرون وتايروبوين، وقد سُميَّت هذه الأودية أحيانًا بأسماء أخرى لم تنتشر. ووادي الربابة يقع في غربي المدينة القديمة وجنوبها الغربي، وسُمي في العصور القديمة باسم وادي هنوم. وهذا الوادي يمتد من شمال غرب المدينة إلى جنوبها ومن هناك نحو الشرق ليلتقي بوادي قدرون حول بئر أيوب جنوب تل أوفل. ويُسمَّى مكان اجتماع هذَين الواديَين باسم وادي سلوان. وسمى بعضهم القسم الجنوبي الشرقي من وادي الربابة باسم وادي توفة أو وادي القتل. ويُسمَّى الوادي الذي يقع في شرقي المدينة داخل السور باسم وادي قدرون. وقد سُمِّي باسم وادي يهوشافاط في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد. وذكرَ المؤرخ والجغرافي ابن الفقيه (وفاته: ٢٨٦هـ) الواديَ الواقع شرقي المدينة باسم وادي جهنم، وله أسماء أخرى مثل وادي سلوان، ووادي ست مريم، ووادي النار، والوادي الأسود.

يقع وادي قدرون بين المدينة القديمة داخل السور وجبل الزيتون. أما وادي تايروبوين فيقع في الجهة الغربية من المدينة، وقد أطلقَ عليه هذا الاسم المؤرخُ اليهودي يوسيفوس ويعني «الجبَّانة» أو «صانعي الجبن». وكان هذا المكان مكبًّا لقمامة سكان المدينة، لذلك كان يُعرَف بين الناس باسم وادي الروث والزبالة.

منحَ الموقعُ الجغرافي للقدس قدرةً طبيعيةً على الدفاع أمام هجمات الأعداء، فكان ذلك سببًا لاستيطان الناس في هذا المكان. غير أن الجانب الشمالي والشمالي الغربي من المدينة منطقة مفتوحة يسهل غزو المدينة منها، لذلك نجد أن أكثر القادة الذين أرادوا السيطرة على القدس قد غزوها من هذا الجانب. وتنقل المصادر التاريخية أن نبوخذ نصر والإسكندر المقدوني وبومبي والخليفة عمر بن الخطاب كلهم دخلوا المدينة من هنا. [١٣]

مصادر المياه

لمصادر المياه أهمية كبيرة في القدس لأنها مدينة بُنيَت في منطقة صخرية قاحلة. ولم تكن هناك مصادر مياه طبيعية في المدينة القديمة داخل السور، فكان أهل المدينة يلبون حاجتهم للماء من مياه الأمطار ومصادر المياه القريبة. وقد بُنيَت بِرَك مياه في المدينة من أجل جمع مياه الأمطار والأنهار والينابيع، وأُنشِئَت القنوات من أجل نقل المياه من خارج المدينة.

والسبب الأساسي الذي جعل أول منطقة سكنية في المدينة في سفوح تل أوفل المطلة على قرية سلوان هو مصادر المياه هناك. وكان مصدر المياه الوحيد لسكان المدينة نبع أم الدرج في قرية سلوان التي تقع على بعد ٣٠٠ متر من أسوار المدينة. وقد سُمِّيَ هذا النبع الموجود في مغارة بأسماء مختلفة مثل نبع ست مريم، والعذراء، وروغل. ويُقَال إن النبع المذكور في العصور القديمة باسم نبع جيحون هو هذا النبع نفسه. وثمة بركة سلوان بجانب نبع أم الدرج. وقد وردَ في المراجع أن نبع هذه البركة كان يُستعمَل للعلاج من الأمراض. وبجانب بركة سلوان البركة التحتانية أو البركة الحمراء. وتقع بئر أيوب على مسافة ١ كيلومتر من هذه البركة، ويُروَى أن سيدنا أيوب هو الذي حفرَ هذه البئر ومن هنا جاء اسمها.

وقد اتخذ سكان القدس التدابير من أجل تلبية حاجتهم للماء أثناء حصار الأعداء للمدينة، لذلك بنى الكنعانيون أنفاقًا تحت الأرض من نبع أم الدرج إلى المدينة. وقد تسلسل جنود النبي داوود من هذه الأنفاق للسيطرة على المدينة. وبنى الرومان القنوات المائية للمدينة. وبُنيَت بِرَك لجمع المياه فيها، وأقدمها وأكبرها بركة ماميلا أو مأمن الله. أما بركة حزقيا التي بناها الملك اليهودي حزقيا فقد بُنيَت في القرن الثامن قبل الميلاد. ومن البرك الأخرى التي استعملت لتخزين المياه بركة السلطان، وبركة بني إسرائيل، وبركة سليمان، وبركة إياد. [١٤]

بركة حزقيا

وادي قدرون وجبل الزيتون (أرشيف iYV)

[١٣] Wiemers, Jerusalem، ٤٥-٥٨؛ Smith, Jerusalem، ٣٣-٤٩؛ محمود، تاريخ القدس، ٢٠-٣٠؛ زايد القدس الخالدة، ١٣-١٥.

[١٤] العارف، تاريخ القدس، ١٧٦-١٨٠؛ إسكندر، القدس، ١٠-١١؛ Har-El, Golden Jerusalem، ١٢٦-١٤٣.

بقايا كنيسة من العهد البيزنطي في القدس الغربية

القدس في عهد ما قبل الإسلام

القدس في العصور القديمة

بدأت التنقيبات الأثرية التي تسلِّط الضوء على ماضي القدس في العصور القديمة بدءًا من أواسط القرن التاسع عشر. ويعود تاريخ أقدم الآثار التي اكتُشِفَت إلى بدايات الألفية الثانية قبل الميلاد. لكن هذه الآثار المتعلقة بالمدينة ليست كثيرة، ولا يُمكن الاعتماد على أغلبها تاريخيًّا. فالاكتشافات الأثرية مثل قطع الفخار والأوابد والنقوش كان عددها محدود، ولا تكفي للحصول على معلومات موثوقة لأنها بالية. أي إن البيانات المتعلقة بتاريخ القدس قبل بني إسرائيل لم تكن صالحة لتأريخها والبحث فيها، لذلك لجأ الخبراء إلى ما ورد في النصوص المقدسة اليهودية أثناء تقييمهم لهذه الاكتشافات، وهذا ما جعل دراسات الغرب في موضوع كتابة تاريخ فلسطين متأثرة بالنصوص المقدسة اليهودية.

أول تجمع سكاني في القدس

لا يبدأ تاريخ مدينة القدس ببني إسرائيل، فقد سكنت أقوامٌ هذه المدينة قبلهم. بدأ العيش في القدس في نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد وفقًا للاكتشافات الأثرية. ويُعتقَد أن صيادين وأقوامًا رُحَّل كانوا يسكنون المنطقة وإنْ لم تكن هناك معلومات كافية لتحديد أوائل سكان المدينة. وثمة عوامل منعت الإنسان من عدِّ القدس مكانًا جيدًا للسكن، منها بعدها عن البحر وندرة مصادر المياه. كانت القدس محل إقامة مؤقتة للصيادين في الألفية الثالثة قبل الميلاد، وصارت مركزًا للسكن في بدايات الألفية الثانية قبل الميلاد. في البداية كان هناك تجمع سكني صغير في سفوح تل أوفل لقربه من مصادر المياه، وهو المكان الذي يقع في جنوب شرقي الحرم الشريف في أيامنا هذه. وتحولت هذه المنطقة مع مرور الوقت إلى «دولة مدينة». ويُعتقَد أن حدود دولة المدينة هذه لم تتجاوز أسوار المدينة القديمة. وفي عام ١٩٦١ اكتشفت عالمة الآثار البريطانية كاثلين كينيون جدارًا على تل أوفل الذي كان أول مكان لسكن المدينة. وكان هذا الجدار الذي بلغت سماكته ٦٫٥ قدم يمتد حول التل، وله باب واسع عند نبع أم الدرج. ونسبت كينيون قطع الفخار التي اكتُشِفَت في المدينة إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وذكرت أن أناسًا عاشوا في المدينة قبل هذا التاريخ، ولكن ذلك كان في مرحلة ما قبل تأسيس المدينة، أي إن الحياة في المدينة بدأت من القرن الثامن عشر قبل الميلاد.[١٥]

القدس في الألواح الأثرية

وردَ أول ذكر للقدس في ألواح مصر القديمة، وأقدم هذه الألواح لوح يُسمَّى «نصوص اللعنة». وهذه الألواح آنية فخارية كُتِب عليها ويعود تاريخها إلى عهد الفرعون سيسوستريس الثالث (١٨٧٨-١٨٤٢ قبل الميلاد). وقد اكتشفها عالم المصريات الألماني كورت سيث ونُشِرَت في برلين عام ١٩٢٦، ويُعتَقَد أنها من كتابة طبقة الرهبان. وتذكر نصوص اللعنة مدينةً وحاكمَيها اللذَين يشكِّلان خطرًا على مصر، وتلعنهما. وقد فسَّر سيث كلمةً كُتِبَت على شكل «أوسام» على أنها «أُورُشاليم»، وادعى أن المراد منها القدس/أورشليم. وهناك من ادعى أن المدينة المذكورة في النصوص لا تشير إلى القدس، غير أن الرأي السائد رأي سيث. و«أُورُشاليم» لفظ بالكنعانية لغة المدينة آنذاك، وتعني «مدينة شليم، أو المكان الذي أسسه شليم». وتعني الكلمة أيضًا «أساس السلام». وقد فسَّر سيث كلمتَين «يقرم» و«شزن» على أنهما حاكما المدينة وقرأ اسميهما على أنهما «ياقري عامو» و«سازاعنو». وفي لوح آخر يعود تاريخه إلى قرن بعد اللوح السابق يُذكَر حاكم واحد للمدينة. وقد رأى العلماء في ذلك تطورًا من نظام القبيلة القائم على بضعة من الزعماء إلى نظام المدينة التي يحكمها ملك واحد. ومن الاكتشافات الأخرى التي ذُكِرَت فيها القدس ألواح تل العمارنة، وهي ألواح تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، اكتُشِفت عام ١٨٨٧ شرق نهل النيل وجنوب القاهرة على بعد نحو من ٣٠٠ كيلومتر منها. وقد ذُكِرت القدس في هذه الألواح باسم «أُورُشاليم» و«بيت شُلمانو». وفي الألواح من الرقم ٢٨٥ إلى ٢٩٠ ثمة ست رسائل بين ملك أُورُشاليم عبدي هيبا والفرعون أمنحتب الثالث (١٣٨٦-١٣٤٩ قبل الميلاد) وابنه أخناتون (١٣٥٠-١٣٣٤ قبل الميلاد)، وتقدِّم هذه الرسائل معلومات عن القدس في تلك الحقبة. يطلب الملك عبيد هيبا العونَ من الفرعون لمواجهة العبيرو الذين يهاجمون المنطقة لينهبوها، ويخبره عن الملوك الذين لا يوالونه ويؤكد على ولائه وطاعته، ويشكو في الأخير الحامية المصرية في القدس إلى الفرعون. ويُظهِر مضمون هذه الرسائل أن القدس كانت تابعة لمصر آنذاك. وهناك مَن ادعى أن العبيرو هم العبرانيون لتشابه اللَّفظَين، ولكن الأبحاث الأخيرة كشفت الاختلاف بينهما.[١٦]

ولم تُكتَشَف آثارٌ بعد ألواح تل العمارنة تذكر اسم القدس بعد تلك الفترة لقرون، وفسَّر العلماء ذلك أن القدس لم تكن ذا أهمية كبيرة آنذاك.

وبعد مدة طويلة ذُكِرت القدس في النصوص الآشورية، ففي هذه النصوص التي يُعتَقَد أنها تعود لسنة ٧٣٠ قبل الميلاد يُذكَر اسم الملك يهوذا الذي

[15] Margreet Steiner, "Expanding Borders: The Development of Jerusalem in The Iron Age", Jerusalem in Ancinet History and Tradition, Ed. Thomas Thompson, (London: T-T Clark, 2003), 68-72;

محمود، تاريخ القدس، ٢١ وغيره؛ محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ٢٩-٤٧.

[16] Samuel Abramsky - Shimon Gibson "Jerusalem", Encyclopaedia Judaica, 2. Edit. Ed. Fred Skolnik, (Detroit: Thomson Gale, 2007), 11/144; H.J. Franken, "Jerusalem in the Bronze Age: 3000-1000 B.C.", Jerusalem in History, Ed. K. J. Asali, (Essex: Scorpion, 1989), 17-20;

زايد، القدس الخالدة، ٢٩-٣٦؛ خالد محمد غازي، القدس: سيرة مدينة، (منيا: دار الهدي، ١٩٩٨)، ٢٢-٢٥؛ Armstrong, Jerusalem، ٣-١٤.

كان من بين الملوك الذين يدفعون الخراج للملك الآشوري تغلث فلاسر، واسم آحاز الذي كان يقيم في القدس. ويمكن الوصول إلى معلومات عن هذه الحقبة من النصوص المقدسة اليهودية.

الحياة الدينية في المدينة

وردَ اسم القدس في النصوص المصرية القديمة على أنها «أُورُشاليم» و«بيت شُلمانو» وهي أقدم الأسماء، وذُكِرَت المدينة بأسماء أخرى في الآثار المُكتَشفَة، فهي «يروشلم» في الآرمية، و«أوريشلم» في السريانية، و«أورُساليم» في الآشورية، و«يروشاليم/أورُشليم» في العبرية، وهذه الأسماء كلها تعبر عن الاحترام والقداسة لهذه المدينة. فكان هناك تركيز على القداسة في جميع أسماء القدس منذ بداية تأسيسها. وأقدم أسماء المدينة «أُورُشاليم» مؤلَّف من كلمتَين، الأولى تعني «أساس» أو «مدينة»، والثانية تعني «السلام» أو «السلامة»، وثمة مَن قال إن الاسم يشير إلى «شاليم» أو «شلماني» وهو اسم الإله الذي يؤمن به الساميون الغربيون، ومن هنا يعني اسم المدينة «مدينة السلام» أو «مُلك السلامة» أو «مدينة شاليم». ويقدِّم هذا الاسم دلائل على الحياة الدينية في المدينة.

لم تُكتَشَف معابد للقدس القديمة أو دلائل أثرية عن حياتها الدينية. والدليل الوحيد المُتَاح إنما هو اسم المدينة والمعلومات المذكورة في النصوص المقدسة اليهودية. واسم «شاليم» المذكور في اسم المدينة في نصوص اللعنة التي تعود للقرن التاسع عشر قبل الميلاد هو اسم إله في معبد جميع الآلهة في سوريا. وهذا يبيِّن أن المدينة آنذاك كانت تعتقد بعبادة شاليم. وشاليم اسم إله شمس المساء أو نجم المساء، وكان الناس يزورون القدس ليتقربوا إليه. وكان من المشهور ربط المدن بالآلهة في ثقافة المنطقة، وإطلاق هذا الاسم على القدس يبيِّن أن المدينة كانت تحت تأثير سوريا من الناحية الدينية. وذِكرُ القدس في نصوص تل العمارنة باسم «أُورُشاليم» و«بيت شُلمانو» دليلٌ على دوام عبادة شاليم في المدينة حتى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وقد جلبَ العبيرو والأقوام الأخرى التي دخلت المنطقة آنذاك عبادة بعل معهم، ولكن عبادة شاليم بقيت الحاكمة في القدس. ولا توجد أي اكتشافات أثرية تدل على عبادة بعل في المدينة. ويلفت بعض من المؤرخين الانتباه إلى اسمَي «أبشالوم» و«شلومو» ولدَي النبي داوود اللذَين سيطرا على المدينة وجعلاها عاصمة لهما في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، ويذكرون انطلاقًا من هذَين الاسمَين تأثرَ بني إسرائيل الذين كانوا يقيمون منذ قرن في المدينة بعبادة شاليم، ودوامَ إيمان بني إسرائيل بشاليم حتى بعد سيطرتهم على المدينة.

وتعطي تفاسير المفسرين المسلمين واليهود معلومات عن العقيدة القديمة للمدينة. فالنصوص المقدسة اليهودية تذكر «ملكي صادق» الذي عاصرَ النبي إبراهيم، وتتحدث أنه كان كوهين/خادم الرب العليون، وأنه مَلِكُ شاليم في الوقت نفسه. وتذكر أيضًا أنه سام ابن النبي نوح أو ابن سام. ويرى المفسِّرون اليهود أن المكان المذكور مع اسم شاليم هو «يروشاليم». وتتحدث المصادر اليهودية عن عبادة «صادق» إلى جانب شاليم، وكلمة صادق من الصدق. وكان يُروى في القدس القديمة أن صادقًا تجلٍّ كبير لإله الشمس. وإلى جانب ذِكر اسم القدس باسم شاليم في التوراة، تذكر تفسيرات التوراة أن اسم المدينة صادق. ومن الأمثلة التي تدل على وجود صلة بين القدس وصادق في النصوص الدينية اليهودية أن ملكي صادق ملكَ شاليم الذي عاصر النبي إبراهيم كان يُسمَّى «أدوني صادق» أثناء هجوم بني إسرائيل على المدينة لأول مرة في عهد يوشع، ومن الأدلة أيضًا ذِكرُ يهوه باسم صادق في كثير من مواضع التوراة. وقد انطلق المفسرون المسلمون في تفسيراتهم لاسمَي المدينة شاليم وصادق من وجهة نظر تستند إلى التوحيد، فذكروا أن ملكي صادق المذكور في النصوص اليهودية كان يؤمن بإله واحد، واسم ملكي صادق يعني «الملك الصادق»، وأنه بنى القدس وحكمها على أساس التوحيد والعدل.

[17] لا سيما في سفر صموئيل الأول والثاني، وسفر الملوك الأول والثاني، وسفر أخبار الأيام الأول والثاني.

[18] John Gray, The Legacy of Canaan: The Ras Shamra Texts, Their Relevance, (Leiden: Brill, 1957), 185; A. Rozenberg Roy, "The God Sedeq", Hebrew Union College Annual, 36 (1965), 166.

[19] H. Friedman - M. Simon (Ed.), Midrash Rabbah, (London: The Soncino Press, 1939), Genesis Rabbah 43: 6.

ورأى المفسرون أن ملكي صادق كان يحبِّذ السلام ويتجنب الحروب وسفك الدماء، لذلك لا بد من تفسير قسم «شاليم» في اسم المدينة على أنه «السلام» و«السلامة» لا «الصنم»، ومن هنا كان اسم القدس القديم يعني «مدينة السلام». وورد في المصادر أن ملكي صادق قد بنى معبدًا على تل موريا وعبد الله وحده هناك، وأن النبي سليمان بنى معبده/هيكله على أسس هذا المعبد، وأن رئيس الكهنة صادوق من نسله وكان يؤمن بالله وحده. وإذا انطلقنا من وجهة النظر هذه، نجد أن الحياة الدينية في المدينة كانت قائمة على التوحيد من عهد النبي إبراهيم إلى هدم الهيكل الثاني عام ٧٠م واندثار الصادوقيِّين بعد مدة قصيرة. وإذا أمعنا النظر في معاني أسماء المدينة، نرى أن الحياة الدينية في القدس قائمة على الإيمان بإله واحد منذ القديم، وأن المدينة كانت دار السلام والسلامة، وأنها حُكِمَت بالعدل والصدق.

اليهود في القدس

استطاع بنو إسرائيل بقيادة يوشع خليفة النبي موسى أن يدخلوا أرض فلسطين بعد أن تاهوا أربعين سنة في الصحراء عقِب خروجهم من مصر. استولى يوشع على أريحا وعَاي بعد محاربتهما، فاتفق ملك أورشليم مع ملوك المنطقة: «فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة: ملك أورشليم، وملك حبرون، وملك يرموت، وملك لخيش، وملك عجلون، وصعدوا هم وكل جيوشهم ونزلوا على جبعون وحاربوها».[٢٠] وتذكر النصوص المقدسة اليهودية أن الرب قد أعان بني إسرائيل في هذه الحرب التي انتصروا فيها، وحتى إنه ثبَّتَ الشمس والقمر في مكانَيهما حتى انتصر بنو إسرائيل في حربهم، وأن الشمس لم تغب ليوم كامل وأن يهوه قد قاتلَ من أجل بني إسرائيل. وتتحدث هذه النصوص أيضًا عن أن يوشع قسَّم الأراضي التي استولى عليها بين أسباط إسرائيل الاثني عشر، وأنه أعطى القدس لسبط يهوذا وبنيامين.[٢١] ويُفهَم مما ذُكِرَ في النصوص المقدسة اليهودية أن بني إسرائيل لم يحكموا القدس بعد أن استولوا عليها، لأن النبي داوود حين استولى على القدس كان اليبوسيون يعيشون فيها.[٢٢] وهذا يعني أن سبط يهوذا وبنيامين لم يُهجِّروا سكان المدينة. وقد حكمَ بنو إسرائيل القدسَ في زمن النبي داوود.

كان اسم القدس في زمن النبي يوشع والنبي داوود «أورشليم» و«يبوس».

عهد النبي داوود

بعد وفاة النبي يوشع ضلَّ بنو إسرائيل ومالوا إلى عبادة الأوثان، فعاقبهم الرب وأذلَّهم أمام أعدائهم. ثم رحمهم الرب على الرغم من ضلالهم، فنجَّاهم من عدوهم، وجعل قضاة صالحين منهم يحكمونهم، فسُمِّيَ هذا العهد في التاريخ اليهودي باسم «عهد القضاة». ولم يكن الحُكم في بني إسرائيل في عهد القضاة حُكمًا مركزيًّا تابعًا لقائد واحد، إذ كان لكل سبط حاكم أو قاض يحكمه. وبعد وفاة القضاة مال بنو إسرائيل إلى عبادة الأوثان مرة أخرى، فهُزِموا أمام عدوهم، فطلبوا من النبي صموئيل أن يُعيِّن لهم ملِكًا يحكمهم، فصار شاؤول/طالوت أولَ ملك لهم، ومن حينها بدأ عهد الملوك/الملاحم في التاريخ اليهودي.

وعندما كان شاؤول/طالوت ملكًا على بني إسرائيل، استطاع النبي داوود أن يقتل جُليات/جالوت الذي كان أعتى أعداء بني إسرائيل. وكانت هذه الحادثة سببًا لشهرة النبي داوود بين بني إسرائيل، وعداوةِ طالوت له. وقد أمرَ اللهُ النبيَّ داوود وكان في الثلاثين من عمره أن يذهب إلى مدينة حبرون/الخليل، وهناك حكمَ سبطَ يهوذا سبعة سنوات ونصف.

[٢٠] سفر يشوع ١٥: ١، ٤٨: ١٨، ١١، ١٦.
[٢١] سفر أخبار الأيام الأول ١١: ٤-٦.

وفي تلك المرحلة زادة قوة داوود وضعفت قوة شاؤول/طالوت، ثم أجمعت الأسباط الاثني عشر على البيعة للنبي داوود ملكًا عليهم. وبذلك صار النبي داوود ملكًا على جميع أسباط بني إسرائيل وهو ابن سبعة وثلاثين عامًا، وحكَم لثلاثة وثلاثين عامًا.

كان النبي داوود الملكَ الثاني على بني إسرائيل، وأقام مملكة متحدة في أرض كنعان. وقويَت المملكة في عهده، واتسعت حدودها، وكانت لها مكانة بين الممالك المجاورة. وكان أساسُ ذلك نجاح النبي داوود في سياسته الداخلية والخارجية، وتجنبه تفضيل أبناء سبطه، وحرصه على العدل بين الأسباط، وانطلاقًا من هذا العدل والمساواة كان فتح القدس. أدرك النبي داوود حاجته لعاصمة جديدة من منظور استراتجيتي كي يمنع تفوق أنصاره في حبرون/الخليل على أبناء الأسباط الآخرين. وبناءً على هذه الفكرة، قرَّر أن أفضل مدينة لعاصمته الجديدة هي القدس التي لم يحكمها بنو إسرائيل من قبل، ولن يختلفوا في حكمها، ولأن القدس ستكون منطقة عازلة بين قبائل الشمال والجنوب. فغزا حينئذ المدينةَ التي كان يسكنها اليبوسيون. واستطاع يوآب ابن أخ النبي داوود أن يدخل المدينة من قنوات المياه ويفتحها.

«وذهب داوود وكل إسرائيل إلى أورشليم، أي يبوس. وهناك اليبوسيون سكان الأرض. وقال سكان يبوس لداوود: (لا تدخلْ إلى هنا). فأخذ داوود حصن صهيون، هي مدينة داوود. وقال داوود: (إن الذي يضرب اليبوسيين أولًا يكون رأسًا وقائدًا). فصعد أولًا يُوآب ابنُ صروية، فصار رأسًا. وأقام داوود في الحصن، لذلك دعوه: (مدينة داوود). وبنى المدينة حواليها من القلعة إلى ماحولها. ويوآب جدَّد سائر المدينة. وكان داوود يتزايد متعظِّمًا وربُّ الجنود معه».

ولا يُعرَف تمامًا تاريخ فتح النبي داوود القدسَ، ولكن الفتح على الغالب كان في أواخر القرن الحادي عشر وبدايات القرن العاشر قبل الميلاد. ويرى بعض المؤرِّخين أن جغرافية القدس في تلك الحقبة كانت مختلفة عما عليها اليوم، فوادي قدرون مثلًا كان أعمق بـ١٥ مترًا.

نقل النبي داوود مكان إقامته إلى قلعة صهيون بعد فتح القدس، وغيَّر اسم المدينة، فسمَّاها باسمه «إر داوود/مدينة داوود». وأعلَن أن المدينة عاصمة لليهود كافة، وشجَّع على عمرانها وسكنها كي تحظى بمظهر العاصمة. وبُنيَ قصر للمُلْك في القدس من أجل النبي داوود. وقد جلبَ النبي داوود إلى القدس تابوتَ العهد الذي يُعَد أقدس ما عند بني إسرائيل لاعتقادهم أن الرب يقيم فيه. (وكان جلبُ تابوت العهد المقدَّسّ بالإجماع لدى أسباط بني إسرائيل إلى القدس سياسةً ناجحة لتوحيد الأسباط وجعلهم أمة واحدة). وبعد جلب تابوت العهد إلى مدينة داوود داخل قلعة صهيون، وُضِع في خيمة قريبة من القصر الذي بُنِيَ من قبل. ولم يطمئن النبي داوود لوضع تابوت العهد في خيمة وهو يعيش في قصر، لذلك أراد بناء معبد له. لكن الرب أخبره بواسطة النبي ناثان أن بناء المعبد لن يكون من نصيبه، بل من نصيب ملك يأتي من نسله.

وأمرَ الربُّ على فم النبي جاد النبيَّ داوود أن يبني مذبحًا في بيدر أرونة اليبوسي. فاشترى النبي داوود الأرضَ وبنى مذبحًا ليهوه. وهذا الموقع هو المكان الذي يُسمَّى الحرم الشريف في المصادر الإسلامية ويقع فيه اليوم الجامع القِبلي وقبة الصخرة. جلب النبي داوود من أجل بناء المعبد الحجارةَ المنحوتة، والحديد والمسامير، والبرونز، وجذوع أشجار الأرز، وحجارة بألوان شتى، والذهب والفضة، وأراد أن يكون المعبد مشهورًا وآيةً في الجمال والفخامة أمام عيون الأمم جميعها. ولكن الرب حذَّره، وأخبره أنه لن يستطيع بناء المعبد لكثرة ما خاضه من حروب وسفكه الدماء، وأن بناءه سيكون من نصيب ابنه النبي سليمان الذي كان باسمه رمزًا للسلام.

كان عهد النبي داوود في التاريخ اليهودي عهد انتصارات ونجاحات، فقد صارت القدس عاصمة لبني إسرائيل، وعمرُوها وسكنوها، واتحد بنو إسرائيل فصاروا دولة واحدة.

[٢٢] سفر أخبار الأيام الأول ١١: ٤-٩.
[٢٣] سفر صموئيل الثاني ٥: ١١.
[٢٤] سفر صموئيل الثاني ٦-٧؛ سفر أخبار الأيام الأول ١٣-١٧.
[٢٥] وردت كلمة «أُرنان» في سفر أخبار الأيام الأول ٢١: ١٨.
[٢٦] سفر صموئيل الثاني ١٥، ١٨-٢٠، ٢٤.

غير أن الضرائب الجديدة التي فُرِضَت من أجل الحروب وإعمار المدينة كانت سببًا لحدوث اضطراب في المجتمع. ولا بد أن نبيِّن هنا أن النصوص المقدسة اليهودية لم تذكر شيئًا عن أي مكانة دينية للقدس لدى بني إسرائيل حتى عهد النبي داوود. وكانت الدوافع لاختيار النبي داوود هذه المدينة مركزًا دوافع استراتيجية وسياسية أكثر من كونها دينية. ولكنه حينما أحضر تابوت العهد إلى القدس، فإنه بذلك جعل المدينة مركزًا دينيًّا وسياسيًّا. وبات بنو إسرائيل الذين كانوا يذهبون إلى شيلو للحج، يأتون إلى القدس من أجل أداء هذه العبادة، ومن هنا نفهم أن مكانة القدس لدى بني إسرائيل من الناحية الدينية بدأت في عهد النبي داوود والنبي سليمان الذي بنى المعبد/الهيكل لاحقًا، وكانت تلك المرحلةُ الخطوةَ الأولى لتقديس المدينة.

عهد النبي سليمان

تولى النبي سليمان الحكم بعد وفاة أبيه في الربع الثاني من القرن العاشر قبل الميلاد، وبذلك صار الملك الثالث لبني إسرائيل. واتسعت مدينة القدس التي كانت عاصمة جميع الأسباط ومركزهم السياسي لتضم تل الهيكل في عهد النبي سليمان. وبُنِيَت آنذاك بيوت جديدة في القدس، وقصور فاخرة، ودورٌ مزخرفة، وجُرَّت المياه إلى المدينة، وزادت مستوى الرفاهية، وعَظُمَت الدولة سياسيًّا واقتصاديًّا. وفُتِحَت الطرق التجارية من القدس إلى الممالك المجاورة لتتحول القدس إلى مركز تجاري عالَمي. ويُوصَف عهد النبي داوود في التاريخ اليهودي بأنه عهد فتوحات، وعهد النبي سليمان بعهد الصلح والعلاقات الدبلوماسية الناجحة. وتصف النصوص المقدسة اليهودية عهد سليمان بعهد ظهور الفجور من الناحية الدينية وإنْ كان عهد رخاء من الناحية الدنيوية. أما أهمية هذا العهد فمصدرها إنشاء الهيكل العظيم الذي سيظل يُذكَر في التاريخ اليهودي باسم هيكل سليمان.

وكان بناء النبي سليمان للهيكل أولى الخطوات في طريق تقديس مدينة القدس. بدأ النبي سليمان في السنة الرابعة من حكمه ببناء معبد للرب تطبيقًا لوصية أبيه في جبل موريا حيث المسجد الأقصى اليوم. ولا بد أن نوضِّح هنا أن جبل موريا الذي بُنِيَ فيه الهيكل مرتبط في العرف اليهودي بأرض موريا حيث أراد النبي إبراهيم أن يذبح ابنه. وبُنِيَ الهيكل على صخرة سُمِّيت «الحجر الأساس». ويعتقد اليهود أن هذه الصخرة مركز الأرض، وأن النبي إسحاق وقف ليُذبَح عليها. أما اسم الصخرة في المصادر الإسلامية فهو «الصخرة المعلَّقة» وعليها بُنِيَ مسجد قبة الصخرة. وتذكر النصوص المقدسة اليهودية معلومات بتفصيل دقيق عن بناء الهيكل والمُكلَّفين في خدمته. واستمر بناء الهيكل سبع سنوات، وأُطلِقَ عليه في المصادر العبرية اسم «البيت المقدَّس/بيت همقدش». ولم يعمل في بناء الهيكل بنو إسرائيل وحدهم بل عاونتهم الأقوام الأخرى. فقد عمل في بناء الهيكل ١٥٣٬٦٠٠ شخص كانوا يسكنون بين بني إسرائيل. وتذكر النصوص المقدسة اليهودية مَلِك صور حيرام في موضوع تأمين العمال والمواد اللازمة لبناء الهيكل. وهذا يبيِّن أن بناء المعبد حينئذ كان له بُعدٌ دولي، وأن العمال المَهَرة قد عملوا في بناء الهيكل. فبناءً على طلب النبي سليمان أرسل حيرام كِبار صُنَّاعه كي يديروا أعمال البناء، والعمالَ المتقنين عملَ المعادن ونحت الحجارة ونقش الخشب ونسج القماش، وأرسل أيضًا موادًا من أشجار الأرز والصندل والصنوبر كي تُستعمَل في البناء. وقد استُعمِل في بناء المعبد الحجارة المنحوتة والأخشاب التي أُحضِرَت من غابات لبنان. ويُذكَر أنه لم تُستعمَل أي أداة معدنية كالفأس أو المطرقة داخل الهيكل أثناء بنائه.[٢٨]

وكان طول الهيكل ٦٠ ذراعًا (٢٧ مترًا تقريبًا)، وعرضه ٢٠ ذراعًا (٩ أمتار تقريبًا)، وارتفاعه ٣٠ ذراعًا (١٣٫٥ متر تقريبًا). وكان في الهيكل ثلاثة أقسام، القسم الأول: الرواق ويُطلَق عليه لفظ «أولام»، وكان في مقدمة الهيكل وفيه المذبح. أما القسم الثاني فهو البهو المقدَّس، وهو قاعة العبادة.

[٢٧] سفر الملوك الأول ٦: ٧.

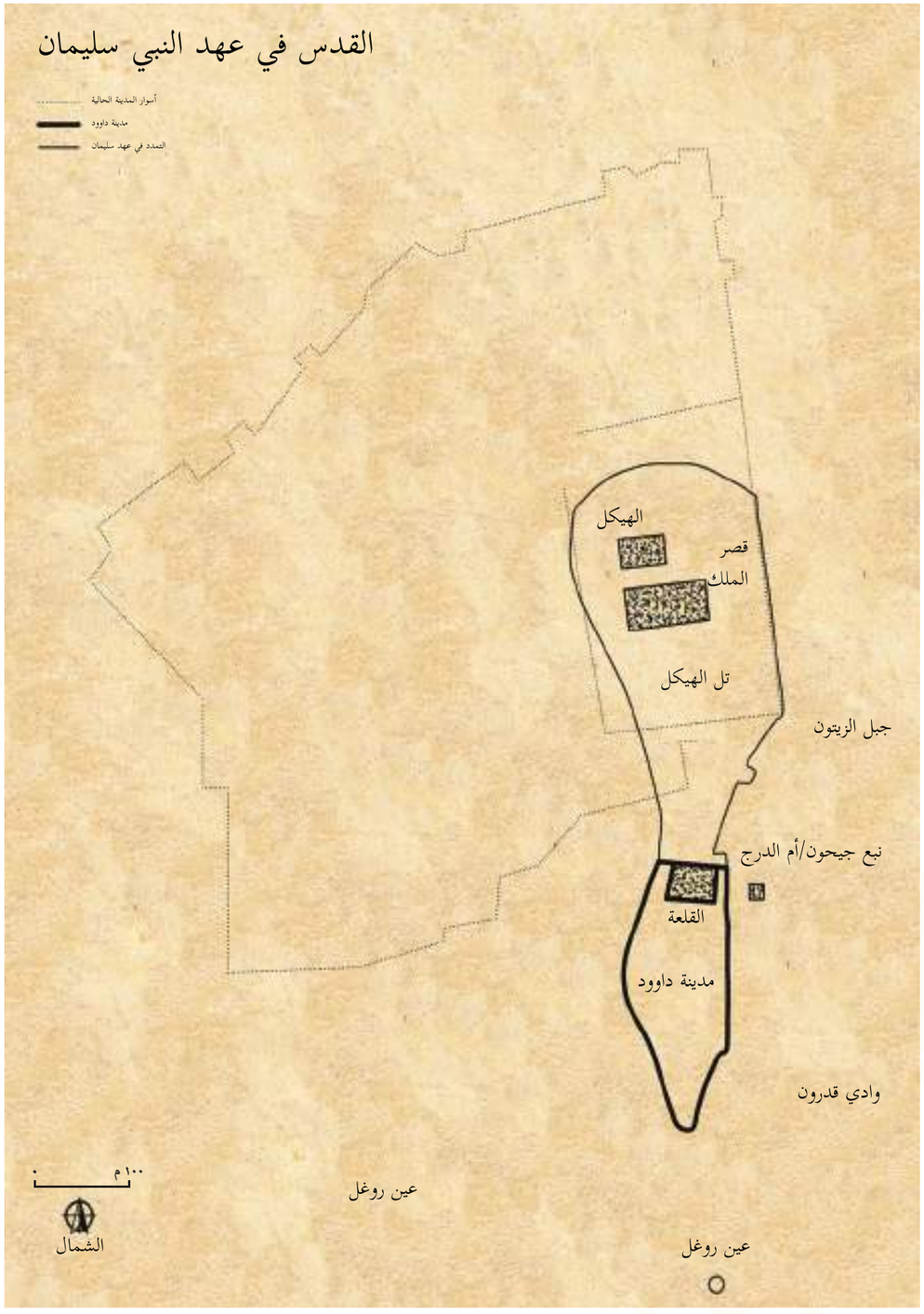

ثم يليه القسم الثالث وهو قدس الأقداس، وهو المكان الذي وُضِعَ فيه تابوت العهد، وكان يُعَدُّ هذا القسم أقدس مكان على الأرض، ولا يُسمَح بزيارته، ولا يدخله إلا كبير الكهنة في عيد الغفران/يوم كيبور، أي مرةً في السنة. وكانت جدران الهيكل من الداخل مُلبَّسة بأشجار الأرز والصنوبر بحيث لا تُرى الحجارة. وكانت الجدران والعوارض وعتبات الباب في قدس الأقداس وقاعة العبادة مغطَّاة بالذهب الخالص، أما على الجدار والستائر فقد نُقِشت صور كروبيم، وأشجار النخيل، والأزهار المتفتِّحة، وطُلِيَّت بالذهب. والكروب مفرد كروبيم وهي ملائكة لها أجنحة، وفي الهيكل كروبَان متقابلان فوق تابوت العهد. وقد صُنِعَ تمثالا الكروب من شجر الزيتون وطُلِيَا بالذهب الخالص، وكان وجهَا الكروبان نحو قاعدة العبادة، وأجنحتهما متلامسة. وكانت هناك حجرات من ثلاثة طوابق ملاصقة لجدران قدس الأقداس وقاعة العبادة من الخارج. ووُضِعَت نوافذ تضيق نحو الخارج في قاعة العبادة، وأُغلِقت بالأقفاص. وأمام الهيكل عند الرواق عمودًا «ياقين» و«بوعز»، وطولهما ٣٥ ذراعًا (١٥٫٨ متر تقريبًا).

وحينما افتُتِحَ الهيكل، جُلِبَ تابوت العهد والأشياء المقدسة الأخرى من جبل صهيون إلى الهيكل في حفل بهيج، ووُضِعَت في قسم قدس الأقداس. وفي ذلك اليوم دعا النبي سليمان ربه ألا يكون الهيكل حصرًا على اليهود، بل يجعله مكانًا يُقبَل فيه دعاء كل مَن يؤمن بإله واحد. تُوفي النبي سليمان في أواخر القرن العاشر قبل الميلاد بعد أن حكمَ لأربعين عامًا، ودُفِنَ في مدينة داوود في جبل صهيون بالقدس.[٢٩]

عهد الهيكل الأول: مملكة يهوذا

بدأ التوتر بين الأسباط في عهد النبي سليمان وزادت حدته بعد وفاته، وانقسمت المملكة إلى قسمَين في أواخر القرن العاشر قبل الميلاد، فقد أسس الأسباط العشرة الذين كانوا في الشمال مملكة إسرائيل، أما سبطَا يهوذا وبنيامين الذين كانوا في الجنوب فقد أسسوا مملكة يهوذا بقيادة رحبعام بن سليمان. وكانت عاصمة مملكة إسرائيل شكيم وتيرزا والسامرة، أما عاصمة مملكة يهوذا فكانت القدس. وجرت حروب كثيرة بين المملكتَين، وبنى الأسباط العشرة معابد في مدنهم بدلًا من الهيكل في القدس. هاجم الملك الآشوري نبوخذ نصر عام ٧٢١ قبل الميلاد مملكةَ إسرائيل، واحتلها وسبى أهلها. وبعد هذا التهجير تفرَّق بنو إسرائيل في أرجاء الأرض وفُقِد أثرهم، وهذا ما يُعرَف في التاريخ اليهودي باسم «الأسباط العشرة المفقودة».

حكمَ رحبعام مملكة يهوذا سبعة عشر عامًا. وتذكر النصوص المقدسة اليهودية أن سكان يهوذا ضلوا عن طريق الحق من زمن رحبعام. وقد ظهر من بينهم ملوك صالحون سعوا لكف الناس عن عبادة الأوثان وإرجاعهم إلى الطريق الصحيح. ولم يسعَ هؤلاء الملوك لجعل هيكل سليمان مركز حياة العبادة لدى سكان يهوذا، واستمر عامة الناس يتعبدون في المرتفعات/الباما. وهذا يبيِّن أن القدس لم تكن ذا مكانة دينية بين الناس.

«وعمِلَ يهوذا الشر في عيني الرب، وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التي أخطؤوا بها. وبنوا هم أيضًا لأنفسهم مرتفعات وأنصابًا وسواري على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء». [٣٠] ... [٣١]

«وارتكب سكان يهوذا السيئات أمام عينَي يهوه، وأغضبوه أكثر مما أغضبه آباؤهم بذنوبهم. وبنوا أماكن عبادة وأقاموا أنصابًا وأصنام آشور على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء. وكان في المملكة رجال يأتون الفحشاء. وارتكبوا كل أرجاس الأمم الذين طردهم يهوه من أمام بني إسرائيل».

تعرضت مملكة يهوذا لغزو الممالك الكبرى في المنطقة كالفراعنة والآشوريين والبابليين، وغزت مملكة إسرائيل في الشمال القدسَ. لذلك لم تكن القدس في تلك المرحلة عاصمة دولة قوية، بل صارت عاصمة تتعرض تارةً لنهب الممالك الكبرى في المنطقة، وتُجبَر تارةً أخرى على دفع الجزية لها. وكان للفراعنة تأثير كبير في المنطقة آنذاك. قويَت القدس في عهدَي عُزيا (٧٨٦-٧٥٨ قبل الميلاد) ويوثام (٧٥٨-٧٤٢ قبل الميلاد) واستطاعت هزيمة القبائل حولها. وأُصلِحَت أسوار القدس ودُعِّمَت جدرانها في عهد هذَين الملِكَين.[٣٢] حاصرَت جيوش مَلِك إسرائيل ومَلِك الآراميين القدسَ في عهد الملك آخاز (٧٤٢-٧٢٦ قبل الميلاد) ولكن هذا الحصار لم ينجح. دخل آخاز في حماية ملك الآشوريين كي يحمي مملكته من هذه الجيوش، حتى إنه قبِلَ ممارسة طقوس الآشوريين وتولى عن يهوه من أجل إظهار الطاعة لهم.[٣٣] وأعطى ابنه الملك حزقيا (٧٢٦-٦٩٧ قبل الميلاد) الجزيةَ للآشوريين في البداية، واستطاع أن يخطو خطوات ناجحة من الناحية الدينية والسياسية مع مرور الوقت.

كان عهد حزقيا عهد نهضة للقدس من جميع النواحي، فقد فُتِحَ الهيكل من جديد، وعُبِدَ يهوه مرة أخرى، وحُورِبَت الأوثان والمعتقدات الباطلة، وعادت القدس إلى هويتها الأصلية. وأصلح حزقيا أسوار المدينة، وبنى أبراجًا فوق السور، وأقام سورًا آخر خارج المدينة. وكان هذا السور الذي ورد في النصوص المقدسة اليهودية باسم «السور العريض»[٣٤] وسيلةً لسد الثغرة أمام غزاة المدينة، وبذلك قوَّى حزقيا دفاعات القدس. وقد اكتشف نحمان أفيغاد بقايا هذا السور في سبعينيات القرن العشرين أثناء عمليات التنقيب الأثرية. لم يعطِ حزقيا الجزية للآشوريين، وجعل من يهوذا مملكة مستقلة، فغزا ملك الآشوريين سنحاريب القدسَ، غير أن جيش الآشوريين هلكَ بوباء أصابه بمعجزة إلهية، فنجَت القدس من هذا الغزو، وزادت هذه الحادثة من تمسك سكان المدينة بدينهم.

[٢٨] سفر الملوك الأول ١٤: ٢٢-٢٤.
[٢٩] سفر أخبار الأيام الثاني ٢٦: ٤٩ ٢٧: ٣.
[٣٠] سفر الملوك الثاني ١٦: ٥.
[٣١] سفر نحميا ٣: ٨.

كان هذا التفوق السياسي وسيلةً لتنمية المدينة اجتماعيًّا واقتصاديًّا. وزاد عدد سكان القدس زيادة كبيرة، ولعل هذه الزيادة كانت نتيجة اضطرار الناس في مملكة إسرائيل للهجرة بسبب الاضطرابات فيها. وكبُرَ التجمع السكاني حتى بلغ المناطق القريبة، واتسعت حدود المدينة حتى وصلت إلى الأودية المجاورة. وكان عدد سكانها ٨,٠٠٠ في عهد النبي سليمان، وبلغ ٢٤,٠٠٠ في عهد حزقيا، وكبرت أراضي القدس حتى صارت أربعة أضعاف ما كانت عليه. وبدأ إعمار المدينة على نطاق واسع، وجُرَّت المياه إليها عبر نفق من نبع أم الدرج/جيحون الواقع في قرية سلوان القريبة. وجُرَّت المياه من بركة ماميلا (ثم صار اسمها بركة حزقيا) إلى بركة حمام باتريك في حي النصارى.

عاد الناس إلى عبادة الأصنام حين تولى منسى (٦٩٧-٦٤٢ قبل الميلاد) الحكمَ بعد أبيه حزقيا. وبعد أن عاقب الربُّ منسى، عاد إلى طريق الحق، فأكرمه الرب بأن جعله مِلِكًا مرة أخرى، فبنى جدارًا خارج المدينة، وقام بإصلاحات مختلفة.[٣٥] إلا أن تطهر القدس من عبادة الأصنام وعودة الناس إلى عبادة يهوه بحتٍّ الدولة كان في عهد الملك يوشيا (٦٤٠-٦٠٩ قبل الميلاد). إذ رُمِّمَ الهيكل وهُدِمَت الأنصاب وعاد الناس إلى طريق الحق. وتذكر النصوص المقدسة اليهودية أن التوراة كانت في الهيكل في عهد يوشيا، وأن الناس كانوا يشاركون في الشعائر الدينية مشاركة كبيرة في عيد الفصح. وهذا كان يعني إحياء الحياة الدينية بين الناس، وزيادة أهمية القدس دينيًّا واحتلالها مكانة مرموقة، وصار للقدس موقع مركزي لم يحظَ به من قبل. ولكن عندما تولى ابنه يهوآحاز (٦٠٩-٦٠٨ قبل الميلاد) الحُكمَ، عاد الناس إلى عبادة الأصنام، فنزل عليهم عقاب الرب، فخضعوا لحُكم الفراعنة أولًا، ثم حُكْم بابل التي استولت على المنطقة وهزمت الفراعنة. وتعرضت القدس آنذاك لغزو الكلدانيين والآراميين والموآبيين والعمونيين. غزا ملك بابل نبوخذ نصر القدسَ في عهد الملك يهوياقيم (٦٠٨-٥٩٧ قبل الميلاد) وجعل ملكها تحت أمره، وحمل كثيرًا من كنوز الهيكل معه إلى بابل. ولمَّا ثار يهوياقيم، غزا نبوخذ نصر القدسَ مرة أخرى عام ٥٩٧ قبل الميلاد، وأخذ معه ما بقي من كنوز الهيكل، وأخذ معه يهوياقيم وعيَّن مكانه يهوياكين. حكَم يهوياكين لمدة مئة يوم، ثم حمله نبوخذ نصر إلى بابل، وعيَّن صدقيا مكانه، وفرضَ على مملكة يهوذا الجزية. وفي عهد الملك صدقيا (٥٩٧-٥٨٦ قبل الميلاد) سقطت مملكة يهوذا، ودُمِّر الهيكلُ في القدس. إذ ثارَ صدقيا على بابل في السنة العاشرة من حكمه، فغزا نبوخذ نصر القدسَ سنة ٥٨٦ قبل الميلاد وحاصرها، ثم دمَّر جيشُه بيوتَ المدينة وقصورها وهيكلها وأسوارها. وحُمِلَت كنوز القصر والهيكل إلى بابل، وقُتِل عدد كثير من سكان المدينة، وأُسِرَ الذين بقوا أحياء وحُمِلُوا إلى بابل. ومع سقوط القدس زالت آخر ممالك بني إسرائيل، وبدأت حياة النفي.

وتُعرَف الفترة من عهد النبي سليمان إلى سقوط مملكة يهوذا باسم «عهد الهيكل الأول» في التاريخ اليهودي. ويصف المؤرخون القدس في هذه المرحلة بأنها تحولت من مدينة عادية إلى عاصمة ومركز مهم. ولا توجد أي معلومات أثرية عن القدس في الفترة الممتدة من ألواح تل العمرانة إلى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، وقد فسَّر المؤرخون هذه الحقيقة على أن القدس ومملكة يهوذا في تلك المرحلة لم تكن ذا أهمية كبيرة. ودفعَ هذا النقص في المعلومات المؤرخين إلى الجدل حول ما يُروَى عن القدس في عهد النبي داوود وسليمان، وكانت هناك شكوك حول كون القدس مركزًا سياسيًّا، فالتجمع السكاني في تلك المرحلة يظهر على أنه تجمع قليل.

تشير الاكتشافات إلى أن مدينة القدس حظيت بأهمية منذ أواخر القرن الثامن قبل الميلاد. ويصوِّر علماء الآثار والتاريخ المدينةَ في هذه الحقبة على أنها كانت مدينة جميلة لها قصور ومخازن وأسوار وأبراج. وقد استنتج علماء الآثار أهمية المدينة في هذه المرحلة بالنظر إلى التجمعات السكنية التي برزت آنذاك، وبقايا السور، والأبراج، وقنوات المياه، وبقايا أدوات زراعية، والمقابر التي زاد عددها فجأة، والأضرحة الكبيرة. فتدعم هذه الاكتشافات الأثرية ما ورد في النصوص المقدسة عن تحول القدس إلى مدينة مركزية بدءًا من أواخر القرن الثامن قبل الميلاد. وتشير الاكتشافات الأثرية إلى أن القدس في تلك الفترة صارت مدينة متوسطة الحجم ولها مكانة مهمة. وتدعم هذه الاكتشافات ما ذُكِرَ في النصوص المقدسة اليهودية عن البناء والعمران في عهد حزقيا. أما الزيادة الكبيرة في عدد سكان القدس ومملكة يهوذا بدءًا من القرن الثامن قبل الميلاد فيُعزَى إلى سقوط مملكة إسرائيل عام ٧٢٠ تقريبًا قبل الميلاد، وهجرة الأسباط هناك إلى يهوذا. [٣٦]

عهد الهيكل الثاني: عهد الفُرس

في عام ٥٣٨ قبل الميلاد استطاع كورش من ملوك الفرس الأخمينية أن يهزم بابل ويسيطر على القدس، وخرجت القدس من حكم العِرق السامي وبقيت في حكم العِرق «الهندوأوروبي» لألف عام حتى فتحها المسلمون. أَذِن كورش بعد أن استولى على القدس لليهود أن يعودوا إلى وطنهم الأم. ويُذكَر أن الفرس قد أعادوا بني إسرائيل إلى فلسطين من أجل صد هجمات مصر التي كانت دولة قوية في المنطقة آنذاك. وعلى هذا الأساس اعتقد الفرس أن إنشاء منطقة عازلة كي لا يتعرضوا لهجوم مباغِت من مصر سيكون ذا فائدة لهم، ولذلك تولوا عمران القدس والهيكل وأرسلوا بني إسرائيل إليها، فعاد عشرات الآلاف منهم إلى القدس بهذا الإذن، وبقي آخرون في بابل. [٣٧]

وكان أول عمل لبني إسرائيل بعد عودتهم بناء الهيكل في القدس من جديد، لكن ذلك لم يكن سهلًا، وتعثرت عملية البناء لعوائق شتى. ويُذكَر أن مَن أعاق بناء الهيكل السامريُّون، فهم عندما أرادوا المشاركة في بناء الهيكل، لم يأذن بنو إسرائيل لهم بحجة أن عِرقهم ليس بعِرق صاف من بني إسرائيل. وطلبَ حكَّام المناطق المجاورة من الملك أن يوقِف بناء اليهود للقدس من جديد، وحذروه من أن بني إسرائيل سيثورون عليه ويرفضون دفع الجزية، فتوقف بناء الهيكل بعد هذا التحذير. وعندما استلم الملِك الفارسي داريوس الحكم، حذَّروه أيضًا، ولكن داريوس وجد في الأرشيف الفرمانَ الذي يبيِّن إذن كورش ببناء الهيكل ودعمه، فأزال كل العقبات أمام هذا الأمر. وأُعيدَ بناء الهيكل على يد المهرة القادمين من مدينتَي صيدا وصور ومواد البناء التي جُلِبَت من هاتَين المدينتَين، وكان البناء على الأساس الذي وضعه النبي سليمان، وافتُتِح الهيكل عام ٥١٥ قبل الميلاد.

ولمَّا عاد عزرا إلى القدس عام ٤٥٧ قبل الميلاد، عاشت القدس أهم مرحلة في تاريخها وأعظمها، وزادت هذه العظمة مع تعيين ملِك الفُرس نحميا واليًا على القدس، إذ بدأ العمران في المدينة على نطاق واسع، وبُنيَت أسوار المدينة في ٥٢ يومًا (عزرا ١-٨؛ نحميا: ١-١١). وكان بناء السور نقطة تحول مهمة في نمو المدينة، وزاد عدد سكانها يومًا بعد يوم. ولكن ينبغي ألا يُفهَم من هذا أن المدينة صارت مزدهرة، لأن الفقر والرذالة كانت سائدة في القدس تحت حكم الفرس. وكان الناس يعيشون في أكواخ بسيطة ولا يجدون حتى ما يكفيهم من الآنية الفخارية. ويُقِرُّ جميع اليهود بأن القدس في هذه المرحلة كانت مركزًا دينيًّا ومدينة مهمة. [٣٨]

[32] George E. Mendenhall, "Jerusalem from 1000-63 BC", Jerusalem in History, Ed. K.J. Asali, (Essex: Scorpion, 1989), 56-59;
زايد، القدس الخالدة، ٨١- ٨٨.
[33] Marvin A. Sweeney, The Prophetic Literature: Interpreting Biblical Texts Series, (Nashwille: Abingdon Press, 2005), 106-108.
[34] Francis E. Peters, Jerusalem, (Princeton: Princeton University Press, 1995), 34-41;
محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ٨٢- ٨٤.

الإسكندر المقدوني في القدس

في عام ٣٣٢ قبل الميلاد استولى الإسكندر المقدوني على المنطقة، فدخلت القدس في حكمه. وتشير الروايات إلى أن الإسكندر أراد هدم المدينة بدايةً، غير أن الشيوخ ورجال الدين لبسوا عباءات بيضاء وخرجوا يستقبلون الإسكندر، وتوسلوا إليه ألا يهدم المدينة. فلم يهدم الإسكندر الهيكل، ولكنه أراد أن يبني تمثالًا له هناك. فرفض اليهود طلبه، ووعدوه أن يسموا أول مولود ذكر منهم باسمه ويرفعوا شأنه، فتخلى الإسكندر عن فكرة بناء التمثال. وباحتلال المدينة شاع اسم «هيروسليما» بالإغريقية بتحولها من «يروشاليم» العبرية. [٣٩]

البطالمة في القدس

بعد وفاة الإسكندر عام ٣٢٣ قبل الميلاد، حكمَت الأسرة البطلمية مصر، وتبعت لها هيروسليما أي القدس. وكانت الحياة الدينية والاجتماعية في عهد البطالمة في يد اليهود، فقد احترم البطالمة معتقدات اليهود، حتى إنهم ترجموا نصوصهم المقدسة إلى اليونانية. ويعود الفضل لترجمة هذه النصوص إلى اليونانية إلى الإمبراطور بطليموس الثاني (٢٨٥-٢٤٦ قبل الميلاد) من الأسرة البطلمية، فقد كان محبًّا للكتاب كثير القراءة، لذلك أثرى مكتبة الإسكندرية بالكتب الكثيرة التي جاء بها من الشرق والغرب. وكان مدير المكتبة فاليروملو ديميتريوس شغوفًا بالكتب، فحث على ضم كتاب اليهود المقدس إلى المكتبة. وأراد أن تُترجم النصوص المقدسة اليهودية لتُوضَع في مكتبة القصر، فاختار رئيسُ الكهنة أليعازر اثنَين وسبعين حِبرًا من أسباط بني إسرائيل الاثني عشر وأرسلهم، فترجمَ هؤلاء التوراة إلى اليونانية في اثنين وسبعين يومًا في جزيرة فاروس قرب الإسكندرية. وقد اشتُهِرَت هذه الترجمة باسم «النسخة السبعينية» نسبةً إلى عدد المترجمين ومدة إكمال الترجمة. [٤٠]

القدس في عهد السلوقيين

دخلت القدس في حكم سلالة السلوقيين اليونان عام ١٩٩ قبل الميلاد. وطُبِّقت سياسة الهيلينية في يهوذا عمومًا ولا سيما في القدس في عهد السلوقيين. ووجدت القدس نفسها في صراع بين الحضارات، وانحطاط ثقافي وفساد عام. وتحولت القدس إلى مدينة إغريقية ببناء صالات الألعاب الرياضية، وميادين المسابقات، وتنظيم الأولمبياد، وإنشاء المعابد اليونانية. وانتشرت دور اللهو والمتعة التي تحث على الثقافة الهيلينية، وتبنى كثير من الناس في القدس هذه الثقافة. وكان الرياضيُّون المتسابقون في الأولمبياد لا يكترثون بالتستر الذي تحض اليهودية عليه، فيخرجون إلى السباق عراة مثل اليونانيين. وكان الختان الذي يعد واجبًا في اليهودية عيبًا ونقصًا لدى اليونانيين، فكان كثير من شبان اليهود يلجؤون إلى الجرَّاحين لإخفاء هذا العيب. وازداد عدد الذين صاروا يتجنبون ختان أولادهم كي لا يبدو مختلفين عن اليونانيين في المسابقات. وصلت السياسة الهيلينية ذروتها في عهد السلوقيين، وأقضت مضجع المجتمع اليهودي، فكانت القدس دائمًا مركزًا لتمرد في نطاق محدود. وبنى أنطيوخوس الرابع عام ١٦٨ قبل الميلاد قلعةً إلى جانب الجدار الجنوبي للهيكل من أجل مراقبته. وقد وردت أخبار عن هذه القلعة في سفر المكابيين الأول ويوسيفوس. [٤١] وكانت الحامية العسكرية للسلوقيين في المنطقة في هذه القلعة. وفي عام ١٤١ قبل الميلاد استلم سيمون المكابي هذه القلعة وهدمها، واكتشف آثارَها فريق بحث بقيادة عالِم الآثار الإسرائيلي «دارون بين» عام ٢٠١٥م. ولم يكن العهد السلوقي مرحلة عاش اليهود فيها انحلالًا دينيًّا فحسب، بل كان هناك انحلال سياسي أيضًا. وزادت في تلك المرحلة حدة الصراع الداخلي في القدس من أجل المناصب، والتنافس لإدراة الهيكل بتقديم الرشاوي للإمبراطور، ونُهِبَت كنوز الهيكل مرات كثيرة. [٤٢]

[35] William Hale, History of the Jews: From The Time of Alexander The Great to The Destruction, (London: William Cloves 1850), 3-9;
العارف، تاريخ القدس، ٢٥-٢٦؛ محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ٨٤-٨٥؛ محمود، تاريخ القدس، ٤٣-٤٤.
[36] Montefiore, Kudüs, 56-57; Baki Adam, Yahudi Kaynaklarına Göre Tevrat, (İstanbul: Pınar Yayınları, 2001), 19-20.
[37] سفر المكابيين الأول ١: ٣٥-٣٨؛
Josephus Flavius, Josephus Complete Works / William Whiston, (Michigan: Kregel Publications, 1970), Jewish Wars, 5. 4:1, Jewish Antiquities, 12:252.
[38] Armstrong, Jerusalem, 103-118; Arif, Tarihu'l-Kuds, 26-28; Peters, Jerusalem, 45-61; Montefiore, Kudüs, 59-65.

القدس في عهد الحشمونيين

غزا الإمبراطور السلوقي أنطيوخوس الرابع أبيفانوس القدسَ عام ١٦٨ قبل الميلاد لتمرد اليهود على الحكم اليوناني مرات كثيرة. ويُروَى أنه هدم المدينة ونهب كنوز الهيكل وأخذ معه النساء والأطفال مع الحيوانات، وفرض على أهل القدس جزية كبيرة. وإضافة إلى ذلك كله أمرَ أهل القدس والمدن الأخرى أن يعبدوا أصنام اليونان. ولمَّا لم يجد استجابة لأوامره، طبَّق سياسة قاسية، فمنع احتفالات السبت وأداء الشعائر الدينية الأساسية مثل الختان والذبائح، وحوَّل الهيكل إلى معبد لإله اليونان جوبيتر. ويُروَى أن رئيس الكهنة جيسون الذي عُيِّن لإدارة الهيكل بالرشوة قد أيَّد سياسة الإمبراطور هذه. [٤٣]

في عام ١٦٧ قبل الميلاد أجبر الجنود السلوقيون اليهودَ في بلدة مودين قرب القدس على عبادة آلهة اليونان، وأُجبِر رجل الدين متتيا (ماتيتياهو) بن يوحنا من أسرة الحشمونيين على تعظيم التماثيل لإقناع الناس، فرفضَ ذلك، وقتلَ يهوديًّا أراد أن يذبح ذبيحة للأوثان في المعبد والجنديَ الذي جاءه بالأمر، وكانت تلك الحادثة شرارة التمرد. وظل المتمردون يحاربون على شكل عصابات لسنوات حتى استطاعوا أن يطردوا السلوقيين، ويطهِّروا الهيكل من تماثيل آلهة اليونان. ويُعرَف هذا التمرد في التاريخ اليهودي باسم «التمرد المكابي». وبعد هذا النصر عام ١٦٤ قبل الميلاد، حكمَت سلالة الحشمونيين يهوذا لنحو من قرن (حتى ٣٧ قبل الميلاد)، وكان حكمهم مستقلًا تارةً، وذاتيًّا تارة أخرى. وقد جعلَ هذا النصرُ الذي يُنسَب إليه عيد الأنوار/حانوكا في اليهودية، الهيكلَ مركزًا مهمًا، وصارت للقدس مكانة مميزة. ولم تنبع أهمية القدس في تلك المرحلة من كونها مركزًا دينيًا فحسب، بل لأنها كانت أيضًا عاصمة مملكة يهوذا القوية التي سيطرت على المناطق المجاورة وأجبرت الناس على اعتناق اليهودية.

تمددت مدينة القدس نحو الغرب وبدأت فيها حركة عمران على نطاق واسع في عهد الحشمونيين. وكان السبب في تمدد المدينة نحو الغرب إنشاء حيٍّ لا يسكنه إلا طبقة النخبة والأرستقراطيين. بُنيَ هذا الحي في عهد سيمون وهيركانوس الأول في السفح الغربي لتل صهيون وأُحيطَ بسور، وسُمِّي باسم «المدينة العليا» لأنها كانت تطل من الأعلى على تل الهيكل. وأُنشِئَت البيوت في المدينة العليا على الطراز الهيليني، وصار الحي نموذجًا لمدينة هيلينية. وكان من الواضح أن الحشمونيين قد تبنوا الهيلينية بعد تقريبها من ثقافتهم. ويمكن القول إن حي هيلين كان ذا أهمية كبيرة في حياة مدينة القدس آنذاك، وإنْ لم تكن هناك تفاصيل عن هذه المدينة العليا.

ومنذ أواخر القرن الثاني قبل الميلاد أي في عهد الحشمونيين، ظهرت فروق لاهوتية بين اليهود، فانقسموا إلى طائفتَين: الصدوقيون والفريسيون. وكانت الطائفتان تتحكمان بالهيكل في القدس، وهذا الاختلاف الظاهر على أساس الدين إنما هو نتيجة الاختلافات في وجهة النظر السياسية، فالصدوقيون كان مبدؤهم قيام الدولة وهدفهم ضمان الوجود السياسي لليهود، أما الفريسيون فكانت أولويتهم إعلاء شأن الهوية الدينية والثقافية لليهود. رفض الفريسيون التنازل لليونان ودخول المجال السياسي، ودعموا فكرة الوصول إلى النجاح بالمحافظة على الهوية الدينية. مثَّل الصدوقيون الطبقة اليهودية الحاكمة والارستقراطية، وسعوا للحفاظ على الوضع الراهن ومجاراة روما، أما الفريسيون فمثلوا عامة الناس وعارضوا روما. وكان الفريسيون على عكس الصدوقيين يؤمنون بالقدر والتوكل والملائكة وحياة الآخرة. وهذا الفرق في مسائل العقيدة ما هو إلا انعكاس لرأي الفريسيين بالسياسة. وقد سعى ممثلو الطائفتَين للتأثير في الناس في هيكل سليمان. وكانت جماعة الحاخامات الذين يحكمون الشعب اليهودي من الهيكل قد أسسوا محكمة عليا باسم «سنهدرين»، واستطاعوا عبرها أن يكفلوا سيطرتهم على الناس. وكان عدد الفريسيين أكبر في السنهدرين لأنهم كانوا مقبولين أكثر بين الناس، لذلك كان الناس يميلون إليهم أكثر. [٤٤]

[٣٩] سفر المكابيين الأول ١-٢.

[٤٠] محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ٨٥-٤٨٦؛ زايد، القدس الخالدة، ١١٢-٤١١٦

Peters, Jerusalem, 51-61.

احتلال بومبي للقدس

ضعفت سلالة الحشمونيين في عام ٧٠ تقريبًا قبل الميلاد نتيجة الصراعات السياسية بين حكَّام اليهود. ومنحَ هذا الضعفُ روما فرصةً لاحتلال القدس، فغزاها القائد العسكري والسياسي بومبي عام ٦٣ قبل الميلاد، واحتلها بعد حصار دامَ لثلاثة أشهر، فاستهدفَ الهيكل وقتل كثيرًا من سكان المدينة. وصارت المدينة تُسمَّى «هيروسوليما» بدلًا من «هيروسليما». وأعطى الفراغ السياسي في حكم روما فرصةً لسلالة الحشمونيين ليستمروا في حكم المدينة ذاتيًّا.

مرَّت القدس بثلاث مراحل تاريخية مهمة من سيطرة بومبي عليها حتى فتحها المسلمون، بدأت أولها باحتلال بومبي وانتهت بهدم تيتوس الهيكل الثاني عام ٧٠ ميلادية. أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي قامت فيها مدينة هيلينية جديدة وكانت مدينة وثنية في أرض القدس سُمِّيَت «إيليا كابيتولينا»، وانتهت هذه المرحلة باعتناق البيزنطيين للمسيحية. وأما المرحلة الثالثة التي كان الدين المسيحي حاكمًا فيها، فقد انتهت عام ٦٣٨م بفتح المسلمين.

قبِل اليهود بدايةً حاكمَ القدس الذي عيَّنه بومبي، لكنهم ثاروا عليه لاحقًا. فعاد بومبي ليغزو القدس، فهدم أسوارها وكثيرًا من دورها، وأجبرَ اليهود على تقديم القرابين لروما وإمبراطورها كل يوم. وأراد ماركوس ليسينيوس كراسوس عام ٥٤ قبل الميلاد أن يموِّل حربه مع الإمبراطورية البارثية/الفرثية، فنهب كنوز الهيكل، وهذا ما أحيا لدى الناس شعور القومية. وعاش اليهود في راحة جزئية في عهد يوليوس قيصر (٤٩ قبل الميلاد). واستمرت هذه الراحة في عهد أنتيباتر الأول الأدومي (٤٦ قبل الميلاد)، لكن بعد وفاته بدأ صراع شديد بين الأدوميين واليهود. واستطاع الفرس عام ٤٠ قبل الميلاد أن يحتلوا القدس التي ضعفت لكثرة الصراعات، وحكموها لسنتَين، وفي عام ٣٨ قبل الميلاد أعاد الرومان المدينة إلى حكمهم. [٤٥]

العارف، تاريخ القدس، ٢٩-٣٠.

القدس في عهد هيرودس الكبير

في عام ٣٧ قبل الميلاد عيَّنت روما هيرودس الكبير حاكمًا على القدس كي يضع نهاية للصراعات الداخلية فيها، فاستطاع هيرودس أن ينهي حكم الحشمونيين تمامًا. وكان عهد هيرودس الأول عهد ازدهار، وعُرِف بالعهد الذهبي في تاريخ المدينة، فقد وصلت القدس إلى أوج ازدهارها. ويُقدَّر أن عدد سكان المدينة في عهده كان بين ٢٠ ألف و٥٠ ألف. ويُروَى أنه سكَّ النقود باسمه وإنْ كان يحكم المنطقة باسم روما. سعى هيرودس الذي كان من أصل أدومي ثم اعتنق اليهودية إلى الإصلاح بين الرومان واليهود، لكنه أخفق في سعيه هذا، ولم يكن الناس يقدِّرونه لمعاملته السلطوية. وحاول هيرودس أن يحافظ على الاستقرار، فأقام مجلسًا لمحاكمة قادة التمرد والمكابيين والفريسيين، وأعدمَ خمسة وأربعين عضوًا من أصل واحد وسبعين في «السنهدرين»، ولم يستطع أن يُهادِن عامة الناس. وقد أعان هيدروس سكانَ القدس وإنْ عُرِف بقسوته معهم، إذ يُروَى أنه وزَّع الأموال والقمح للناس من خزينته حين عمَّت المجاعة في المدينة، ولذلك لُقِّب بـ«الكبير».

وقد بدأت حركة عمران كبيرة في القدس في عهد هيرودس، وما زالت آثارها قائمة إلى يومنا. وقدَّمت الاكتشافات الأثرية والمصادر التاريخية معلومات مفصَّلة عن المباني الفاخرة التي بناها في القدس. واستطاع أن يجعل القدس من المدن الأكثر ازدهارًا في العالَم القديم، فقد حوَّلها من قلعة بعيدة عن الأعين، إلى مدينة رومانية يتجلى فيها الدهاء العمراني. واستمرت موجة العمران التي بدأها هيرودس حتى بعد وفاته. ويُذكَر أن هيرودس أراد بهذه المباني التي تُذكِّر بالأسلوب اليوناني عبر طرازها وأحجامها وزخرفتها أن يحوِّل القدس إلى مدينة هيلينية فيرضى حُكَّام روما عنه. وبُنيَت المباني المزخرفة والدور الفاخرة والقصور في حي الأثرياء الذي كان يُسمَّى باسم «المدينة العليا»، وكان هيرودس ورؤساء الكهنة يسكنون في هذا الحي.

[41] Peters, Jerusalem, 61-65; Montefiore, Kudüs, 73.

وتغيَّرت المدينة بفضل هذه المباني، فما عادت كما كانت عليه، واتسعت مساحتها أكثر من ٤٠٠ دونم، وصارت تستضيف الأولمبياد والمنافسات التي تجري على شرف الإمبراطور. بنى هيرودس البرج المعروف اليوم باسم «برج داوود» وأبراجًا أخرى، وأصلح الأبراج التي بُنيَّت في عهد الحشمونيين. ومن أهم المباني التي بناها هيرودس في القدس: الهيكل وقصره. فقد أعاد بناء الهيكل وكبَّره وبنى جدارًا حوله. والحائط الذي يسمِّيه المسلمون «حائط البراق» واليهودُ «الحائط الغربي» أو «حائط المبكى» ما هو إلا بقايا الجدار الخارجي الذي بناه هيرودس.[٤٦]

تُوفِّيَ هيرودس عام ٤ قبل الميلاد. ووُلِدَ النبي عيسى في زمانه. عيَّن إمبراطور روما هيرودس أرخيلاوس خلفًا لأبيه. وبعد تلك الفترة لم تهدأ حركات التمرد في المنطقة. واختارت الإدارة الجديدة مدينة قيسارية مركزًا لها لأن القدس كانت في حال اضطراب وفوضى، ووضعت فيها مجموعة عسكرية صغيرة. وبقيت القدس لليهود مدينة أساسية وإنْ تغيرت المدينة الحاكمة. كتبَ حاكم مقاطعة يهوذا بيلاطس البنطي/بونتيوس بيلاطس (٢٦-٣٦م) رسائلَ يبيِّن فيها أن الحاخامات في الهيكل بالقدس مُحتالون كذَّابون، مستعدون للتنازل عن كل غال ورخيص من أجل مصالحهم، وأنهم أساس الفِتن والمكائد في القدس. وكانت بعثة النبي عيسى في عهد بيلاطس. وقد ثار اليهود وتمردوا كثيرًا في عهده. حكمَ هيرودس أغريبا حفيد هيرودس الكبير القدسَ بعد بيلاطس، فازدهرت المدينة في عهده (٣٧-٤٤م)، إذ بُنيَت القصور الفاخرة، والأروقة الجميلة، والقاعات الكبيرة. وبُنيَ حيٌّ جديد في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة وسُمِّي «بيزيتا». وشرع أغريبا ببناء سور جديد باسم «الجدار الثالث»، غير أنه لم يكتمل بأمر من روما. واستطاع المتطرفون اليهود (الكاناييم) أن يكملوا بناء السور الثالث بين عامَي ٦٧-٦٩م. وأحاط هذا السور بمنطقة تُسمَّى غولغوثا/الجلجثة في القدس. وقد أمرَ إمبراطورُ روما أغريبا أن يَحُدَّ من عملية البناء لا سيما الأسوار.

عاشت القدس في عهد الحكَّام الذين جاؤوا بعد أغريبا مرحلةً من التمرد والعصيان الدائم. ولم يكن صراع اليهود مع الرومان فقط، فقد حاربوا جيرانهم من الأدوميين والعرب والسامريين من حين لآخر. وكان هناك خلاف بين اليهود أنفسهم، وصراع بين الأثرياء والفقراء. وأثناء حكم غيسيوس فلورس الذي عُيِّن حاكمًا عام ٦٥م عمَّت الاضطرابات وحركات التمرد والعصيان في مدن يهوذا الأخرى أيضًا، وصارت هذه الحركات يغذي بعضها بعضًا. فقرَّر الإمبراطور نيرون أن يقضي على هذه الحركات، فأرسل ٦٠,٠٠٠ جندي إلى المنطقة بقيادة فيسباسيان، وجيشًا قويًّا آخر من المتطوعين. ولمَّا اقترب فيسباسيان من المدينة، كان هناك صراع داخلي بين المتطرفين اليهود (الكاناييم). كانت قيادة المدينة مقسَّمة بين ثلاثة قادة هم: أليعازر بن سيمون، وسيمون بار غيورا، ويوحنان بن لفي من غوشهالاف المدعوم من الأدوميين. بينما كان اليهود بقيادة أليعاز يتعبدون في الهكيل في عيد الفصح اليهودي، هجم يوحنان وأتباعه على الهيكل وقتلوا أكثرَ مَن كان هناك وسيطروا على الهيكل. أما أتباع سيمون فكانوا يرهبون الناس في أرجاء المدينة. ويُروَى أن عدد الذين قُتِلوا في القدس يزيد عن عشرة آلاف نتيجة الصراع الداخلي بين هؤلاء المتطرفين اليهود. وبعد وفاة نيرون تولَّى فسبسيان زعامة الإمبراطورية، فعاد إلى روما قبل أن يقضي على التمرد، وعيَّن ابنه تيتوس قائدًا للجيش.[٤٧]

سقوط القدس

حاصر تيتوس المدينة في عيد الفصح اليهودي في شهر نيسان/أبريل من عام ٧٠م، واختار لمقر قيادته جبل المشارف الذي يقع على بعد ١٣٠٠ متر من الأسوار ويسهل منه مراقبة المدينة. وبينما كانت الجماعات تتصارع في المدينة، عسكرَ جيش تيتوس أمام أسوارها. بدأ تيتوس الهجوم من جهة الشمال التي كانت أضعف نقطة في الدفاع عن المدينة. ودعا سكانَ القدس لفتح الأبواب والاستسلام، لكنهم رفضوا عرضَه، فراح يضرب المدينة بالمنجنيق، فخرَّبها ووجدرانها. وكان المتطرفون يخرجون من الباب السري ويحرقون المنجنيقات، ويحاربون بشجاعة ويوقِعون ضررًا كبيرًا بجيش روما.

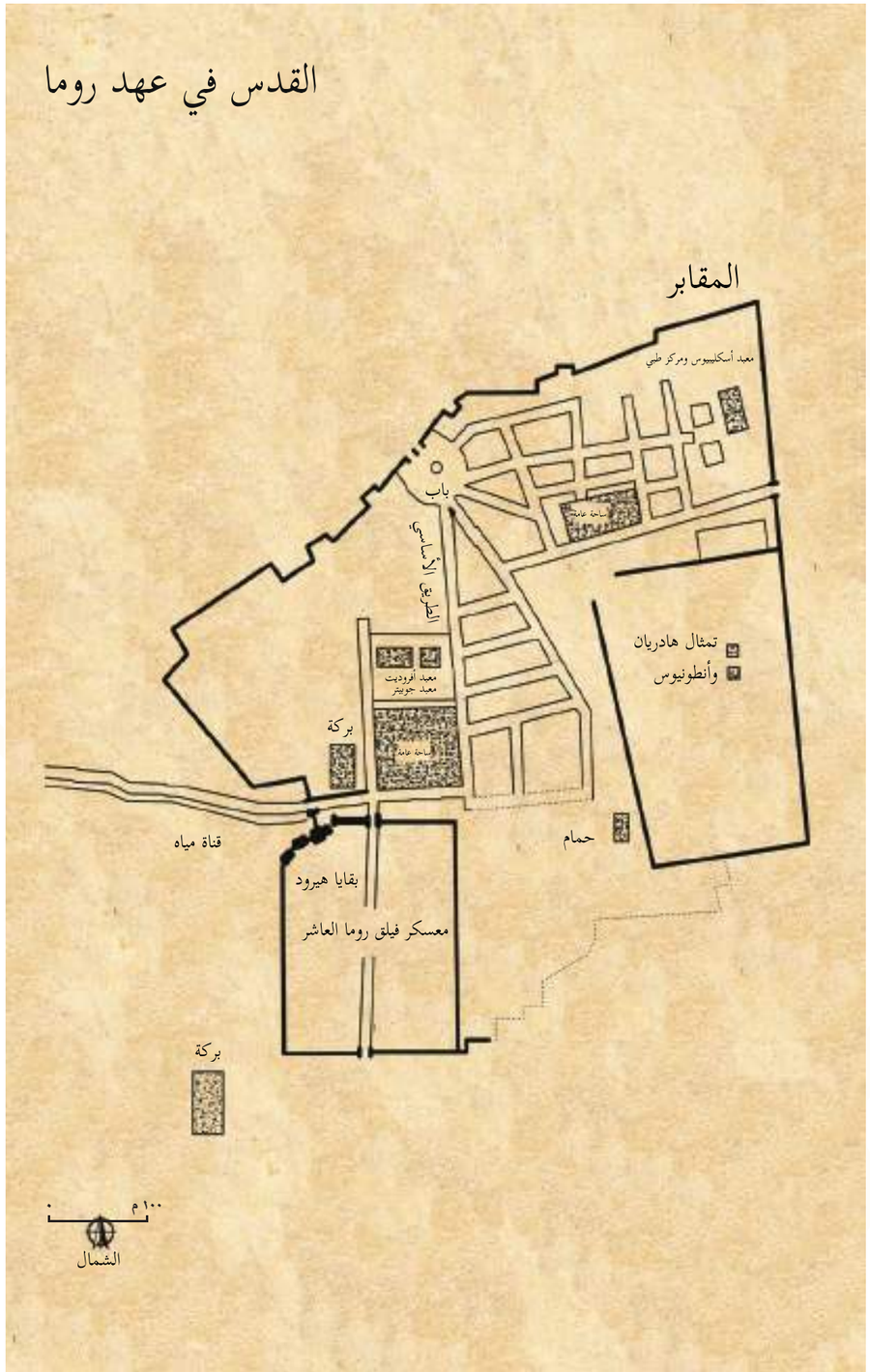

رفض اليهود الاستسلام، ولكن الجوع والمرض كانا يفتكان بالمدينة، ويزداد عدد الموتى يومًا بعد يوم. ويُذكَر أن موظفًا واحدًا مسؤولًا عن سجل الموتى قد سجَّل موت ١١٥٫٨٨٠ شخص. ويُروَى أن الجثث التي كانت تُرمَى من السور قد ملأت واديَي قدرون وهينوم، لكن اليهود قاوموا بعزيمة كبيرة. وأمام هذه المقاومة، وعد تيتوس مَن يتسلق أسوار المدينة ويدخلها بجائزة كبيرة. فاستطاع أربعة وعشرون جنديًّا أن يتسلقوا أسوار المدينة ليلًا، ويسيطروا على قلعة أنتيونيو. ورمى جندي روماني ذات ليلة شعلةَ نار إلى الهيكل من نافذة في الجهة الشمالية، فسعى اليهود لإطفاء النار ولكنهم لم يفلحوا، فاحترق الهيكل الثاني تمامًا. وسجَّل اليهود في مصادرهم ذلك اليوم الذي كان رأس الأحداث المفجعة على أنه يوم التاسع من آب/أغسطس (تشعاه بآف) الذي يعد يوم حداد في التاريخ اليهودي.

حاول اليهود أن يقاوموا حتى بعد حرق الهيكل، ولكن الجيش الروماني انتصر، وراح يفتك باليهود. وسيطر تيتوس على القدس تمامًا في ٨ أيلول/سبتمبر عام ٧٠م، فأسرَ أهلها، وباعهم عبيدًا لروما، ليعمل بعضهم في أعمال عسكرية، وليكون بعضهم مجالِدِين أمام الحيوانات المفترسة والمجالِدِين الآخرين في الميادين، وليعمل بعضهم في أعمال شاقة في المناجم. نُهِبَت القدس، وسُرِقَت كنوز الهيكل والقصر، وهرب أهلها أو أُسِرُوا، وبهذه الحادثة انتهى عهد الهيكل الثاني في تاريخ اليهود.[٤٨]

عهد روما: إيليا كابيتولينا

انتهت الحياة في مدينة القدس بهجوم جيش روما عليها بقيادة تيتوس عام ٧٠م من أجل القضاء على حركة التمرد اليهودية. وأثناء ذلك هربَ زعيم المسيحيين في القدس سيمون ورجال الدِّين الآخرون إلى بلدة بيلَّا التي كانت واحدة من المدن العشرة التي بنتها روما غرب الأردن.

[42] I Armstrong, Jerusalem, 126-140; Peters, Jerusalem, 65-87;
العارف، تاريخ القدس، ٣٠؛ العارف، المفصل في تاريخ القدس، ٤١-٤٢؛ زايد، القدس الخالدة، ١١٩-١٢٦.

[43] Armstrong, Jerusalem, 149-152; Peters, Jerusalem, 107-115; Montefiore, Kudüs, 114-128.
زايد، القدس الخالدة، ١٤١-١٤٩؛ العارف، تاريخ القدس، ٣١-٣٥؛ العارف، المفصل في تاريخ القدس، ٥٤-٦٠.

[44] John Wilkinson, "Jerusalem under Rome and Byzantium", Jerusalem in History, Ed. K.J. Asali, Essex: Scorpion, 1989, 85-86; Peters, Jerusalem, 115-122; Armstrong, Jerusalem, 149-152; Gazi, Siretu Medineti'l-Kuds, 42-43;
العارف، تاريخ القدس، ٣٥-٣٦؛ العارف، المفصل في تاريخ القدس، ٦٠-٦٦؛ زايد، القدس الخالدة، ١٤٦-١٤٩.

حينما انتهت الحرب، كانت القدس قد انهارت، وهُدِم هيكلها، وتفرق أهلوها، فلم يبقَ فيها إلا جيش روما. وعندما بدأت العودة إلى القدس بعد عشر سنوات، عاد المسيحيون أولًا، ثم تبعهم اليهود. أجبر الرومان اليهود بين سنِّ العشرين والخمسين أن يدفعوا «ضريبة اليهودية»، كي تُستعمَل في معبد جوبيتر الذي سيُبنَى في روما، فأزعج هذا الأمرُ اليهودَ، وتمردوا من حين لآخر. وكان أكبر تمرد وعصيان لليهود عام ١٠٦م في عهد الإمبراطور تراجان، إذ سيطروا على القدس وأرادوا إعادة بناء الهيكل، إلا أن روما كبتت هذا العصيان.[٤٩]

وكان آخر تمرد وثورة لليهود في القدس في عهد الإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م). وتشير المصادر إلى أن هادريان لم يكن يسيء الظن باليهود في بداية حكمه، وحاول أن يؤسس علاقات جيدة معهم، وإضافة إلى ذلك كله، سهَّل عودة اليهود إلى القدس، ووعدهم بإعادة بناء الهيكل. ولكنه انقلب عليهم بعد أن أقنعه السامريُّون بعكس ما يعتقده، فساءت علاقته بهم. ثم خطَّط أن يبني المدينة لتكون مثل مدن روما بثقافة هيلينية. وفي ظل هذا الواقع ظن اليهود أنهم يستطيعون هزيمة الحامية الصغيرة في القدس، فهجموا عليها وأوقعوا فيها ضررًا كبيرًا. فأصدر هادريان قرارات مجحفة منذ عام ١٣٠م كي يكسر شوكة اليهود وتمردهم على روما، إذ منع الختان والاحتفال بيوم السبت. وأرسل فيلقًا عسكريًّا إضافيًّا إلى القدس ليكبت اليهود، وأمر بإنشاء معبد لجوبيتر كبير آلهة روما على أنقاض الهيكل، وكان ذلك سببًا لبدء اليهود ثورة بار كوخبا التي امتدت على نطاق واسع عام ١٣٢م.

حققت هذه الثورة بقيادة شمعون بار كوخبا نجاحات في مدة قصيرة، إذ طردوا الرومان واستولوا على القدس. ولاحقَ شمعون بار كوخبا مع أنصاره الرومان حتى المناطق الساحلية، وبدأت الحرب البحرية بين الجانبَين. وسكَّ الثوار عملات باسم بار كوخبا بعد استقلالهم. لكن موازين القوى انقلبت حين أرسل هادريان أفضل جيوشه وأعظم قائد لديه وهو جوليوس سيفيروس ليقضي على المتمردين، فتركَ بار كوخبا مع أنصاره القدسَ وفرُّوا إلى بلدة بيتار جنوب شرقي المدينة. ونجح سيفيروس في القضاء على التمرد تمامًا في الحرب الأخيرة التي دارت في بيتار، وقتلَ بار كوخبا وأنصاره. ويُروَى أنه لم يأذن بدفن الموتى إلا بعد ستة أيام كي يتأكد من قتل جميع اليهود في بيتار. ويُذكَر أن ٥٨٠,٠٠٠ يهودي قد قُتِلوا في هذه الحرب ما عدا الذين ماتوا من الجوع والمرض. وقد سُجِّل يوم القضاء على الثورة في المصادر اليهودية على أنه يوم ٩ آب/أغسطس (تشعاه بآف) الذي يعد يوم حداد في التقويم اليهودي. وهذا التاريخ هو تاريخ هدم الهيكل الأول والثاني ويعد يوم حداد في العرف اليهودي.[٥٠]

أما ما بقي من اليهود في القدس فقد باعهم الرومان عبيدًا أو نفوهم إلى مصر، ودمروا المدينة تدميرًا حتى لا تبقى لها ذكرى في عقول اليهود، وحرثوا أرضها كي لا يبقى منها أثر. وبذلك تحققت نبوءة نبي اليهود ميخا: «لذلك بسببكم تُفلَح صهيون كحقل، وتصير أورشليم خربًا، وجبل البيت شوامخ وعر».[٥١] ومنع هادريان دخول اليهود المدينة، وتوعد بإعدام مَن يدخلها. حتى إنه غيَّر اسم المنطقة كلها، فسمَّى يهوذا باسم قبيلة فلستيا التي كان بنو إسرائيل يعادونها، فصار اسم المنطقة (سوريا) فلسطين. وبعد سقوط القدس انتقل اليهود إلى مدينة الجليل في الشمال، وكذلك خرج المسيحيون من أصل عبراني مع اليهود من القدس بعد هذه الثورة. ولا بد هنا من توضيح أن المسيحين في القدس كانوا ملتزمين بالشريعة اليهودية حتى عهد هادريان، ولكن لمَّا مُنِعَ نسل بني إسرائيل من العيش في المدينة، ظهر في القدس مسيحيون بعيدون عن الشريعة القائمة على تعاليم بولس. ومن المعلوم أن المسيحية في عهد هادريان لم تكن منفصلة اجتماعيًّا عن اليهودية تمامًا، وأن هناك فرقة مسيحية يهودية/ الأبيونيين ما زالت تمارس العرف اليهودي.

[٤٩] العارف، تاريخ القدس، ٤٣٦؛ العارف، المفصل في تاريخ القدس، ٦٦-٦٧؛
Montefiore, Kudüs, 131-135.
[46] Peters, Jerusalem, 126-130; Montefiore, Kudüs, 137-139;
العارف، تاريخ القدس، ٣٦-٤٣٧؛ العارف، المفصل في تاريخ القدس، ٦٧-٦٨؛ زايد، القدس الخالدة، ١٥٤-١٥٥.
[٤٧] سفر ميخا ٣: ١٢.

أراد هادريان أن يحوِّل المدينة إلى الثقافة الهيلينية تمامًا، فمنع الشعائر التي لها صلة بالهيودية مثل قراءة التوراة، والاحتفال بيوم السبت، والختان، واللجوء إلى المحاكم الدينية، والاجتماع في الكنيس، وغيرها، فعجَّلت هذه الإجراءات من انفصال المسيحية عن اليهودية. وقسى هادريان حتى على المسيحيين، إذ حصر بقاء المسيحيين في القدس بأولئك الذين ليسوا من نسل بني إسرائيل. وتحولت القدس إلى مدينة وثنية بحملات الإمبراطورية وبعد أن لم يبقَ فيها إلا مَن كان بعيدًا عن الشريعة اليهودية.[٥٢]

سمَّى هادريان المدينة باسم «إيليا كابيتولينا» تخليدًا لنسله لأنه من قبيلة «إيليا»، وذكرى لكبير آلهة روما جوبيتر حيث يقع المعبد في هضبة «كابيتولين». بُنيَت إيليا كابيتولينا على أنقاض القدس القديمة وعلى الطراز الهيليني، واستعملت مواد أنقاض المدينة في بناء المدينة الجديدة. وكانت إيليا كابيتولينا الجديدة أصغر من القدس القديمة وبدت كأنها مدينة عسكرية رومانية. وبنى هادريان معبدًا وثنيًّا في مكان الهيكل، وتمثالًا لجوبيتر، وتذكر رواية أخرى أن التمثال كان على صورته. وتذكر بعض المراجع أن معبد جوبيتر لم يكن على أساس الهيكل، بل على تل غولغوثا/ جلجثة لموقعه المركزي. وقد عُثِرَ على بعض من آثار إيليا كابيتولينا في أعمال التنقيب الأثرية، ولكنها لم تكن كافية لرسم مشهد مفصَّل عن المدينة والحياة فيها. وتشير الاكتشافات إلى أن هادريان بنى المدينة الجديدة بمواد أنقاض القدس القديمة. وتُظهِر الأبحاث أن الحجارة والصخور التي أُخرِجَت من الأرض استُعمِلَت أيضًا في بناء المدينة. بُنيَت المدينة على شكل مستطيل مثل أي مدينة رومانية. وبنى الرومان في إيليا كابيتولينا كثيرًا من الأبراج والمعابد والقصور وقنوات المياه والخزانات والطرق والجسور والأقواس والمسارح، لكن كل هذا العمران هُدِمَ أثناء غزو الفرس للمدينة سنة ٦١٤م، ولم يبقَ منها شيء إلى يومنا. وكانت إيليا كابيتولينا تابعة سياسيًّا لمدينة قيسارية على ساحل البحر المتوسط. ولم تكن بالمدينة التي يرغب الناس في زيارتها بين عامَي ١٣٥-٣٣٠م. وليس هناك مؤرخون زاروها أو وصفوها، لذلك لا توجد معلومات مفصلة عن المدينة في تلك المرحلة. وكان ذلك لصالح القدس، فقد عاشت في أمان وسكينة ونظام حتى غزو الفرس سنة ٦١٤م.[٥٣]

ومع قبول روما المسيحية في القرن الرابع الميلادي، صارت القدس مدينة مسيحية. وفي عام ٣١٢م أذِنَ الإمبراطور قسطنطين لليهود بدخول القدس والحداد فيها في يوم التاسع من آب/أغسطس (تشعا بآف) فقط. وتذكر المراجع أن اليهود حينما لم يستطيعوا الاقتراب من تل الهيكل، زاروا جبل الزيتون أقربَ الأماكن إليه، وراحوا يشاهدون آثار الهيكل. وقد نالت القدس أهميةً لدى المسيحيين الذين كانوا يخفون دينهم إلى تلك الفترة، بعد بدء عبادة الحج في أواسط القرن الرابع الميلادي. ولم يرَ المسيحيون أهمية دينية للقدس التي كانت بلدة صغيرة في تلك المرحلة الانتقالية، واعتقدوا أن أهميتها بوجود عيسى المسيح. وكانوا يرون أن القدس في الأرض قد تركت مكانها للقدس السماوية في مملكة الرب. لكن الأمور تغيرت مع اعتناق روما المسيحية في القرن الرابع، فقد ظهرت عبادة الحج، وصارت القدس التي عاش فيها المسيح آخر عمره مدينةً مهمة للمسيحيين. وأوْلَى الأباطرة البيزنطيون المدينةَ أهميةً كبيرة، وسعوا لإعمارها. وتذكر المراجع معلومات عن سعي اليهود لاسترداد المدينة. فقد استطاع رجال الدين اليهود أن يلتقوا بيودوسيا زوجة الإمبراطور في طريقها لزيارة القدس سنة ٤٣٨م وينالوا الإذن منها كي يدخلوا القدس. ولمَّا سمع اليهود في الشتات بهذا الخبر، قدِم أكثر من ١٠٠,٠٠٠ يهودي إلى المدينة، ولكن عندما عارضَ المسيحيون في القدس هذا الإذن، مُنِع اليهود من دخول المدينة مرة أخرى. لذلك بقيت القدس التي كانت من مدن الإمبراطورية البيزنطية المهمة بين القرنَين الرابع والسابع مدينةً مسيحيةً حتى فتحها المسلمون.[٥٤]

[٤٨] محمود، تاريخ القدس، ٤٥-٤٤٧ نتشة، تاريخ مدينة القدس، ٣٦-٣٧؛ زايد، القدس الخالدة، ١٥٥-١٥٦؛ العارف، تاريخ القدس، ٣٧-٣٧.
[49] Armstrong, Jerusalem, 161-166, 170-173; Montefiore, Kudüs, 139-141.
العارف، تاريخ القدس، ٣٦-٤٤٠؛ زايد، القدس الخالدة، ١٥٥-١٥٦.
[50] Wilkinson, “Jerusalem under Rome and Byzantium”, 89-103; Peters, Jerusalem, 131; Montefiore, Kudüs, 139, 150-153, 159-161.
زايد، القدس الخالدة، ١٥٨-١٥٩؛ محمود، تاريخ القدس، ٥١-٥٦.

المباني اليهودية في القدس

أقام اليهود في القدس نحوًا من ألف عام بدءًا من أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد حين جاؤوا إليها مع النبي داوود حتى النفي الكبير بعد هدم الهكيل الثاني عام ٧٠ للميلاد. وأشادوا خلال هذه المدة مبانٍ كثيرة، ولكن لم تبقَ كلها إلى وقتنا، من أجل ذلك علينا أن نصف هذه المباني على قسمَين: المباني الباقية إلى أيامنا، والمباني المندثرة.

المباني الباقية إلى أيامنا

إن مباني اليهود في القدس في أيامنا هذه هي بالأساس نتاج القرن التاسع عشر والعشرين. وليس لليهود مبان تاريخية في القدس لأنهم لم يعيشوا في القدس لقرون، ولكن بعد هجرتهم من أوروبا الشرقية وروسيا في القرن التاسع عشر بنوا في المدينة مبان مختلفة. وتذكر السجلات التاريخية أن جيش روما دمَّر القدس في القرن الأول الميلادي، وهدم جميع المباني التي كانت حتى ذلك التاريخ فلم يُبقِ منها شيئًا قائمًا. ولم يستطع اليهود بعد ذلك التاريخ أن يبنوا شيئًا في المدينة لأنهم مُنِعُوا من العيش فيها. ويذكر بعض من المؤرخين اليهود والمسيحيين أن سيدنا عمر بن الخطاب لمَّا فتح القدس، أذِن لليهود بالسكن فيها، وأن اليهود بنوا معبدًا لهم قرب مسجد قبة الصخرة، ثم هدم المسلمون هذا المعبد بعد مدة قصيرة، غير أننا لا نجد شيئًا من قول المؤرخين هذا في المصادر الإسلامية. وثمة رواية مشابهة عن وقوع مثل هذه الأحداث في القرن الخامس عشر. والخلاصة أنه يمكن الوصول إلى معلومات عن المباني التي بناها اليهود في المدينة في مصادر التاريخ وعلم الآثار.

فمن آثار اليهود في المدينة القديمة الباقية إلى يومنا هذا، المقبرة في وادي قدرون جنوب شرق أسوار المدينة القديمة، وحائط المبكى (البراق) القريب من الجامع القِبلي، ونفق حزقيا، وكهف صدقيا.

قبر أبشالوم (أرشيف IRCICA-FAY.١٣,٤٢,٤٠)

كهف صدقيا

نفق حزقيا

والقبور المكتشفة في مقبرة وادي قدرون منحوتة من الصخر، فقبر أبشالوم مثلًا يقع على ارتفاع ٢٢ متر. وهذا القبر الذي يسمِّيه المقدسيُّون باسم «طرطور فرعون» يعتقد اليهود أنه قبر أبشالوم الذي تمرد على أبيه النبي داوود.

أما قبر زكريا فيقول بعضهم إن هذا القبر قبر زكريا بن يهويا الذي عاش في القرن التاسع قبل الميلاد. وهناك أيضًا قبر بني هزير، وهو قبر بأعمدة «الدوريك» مزخرفة، ويُعتَقَد أن القبر كان يُدفَن فيه رجال الدين من بني هزير، ويُروَى أن قبر الأسرة هذا المبني على الطراز المعماري اليوناني يعود للقرن الثاني قبل الميلاد. وهذه القبور الثلاثة متقاربة. ويعتقد المسيحيون أن الحواري يعقوب مدفون في قبر بني هزير. وتذكر المصادر أن اليهود قد دفعوا ٢٠٠ دينار ذهبي للوقف الإسلامي الذي يملك الأرض من أجل بقاء هذه القبور الكبيرة المنحوتة من الصخر في أماكنها.

قبر زكريا (أرشيفİ٧٧)

[51] F. Meir Loewenberg, “A synagogue on Har Habayit in the 7th century: dream or historical fact?”, Hakirah the Flatbush Journal of Jewish Law and Though, 21 (Summer 2016), 253-262.

ومن القبور أيضًا قبر ملك يهوذا الرابع يهوشافاط الذي عاش في القرن التاسع قبل الميلاد. وذكر بعضهم أن يهوشافاط لم يُدفَن في هذا القبر، وأن اسم القبر منسوب إلى اسم الوادي.[٥٦]

ومن القبور المشهورة قبر الملك داوود على تل صهيون. والطابق السفلي من المبنى الظاهر في صورة (قبر الملك داوود) هو القبر، أما الطابق العلوي فهو المكان الذي تناول فيه النبي عيسى عشاءَه الأخير. ولم تحدِّد النصوص المقدسة اليهودية هذا المكان على أنه قبر الملك داوود وإنْ ذكرَت أنه في القدس القديمة.[٥٧] وقد كان هناك جدل بين المؤرخين وعلماء الآثار عن مكان دفن النبي داوود. ويُذكَر أن انتشار فكرة أن هذا القبر قبر حقيقي بدأ منذ القرن التاسع الميلادي. ففي القرن الرابع الميلادي مثلًا تحدث بودرو وأوبتاتوس الميلافوسي وإبيفانيوس السلاميسي عن وجود ٧ معابد يهودية في تل صهيون، ولكنهم لم يجعلوا أي صلة بين المعبد الوحيد الموجود في ذلك التاريخ والملك داوود. وذكرَ بودرو أن القبر الحقيقي في بيت لحم بجانب أسلافه، وأنه قرأ الأسماء في جدار مقبرة الأسرة. وانتشر اعتقاد أن هذا المكان قبر النبي داوود بعد فتح المسلمين للمدينة. وفي عام ١٣٣٢م اشترت جماعة فرانسيسكن الكاثوليكية هذا المبنى من السلطان المملوكي الناصر محمد بقيمة ٣٠,٠٠٠ من عملة «الدوقات»، ونقلت مركزها إليه. وقد أخذ السلطان المملوكي بيبرس هذا المكان من الفرانسيسكن وحوَّله إلى مسجد، ولكن أُعيدَ إلى ما كان عليه بعد مدة قصيرة. ثم تحول المكان إلى مسجد في زمن السلطان العثماني سليمان القانوني.

قبر الملك داوود

مدخل قبر يهوشافاط

(أرشيف IRCICA-FAY.٢٢,٢٢,١٥)

[٥٦] عارف العارف، تاريخ القدس، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٤)، ٢٣٧-٢٣٨؛
Rita Bianucci, Art and History of Jerusalem, (Florence: Bonechi, 2006), 128-129.

[٥٧] سفر الملوك الأول ٢: ١٠.

مقام النبي داوود (أرشيف القنصلية الألمانية في إسطنبول R٣٢٤٩٢)

ويُروَى أن المعماري الذي بنى سور القدس بأمر من السلطان سليمان القانوني قد دفع حياته عقابًا على أنه جعل هذا المكان خارج السور. ووُضِعَت إدارة مقام النبي داوود في عهدة أسرة السيد أشرف الدجاني الداوودي المقدسي بأمر من السلطان سليمان القانوني. وبقي هذا المكان في يد المسلمين بإدارة وقف النبي داوود في عهد الانتداب البريطاني بعد نهاية الحكم العثماني في المدينة. وحُوِّلَ مقام النبي داوود إلى كنيس بعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م، وكان هناك سعي لإزالة المعالم الإسلامية الظاهرة في الصورة (D-DAI-IST-R٣٢٤٩٢). وكان مقام النبي داوود لدى اليهود أقدسَ مكان من تاريخهم القديم حتى احتلالهم القدس الشرقية عام ١٩٦٧م.[٥٨]

أما الحائط الذي يسميه المسلمون «حائط البراق» ويسميه اليهود «الحائط» أو «الحائط الغربي» أو «حائط المبكى» فهو المكان الوحيد الذي يمكن لليهود أن يعبدوا فيه. وهذا الحائط من بقايا السور الخارجي للهيكل الثاني الذي بناه هيرود الكبير. ويُعرَف هذا المكان باسم «حي المغاربة» نسبةً للذين هاجروا من المغرب في فترة حكم المسلمين للمدينة. يبلغ طول حائط المبكى نحوًا من ٤٨٥ مترًا وارتفاعه من سطح الأرض ١٨ مترًا، ويدخل ٦ أمتار في مساحة الحرم الشريف، ويتكون من ٢٤ صفًّا من الحجارة فوق سطح الأرض، و١٩ صفًّا تحته.

مسجد النبي داوود (أرشيفiYV)

[54] Erkan Aydın, Arz-ı Mukaddes Kudüs, İstanbul: Çığır Yayınları, 2019), 207; Bianucci, Art and History of Jerusalem, 122.

حائط البراق/المبكى (أرشيف iY٧٧)

وطول بعض من الحجارة ١٢ مترًا وارتفاعه متر ووزنه ١٠٠ طن. يقدِّس اليهود هذا الحائط لأنه ذكرى من الهيكل، ولم يُحرَموا من الاجتماع عنده والعبادة في أعيادهم الدينية لقرون طويلة أثناء حكم المسلمين. وذكر الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي أن اليهود في القرن الثاني عشر الميلادي كانوا يأتون إلى هنا للعبادة. وبعد فتح العثمانيين للقدس رمموا الحائط مرات كثيرة وحفظوه من السقوط. وتعد الصفوف الأحد عشر العليا من الحائط اليوم من آثار العهد الإسلامي. وكان المكان المخصص للعبادة ٣٠ مترًا فقط حتى عام ١٩٦٧م لأن الحائط كان داخل حي المغاربة، ولكن عندما احتلت إسرائيل القدس الشرقية عام ١٩٦٧م، هدمت الحي كاملًا، ووسعت مساحة العبادة والتجمع عند الحائط. [٥٩]

حركة عمران اليهود في القدس على مدى التاريخ

كان لليهود تجمع سكني في القدس من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي. وقد حكم اليهود أو بنو إسرائيل كما يُسمَّون القدسَ حكمًا تامًّا في عهد النبي داوود في القرن العاشر قبل الميلاد. وكان اليبوسيون يعيشون قبلهم، وتُظهِر التنقيبات الأثرية أن اليبوسيين حصَّنوا المدينة ببناء الأسوار والقلاع. وكانت القدس في عهد النبي داوود وخَلفِهِ النبي سليمان عاصمة للأسباط الاثني عشر، وأضاف الهيكل الذي بناه النبي سليمان طابعًا دينيًّا للمدينة. [٦٠]

[55] Bianucci, Art and History of Jerusalem, 44, 47, 51;

[56] Yusuf Besalel, Yahudi Tarihi, İstanbul: Universal, 2000), 40.

العارف، تاريخ القدس، ٢٣٣- ٢٣٤.

تذكر النصوص المقدسة اليهودية أن الهيكل بُنيَ في المدينة في عهد النبي سليمان،[٦١] ولكن العجيب أنه لا يوجد أي دليل في التنقيبات الأثرية على بيوت وأسوار دفاعية تبيِّن وجود تجمع سكاني كثيف كما ينبغي لعاصمة في تلك المرحلة. فعلم الآثار- على عكس ما يُذكَر في النصوص المقدسة- لا يقدِّم أي معلومة عن حركة عمران وبناء واسعة في القدس في عهد النبي داوود والنبي سليمان. ولم يكن هناك تجمع سكاني كثيف في المدينة بين القرنَين العاشر والثامن قبل الميلاد وفقًا للاكتشافات الأثرية. [٦٢]

انقسمت مملكة بني إسرائيل الموحدة إلى مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا بعد وفاة النبي سليمان في عام ٩٣٠ تقريبًا قبل الميلاد. كانت مملكة إسرائيل مملكة عشرة من أسباط بني إسرائيل، وجعلوا مملكتهم في الشمال وعاصمتها شكيم، ثم نقلوا إلى تيرزا والسامرة. أما مملكة يهوذا التي أسسها سبطًا يهوذا وبنيامين فكانت في الجنوب وعاصمتها القدس. [٦٣]

كانت مملكتَا إسرائيل ويهوذا مملكة قبائل صغيرة في المنطقة، وكان نفوذهما يقل دائمًا لكثرة الصراعات بينهما، فكان ذلك سببًا لاحتلالهما بسهولة من قِبل المصريين والآشوريين الذين أسسوا دولتَين كبيرتَين في المنطقة. وكان هناك صراع دائم بين بني إسرائيل الذين أسسوا المملكتَين والقبائل الأخرى في المنطقة في الفترة الممتدة بين القرن العاشر والسادس قبل الميلاد والتي تُسمَّى في التاريخ اليهودي باسم عهد الهيكل الأول،[٦٤] لذلك كان عليهم أن يدخلوا في حماية الدولتَين الكبيرتَين (المصريين والآشوريين) في المنطقة من أجل الحفاظ على المملكتَين. وكان بنو إسرائيل يحتمون بإحدى هاتَين الدولتَين، فيتمردون على القبائل الأخرى والدولة الكبيرة الأخرى بغية استرداد حريتهم، ولكن النتيجة تكون غزوًا وخرابًا. غزا الآشوريون مملكة إسرائيل في الربع الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد، ونفوا الأسباطَ العشرةَ من المنطقة، وأتوا بأقوام من مناطق أخرى يحكمونها، وأسكنوهم في تلك المنطقة. فزالت مملكة إسرائيل وصارت صفحة من صفحات التاريخ. هجَّر الآشوريون سكان مملكة إسرائيل إلى أماكن أخرى، ففُقِدَ أثرهم، لذلك يُسمَّون في التاريخ «الأسباط العشرة المفقودة». ولجأ بعضهم إلى مملكة يهوذا في الجنوب، لذلك زاد عدد سكان القدس زيادة كبيرة، وبُنيَت بيوت جديدة، فتمددت القدس إلى المناطق المجاورة، واتسعت حتى ضمت الأودية المحيطة. وتذكر المصادر أثناء مقارنة القدس في عهد حزقيا والنبي سليمان من حيث عدد سكانها وحدودها، أن المدينة تضاعف عدد سكانها ثلاث مرات، وتضاعفت مساحة الأراضي السكنية أربعة مرات.

تُظهِر الاكتشافات الأثرية تغيرات جذرية في المدينة بدءًا من أواخر القرن الثامن قبل الميلاد. فقد حسَّن ملك يهوذا حزقيا دفاعات القدس لحمايتها من أي هجوم بعد الدرس الذي تعلموه مما حدث في مملكة إسرائيل، وأصلحَ الأسوار، وبنى أسوارًا جديدة،[٦٥] واتخذ تدابير لتلبية الحاجة إلى الماء أثناء الحصار، إذ جلب الماء إلى المدينة من نبع أم الدراج القريب من قرية سلوان المجاورة عبر نفق بلغ طوله نحوًا من ١٧٠٠ متر، وبنى خزان مياه سُمِّي باسم بركة حزقيا. وتؤكد الاكتشافاتُ الأثرية حركةَ البناء والعمران والازدهار في عهد حزقيا كما هو موصوف في النصوص المقدسة اليهودية. والزيادة الكبيرة في عدد سكان القدس ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد كما يظهر في الاكتشافات الأثرية تبيِّن هجرة الناس من مملكة إسرائيل في الشمال بعد سقوطها عام ٧٢٠ قبل الميلاد إلى مملكة يهوذا. وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن دلائل على حركة عمران على نطاق واسع في المدينة في تلك المرحلة. ويصوِّر علماء الآثار والتاريخ القدسَ آنذاك على أنها مدينة فيها قصور ومخازن وبِرَك مياه وأسوار وأبراج. ووجد علماء الآثار أثناء تنقيباتهم أدلة على أهمية المدينة في تلك المرحلة، من هذه الأدلة وجود تجمعات سكينة صغيرة كثيرة، وبقايا السور، والأبراج، وقنوات المياه، وبقايا أدوات زراعية، وزيادة مفاجئة في عدد القبور، والأضرحة الكبيرة، والأختام، ومركز لصناعة الأدوات الفخارية، ومركز لصناعة الزيوت والخمور، وغيرها. [٦٦]

[٥٧] سفر الملوك الأول ١٤: ١، ٥: ٦-٥؛ ٣٨؛ سفر أخبار الأيام الثاني ٢: ١-٣: ٣.

[58] Ann E. Killebrew, “Jerusalem During The First And Second Temple Periods: Recent Excavations And Discoveries on And Near The Temple Mount”, Temple of Jerusalem: From Moses to The Messiah, Ed. Steven Fine, Leiden: Brill 2011), 372-374.

[59] Besalel, Yahudi Tarihi, 44.

[٦٠] سفر الملوك الثاني ١٤: ١٣-١٤؛ سفر تاريخ ٢٥: ٢٣-٢٤.

[٦١] سفر نحميا ٣: ٨.

[62] Killebrew, “Jerusalem During The First And Second Temple Periods”, 372-374.

غير أن ازدهار المدينة انتهى في الربع الأول من القرن السادس قبل الميلاد، فقد غزاها ملك بابل نبوخذ نصر الذي كانت مملكة يهوذا تحت حكمه، ليضع حدًّا لحركة التمرد الدائمة. وكانت النتيجة سقوط ممكلة يهوذا عام ٥٨٦ قبل الميلاد، ونفي بني إسرائيل إلى بابل، وهدم الهيكل الذي بناه النبي سليمان، وانهيار القدس تمامًا بعد نهبها. فهُدِمَت جميع المباني التي بُنيَت في القدس حتى ذلك التاريخ، ولم يبقَ منها أثر قائم.

«وفي الشهر الخامس، في سابع الشهر، وهي السنة التاسعة عشرة للمَلك نبوخذناصَّر ملك بابل، جاء نبوزرادان رئيس الشُّرَط عبدُ ملك بابل إلى أورُشليم، وأحرق بيت الرب وبيت المَلِك، وكلَّ بيوت أورُشليم، وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار. وجميع أسوار أورُشليم مستديرًا...».

ولمَّا غلبَ الفرسُ بابلَ، انتهت مرحلة نفي اليهود. فقد أذِنَ كورش من ملوك الفرس الأخمينية عام ٥٣٨ قبل الميلاد لبني إسرائيل أن يرجعوا إلى موطنهم، وبدأت حركة عودة واسعة، وبُنيَت القدس من جديد، وأُعيدَ بناء الهيكل. ومع عودة عزرا عام ٤٥٧ قبل الميلاد شهدت المدينة حركة إحياء اجتماعية. ولما عاد نحميا الذي كان ساقيًا لملك الفرس أرتحششتا عام ٤٤٥ قبل الميلاد، عاشت المدينة حركة بناء وعمران عظيمة. فقد شرعَ نحميا بإعمار القدس على نطاق واسع، وبنى أسوارًا حول المدينة. وقد ذكر نحميا في معرض حديثه عن الأسوار اسم كل شخص شارك في البناء وأسماء الأُسَر، حتى إنه ذكر ما بناه كل شخص. وقد يُفهَم من المدة القصيرة التي بُنَي فيها السور وهي ٥٢ يومًا أن البناء لم يكن مُحكَمًا. وقد ذكرَ نحميا أثناء وصفه العمران في القدس أسوار أورُشليم، والسور العريض، وأسوار أوفل، وسور بركة سلوام، ودرج مدينة داوود، وباب الضأن، وباب السمك، والباب العتيق، وباب الوادي، وباب الدِّمن، وباب العين، وباب الماء، وباب الخيل، وباب الشرق، وباب العد، وبرج المراقبة، وبرج التنانير، وبرج المئة، وبرج حنَنْئيل وغيرها من المباني. والأسوار المذكورة هنا تمتد من الجنوب إلى الشمال وتحيط ببركة سلوان، ومدينة داوود، وتل أوفل والهيكل.

[63] Besalel, Yahudi Tarihi, 47-48, 51.

[64] سفر الملوك الثاني ٢٥: ٨-١٠.

[65] Besalel, Yahudi Tarihi, 51-52.

[66] سفر نحميا ٣: ١-٣٢.

ويقع باب الدمن في الزاوية الشرقية، وباب العين في الزاوية الجنوبية الشرقية، وباب الماء في الشرق قرب نبع جيحون، وباب الخيل في الشمال الشرقي على تل أوفل وجنوب شرق الهيكل، وباب الضأن في الشمال، وباب السمك في الشمال الغربي، وباب الوادي في الغرب، وباب العد في الشمال الغربي. وقد استطاعت الأبحاث الأثرية أن تحدِّد أماكن السور العريض، وباب الوادي، وباب الدمن، وباب العين، وسور بركة سلوام، والدرج النازل إلى مدينة داوود. وبُنيَ قصر لإقامة حاكم المدينة، سماه نحميا باسم «بيرا». ويعتقد بعض من المؤرخين أن قلعة «بارس» التي بُنيَت في عهد البطالمة كانت على أنقاض «بيرا» انطلاقًا من تشابه الاسمَين. وأسوار المدينة في عهد الفرس موضع جدل عمومًا، ولم يُكتَشَف أي شيء يدل على المباني داخل المدينة. ويُقدَّر أن القدس كانت في تلك المرحلة مدينة صغيرة فيها نحو من ١٥٠٠ أسرة. غير أن التنقيبات الأثرية التي تقدم معلومات في هذا الشأن تعود لتل الهيكل والجانب الشرقي لتل صهيون، ولا توجد تنقيبات في الأقسام الأخرى التي تعد جزءًا من المدينة في عهد ما قبل الأسر البابلي. ووُجِدَت في التنقيبات أدلة على كثافة التجمع السكاني في أقسام المدينة هذه بين القرنَين الرابع والثالث قبل الميلاد.

في عام ٣٣٢ قبل الميلاد احتل الإسكندر المقدوني القدسَ، وبعد وفاته حكمها البطالمة الذين كانوا في مصر، وفي بدايات القرن الثاني قبل الميلاد حكمها السلوقيون، واستمرت حركة البناء في المدينة في عهدهم. وقد ذُكِرَت مشاريع البناء في المدينة في رسائل أريستياس التي تعود للفترة بين القرن الثالث والثاني قبل الميلاد. ويرد في المراجع بناءُ قلعة «بارس» في المدينة في عهد البطالمة. وفي عهد السلوقيين خصوصًا انتشرت المباني المختلفة مثل مراكز التعليم واللهو من أجل الحث على الثقافة الهيلينية في القدس. وأمست القدس مثل المدن اليونانية بصالات الألعاب الرياضية، والمعابد المشيدة لآلهة اليونان، وملاعب الأولمبياد، والمراكز الرياضية للشباب. وبُنيَت مراكز لحفظ الأمن في المدينة. وبنى أنطيوخوس الثالث عام ١٦٨ قبل الميلاد قلعة بجانب الجدار الجنوبي للهيكل من أجل مراقبته. وُوضِعَت حامية يونانية في القلعة التي سُميَّت باسم «أكرا» أو «أكرابوليس». ويذكر بعض من المؤرخين أن قلعة أكرا بُنيَت على أنقاض قلعة «بارس» التي بناها البطالمة. استلم سيمون المكابي قلعة أكرا عام ١٤١ قبل الميلاد فهدمها وبنى قلعة «بيرا» الكبيرة على أنقاضها. وكانت قلعة بيرا مقر حكم سلالة الحشمونيين. هدم هيرودس الكبير (٣٧ قبل الميلاد- ٣٥م) هذه القلعة، وبنى قلعة سمَّاها قلعة أنطونيو. وهُدِمَت هذه القلعة عام ٧٠م أثناء حصار القدس بقيادة تيتوس الذي جاء ليقضي على تمرد اليهود. وفي عام ٢٠١٥ اكتشف فريق تنقيب بقيادة عالم الآثار الإسرائيلي دارون بن عامي بقايا هذه القلعة التي كان يُعاد بناؤها دائمًا، والتي ينسبها بعض من المؤرخين إلى قلعة بيرا التي بُنيَت في عهد الفرس.

[67] سفر نحميا ٢: ٨، ٧: ٢.

[68] عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤)، ١٠٠-١٠٦.

[69] Josephus, Jewish Antiquities, 15.403, 18.91.

[70] Dan Bahat, The Illustrated Atlas of Jerusalem / Shlomo Ketko, (Jerusalem: Carta, 1990), 39-40; Simon S. Montefiore, Kudüs: Bir Şehrin Biyografisi / Cem Demirkan, (İstanbul: Pegasus, 2016), 62-63;

زايد، القدس الخالدة، ١١٠-١١٢.

وكانت نتيجة ثورة المكابيين أن حكمَت سلالة الحشمونيين اليهودية القدسَ عام ١٦٤ قبل الميلاد. وتذكر المراجع وجود أبواب للسور (القديم) حول تل الهيكل في عهد الحشمونيين (١٤٠- ٣٧ قبل الميلاد) منها بابَا خُلدا، وباب كيبونوس، وباب تادي، وباب شوشان. واتسعت مدينة القدس في هذه المرحلة، وشهدت حركة بناء وعمران واسعة، وبُنيَت قصور وقُور كبيرة، وظهر حيٌّ جديد أُحيطَ بسور. ولكن هذه المباني لم تبقَ إلى زماننا كما هي. وأكبر حركة عمران في عهد الحشمونيين ظهور الحي الجديد وإحاطته بسور. وهذا السور الذي سمَّاه يوسيفوس باسم «السور القديم»[٧٥] (خطأً وفقًا لِدان باهات الذي قام بتنقيبات أثرية داخل أسوار القدس القديمة) بُنيَ في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد. وكشفت التنقيبات الأثرية أن هذا السور لم يُبنَ في مرة واحدة. ففي سفر المكابيين الأول «أبوكريفا» يُذكَر بدء ملك الحشمونيين يوناثان ببناء سور، وإتمام بنائه في عهد أخيه سيمون. وكان الهدف من بناء السور الجديد في الجانب الغربي من تل صهيون والممتد حتى سور المدينة في عهد الهيكل الأول هو حماية الحي الذي نشأ في عهد سيمون وهيركانوس الأول (١٤٠-١٠٤ قبل الميلاد). وسُمِّي هذا الحي الجديد باسم المدينة العليا لموقعه الذي يجعله يطل على تل الهيكل من الأعلى. وبُنيَ هذا الحي على الطراز الهيليني وسكنته الطبقة العليا والنخبة من المجتمع. وكان في هذه المدينة العليا- كغيرها من المدن الهيلينية- مركزٌ تجاري، وصالة للألعاب الرياضية بجانبها باحةٌ بأعمدة، ومجلس للاستشارة، وشارع بجانب ميدان الخيل. وتذكر المراجع وجود جسر بين تل الهيكل والمدينة العليا. وذكرَ يوسيفوس أن أريستوبولوس حرقَ هذا الجسر أثناء دفاعه عن المدينة لدى غزو بومبي لها. وذكرَ أيضًا تشييد قصر هناك من أجل مراقبة تل الهيكل. والأوصاف المذكورة لحي المدينة العليا مثل أوصاف أي مدينة هيلينية، غير أن الاكتشافات لا تكفي لتقديم أي معلومات مفصَّلة.

وأثناء إعمار هيرود الكبير الذي حكمَ المنطقة في أواخر القرن الأول قبل الميلاد لمدينة القدس، كانت تُهدَم هذه المباني عند الحاجة أو تُخرَّب، لتُبنَى مبان جديدة فوقها. لذلك لم تبقَ المباني التي بُنيَت في عهد الحشمونيين قائمةً حتى أيامنا كما كانت عليه. والأثر المعروف الذي وصل إلى أيامنا من القدس في عهد الحشمونيين القناةُ المائيةُ التي بُنيَت من أجل قلعة بيرا التي كانت أسرة المكابيين تقيم فيها.

ويُعَد عهد هيرودس الأول الذي صار الحاكم الروماني في القدس عام ٣٧ قبل الميلاد العهدَ الذهبيَ للقدس من حيث البناء والعمران. وقد بقيت الآثار التي بناها هيرودس إلى أيامنا. وتقدِّم الاكتشافات الأثرية والمراجع التاريخية معلومات مفصَّلة عن المباني التي شادها في القدس. وقد استمرت عملية العمران التي بدأها حتى بعد وفاته، فجعلت القدسَ مدينة تمثل الفن المعماري، إذ كانت الأبنية بأحجامها وأشكالها على الطراز اليوناني تمامًا. وبفضل هذه المباني زادت مساحة المدينة أكثر من ٤٠٠ دونم. وبُنيَت في حي الأثرياء الذي سُمِّي بالمدينة العليا أبنيةٌ مزخرفة وقصور ودُورٌ فاخرة وملاعب ومسارح. ورمَّمَ هيرودس السور الذي بُنيَ في عهد الحشمونيين، وبنى سورًا جديدًا حول الحي الجديد فوق السور الذي كان في عهد الحشمونيين، وبلغ ارتفاعه في بعض الأجزاء ٣٫٥ متر، وفي عهد السلطان العثماني سليمان القانوني بُنيَت أسوار المدينة على جدار الاستناد هذا. أنشأ هيرودس قنوات مائية للمدينة وطرقًا وجسورًا، وبنى قصرًا محصَّنًا فخمًا لنفسه، ورمَّم الأبراج التي بناها الحشمونيون، وبنى أبراجًا جديدة. وكان في القدس آنذاك ثلاث قلاع: قلعة أنطونيو، وقلعة الهكيل، وقلعة هيروديوم. هدمَ هيرودس قلعة بيرا التي كانت محل إقامة الحشمونيين وبنى قلعة جديدة مكانها، وسمَّاها قلعة أنطونيو تخليدًا للقائد والسياسي الروماني ماركوس أنطونيوس. وعندما هُدِمَ الهيكل عام ٧٠م، كانت قلعة بيرا الملجأ الأخير ليهود المدينة، فهُدِمَت أثناء الحرب.

[٧٥] سفر المكابيين الأول ١٠: ١٠، ١٣: ١.

[71] Josephus, Jewish Wars, 5.4: 2.

[73] Josephus, Jewish Antiquities, 14.8.
[74] Josephus, Jewish Wars, 2.17: 3, Jewish Antiquities, 20.89.
[75] Bahat, The Illustrated Atlas of Jerusalem, 37-40;

زايد، القدس الخالدة، ١١٠-١١٢.

تابوت العهد

وأهمُّ وأعظم أثرَين تركهما هيرودس في القدس هما الهيكل وقصره. فقد أعاد بناء الهيكل وكبَّر مساحته، وأحاطه بسور عال. ويذكر حاخامات اليهود هذا الهيكل الذي بناه هيرودس بإعجاب ودهشة كبيرة فيقولون: «مَن لم يرَ هيكل هيرودس، فلا يدَّعيَنَّ أنه قد رأى بناءً جميلًا». وبُنيَ الهيكل بالرخام الأصفر والأبيض (ويقول بعضهم إن الرخام كان لونه أزرق) وجُعِلَت أرضيته من حجارة بألوان مختلفة، فصارت

الهيكل

تظهر كأمواج البحر. وبنى هيرودس سورًا حول الهيكل.

وكان لهذا السور خمسة أبواب للوصول إلى الهيكل. لم يكن باب تادي في الشمال يُستعمَل، وكان الناس يدخلون من بابَي خُلدا في الجنوب وباب كيبونوس في الغرب. أما الباب الذي كان في الشرق فكان خاصًّا برئيس الكهنة. ولمَّا غزا الرومان المدينة، هدموا الهيكل فلم يبقَ منه شيء، إلا الجانب الغربي من السور حوله، وهو ما يُسمِّيه المسلمون اليوم «حائط البراق» واليهودُ «الحائط الغربي» أو «حائط المبكى». أما البناء العظيم الآخر الذي بناه هيرودس فهو قصره المعروف باسم «قصر هيروديوم». بُنيَ القصر على شكل قلعة قرب باب الخليل، وحوله سور عليه أبراج، وسمَّى هذه الأبراج باسم زوجته مريامنا، وأخيه فاسايل/بسيفينوس، وصديقه هيبيكوس تخليدًا لذكراهم. ثم هُدِمَت هذه الأبراج، ولم تصل إلى أيامنا كما كانت عليه. وذكرَ عالم الآثار دان باهات أن البرج الذي يُسمَى برج داوود في أيامنا سماه المسيحيون بهذا الاسم منذ القرن الخامس الميلادي، وأنه من بقايا الأبراج التي بناها هيرودس.

[76] Rabbi Isidore Epstein, (Ed.), The Babylonian Talmud, (London: The Soncino Press, 1978), Baba Bathra 4a. Herbert Danby (Ed.)
[77] Mishnah (Oxford: Oxford University Press, 1992), Middot 1: 3.

المدرسة الصناعية اليهودية (أرشيف IRCICA-FAY.١٤,٤٧,٨٦)

وزادت مساحة القدس وازدهرت أيضًا في عهد هيرودس أغريبا حفيد هيرودس الكبير (٣٧-٤٤م) واستمرت حركة البناء والعمران فيها. وظهر حي جديد باسم حي بزيتا في الجانب الشمالي الشرقي من المدينة، ويقع اليوم بين باب حطة وباب دمشق. وأراد هيرودس أغريبا أن يحيط هذا الحي بسور، ولكنه كفَّ عن ذلك بأمر من روما.[٨٢] وقد دمَّر المتطرفون اليهود (الكانايم) هذا السور المعروف باسم السور الثالث والذي كان يحيط بالحي المسمَّى بحي غولغوثا بين عامَي ٦٧-٦٩م. وفي عام ٧٠م غزا جيش روما القدسَ كي يقمعوا تمرد اليهود المتكرر قمعًا تامًّا، فدمروا المدينة تدميرًا.[٨٣] ولم يبقَ أي شيء من المباني التي أنشأتها سلالة الحشمونيين وهيرودس في القدس. ولم يسمح اليهود الذين مُنِعوا من السكن في القدس أي بناء دائم منذ ذلك التاريخ.

بنَى اليهود الذين سكنوا المنطقة منذ القرن التاسع عشر كُنُسًا ومباني جديدة في القدس. ففي القرن التاسع عشر كانت ٦ كُنُس قائمة في القدس، كنيسان منها ليهود الأشكناز القادمين من روسيا وبولونيا، و٣ كُنُس من اليهود السفارديين القادمين من شبه جزيرة أيبيريا، وكنيسٌ ليهود الكاري. وكان لليهود في منتصف القرن التاسع عشر ٣ مستشفيات وبضع مدارس. وكانت لهم مدارس تعليم دينية مثل «هدَر ويشيفا»، ومنظمة الاتحاد الإسرائيلي العالمي، ومؤسسات تعليمية أخرى مثل مدرسة (أفيلينا دي روتشيلد) للإناث، ومدرسة الأيتام. ثم بُنيَت كثير من المباني اليهودية في المدينة بغية إعطاء طابع يهودي للقدس.

كنيس يهودي (أرشيف IRCICA-FAY.١٤,٤٥,٣٠)

[78] Bahat, The Illustrated Atlas of Jerusalem, 40-43;

Montefiore, Kudüs,83-88, 112-116.

[79] Besalel, Yahudi Tarihi, 61-62.

زايد، القدس الخالدة، ١٢١-١٣٦؛ العارف، تاريخ القدس، ٣٠-٣٣؛

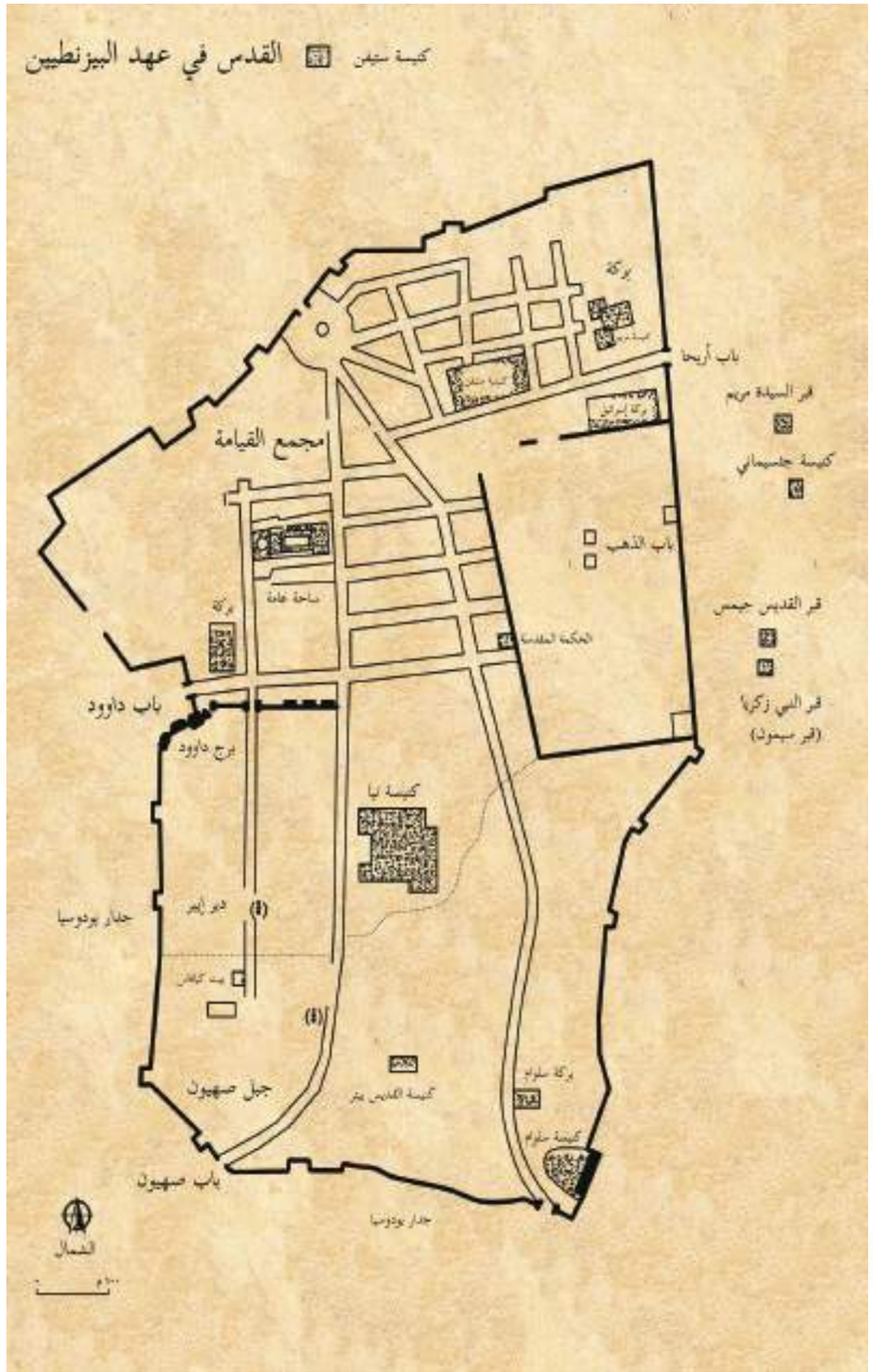

القدس في عهد البيزنطيين

عهد البيزنطيين والمسيحية

بدأ ظهور القدس مدينةً مسيحيةً في مسرح التاريخ في القرن الرابع الميلادي. وكانت المسيحية في قرونها الثلاثة الأولى دِينًا سِريًّا لِقوة الإمبراطورية الرومانية آنذاك، وعدم تسامح روما الوثنية مع المعتقدات الأخرى. وقد مرَّت المسيحية بمرحلة عسيرة في تلك المرحلة، وانتشرت بجهود المتديِّنين الذين بذلوا أنفسهم في سبيل خدمة هذا الدين. وانقلبت الكفة لصالح المسيحية منذ القرن الرابع الميلادي، إذ تعاطف الإمبراطور قسطنطين مع المسيحيِّين وكان يعتقد بالوثنية، ثم مات على المسيحية. وبعد عام من صعود قسطنطين إلى عرش الحكم سنة ٣١٢م أي في سنة ٣١٣م أقر بمرسوم ميلانو بأن المسيحية من المعتقدات المشروعة في الإمبراطورية، وبهذا بدأت القدس تتحول إلى مدينة مهمة ولها مكانتها بين المسيحيين، وبُعِثَت الحياة في إيليا كابيتولينا التي كانت في حال من السبات سياسيًّا واقتصاديًّا منذ عهد هادريان إلى القرن الرابع الميلادي. وبُنيَت كنائس وأديرة كثيرة فيها في عهد قسطنطين.[٨٤]

وفي عام ٣٢٥م عُقِد مجمع نيقية الذي كان المجمع المسكوني الأول، وقُرِّرَ فيه «تكريم القدس والاعتراف بحقوقها»، واتُّخِذَت الخطوة الأولى في تحويل المدينة إلى بطريركية: «إذ كان من العادات الشائعة والتقاليد القديمة أن الإكرام واجب لأسقف إيليا فليكن له، مع حفظ كرامة المتروبولينية، المقام الثاني في الكرامة.» (قوانين مجمع نيقية، ٧). وأُعيدَت تسمية المدينة باسم «أورُشليم» لأن اسم «إيليا كابيتولينا» يذكِّر بالوثنية. ولكن ورود اسم «إيليا» أو «إيلياء» في المصادر الإسلامية يُظهِر أن الاسم لم يغب عن أذهان الناس.

وكانت زيارة هيلانة والدة قسطنطين للقدس عام ٣٢٦ من الخطوات المهمة في تحويل المدينة إلى مدينة مسيحية. وقد رافقَ هيلانة في زيارتها أسقف القدس مكاريوس الذي عيَّنه قسطنطين، وكان متمسكًا بالمسيحية واستطاع أن ينال إذنًا من الإمبراطور بهدم المعابد الوثنية في المدينة.

[٨٠] محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ٨٨-٨٩؛ محمود، تاريخ القدس، ٥٥؛
زايد، القدس الخالدة، ١٥٨-١٥٩؛

Wilkinson, "Jerusalem under Rome and Byzantium", 94-95; Montefiore, Kudüs, 148-149.

القبر في كنيسة القبر المقدس (أرشيف القنصلية الألمانية في إسطنبول R٣١٣٢٧)

سعت هيلانة في هذه الزيارة أن تحدِّد الأماكن التي لها صلة بعيسى المسيح وحواريه، وحوَّلت خراب الهيكل إلى مكب لقمامة المدينة لِكرهها لليهود. وبينما كان مكاريوس وهيلانة يشاهدان هدم معبد أفروديت في تل غولغوثا، وُجِدَ قبرٌ فارغٌ في أساس المعبد. فاعتقدت هيلانة أن هذا القبر قبر النبي عيسى، وبنَت فوقه «كنيسة القبر المقدَّس». وكانت الكنيسةَ الأولى التي بُنيَت في القدس، وافتُتِحَت للعبادة سنة ٣٣٥م. وتذكر المصادر أن هيلانة وجدت أثناء بحثها الصليبَ الذي يعتقد المسيحيون أن النبي عيسى صُلِبَ عليه. ولم تتردد في الإنفاق على بناء القدس وعمرانها، وبنت كنيسة إيليونا (مزرعة الزيتون بالإغريقية) في جبل الزيتون. وتُعرَف هيلانة في العرف المسيحي على أنها قائدة علماء الآثار وقديسة وأول مَن حجَّت نظرًا للخدمات التي قدمتها في القدس. وراح المسيحيون يأتون أفواجًا إلى كنيسة القبر المقدس بعد تمام بنائه، ومن هنا ظهرت عبادة الحج في المسيحية.[٨٥]

وقد أولَى الأباطرة الذين حكموا بعد قسطنطين القدسَ أهمية كبيرة. لكن الحياة المسيحية في المدينة تعثَّرت في حكم يوليان المرتد (٣٦١-٣٦٣م)، فقد هُدِمَت الكنائس والأديرة، وأُلغيَت جميع القوانين التي كانت ضد اليهود، ورُفِعَت القيود عن عودتهم إلى القدس، فجاؤوا إليها من كل حدب وصوب. وأراد جوليان أن يعيد بناء الهيكل لليهود، ولكن حريقًا نشب أثناء دراسة أرضية الهيكل، فعطَّل عملية البناء. وذكرَ بعضهم أن هذا الحريق كان طبيعيًّا وقال آخرون إنه مكيدة من المسيحيين. وبعد وفاة يوليان عام ٣٦١م، انقلبت الأمور لصالح المسيحيين، إذ أعلن الإمبراطور ثيودوسيوس الأول المسيحيةَ الدين الرسمي الوحيد لروما عام ٣٨٠م. وبعد وفاته عام ٣٩٥م انقسمت الإمبراطورية إلى شطرَين غربي وشرقي، ففي الغرب كانت إمبراطورية روما، وفي الشرق إمبراطورية بيزنطة. وصارت القدس التي كانت في ولاية فلسطين تابعةً للإمبراطورية البيزنطية. وكان العهد البيزنطي للقدس عهد استقرار وتمدن ونماء اجتماعي.[٨٦]

أولَى الأباطرة الذين جلسوا على سدة الحكم البيزنطي مدينةَ القدس أهميةً من حيث كونها مركزًا دينيًّا. وبُنيَ في تلك الحقبة كثير من الكنائس والمساكن لرجال الدين في القدس. وفي عام ٤٢٢ اقترح بطريرك القدس جوفينال (٤٢٠-٤٥٨م) أن يُحتفَل بيوم ٢٥ من شهر كانون الأول/يناير على أنه يوم مولد المسيح، ويُجعَل هذا اليوم من أعياد المسيحية، فُقبِل اقتراحه هذا ولقي دعمًا. وقد سعى البطريرك جوفينال لتكون للقدس المكانة التي تستحقها بين الكنائس، مراعيًا التوازنات داخل الإمبراطورية. ووُضِعَت كنيسة القدس في رأس هرم الكنائس في مجمع خلقيدونية المنعقد عام ٤٥١م، ونالت استقلالها، وصارت بطريركية مستقلة مثل روما والقسطنطينية وأنطاكيا والإسكندرية. فالقدس قبل هذا المجمع لم تستطع أن تصل إلى مقام عال بوصفها مركزًا دينيًّا على الرغم من قرار مجمع نيقية السابق الذي يعترف بحقوق القدس المتروبولية، وبقيت في الهرم الديني تابعة لمتروبولية قيصرية التابعة لبطريركية/كنيسة أنطاكيا، حتى عام ٤٥١م إذ صارت بطريركية/كنيسة مستقلة بقرار من مجمع خلقيدونية.[٨٧]

٨١ زايد، القدس الخالدة، ١٥٩؛ العارف، تاريخ القدس، ٣٨؛
Peters, Jerusalem, 137-139, 151-157; Armstrong, Jerusalem, 171, 173, 187-190; Montefiore, Kudüs, 150-151.

٨٢ محمود، تاريخ القدس، ٥٥-٥٦؛ شعث، القدس الشريف، ٤٢٧؛ العارف، تاريخ القدس، ٣٨-٣٩؛
Wilkinson, "Jerusalem under Rome and Byzantium", 95; Peters, Jerusalem, 145-147; Armstrong, Jerusalem, 193-196; Montefiore, Kudüs, 153-154.

٨٣ محمود، تاريخ القدس، ٥٦-٥٧؛ العارف، تاريخ القدس، ٣٩؛
Wilkinson, "Jerusalem under Rome and Byzantium", 98; Peters, Jerusalem, 157-161; Armstrong, Jerusalem, 176-179.

كنيسة القبر المقدس (أرشيف iStock)

أما المرحلة المهمة الثانية لتشييد المباني المسيحية في القدس فكانت في عهد أيودكسا زوجة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، إذ نُفيَت إلى القدس عام ٤٤٤م وعُيِّنت لمكانتها في الإمبراطورية حاكمةً على ولاية فلسطين. عاملت أيودكسا رجال الدين المسيحيين معاملة حسنة وأكرمتهم، وبنت كثيرًا من المباني الدينية والاجتماعية في المدينة. وتذكر المصادر أنها بنَت كنيسة الشهيد القديس استفانوس في الجانب الشمالي من باب دمشق، ودارًا للعجزة، وكنيسة عند بِركة سلوان حيث أبرأ النبي عيسى عينَي أعمى، وبضع كنائس تخليدًا لذكرى الحواريين. وبنت قصرًا لها يتسع لـ٦٠٠ راهبة في الزاوية الشمالية الشرقية من تل الهيكل. توفيت أيودكسا عام ٤٨٠م ودُفِنت في كنيسة القديس استفانوس. واسم «أيودكسا» يعني «الحُسن» في الإغريقية، ومن هنا كانت الصلة بين معنى الاسم ومقطع «أحسِن برضاك إلى صهيون. ابنِ أسوار أورُشليم»[٨٨] المذكور في سفر المزامير، واعتُقِدَ أن أيودكسا هي مَن بنت أسوار المدينة.[٨٩]

وكانت حركة البناء والعمران الأخيرة في القدس في عهد الإمبراطور جستنيان الأول (٥٢٧-٥٦٥م)، ففي عهده زادت سرعة بناء الكنائس والأديرة في المدينة. وكان جستنيان الإمبراطور البيزنطي الأخير الذي يعمر القدس. وتذكر المصادر أن من أهم الآثار المعمارية الدينية الكثيرة التي بناها كنيسة مريم أم الرب/تيوتوكسوس. ويُدَّعى أن هذه الكنيسة بُنيَت عند حائط البراق/المبكى وادَّعى آخرون أنها بُنيَت في أساس المسجد الأقصى، ولكن لا توجد أي أدلة أثرية حقيقية تبرهن هذا الادعاء. وعُرِفَت هذه الكنيسة التي افتُتِحَت عام ٥٤٣م بين الناس باسم الكنيسة الجديدة. ويُذكَر أن الكنيسة كانت تحفة معمارية، ولم تكن كنيسة فقط، بل كانت تشمل مستشفَيَين يتسع كل مستشفى منهما لـ١٠٠ شخص، وكان أحدهما للمرضى من الحجَّاج والآخر لمرضى المدينة. ولكن المسيحيين لم يُقبِلوا على هذه الكنيسة وإنْ كانت تُعرَف على أنها «لؤلؤة القدس البيزنطية»، وذلك لأنها لم تُنذَر لعيسى المسيح أو شخصية معروفة أو حدث مهم. ولهذا لم يُعِد المسيحيون بناءها بعد أن انهارت بزلزال ضرب المدينة عام ٧٤٦م. وأكثر الآثار العمرانية الدينية من كنائس وأديرة وغيرها التي كانت قائمة في القدس لقرون دُمِّرت أثناء غزو الفرس عام ٦١٤م، ولم تبقَ قائمة إلى اليوم.[٩٠]

٨٤ سفر المزامير ٥١: ١٨.

٨٥ زايد، القدس الخالدة، ١٥٩؛ "Wilkinson, "Jerusalem under Rome and Byzantium ٩٨-٩٩؛ Peters, Jerusalem; ١٦١-١٦٢، ١٦٩؛ Armstrong, Jerusalem ،٢٠٥-٢٠٨؛ Montefiore, Kudüs, ١٥٧-١٦٠.

٩٠ محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ٨٩-٩٠؛ العارف، تاريخ القدس، ٣٧، ٤٠؛ Peters, Jerusalem، ١٦٢-١٦٥؛ Armstrong, Jerusalem، ٢٠٩؛ Montefiore, Kudüs ١٦٢-١٦٤.

الفرس في القدس

خرجت القدس من قبضة البيزنطيين في بدايات القرن السابع الميلادي لمدة قصيرة، إذ استولى الفرس عليها عام ٦١٤م. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحادثة في سورة الروم، وسَخِر مشركو قريش من المسلمين حينئذ، ذلك أنهم فسَّروا غلبة الفرس على أن تعدد الآلهة أعلى شأنًا من عقيدة التوحيد.

وكان في جيش الفرس محاربون يهود. وقد طلبَ الفرس من اليهود أن يحاربوا في صفوفهم ضد البيزنطيين، فحاربوا معهم بهدف الاستيلاء على القدس. وقاوم أهلُ المدينة الفرسَ، ولكن بعد حصار دام لعشرين يومًا، استطاع الفرس أن يهدوا الأسوار الشرقية ويدخلوا المدينة. وكان الحصار شاقًّا، حتى إن الناس صاروا يأكلون لحوم الحيوانات الميتة. وغضب الفرس غضبًا شديدًا على أهل القدس لأنهم قاوموهم، فراحوا يُنكِّلون بهم ويسومونهم سوء العذاب. فذُبِح الآلاف من المسيحين، حتى صارت دماؤهم تجري في أزقة المدينة. وتذكر المصادر أن جيش الفرس واليهود هجموا على الناس «بغضب الحيوانات الوحشية»، ودمَّروا كنائس المدينة وأديرتها بما فيها كنيسة القبر المقدس. واستمر الظلم لثلاثة أيام، فقُتِل الكثير من الناس، وخُرِّبَت مباني المدينة. وتذكر المصادر أيضًا أن تسعين ألف مسيحي قُتِلوا أثناء غزو الفرس، وأن بعض الكنائس والأديرة التي بُنِيَت حتى ذلك الوقت دُمِّرت ولم تُبنَ مرة ثانية، فصارت صفحةً من صفحات التاريخ. وأما الذين هربوا ونجوا فذهبوا إلى جبل الزيتون وصاروا يشاهدون الدخان المتصاعد من المدينة التي تحترق. ولم يستطع قسم من الناس أن يهربوا، فاختبؤوا في الكهوف وخزانات المياه، ولمَّا أعطاهم القائد الفارسي شاهرباراز الأمان، خرجوا من مخابئهم. ولم يقتل هذا القائد المهرة في الفنون والمِهَن بين هؤلاء، بل أخذهم معه أسرى، وكان بينهم بطريرك القدس زكريا. وحمل الفرس معهم كنوز المدينة والأمانات المقدَّسة، وحملوا أيضًا الصليب المقدَّس من كنيسة القبر المقدس، وسلَّموا قيادة المدينة لليهود الذين أجبروا الباقين في المدينة بترك المسيحية واعتناق اليهودية، وقتلوا كلَّ مَن رفض ذلك. واجتمع اليهود في تل الهيكل، وراحوا يتعبدون، فكان ذلك فرصة لهم للعبادة على تل الهيكل بعد قرون.[٩١]

لم يدم حكم اليهود في القدس مدة طويلة، فبعد مرور ثلاث سنوات، اعتقد الفرس أن التعاون مع المسيحيين الذين يشكلون غالبية السكان في المنطقة أمرٌ أفضل لهم، فسلَّموا حكم القدس للمسيحيين عام ٦١٧م، وبذلك بدأ حكم المسيحيين من جديد. سعى اليهود للبقاء في المدينة وحكمها ولكن ذلك لم ينفعهم. وبدأ المسيحيون الذين صاروا يحكمون مدينة القدس التابعة للفرس بإعادة بناء كنيسة القبر المقدس وغيرها من الكنائس والأديرة، ولكن كثيرًا منها لم يُعَد بناؤه وصار جزءًا من التاريخ.[٩٢]

بقيت القدس نحوًا من خمسة عشر عامًا تحت حكم الفرس، ثم عادت إلى حكم البيزنطيين عام ٦٢٨م. إذ نجح الإمبراطور البيزنطي هرقل في استعادة المدينة من الفرس صلحًا، وعيَّنَ الراهبَ موديستوس بطريركًا للمدينة. وفعلَ المسيحيون باليهود مثلما فعلوا بهم قبل سنوات، أي قتلوا كلَّ مَن لم يعتنق المسيحية. وتذكر المصادر أن هرقل لم يكن راضيًا بذلك، ولكنه ما أراد أن يقف في وجه المسيحيين الذين كانت نار الانتقام تشتعل في نفوسهم. ولم يسترجع هرقل القدس فقط، بل استرجع أيضًا الأمانات المقدسة التي نهبها الفرس من المدينة وحملوها. وتذكر المصادر أن هرقل حملَ بنفسه الصليب المأخوذ من كنيسة القبر المقدس ومشى بقدمَين حافيتَين، ليعيده إلى الكنيسة. وكان ذلك في ١٤ أيلول/سبتمبر، ومنذ ذلك الوقت يحتفل بعض المسيحيين في الشرق بـ«عيد رفع الصليب». وظلت القدس في أيدي المسيحيين/البيزنطيين مدةً قصيرةً حتى فتحها المسلمون بعد عشر سنوات.[٩٣]

[٩١] نتشة، تاريخ مدينة القدس، ٣٧-٣٨؛ زايد، القدس الخالدة، ١٦٧؛ العارف، تاريخ القدس، ٤٤٠؛
Wilkinson, "Jerusalem under Rome and Byzantium", 100, 102; Peters, Jerusalem, 170-173; Armstrong, Jerusalem, 213-214; Montefiore, Kudüs, 165-166.

[92] Armstrong, Jerusalem, 214-215; Montefiore, Kudüs, 167.

[93] Wilkinson, "Jerusalem under Rome and Byzantium", 100-103; Peters, Jerusalem, 173-174; Armstrong, Jerusalem, 215-216; نتشة، تاريخ مدينة القدس، ٤٣٨؛ العارف، تاريخ القدس، ٤٤٠؛
Montefiore, Kudüs, 167-169.

المباني المسيحية في القدس

إن القدس التي تعد قِبلة المسيحيين مدينة عاشت فيها جماعات مختلفة من المسيحية لقرون طويلة. وصارت القدس مدينة مسيحية من أواسط القرن الخامس الميلادي حتى فتحها المسلمون، باستثناء المدة القصيرة التي حكم الفرس فيها المدينة. وبقيت المدينة بيد المسلمين منذ فتحها سنة ٦٣٨م حتى القرن العشرين، ما عدا فترة حكم الصليبيين لها بين عامَي ١٠٩٩-١١٨٧م وعامَي ١٢٢٩-١٢٤٤م. وبقيت القدس بيد المسيحيين من خروج العثمانيين منها عام ١٩١٧م حتى عام ١٩٤٧م. أي إن مجموع السنوات التي بقيت فيها القدس تحت حكم المسيحيين ٤٥٠ سنة من بداية تاريخها حتى قيام دولة إسرائيل. ظل المسيحيون يعيشون في القدس حتى أثناء حكم المسلمين وكانوا في حمايتهم، ولم يُكرَهوا على شيء، ولم يُمنَعوا من العمران. وقد عاشت في القدس لقرون جماعاتٌ مسيحيةٌ مختلفةٌ اعتقاديًّا وعِرقيًّا مثل الأرثوذكس، والكاثوليك، والبروتستانت، والأقباط، والأحباش، والأرمن، والمارونية، والروس، والسريان، والإنكليز، والألمان. بُنِيَت للمسيحيين مبان كثيرة مثل الكنائس والأديرة والكاتدرائيات والكنائس الصغيرة، والبازيليكات، والأضرحة، والمقابر، والمستشفيات، والمدارس، ومراكز إدارة الكنائس، سواء في حكم المسيحيين أو المسلمين. وأغلب هذه المباني كانت مستطيلة الشكل، أما عدد المباني دائرية الشكل فقليلة. ولحسن حظ المسيحيين أن المسلمين لم يسعوا لهدم هذه المباني، لذلك بقيت قائمة إلى أيامنا هذه. ويبدو الصراع المذهبي بين الطوائف المسيحية في المدينة واضحًا، لذلك نجد أن قسمًا من الأماكن المسيحية في المدينة مقدس لدى جميع الطوائف، ولكن قسمًا آخر مقدس لدى طوائف معيَّنة. وبعض من هذه المباني عظيمة فاخرة وبعضها بسيطة، وبعضها معطَّلة وبعضها قائمة، ومن هذه القائمة ما هو مغلق أمام الزوَّار. وفيما يلي بعض من المباني المسيحية المختلفة في القدس:

الكاتدرائية اليونانية في القدس (أرشيف القنصلية الألمانية في إسطنبول R٣١٣٢٢)

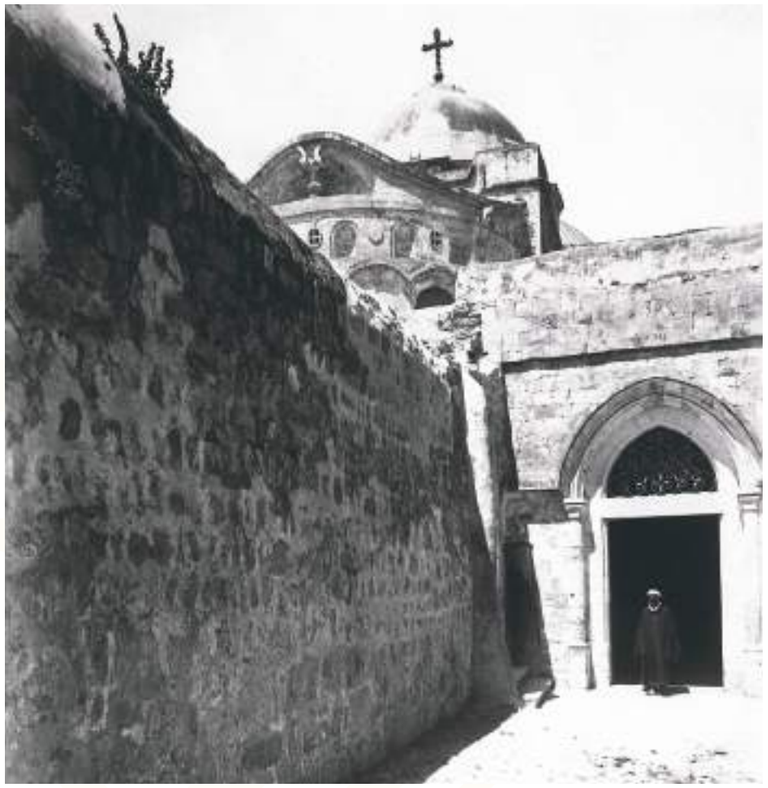

دير في القدس (أرشيف القنصلية الألمانية في إسطنبول R٣٢٥٠٨)

كنيسة القبر المقدس

تأتي كنيسة القبر المقدس على رأس قائمة الأماكن المقدسة المسيحية في القدس. وتقع داخل أسوار المدينة في حي النصارى القائم على تل أكرا أو غولغوثا/الجلجثة. وقد سُمِّيت الكنيسة باسم كنيسة القيامة وكنيسة الجمجمة المقدسة في المصادر المسيحية، وكنيسة القيامة وكنيسة القمامة في المصادر الإسلامية. يعتقد المسيحيون أن النبي عيسى صُلِبَ هنا، وقام بعد إنزاله من الصليب ودفنه. وتُعَد كنيسة القبر المقدس أقدس مكان لدى المسيحيين وقِبلتهم لأن قبر النبي عيسى فيها.

كنيسة القبر المقدس (أرشيف القنصلية الألمانية في إسطنبول R٣٢٤٨٥)

تُبنَى جميع الكنائس في العالَم مستقبلةً هذه الكنيسة، ليرمزَ هذا إلى العلاقة بين الكنيسة وكنيسة القبر المقدس. ويُعتقَد أن المذبحَ في كل كنيسة يربط جماعة المصلين بهذه الكنيسة. وفي هذه الكنيسة ٥ مراحل من ١٤ مرحلة في درب الآلام الذي سلكه النبي عيسى في أيام حياته الأخيرة في القدس التي يأتي إليها المسيحيون للحج. أما البروتستانت فلا يؤمنون بأن قبر النبي عيسى في هذه الكنيسة، بل في (قبر الحديقة) القريب من الكنيسة. [٩٤]

ويُعتقَد أن كنيسة القبر المقدس أقدم كنيسة بُنِيَت في القدس. فالكنيسة بنَتْها القديسة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين. إذ لمَّا زارت القدسَ، وجدت قبرًا فارغًا وبقايا الصليب الذي صُلِبَ النبي عيسى عليه، أثناء هدم معبد أفروديت/فينوس، فاعتقدت أن هذا القبر هو قبر النبي عيسى، وبَنَت كنيسة في ذلك المكان، ومنذ ذلك التاريخ بدأ المسيحيون بالحج إلى هناك. افتُتِحَت الكنيسة للعبادة بتاريخ ١٣ أيلول/سبتمبر عام ٣٣٥م، وهو تاريخ يحتفل به الأرثوذكس حتى اليوم. [٩٥] بنَت هيلانة هنا بناءَين، كان أحدهما بازيليكا كبيرة اسمها كنيسة الشهادة في المكان الذي نُصِبَ فيه الصليب على تل غولغوثا. وكان هذا البناء مستطيل الشكل بجانب فناء محاط بأعمدة. أما البناء الثاني فهو كنيسة القيامة المبنية على القبر الذي يُعتقَد أن النبي عيسى دُفِنَ فيه ثم قام، وكان هذا البناء دائري الشكل وفوقه قبة. [٩٦]

مشهد من الأعلى لكنيسة القبر المقدس

كنيسة القبر المقدس من الداخل

[89] Rita Bianucci, Art and History of Jerusalem, (Florence: Bonechi, 2006), 66; Ahmet Türkan, "Anahtarını İki Müslüman Ailenin Koruduğu Kilise: Kıyamet Kilisesi", Milel ve Nihal, 10: 2 (2013), 227-228.

[90] Erkan Aydın, Arz-ı Mukaddes Kudüs, (İstanbul: Çığır Yayınları, 2019), 245;
عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤)، ١٥٩.

[٩١] زايد، القدس الخالدة، ١٥٩-١٦٠.

Türkan, "Kıyamet Kilisesi", 227-228.

عندما استولى الفرس على القدس عام ٦١٤م، هجموا على الكنائس والأديرة في المدينة ونهبوها. وهدموا كنيسة القبر المقدس وحملوا ما فيها من أشياء مقدسة والصليب إلى عاصمتهم «المدائن/كتيسيفون». وبعد أن استعاد الإمبراطور هرقل المدينة عام ٦٢٨م، أعاد بطريرك الروم الأرثوذكس موديستوس (توفي: ٦٣٠م) بناءَ الكنيسة ولكن بحجم أصغر، وأُعِيدَت الأشياء المقدسة والصليب ووضِعَت في أماكنها. وعندما فتح المسلمون القدس عام ٦٣٨م، لم يقربوا كنيسة القبر المقدس، حتى إن الخليفة عمر بن الخطاب لم يصلِّ فيها تأكيدًا على ملكية المسيحيين للكنيسة.[٩٧]

في عام ٧٤٦م ضرب زلزال شديد المدينةَ فتضررت كنيسة القبر المقدس، وزاد الضرر بزلزال آخر في بدايات القرن التاسع الميلادي، فجاء بطريرك القدس توماس الأول بخشب الأرز والصنوبر من لبنان عام ٨١٠-٨١٧م، وأصلح قبة الكنيسة وغطَّاها بالرصاص. ويُروَى أن أبواب الكنيسة وقبتها احترقت في الحرائق التي نشبت في فترات مختلفة لاحقًا. وفي عام ١٠٠٩م دُمِّرت الكنيسة تمامًا بأمر من الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. وقَبِل الإمبراطور البيزنطي مونوماكوس الحادي عشر شرطَ بناء مسجد في القسطنطينية وقراءة الخطب باسم الخليفة الفاطمي من أجل السماح بإعادة بناء كنيسة القبر المقدس، وبذلك اتفق مع الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله وأُعيدَ بناء الكنيسة. وفي عملية البناء الجديدة بُنيَت كنيسة القيامة وحدها، وبُنيَت خمس كنائس صغيرة في جانبها الشرقي. ويُذكَر أنه لم يُبنَ شيء على أنقاض بازيليكا كنيسة الشهادة، بل بُنيَ مخزن عليها. وقد دفع الإمبراطور نفقات البناء، وافتُتِحت الكنيسة للعبادة عام ١٠٤٨م.[٩٨]

وحينما احتل الصليبيون القدس عام ١٠٩٩م، بدؤوا بإعادة بناء كنيسة القبر المقدس. ولكن عملية البناء غيَّرت شكل كنيسة القبر المقدس. فقد بنوا كنيسة القديسة هيلانة فوق المخزن الذي كان على أنقاض البازيليكا، وألحقوا بها أبنية استعملوا فيها القناطر والأروقة. واكتمل بناء الكنيسة على الطراز الرومانسكي في عهد الملكة مليسندا عام ١١٤٩م. وبُنيَت الكنيسة الجديدة على هيئة بناء واحد، وجُعِلت جميع الأبنية في موقع كنيسة القبر المقدس تحت سقف واحد. وعندما استعاد صلاح الدين الأيوبي القدس من الصليبيين عام ١١٨٧م، اقتدى بالخليفة عمر، فلم يهدم الكنيسة، وبنى بجانبها مسجدًا وتكية.[٩٩]

وقد رُمِّمَت الكنيسة مرات كثيرة في العصور اللاحقة، ورُمِّم القبر المقدس أيضًا. ونشبَ حريق عام ١٨٠٨م فيها، فأصابها ضرر كبير واحترقت القبة وسقطت. فطلبَ الرومُ عام ١٨١٠م الإذنَ من السلطان العثماني مراد الثاني كي يرمِّموا الكنيسة، فرمَّموها وبقيت على الشكل الذي عليه اليوم. وقد وقعت أجزاء من الكنيسة بزلزال ضرب المدينة عام ١٨٣٤م. ورُمِّمَت الكنيسة عام ١٨٦٩م باتفاق يقضي بدفع فرنسا وروسيا النفقات، وإشراف الدولة العثمانية على عملية الترميم. وتضررت الكنيسة كثيرًا بزلزال عام ١٩٢٧م وحريق عام ١٩٤٩م. وكان السبب في عملية الترميم البطيئة التي بدأت عام ١٩٥٨م هو الخلاف بين طوائف الكنيسة.[١٠٠]

صورة من الداخل لكنيسة القبر المقدس (أرشيف İYV)

[92] Talha Uğurluel, Dinlerin Başkenti Kudüs: Eski Şehir, (İstanbul: İnkilap, 2018), 308;
عارف باشا العارف، تاريخ القدس، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٤)، ٢٦٥-٢٦٦؛ زايد، القدس الخالدة، ١٦١.

[93] Bianucci, Art and history of Jerusalem , 66;
زايد، القدس الخالدة، ١٦١-١٦٢؛ العارف، تاريخ القدس، ٢٦٦.

[94] العارف، تاريخ القدس، ٢٦٦.

[95] Uğurluel, Dinlerin Başkenti Kudüs, 309; Bianucci, Art and History of Jerusalem, 66;
العارف، تاريخ القدس، ٢٦٧-٢٦٨.

وكنيسة القبر المقدس في أيامنا هذه تشغل مساحة كبيرة، فيها كنائس صغيرة وأديرة ومقابر، ومخازن في طابقها السفلي، ومُجمَّع ضخم في كل طابق منه غرف صغيرة، وفوقه قبَّتان قائمتان على أعمدة عظيمة. وفي عام ١٩٣٠م حُمِلَ فسيفساء الكنيسة وزخرفتها إلى متحف روكفلر.[١٠١] وقُسِّمَت الكنيسة بين الطوائف المسيحية مثل الكاثوليكية والأرثوذكسية والأرمنية والسريانية والقبطية والحبشية. وكان التقسيم تقسيمًا دقيقًا شملَ السقف والدرجات والأمانات المقدسة، باستثناء المخزن والغرف والممرات. وصار هذا التقسيم تقسيمًا رسميًّا بمرسوم الوضع الراهن (Status Quo) في القرن التاسع عشر أثناء حكم العثمانيين، وما زال هذا المرسوم ساريًا حتى اليوم.[١٠٢] ولم يكتفِ بعض من رجال الدين الموظفين في الكنيسة بحصَّتهم، فصاروا يتطلعون إلى حصص غيرهم على أمل زيادة الثواب، ولذلك شهدت الكنيسة حوادث دامية.[١٠٣] وقد بقيت هذه النزاعات والصراعات حتى أيامنا هذه، وثمة أمثلة مأساوية تثير الضحك لعناد الأطراف منها «السلم الخشبي الباقي على جدار الكنيسة». وقد سُلِّمَت مفاتيح الكنيسة لأسرتَين مسلمتَين لتدابير أمنية. وهاتان الأسرتان المسلمتان تؤديان هذه المهمة منذ قرون حتى يومنا هذا، وهما أسرة نُسيبة التي تحمل المفاتيح، وأسرة جودة المسؤولة عن فتح الأبواب.[١٠٤]

والمقر الأساسي لكنيسة الروم الأرثوذكس في القدس هو كنيسة القبر المقدس.

بستان جَثْسَيماني، كنيسة كل الأمم

يقع بستان جَثْسَيماني خارج المدينة القديمة،

بستان جَثْسَيماني (أرشيفİYV)

كنيسة القيامة (أرشيف IRCICA-FAY.٠٩,١٣,١٧)

في وادي قدرون على سفح جبل الزيتون. وهو البستان الذي زار النبي عيسى فيه حواريه وهم نائمون وقام للعبادة، وقُبِضَ عليه وهو يلقي على حواريه خطابه الأخير، ويُعتقَد أن أشجار الزيتون هناك من زمن النبي عيسى. ويثير هذا البستان لدى المسيحيين مشاعر مختلفة أثناء زيارتهم له، فهو المكان الذي عاش فيه النبي عيسى آخر لحظات حريته.

وتقع كنيسة كل الأمم أمام بستان جَثْسَيماني. والاسم الحقيقي لهذه الكنيسة «بازيليكا الكرب». وكانت هنا كنيستان قديمتان: بازيليكا بيزنطية وكنيسة صغيرة للصليبيين. بُنيَت بازيليكا البيزنطيين في القرن الرابع الميلادي وانهارت بزلزال عام ٧٤٦م. أما كنيسة الصليبيين فبُنيَت في القرن الثاني عشر، وتُرِكَت عام ١٣٤٥م. أما بازيليكا الكرب الحالية فبُنيَت على أنقاض الكنيستَين في أوائل القرن العشرين بإشراف المهندس المعماري أنطونيو بارلوزي. وقد تولى نفقات بناء هذه البازيليكا ١٢ دولة بين عامَي ١٩١٩ و١٩٢٤م، وتكفلت دول أخرى بلوحة الفسيفساء. ومن هنا جاء اسمها: كنيسة كل الأمم. ووضِعَت رموز الدول المشاركة في البناء في سقف الكنيسة من الداخل.

[96] Uğurluel, Dinlerin Başkenti Kudüs, 309.

[97] Halit Eren – Sefer Turan, Fotoğraflarla Dünden Bugüne Kudüs, (İstanbul: TİKA, 2015), 122; Uğurluel, Dinlerin Başkenti Kudüs, 310-312;
العارف، تاريخ القدس، ٢٧٢.

[98] العارف، تاريخ القدس، ٢٦٨-٢٧٣.

[99] Eren –Turan, Kudüs, 114; Aydın, Arz-ı Mukaddes Kudüs, 247-250; Uğurluel, Dinlerin Başkenti Kudüs, 313;
زايد، القدس الخالدة، ١٦٣.

تمثل كنيسة كل الأمم الطرازَ المعماري الإسلامي والبيزنطي بقبَّتها وأعمدتها الضخمة والفسيفساء في أرضيتها. ومما يجعل منظر الكنيسة مدهشًا الأعمدة المتقاربة في جانبها الأمامي، ولوحة الفسيفساء التي تجعل «المسيح عيسى وسيلة بين الرب والإنسان». وقد كُتِبَت مقاطع من الإنجيل تذكر العذاب الذي عاناه النبي عيسى، في القسم العلوي من الأعمدة الأربعة. صمَّم البروفسور غيوليو بارغليني لوحة الفسيفساء والزخرفات في الجبهة. والمذبح في البازيليكا مطل على صخرة كان النبي عيسى يتعبد فوقها وهو يتألم ليلة القبض عليه. وهذه الصخرة محاطة بإكليل من أشواك مصنوعة من الحديد رمزًا لإكليل الشوك الذي وُضِعَ على رأس النبي عيسى.

تعود كنيسة كل الأمم لطائفة الرومان الكاثوليك ويديرها رهبان فرانسيسكن. غير أن الطوائف الأخرى تستعمل المذبح في الحديقة. [١٠٥]

كنيسة مريم المجدلية

تملك كنيسة الروس الأرثوذكس هذه الكنيسة التي تقع قريبًا من بستان جثسيماني، في وادي قدرون أمام الحرم الشريف. وللكنيسة قِبَب لامعة بلون ذهبي تمثل الكرملين بين الكنائس في سفح جبل الزيتون، وتظهر الكنيسة بمظهر يذكِّر الناظر إليها بالحكايات الخيالية.

يعتقد المسيحيون أن مريم المجدلية أول مَن رأى النبي عيسى بعد قيامه. وقد بنَى هذه الكنيسة باسمها ألكسندر الثالث عام ١٨٨٦م تخليدًا لذكرى أمه ماريا ألكساندروفنا. ويُذكَر أن بعضًا من الأشياء الخاصة بمريم المجدلية تُحفَظ في صندوق خشبي خاص في هذه الكنيسة. وللكنيسة سبع قباب على شكل بصلة بالطراز المعماري الروسي الكلاسيكي الخاص بالقرنين السادس عشر والسابع عشر.

وقد دُفِنت في هذ الكنيسة دوقةُ روسيا الكبرى إليزابيث فيودوروفنا وصديقتُها الراهبة سانتا باربارا ياكوفليفا اللتان قُتِلتَا أثناء الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧م . وأرادت أليس أميرة بيتنبرغ وهي قريبة الدوقة فيودوروفنا وأم زوج الملكة إليزابيث الثانية أن تُدفَن هنا، وتوفيت في قصر باكنغهام عام ١٩٦٩م، فنُقِل رفاتها إلى قبر في الطابق السفلي من الكنيسة عام ١٩٨٨.

وكنيسة مريم المجدلية موجودة في طقوس القربان المقدس لدى الكنيسة الروسية الأرثوذكسية، وهي مقر الكنيسة الروسية في فلسطين. [١٠٦]

كنيسة مريم المجدلية (أرشيفİYV)

كنيسة مريم المجدلية (أرشيف IRCICA- FAY.٣٤,٤٥,١٤)

[100] Aydın, Arz-ı Mukaddes Kudüs, 185-187; Bianucci, Art and history of Jerusalem, 130-135;
العارف، تراريخ القدس، ٢٤٦.
[101] Aydın, Arz-ı Mukaddes Kudüs, 184; Bianucci, Art and history of Jerusalem, 140-141; Eren – Turan, Kudüs, 182-183;
العارف، تاريخ القدس، ٢٥٧.

دير رقاد العذراء

يقع الدير خارج المدينة القديمة داخل السور بالقرب من باب صهيون. ويُعَدُّ من أعظم العناصر المعمارية المسيحية في القدس من حيث مساحته وموقعه وجماله. وسُمِّي بهذا الاسم لأنه بُنيَ في المكان الذي يُعتقَد أن السيدة مريم قد توفيت فيه. وقد عُثِرَ على بازليكا هاغيا صهيون في موقع الدير في أوائل القرن الخامس الميلادي، وقد هُدِمَ أثناء غزو الفرس للمدينة. وظهرت جماعة دينية باسم «سيدتنا في صهيون» في عهد الصليبيين وبنت كنيسة هنا. وعندما هُدِمَ المكان في القرن الثالث عشر، انتقل المنعزلون هنا إلى سيسيليا.

وفي عام ١٨٩٨م اشترى الإمبراطور الألماني فيليهلم/غليوم الثاني موقعَ الدير أثناء زيارته للقدس من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني. وكان هدف السلطان عبد الحميد من بيع الأرض للألمان الحفاظ على التوازن مع زيادة قوة روسيا في القدس. وُضِعَ حجر أساس الدير عام ١٩٠٠م، وبُنيَ بين عامَي ١٩٠٦ و١٩١٠. وأراد الإمبراطور الألماني أن يُظهِر قوة الألمان، فظهرَ الدير على شكل قلعة. ويبلغ ارتفاع الدير ٣٤ مترًا أي بارتفاع ١٢ طابقًا وأبعاده ٦٠ مترًا وهو مؤلف من أربعة طوابق.

بُنيَ الدير على شكل دائري وكذلك الأبراج حوله. والدير يدمج بين أسلوب الشرق والغرب في العمارة، فهو بطرازه المعماري الرومنسكي يذكِّر بكاتدرائيات أوروبا القديمة، وبحجارته الحمراء والبيضاء المصفوفة يذكِّر بالعهد المملوكي. وللمبنى المركزي للدير أبراج على أطرافه الأربعة، وهو مناسب معماريًّا للتراتيل الدينية.

والدير في داخله غني بالفسيفساء. فلوحة الفسيفساء التي تصوِّر طوفان نوح تمثل أن النجاة في المسيحية. وفي لوحة المسيح الذي يمسك بيد أمه، كُتِبَت جملة: «أنا نور العالَم» في الكتاب المفتوح بيد المسيح. وتحت هذه اللوحات الفسيفسائية ثمة تصاوير لأنبياء يبشِّرون بقدوم المسيح. وهناك أسماء الأنبياء الذين ذُكِرُوا في النصوص المقدسة اليهودية وتصاويرهم، وكذلك تصاوير الحواريين، دلالةً على أن حلقة المستقبل لم تُقطَع.

يتولى الدير رجال الدين المنتسبين لجماعة البندقية ذات المذهب الكاثوليكي. وقد تعرضَ الدير بعد قيام دولة إسرائيل لهجمات الشبان اليهود مرات عديدة بتحريض من المتطرفين اليهود.

[102] Aydın, Arz-ı Mukaddes Kudüs, 240-241; Bianucci, Art and History of Jerusalem, 122-123.

قبر البستان

يقع هذا القبر خارج أسوار المدينة القديمة قرب باب دمشق. ويعتقد البروتستانت أن هذا المكان المكان الحقيقي الذي صُلِبَ فيه النبي عيسى ودُفِن ورُفِعَ إلى السماء. وتذكر النصوص المقدسة المسيحية أن النبي عيسى صُلِبَ قرب بستان خارج المدينة ودُفِنَ في قبر قريب من صخر، ومن هنا جاء اسم القبر.

وقد انعكسَت معارضة البروتستانت للكاثوليك على موضوع تحديد المكان الذي صُلِبَ فيه النبي عيسى، فقد فُتِحت موضوعات للنقاش العلمي من بدايات القرن التاسع عشر لا سيما موضوع بناء كنيسة القبر المقدس في المكان الصحيح، وادُّعيَ أن موقع كنيسة القبر المقدس لا يتوافق مع التصاوير المذكورة في الإنجيل، ووُصِفَت العلامات بصورة مفصَّلة.

وقد زارَ الضابط البريطاني غوردون القدسَ عام ١٨٨٣م وبحث عن القبر الحقيقي. وركَّزَ عمليةَ بحثه في موقع صخرة تشبه الجمجمة قرب باب دمشق معتقدًا أن ذلك الموقع هو موقع غولغوثا/جلجثة الحقيقي. وادَّعى أثناء بحثه أنه وجد أشياء تحمل علامات تدل أن الموقع موقع غولغوثا الحقيقي. وادعى غوردون أن أحد القبور المكتشفة في الموقع عام ١٨٦٩م هو قبر النبي عيسى، وفسَّر أن البركة القديمة ومحل عصر الخمر هنا هو البستان المذكور في إنجيل يوحنا (١٩: ٤١).

ومع تملك «الإيفانغليين الأنجليكية» لقبر البستان من عام ١٨٩٤م بدأ أتباع طائفة البروتستانت الآخرون بزيارة المكان. ويزور أتباع الطوائف المسيحية الأخرى هذا المكان، وإنْ كان البروتستانت وحدهم مَن يعتقدون أن هذا المكان هو الغولغوثا الحقيقي.[١٠٨]

كاتدرائية القديس يعقوب

تقع الكاتدرائية داخل أسوار المدينة القديمة في حي الأرمن، وهي من الكنائس المزخرفة الفاخرة في القدس. وقد بُنيَت هذه الكاتدرائية في عهد الصليبيين في القرن الثاني عشر الميلادي على أنقاض كنيسة كانت قد بُنيَت في بدايات القرن الخامس الميلادي.

ويعتقد الأرمن أن شخصيَّتَين مهمَّتَين في العرف المسيحي مدفونتان هنا وهما: يعقوب أخو النبي عيسى وقائد جماعة دينية في القدس، والقديس يعقوب بن زبدي من حواريي عيسى. ويعقوب بن زبدي رأسه فقط مدفون هنا.

[103] Bianucci, Art and History of Jerusalem, 149;

العارف، تاريخ القدس، ٢٦١.

غُطِّيَت أرضية الكنيسة بالبلاط الأزرق ولا تُستعمَل الكهرباء فيها، بل تُضَاء بالمصابيح. وللكنيسة قبة وجدرانها مغطاة بالسيراميك الأزرق والأخضر، وفيها مذابح مُذهَّبة، وثُريَّات كبيرة، ومصابيح كثيرة بيضوية الشكل، ولوحات، ومما يزيد من روعة الكنيسة وعظمتها النقوش والزخارف والتلبيس بالصدف. وتضيف ثياب الرهبان كثيرة النقوش والمصابيح والبخور والتراتيل جوًّا يعيد الإنسان إلى الشرق القديم. وفي ساحة الكنيسة عمود خشبي معلَّق على السقف بالعرض من أجل قرع الناقوس للدعوة إلى العبادة.

وأمام الكاتدرائية عرشَان، أحدهما واسع ومنقوش بصورة متعرجة وهو مخصص للقديس يعقوب أخو النبي عيسى. وهذا العرش تحت مظلة على شكل بصلة. وتحيط الشبكة الحديدية خلف العرش بالقبر. أما العرش الصغير فهو مقام بطريرك الأرمن الأرثوذكس. والكنيسة في الوقت نفسه مقر بطريركية الأرمن في القدس.[١٠٩]

دير القديس مرقس السرياني

وهو بناء بسيط يقع في حي الأرمن داخل سور المدينة القديمة، وقد بُنيَ على أنه كنيسة ودير تخليدًا لذكرى القديس مرقس. يرى السريان أن هذ الدير أول كنيسة في الأرض بادعائهم أنه البيت المذكور في النصوص المقدسة المسيحية.[١١٠] والمعلومة في هذا الشأن منقوشة على الجدار عند المدخل. فقد وُجِدَت كتابة في أعمال الترميم عام ١٩٤٠ عليها: «هنا بيت مريم أم يوحنا المعروف باسم مرقس. وقد أعلن الحواريون هذا المكان كنيسة باسم مريم العذراء أم الرب بعد صعود سيدنا إلى السماء. هدمَ تيتوس الكنيسة عام ٧٣م ثم أُعيدَ بناؤها». ويشكِّك بعض من الخبراء بصحَّة هذه الكتابة، ولكن السريان يعتقدون أنها كُتِبَت في القرن السادس الميلادي. وتذكر السجلات التاريخية أن الزوَّار كانوا يأتون إلى هذا البيت حين بدأت عبادة الحج في المسيحية في القرن الرابع.

ويدَّعي السريان أن العشاء الأخير كان في هذا البيت، ولمَّا نجا الحواري بَتروس بعون المَلَك من السجن، جاء إلى هذا البيت. فتضفي هذه الأمثلة القداسةَ إلى البيت.

يحتفظ هذا الدير ببقايا الصليب الذي لفظ عليه عيسى المسيح أنفاسه الأخيرة كما يدعي المسيحيون، وكثيرًا من أغراض القدِّيسين. وفي هذا الدير أيضًا المكتبة المشهورة التي تضم كتب كبار الكهنة السريان.

رُمِّمَ الدير وأُعيدَ بناؤه بضع مرات في تاريخه. وآخر عملية ترميم كانت عام ١٨٥٨م والكنيسة اليوم كما كانت عليه منذ ذلك التاريخ. ويُشرِف رجال الدين السريان الأرثوذكس على الدير والكنيسة.[١١١]

[104] Uğurluel, Dinlerin başkenti Kudüs, 253-256; Bianucci, Art and History of Jerusalem, 118; https://en.qudsinfo.com/know-quds/churches/.

[106] Uğurluel, Dinlerin başkenti Kudüs, 253-256; Bianucci, Art and History of Jerusalem, 118; https://qudsinfo.com/know-quds/.

العارف، تاريخ القدس، ٢٥١؛

[١٠٥] سفر أعمال الرسل ١٢: ١٢.

العارف، تاريخ القدس، ٢٥٥؛

المراجع العربية

إسكندر، ميخائيل مكسي. القدس عبر التاريخ: دراسة جغرافية تاريخية أثرية. الجيزة: رسيس، ١٩٧٢.

العارف، عارف باشا. المصطفى في تاريخ القدس. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥.

العارف، عارف باشا. تاريخ القدس. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٤.

شعث، شوقي. القدس الشريفة. الرباط: منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة- الإيسيسكو، ١٩٨٨.

زايد، عبد الحميد. القدس الخالدة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.

غازي، خالد محمد. القدس: سيرة مدينة. المنيا: دار الهدى، ١٩٩٨.

محاسنة، محمد حسين وآخرون. تاريخ مدينة القدس. الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٢٣/٢٠٠٣.

محمود، شفيق جاسر أحمد. تاريخ القدس. عمان: دار البشير، ١٩٨٤.

نتشة، رفيق شاكر وآخرون. تاريخ مدينة القدس. الرياض/عمان: دار الكرمل، ١٩٨٤.

المراجع باللغات الأخرى

Abramsky, Samuel – Gibson, Shimon. “Jerusalem”. Encyclopaedia Judaica (2. Edit.) Ed. Fred Skolnik, 11/144. Detroit: Thomson Gale, 2007.

Adam, Baki. Yahudi Kaynaklarına Göre Tevrat. İstanbul: Pınar Yayınları, 2001.

Armstrong, Karen. A History of Jerusalem: One City Three Faithes. New York: Ballantine Books, 1997.

Aydın, Erkan. Arz-ı Mukaddes Kudüs. İstanbul: Çığır Yayınları, 2019.

Bahat, Dan. The Illustrated Atlas of Jerusalem / Shlomo Ketko. Jerusalem: Carta, 1996.

Besalel, Yusuf. Yahudi Tarihi. İstanbul: Universal, 2000.

Bianucci, Rita. Art and History of Jerusalem. Florence: Bonechi, 2006.

Bozkurt, Nebi. “Kubbetu’s-Sahre”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 26/304-308. Ankara: TDV Yayınları, 2002.

Danby, Herbert (Ed.). The Mishnah. Oxford: Oxford University Press, 1992.

Epstein, Rabbi Isidore (Ed.). The Babylonian Talmud. London: The Soncino Press, 1978.

Eren, Halit–Turan, Sefer. Fotoğraflarla Dünden Bugüne Kudüs. İstanbul: TİKA, 2015.

Franken, H.J. “Jerusalem in the Bronze Age: 3000-1000 B.C.”. Jerusalem in History. Ed. K.J. Asali. Essex: Scorpion, 1989, 11-41.

Friedman, H. – Simon, M. (Ed.). Midrash Rabbah. 10 Cilt. London: The Soncino Press, 1939.

Gray, John. The Legacy of Canaan: The Ras Shamra Texts, Their Relevance. Leiden: Brill, 1957.

Hale, William. History of the Jews: From the Time of Alexander the Great to the Destruction. London: William Cloves 1850.

Har-El, Menashe. Golden Jerusalem. Jerusalem: Gefen, 2004.

https://en.qudsinfo.com/know-quds/churches/.

https://qudsinfo.com/know-quds/.

Josephus Flavius. Josephus Complete Works / William Whiston. Michigan: Kregel Publications, 1970.

Killebrew, Ann E. “Jerusalem during the First and Second Temple Periods: Recent

Excavations and Discoveries on and Near the Temple Mount”. Temple of Jerusalem: From Moses to the Messiah. Ed. Steven Fine. Leiden: Brill 2011, 365-386.

Loewenberg, Meir F. “A Synagogue on Har Habayit in the 7th Century: Dream or Historical Fact?”. Hakirah the Flatbush Journal of Jewish Law and Though. 21 (Summer 2016): 253-262.

Mendenhall, George E. “Jerusalem from 1000-63 BC”. Jerusalem in History. Ed. K.J. Asali. Essex: Scorpion, 1989, 42-74.

Montefiore, Simon S. Kudüs: Bir Şehrin Biyografisi / Cem Demirkan. İstanbul: Pegasus Yayınları, 2016.

Peters, Francis E. Jerusalem. Princeton: Princeton University Press, 1995.

Roy, A. Rozenberg. “The God Sedeq”. Hebrew Union College Annual. 36 (1965): 161-177.

Smith, George Adam. Jerusalem: The Topography, Economics and History from the Earliest Times to A.D. 70. 2 Cilt. London: Hodder and Stoughton, 1907.

Steiner, Margreet. “Expanding Borders: The Development of Jerusalem in the Iron Age”. Jerusalem in Ancinet History and Tradition. Ed. Thomas Thompson. London: T-T Clark, 2003, 68-79.

Sweeney, Marvin A. The Prophetic Literature: Interpreting Biblical Texts Series. Nashwille: Abingdon Press, 2005.

Türkan, Ahmet, “Anahtarını İki Müslüman Ailenin Koruduğu Kilise: Kıyamet Kilisesi”.

Milel ve Nihal. 10:2 (2013): 227-236.

Uğurluel, Talha. Dinlerin Başkenti Kudüs: Eski Şehir. İstanbul: İnkilap, 2018.

Wiemers, Galyn. Jerusalem: History, Archeology and Apologetic Proof of Scripture.

Waukee: Last Hope Books, 2010.

Wilkinson, John. “Jerusalem under Rome and Byzantium”. Jerusalem in History.

Ed. K.J. Asali. Essex: Scorpion, 1989, 75-104.

فتح المسلمين للقدس، والقدس في عهد الخلفاء الراشدين

* عثمان آيدنلي

تُعَدُّ القدس أو بيت المقدس مدينةً مقدسةً وذات شأن لدى المسلمين، فإليها أشارت الآيات[1] من العهد المكي حتى أواسط السنة الهجرية الثانية وكذلك الأحاديث الشريفة،[2] وشهدت هذه المدينة حادثة الإسراء والمعراج. فقد قال الله تعالى في سورة الإسراء في كتابه الكريم: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).[3] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث شريف رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى».[4] وعن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: يا رسول الله، أفتِنا في بيت المقدس فقال: «ائتوه فصلوا فيه» وكانت البلاد إذ ذاك حربًا، «فإن لم تأتوه وتصلوا فيه، فابعثوا بزيت يسرج في قناديله».[5]

إن القدس مدينة مقدَّسة في الإسلام ولها مكانة معنوية رفيعة لدى المسلمين، ولا شك أن فتحها كان للمسلمين أعظم من فتح البلدان الأخرى أثناء الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين. وقد استطاع سيدنا أبو بكر (ت: ٦٣٤م) بجيش الإسلام الذي يقوده خالد بن الوليد (ت: ٦٤٢م) أن يقضي على حركة الردة التي اتخذت منحنى خطيرًا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ووجَّه الجيوش لقتال أعظم إمبراطوريتَين آنذاك وهما: الساسانية والبيزنطية، أي نحو العراق والشام.

* الأستاذ المساعد د. عثمان آيدنلي، عضو الهيئة التدريسية في قسم تاريخ الإسلام في كلية الإلهيات بجامعة مرمرة.
osman.aydinli@marmara.edu.tr

[1] انظر: الإسراء، ١/١٧؛ المائدة، ٢١/٥؛ الأعراف، ١٣٧/٧؛ الأنبياء، ٧١/٢١، وغيرها من السور.

[2] انظر: البخاري، صحيح البخاري، (إسطنبول: المكتبة الإسلامية، ١٩٨١)، فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ١، ٦؛ مسلم، الجامع الصحيح، (القاهرة: ١٩٩١)، الحج، ٥١١-٥١٣؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، (إسطنبول: منشورات تشاغري، ١٩٨١)، إقامة الصلاة، ١٩٨.

[3] الإسراء، ١/١٧.

[4] مسلم، الحج، ٥١١-٥١٣؛ ابن ماجه، إقامة الصلاة، ١٩٨.

[5] أبو داود، الصلاة، ١٤.

ولا بد قبل أي شيء أن نبيِّن أنه كانت هناك تفسيرات وتعليقات مختلفة على مدى قرون حول أولى الفتوحات الإسلامية التي حيَّرت العالَم وتحققت بسرعة غير مسبوقة في التاريخ.[٦] فالباحثون الغربيون على وجه الخصوص حاولوا في تفسيراتهم وتقييماتهم أن يقلِّلوا من شأن دين الإسلام، ويركزوا على المصالح والمنافع المادية، أي إنهم تجاهلوا السبب الأساسي لهذه الفتوحات، ألا وهو روح الجهاد، وفِكرة الشهادة، أي- باختصار- رسالة الإسلام العالمية. مع أن غاية المسلمين الأولى كانت إيصال كلمة الله العليا إلى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، فيصل نورُ الإسلام وعدله إلى المظلومين في أرجاء الأرض، فيُخرجونهم إلى النور، ويفصلون بين الحق والباطل. فإن ماتوا في هذا السبيل، نالوا الجنة ودرجة الشهادة التي هي أعلى الدرجات التي بُشِّر بها في القرآن والسُّنَّة. وإنْ بقوا أحياء، بلَّغوا دينَ الله في أرجاء الأرض، وكانوا وسيلةً لتحرر الناس من الجهل وعيشهم بالعدل، فنالوا ثواب ذلك، وانتفعوا من النِّعَم الدنيويَّة. فغاية هذه الفتوحات الأساسية كانت الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، ولم يكن ذلك الجهاد هدمًا أو تخريبًا أو استيلاءً، بل طريقةً للمسلمين يلجؤون إليها عند الضرورة لنشر السلام والأمن والعدل. فالعنصر الحقيقي في هذه الفتوحات باختصار كان دين الإسلام.[٧]

أرسل سيدنا أبو بكر الصديق الذي كان أول خليفة للمسلمين أربعةَ جيوش نحو جبهة الشام،[٨] وكان على رأس هذه الجيوش: أبو عبيدة بن الجرَّاح (ت: ٦٣٩م)، وعمرو بن العاص (ت: ٦٦٤م)، وزيد بن أبي سفيان (ت: ٦٣٩م)، وشرحبيل بن حسنة (ت: ٦٣٩م). وكلَّف الجيش الذي كان تحت إمرة عمرو بن العاص بفتح منطقة فلسطين التي تقع القدس فيها. واستطاعت الجيوش المتجهة نحو الشام أن تنتصر في معركة أجنادين في سنة ١٣هـ/٦٣٤م، ثم في معركة اليرموك في سنة ١٥هـ/٦٣٦م بعد انتصارات كثيرة، وكانت معركة اليرموك هذه الضربة القاضية للبيزنطيين في الشام، فما بقي عائق أمام المسلمين لفتح باقي أراضيها. ولاحقت الجيوش الإسلامية بقيادة أبو عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه فلولَ جيش البيزنطيين الهاربين إلى مناطق شتى مثل فلسطين وأنطاكيا وحلب والجزيرة، وطارد خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي كان أفضل قادة ابن الجرَّاح البينزطينَ إلى دمشق ثم من هناك إلى حمص،[١٠] واستطاع المسلمون أن يفتحوا بسهولة مدن الشام التي كانوا قد فتحوها من قبل ولكنهم انسحبوا منها للإعداد لمعركة اليرموك. لأن غير المسلمين جرَّبوا الحكم الإسلامي العادل خلال بضع سنوات فرضوا وفرحوا به، فراحوا يفتحون أبواب المدن على مصاريعها في كل مدينة يمر المسلمون بها، ويستقبلونهم أحسن استقبال، ويدفعون الجزية.[١١]

ثم سارَ أبو عبيدة رضي الله عنه وقائد طلائع جنده خالد بن الوليد رضي الله عنه نحو مدن الشام الأخرى مثل حلب وأنطاكيا ومعرة مصرين وقورس وجبرين وتل أعزاز ومنبج، وفتحوها صلحًا.[١٢]

[٦] انظر مثلًا:

Leoni Caetani, İslam Tarihi / Hüseyin Cahid, İstanbul: 1924-1927), 3: 91.

[7] Osman Aydınlı, Ebu Ubeyde b. el-Cerrâh, (İstanbul: İFAV Yayınları, 2015), 98-100;

للاستزادة انظر:

Mustafa Fayda, Halid b. Velid, (İstanbul: Çağ Yayınları, 1990), 300-301.

[٨] يقول ياقوت الحموي في الشام: «وأمَّا حدُّها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جبلَي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم وما بشأمة ذلك من البلاد، وبها من أمهات المدن منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرة، وفي الساحل أنطاكية وطرابلس وعكا وصور وعسقلان وغير ذلك، وهي خمسة أجناد: جند قنسرين وجند دمشق وجند الأردن وجند فلسطين وجند حمص». (ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٠)، ٣:٣١٢). أي إن الشام آنذاك كانت تضم أراضي سوريا وفلسطين وإسرائيل والأردن ولبنان وجنوب شرقي الأناضول.

[٩] البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع- عمر أنيس الطباع، (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٩٨٧)، ص: ١٥٠-١٥١، ١٥٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ)، ٣: ٣٨٧ (١: ٢٠٧٩)؛ ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٧)، ٤٤٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الناشر: كارلوس يوهنس تورنبرغ، (بيروت: دار صادر- دار بيروت، ١٩٦٥)، ٢: ٤٠٥-٤٠٦؛ الدياربكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، (بيروت: مؤسسة شعبان، بدون تاريخ)، ٢: ٢٢٣-٢٢٤.

[١٠] البلاذري، فتوح، ١٨٤؛ الطبري، تاريخ، ٣: ٥٧٠-٥٧١، (١: ٢٣٤٧-٢٣٤٨).

[١١] الأزدي، فتوح الشام، تحقيق: وليم ناسوليس الأيرلندي، (كلكتا: ١٨٥٤)، ٢٠٨-٢١١؛ البلاذري، فتوح، ١٨٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (دمشق: مطبعة المجمع العلمي العربي، بدون تاريخ)، ١: ٥٤٤-٥٤٥.

[١٢] البلاذري، فتوح، ١٨٧، ١٩٧-٢٠٠، ٢٠٢-٢٠٥؛ ابن الأثير، الكامل، ٢: ٤٩٥-٤٩٦.

ولمَّا وصل أبو عبيدة إلى الفرات وحدود بلاد الروم (الأناضول)، رجعَ إلى عمرو بن العاص الذي كان في فلسطين لفتح القدس (إيلياء). وكان ابن العاص قد فتح غزة، وسبسطية، ونابلس، واللد، ويُبنى، وعمواس، وبيت جبرين، ويافا، ورفح، ثم حاصرَ القدس (إيلياء) ليفتحها، ولكنه لم يُوفَّق في فتحها لمتانة أسوارها وكثرة جنود البيزنطيين فيها.[١٣] والحقُّ أن المسلمين قد فتحوا مدنًا كثيرةً متينة الأسوار وكثيرة الجند مثل القدس، ولعلَّهم تركوا فتحها للأخير احترامًا لقداسة هذه المدينة، ورغبةً في فتحها سِلمًا من غير سفك للدماء.

وقبل أن يتحرك سيدنا أبو عبيدة من قنسرين إلى القدس/إيلياء، أرسل طلائع جيشه بقيادة سيدنا خالد بن الوليد إلى القدس، فقاوموه أهلُها. ولمَّا قدِم أبو عبيدة إلى القدس، عرضَ على العدو تسليم المدينة سِلمًا، لكنهم أبَوا وأصروا على الدفاع عنها. وعندما أدركَ أبو عبيدة أن أهل القدس لن يصالحوه، شدَّد الحصار على المدينة من كل جانب، فطلب أهلها من أبي عبيدة الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم على أن يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك، فاستشار سيدنا عمر كبار الصحابة في المدينة المنورة، وقرَّروا على الرغم من مشقة السفر- أن يذهبوا إلى القدس منعًا لسفك مزيد من الدماء (ولكي لا تُنتَهَك قدسية هذه المدينة المباركة على الأغلب).[١٤]

استخلفَ سيدنا عمر سيدَنا عليًّا (ت: ٦٦١م) على المدينة، وانطلق مع جماعة من كبار الصحابة إلى القدس، وكان معه العباس بن عبد المطلب (ت: ٦٥٢م). وكان سيدنا عمر يشكر الله تعالى طوال طريق السفر بعد كل صلاة يصليها، على تشريفهم بالإسلام، وعلى انتصاراتهم والنِّعَم الكبيرة وفتحهم أرض الشام. ووصلَ سيدنا عمر إلى الجابية شمال شرقي القدس حيث مقر جيش المسلمين، ونزل هنالك.[١٥]

ثم رأى فرسه يعرج، فنزل عنه، وأُتي ببرذون (وهو غير العربي من الخيل والبغال) فركبه، فكان كثير الحركة في مشيته كِبْر، فنزلَ، فضرب وجهه بردائه، ثم قال: لا أعلم من علمك هذه الخيلاء![١٦] وكان قد لبس عباءة من القطن قد بليت من السفر، فأُتيَ بثياب بيضاء جديدة وقيل له إنها تعلي من شأنه أمام أهل القدس، فلامَ مَن أتاه بهذه الثياب وذكر أن العزة من الله وحده. وانطلق على ما كان قد ارتداه نحو القدس مع أبي عبيدة وغيرهم من قادته.[١٧]

ولمَّا قدِمَ إلى القدس، اجتمع بطريرك القدس صفرونيوس وأكابر المدينة لديه، وعقد سيدنا عمر الميثاق مع البطريرك، وكتب بيده كتاب الأمان وسلَّمها له عام (١٧هـ/٦٣٨م).[١٨] وكان أساس هذا الكتاب إعطاءُ أهل القدس الأمان لأنفسهم وأموالهم ودينهم وحرية عبادتهم مقابل دفع الجزية والخراج.[١٩]

[١٣] البلاذري، فتوح، ١٨٨.

[١٤] الأزدي، فتوح الشام، ٢١٨-٢٢٣؛ البلاذري، فتوح، ١٨٩.

[١٥] الأزدي، فتوح الشام، ٢٢٤-٢٢٥. انظر أيضًا: الطبري، تاريخ، ٣: ٦٠٨ (١: ٢٤٠٤)؛ ابن أعثم، كتاب الفتوح، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦)، ١: ٢٢٤-٢٢٥؛ ابن الأثير، الكامل، ٢: ٥٠٠؛ ابن كثير، البداية، ٩: ٦٥٥-٦٥٦.

[١٦] الطبري، تاريخ، ٣: ٦١٠ (١: ٢٤٠٧)؛ ابن الأثير، الكامل، ٢: ٥٠١؛ ابن كثير، البداية، ٩: ٦٥٩.

[١٧] الأزدي، فتوح الشام، ٢٢٨.

[١٨] البلاذري، فتوح، ١٨٩. الطبري، تاريخ، ٣: ٦٠٨ (١: ٢٤٠٤)؛ ابن الأثير، الكامل، ٢: ٥٠١؛ ابن كثير، البداية، ٩: ٦٥٨.

[١٩] انظر:

Casım Avcı, “Kudüs”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, İstanbul: TDV Yayınları, 2002), 26: 327.

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبدُ الله عمر أمير المؤمنين أهلَ إيلياء من الأمان ؛ أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبَريئها وسائر ملّتها ؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيّزِها ، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يضارّ أحد منهم ، ولا يسكنُ بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطُوا الجزية كما يُعطِي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الرّوم واللصوت[1]؛ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتّى يبلغوا مأمنهم ؛ ومَن أقام منهم فهو آمن ؛وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجِزْية ، ومنْ أحبّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الرّوم ويخلّى بيَعهم وصُلُبهم فإنّهم آمنون على أنفسهم وعلى بيَعهم وصلبهم ، حتّى يبلغوا مأمنهم ، ومَن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجِزْية ، ومن شاء سار مع الرّوم ؛ ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتّى يُحصد حصادهم ؛ وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله وذمّة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحَضَر سنة خمس عشرة.

نص كتاب الأمان الذي أعطاه سيدنا عمر لأهل القدس.
الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣: ٦٠٩ (١: ٢٤٠٥-٢٤٠٦)

ويُفهَم من الروايات أن طلبَ أهل القدس الصلحَ ومجيء سيدنا عمر إلى القدس كان في أواخر سنة ١٦هـ/٦٣٧م، أما كتاب الأمان فقد أُعطيَ لهم في بداية سنة ١٧هـ/٦٣٨م.[٢٠]

وبذلك فتحَ المسلمون بيت المقدس (إيلياء/القدس) الذي يعد مدينة مقدسة لدى المسلمين والمسيحيين واليهود صلحًا من غير أن يسفكوا الدماء، وبدأت مرحلة جديدة يعيش فيها أتباع الديانات السماوية الثلاثة في أمن وأمان وسكينة. لأن كتاب الأمان هذا كان يعطي الأمان لنفوس كل مَن يسكن القدس أو سيسكنها وأموالهم وحرية دينهم. ولم يكن في ذلك استثناء.

وتبدو أن جملة منع اليهود من سكن القدس الواردة في كتاب الأمان قد أُضيفَت لاحقًا، لأن ما حدث بعد كتاب الأمان لا يوافِق ما ذُكِرَ في هذه الجملة، بل هو مناقض لها. فالمراجع اليهودية تذكر أن سيدنا عمر أمر بتنظيف تل هيكل سليمان في القدس، وإعادته إلى ما كان عليه، ومنح اليهود حرية دخول المدينة والخروج منها، وحتى السكن فيها.[٢١]

وقد اشتُرِطَ في كتاب الأمان إخراج الجند المسلَّحين واللصوص، ولا أحد من الناس يعترض على إخراج هؤلاء لأنهم يُخلُّون بالأمن ولا يُراعون قدسية المدينة، وبذلك أمِنَ الباقون في المدينة من أن يصيبهم أي سوء. وكان على أهل القدس مسؤولية أمام حكام المسلمين مقابل هذا الأمان، وأول هذه المسؤوليات دفع الجزية، ومنها تجنب إدخال مَن يكون تهديدًا لأمن المدينة. فوجد أهل القدس من المسلمين تسامحًا لم يجدوه من أباطرة بيزنطة وهم على دين واحد، وكان مجيء الإسلام سبيل نجاة لأغلب سكان المنطقة المسيحيين منهم واليهود. وكان الضامن لقداسة مدينة القدس حسنُ معاملة المسلمين للمسيحين واليهود الذين لم يستطيعوا دخول القدس لقرون، على عكس ما يفعله المنتصرون عادةً.

حينما دخل سيدنا عمر المدينةَ، زارَ مع البطريرك صفرونيوس أولًا كنيسة القيامة التي يعتقد المسيحيون أن قبر النبي عيسى والصليب المقدس فيه. ولمَّا حان وقت الصلاة وهو في الكنيسة، دعوه ليصلي فيها، ولكنه رفض وصلَّى خارجها.[٢٢] لأنه خشي أن يحوِّل المسلمون من بعده الكنيسة إلى مصلى بحجة أنه صلَّى هناك، فيخالفوا بنود كتاب الأمان.

ثم دخل سيدنا عمر المسجد الأقصى من الباب الذي دخله نبينا في المعراج، ووجدَ محراب النبي داوود عليه السلام وصلَّى هناك تحية المسجد. وظل المسلمون يعبدون الله هنك حتى صلاة الفجر، وعندما حان وقت صلاة الفجر، طلب سيدنا عمر أن يؤذن المؤذن (ولعله بلال الحبشي)، ثم صلَّى بالناس صلاة الفجر في محراب داوود عليه السلام.[٢٣] ثم صار يبحث عن الصخرة المقدسة (الحجر المعلق) التي يعتقد اليهود أنها مركز هيكل سليمان (المسجد الأقصى) ويعتقد المسلمون أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم عرج إلى السماء منها، فوجدها قد جعلها المسيحيون في خراب، فراح ينظِّفها بنفسه. ثم بنى مسجدًا على مساحة نحو من ١٤٤ دونمًا[٢٤] جنوب الصخرة نحو القبلة، وسُمِّي «مسجد عمر» واشتُهِر بين الناس باسم «المسجد الأقصى».[٢٥] ويُروَى أن المسجد قبل أن يرمِّمه الأمويون ترميمًا شاملًا استُعمِلت في بنائه الألواح الخشبية وكان يتسع لثلاثة آلاف مُصلٍّ.[٢٦] ولم ينسَ سيدنا عمر نفقات تنظيم المنطقة التي بنى فيها المسجد، فأوقفَ حقولًا وبساتين تُدِرُّ المال من أجل العناية بالمسجد وتلبية حاجاته.[٢٧]

[٢٠] للاستزادة انظر: الأزدي، فتوح الشام، ٢٢٤-٢٢٨؛ ابن أعثم، كتاب الفتوح، ١: ٢٢٤-٢٢٩؛ البلاذري، فتوح، ١٨٩-١٩٠؛ الطبري، تاريخ، ٣: ٦٠٧-٦٠٨ (١: ٢٤٠٤)؛ ابن الأثير، الكامل ٢: ٥٠٠-٥٠١. ونعتقد أن تاريخ الخامس عشر في آخر الوثيقة المذكورة في كتاب الطبري قد أُضيفَ لاحقًا، لأننا نعلم أن المسلمين بدؤوا باستعمال التقويم الهجري من السنة ١٦ أو ١٧ للهجرة. (انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، بدون تاريخ)، ٣: ٢٨؛ خليفة بن خيَّاط، التاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (الرياض: دار طيبة، ١٩٨٥)، ١: ٦-٧). لذلك من المحال أن يكون التاريخ سنة ١٥، والاحتمال الأقوى أن التاريخ كان ١٧ للهجرة.

[٢١] انظر:

Nuh Arslantaş, Yahudilere Göre Hz. Muhammed ve İslâmiyet, (İstanbul: İz Yayıncılık, 2011), 168, 188-189. Musa İsmail Basit & Oth., Kudüs Tarihi / Esra Eğitim Tercüme Komisyonu-Ali Benli, İstanbul: Nida Yayıncılık,2011), 69.

[٢٢] انظر: الأزدي، فتوح الشام، ٢٣١-٢٣٢.

[٢٣] يذكر المؤلف المسلم المقدسي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أن طول هذا المكان ألف ذراع (نحو ٤٥٠ مترًا) وعرضه سبعمئة ذراع (نحو ٣١٥ مترًا). (أحسن التقاسيم، ١٤٧)

[٢٤] المقدسي، أحسن التقاسيم، (بيروت: إحياء التراث العربي، ١٩٨٧)، ١٤٥؛ ابن كثير، البداية، ٩: ٦٥٥-٦٥٦، ٦٦١-٦٦٣.

[25] Nebi Bozkurt “Mescid-i Aksa”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, (İstanbul: TDV Yayınları, 2004), 29: 270.

[26] Arslantaş, Yahudilere Göre Hz. Muhammed ve İslâmiyet, 170.

[٢٧] ابن الأثير، الكامل، ٢: ٥٠١. دخلت فلسطين كاملًا في منطقة الشام، وصارت قسمَين: القدس (إيلياء)، والرملة. (انظر: الطبري، تاريخ، ٣: ٦٠٨ (١: ٢٤٠٣)).

بقي سيدنا عمر عشرين يومًا في القدس ينظِّم أمورها وأمور المناطق حولها، وقسمَ جيشه المتمركز في الجابية وجعل كل قسم على جبهة ليأمنوا هجوم البيزنطيين، فجعل علقمة بن حكيم على نصف فلسطين وأسكنه الرملة، وجعل علقمة بن مجزر على نصفها الآخر وأسكنه إيلياء (القدس).[٢٧] وكلَّف معاذًا بن جبل (ت: ٦٣٩م) وعبادة بن الصامت (ت: ٦٥٤م) وعبد الرحمن بن غنم (ت: ٦٩٧م) بتعليم الناس الإسلام في القدس. وحثَّ القبائل العربية على سكن المنطقة، وأحسنَ لمَن سكَنها. ونصحَ المسلمين قبل أن يرجع من القدس، فأشار في خطابه إلى الأمور التي ينبغي أن ينتبهوا إليها أثناء معاملتهم غير المسلمين، وحذَّرهم من النكث بوعودهم.

لقد عملَ سيدنا عمر والمسلمون ببنود كتاب الأمان كلها مذ استلم سيدنا عمر مفاتيح القدس من البطريرك صفرونيوس ودخلها عام (١٧هـ/٦٣٨م)، وبقي المسلمون يعملون بهذا الكتاب لقرون بعد وفاة سيدنا عمر، فأعطوا أمانًا لأنفس أهل القدس وأموالهم وأماكن عبادتهم، وعاشت القدس في أمن وطمأنينة وسكينة حُرِمَت منها لعصور.

مسجد عمر/الجامع القِبلي (أرشيف MT)

[٢٨] انظر:

Fayda, Hulefâ-yı Râşidîn Devri, 239-240.

[٢٩] المقدسي، أحسن التقاسيم، ١٤٧.

ونستطيع أن نقول إن التنظيم السياسي والعسكري الذي وضعه سيدنا عمر للقدس بقي قائمًا طوال عهد الخلفاء الراشدين، وأولى سيدنا عثمان القدس أهمية مثل سيدنا عمر، فقد أوقف ريع بساتين سلوان لفقراء المدينة.

وفي سنوات النزاع في عهد سيدنا علي كانت القدس مركزًا لمعاوية (ت: ٦٨٠م) المعارض لسيدنا علي، يُعِدُّ فيها العدة. إذ لمَّا كان معاوية واليًا على الشام تعاهدَ مع عمرو بن العاص فاتح مصر الذي كان يسكن فلسطين في موضوع معاقبة قتلة سيدنا عثمان بعد القبض عليهم. ولمَّا قتل الخوارجُ سيدنا علي، أخذ معاوية البيعة من أهل الشام في القدس وأعلن نفسه خليفة عام (٤٠هـ/٦٦٠م)، فصارت القدس تحت حكمه.

زار كثير من الصحابة والتابعين القدسَ بعد فتحها، وسكنها بعضهم. ومن المعلوم أن بعضًا من الصحابة الكرام قد دُفِنوا فيها، منهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وشداد بن أوس الخزرجي (ت: ٦٧٨م).

قبة الصخرة ومسجد عمر (أرشيف IRCICA-FAY.٠٧,٤٠,٢٢)

[٣٠] المقدسي، أحسن التقاسيم، ١٤٧.
[٣١] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤: ٢٥٤.
[٣٢] الطبري، تاريخ، ٥: ١٦١ (٢: ٥)؛ ابن الأثير، الكامل، ٣: ٢٦٧.
[33] Casım Avcı, "Kudüs", 26: 327.
[٣٤] المقدسي، أحسن التقاسيم، ١٤٧.

المراجع العربية

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد. الكامل في التاريخ. الناشر: كارلوس يوهنس تورنبرغ. ١٣ مجلدًا. بيروت: دار صادر- دار بيروت، ١٩٦٥.

ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٧.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد. الطبقات الكبرى. ٨ مجلدات. بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.

ابن عاصم الكوفي، أبو محمد أحمد. كتاب الفتوح. ٤ مجلدات. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦.

ابن عساكر، أبو القاسم ثقة الدين علي بن حسن. تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: صلاح الدين المنجد، مجلد ١. دمشق: مكتبة المجمع العلمي العربي، بدون تاريخ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية والنهاية. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي- مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ٢١ مجلدًا. دار الحجر. بدون تاريخ.

ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه. مجلدان. إسطنبول: منشورات تشاغري، ١٩٨١.

الأزدي، أبو إسماعيل محمد بن عبد الله البصري. فتوح الشام. تحقيق: وليم ناسوليس الأيرلندي، كلكتا: ١٨٥٤.

البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، ٨ مجلدات. إسطنبول: المكتبة الإسلامية، ١٩٨١.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. فتوح البلدان. تحقيق: عبد الله أنيس الطباع- عمر أنيس الطباع. بيروت: مؤسسة المعارف، ١٩٨٧.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ١٤ مجلدًا. القاهرة: دار المعارف، بدون تاريخ.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق: محمد محزوم. بيروت: إحياء التراث العربي، ١٩٨٧.

خليفة بن خيَّاط. التاريخ. تحقيق: أكرم ضياء العمري. الرياض: دار طيبة، ١٩٨٥.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. الجامع الصحيح. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ٥ مجلدات. القاهرة: ١٩٩١.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي. معجم البلدان. ٥ مجلدات. بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.

المراجع باللغات الأخرى

Fayda, Mustafa. Allah'ın Kılıcı Halid b. Velid. İstanbul: Çağ Yayınları, 1990.

Fayda, Mustafa. Hulefâ-yı Râşidîn Devri (Dört Halife Dönemi). İstanbul: Kubbealtı Neşriyat, 2014.

Arslantaş, Nuh. Yahudilere Göre Hz. Muhammed ve İslâmiyet. İstanbul: İz Yayıncılık, 2011.

Avcı, Casım. "Kudüs". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 26: 327-329. İstanbul: TDV Yayınları, 2002.

Aydınlı, Osman. Ebu Ubeyde b. el-Cerrâh. İstanbul: İFAV Yayınları, 2015.

Basit, Musa İsmail - Hamza Zib Mustafa - Gassan Mustafa Muhibiş - Said Süleyman Kik. Kudüs Tarihi / Esra Eğitim Tercüme Komisyonu - Ali Benli. İstanbul, Nida Yayıncılık, 2011.

Bozkurt, Nebi. "Mescid-i Aksa". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 29: 268-271. İstanbul: TDV Yayınları, 2004.

Caetani, Leoni. İslam Tarihi. 10 Cilt / Hüseyin Cahid. İstanbul: 1924-1927.

Diyârbekrî, Hüseyin b. Muhammed b. Hasan. Târîhu'l-hamîs fî ahvâli enfesi nefîs. 2 Cilt. Beyrût: Müessesetü Şa'ban, ts.

Fayda, Mustafa. Allah'ın Kılıcı Halid b. Velid. İstanbul: Çağ Yayınları, 1990.

Fayda, Mustafa. Hulefâ-yı Râşidîn Devri (Dört Halife Dönemi). İstanbul: Kubbealtı Neşriyat, 2014.

القدس في العهد الإسلامي
من الأمويين إلى الصليبيين

* نوح أرصلان طاش

القدس في عهد الأمويين

أُقيمَت الدولة الأموية عام ٤١/٦٦١ على يد معاوية بن أبي سفيان (ت: ٦٠/٦٨٠). فبعد مقتل سيدنا عثمان عام ٣٥/٦٥٦، نازع معاوية سيدنا عليًّا (ت ٤٠/٦٦١) على الحُكم وأعلن خلافته بعد حادثة التحكيم عام ٣٧/٦٥٧، وصار خليفة المسلمين بعد تنازل سيدنا الحسن عن الخلافة له عام ٤١/٦٦١ وسُمِّي ذلك العام بعام الجماعة.

حلَّ معاوية المشاكل الدخلية بعد أن صار خليفة، وعملَ على تأسيس حكمه. فقسَّم دولته إلى أربع مناطق إدارية هي: الشام، والعراق، ومصر، والحجاز. ونقل مركز الخلافة إلى دمشق مصدر قوته، وحكمَ المنطقة بنفسه.

وكان معاوية قد بُويِع بلقب «أمير المؤمنين» في القدس وهو وال على الشام.[1] أراد معاوية الذي صار خليفة بعد مرحلة مليئة بالنزاعات والخلافات أن يقوي خلافته ويضيف عليها صبغة الشرعية ويؤكِّد أيضًا على قدسية مدينة القدس، وذلك بأخذه البيعة في هذه المدينة التي تعد ثالث أقدس المدن لدى المسلمين بعد مكة والمدينة. وقد أولَى القدسَ أهمية عظيمة. وكانت القدس مركز اهتمام الخلفاء الأمويين من أولهم إلى آخرهم لقدسيَّتها وقربها من عاصمة الخلافة، وإنْ كان الصحابي سلامة بن قيصر واليًا عليها.[2] وسعى معاوية إلى ضم الرعية من المسلمين وغيرهم في القدس ولا سيما المسيحيين إلى صفه. فقَبْلَ أخذه البيعة، زار تل غولغوثا (الجمجمة) في القدس وبستان جَثْسَيماني وقبر السيدة مريم، وأراد بزيارته هذه أن يسترضي المسيحيين الذي يشكلون أغلب سكان القدس.[3] عاشت القدس في عهد معاوية في سكينة واستقرار. وأنشأ معاوية دوائر جديدة تحتاجها القدس إضافةً إلى اهتمامه بمسائل ثانوية كثيرة مثل استغلال الغابات وتنظيم الحقول والبساتين. ورمَّمَ الأسوار والأبنية القديمة الباقية من البيزنطيين، ووسَّع مسجد سيدنا عمر.[4] وقد ذكرَ الأسقف أركولف الذي زار القدس في عهد معاوية عام ٦٨٠م معلومات مفصَّلة عن المدينة.[5]

وقد اهتم الخلفاء الأمويين الآخرون بالقدس كاهتمام معاوية. وأراد الأمويون الاستفادة من شهرة القدس لتوطيد حكمهم، فقد أخذ بعض الخلفاء الأمويين البيعة في القدس كما فعل معاوية وإنْ كانت عاصمة الخلافة دمشق، وهذا ما جعل للقدس مكانة عظيمة بين الناس. وممن زار القدس من الخلفاء الأمويين: عبد الملك بن مروان (ت: ٦٥/٦٨٥)، والوليد بن عبد الملك (ت: ٨٦/٧٠٥)، وسليمان بن عبد الملك (ت: ٩٩/٧١٧)، وعمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١/٧٢٠)، ويزيد بن عبد الملك (١٠٥/٧٢٤).[6]

وقد توطد حكم الأمويين في فلسطين بعد القضاء على مناصري عبد الله بن الزبير في عهد مروان بن الحكم (خلافته: ٦٨٤-٦٨٥م) وابنه عبد الملك (خلافته: ٦٨٥-٧٠٥) اللذَين استُخلِفا بعد خلافة معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية التي استمرت لأربعين يومًا عام ٦٨٤م. وظلَّت القدس على بيعتها للأمويين حتى حين بايع كثير من الولاة عبد الله بن الزبير بعد مقتل سيدنا الحسين.[7]

* الأستاذ د. نوح أرصلان طاش، القنصلية التركية في ملبورن (أستراليا)، ملحق الشؤون الإدارية والاجتماعية،
noaharslan@hotmail.com.

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨/١٩٨٨)، ٨:٤١.

[2] ابن منده، معرفة الصحابة، (مجهول الناشر: مطبعة جامعة الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٦/٢٠٠٥)، ٧٥٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة، تحقيق: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود، (مجهول الناشر: دار الكتب الكتاب العربي، ١٤١٥/١٩٩٤)، ٢: ٥٠٧؛ أبو اليمن العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس- عبد المجيد نباتة، (عمان: مكتبة دنديس، ١٤٢٠/١٩٩٩)، ٢: ٥٠.

[3] Goitein, “Al-Kuds”, EI2, 5: 324.

[4] Basit & Oth., Kudüs Tarihi / Ali Benli ve Komisyon, (İstanbul: Nida Yayıncılık, 2011), 73; Goitein, “Al-Kuds”, EI2, 5: 324.

[5] انظر: ميخائيل مكسي إسكندر، القدس عبر التاريخ، (القاهرة، ١٩٧٢)، ٥١.

[6] Abdulaziz Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, Jerusalem in History içinde, Ed. K.J. Asali, (Scorpion Publishing Ltd: Essex, 1989), 108, 110.

[7] ظل والي القدس حسان بن مالك بن بحدل مخلصًا للأمويين آنذاك.

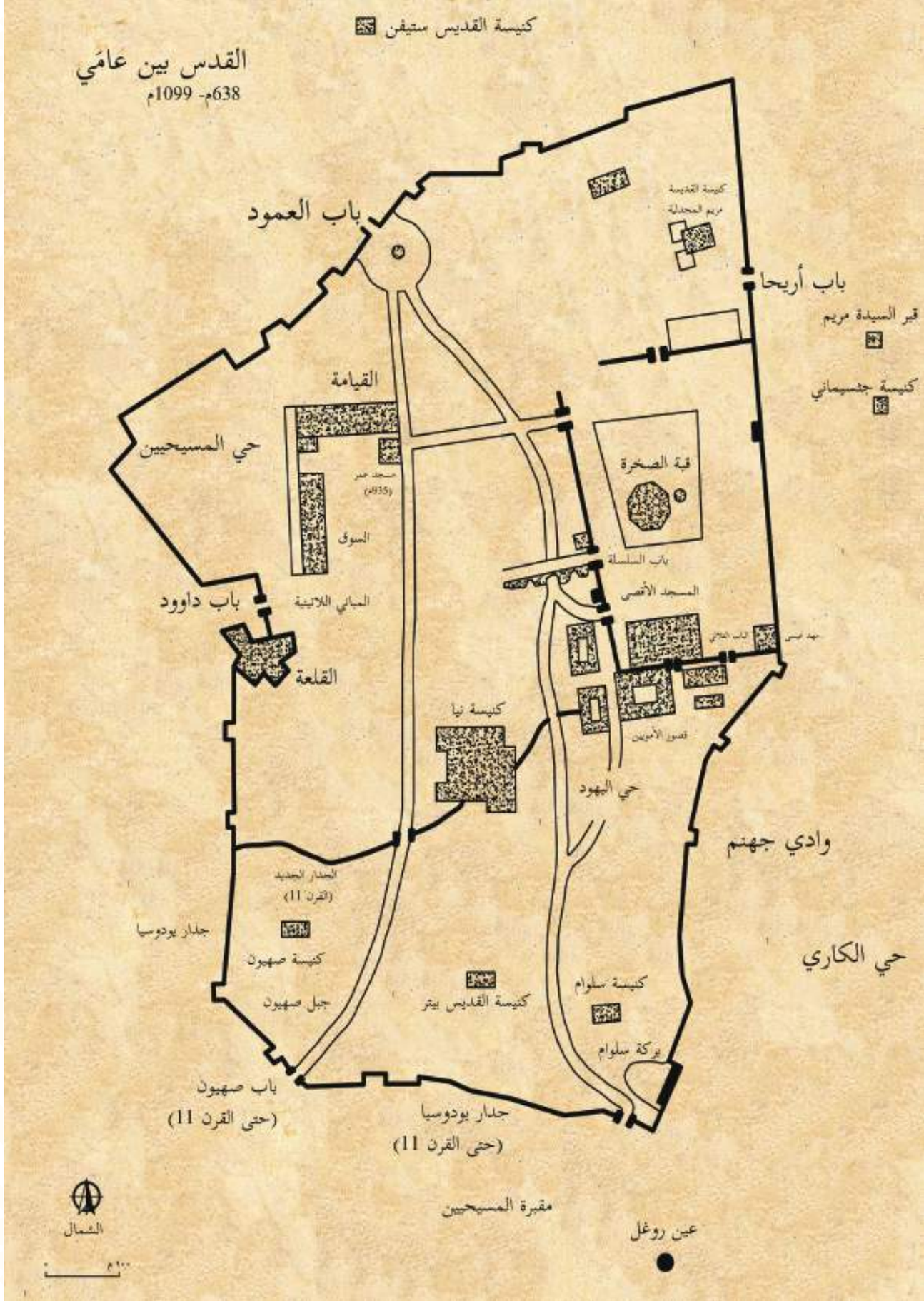

الحرم الشريف وقبة الصخرة (أرشيف MT)

حظيت القدس باهتمام كبير في خلافة عبد الملك، فقد وصلت الدولة الإسلامية عمومًا والقدس خصوصًا إلى أوج ازدهارها في خلافته. وأخذ عبد الملك البيعة في القدس مثل معاوية[٨] لدعم حكمه والتأكيد على قدسية المدينة. ورمَّم أبنية المدينة وأصلح أسوارها فجعل من المدينة مدينة إسلامية من حيث العمران.[٩] ومن أبرز مظاهر العمران في عهده قبة الصخرة، فقد كانت قبة الصخرة من أوائل الآثار العمرانية المقبَّبة المشهورة في فن العمارة الإسلامي، وشُرِعَ بها عام ٦٨٥/٦٦ بإشراف رجاء بن حيوة ويزيد بن سلَّام اللذَين كلَّفهما الخليفة بهذه المهمة، واكتمل بناؤها عام ٦٩١/٧٢.[١٠] استشار عبد الملك الولاة والناس قبل البدء ببناء قبة الصخرة، إذ أخبر أهلَ القدس بِنِيَّتِه ببناء مسجد فوق «الصخرة» يحميهم من البرد والحر ويعبدون الله فيه، ولقيَ الدعم من ولاته، فخُصِّصَ خراج ولاية مصر لسبع سنين لبناء المسجد.[١١] وهذا هو السبب المنطقي لبناء قبة الصخرة. أما الجغرافي المسلم المقدسي (٣٣٥-٣٩٠هـ) فيرى أن سبب بناء مسجد الصخرة إنما هو بناء مسجد عظيم للمسلمين الذين كانوا يشعرون بالدونية أمام الكنائس العظيمة في المدينة. فلما رأى الخليفة عظمَ قبَّة كنيسة القيامة (القمامة) وهيئتها خشيَ أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة.[١٢] فيُفهمَ أن الخليفة أراد أن يضيف إلى القدس التي كانت مدينة بيزنطية كثيرة الكنائس طابعَ الإسلام وروحه ببناء قبة الصخرة. ويُروَى أيضًا أن سبب إنشاء قبة الصخرة جعله مكانًا للحج بديلًا عن الكعبة. إذ يدَّعي بعض من الكُتَّاب المتأخرين أن عبد الملك[١٣] استغل حديث: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:...»[١٤] فحث الناس لزيارة الصخرة التي عرج سيدنا محمد منها وذلك ببناء قبة الصخرة، كي يقلِّل من تأثير عبد الله بن الزبير في الناس، فقد كان يحكم مكة آنذاك.

[٨] خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣)، ٢٠٠.

[9] Ira M. Lapidus, İslam Toplumları Tarihi C.1 Hazreti Muhammed'den 19. Yüzyıla / Yasin Aktay, (İstanbul: İletişim Yayınları, 2002), 108.

[١٠] ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٩؛ شهاب الدين أبي محمود ابن تميم المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق: أحمد الخطيمي، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٤)، ١٧٢؛ أبو اليمن العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس- عبد المجيد أبو تبانة، (عمان: مكتبة دنديس، ١٤٢٠/١٩٩٩)، ١: ٤٠١.

[١١] المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ١٧١-١٧٢؛ أبو اليمن العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ١: ٤٠١.

[١٢] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (بيروت: دار صادر، ١٤١١/١٩٩١)، ١٥٩.

[١٣] انظر: البخاري، «فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة»، ٤٦؛ مسلم، «الحج»، ٩٥.

[14] Ignaz Goldziher, Muslim Studies / C. R. Barber, S. M. Stern, (London: George Allen & Unwin Ltd., 1971), 2: 44-45.

قبة الصخرة (أرشيف MT)

فبنى القبة فوق الصخرة لهذه الغاية وغطَّاها بالحرير والإستبرق، وحرَّضَ الناس على طواف القبة كطواف الكعبة. وأعلن القبة مكانًا لوقفة عرفة، وأمر الناس بالوقوف عندها يوم عرفة.[١٥] وقد ذكرَ هذه الرواية أولًا المؤرخ اليعقوبي الذي عُرِف بمعارضته للأمويين، وكرَّرها بعض من المؤرخين مثل سعيد بن بطريق (أوتيخيوس) وسبط ابن الجوزي، وذكرها من بعدهم مؤلِّفو العصور اللاحقة مثل ابن كثير من غير أي نقد.[١٦] ولكن هذه الرواية تدحضها عدم قلة عدد الحجاج إلى مكة، والأعمال التي قام بها عبد الملك مثل عُرف إرسال ستار الكعبة من عاصمة الخلافة، وهو العرف الذي بدأ من عهده، وتلبيس أُطُر (براويز) الكعبة بالذهب،[١٧] ولا ننسى أن اليعقوبي كان ميَّالًا للشيعة. وقد صُنِعَ مجسَّم لقبة الصخرة قبل بنائه، سُمِّي بقبة السلسلة، وهو في الجانب الشرقي من قبة الصخرة اليوم، وكان مثل بيت مال لنفقات البناء.[١٨] وقد خُصِّص خراج مصر لسبع سنوات من أجل بناء قبة الصخرة.[١٩] واستطاع رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام أن يقتصدا في الإنفاق، فزاد مبلغ كبير يعادل مئة ألف دينار تقريبًا بعد إتمام البناء. فبعث رجاء ويزيد رسالةً إلى الخليفة في العاصمة يسألانه عن المال الفائض، فأجابهما أن يصنعا به ما يريدان. فاستعملا المال في تقوية القبة وحمايتها من الأمطار والثلوج والرياح بعد موافقة الخليفة.[٢٠] وقبة الصخرة التي تُعد أقدم تحفة معمارية في العمارة الإسلامية قائمة على أربع دعائم حول الصخرة التي عرج منها النبي محمد وبين كل دعامة وأخرى ثلاثة أعمدة. وجُعِل شكل البناء ثماني الشكل بوضع ثماني دعائم صغيرة حول المركز وعمودَين بين كل دعامة وأخرى، بحيث يكون فيها رواقان متداخلان.[٢١] وبعد إتمام البناء، جاء الخليفة عبد الملك بقرنَي كبش إبراهيم وتاجِ كسرى من مكة إلى القدس ووضعها في قبة الصخرة.[٢٢]

[١٥] اليعقوبي، التاريخ، (مجهول الناشر، بدون تاريخ)، ١، ٢١٤؛ القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥)، ١: ١٢٩.

[١٦] ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٣٠٨-٣٠٩؛

Duri, "Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD", 110-11; Bozkurt,"Kubbetü's-Sahre", 26: 306.

[17] Küçükaşçı-Bozkurt, "Mescid-i Nebevî", 29: 289-290.

[١٨] أبو اليمن العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ١: ٤٠١.

[١٩] المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ١٧١.

[٢٠] ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢٨١.

[21] Beksaç, "Emeviler: Sanat", 11: 105.

[٢٢] العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ١: ٤٠٤. ذكر العليمي يوم افتتاح قبة الصخرة بتفصيل في كتابه. انظر: ١: ٤٠٣- ٤٠٤.

الجامع القبلي (أرشيف MT)

أعاد عبد الملك إصلاح طريق القدس-دمشق، وأمر بفتح بابَين في أسوار المدينة للدخول منها.[٢٣] وقد تمرد رجل يُسمَّى الحارث بن سعيد مدعيًا النبوة في القدس في عهد عبد الملك، ولكن حركة التمرد هذه قُضيَ عليها في مدة قصيرة، وأُعدِم الحارث وأعوانه عام ٦٩٩/٧٩.[٢٤]

وأخذ الوليد بن عبد الملك البيعة لخلافته في القدس. ويُذكَر أن البيعة كانت تحت قبة الصخرة.[٢٥] وكان الوليد يحب القدس كثيرًا، فمنع التسول في المدينة وأمرَ بعطايا دائمة للفقراء. ومن المعلوم أنه أرسل مساعدات للقدس في فترات مختلفة من خلافته.[٢٦] وعيَّن أخاه سليمان واليًا على فلسطين بغية إبراز اهتمامه بالقدس.[٢٧] وأكمل عملية البناء والعمران التي بدأها عبد الملك في القدس، فبنى قصرًا فخمًا فيها. وكان القصر يمتد على طول الجانب الجنوبي من الحرم الشريف حتى الزاوية الغربية، وصار مقرًّا للوالي. واستُعمِل القصر في أيام العباسيين والفاطميين وبقيت آثار منه إلى يومنا هذا.[٢٨] ومن الآثارة العمرانية في عهد الوليد المسجد الأقصى الذي بدأ بناؤه عام ٧٠٩م وتمَّ عام ٧١٥م. فقد ضاق المسجد الخشبي الذي بناه سيدنا عمر بالناس، إذ كان يستع لثلاثة آلاف، فوُسِّع وأُعيدَ بناؤه ورُمِّم، ولكنه حافظ على شكله الأساسي، والمسجد عبارة عن صحن موازٍ لجدار القبلة تعلوه قبة. وثمة بضعة أعمدة أصلية في شرقي القبة وصلت إلى يومنا هذا.[٢٩]

[٢٣] ابن كثير، البداية والنهاية، ١١: ٤٢٢٦؛

Asiye Derya Tetik, 7. Yüzyıldan Haçlı Hakimiyetine Kadar Kudüs Tarihi, (Celal Bayar Üniversitesi, 2018), 36.

[٢٤] ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (مجهول الناشر: دار الفكر، ١٤١٥/١٩٩٥)، ١١: ٤٤٢٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، (علولي، ٢٠٠٣)، ٢: ٨٠٣؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣/٢٠٠٢)، ٢: ٥١٦.

[25] Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 109.

[٢٦] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦: ٤٤٢٨؛ الطبراني، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥/١٩٨٤)، ١: ٢٧.

[٢٧] ابن الفقيه، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦/١٩٩٦)، ١٥٢.

[28] Goitein, “Al-Kuds”, EI2, V, 325-326.

[29] Teddy Kollek-Moshe Pearlman, Jerusalem, Sacred of Mankind: a History of Centuries, (Kudüs: Random House,1967), 161; Beksaç, “Emeviler: Sanat”, 11: 105.

للاستزادة في هذا الموضوع انظر: أسامة جمعة الأشقر، مدينة بيت المقدس في القرن الإسلامي الأول، (دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، ٢٠٢١)، ٢٧٩ وغيره.

وقد تغيرت معالم القدس وظهرت بصورة رائعة بعد بناء قبة الصخرة في عهد عبد الملك، والمسجد الأقصى في عهد الوليد، حتى إن هذَين المعلَمَين العظيمَين لفتا الأنظار عن كنيسة القبر المقدس حيث يُعتقَد أن فيه قبر عيسى، وغدا الحرمُ الشريفُ الرمزَ الديني للمدينة.[٣٠]

ثم استلم الخلافة سليمان بن عبد الملك بعد أخيه الوليد، وأخذ البيعة في القدس تحت قبة الصخرة. ولمَّا توفي الوليد كان سليمان في القدس. وكان سليمان يحب القدس كثيرًا.[٣١] ويُذكَر أنه أراد نقل مركز الخلافة من دمشق إلى القدس، ولكن الإداريين جعلوه يعدل عن هذا الرأي لموقع القدس الاستراتيجي.[٣٢]

وفي أواخر الخلافة الأموية في عهد مروان الثاني (٧٤٤- ٧٥٠م) ضرب زلزال المدينة فمات من أهلها الكثير.[٣٣] ووقع الزلزال بتاريخ ١٠-١٢ جمادى الأولى الموافق لـ ١٦-١٨ كانون الثاني/يناير من عام ٧٤٧/١٣٠[٣٤] وانهارت الأديرة في القدس وكثير من المدن الأخرى.[٣٥] وقد استمرت الهزات الارتدادية بعد هذا الزلزال لأربعين يومًا، فاضطر الناس لترك بيوتهم والبقاء في البرية.[٣٦] وسقطت الجدران الشرقية والغربية لقبة الصخرة، وتوفي أولاد من الأنصار كانوا يعيشون في المدينة.[٣٧] وقد مات جميع أولاد الصحابي شداد بن أوس في الزلزال.[٣٨] وفي حادثة الزلزال هذه انهارت كثير من المباني التي أُنشِئَت في عهد الأمويين أو ما عادت تصلح للسكن. واستمرت آثار هذا الزلزال ونتائجه إلى خلافة العباسيين.

الجامع القبلي/المسجد الأقصى من الداخل (أرشيف MT)

[30] Tetik, 7. Yüzyıldan Haçlı Hakimiyetine Kadar Kudüs Tarihi, 36.

[٣١] أسامة جمعة الأشقر، مدينة بيت المقدس في القرن الإسلامي الأول، ٤٢٨٨؛

Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 110.

[٣٢] ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ١٢: ٦٣٢؛ أسامة جمعة الأشقر، مدينة بيت المقدس في القرن الإسلامي الأول، ٤٢٩٠؛

[33] Theophanes, The Cronicle of the Theophanes (Annu Mundi 6095-6305- A.D. 602-813), İngilizce / Harry Turtledove, (Philedelphia:University of Pennsylvania Press, 1982), 112; Gil, A History of Palestine 634-1099, İbranice’den İngilizce’ye / Ethel Broido, (Cambridge: Cambridge University Press, 1997), 89.

[34] Gil, A History of Palestine 634-1099, 89; Theophanes, 112.

[35] Theophanes, 112; Gil, A History of Palestine 634-1099, 89.

[٣٦] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، بدون تاريخ)، ١: ٣١١؛ Gil, A History of Palestine, 634-1099، ٨٩.

[37] Gil, A History of Palestine, 634-1099, 89.

[٣٨] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١: ٣١١؛

Gil, A History of Palestine 634-1099, 89.

وغدت القدس في عهد الأمويين مدينة مُفعمةً بالحياة يعيش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون معًا. وكان المسيحيون يأتون إلى القدس للحج من أماكن بعيدة، ويزور اليهودُ المدينةَ ولا يُمنَعون من السكن فيها.[38] وكان المسيحيون قد منعوا اليهود من سكن المدينة لخمسة أو ستة قرون، فرُفِع عن اليهود هذا القيد، وأسسوا حيًّا مستقلًا جنوبي المدينة سكنته سبعون أسرة يهودية.[39] وكان المسلمون بعد الفتح يطلبون من القابِلات اليهوديات توليد نسائهن، ويوظِّفون غير المسلمين حتى اليهود في تنظيف المدينة.[40] وقد بقي اليهود في مهمة تنظيف المسجد الأقصى وقبة الصخرة من عهد عبد الملك بن مروان حتى عهد عمر بن عبد العزيز (٧١٧-٧٢٠م)، واستمروا في عهد عمر بن عبد العزيز لمدة ثم سلَّموها لغيرهم.[41]

وخلاصة الكلام أن القدس التي حظيت باهتمام الأمويين تحوَّلت إلى مدينة إسلامية سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا بجهود الخلفاء الأمويين.

القدس في عهد العباسيين

خطَّط العباسيون لتولي الخلافة تخطيطًا طويل الأمد بدءًا من منتصف الخلافة الأموية. وكانت سياسة الأمويين الذين استمروا في الحكم لنحو من قرن سببًا لاستياء كثير من الرعايا من الأمويين في أرض الإسلام التي امتدت على مساحة واسعة. فكان تولي العباسيين للحكم في ظل هذه الظروف، واستطاعوا أخذ السلطة عبر تنظيم شامل ودعاية مكثفة تولتها جماعات غير راضية بالإدارة الأموية. واستغل العباسيون جميع الظروف الإيجابية والسلبية داخل الدولة الأموية لصالحهم، واستطاعوا بحملة أخيرة أن يصعدوا إلى سدة الحكم عام ٧٤٩م.

وقد حدثت تغييرات على نطاق واسع مع حكم العباسيين، وأهمُّها ضعف الاهتمام بالشام مع سقوط الدولة الأموية، وانتقال مركز الثقل السياسي والاجتماعي والثقافي إلى العراق. فقد كان بقاء العباسيين في الشام خطرًا أمنيًّا عليهم، ففضَّلوا جعل مركزهم العراق حيث يشاركهم أهلها بالإيديولوجية. حكمت الخلافة العباسية دولة إسلامية مترامية الأطراف لنحو من خمسة قرون من بغداد التي بُنِيَت عام ٧٦٦م. وبقيت القدس ثالث الأماكن المقدسة بعد مكة والمدينة في العالَم الإسلامي، وإنْ أثَّرَ نقل عاصمة الخلافة في فلسطين التي تضم القدس.

ضربَ زلزالٌ القدسَ قبل يوم من تولي العباسيين الخلافة، فكان أولُ عمل للإدارة الجديدة تلبية حاجة المتضرِّرين بالزلزال. وكان هذا الزلزال الذي حدث في صدع البحر الميت في زمن الخليفة الأموي مروان الثاني سببًا لأضرار وخسائر كبيرة في سوريا وفلسطين. حدث الزلزال بتاريخ ١٠-١٢ جمادى الأولى الموافق لـ١٦-١٨ كانون الثاني/يناير عام ١٣٠هـ/٧٤٧م،[42] ومات يومئذ خلقٌ كثير، وانهارت أديرة في القدس وكثير من المدن.[43] وترك الناس بيوتهم في القدس خوفًا من الزلزال، وباتوا في البرية لأربعين يومًا.[44] وهُدِمَ الجدار الشرقي والغربي من قبة الصخرة.[45]

ولم يهتم الأمويون بالقدس آنذاك لثورة العباسيين عليهم. ولم تُذكَر في المراجع معلومات عن إعادة بناء بيوت القدس بعد الزلزال في عهد أول خلفاء العباسيين أبو العباس السفاح (٧٥٠-٧٥٤)، ولعل سبب ذلك كان انشغاله بتوطيد حكمه، ولكن المعلومات في هذا الشأن وردت في عهد الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور (٧٥٤-٧٧٥).

[38] Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 109.
[39] Assaf, Makorot u Mahkarim be-Toldot Yisrael, (Yeruşalayim: Mosad ha-Rav KuK, 1946, 21, İbrânîce / 22; Hirschberg, “‘Inyaney Harha-Zeytim bi’Tkufat ha-Geonim”, Yediot ha-Hevra ha-‘İvrit le-Hakirat Erets-Yisrael ve ‘Atikoteha (BJPES), 13 (1946-47), 157.
[41] Arslantaş, İslâm Toplumunda Yahudiler, Abbâsî ve Fâtımî Dönemi Yahudilerinde Hukukî, Dinî ve Sosyal Hayat, (İstanbul: İz yayıncılık, 2008), 148.

[42] العليمي، الأنس الجليل، ١، ٢٨٢؛

Hirschberg, “Inyaney Har ha-Zeytim bi’Tkufat ha-Geonim”, 158.
[43] Gil, A History of Palestine 634-1099, 89; Theophanes, 112.
[44] Theophanes, 112; Gil, A History of Palestine 634-1099, 89.

[45] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١: ٣١١؛

Gil, A History of Palestine, 89.

ويُروَى أن المنصور الذي يُعَدُّ المؤسس الحقيقي للدولة العباسية من كثير من الجوانب قد زار القدس بعد أربع سنوات من خلافته، وكان ذلك عام ١٤٠/٧٥٨ في طريق رجعته من الحج. وذكر المؤرخ المسعودي أن زيارة الخليفة هذه كانت لنذرٍ نذَرَه عام ١٤١/٧٥٨-٧٥٩. وسعى المنصور لاسترضاء أهل القدس بتوزيع العطايا لهم أثناء زيارته،[47] ولم تكن في بيت مال المسلمين أموالٌ كافيةٌ، فطلبَ من وُلاتِه مساندته لإعادة بناء البيوت التي انهارت في الزلزال. وتولى كلُّ وال بأمر من الخليفة ترميم رواق من أروقة المسجد الأقصى. وقُلِعَت صفائح الذهب والفضة التي كانت على أبواب قبة الصخرة وضُرِبَت دنانير ودراهم أُنفِقَت على الترميم.[48]

زاد المنصور من جزية المسيحيين الذين يعيشون في القدس في أول زيارة له إلى القدس، وأمر بأخذ الجزية من القساوسة عام (٧٥٧-٧٥٨)، وكان ذلك بسبب زيادة عدد المسجَّلين أنفسهم في الكنائس على أنهم قساوسة هربًا من دفع الجزية. وأمر الخليفة في زيارته هذه بمصادرة بعض من أملاك الكنيسة في القدس، ووَسمِ أيدي المكلَّفين بالجزية من اليهود والمسيحيين. وكان الذين حوَّلوا بعض هذه الأملاك المصادرة إلى أموال هم تجار يهود.[49] وتذكر المصادر زيارة أخرى للمنصور إلى القدس عام ١٥٤/٧٧٠.[50] ولكن المصادر الإسلامية لا تذكر أي تفاصيل عن هذه الزيارة. أما المصادر اليهودية فتذكر أن المنصور رمم قبة الصخرة في هذه الزيارة. ومن الواضح أن زيارة المنصور الثانية للقدس كانت بعد زلزال خرَّب المدينة.[51]

جُعِلَت فلسطين ولاية مستقلة في خلافة المنصور لوجود القدس فيها، أما قبل خلافته فكانت فلسطين تابعة لولاية الشام. وعُيِّنَ عبد الوهاب بن إبراهيم واليًا على هذه الولاية الجديدة.[52]

[47] البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار-رياض الزركلي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧/١٩٩٦)، ٤، ٢٣١؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، (قم، دار الحجر، بدون تاريخ) ٣٠: ٣٠٤.
[48] البلاذري، فتوح البلدان، (بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨٨)، ٢٣٠.
[49] ابن كثير، البداية والنهاية، ٨: ٢٨١؛

Tetik, 7. Yüzyıldan Haçlı Hakimiyetine Kadar Kudüs Tarihi, 40.
Goitein, “Al-Kuds”, EI2, V, 326. Theophanes, 119; Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 113.
[50] البلاذري، أنساب الأشراف، ٤: ٢٦١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٨.
[51] Gil, A History of Palestine 634-1099, 298; Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 112.
[52] اليعقوبي، التاريخ، ١: ٢٦٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٧: ٣٠٢.

زارَ الخليفة المهدي أيضًا القدسَ عام ١٦٣/٧٨٠ بعد أن تولى الخلافة بعد أبيه المنصور.[٥٣] وسعى المهدي أثناء مكوثه في القدس أن يزيل الخسائر التي ألحقها الزلزال بالمدينة عام ١٥٨/٧٧٤. وكان لهذا الزلزال الأخير أضرار أكبر من الزلازل السابقة لا سيما في المسجد الأقصى. وقد رُمِّمَ المسجد أو بتعبير أدق أُعيدَ بناؤه أثناء زيارة الخليفة هذه. وقد تبدَّلت أبعاد المسجد الأقصى أثناء عملية الترميم هذه، فالمسجد في عهد المنصور كان ضيق العرض ممتد الطول، أما في عهد المهدي فوُسِّعَ عرضه وقصر طوله.[٥٤] وقد أصلح المهدي في زيارته هذه بعضًا من الخسائر التي كانت بسبب زلازل سابقة ولم تُصلح لأسباب شتى. وذكرَ المسعودي أن الخليفة بنى القدس. وكتبَ الخليفة لولاته وقادته رسائل يأمرهم فيها بالمشاركة في سد نفقات إصلاح خسائر الزلزال لا سيما في المسجد الأقصى.[٥٥]

وبعد إزالة أضرار الزلزال في القدس سكن المسيحيون حيًّا جديدًا بنوه على نفقتهم. ويُروَى أن بطريرك القدس إلياس الثالث نُفِي في تلك الفترة لمشاركته في بعض من الأعمال السياسية.

ولم يكن هناك أي تقدم ملحوظ في القدس في زمن خلافة موسى الهادي (٧٨٥-٧٨٦). وتلفت المصادر الأنظار إلى الاهتمام الخاص الذي أولاه الخليفة هارون الرشيد للمدينة. فقد تطورت الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩) من جميع النواحي. وشهدت مدينة القدس التي كانت جزءًا من الحياة السياسية في تلك المرحلة تطورات مهمة لا سيما للمسيحيين. وكان العامل الأكبر في هذه التطورات العلاقة بين الخليفة هارون الرشيد وملك الفرنجة شارلمان (٧٦٨-٨١٣). وكان شارلمان يُعرَف في الغرب باسم «شارل الكبير» وقد عيَّنه البابا إمبراطورًا على الإمبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة. وحمَّله تنصيبه من البابا دورَ المسؤول عن سياسة المسيحيين. وكان شارلمان سياسيًّا عبقريًّا، فأظهر اهتمامه بالمدينة المقدسة، ساعيًا بذلك لكسب تعاطف العالَم المسيحي معه، وكسب حليف ضد منافسيهم البيزنطيين عبر اتصاله بالعباسيين الذين كانوا يحكمون القدس. ولم يكن من العسير تحسن العلاقات بين العباسيين وشارلمان، لأن البيزنطيين كانوا على حدود العباسيين ويشكلون خطرًا دائمًا عليهم. وبدأت العلاقات بإرسال رسائل مع الهدايا، ثم استمرت بتبادل السفراء. فقد أرسل شارلمان السفراء عام ٧٩٧ و٨٠٢ و٨٠٧ إلى قصر العباسيين، وأرسل هارون الرشيد السفراء عام ٨٠١ و٨٠٧ إلى مملكة الفرنجة. وكان السفراء يقدمون الهدايا القيمة للحكام أثناء زياراتهم هذه.[٥٦] ويُروَى أن السفراء كانوا يأتون لحاكم الشرق بالصوف المنسوج القيِّم والمنسوجات الأخرى، إلى جانب كلاب الصيد الألمانية، وساعات الماء، والبهارات النادرة، والأفيال، والهدايا القيمة الخاصة بالغرب. وقد وجدت الأبحاث في العصر الحديث مبالغةً في هذه الهدايا وأنها من نسج الخيال، ولكن لا أحد ينكر وجود اتصال سياسي بين شارلمان وهارون الرشيد.[٥٧] والعجيب في هذا الاتصال بين أقوى حاكمَين في تلك الحقبة أن السفراء كان أكثرهم من اليهود. فمن المعروف أن مِن بين أعضاء الوفد الذي جاء إلى بغداد يهوديٌّ اسمه إسحاق الأتشيني. وأثناء عودة هذا الوفد قُتِل جميع أعضائه ما عدا اليهودي إسحاق.[٥٨] وكان للتقارب بين الخليفة وشالمان نتائج إيجابية لصالح المسيحيين الذين يأتون للقدس للحج. وطلب شارلمان من الخليفة تأمين سفر الحجاج إلى القدس، فاتخذت اجراءات جديدة لزيادة أمن طريق حج المسيحيين الذي كان آمنًا بالأساس منذ القديم. ويُذكَر أن شارلمان طلب من الخليفة إعطاء المسيحيين في القدس بعضًا من الامتيازات. فقد أراد من الخليفة أن تُقَام مؤسسات تلبي حاجة المسيحيين في القدس، ولم يمنع الخليفة ذلك.

[٥٣] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧/١٩٩٧)، ٥: ٢٣٢.

[54] Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 112.

[٥٥] المسعودي، مروج الذهب، ٤، ٢٢٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ١٦٨.

[56] Runciman, “Charlemagne and Palestine”, The English Historical Review, 50/200 (1935), 607.

[57] Goitein, “Al-Kuds”, EI2, V, 326; Gombrich, A Little History of the World (A Conqueror who Knows How to Rule), 128.

[58] Runciman, “Charlemagne and Palestine”, 607-608; Blumenkranz, “Charlemagne”, EJd2, IV, 575; “Isaac”, EJd2, 10: 35.

فأُقيمَت مؤسسات دينية واجتماعية مختلفة لصالح المسيحيين بمساعي شارلمان، من المؤسسات الدينية دَيرَان لاستضافة الحُجَّاج، أحدهما قرب كنيسة القبر المقدس والآخر على جبل الزيتون. وبنى المسيحيون في تلك الفترة ١٢ قصرًا كبيرًا في القدس، وسكن بعض من الرهبان الأسبان قرب القبر المقدس. رمَّم شارلمان كثيرًا من الكنائس في المدينة وبنى كنيسة باسم كنيسة العذراء تخليدًا لذكرى السيدة مريم. أما المؤسسات الاجتماعية التي بُنيَت للمسيحيين في القدس فمنها مكتبة كبيرة وبيمارستان (مستشفى) وسوق.[٥٩] وذكَرَ الرحالة المسيحي أركولف اجتماع كثير من التجار من أعراق مختلفة في معرض يُقَام في عيد الصليب من ١٣ إلى ١٥ من أيلول/سبتمبر من كل عام.[٦٠] وظلَّ هذا المعرض يُقَام حتى عهد الفاطميين.[٦١] وأُوقِفَت بجهود شارلمان بعض من بساتين الفاكهة والدور في وادي يهوشافاط الواقع بين جبل الزيتون والحرم الشريف من أجل دفع نفقات هذه المؤسسات. وذكرَ الرحالة المسيحيون الذين زاروا المدينة بعد نصف قرن في كتاباتهم أن هذه المؤسسات كانت قائمة على الرغم من قِدمِها. ويُروَى أيضًا أن شارلمان كان يرسل مساعدات مالية منتظمة كل عام لتوزيعها على الفقراء المسلمين في القدس. وبعد وفاة شارلمان ضعفت الدولة بسبب الصراعات على السلطة وضعف الملوك داخليًّا، وغارات الفايكينغ والمسلمين على الإمبراطورية الكارولنجية خارجيًّا، وقلَّ نفوذ الفرنجة في القدس بعد استعادة بيزنطة قوتها. ونتيجة لكل ذلك لم يبقَ من إنجازات شارلمان في القدس إلا بعض من المؤسسات التي بناها، والطقوس اللاتينية التي تُقَام في كنيسة مريم اللاتينية، والرهبان الذين يخدمون في كنيسة القبر المقدس.[٦٢]

حكمَ لويس الورِع بين عامَي (٨١٣-٨٤٠م) بعد أبيه شارلمان ولم يُنسَ في الغرب بالحكايات الأسطورية التي كانت تدور حوله لخدماته الكثيرة في القدس، ويُذكَر أنه كان يقدِّم الدعم للفرنجة الذين يعيشون في القدس كي يدفعوا الجزية.[٦٣]

بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد تنازع ولدَاه الأمين والمأمون على الخلافة، فوقفَ العرب مع الأمين لأن أمه من العباسيين، ووقفَ الفرس مع المأمون لأن أمه كانت جارية فارسية، وأثناء الصراع بين الأخَّين، ظهرت حركات تمرد في فلسطين لفراغ السلطة. وقد أصابَ المسيحيين في القدس ضررٌ كبيرٌ أثناء هذا التمرد، لأن المتمردين خرَّبوا بعضًا من الكنائس والمؤسسات المسيحية. ووقعت مجاعة شديدة في المدينة آنذاك، واضطر كثير من أهلها لتركها.[٦٤] امتدَ الصراع بينَ الأمين والمأمون على الحكم لأربع سنوات، حتى انتصر المأمون وصار الخليفة العباسي السابع.

ضربَ زلزال القدسَ في خلافة المأمون، فأضر بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة والأبنية الاخرى. وقدِم المأمون إلى القدس ليشرف على إعمار المدينة وترميمها، وأصلحَ الباب الشرقي والشمالي من الحرم الشريف، وكلَّف عبد الله بن طاهر بالإشراف على إعادة بناء الدور المنهارة وإصلاحها (٢١٦/٨٣١). وتتحدث المصادر عن تحريف في كتابة من الفسيفساء الزرقاء بقيت من عهد عبد الملك بن مروان باني المسجد. فأثناء عملية الترميم حُوِّلَت الكتابة إلى اللون الأرزق الداكن، ومُحيَ اسم عبد الملك الخليفة الأموي المذكور على أنه باني المسجد في الكتابة في الحزام الأوسط، ونُقِشَ اسم الخليفة المأمون. غير أن المحرِّفين نسوا تغيير تاريخ بناء المسجد في نهاية الكتابة وهو ٧٢ هجرية (٦٩١م).[٦٥] وأجرى بطريرك القدس بعضًا من الإصلاحات في كنيسة القبر المقدس في خلافة المأمون.[٦٦]

[٥٩] إسكندر، القدس عبر التاريخ، ٥٢؛
Goitein, “Al-Kuds”, EI2, 5: 326.

[60] Gil, “The Jewish Community”, The History of Jerusalem, The Early Muslim Period 638-1099, Ed. Joshua Prawer-Haggai Ben-Shammai, (Jerusalem: Yad Izhak Ben-Zvi; New York: New York University Press, 1996), 191.

[٦١] تذكر وثيقة جنيزة يهودية بتاريخ ١٤ آذار/مارس ١٠٦٢ شكوى لانخفاض أسعار الزيت والحرير بعد هذا المعرض المُقام في القدس. انظر:
Gil, Erets-Yisrael bi’Tkufat ha-Müslimit ha-Rişona, (Tel Aviv: Üniversitat Tel Aviv, 1983), 3: 171.

[62] Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi / Fikret Işıltan, (Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 1987), 1:22; a.mlf., “1095 Yılına Kadar [Hıristiyan Aleminden] Filistin’e Yapılan Hac Yolculukları” / Nuh Arslantaş, İSTEM: İslâm, San‘at, Tarih, Edebiyat ve Mûsikîsi Dergisi 21 (2013) 40-43; Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 113.

[63] Goitein, “Al-Kuds”, EI2, 5: 326.

[64] Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 113.

[٦٥] كُتِبَ في الكتابة الموجودة في أيامنا: «بنى هذه القبة المباركة عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبَّل الله منه ورضي الله عنه آمين». انظر:
Grabar,The Dome of The Rock, (London: The Belknap Press of Harvard University Press, 2006), 59.

[66] Goitein, “Al-Kuds”, EI2, 5: 326; Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 113.

قبة الصخرة من الداخل (أرشيف MT)

ولم يرد في المراجع حدوث أي تطورات مهمة في القدس بعد خلافة المأمون سوى الثورات التي حدثت في فلسطين.

ففي خلافة المعتصم (٨٣٣-٨٤٢) تعرضت القدسُ لأضرار كبيرة أثناء ثورة أبو حرب تميم اللخمي المبرقع عام ٨٤١/٢٢٧. ويُروَى أن سبب هذه الثورة كان دخول جندي دارَ أبي حرب وهو لم يكن فيها وتحقيره لنساء الدار. فلم يستطع أبو حرب أن يحتمل ما حدث، فقتلَ الجنديَ وفرَّ من المدينة إلى أرض الأردن، وهنالك جمعَ أنصار الأمويين من الفلاحين وثار على العباسيين، فنُهِبَت كثير من معابد القدس أو خُرِّبَت أثناء تلك الثورة. وتركَ أهلُ القدس المدينةَ خوفًا من الثوار. وكان أبو حرب يضع بُرقعًا على وجهه أثناء ثورته، لذلك سُمِّي بالمبرقع. أرسلَ الخليفة جيشًا بقيادة رجاء بن أيوب الحضري لقتال المبرقع في وقت الحصاد حين عاد الفلاحون إلى حقولهم وقَّل رجال المبرقع، فأسرَ رجاءُ المبرقَعَ وأرسله إلى سامراء، فقضى بذلك على الثورة سنة ٨٤٢/٢٢٧. [٦٧]

رمَّمت سيدة أمُّ الخليفة المقتدر بالله قبةَ الصخرة، وكسته بالذهب. ويُروَى أنها جعلت أبوابًا خشبية فاخرة لجميع مداخل المسجد.[٦٨]

صارت القدس مركزًا علميًّا وثقافيًّا مهمًا من عهد الأمويين أي بعد القرن الثاني الهجري والقرن الثامن الميلادي، ووصلت إلى أوج ازدهارها في العهد العباسي. وتخرج كثير من الطلبة في حلقات العلم التي أُنشِئَت في القدس على يد كبار العلماء مثل الأوزاعي (ت: ٧٧٤/١٥٧)، وسفيان الثوري (ت: ٧٧٨/١٦١)، والليث بن سعد (ت: ٧٩١/١٧٥). وفي القرن الثاني الهجري سكنَ القدسَ كبار الصوفية مثل رابعة العدوية (ت: ٨٠١/١٨٥ [؟])، وبشر الحافي (ت: ٨٤١/٢٢٧)، وسري السقطي (ت: ٨٦٥/٢٥١). فقد لفتت القدس أنظار الصوفية بدءًا من القرن الثاني الهجري. وسكنَ الإمامُ الشافعي (ت: ٨٢٠/٢٠٤) القدسَ في خلافة المأمون.[٦٩]

كانت القدس تعتمد في معيشتها على زائريها والتجارة، فقد كانت الأقمشة اللامعة والثياب العسلية اللون والخيوط بأنواع شتى تُصنَع في القدس وتُبَاع.[٧٠]

وصول الترك إلى القدس

بدأ الترك يشغلون مناصب في الدولة العباسية لا سيما في الجيش من عهد الخليفة المعتصم. وصار لهم تأثير في الإدارة العباسية التي كانت تحت تأثير الفرس، بعد قرن من تأسيسها. سكنَ الترك في سامراء التي بُنيَت في عهد المعتصم، ثم انتقلوا إلى فلسطين والقدس مع مرور الأيام.

دخلت الخلافة العباسية مرحلة ركود لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية بدءًا من القرن التاسع الميلادي، وظهرت في المناطق التي لم يستطع العباسيون السيطرة عليها لترامي أطرافها دويلاتٌ تابعةٌ للإدارة العباسية ظاهرًا ولكنها كانت مستقلة حقيقةً. وكانت من أهم هذه الدويلات الدولة الطولونية التي أسسها القائد التركي أحمد بن طولون في سبعينيات القرن التاسع، وكانت دولة تركية مستقلة ضمن الخلافة العباسية.

وكان أماجور التركي أول وال تركي عُيِّنَ لولاية الشام وفلسطين عام ٨٧٠/٢٥٦. ولمَّا ثار والي العباسيين في فلسطين عيسى بن الشيخ الشيباني مستغلًا ضعف إدارة العباسيين وأعلنَ استقلاله، أُرسِل أماجور التركي للقضاء عليه. وكان لوالي مصر أحمد بن طولون دورٌ كبيرٌ في القضاء على هذه الثورة.[٧١] وكانت هذه الحادثة سببًا لسيطرة ابن طولون على فلسطين فيما بعد. ويمكن القول إن القدس مرَّت بمرحلة هدوء آنذاك. فقد ذكرَ بطريرك القدس ثيودوسيوس أن المسيحيين عاشوا بحرية في المدينة، وبنوا معابدهم وأدوا شعائر دينهم من غير أي تضييق من الحكام المسلمين.[٧٢] زارَ الراهب الفرنسي برنار الحكيم القدسَ سنة ٨٧٠م بعد لقاء البابا في روما، وذكرَ في كتابه عن الرحلة معلوماتٍ دقيقةً عن مؤسسات المسيحيين الذين كانوا يعيشون في القدس، وتحدث عن حسن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في المدينة، وعن المستوى العالي للأمن هناك.[٧٣]

حكمَ أحمد بن طولون المنطقة في مدة قصيرة لشخصيته القوية المؤثرة وقدرته العالية على التنظيم، ولمَّا ضرب النقود باسمه، عزله الموفق ولي عهد الخليفة، وعيَّن إسحاق بن كنداج، ولكن لم يكن لقرار ولي العهد أي تأثير. إذ أعلن ابن طولون استقلاله عن الخلافة. وخرجَ إلى الشام، وقضى على ابن أماجور، وسيطرَ على القدس وغيرها من مدن المنطقة عام ٨٧٨/٢٦٤. [٧٤] وبقيت القدس تابعة للدول التي قامت في مصر منذ ذلك التاريخ إلى احتلال الصليبيين، وكان أكثر ولاتها من الترك.

وبدأ عُرف دفن حكَّام مصر في القدس مع حكم الطولونيين، إضافةً إلى تأثير كتاب (فضائل القدس) الذي أُلِّفَ في تلك المرحلة. وكان لاعتقاد أن البعث والحشر والنشر سيكون في القدس تأثيرٌ كبيرٌ في هذا العُرف.[٧٥] وبعد القضاء على الطولونيين حُمِلَ جثمان الوالي العباسي عيسى بن موسى النوشري من مصر إلى القدس.[٧٦]

ظهر القرامطة الذين يُنسَبون إلى الإسماعيلية التي ظهرت أثناء ثورة الزنج على العباسيين، وكان ظهور هذه الجماعة الضالة عام ٨٦٩/٢٥٥[٧٧] وكانوا يصلُّون ركعتَين قبل شروق الشمس وركعتَين بعد غروبها مستقبلين القدسَ. واعتقدوا أن الحج يكون للقدس.[٧٨] ويُذكَر أن هجمات القرامطة الوحشية وصلَت إلى فلسطين، ولكن لم يُذكَر أي شيء عن دخولهم القدس.[٧٩]

[٧١] اليعقوبي، التاريخ، ١: ٣١٨- ٣١٩.

[72] Goitein, "Al-Kuds", EI2, 5: 327.

[73] Goitein, "Al-Kuds", EI2, 5: 327.

[٧٤] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦، ٤٣٥٣؛ ابن خلدون، التاريخ، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨/١٩٨٨)، ٣٩٦.

[٧٥] للاطلاع على أدب كتاب الفضائل وأثره انظر:

Duri, "Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD", 113-118; Goitein,"Al-Kuds", EI2, 5: 332-333.

[٧٦] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣: ١٥٦.

[٧٧] للاستزادة انظر:

Hizmetli, "Karmatiler", 24: 513.

[٧٨] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦: ٤٤٦٤؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، (مجهول الناشر، المطبعة الحسينية، بدون تاريخ)، ٢: ٤٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: (دار الكتاب العربي، ١٤١٣/١٩٩٣)، ٢٠: ٤٢٣٤؛ ابن خلدون، التاريخ، ٤١٩.

[79] Goitein, "Al-Kuds", EI2, 5: 327.

قضى القائد العباسي محمد بن سليمان الكاتب على الدولة الطولونية في مصر، ونُفي ٩٠٥ من الأسرة الحاكمة إلى بغداد، وهُدِمَت مدينة «القطائع». وظلَّ العباسيون لثلاثين سنة منشغلين بمسألة الفاطميين والمتمردين وانتقام الولاة من الناس حتى عمَّ الاستقرار في المنطقة بظهور الإخشيديين سنة ٩٣٥م. فحكَم الترك القدسَ للمرة الثانية في عهد الإخشيديين. وقد أولى الإخشيديون القدسَ أهميةً خاصةً.

ونُقِل جثمان مؤسس الدولة الإخشيدية محمد بن طغج إلى القدس مع أنه توفي في دمشق.[٨٠] ومن الذين دُفِنوا في القدس الحسن أخو محمد بن طغج، وولدَاه أبو القاسم أنوجور[٨١] وأبو الحسن علي،[٨٢] والوزير المشهور أبو المسك كافور.[٨٣ ٨٤] ولعلَّ هؤلاء دُفِنوا شرق المسجد الأقصى حيث مقبرة الشهداء اليوم.

استعاد البيزنطيون قوتهم في مرحلة سقوط الإخشيديين وسيطرة الفاطميين على فلسطين، وبدؤوا هجماتهم على العالَم الإسلامي. تزوج نقفور الثاني من ثيافونو زوجة الإمبراطور رومانوس الثاني وصعد إلى سدة الحكم، فاستعاد قبرص من المسلمين سنة ٩٦٥م، وضمَّ قيليقية إلى الحكم البيزنطي، ففتحَ بذلك الطريق للبيزنطيين إلى الشام. واحتل جيش البيزنطيين مدنًا وقلاعًا كثيرة شمالي سوريا، وسيطروا على أنطاكيا عام ٩٦٩م.[٨٥]

وقد هلع أهل القدس بعد سماعهم بنجاحات نقفور العسكرية وقتله للمسلمين في المدن التي استولى عليها، فثاروا وأخذوا قسمًا من حديقة كنيسة القبر المقدس حيث صلَّى سيدنا عمر بن الخطاب وبنوا مسجدًا هناك. وهو المسجد الذي اشتُهِر لاحقًا باسم «مسجد عمر». وكانت معاداة البيزنطيين وأمل المسيحيين الأرثوذكس بالاحتلال سببًا لمواجهات بين المسلمين والمسيحيين في المدينة من حين لآخر. وكانت ثورة أهالي القدس تكبت الأرثوذكس بتحريض من والي القدس البربري، وتؤدي إلى عمليات تخريب أحيانًا. وفي عام ٩٦٦م طلبَ بطريرك القدس العون من الدولة في مصر بعد زيادة الضرائب على المسيحيين. فبعث وزير الإخشيديين الأخير كافور قائدًا تركيًّا إلى المدينة لحماية المسيحيين. غير أن كثيرًا من كنائس المدينة وعلى رأسها كنيسة القبر المقدس نُهِبَت وقُتِلَ البطريرك بتحريض من الوالي. وذكَرَ المؤرخ يحيى بن سعيد الأنطاكي أن هذه الأحداث كانت بتحريض من اليهود، وأن اليهود كان لهم دور أكبر من المسلمين في عمليات النهب وتخريب معابد المسيحيين.[٨٦]

القدس في عهد الفاطميين

ظهرت دويلات جديدة في مناطق مختلفة من أرض الإسلام المترامية الأطراف مع فقدان الدولة العباسية سيطرتها كما ذكرنا فيما سبق. ولم يستطع العباسيون الحفاظ على ولايات مهمة مثل مصر وسوريا وفلسطين أمام دولة الفاطميين القوية.

أسس الفاطميون دولتهم في أفريقيا على يد عبيد الله المهدي عام ٩٠٩/٢٩٧، وسيطروا على مصر من عهد المعز لدين الله عام ٩٧٢/٣٦٢، فكانت دولتهم شرخًا كبيرًا في العالَم الإسلامي. ولم تكن سيطرة الفاطميين على مصر تغييرًا في السلطة فقط، بل كانت تغييرًا دينيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا كان له عميق الأثر في العالَم الإسلامي، إذ كانت المرة الأولى التي تكون فيه خلافة شيعية إلى جانب خلافة سُنِّية في تاريخ الإسلام.[٨٧]

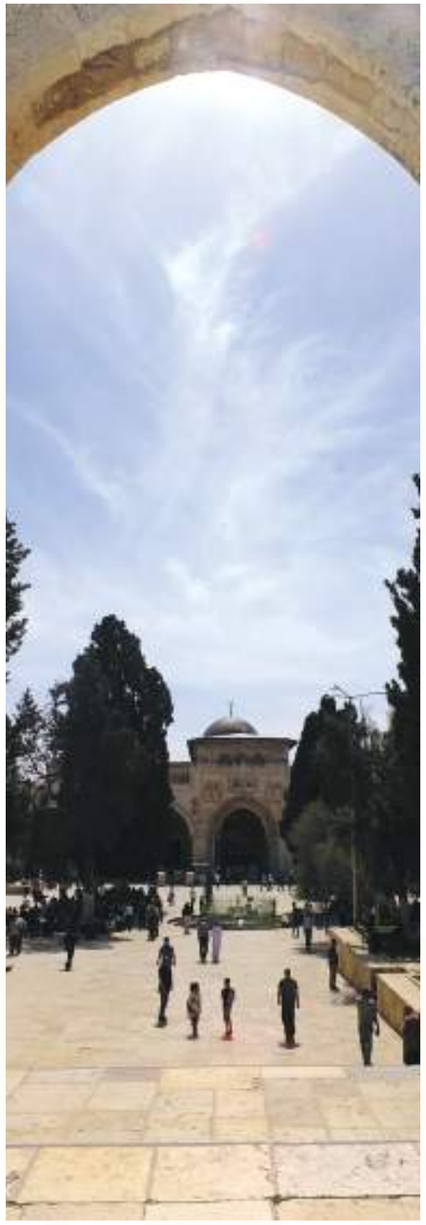

مدخل الجامع القِبلي
(أرشيف MT)

[٨٠] ابن كثير، البداية والنهاية، ١١: ٢١٥؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس- رياض عبد الحميد مراد- محمد مطيع، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢/١٩٨٤)، ١٢: ٢٤٨.

[٨١] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣١٨/١٩٠٠)، ٤: ٩٩؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨)، ٢: ١٤٧.

[٨٢] أبو عمر الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل- أحمد فريد المزيدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤/٢٠٠٣)، ٢١٤.

[٨٣] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٠: ٦.

[84] Goitein, “Al-Kuds”, EI2, 5: 327.

[85] Demirkent, “Bizans”, 6: 236.

[86] Goitein, “Al-Kuds”, EI2, 5: 327.

[87] Seyyid, “Fâtımîler”, 12: 230.

وكان من اليسير على الفاطميين السيطرة على فلسطين[٨٨] التي تعد امتدادًا طبيعيًّا لمصر بعد قضائهم على الإخشيديين. وقد حالت سيطرةُ الفاطميين على فلسطين دون وقوع المنطقة التي كانت تعيش في فراغ في السلطة في يد البيزنطيين.

زاد البيزنطيون من حملاتهم السياسية والعسكرية على أرض الإسلام في تلك المرحلة. خلف يوحنا زيمسكي نقفورَ الثاني الذي راح ضحية مكيدة في القصر، وحكمَ بينَ عامَي ٩٦٩- ٩٧٦ واستولى خلال هذه الفترة على منطقة الجزيرة، ثم دخل دمشق وبيروت بعد سنة أي سنة ٩٧٥. وصار الطريق إلى القدس ممهدًا بعد هذا التقدم، وكان زيمسكي يحمل روحًا صليبيَّة وكان هدفه الأخير الاستيلاء على القدس، ولكنه لم يحقِّق ذلك لسيطرة الفاطميين على فلسطين. وكانت أخبار احتمال استيلاء زيمسكي على القدس سببًا لانتشار شائعة أن المسيحيين سيطردون اليهود من القدس مرة أخرى. وتذكر المصادر العبرية أن اليهود عاشوا مرحلة خوف وهلع من احتمال قتلهم.[٨٩] وبعد وفاة زيمسكي تولى باسيل الثاني السلطة وكان محاربًا شجاعًا، ولكنه لم يحقق أي تقدم نحو الجنوب ونحو القدس، ولم يتجاوز مدينة طرابلس الشام، وإنْ حاولَ التقدم مرتَين. فقدَ باسيل الثاني الأملَ بالاستيلاء على القدس، فاضطُر لعقد اتفاق مع الدولة الفاطمية لعشر سنين. وبذلك ضمن الفاطميون السيطرة على القدس طوال تلك المدة.[٩٠] ظلت القدس على الرغم من سيطرة الفاطميين عليها تحت تهديد القرامطة الذين يعتقدون أن المدينة قِبلة ويُحجُّ إليها، والجراحِّيين بتحريض من البيزنطيين. وكان الجراحيون قبيلة تحكم جنوب فلسطين، فتتعاهد مع الفاطميين تارة لمواجهة القرامطة والحمدانيين حفاظًا على قوتها، وحينما تسوء علاقتها مع الفاطميين، لا تتوانى عن الاتفاق مع البيزنطيين.[٩١]

وكانت خلافة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٩٩٦- ١٠٢١) من أصعب المراحل التي مرَّت بها القدس. فقد عُرِفَ الفاطميون بتسامحهم مع غير المسلمين، إلا أن غير المسلمين عاشوا مرحلة صعبة في خلافة الحاكم، وكان الحاكم يلفت الأنظار بتناقضاته وتغيير أوامره خلال مدة قصيرة لضعف في شخصيته. ولم يستطع أهل الذمة ولا أهل السُّنَّة أن ينجوا من ضغوطات الحاكم على الرغم من التسامح الديني الذي كان موجودًا في تلك المرحلة.[٩٢] لم يخفِّف الخليفة الحاكم ضغوطاته على الذمِّيين طوال عشرة أعوام من عام ١٠٠٤م حتى ١٠١٤م على الرغم من تحذيرات الإمبراطور البيزنطي، وخلال هذه المرحلة الرهيبة صدرَت أوامر من الخليفة بهدم كثير من الكنائس، ومصادرة الأموال، وحرق الصلبان، وظلم أهل الذمة. وفي إطار هذه الأوامر نُهِبَت كنائس القدس وعلى رأسها كنيسة القبر المقدس عام ١٠٠٩/٤٠٠، ثم أُحرِقَت، وأُكرِهَ كثير من المسيحيين على تغيير دينهم. وعُومِل اليهود والمسلمون السُّنَّة بمثل هذه المعاملة.[٩٣] إلا أن الخليفة أذِنَ بإعادة إعمار المعابد التي خُرِّبَت بعد مدة (١٠٢٠/٤١١).[٩٤] وأُعيدَ بناء كثير من الكنائس لا سيما كنيسة القبر المقدس بدعم من الإمبراطور البيزنطي. ولا بد هنا من ذِكر أن الكنائس الكبرى مثل كنيسة القبر المقدس لم تُبنَ بسهولة. أُعيدَ بناء كنيسة القبر المقدس التي يُحجُّ إليها وتتسع لثمانية آلاف شخص في زمن الخليفة الظاهر عام ١٠٢٢/٤١٣، غير أنها افتُتِحَت للعبادة بعد أربعين سنة.[٩٥]

دخلت القدس في حكم أمير حلب صالح بن مرداس بعد وفاة الخليفة الحاكم، غير أن الفاطميين استعادوا المدينة عام ١٠٢٩، وظلوا يحكمونها حتى حكمها الترك.[٩٦]

[88] Ostrogorsky, Bizans Devleti Tarihi / Fikret Işiltan, (Ankara: Türk Tarih Kurumu, 2011), 275 vd.; Demirkent, “Bizans”, 6: 236.

[٨٩] انظر مثلًا:

Mann, Texts and Studies in Jewish History and Literature, (Cincinnati: Hebrew Union College Press, 1931), 2: 18-19,Gil,“The Political History of Jerusalem during the Early Muslim Period”, The History of Jerusalem, The Early Muslim Period 638-1099, Ed. Joshua Prawer-Haggai Ben-Shammai, (Jerusalem: Yadlzhak Ben-Zvi; New York: New York University Press, 1996), 21-22.

وقد كانوا على حقٍّ في مخاوفهم، لأن الصليبيين حينما احتلوا القدس بعد قرن أي عام ١٠٩٩م، وضعوا اليهود في معابدهم وهدموها. وهدموا مقابر اليهود المدفونين في الكهوف المجاورة للقدس واستعملوا حجارتها في البناء. ونفى الصليبيون يهودَ القدس جميعًا، إلا أسرةً يهوديةً أذنوا لها بالبقاء على أن تصنع لهم الأقمشة ضريبةً كبيرةً عليها. للاستزادة انظر:

Arslantaş, İslam Toplumunda Yahudiler, 53.

[90] Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 1: 25-28.

[91] Goitein, “Al-Kuds”, EI2, 5: 327.

[92] Seyyid, “Fâtımîler”, 12: 230.

[٩٣] الديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، (بيروت: دار صادر، بدون تاريخ)، ٢: ٣٥٦؛

Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 1: 28; Seyyid, “Fâtımîler”, 12: 231; Gil, Erets Yisrael, 2: 55.

[٩٤] ابن الراهب، تاريخ، تحقيق: لويس شيخو، (بيروت، ١٩٠٣)، ص٨١-٨٣؛

Bar Hebraeus, Abu’l Farac Tarihi / Ömer Rıza Doğrul, (Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1945), 1: 280.

[95] Goitein, “Al-Kuds”, EI2, V, 328; Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 118.

[٩٦] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨/١٩٩٧)، ١» ١٤١.

وقعت أضرار كبيرة في القدس نتيجة الزلازل التي حدثت في مراحل مختلفة أثناء الحكم الفاطمي، وكان أول الزلازل سنة ٤٠٦/١٠١٥. وذُكِر أن هذا الزلزال الذي كان في الصفيحة العربية وقع بتاريخ ٤ أيلول/سبتمبر عام ١٠١٥. وفي هذا الزلزال وقعت قبة الصخرة، وأصاب مكة والمدينة ضرر كبير.[٩٧] غير أن الزلزال الذي كانت له آثار كبيرة في القدس وسبَّبَ خسائر ضخمة كان سنة ٤٢٥/١٠٣٣، وحدث هذا الزلزال في صدع البحر الميت وأثَّر في مصر والشام. واستمرت الهزات الارتدادية لثمانية أيام، فوقع ضرر كبير في مدن الرملة ونابلس وعسقلان وغزة والقدس خاصة. إذ وقعَ سور من أسوار القدس، وخُرِّبَ جزء كبير من محراب النبي داوود. وبعد سنة من الزلزال أي عام ١٠٣٤ وقع جدار من جدران ملحقات كنيس (المغارة) اليهودي أثناء اجتماع اليهود في عيد الفصح اليهودي.[٩٨] بدأت الإدارة الفاطمية إصلاح المدينة بعد الزلزال بترميم السور، لأن المدينة كانت معرضة دائمًا لنهب الجراحيِّين والقبائل البدوية الأخرى.[٩٩] وذُكِرَ استعمال حجارة الكنائس المهدمة في بناء السور. وقد قسَّمت الإدارة الفاطمية عمل إصلاح سور المدينة بين الطوائف الدينية في القدس. وعندما وجد المسيحيون صعوبة في تأمين نفقات الترميم، طلبوا العون من الإمبراطور البيزنطي، فخصَّص لهم واردات قبرص. ويُذكَر منح حي المسيحيين استقلالية بعد اتفاق بين الإمبراطور البيزنطي والإدارة الفاطمية وبناءً على طلب سابق من شارلمان.[١٠٠] وحدث تغيير في تخطيط المدينة بعد الترميم الأخير، إذ بقي الحي اليهودي وراء الأسوار من أجل تضييق خط الدفاع، لذلك أُسِّسَ لليهود حي جديد في الزاوية الجنوبية الشرقية من القدس. وظل اليهود يقيمون في هذا الحي حتى نفاهم الصليبيون من المدينة.[١٠١]

ضربَ زلزالان بينهما عام القدسَ أثناء حكم الفاطميين وقبل حكم الترك بقليل، وكان أولهما عام ٤٦٠/١٠٦٧ وحدث «تسونامي» في البحر المتوسط، ووقعت أضرار كبيرة في بانياس والرملة والقدس. انهارت أسوار الرملة آنذاك وهُدِمَت بيوتها ما عدا بيتَين. ومالت قبة الصخرة أولًا، ثم عادَت إلى مكانها بهزة ارتدادية. وتتحدث المصادر عن وفاة مئة شخص في القدس.[١٠٢] أما الزلزال الآخر فوقع عام ٤٦٢/١٠٦٩. وحدث «تسونامي» في البحر المتوسط كما حدث في المرة الماضية، ووقع ضرر كبير في الرملة وجوارها وأيلة والقدس. وانهارت أكثر بيوتها، وانخسفت أيلة.[١٠٣] انهارت مدينة الرملة كاملًا بتأثير الزلازل المتلاحقة، وهذا كان سببًا في نقل مركز الإدارة من الرملة إلى القدس.[١٠٤] ويُلَاحظ ازدياد عدد الحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا إلى القدس في تلك المرحلة، ويُذكَر قدوم اثني عشر مسيحيًّا من ألمانيا وهولندا للحج في القدس سنة ١٠٦٥م. ولم يُمنَع أتباع الديانات والأعراق الأخرى من القدوم إلى القدس والسكن فيها. وكان من السهل إيجاد أي نوع من المنتجات في القدس على الرغم من الصعوبات والمشقات.[١٠٥]

تقدم الطب كثيرًا في القدس في عهد الفاطميين، ففيها ظهر أطباء كثر مثل محمد بن سعيد التميمي (ت: بعد ٣٧٠/٩٨٠). وبُنِيَت أوقاف كثيرة من أجل البيمارستان/المستشفى الذي افتُتِحَ في المدينة. وكان العلاج في البيمارستان مجانًا لأتباع الديانات والأعراق المختلفة. ويُذكَر بناء مركز دعاية باسم «دار العلم» في المدينة بغية نشر الدعوة الفاطمية الإسماعيلية في أواخر القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي. استفاد التميمي مما يعرفه الراهب أنبا زخريا بن ثوابة في الطب والأدوية، وكان التميمي عالمًا بمختلف أنواع النباتات التي تنمو في فلسطين.[١٠٦]

[97] Gil, A History of Palestine, 386, 647; Arslantaş, İslam Dünyasında Depremler ve Algılanma Biçimleri, (İstanbul: Gelenek Yayınları, 2003), 75.
[98] Gil, "The Political History of Jerusalem during the early Muslim Period", 30; Arslantaş, İslam Dünyasında Depremler ve Algılanma Biçimleri, 77-78.
[99] Goitein, "Al-Kuds", EI2, 5: 328.
[100] Tetik, 7. Yüzyıldan Haçlı Hakimiyetine Kadar Kudüs Tarihi, 55.
[101] Tetik, 7. Yüzyıldan Haçlı Hakimiyetine Kadar Kudüs Tarihi, 55.
[١٠٢] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، (دمشق: دار حسان، ١٩٨٣)، ٤١٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨: ٤٢١٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٥: ٤٨٠؛ Arslantaş, İslam Dünyasında Depremler ve Algılanma Biçimleri, 82.
[١٠٣] ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢/١٩٩٢)، ١٦: ١١٦.
[104] Goitein, "Al-Kuds", EI2, 5: 328.
[105] Goitein, "Al-Kuds", EI2, 5: 328; Duri, "Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD", 118.
[106] Duri, "Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD", 119; Kaya, "Temîmî, Muhammed b. Ahmed", 40: 423-424.

ومن العلماء المشهورين الذين يُنسَبون إلى القدس في هذه المرحلة المُطهَّر بن طاهر المقدسي (ت: بعد ٣٥٥/٩٦٦) وكان من الأسماء المهمة التي حاولت التوفيق بين العقل والوحي (أي الفلسفة والدين) في تاريخ الفكر الإسلامي. وكان المقدسي عالمًا سبقَ عصره واهتم بالتاريخ والجغرافية وتاريخ الأديان والمذاهب والرياضيات والفلسفة والكلام. وقد وضع كتاب (البدء والتاريخ) الذي له مكانته حتى في أيامنا هذه، ويُعَد مرجعًا في التاريخ السياسي والحضارة وتاريخ الأديان والكلام والفلسفة الإسلامية.[١٠٧]

بدء حكم الترك (السلاجقة) في القدس

حكَم الولاة الترك القدسَ في عهد الطولونيين والإخشيديين تابعين للعباسيين ظاهرًا ومستقلين فعلًا، وقدَّموا خدمات كبيرة للمدينة. وعُيِّنَ ولاة من الترك أحيانًا في عهد الفاطميين.[١٠٨] بنى السلاجقة دولتهم (دولة السلاجقة الكبرى) في خراسان عام ١٠٤٠م وفتحوا العراق وفارس في مدة قصيرة، وكان لهما هدفان مهمان: أولهما فتح الأناضول واتخاذها موطنًا لهم، والآخر فتح سوريا وفلسطين ومصر لضمان الوحدة السياسية في العالَم الإسلامي. استطاع أتسز (١٠٧٢-١٠٩٢) أن يفتح سوريا وفلسطين في عهد ملك شاه بسبب الصراعات الداخلية والخارجية. وتذكر المراجع قدوم قبيلة من التركمان كانت تُسمَّى «يافغيَّة» أو «نافَكيَّة» إلى فلسطين واستيطانهم فيها عام ١٠٧١م. ويُذكَر أن الترك آنذاك سمَّت هذه القبيلة باسم «التائهون أو الهاربون» أو «اليافغية» لأنهم قدموا إلى منطقة مجهولة. وكان زعماء الجماعات التركمانية القادمة إلى المنطقة هم «كزلي» و«أتسز» و«شوكلي».[١٠٩] وقد فرح الفاطميون الذين لم يستطيعوا السيطرة على العرب بقدوم التركمان إلى المنطقة. ويُذكَر أن هذه القبائل التركمانية سكنت طبريا وما حولها، وقد عمرَت في مدة قصيرة مدينةَ الرملة التي لم تعد مركزًا إداريًّا لوقوع الزلازل فيها ولأسباب سياسية أخرى. وبهذا تأسست إمارة تركمانية تابعة للسلاجقة في المنطقة.[١١٠]

الحرم الشريف/المسجد الأقصى (أرشيف FA٧.٤٢,٤٣,١٣)

[107] Şeşen, Müslümanlarda Tarih-Coğrafya Yazıcılığı, (İstanbul: İSAR Vakfı Yayınları, 1998), 66-67; Sayar, "Makdisî, Mutahhar b. Tâhir", 27: 432-434.
[108] Goitein, "Al-Kuds", EI2, 5: 327.
[109] Koca, "Büyük Selçuklu Sultanı Meliksâh'ın Suriye, Filistin, Mısır Politikası ve Türkmen Beyi Atsız", 10.
[110] Gül, 11-13. Yüzyıllarda Kudüs, (Fırat Üniversitesi, 1997), 46.

مشهد رائع لقبة الصخرة داخل الحرم الشريف

استطاعت القبائل التركمانية بعد أن سكنت فلسطين أن تفتح المدن التي يسيطر عليها الفاطميون في المنطقة. توفي الزعيم كزلي أثناء حصار عكا التي كانت بيد الفاطميين، فخلفه أتسز بن أوق.[١١١] وأدركَ أتسز صعوبة حصار عكا، فاتجه إلى القدس التي كانت مركز فلسطين ومدينة مهمة في المنطقة. وكان والي المدينة تركي الأصل، فسلَّم المدينة على شرط إعطاء الأمان له ولأسرته وأهل المدينة. ففتح أتسز المدينة المقدسة من غير سفك للدماء. وصار يُدعى للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي في الخُطَب في القدس (١٠٧١/٤٦٣).[١١٢] وكان ذلك رفعًا لشأن العباسيين والسلاجقة. اتَّبعَ أتسز بعد فتحه القدس سياسةً لتحقيق التوازن السياسي في المدينة التي يسكنها أناس من أديان وأعراق مختلفة، فعيَّن مسيحيًّا يعقوبيًّا يقبله الفاطميون أيضًا واليًا على القدس بدلًا من وال مسلم.[١١٣] واستطاع أتسز أن يسيطر على عكا ويقضي على شوكلي الذي تمرد عليه، ونظَّم أموره الداخلية، ثم استولى على مدن مختلفة في فلسطين ودعمَ حكمه في المنطقة باسم السلاجقة.[١١٥] وأراد أتسز أن يفتح مصر، ولكنه غُلِبَ وعاد عام (١٠٧٧/٤٦٩). واستغل أهل القدس غياب أتسز عن المدينة آنذاك فثاروا عليه. وأراد أتسز أن يستولي على القدس بإعطاء أهلها الأمان، لكن أهلها رفضوا ذلك، فاستولى عليها هذه المرة بقوة السلاح، وأعملَ السيف في المتمردين.[١١٦]

وعندما وصل خبر هزيمة أتسز في مصر وفلسطين إلى السلطان السلجوقي ملكشاه وعلى أن أتسز قُتِل، عيَّن السلطان أخاه تاج الدولة تُتُش واليًا على سوريا وفلسطين، وأمره بفتح مصر. ويُذكَر أن ملكشاه قد اتخذ هذا القرار على الرغم من اعتراض نظام الملك، خوفًا من إقامة أتسز دولة مستقلة في جنوبي سوريا وفلسطين تنافس سلطانه.

[111] Koca, “Büyük Selçuklu Sultanı Meliksâh’ın Suriye, Filistin, Mısır Politikası ve Türkmen Beyi Atsız”, 11.

[112] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 166؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8: 226؛ Sevim, Suriye ve Filistin Selçukluları Tarihi, (Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1989), 65-66; Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 1: 59.

[113] Tetik, 7. Yüzyıldan Haçlı Hakimiyetine Kadar Kudüs Tarihi, 58.

[114] Sevim, Ali, Suriye ve Filistin Selçukluları Tarihi, 66; Koca, “Büyük Selçuklu Sultanı Meliksâh’ın Suriye, Filistin, Mısır Politikası ve Türkmen Beyi Atsız”, 12 vd.

[115] Sevim, “Atsız b. Uvak”, 4: 92-93; Koca, “Büyük Selçuklu Sultanı Meliksâh’ın Suriye, Filistin, Mısır Politikası ve Türkmen Beyi Atsız”, 17 vd.; Gül, 11-13. Yüzyıllarda Kudüs, 48.

[116] Koca, “Büyük Selçuklu Sultanı Meliksâh’ın Suriye, Filistin, Mısır Politikası ve Türkmen Beyi Atsız”, 14, 25.

وأعلمَ تُتُشُ ملكشاه أن أتسز لم يمت. دافع تُتُش وأتسز عن دمشق معًا، ولكن تُتُش قتلَ أتسز خنقًا بوتر القوس عام ١٠٧٩/٤٧١ بحجة أنه تأخر في استقباله وأنه يُعِدُّ مكيدة مع أخيه ضده.[١١٧] قُتِل أتسز بطريقة مريعة وقد كان قائدًا ناجحًا استطاع أن يفتح سوريا وفلسطين في مدة قصيرة لم تتجاوز ٤ أو ٥ سنوات. ولم يُهمِل تُتُش القدسَ بعد أن صار حاكمًا بعد أتسز، فأرسل فرقة من جنده لفتح القدس، وبذلك أسس السلاجقة دولة واسعة امتدت من كاشغر حتى القدس.[١١٨]

عيَّنَ تُتُش أرتق بن أكسب واليًا على القدس وأقطعَه المدينة وما حولها. فبنَى أرتق مسجدًا جديدًا في القدس عام ١٠٨٢/٤٧٤، ولم يغادر المدينة وتوفي ودُفِنَ فيها عام ١٠٩١/٤٨٤. وبعد وفاته بقيت القدس لولدَيه سقمان وإيلغازي، فحكماها عبر نوَّابهما.[١١٩]

شهدت القدس تقدمًا علميًّا ملحوظًا خلال ربع قرن من حكم السلاجقة. وصارت المدينة مركزًا فقهيًّا مهمًا، وبنَى فيها الفقيه الشافعي نصر بن إبراهيم المقدسي مدرسة نصر عام ١٠٩٦/٤٩٠. وكانت المدرسة بجانب باب الأسباط. ومن فقهاء الشافعية الذين عاشوا في تلك المرحلة أبو الفضل عطاء المقدسي، فدرسَ كثير من الطلبة في حلقات العلم التي كان يقيمها في المسجد الأقصى. وبُنِيَت مدرسة للحنفية في محيط الحرم الشريف. وكان أبو الفرج الشيرازي يدرِّس المذهب الحنبلي في المدرسة الحنبلية. ومن المحدثين الذين عاشوا في القدس في تلك الفترة أبو القاسم مكي بن عبد السلام (ت: ١٠٩٩/٤٩٢). وكان هذا العالِم يُعِدُّ كتابًا عن تاريخ القدس إلا أن احتلال الصليبيين للقدس وقتلهم إياه حال دون إتمام الكتاب.[١٢٠] ومن العلماء الذين وُلِدُوا في القدس أبو الفضل ابن القيسراني (ت: ١١١٣/٥٠٧) الذي طلبَ العلم في بلدان شتى من العالَم الإسلامي ثم عاد إلى القدس وأقام فيها حلقات علم. وكان ابن القيسراني عالِمًا بنسب النبي وسيرته وأحاديثه وحافظًا قويًّا للأحاديث وصوفيًّا يقدِّم العلم والحديث على كل شيء.[١٢١]

وقد قدِم إلى القدس آنذاك علماء كثر من بلدان إسلامية مختلفة، منهم أبو الفرج الشيرازي (١٠٩٣/٤٨٦) الذي ذكرناه وهو الذي جاء بالمذهب الحنبلي إلى المدينة، ومنهم الإمام الغزالي (ت: ١١١١/٥٠٥) الذي كتبَ (الرسالة القدسية) في الحرم الشريف، ومنهم الفقيه الأندلسي أبو بكر الطرطوشي (١٠٩١/٤٨٤) وبقي فيها ثلاث سنوات ودرَّس الفقهَ في المسجد الأقصى. وفي السنة التي قدِم فيها الطرطوشي (١٠٩١/٤٨٤) إلى القدس انطلقَ ابن العربي (ت: ١١٤٨/٥٤٣) من الأندلس وجاء إلى القدس ودرَّسَ فيها. وكان في القدس آنذاك كثير من العلماء قدموا من مناطق مختلفة من العالَم الإسلامي الذي كان ممتدًا من خراسان إلى الأندلس. وكانت تُجرَى مناظرات ومناقشات بين علماء من مذاهب وطوائف إسلامية وأتباع الديانات الأخرى، وكانت القدس مركزًا لمذاهب من غير أهل السنة والجماعة مثل المعتزلة والكرامية والمشبِّهة.[١٢٢]

دبَّ نزاع على الحكم بين أفراد الأسرة السلجوقية وكثرت أنشطة البيزنطيين في القدس، فاستغل الفاطميون ذلك واستولوا على القدس مرة أخرى. حاصرَ الجيش الفاطمي بقيادة الأفضل أمير الجيوش مدينةَ القدسَ لأربعين يومًا، ثم استولى عليها عام ١٠٩٨/٤٩١. ولم يبقَ الأفضلُ في المدينة، بل ترك فيها حامية صغيرة ورجع إلى مصر.[١٢٣]

وكان العالَم الإسلامي في تلك المرحلة في أسوء مراحله، إذ كان فيه صراع على الحكم، ومنافسة بين الأمراء، وخلاف في المذاهب والطرق، فكان كل ذلك فرصةً لا تُعوَّض للصليبيِّين. وكان الصليبيُّون يذكون نار الفتنة في العالَم الإسلامي، واستطاعوا أخيرًا بعد الاستيلاء على أنطاكيا أن يستولوا على القدس وذلك في ١٥ تموز/يوليو من عام ١٠٩٩م.

[117] الذهبي، العبر في خبر من غبر، (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ)، ٢: ٣٢٩؛ ابن خلدون، التاريخ، ٨٣.

[118] Goitein, “Al-Kuds”, EI2, 5: 328; Sevim, “Atsız b. Uvak”, 4: 92-93.

[119] Sevim, “Artuk Oğlu İlgazi”, Belleten XXVI/104 (1962), s. 649-651; Goitein, “Al-Kuds”, EI2, 5: 328; Korkmaz, “Selçuklular Döneminde Kudüs”, I. Uluslararası Selçuklu Sempozyumu, Selçuklu Siyasi Tarihi (Bildiriler), (Ankara: Türk Tarih Kurumu, 2014), 363.

[120] Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 119.

[121] Kandemir, “İbnü’l-Kayserânî”, 21: 109-111.

[122] Duri, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, 120.

[123] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ٢٢١.

المراجع العربية

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري. أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود. ٨ مجلدات. مجهول الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٥/١٩٩٤.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري. الكامل في التاريخ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ١- ١٠. بيروت: دار الكتب العربية، ١٤١٧/١٩٩٧.

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا. ١٩ مجلدًا. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢/١٩٩٢).

ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني. البلدان. تحقيق: يوسف الهادي. بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦/١٩٩٦.

ابن القلانسي، حمزة بن أسعد بن علي التميمي. تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار. دمشق: دار حسان، ١٤٠٣/١٩٨٣.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ١٦ مجلدًا. مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، بدون تاريخ.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله. المسالك والممالك. بيروت: دار صادر، ١٣٠٧/١٨٨٩.

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون. التاريخ. تحقيق:خليل شحادة. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨/١٩٨٨.

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الأربيلي. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. ٧ مجلدات. بيروت: دار صادر، ١٣١٨/١٩٠٠ (١-٣، ٦)، ١٣٩١/١٩٧١ (٤)، ١٤١٥/١٩٩٤ (٥، ٧).

ابن راهب، أبو شاكر بطرس بن أبي الكرم. تاريخ. تحقيق: لويس شيخو اليسوعي. بيروت، ١٩٠٣.

ابن عساكر، أبو القاسم ثقة الدين علي بن حسن بن هبة الله بن عساكر. تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ٨٠ مجلدًا. مجهول الناشر: دار الفكر، ١٤١٥/١٩٩٥.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. البداية والنهاية. ١٥ مجلدًا، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٧/١٩٨٦؛ تحقيق: علي شيري، ١٤٠٨/١٩٨٨.

ابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى. معرفة الصحابة. مجهول الناشر: مطبعة جامعة الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٦/٢٠٠٥.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور الرويفعي. مختصر تاريخ دمشق. تحقيق: روحية النحاس- رياض عبد الحميد مراد- محمد مطيع. ٢٩ مجلدًا. دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢/١٩٨٤.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد. المختصر في أخبار البشر. ٤ مجلدات. مجهول الناشر: المكتبة الحسينية، بدون تاريخ.

إسكندر، ميخائيل مكسي. القدس عبر التاريخ. القاهرة، ١٩٧٢.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود. أنساب الأشراف. تحقيق: سهيل زكار- رياض الزركلي. بيروت: دار الفكر، ١٤١٧/١٩٩٦.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود. فتوح البلدان. بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨٨.

الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس. مجلدان. بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. العبر في خبر من غبر. ٤ مجلدات. بيروت: دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: بشار عواد معروف. ١٥ مجلدًا. علولي ٢٠٠٣؛ تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ٥٢ مجلدًا. بيروت: دار الكتب العربية، ١٤١٣/١٩٩٣.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي. مسند الشاميين- الطبراني. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ٤ مجلدات. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥/١٩٨٤.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. لسان الميزان. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ١٠ مجلدات. دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣/٢٠٠٢.

العليمي، أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. تحقيق: عدنان يونس- عبد المجيد نباتة. مجلدان. عمان: مكتبة دنديس، ١٤٢٠/١٩٩٩.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي. مآثر الإنافة في معالم الخلافة. تحقيق: عبد الستار أحمد فراج. ١٣ مجلدًا. الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥.

الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف. كتاب الولاة وكتاب القضاة. تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل- أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤/٢٠٠٣.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: أسعد داغر. ٤ مجلدات. قم: دار الحجر، بدون تاريخ.

المقدسي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. بيروت: دار صادر، ١٤١١/١٩٩١.

المقدسي، شهاب الدين أبو محمد بن تميم. مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام. تحقيق: أحمد الخطيمي. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٤.

المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني المقريزي. السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ٨ مجلدات. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨/١٩٩٧.

المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني المقريزي. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. ٤ مجلدات. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨.

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح. البلدان. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢.

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح. التاريخ. مجلدان. مجهول الناشر. بدون تاريخ.

جمعة الأشقر، أسامة. مدينة بيت المقدس في القرن الإسلامي الأول. دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، ٢٠٢١.

خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة العصفري. تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣.

المراجع باللغات الأخرى

"Isaac", EJd2, X, 35.

Arslantaş, Nuh. İslâm Toplumunda Yahudiler, Abbâsî ve Fâtımî Dönemi Yahudilerinde Hukukî, Dinî ve Sosyal Hayat. İstanbul: İz Yayınları, 2008.

Arslantaş, Nuh. İslam Dünyasında Depremler ve Algılanma Biçimleri. İstanbul: Gelenek Yayınları, 2003.

Assaf, Simha. Makorot u Mahkarim be-Toldot Yisrael [Yahudi Tarihine Dair Kaynaklar ve Araştırmalar. Jerusalem: Mosad ha-Rav .KuK, 1946.

Avcı, Casim. "Kudüs". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 329-327 :26. İstanbul: TDV Yayınları, 2002.

Avcı, Casim. "Mu'tasım-Billâh". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 382-380 :31. İstanbul: TDV Yayınları, 2006.

Bar Hebraeus, Gregory Abu'l-Farac. Abu'l Farac Tarihi, I-II / Ömer Rıza Doğrul. Ankara: Türk Tarih Kurumu,1945.

Basit, Musa İsmail & Oth. Kudüs Tarihi / Ali Benli ve Komisyon. İstanbul: Nida Yayıncılık, 2011.

Beksaç, Engin. "Emevîler: Sanat". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 108-104 :11. İstanbul: TDV Yayınları, 1995.

Bozkurt, Nebi. "Kubbetü's-Sahre". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 308-304 :27. İstanbul: TDV Yayınları, 2002.

Demirkent, Işın. "Bizans". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 244-230 :6. İstanbul: TDV Yayınları, 1992.

Duri, Abdulaziz. "Jerusalem in the Early Islamic Period 7th11-th Centuries AD". Jerusalem in History içinde. Ed. K.J. Asali, Scorpion Publishing Ltd, Essex 1989.

Gil, Moshe. A History of Palestine 1099-634 / Ethel Broido. Cambridge: Cambridge University Press, 1997.

Gil, Moshe. Erets-Yisrael bi'Tkufat ha-Müslimit ha-Rişona (1099-634) [İslâmî Dönemde Filistin]. 3 Cilt. Tel Aviv: Üniversitat Tel Aviv, 1983.

Gil, Moshe. "The Jewish Community". The History of Jerusalem, The Early Muslim Period 1099-638. Ed. Joshua Prawer-Haggai Ben-Shammai. Jerusalem: Yad Izhak Ben-Zvi; New York: New York University Press, 1996. pp. 199-163.

Gil, Moshe. "The Political History of Jerusalem during the Early Muslim Period", The History of Jerusalem, The Early Muslim Period 1099-638, Ed. Joshua Prawer-Haggai Ben-Shammai, Jerusalem: Yad Izhak Ben-Zvi; New York: New York University Press 1996, s. 37-1.

Goitein, Şlomo Dov. "Al-Kuds". EI339-323 :5 .2.

Goldziher, Ignaz. Muslim Studies / C. R. Barber. S. M. Stern. London: George Allen & Unwin Ltd. 1971.

Gombrich, E. H. A Little History of the World (A Conqueror who Knows How to Rule). Yale University Press, 2005.

Grabar, Oleg. The Dome Of The Rock. London: The Belknap Press of Harvard University Press, 2006.

Gül, Muammer. 13-11. Yüzyıllarda Kudüs. Fırat Üniversitesi, 1997.

Hirschberg, Hayyim Z'iv. "'Inyaney Har ha-Zeytim bi'Tkufat ha-Geonim" [Gaonluk Döneminde Zeytin Dağı'na İlişkin Bazı Bilgiler].

Yediot ha-Hevra ha-'İvrit le-Hakirat Erets-Yisrael ve 'Atikoteha (BJPES). 47-1946) 13): s. 164-156.

Hizmetli, Sabri. "Karmatiler". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 514-510 :24. İstanbul: TDV Yayınları, 2001.

Hureysât, Muhammed Abdülkadir, "Cerrahîler", Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 416-415 :7. İstanbul: TDV Yayınları, 1993.

Kandemir, Yaşar. "İbnü'l-Kayserânî". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 111-109 :21. İstanbul: TDV Yayınları, 2000.

Kaya, Mahmut. "Temîmî, Muhammed b. Ahmed". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 424-423 :40. İstanbul: TDV Yayınları, 2011.

Koca, Salim. "Büyük Selçuklu Sultanı Meliksâh'ın Suriye, Filistin, Mısır Politikası ve Türkmen Beyi Atsız". Selçuk Üniversitesi Türkiyat Araştırmaları Dergisi. 37-1 ,(2007) 22.

Kollek, Teddy - Pearlman, Moshe, Jerusalem. Sacred of Mankind: a History of Centuries. Jerusalem, Tel Aviv-Haifa: Random House, 1967.

Korkmaz, Seyfullah. "Selçuklular Döneminde Kudüs". I. Uluslararası Selçuklu Sempozyumu, Selçuklu Siyasi Tarihi (Bildiriler). Ankara: Türk Tarih Kurumu 627-619 .2014.

Küçükaşçı, M. Sabri-Nebi Bozkurt. "Mescid-i Nebevî". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. -281 :29 290. İstanbul: TDV Yayınları, 2004.

Lapidus, Ira M. İslam Toplumları Tarihi C.1 Hazreti Muhammed'den 19. Yüzyıla / Yasin Aktay. İstanbul: İletişim Yayınları, 2002.

Mann, Jacob. Texts and Studies in Jewish History and Literature. I-II. Cincinnati, Ohio, USA: Hebrew Union College Press, 1931.

Ostrogorsky, Georg. Bizans Devleti Tarih / Fikret Işıltan. Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 2011.

Runciman, Steven. Haçlı Seferleri Tarihi. 3 Cilt / Fikret Işıltan. Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 1987.

Runciman, Steven. "1095 Yılına Kadar [Hristiyan Aleminden] Filistin'e Yapılan Hac Yolculukları" / Nuh Arslantaş. İSTEM: İslâm, San'at, Tarih, Edebiyat ve Mûsikîsi Dergisi 2013) 21), s. 50-39.

Runciman, Steven. "Charlemagne and Palestine". The English Historical Review. 1935) 200/50), pp. 619-606.

Sayar, Süleyman, "Makdisî, Mutahhar b. Tâhir", Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. DİA, -432 :27 434. İstanbul: TDV Yayınları, 2003.

Şeşen, Ramazan. Müslümanlarda Tarih-Coğrafya Yazıcılığı. İstanbul: İSAR Vakfı Yayınları, 1998.

Sevim, Ali. "Artuk Oğlu İlgazi". Belleten. 1962) 104 :26), s. 691-649.

Sevim, Ali. "Atsız b. Uvak", Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 93-92 :4. İstanbul: TDV Yayınları, 1991.

Sevim, Ali. Suriye ve Filistin Selçukluları Tarihi. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1989.

Seyyid, Eymen Fuâd. "Fâtımîler". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 237-228 :12. İstanbul: TDV Yayınları, 1995.

Tetik, Asiye Derya, 7. Yüzyıldan Haçlı Hakimiyetine Kadar Kudüs Tarihi. Celal Bayar Üniversitesi, 2018.

Theophanes. The Cronicle of the Theophanes (Annu Mundi -6305-6095 A.D. 813-602) / Harry Turtledove. Philedelphia: University of Pennsylvania Press, 1982.

القدس في عهد الصليبيّين

* ألدار حسن أوغلو

استولى المسيحيون بقيادة الكنيسة الكاثوليكية على الشرق الأوسط في نهاية القرن الحادي عشر، وتحركت جيوشهم لاستعادة القدس وما حولها من المسلمين. وقد عُرِفَت هذه الحملات العسكرية باسم الحملات الصليبية. وكانت هذه الحملات حملات احتلال ولغايات اقتصادية وإنْ ادُّعيَ أنها لمساندة المسيحيين في الشرق، وحمايةِ الأماكن المقدسة وطرق الحج من المسلمين. وقد تضرر المسيحيون غير الكاثوليك مثل المسلمين من هذه الحملات الصليبية.[1]

دبَّت الحماسة في قلوب الناس بعد أن خطبَ البابا أوربانوس الثاني خطبة عصماء في مجمع كليرمون عام ١٠٩٥م. فانطلق الفرسان النبلاء والمسيحيون الفقراء رغبةً في اغتنام ما في الشرق من ثراء. وخرجت وحدات الجيش غير المنظم عام ١٠٩٦م. وكان ذلك التاريخ بداية الحملات الصليبية. أخفقت هذه الوحدات في بلوغ غايتها، ولكن الحملات التي بدأت بعد عام من ذلك مكَّنت المسيحيين من الاستيلاء على أراض في الشرق الأوسط، فأقاموا فيها دولًا. وكانت نتيجة هذه الحملات إقامة ممالك في الرها (أورفا) وأنطاكيا والقدس وطرابلس. وظلَّ الصليبيون يسيطرون على مناطق في الشرق الأوسط حتى سقوط آخر معاقلهم في عكا عام ١٢٩١م.[2]

انطلق الصليبيُّون عام ١٠٩٨م من أنطاكيا بغية الاستيلاء على القدس، فساروا نحو الجنوب على سواحل البحر المتوسط، ونهبوا المدن التي كانت على طريقهم. وعندما وصلوا إلى جبل النبي صموئيل قرب القدس في السابع من حزيران/يونيو، شاهدوا القدس من هناك. كانت القدس آنذاك بيد الفاطميين يحكمها الوالي الفاطمي افتخار الدولة الذي كان معه ألف من عسكره. رفض المسلمون تسليم القدس للصليبيين، فدافعوا عنها مع العسكر. ردمَ المسلمون مصادر المياه التي كانت خارج سور المدينة وأتلفوا كل شيء يمكن أن يستعمله الصليبيون أثناء هجومهم، كي يتركوا الجيش الصليبي بلا ماء، فيصعب عليهم حصار المدينة. وكان على رأس الجيش الصليبي الذي يهاجم القدس قائد اسمه ريمون الرابع دو سان جيل. وكان تحت أمره عشرون ألف جندي ومثلهم من المسيحيين الذين شاركوا في الجيش من أجل الحج. ولم يتراجع الصليبيون عن حصار المدينة على الرغم من مقاومة المسلمين. دام الحصار لخمسة أسابيع، وأخفقت جميع محاولات الصليبين في الهجوم. وكان الصليبيون يستمدون الطعام وما يلزمهم للهجوم من سفينتَين من جنوة وأربع سفن إنكليزية راسية في ميناء يافا. أراد أهل جنوة أن يشاركوا في الهجوم على القدس، فراحوا يفكون سفينتَيهم، وينقلون أخشابهما إلى القدس، وهناك صنعوا برجَين منها واستعملوهما للاقتراب من الأسوار. بدأ هجوم الصليبيين على القدس في ١٣ و١٤ من تموز/يوليو، واستطاعوا في ١٥ تموز/يوليو من عام ١٠٩٩ أن يدخلوا القدس. في البداية دخل فارسان من فرقة جودفري دوق اللورين السفلى وحاكم بولون من الباب الشمالي الشرقي، ثم جاوزَ جودفري وأخوه القائد يوستاس والقائد تانكرد وجنوده الأسوارَ ودخلوا المدينة من قرب بوابة الزهر في ساعة الظهيرة. ولما فتحَ جنود ريمون الرابع الذي كان يقود وحدات الجيش في الجانب الجنوبي بابَ دمشق، دخل الجيش المدينة. فلجأ أهل المدينة المسلمون إلى الحرم الشريف. فهجم الجنود بقيادة تانكرد على الحرم الشريف ونهبوا ما فيه، ورفعوا راية الصليبيين فوق قبة الصخرة. لجأ الوالي إلى برج داوود وقاوم الصليبيين منها، فحاصر ريمون الرابع البرجَ ووعدَ الوالي بخروجه مع جيشه سالمًا من المدينة، فاستسلم الوالي وخرج من القدس مع جيشه.[3]

* الأستاذ المساعد د. ألدار حسن أوغلو عضو في الهيئة التدريسية في قسم علوم الدين في كلية العلوم الإسلامية بجامعة كاتب شلبي.
eldar.hasanoglu@ikcu.edu.tr

[1] Arda Deniz - Koray Kamacı, Haçlı Seferleri, (İstanbul: IQ Kültür Sanat Yayıncılık, 2013), 19-20, 156-160; Thomas Asbridge, The Crusades: The Authoritative History of the War for the Holy Land, (New York: Harper Collins, 2010), 33-35.

[2] Işın Demirkent, Haçlı Seferleri, (İstanbul: Dünya Yayıncılık, 1997), 5-9, 73, 81, 89, 97, 239, 257; Steven Runci an, A History of the Crusades, (Cambridge: Cambridge University Press, 1951), 1: 106-109; Thomas F. Madden, Concise History of Crusades, (Lanham:Rowman Littlefield, 2014), 7-9.

[3] Demirkent, Haçlı Seferleri, 47-54, 89-93; Runciman, A history of the Crusades, I, 265-267, 279-282, 286-288; Şefik C.A. محمود، تاريخ القدس، (عمان: دار البشير، ١٩٨٤)، ٢٥٣-٢٥٥؛ حسين محاسنة وآخرون، تاريخ مدينة القدس، (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٢٣/٢٠٠٣)، ١٥٣-١٥٤.

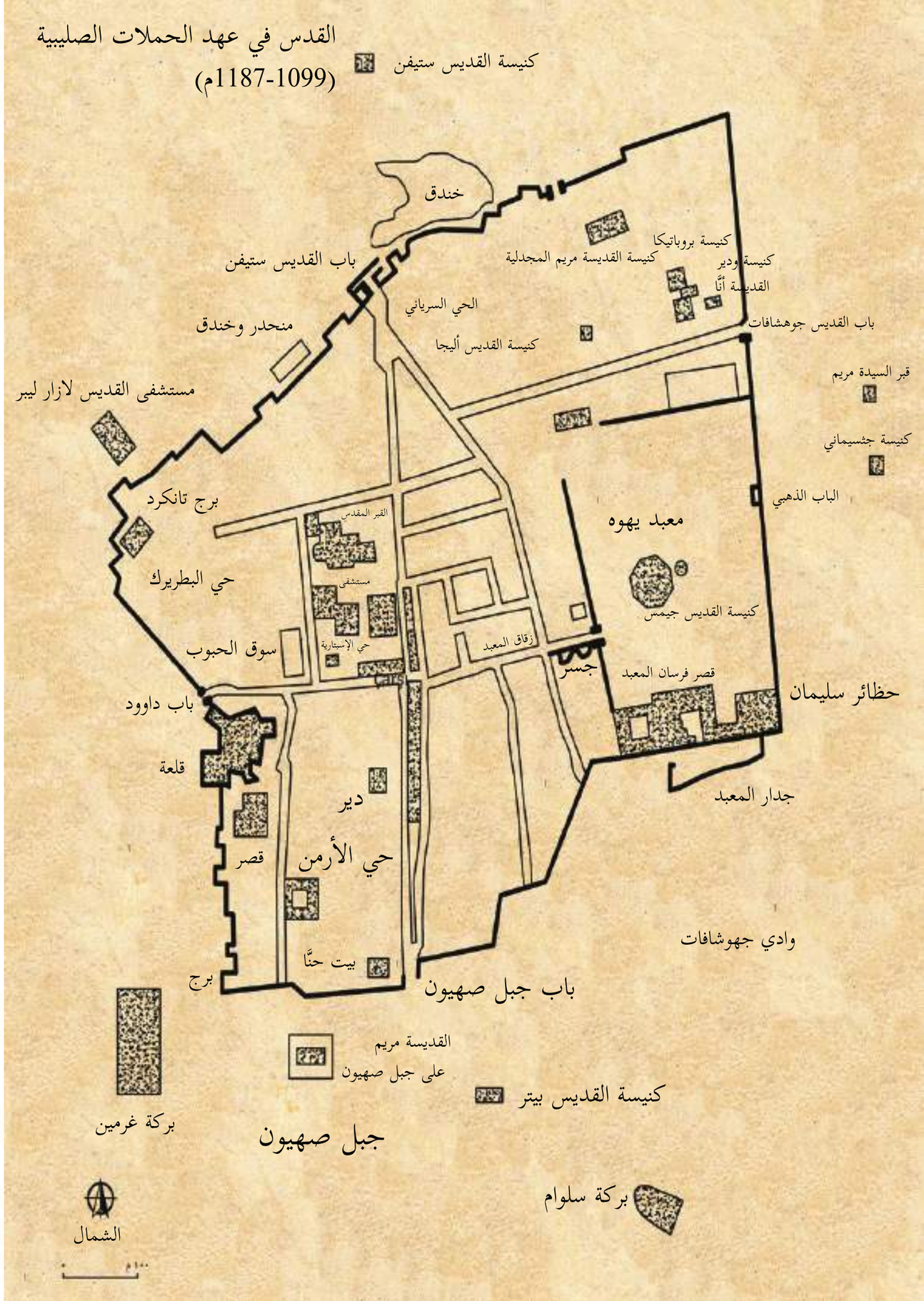

سفكَ الصليبيون دماء أهل القدس حتى صارت أنهار من الدم تجري على أرض المدينة. ولم تشهد القدس في تاريخها وحشية أشد من هذه الوحشية التي استمرت حتى ظهر اليوم التالي من الاستيلاء على المدينة.

وتذكر المراجع أن الصليبيين لم يرأفوا بالنساء والشيوخ والصغار، ولم يرحموا حتى المسلمين الذين احتموا في الحرم الشريف، فقتلوا في يومَين أكثر من سبعين ألف من أهل القدس من غير استثناء، حتى لم يبقَ في المدينة حيٌّ من أهلها. وكان من بين القتلى دراويش قدموا للاعتزال في المدينة وليس لهم من الدنيا أي مطلب أو غاية. ويذكر بعض من المؤرخين أن الصليبيين قتلوا حتى المسيحيين غير الكاثوليك من أهل القدس. وذُكِرَت في كتاب (أفعال الفرنجة والحجاج الآخرون إلى القدس) لمؤلف مجهول المجازرُ التي ارتُكِبَت في القدس، وأن الدماء في أزقة القدس كانت تسيل حتى غطت أقدام الجنود.[4] وأيَّد المؤرخ الصليبي فولكيريوس الذي دخل القدس مع الجيش ما ذُكِرَ في الكتاب، وتحدث عن بقْرِ بطون القتلى اعتقادًا بأنهم قد بلعوا الذهب.[5] ونُهِبَت مساجد المدينة ومدارسها وبيوتها وحوانيتها وتقاسمها الصليبيون غنيمةً بينهم. وكان مبدأ تقاسم الغنائم أن يُعطَى كل واحد ما ناله، لذلك كان الصليبيون ينهبون كل شيء بصورة لا تخطر على بال.[6] وقد ذكرَ المؤرخ الصليبي القسيس ريمون داجيل مظالم الصليبيين في القدس مفتخرًا بها في كتابه (تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس).[7]

تأثرت العمارة والآثار الفنية الإسلامية من نهب الصليبيين للقدس، إذ أُتلِفَت الأشياء القيمة في المسجد الأقصى وقبة الصخرة أو سُرِقَت. أما قبة الصخرة فلم يتغير شيء في شكلها، فقد جعلها الصليبيون كنيسة سموها «معبد الرب»، ووُضِعَ صليب فوق القبة وأيقونات داخلها، وغُطِّيت الصخرة بالرخام.

احتلال الصليبيين للقدس

وحوَّل الصليبيون المسجد الأقصى إلى قصر وسمَّوه «معبد سليمان». ثم أُعطيَ المسجد الأقصى لفرقة فرسان المعبد، فجعلوه مستودعًا للطعام، وحوَّلوا مسجد مروان لحظيرة للأحصنة. وحوِّلت مساجد المسلمين الذين مُنِعوا من الإقامة في المدينة إلى كنائس أو استُعمِلَت لأغراض أخرى. وحافظت القدس التي بُنِيَت فيها كنائس جديدة على شكلها القديم، ولكنها تحولت إلى مدينة مسيحية.[8]

حاول المسلمون استعادة القدس، فجهَّز الوزير الفاطمي الأفضل جيشًا. وشاركَ في هذا الجيش مسلمون من دول مسلمة أخرى، وانطلقوا نحو القدس، ووصلوا إلى الرملة. وتذكر بعض المصادر أن عدد الجيش كان عشرين ألفًا، وتذكر مصادر أخرى أن العدد كان خمسين ألفًا. أرسل الفاطميون رسولًا إلى القدس في الخامس من آب/أغسطس لتسليم المدينة سِلمًا، إلا أن جودفري الذي صار حاكمًا للقدس رفض هذا الطلب، وهاجم الجيش الصليبي قلعة عسقلان التي كانت مقر جيش المسلمين، فغُلِبَ المسلمون الذين لم يكونوا مستعدين لهذه المعركة، وبقيت القدس بيد الصليبيين.[9]

أسَّس الصليبيون المملكة اللاتينية في القدس، وحكمها مسيحيون أوروبيون كاثوليك، وكانت الممالك المسيحية الأخرى في المنطقة تابعة لها حتى فتح صلاح الدين الأيوبي القدس عام ١١٨٧م. وأرادت البابوية أن تقيم نظامًا ثيوقراطيًّا في المدينة، ولكن الظروف لم تسمح لها بذلك. وكان أول مَن حكمَ القدس جودفري الذي كان جنوده أول مَن دخلوا المدينة. وكان جودفري متدينًا ولم يُلقَّب بلقب «ملك» تواضعًا منه، واكتفى بتلقيب نفسه بلقب «حامي القبر المقدس». وبعد سنة تُوفي جودفري، فخلفه شقيقه بالدوين الأول كونت الرها (١١٠٠-١١١٨)، الذي حملَ لقب «ملك» على عكس أخيه. ولم يرغب بالدوين بمعاداة رجال الدين الكاثوليك في القدس، فتُوِّجَ في بيت لحم، وصار ذلك عُرفًا للملوك الذين جاؤوا من بعده. عيَّن الجيش الصليبي الذي استولى على القدس القسيس أرنول بطريركًا للقدس. وكان أرنول هذا كاثوليكيًّا متعصبًا، فأساء معاملة المذاهب المسيحية الأخرى، وطرد قساوستها من كنيسة القبر المقدس. لم يرضَ البابا بتعيين أرنول من غير استشارته، فعيَّن في أواخر عام ١٠٩٩ ديمبارت أسقف بيسا بطريركًا للقدس.

[4] Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitanorum/The Deeds of the Franks and the Other Pilgrims to Jerusalem / Rosalind Hill, (London/ New York: T. Nelson, 1962), s. 91- 92.

[5] Fulcher of Chartres, A history of the Expedition to Jerusalem 1095-1127 / Frances R. Ryan, (Knoxville: University of Tennessee Press, 1969), 121-122.

[6] Demirkent, Haçlı Seferleri, 55-59; Deniz - Kamacı, Haçlı Seferleri, 104-106; Adrian J. Boas, Jerusalem in the time of the Crusades, (London: Routledge, 2001), 9-13; Cecile Morrison, Haçlılar / Nermin Acar, (Ankara: Dost, 2005), 36-37; Simon S. Montefiore, Kudüs: Bir Şehrin Biyografisi / Cem Demirkan, (İstanbul: Pegasus, 2016), 214-217.

[7] Raymond D'Aguilers, Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem / John H. Hill, Laurita L. Hill, (Philadelphia: Ameri can Philosophical Society, 1968), 125-128.

[8] محاسنة، تاريخ مدينة القدس، ١٥٥-١٥٧؛ عارف العارف، تاريخ القدس، (القاهرة: دار المعراف، ١٩٩٤)، ٧٤، ٧٦؛
Francis E. Peters, Jerusalem, (Princeton: Princeton University Press, 1995), 314-318, 320-323; Karen Armstrong, A History of Jerusalem, (London:Harper Collins, 1996), 276-277.

[9] Runciman, A history of the Crusades, 1: 286-287, 295-297, 303-304.

قتل الصليبيين للمسلمين في القدس

عانى أتباع المذاهب المسيحية الأخرى كثيرًا في القدس أثناء حكم الكاثوليك، وضاق سكان المدينة ذرعًا بظلم المسيحيين، وتمنوا عودة حكم المسلمين. وكان الذين أحسنوا التفاهم مع الصليبيين من سكان المدينة المسيحيين هم الأرمن. فاستفادوا من مميزات كثيرة لم يستفد منها المسيحيون الآخرون لأنهم أعانوا الصليبيين في الاستيلاء على المدينة. وكان المذهب الديني الرسمي في القدس في عهد الصليبيين المذهب الكاثوليكي، واللغة الرسمية اللاتينية. وكان الملك الذي يستلم العرش بالوراثة مسؤولًا أمام الديوان الأعلى المكوَّن من النبلاء. وكان الديوان الأعلى يختار الملك الجديد ثم يطلب موافقة البابا. فكان ذلك عامِلًا يمنع ادعاء مَلِكِ القدس تفوقه على البابا لأنه يحكمه القدس، وإنْ لم يجعل هذا الأمر للبابا سيطرةً على ملك القدس. وكان القساوسة يختارون بطريرك القدس، ثم يبدأ عمله بعد موافقة الملك. وكان يُراعَى عدم اعتراض البابا على البطريرك كي لا تحدث مشكلة في الإدارة.

كان جيش مملكة بيت المقدس يتكوَّن من البارونات والنبلاء والفرسان وفرسان المعبد ورجال الدين والجنود وكان المسيحيون الذين يزورون المدينة دائمًا يشاركون في هذا الجيش. وكانت مسؤولية تلبية حاجات الجيش لا تقع على كاهل الملك فقط بل على كاهل الكنيسة أيضًا. ولم تكن للمملكة قوة بحرية مع أنها كانت قريبة من البحر، فكان الأسطول البحري لممالك إيطاليا تسد هذا الفراغ. أُسِّسَت جماعات دينية عسكرية جديدة في مملكة بيت المقدس أو تحوَّلت بعض الجماعات الدينية إلى فرق عسكرية، فجماعة فرسان المعبد مثلًا نشأت في القدس، وتحولت جماعة الإسبتارية التي نشأت لخدمة المرضى من الحجاج إلى فرقة عسكرية. وتتطورت هذه الجماعات الدينية العسكرية مع مرور الوقت، وصارت تشغل مناصب مهمة في الجيش. وكان الحكَّام والإداريون يراعون الزواج من الفرنجة أو البيزنطيين أو الأرمن أو القادمين من الغرب فقط، أما الصليبيون الآخرون فكانوا يتزوجون من سكان القدس المسيحيين، وبذلك تبنَّت المملكة المميزات الثقافية للمنطقة. وقد تأثر الصليبيون بمَن خالطوهم من المسيحيين المحليِّين في جميع المجالات.[10]

[10] Runciman, A history of the Crusades, 1: 289-292, 294-298, 315-326; Madden, Concise History of Crusades, 35-37, 46-48; Morrison, Haçlılar, 104-115; Ahmet Türkan, "Başlangıçtan günümüze Kudüs Latin Patrikliği", Milel ve Nihal 10/2 (2013), 36-39, 41-44.

المراجع العربية

العارف، عارف باشا. تاريخ القدس. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٤.

محمود، شفيق جاسر أحمد. تاريخ القدس. عمان: دار البشير، ١٩٨٤.

محاسنة، محمد حسين وآخرون. تاريخ مدينة القدس. الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٢٣/٢٠٠٣.

المراجع باللغات الأخرى

Armstrong, Karen. A History of Jerusalem. London: Harper Collins, 1996.

Asbridge, Thomas. The Crusades: The Authoritative History of the War for the Holy Land. New York: Harper Collins, 2010.

Boas, Adrian J. Jerusalem in the Time of the Crusades. London: Routledge, 2001.

D'Aguilers, Raymond. Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem / John H. Hill, Laurita L. Hill. Philadelphia: American Philosophical Society, 1968.

Demirkent, Işın. Haçlı Seferleri. İstanbul: Dünya Yayıncılık, 1997.

Deniz, Arda - Kamacı, Koray. Haçlı Seferleri, İstanbul: IQ Kültür Sanat Yayıncılık, 2013.

Fulcher of Chartres. A History of the Expedition to Jerusalem 1127-1095.
Frances R. Ryan. Knoxville: University of Tennessee Press, 1969.

Gesta Francorum et Aliorum Hierosolimitanorum/The Deeds of the Franks and the Other Pilgrims to Jerusalem / Rosalind Hill. London/New York: T. Nelson, 1962.

Madden, Thomas F. Concise History of Crusades. Lanham: Rowman Littlefield, 2014.

Montefiore, Simon S. Kudüs: Bir Şehrin Biyografisi / Cem Demirkan. İstanbul: Pegasus, 2016.

Morrison, Cecile. Haçlılar / Nermin Acar. Ankara: Dost, 2005.

Peters, Francis E. Jerusalem. Princeton: Princeton University Press, 1995.

Runciman, Steven. A history of the Crusades, I. Cambridge: Cambridge University Press, 1951.

Türkan, Ahmet. "Başlangıçtan günümüze Kudüs Latin Patrikliği". Milel ve Nihal. 61-29 :(2013) 10:2.

القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي والأيوبيين

* زيا بولات

عهد صلاح الدين الأيوبي

ظلت القدس قبلة الإسلام الأولى تحت حكم المسلمين من عام ٨هـ/٦٣٧م حتى تاريخ ١٥ تموز/يوليو عام ١٠٩٩. وعاش سكان المدينة نحوًا من ٤٦٢ عامًا بين هذَين التاريخَين في سكينة وأمان باستثناء بعض من المراحل. غير أن الأحوال تبدلت مع وصول الصليبيين إلى المنطقة عام ١٠٩٨م. إذ دخل الصليبيون القدس بتاريخ ١٥ تموز/يوليو عام ١٠٩٩ فأعملوا السيف في أهلها، ولم يخرج من المدينة حيٌّ إلا الوالي الفاطمي افتخار الدولة مع حاشيته. واستطاع هذا الوالي أن ينقذ حياته بعد تسليمه برج داوود. وبعد أن قتل الصليبيون أهل القدس واحتلوا المدينة، حوَّلوا المباني داخل أسوار المسجد الأقصى إلى كنائس ومراكز للإدارة، واستعملوا فيها ما لا يليق بها، وظلوا يحكمون المدينة على هذا المنوال طوال ٨٨ عامًا.

عانى المسلمون الذين يعيشون في المنطقة كثيرًا من المشقات والمصاعب طوال فترة احتلال الصليبيين للقدس التي دامت لنحو من قرن، لا سيما في المرحلة الأولى من الاحتلال التي استمرت حتى تعيين عماد الدين الزنكي (ت: ١١٤٦م) حاكمًا على الموصل سنة ١١٢٧م، إذ ذاق المسلمون الويلات حين لم يجدوا مَن يحميهم. وبقيت القدس تحت الاحتلال على الرغم من إقامة عماد الدين الزنكي ومن بعده ابنه نور الدين محمود الزنكي (ت: ١١٧٤) لنظام في المنطقة يحدُّ من سطوة الصليبيين. غير أن ما فعلَاه في المنطقة سهَّل الطريق لقائد مثل صلاح الدين الأيوبي (ت: ١١٩٣). وضعَ صلاح الدين بعضًا من الأهداف أثناء تزعمه مواجهة الصليبيين، وهي ضمان وحدة المسلمين، وفتح القدس، وطرد الصليبيين من المنطقة. فكان عمله الأول توحيد المسلمين الذين انقسموا بعد وفاة نور الدين الزنكي. واستطاع أن يحد من نفوذ الصليبيين في هذه الفترة التي امتدت لـ١٢ عامًا عبر عقد معاهدات معهم أحيانًا. في عام ١٩٨٥ استولى رينالد دي شاتيون (ت: ١١٨٧) كونت الكرك على قافلة تجارية مُخِلًّا بالمعاهدة، فبدأ صلاح الدين بالعمل لهدفه الثاني وهو فتح القدس. فكان النصر الذي حققه صلاح الدين في صفورية في ١ أيار/مايو وفي حطين في ٤ تموز/يوليو من عام ١١٨٧م السبيلَ لفتح القدس.

لمَّا كان صلاح الدين يحاصر عسقلان، أرسل وفدًا إلى القدس مبيِّنًا أنه لا يريد سفك الدماء، وطلب منهم أن يسلِّموا المدينة مقابل بعض من الحقوق التي سيعترف بها، إلا أن قادة الصليبيين في القدس رفضوا هذا العرض متكبِّرين. فأقسم السلطان الأيوبي حينئذ أن يأخذ المدينة بالسيف. انطلق صلاح الدين نحو القدس وتموضع في مكان قريب منها في ٢٠ أيلول/سبتمبر من عام ١١٨٧. وكان باليان دلبيلين (ت: ١١٩٣م) والبطريرك هيراكلوس (ت: ١١٩٠) يُعِدَّان العِدَّة للدفاع عن المدينة. وكان في المدينة كثير من السكان آنذاك.

* الأستاذ المساعد د. زيا بولات، قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة مردين أرتوقلو
ziyapolat@artuklu.edu.tr

[1] Ziya Polat, "Kudüs Katliamı Bağlamında Haçlı Seferlerinin Sebepleri", Milel ve Nihal 16/1 (01 Temmuz 2019): 175-198.
[2] M. A. Köhler, Alliances and Treaties between Frankish and Muslim Rulers in the Middle East / P. M. Holt (Leiden-Boston: Brill,2013), 213.
[3] Ernoul, Haçlı Seferleri Tarihi Selahaddin Eyyubi ve Kudüs'ün Fethi / Ahmet Deniz Altunbaş (İstanbul: Kronik Kitap, 2019), 154-155; Peter W Edbury / The conquest of Jerusalem and the Third Crusade (Aldershot: Ashgate Pub., 1998), 55; Poole, Selahaddin Kudretli Sultan ve İslamın Bütünleştiricisi, 205; Steven Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, (Ankara: Türk Tarih Kurumu, 2008), 2: 388.

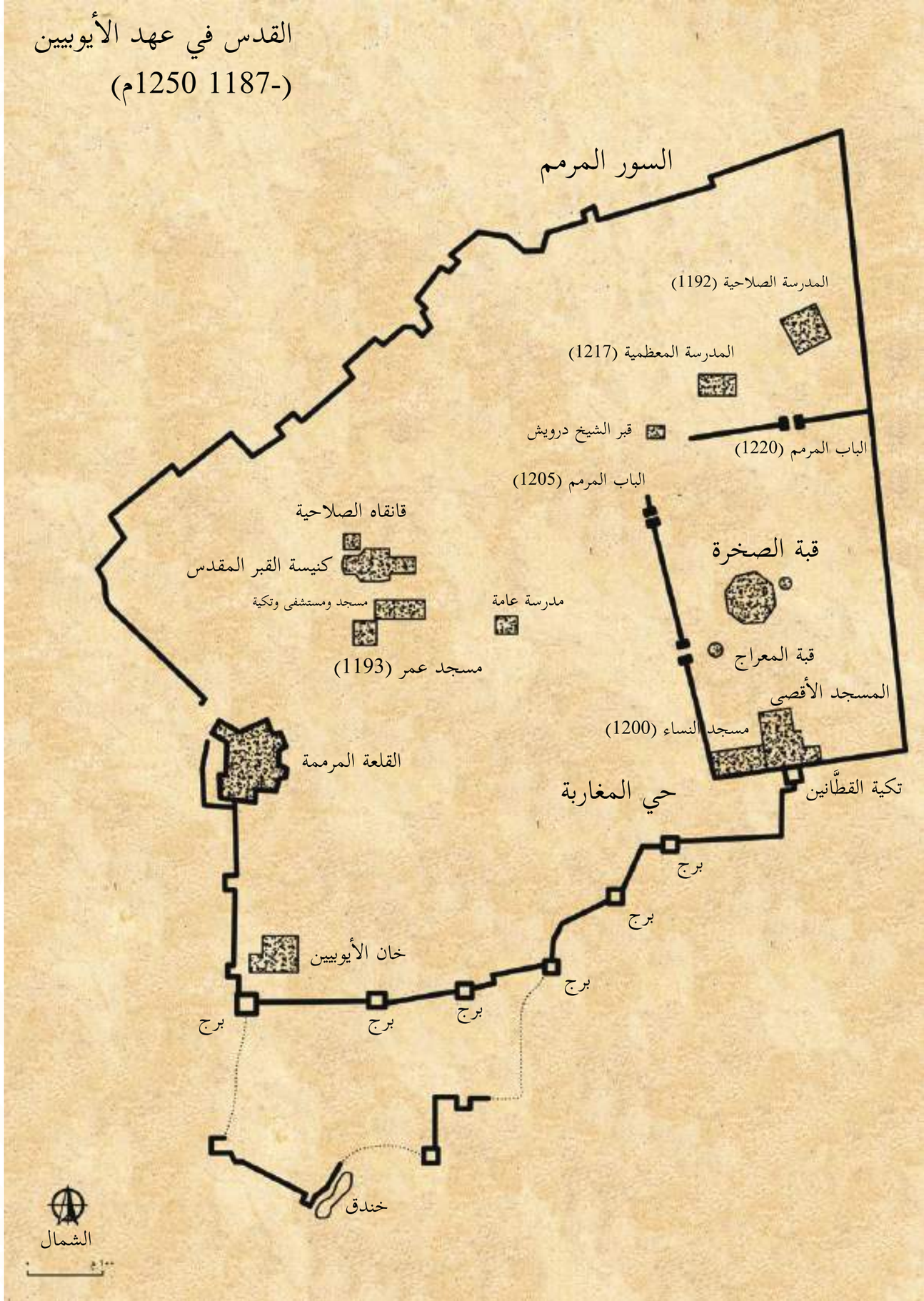

إذ لجأ الصليبيون في المناطق التي فتحها المسلمون إلى القدس اعتقادًا بقدسيتها. وقبل أن يصل المسلمون إلى القدس، كان المقاتلون والفرسان بأعداد كبيرة قد جاؤوا للدفاع عن المدينة، وبدؤوا باتخاذ الاحتياطات. ويذكر المؤرخون المسلمون وجود نحو من ستين ألفًا من المشاة والفرسان في المدينة حينئذ. وكانت خطط الدفاع مُحكَمة حتى إن الصليبيين كانوا قد نصبوا المجانيق فوق السور. لذلك حينما استقر جيش الإسلام أمام المدينة ورأى ما رأى، ارتاب المسلمون، وأدركوا أن فتح المدينة سيكون عسيرًا.[٤]

بدأ صلاح الدين بالإعداد للحصار، وأرسلَ رسولًا للمرة الأخيرة يطلب من المدافعين عن المدينة تسليمها، لكنهم رفضوا ذلك. فأقسم صلاح الدين أن يفتح القدس بالسيف للمرة الثانية.[٥] وكان الصليبيون عازمين على الدفاع عن القدس على الرغم من حسن نية السلطان الأيوبي. نقلَ صلاح الدين مقر جيشه إلى جوار جبل الزيتون (نحو باب عمودا وكنيسة صهيون)، وبدأ بالهجوم في ٢٦ من أيلول/سبتمبر. استطاع المسلمون بعد قتال عنيف في اليوم الأول أن يصلوا إلى أسوار المدينة ويعملوا بها نقبًا. هاجم المسلمون المدينة بقوة لثلاثة أيام، واستطاعوا أخيرًا أن يفتحوا ثغرة كبيرة في السور في وادي جهنم شمالي المدينة، فاضطرب الذين كانوا في المدينة، ولم يكن هناك جنود من المدافعين يجرؤون على حماية ذلك الجزء من السور، وهاج الناس، وطالب القادة بالتوسل لصلاح الدين. أدركَ باليان والبطريرك أنهم لن يستطيعوا الحافظ على المدينة بعد جدال طويل مع القادة الآخرين، فقرروا طلب الأمان من صلاح الدين. لقيَ الوفدُ الذي أرسله البيزنطيون في ٢٩ أيلول/سبتمبر معاملةً قاسيةً من السلطان الأيوبي، وردَّهم مبيِّنًا أنه أقسم على فتحها بالسيف بعد رفض عرضه فيما مضى، وأخبرهم أنه سيفعل بهم كما فعلوا بالمسلمين عام ١٠٩٩م ويرد الإساءة بمثلها، ولكنه ألمحَ إليهم بالاستسلام التام من غير أي شرط. فاضطرب الصليبيون من معاملة صلاح الدين، وهذا ما جعل باليان يذهب بنفسه في اليوم التالي للِّقاء به. قبِلَ صلاح الدين الاتفاق مع الصليبيين وإعطاء الأمان لهم بعد تهديد باليان بقتل سكان القدس وإحراقها وهدمها وبعد قبوله شروط المسلمين.[٦] وكان نص الاتفاق:

> "أن يزن الرجل عشرة دنانير يستوي فيه الغني والفقير، ويزن الطفل من الذكور والبنات دينارين، وتزن المرأة خمسة دنانير، فمن أدى ذلك إلى أربعين يومًا فقد نجا، ومن انقضت الأربعون يوما عنه ولم يؤدِّ ما عليه فقد صار مملوكًا".[٧]

[٤] بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية: سيرة صلاح الدين الأيوبي، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤)، ١٣٤؛ عماد الدين الكاتب الأصفهاني، الفتح القسي في فتح القدسي (القاهرة: دار المنار، ٢٠٠٤)، ٦٧، ٧٠؛ أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)، ٣: ٣٣٨-٣٣٩؛ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٧)، ٢: ٢١٢؛
İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi: el-Kâmil fi't-Târîh Tercümesi / Abdülkerim Özaydın (İstanbul: Bahar Yayınları, 1991), 11: 431-432; Bündârî, Sene'l-Berkı'Ş-şâmî, Ed. Ramazan Çeçen (İstanbul: IRCICA, 2004), 393-395; Ricardus, Chronicle of the Third Crusade: a translation of the Itinerarium peregrinorum et gesta Regis Ricardi / Helen J Nicholson (Aldershot: Ashgate Publishing, Ltd., 1997), 38; Malcolm Cameron Lyons - D. E. P. Jackson, Selahaddin Kutsal Savaşın Politikaları / Zehra Savan, 1. Edit. (İstanbul: Pınar Yayınları, 2006), 332.

[٥] ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ١٣٤؛
Edbury, The Conquest of Jerusalem, 55; Ricardus, Chronicle of the Third Crusade, 38; Lyons - Jackson, Selahaddin, 332.

[٦] ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ١٣٤-١٣٥؛ الأصفهاني، الفتح القسي، ٧١؛ أبو شامة، الروضتين، ٢٠٠٢، ٣: ٣٤٠-٣٤١؛ ابن واصل، مفرج، ١٩٥٧، ٢: ٢١٣؛
İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi, 1991, 11: 432-433; Bündârî, Sene'l-Berkı'Ş-şâmî, 396; Edbury, The Conquest of Jerusalem, 58; Ernoul, Haçlı Seferleri Tarihi, 169-175; Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 2008, 2: 389-390; Lyons - Jackson, Selahaddin, 333.

[٧] الأصفهاني، الفتح القسي، ٧٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠، ٣٥-٣٦؛ أبو شامة، الروضتين، ٢٠٠٢، ٣: ٣٤١؛
Bündârî, Sene'l-Berkı'Ş-şâmî, 396-397; Ernoul, Haçlı Seferleri Tarihi, 175; Ricardus, Chronicle of the Third Crusade, 38; Gregory Abû'l-Farac, Abû'l-Farac Tarihi / Ömer Rıza Doğrul (Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1987), 2: 445.

ويُفهَم من المؤلفات التاريخية أن الاتفاق كان على هذا الشكل مع وجود فروق صغيرة. وُقِّعَ على الاتفاق في ٢٧ رجب الموافق لـ٢ تشرين الأول/أكتوبر، وسُلِّمَت المدينة كأنها أُخِذَت بالسيف، وصار كلُّ مَن في المدينة أسيرًا للسلطان الأيوبي ما لم يدفع الفدية. وكان لفتح القدس معانيَ أعمق حين صادف التوقيع على الاتفاق ذِكرى معراج الرسول صلى الله عليه وسلم.[٨] وحقَّق صلاح الدين إنجازًا كبيرًا، فهو لم يغنم غنائم كثيرة فقط، بل صار بطلَ المسلمين ومحلَّ أنظارهم. وقد أطلق عشرات الآلاف من الأسرى من غير مقابل.[٩] وكانت رحمته ورأفته سببًا لتبقى أسطورة صلاح الدين تُروَى إلى أيامنا هذه. وكان هناك تناقض ملحوظ بين معاملة صلاح الدين والقادة الذين استولوا على القدس من قبله.[١٠]

فتح صلاح الدين الأيوبي للقدس

[٨] ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ١٣٥؛ الأصفهاني، الفتح القسي، ٧٣؛ أبو شامة، الروضتين، ٢٠٠٢، ٣: ٣٤١-٣٤٥؛
İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi, 1991, 11: 433; Ricardus, Chronicle of the Third Crusade, 38-39; Ernoul, Haçlı Seferleri Tarihi, 177; Lyons - Jackson, Selahaddin, 333; Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 2008, 2: 390; Poole, Selahaddin Kudretli Sultan ve İslamın Bütünleştiricisi, 209.

[9] Ramazan Çeçen, Salâhadîn Eyyûbî ve Devri (İstanbul: İSAR, İslâm Tarih, Sanat ve Kültürünü Araştırma Vakfı, 2000), 121; الأصفهاني، الفتح القسي، ٧٢-٧٣.

[10] Edbury, The Conquest of Jerusalem, 57-64; Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 2008, 2: 390-391; Poole, Selahaddin Kudretli Sultan ve İslamın Bütünleştiricisi, 209-2010.

فتح صلاح الدين الأيوبي للقدس

دخل المسلمون القدس بعد هذا الاتفاق، وانطلقوا إلى المسجد الأقصى. وكان عملهم الأول إنزال الصليب المصنوع من الذهب والمنصوب على قبة الصخرة في فرحة كبيرة. أما الصليبيون فراحوا يصيحون ويبكون حزنًا. ثم حوَّلَت الأماكن المقدسة إلى ما كانت عليه في الماضي. وكانت قد بُنيَت كنيسة صغيرة بجانب الصخرة، ومبان أخرى لفرسان المعبد داخل حرم المسجد، فهُدِمَت بأمر من السلطان. وكانت أعجب حادثة آنذاك بما يتعلق بالصخرة، ذلك أن الصليبيِّين حينما دخلوا القدس أول مرة، كانوا يحملون قطعًا من الصخرة إلى الغرب ويأخذون بوزنها ذهبًا، وصارت تجارةً بعد مدة. فأدركَ حكَّام القدس أنهم إن ظلوا على هذه الصورة، فلن يبقَ شيء من الصخرة، لذلك غطوها بالرخام. فكان أول عمل للمسلمين بعد دخول القبة هو إزالة هذا الرخام. وبعد ذلك نُظِّفَ المسجد وحرَمه، وغُسِلَ بماء الورد، وصُلِّيَت أول صلاة جمعة وأُقيمَت أول خطبة في المسجد الأقصى يوم الجمعة بتاريخ ٤ شعبان الموافق لـ٨ تشرين الأول/أكتوبر. وكان صاحب أول خطبة في القدس بعد فتحها العالم القاضي محي الدين بن الزكي.[11] وكان من مظاهر وفاء صلاح الدين أن جاء بالمنبر الذي بناه نور الدين الزنكي من حلب إلى القدس.[12] وقد ذكر ابن الأثير ما جرى في القدس بعد الفتح فقال:

[11] الأصفهاني، الفتح القسي، ٤٧٦؛
أبو شامة، الروضتين، ٢٠٠٢، ٣: ٣٧٦-٣٨٠، ٣٩٦-٣٩٧؛ ابن واصل، مفرج، ١٩٥٧، ٢: ٢١٨، ٢٣٠؛
İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi, 1991, 11: 435; Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 2008, 2: 382; Ziya Polat, Salâhaddin Eyyûbî'nin Haçlı Siyaseti ve Kudüs Haçlı Krallığıyla Yaptığı Antlaşmalar (İstanbul Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2015), 218-219.

[12] ابن واصل، مفرج، ١٩٥٧، ٢: ٢٢٨-٢٢٩؛ أبو شامة، الروضتين، ٢٠٠٢، ٣: ٣٩٢-٣٩٣.

> "ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدم بعمارة المسجد الأقصى واستنفاد الوسع في تحسينه وترصيفه، وتدقيق نقوشه، فأحضروا من الرخام الذي لا يوجد مثله، ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك مما يحتاجون إليه، قد ادخر على طول السنين. فشرعوا في عمارته، ومحوا ما كان في تلك الأبنية من الصور، وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها، فأمر بكشفها".[13]

وصارت القدس بعد فتحها أولَ محطة للقوافل التي تريد الحج في المنطقة. فكان الحجَّاج يقيمون في القدس مدةً ثم يكملون طريقهم.[14] أرسل إمبراطور روما الشرقية إساكيوس أنغيلوس (ت: ١٢٠٤) وفدًا يهنِّئ باسمه صلاحَ الدين بفتح القدس، وطلب أن تكون كنائس المدينة وأماكنها المقدسة في عهدة بطريرك الأرثوذكس. تردَّدَ صلاح الدين أولًا في إجابة طلب الإمبراطور، ثم قبِلَ هذا الطلب بعد أن استشار أهل العلم. وكان لحسن معاملة صلاح الدين أثرٌ عظيمٌ طوال الحملة الصليبية الثلاثة، وحافظ الإمبراطور على علاقاته الجيدة مع صلاح الدين.[15]

ولا شك أن فتح القدس كان له تأثير كبير في الغرب، فقد دعا البابا بعد مدة قصيرة إلى حملة صليبية جديدة. وكان فتح القدس نصرًا عظيمًا للمسلمين ولكن المحافظة عليها في أيديهم كان أمرًا أعظم. أعلن ملوك ألمانيا وإنكلترا وفرنسا بعد حين استجابتهم لدعوة البابا ومشاركتهم في الحملة الصليبية الجديدة.[16] فأسرعَ صلاح الدين لتحرير المناطق التي بقيت في يد الصليبيين، غير أنه لم يستطع أن يفتح مدينة صور الساحلية على الرغم من مساعيه الكبيرة. فكان ذلك نقطة ضعف للمسلمين أثناء الحملة الصليبية الثالثة، وقاعدةً لبقاء الصليبيين في المنطقة.[17] ولم يهمل صلاح الدين الحيطة في القدس إدراكًا منه لواقع المنطقة، فنظَّم إدارة المدينة قبل أن ينطلق لحصار صور.[18] وبعد إخفاقه في حصار صور رجعَ مع أخيه الملك العادل إلى القدس ليدرك فيها عيد الأضحى في كانون الثاني/يناير من عام ١١٨٩.[19]

كان هدف الحملة الصليبية الثالثة استرداد القدس من المسلمين، ولكن ذلك لم يكن بأي شكل من الأشكال. وقد ظلَّ ملِكَا إنكلترا وفرنسا اللذَان قدِما إلى المنطقة في حصار عكا أكثر أوقاتهما. وبعد حصار دامَ لسنتَين نجح الصليبيون في الاستيلاء على عكا باتفاق في ١٢ تموز/يوليو من عام ١١٩١، غير أنهم كانوا قد فقدوا كثيرًا من قوتهم. وكانت عكا مركزًا استراتيجيًّا، ومستودع أسلحة لدمشق وحلب والقدس ومدن الساحل وحتى مصر. فكان احتلال عكا ضعفًا للمسلمين وقوة للصليبيين من حيث التسلح، وشكَّلَ خطرًا على القدس التي كرَّس صلاح الدين حياته لفتحها.[20] وكانت الخطوة التالي لقادة الصليبيين استعادة جميع أراضي مملكة القدس التي فتحها صلاح الدين في عامَين.

[13] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠: ٣٨.

[14] İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi, 1991, 11: 441.
[15] Abû'l-Farac, Abû'l-Farac Tarihi, 2: 446;
ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ٢٠٢؛
Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 2008, 2: 392.

[16] Edbury, The Conquest of Jerusalem, 73, 76; Ernoul, Haçlı Seferleri Tarihi, 198-199; David Nicolle, Üçüncü Haçlı Seferi 1191 / L. Ece Sakar (Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, 2011), 19; P.M Holt, Haçlılar çağı: 11.yüzyıldan 1517'ye yakındoğu (İstanbul: Tarih Vakfı Yurt Yayınları, 2003), 59.
ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ١٧٨؛ الأصفهاني، الفتح القسي، ١٧٩؛ ابن واصل، مفرج، ١٩٥٧، ٢: ٣٢٢.

[17] أبو شامة، الروضتين، ٢٠٠٢، ٣: ٣٤٨؛
Polat, Salâhaddin Eyyûbî'nin Haçlı Siyaseti, 221.

[18] الأصفهاني، الفتح القسي، ٢٢١.

[19] ابن واصل، مفرج، ١٩٥٧، ٢: ٢٧٨.

[20] ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ٢٥٧-٢٥٨؛ الأصفهاني، الفتح القسي، ٢٦٩-٢٧٠؛ أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)، ٤: ٢٥٥، ٢٦٢؛ ابن واصل، مفرج، ١٩٥٧، ٢: ٣٥٦، ٣٦٠؛
İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi: el-Kâmil fi't-Târîh Tercümesi / Abdülkerim Özaydın (İstanbul: Bahar Yayınları, 1991), 12: 65; Polat, Salâhaddin Eyyûbî'nin Haçlı Siyaseti, 230-232.

إلا أن التغطرس كان غالبًا في معاملة القادة الصليبيين، واضطر الصليبيون بقيادة ملك إنكلترا ريتشارد (ت: ١١٩٩) بعد عام من السعي لاستعادة القدس أن يعترفوا بأن القدس للمسلمين باتفاق الرملة في ١ أيلول/سبتمبر ١١٩٢م. وقد زار السلطان الأيوبي القدس آنذاك مرات كثيرة، واطلع على دفاعات المدينة واستعدادتها للحرب.[٢١] وظلَّ يتابع أمور القدس حتى بعد الاتفاق. وقد نقل أبو شامة عن عماد الدين الكاتب الأصفهاني قوله:

> "عاد السلطان بعد السلم إلى القدس لتفقد أحواله وعرض رجاله واشتغل بتشييد أسواره وتحصينها وتخليد آثاره وتحسينها وتعميق خنادقه وتوثيق طرائقه وزاد في وقف المدرسة سوقًا بدكاكينها وأرضًا ببساتينها وكذلك رتب أحوال الصوفية في رعايتها والوقف الكافل بكفايتها وعين الكنيسة التي في شارع قمامة للبيمارستان ونقل إليه العقاقير والأدوية من جميع الأنواع والألوان وأدار سور القدس على قبة صهيون وأضافها إلى المدينة وأمر بإدارة الخنادق".[٢٢]

عاد ملك إنكلترا إلى بلاده بعد مدة قصيرة من اتفاق الرملة، فعيَّن السلطان صلاح الدين عز الدين جرديك من المماليك أميرًا على القدس، ثم رحلَ عنها في ١٥ تشرين الأول/أكتوبر عام ١١٩٢م، وزار المدن القريبة من القدس واطلع على أحوالها، ووصل إلى دمشق في الخامس من تشرين الثاني/نوفمبر. ثم مرِض فيها وتوفي في ٤ آذار/مارس عام ١١٩٣.[٢٣]

القدس بعد صلاح الدين

تنازعت أسرة الأيوبيين بعد وفاة صلاح الدين، وتبادل أفراد آل الأيوبي حكمَ القدس مرات كثيرة.[٢٤] إلا أن أيًّا منهم لم يفعل ما فعله الملك الكامل (ت: ١٢٣٨) بين عامَي ١٢٢٨-١٢٢٩م حين تنازل عن القدسَ للصليبيين. ومرَّت الحملة الصليبية الرابعة والخامسة بأقل الخسائر، وبقيت القدس في حكم المسلمين وإنْ كانت تعاني من مشكلات كثيرة. وأثناء الحملة الصليبية الخامسة خُرِّبت أسوار القدس وجزء منها كي لا تقع في يد الصليبيين، وعُرِضَ على الصليبيين القدس ومدن المنطقة مقابل دمياط، إلا أن الصليبيين طلبوا مبلغًا كبيرًا يساوي ٣٠٠ ألف دينار من أجل إصلاح مدينة القدس، فلم يتم الاتفاق. ثم غُلِب الصليبيون مع تجبرهم وغطرستهم في منطقة النيل، ونجت القدس من الوقوع في قبضة الصليبيين.[٢٥]

بعد وفاة الملك العادل (ت: ١٢١٨) دبَّ الخلاف على الحكم بين أبنائه الملك الكامل، والملك المعظم (ت: ١٢٢٧) والملك الأشرف (ت: ١٢٣٧). اعترف المعظم والأشرف بمُلك الملك الكامل، ولكنهم لم يرضوا بتدخله بأمورهما الداخلية. أما الملك الكامل فكان يريد ألا يكون أخواه تهديدًا لملكه.

[٢١] ابن واصل، مفرج، ١٩٥٧، ٢: ٤٠٢-٤٠٣؛ ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ٣٤٤-٣٤٦؛ الأصفهاني، الفتح القسي، ٣١٦؛ İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi, 1991, 12: 70, 72, 81; Ricardus, Chronicle of the Third Crusade, 371; Polat, Salâhaddin Eyyûbî'nin Haçlı Siyaseti, 245, 281-282.

[٢٢] أبو شامة، الروضتين، ٢٠٠٢، ٤: ١٩٤. ذكر ابن الأثير عبارات مشابهة. (İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi, 1991, 12: 81-82.)

[23] Bahaaddin İbn Şeddad, Selahaddin-i Eyyubi / Mehmet Selim Bilge, 1. Edit.(Lîs Yayinlari, 2015), 364-374; İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi, 1991, 12: 82.

[24] İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi, 1991, 12: 99, 107-107, 112; Çeçen, Selahaddin'den Baybars'a, 23-24, 26-28.

[25] İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi, 1991, 12: 162, 165, 278, 283, 285.

فكان ذلك يُضعِفُ الطرفَين ويهدد القدس. حاول الملك الكامل أن يعقد اتفاقًا مع إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة فردريك الثاني (ت: ١٢٥٠) ليقوِّي حكمه في مواجهة أخوَيه. فأرسل في سبيل هذا الأمر فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ إلى صقلية مع الهدايا عام ١٢٢٦م، وأرسلَ الإمبراطورُ الكونتَ توماس فون أكيرا استجابةً لطلب الملك الكامل. ففرحَ الكامل وأعطى الهدايا للرسول وأخبره بأنه سيسلِّم القدس إذا جاء الإمبراطور إلى المنطقة، مع أن القدس وما حولها لم تكن في حكمه، لكنه عرض على الإمبراطور ذلك ليغيظ الملكَ المعظم. ولمَّا زار الرسول الملكَ المعظم ولقي معاملة قاسية وجوابًا لم يتوقعه، عاد فارغ اليدَين.[٢٦] إلا أن هذا العرض من الملك الكامل لفردريك الثاني كان سببًا للتجهيز لحملة صليبية جديدة بعد مدة طويلة.

أعدَّ الإمبراطور العدة في وقت قصير، ولكنه أصيب بالحمى أثناء سفره، فطلب الراحة، وأمرَ الجيش بإكمال سيره بقيادة بطريرك القدس. ولمَّا طالَ علاجه ساءت علاقته مع البابا غريغوري التاسع (ت: ١٢٤١) ووصل الأمر إلى الحرمان الكنسي، ومنعَ البابا مشاركةَ الإمبراطور في الحملة. إلا أن فردريك الثاني لم يعبأ بقرار البابا وأكمل سفره. وفي أثناء ذلك ماتَ الملك المعظم وتولى الحكمَ ابنه الناصر داوود (ت: ١٢٥٨م) وهذا ما أفرح الملك الكامل، فانطلق إلى دمشق في تموز/يوليو من عام ١٢٢٨م لفرض سيطرته على المنطقة واستقبال الإمبراطور الذي كان في سفره نحوها. وكان آنذاك يراسل أخاه الملك الأشرف، واتفقَ على منحه دمشق، ليسهل عليه الاتفاق مع الإمبراطور.[٢٧]

عندما وصل الإمبراطور إلى المنطقة، لم يجد من الصليبيين الدعمَ الذي كان ينتظره، فراح يبحث عن طرق دبلوماسية للسيطرة على القدس. ولم يكن السلطان الكامل يشعر بأن لديه القوة الكافية لصد الصليبيين على الرغم من وفاة أخيه المعظم، لأنه لم يكن يحظى بدعم كاف من الرعية، وكان جزء من جيشه في حصار دمشق. وكانت فلول جيش خوارزم شاه الهاربة من غزو المغول قد وصلت إلى المنطقة آنذاك، وكان وصول المغول إلى المنطقة وشيكًا. وكانت دولة السلاجقة في الأناضول والإمارات الأخرى تنتظر الفرصة المناسبة لتوسيع أراضيها. فدفعت هذه الأسباب جميعًا السلطانَ الكاملَ للابتعاد عن قتال الصليبيين، واعتقد أنه سيحل الأمر مع فردريك الثاني بالطرق الدبلوماسية، لأنه كان قد دعا الإمبراطور إلى المنطقة بنفسه. وبدأت المفاوضات بين الكامل وفردريك في ظل هذه الظروف، وكان كل طرف يحاول أن يكسب ما استطاع من الطرف الآخر في هذه المفاوضات التي استمرت لشهور، إذ سعى الإمبراطور ليستولي على مدن أخرى إضافة إلى القدس من أجل الحفاظ على هويته أمام الصليبيين، وسعى السلطان الكامل لتقديم أقل التنازلات كي يحد من رد فعل رعيته. ثم تعاقد الطرفان على اتفاق بينهما يستمر لـ١٠ سنوات وه أشهر و٤٠ يومًا بدءًا من ٧ آذار/مارس عام ١٢٢٩م.[٢٨] ونصَّ الاتفاق على:

[26] Steven Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 4. Edit. (Ankara: Türk Tarih Kurumu, 2008), 3: 162; Çeçen, Selahaddin'den Baybars'a, 153-154.

[27] Çeçen, Selahaddin'den Baybars'a, 154-155.

[28] Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 2008, 3: 161; Çeçen, Selahaddin'den Baybars'a, 156.

> "أن يُسلَّم للصليبيين القدس وممر منه إلى يافا، والقرى التي تقع على هذا الممر مع اللد، أما المدن خارج القدس وهي الخليل ونابلس والغور فتكون للمسلمين. وأن يسلم القدس على شريطة أنه يبقى خرابًا، ولا يجدد سوره، وأن لا يكون للفرنج شيء من ظاهره ألبتة، بل يكون جميع قراياه للمسلمين، وللمسلمين وال عليها يكون مقامه بالبيرة من عمل القدس من شماليه، وأن الحرم الشريف بما حواه من الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى يكون بأيدى المسلمين، وشعار المسلمين فيه ظاهر، ولا يدخلها الفرنج إلا للزيارة فقط، ويتولاه قوام المسلمين."[٢٩]

بقيت القدس من تاريخ ذلك الاتفاق حتى عام ١٩١٧م في يد دول إسلامية مثل الأيوبية والمماليك والعثمانية، وعندما أُعلِنَ عن ضرورة خروج المسلمين من المدينة، ثار المسلمون في القدس وغيرها من المدن. وكان قد مضى على فتح صلاح الدين للقدس آنذاك ٤٢ عامًا، وصار المسلمون سكان المدينة، فكان من الصعب عليهم أن يتخلوا عن مدينة مقدسة مثل القدس. وبكى قسم كبير من الأسر المسلمة التي أسكنها صلاح الدين في القدس، وأنكروا على الملك الكامل ما فعله، واضطروا للخروج من المدينة وهم يلعنونه. وكان مما يواسي الملك الكامل على الرغم من كل هذه المصاعب أن الحرم الشريف كان سيبقى بيد المسلمين وأن أسوار المدينة لن تُصلح، لأنه كان يقول إنهم يستطيعون أخذ القدس متى شاؤوا ما دامت الأسوار على حالها.[٣٠]

بقيت القدس تحت حكم الصليبيين نحوًا من خمسة عشر عامًا، ولم يكن ما قاله الملك الكامل من أن المسلمين سيأخذوا المدينة متى شاؤوا. فقد توفي الملك الكامل في ٩ آذار/مارس ١٢٣٨م قبل انتهاء مدة الاتفاق، وبقيت القدس في يد الصليبيين.[٣١] وساءت الأحوال بعد مدة، ففي عام ١٢٤٣م اتفق حاكم دمشق عماد الدين إسماعيل، وحاكم حمص الملك المنصور، والحلبيون والملك الناصر داوود مع الصليبيين لمواجهة الملك الصالح نجم الدين (ت: ١٢٤٩). سُلِّمَت القدس وطبريا وعسقلان للصليبيين وفقًا لهذا الاتفاق. وذكرَ ابن واصل أنه أثناء زيارته القدس في طريقه إلى مصر في شهرَي نيسان/أبريل وأيار/مايو من عام ١٢٤٤م رأى الرهبان والقساوسة على الصخرة المقدسة وعليها قناني الخمر برسم القربان، وأنه دخل المسجد الأقصى وفيه جرس معلق، وأُبطِل بالحرم الشريف الأذان والإقامة.[٣٢] إلا أن فرحة الصليبيين هذه لم تدم طويلًا، فقد دعا الملك الصالح نجم الدين فلولَ جيش خوارزم شاه الذين قدموا إلى المنطقة إلى مصر كي يتفق معهم، فدخل عشرة آلاف فارس كانوا في حرَّان منطقة دمشق مثل العاصفة. ونهبوا كل مكان مرُّوا منه، ودخلوا القدس في ١١ تموز/يوليو، فدمَّروا المدينة، وأذِنوا للصليبيين الذين احتموا بالقلعة بالخروج من المدينة، لكن هؤلاء الصليبيين كانوا هدفًا لقطاع الطرق أثناء سفرهم. فعادت القدس إلى حكم المسلمين تمامًا، وبقيت حتى عام ١٩١٧ بأيدي الدول الإسلامية الأيوبية ثم المماليك ثم العثمانية.[٣٣]

[٢٩] جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٧)، ٤: ٢٤١-٢٤٢؛ أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)، ٥: ٢٣٣-٢٣٤؛
İbnü'l-Esîr, İslâm Tarihi, 1991, 12: 446; Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 2008, 3: 163-164; Çeçen, Selahaddin'den Baybars'a, 157.

[٣٠] ابن واصل، مفرج، ١٩٥٧، ٤: ٢٤٣؛
Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 2008, 3: 164; Çeçen, Selahaddin'den Baybars'a, 157.

[31] M. Sedar Bekar, "el-Melikü'l-Kâmil, Muhammed", Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, (Ankara: TDV Yayınları, 2004), 29: 69.

[٣٢] جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٧)، ٥: ٣٣٢-٣٣٣؛
Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 2008, 3: 194; Çeçen, Selahaddin'den Baybars'a, 199.

[٣٣] ابن واصل، مفرج، ١٩٥٧، ٥: ٣٣٦-٣٣٧؛
Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 2008, 3: 194-195.

المراجع العربية

ابن شداد، بهاء الدين. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية: سيرة صلاح الدين. تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشيال. الطبعة الأولى. ٦ مجلدات. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٧.

أبو شامة. كتاب الروضتين في أخبار الدولتين. تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى. ٥ مجلدات. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢.

الأصفهاني، عماد الدين الكاتب. الفتح القسي في الفتح القدسي. القاهرة: دار المنار، ٢٠٠٤.

المراجع باللغات الأخرى

Abû'l-Farac, Gregory. Abû'l-Farac Tarihi / Ömer Rıza Doğrul. 2 Cilt. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1987.

Bekar, M. Sedar. "el-Melikü'l-Kâmil, Muhammed". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 70-68 :29. Ankara: TDV Yayınları, 2004.

Bündârî. Sene'l-berkı'ş-Şâmî. Ed. Ramazan Şeşen. İstanbul: IRCICA, 2004.

Edbury, Peter W. / The Conquest of Jerusalem and the Third Crusade. Aldershot: Ashgate Pub., 1998.

Ernoul. Haçlı Seferleri Tarihi Selahaddin Eyyubi ve Kudüs'ün Fethi / Ahmet Deniz Altunbaş. İstanbul: Kronik Kitap, 2019.

Holt, P.M. Haçlılar Çağı: 11.Yüzyıldan 1517'ye Yakındoğu. İstanbul: Tarih Vakfı Yurt Yayınları, 2003.

İbn Şeddad, Bahaaddin. Selahaddin-i Eyyubi / Mehmet Selim Bilge. 1. Edit. Diyarbakır: Lîs Yayınları, 2015

İbnü'l-Esîr. İslâm Tarihi: el-Kâmil fi't-Târîh Tercümesi / Abdülkerim Özaydın. 12 Cilt. İstanbul: Bahar Yayınları, 1991.

Köhler, M. A. Alliances and Treaties between Frankish and Muslim Rulers in the Middle East / P. M. Holt. Leiden-Boston: Brill, 2013.

Lyons, Malcolm Cameron - Jackson, D. E. P. Selahaddin Kutsal Savaşın Politikaları / Zehra Savan. 1. Bs. İstanbul: Pınar Yayınları, 2006.

Nicolle, David. Üçüncü Haçlı Seferi 1191 / L. Ece Sakar. Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, 2011.

Polat, Ziya. "Kudüs Katliamı Bağlamında Haçlı Seferlerinin Sebepleri". Milel ve Nihal 01) 1/16 Temmuz 198-175 :(2019. https://doi.org/10.17131/milel.584986.

Polat, Ziya. Salâhaddin Eyyûbî'nin Haçlı Siyaseti ve Kudüs Haçlı Krallığıyla Yaptığı Antlaşmalar. İstanbul Üniversitesi, 2015.

Poole, Stanley Lane. Selahaddin Kudretli Sultan ve İslamın Bütünleştiricisi / Nice Damar. 1. Edit. Avesta Basin Yayın, 2012.

Ricardus. Chronicle of the Third Crusade: a translation of the Itinerarium peregrinorum et gesta Regis Ricardi / Helen J Nicholson. Aldershot: Ashgate Publishing Ltd., 1997.

Runciman, Steven. Haçlı Seferleri Tarihi. 4. Edit. 3 Cilt. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 2008.

Şeşen, Ramazan. Salâhaddîn Eyyûbî ve Devri. İstanbul: İSAR, İslâm Tarih, Sanat ve Kültürünü Araştırma Vakfı, 2000.

Şeşen, Ramazan. Selahaddin'den Baybars'a Eyyubiler-Memluklar (1260-1193). İstanbul: ISAR, 2007.

القدس في عهد المماليك

* جنغيز طومار

بقيت مصر والشام تحت حكم السلاطين الضعفاء الذين كانوا يتنازعون على الملك في أواخر عهد الأيوبيين، وفي عام ١٢٥٠م قامت دول المماليك، فدخلت مصر والشام في مرحلة استقرار، وصار هناك حكم قوي أمام تهديد المغول والصليبيين في المنطقة. وكانت القدس في السنوات الأولى من عهد المماليك ساحة صراع بين المماليك الذين استولوا على الحكم في مصر وملوك الأيوبيين في الشام، حتى إن ملوك الأيوبيين والمماليك عرضوا على الصليبيين الذين كانوا في المنطقة تسليم القدس من أجل الانتصار في هذا الصراع بين الدولتَين.

واستطاع الخليفة العباسي عبر إرساله الرُّسَل أن يجمع بين ملوك الأيوبيين والمماليك ليعقدوا اتفاقًا عام ١٢٥٣م، فبقيت القدس في يد مماليك مصر وفقًا لهذا الاتفاق. غير أن المدينة عادت لحكم الملوك الأيوبيين بعد مدة قصيرة. وكانت القدس في يد الملك الأيوبي الناصر يوسف بين عامَي ١٢٥٦- ١٢٦٠م. وفي عام ١٢٦٠م دخلت القدس في حكم المماليك باتفاق بينهم وبين الأيوبيين، وبعد أن هزمَ المماليك جيشَ المغول في عين جالوت عام ١٢٦٠م، بقيت القدس في حكمهم حتى دخلت في حكم العثمانيين في أواخر عام ١٥١٦م. وكانت بلاد الشام في عهد الأيوبيين ممالك مختلفة، وبقيت كذلك في عهد المماليك، فجعلوا القدس ولاية أولًا، ثم جعلوها تابعة لنائب السلطان في دمشق. لذلك كانت كل وظيفة إدارية أو دينية في القدس تُعيَّن من دمشق. وكان ولاة دمشق الأقوياء مثل تنكز أعظم تأثيرًا في بناء المدينة من ولاة القدس أنفسهم. وكانت أهمية القدس أهمية دينية أكثر من أهميتها السياسية والعسكرية طوال التاريخ الإسلامي ما عدا عهد الصليبيين. وبقي الأمر كذلك في عهد المماليك، فقد مثَّل القدسَ ولاة أقل شأنًا من الناحية العسكرية من ولاة دمشق وحلب وغزة وصفد. ولمَّا رُفِعَ منصب والي القدس من وال إلى نائب سلطان عام ١٣٧٦م، صار تعيين النائب من القاهرة، أما التعيين في الوظائف الأخرى فظل بيد نائب السلطان في دمشق.

وكانت في القدس مناصب كغيرها من مدن المماليك مثل نائب السلطان، ونائب القلعة (قائد الحامية)، وحاجب لحل المشكلات بين أمراء المماليك والعسكر، وكاشف وهو كرئيس البلدية في أيامنا، ومحتسب يراقب أسعار السوق وبضائعها، وقاض، وناظر الحرم المسؤول عن المساجد في القدس والخليل، وناظر كنيسة القيامة، وإمام الحرم الشريف، وخطيب القدس.

أولَى السلاطين المماليك القدسَ أهمية كبيرة لأنها مدينة مقدسة في الأديان السماوية الثلاثة. وأُعيدَ بناء مدارس المدينة وأسواقها وقنوات وسُبُل المياه والخانات والأسواق. وتحمل القدسُ إلى يومنا هذا طابع الأيوبيين والمماليك. وقد رمَّم سلاطين المماليك المشهورون جميعًا المدينةَ وبنوا فيها أوقافًا.

* الأستاذ د. جنغيز طومار، عضو في الهيئة التدريسية في قسم التاريخ في كلية العلوم والآداب بجامعة مرمرة. ورئيس جامعة أحمد يسوي.
cengiztomar@hotmail.com

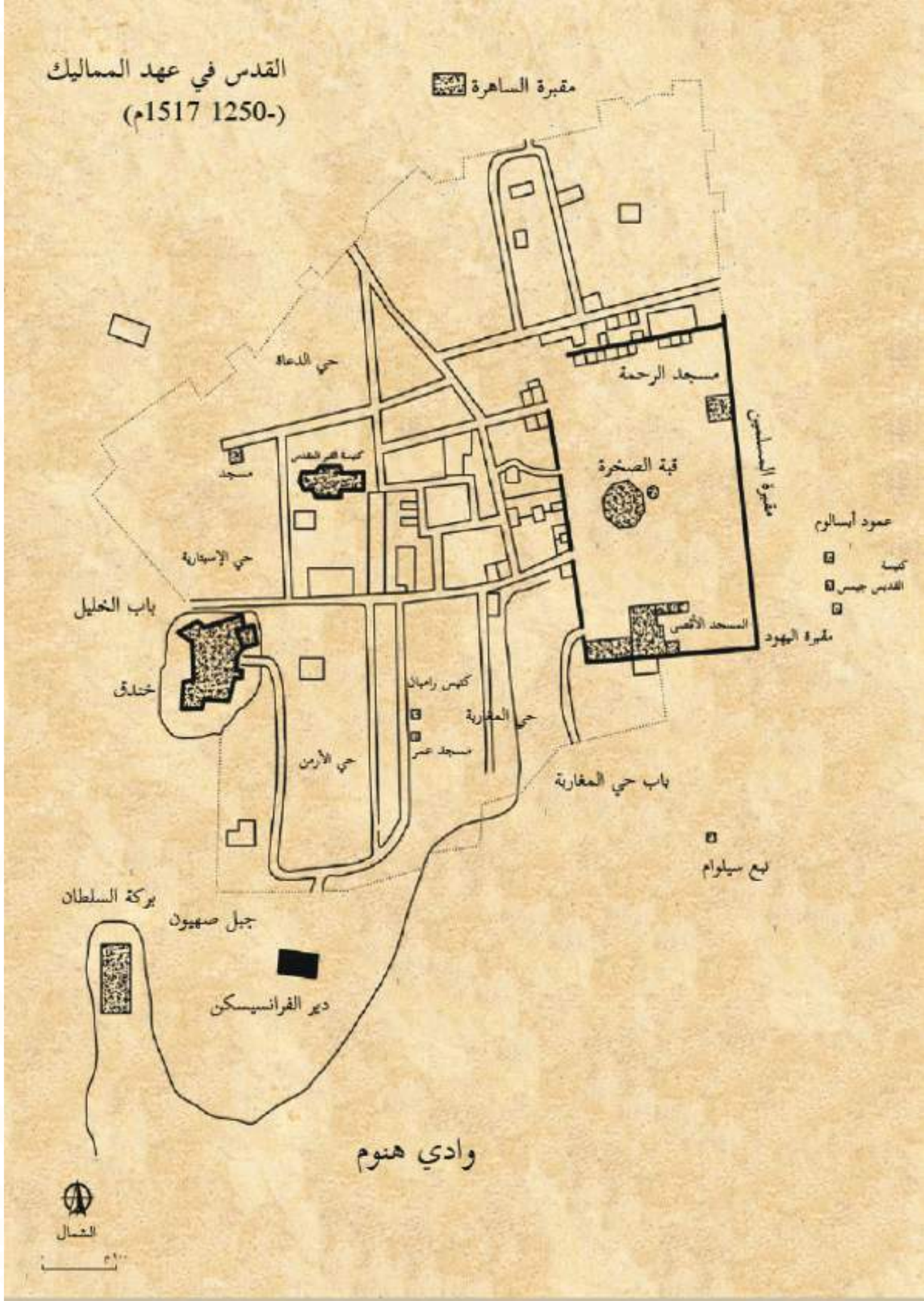

وأسسوا مراكز خيرية لمساعدة الفقراء وطلبة العلم. وشجَّع كثير من سلاطين المماليك على عمران القدس والمسجد الأقصى منهم السلطان بيبرس الأول، وقلاوون، وكتبغا، ولاشين، والملك الناصر محمد بن قلاوون، والملك الأشرف شعبان الثاني، وبركوك، والناصر فرج، والشيخ المحمودي، والأشرف برسباي، وقايتباي، وقانصوه الغوري. وقد شارك في حركة العمران هذه إلى جانب سلاطين المماليك الولاة مثل والي الشام تنكز، وأزواج سلاطين المماليك وبناتهم، والتجار والأشراف، وكذلك سلاطين العثمانيين والترك آنذاك.

زار السلطان بيبرس الأول من سلاطين المماليك البحرية القدسَ بضع مرات، ورمَّمَ الجزء المهدوم من قبة الصخرة، وبنى خانًا خارج أسوار المدينة لاستضافة الفقراء والتجار القادمين إلى المدينة، وخصَّص الأموال التي كانت تُجبَى من بعض البلدات للأماكن المقدسة في المدينة. وزارَ السلطان قلاوون القدسَ عام ١٢٨٢/٦٨١ وبنى رِباط قلاوون (الرباط المنصوري) لفقراء المدينة. ورمَّمَ السلطان لاشين محراب داوود. وشهدت القدس ازدهارًا كبيرًا في عهد محمد بن قلاوون (١٢٩٣- ١٢٩٤، ١٢٩٩- ١٣٠٩، ١٣١٠- ١٣٤١) أثناء حكم المماليك البحرية.

فقد رمَّم المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وبنى أقواسًا حولها. وغطَّى القسم الخلفي من المسجد الأقصى بالرخام، وذهَّبَ بعض القبب في الحرم الشريف.

وتذكر المراجع أن هذه الأعمال نُفِّذَت بِدقَّة كبيرة وحافظت على رونقها لسنوات. وبُنيَ كثير من المدارس والأسواق والخانات والحمامات والرباطات في عهد محمد بن قلاوون الذي دام لأكثر من أربعين عامًا، وأُعيدَ بناء قلعة القدس وجُرَّ الماء إليها. وقد بُنيَ المسجد في الزاوية الغربية من القلعة في عام ١٣١٠م.

وظل اهتمام السلاطين بالقدس حتى في عهد المماليك البرجية. زارَ السلطان برقوق القدسَ وبقي فيها مدة، فأعاد بناء الخان الظاهري المعروف باسم دار الوكالة (القيصرية)، وقناة المياه (قناة العروب) عام ١٣٨٦م. ورمَّمى برسباي عام ١٤٢٩/٨٣٢ سبيلَ الشعلان الذي أنشأه السلطان الأيوبي الملك المعظم عيسى عام ١٢١٦م. وأصلحَ الملك الظاهر جقمق قبة الصخرة بعد أن احترقت بسقوط برق عليه. ورمَّمَ الملك الأشرف إينال الذي بدأ حكمه عام ١٤٥٣/٨٥٧ المسجدَ الأقصى، وبنى سبيلًا عُرِف باسم سبيل قايتباي بعد أن رُمِّمَ في عهد قايتباي.

سبيل قايتباي (أرشيف MT)

المدرسة الأشرفية التي أعاد بناءها قايتباي (أرشيف MT)

وأصلح السلطان خشقدم «قناةَ السبيل» التي يأتي الماء عبرها إلى سبيل قايتباي عام ١٤٦٢م. وبنى خشقدم المدرسةَ السلطانيةَ التي عُرِفَت باسم المدرسة الأشرفية لأن قايتباي أعاد بناءها عام ١٤٨٢/٨٨٧. وأصلحَ قايتباي سبيل قايتباي و«قناة السبيل» التي أُهمِلَت لسنوات طويلة.

وإلى جانب السلاطين المماليك أسهمَ الأمراء وأقاربهم والأثرياء من التجار والعلماء والمهاجرون إلى القدس من بلدان أخرى في إعمار المدينة. وكان في القدس آنذاك نحو من خمسين مدرسة وعشرين زاوية وخانقاه ورباط صوفي. ومما بُنيَ في عهد المماليك البحرية رباط علاء الدين (البصيرية) على يد الأمير علاء الدين آيدوغدو (ت: ١٢٦٧/٦٦٦)، وخانقاه الدوادارية (١٢٩٥/٦٩٥) على يد الأمير علم الدين سنجر الدوادار الصالحي، والمدرسة الوجيهية التي أوقفها شيخ الحنابلة في دمشق الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان التنوخي عام ١٣٠٢/٧٠١، والمدرسة الجالقية التي أوقفها الأمير ركن الدين بيبرس عام ١٣٠٧/٧٠٧، والمدرسة الجاولية التي بُنيَت بين عامَي ١٣١٥/٧١٥ و١٣٢٠-٧٢٠، والمدرسة السلامية والكريمية والأمينية والخاتونية.

ومن أعظم ما بناه الأمراء في عهد المماليك المدرسة التنكزية وسوق القطَّانين على يد نائب دمشق الأمير تنكز الناصري عام ١٣٢٩/٧٢٩. ومن المدارس التي بناها المماليك البرجية المدرسة الموصلية التي بناها الشيخ (التاجر) فخر الدين الموصلي من أجل أبي بكر علي الشيباني (ت: ١٣٩٥/٧٩٧)، والمدرسة الجهاركسيَّة (الشركسية) التي أوقفها الأمير جهاركس الخليلي، والمدرسة السُبيبيَّة والبسيطيَّة.

وزاد عدد سكان القدس الذي كان نحوًا من ١٠ آلاف طوال العصور الوسطى ليصل إلى ٢٠ ألفًا مع الاستقرار في عهد المماليك. وقد اهتم المماليك الذين كانوا في الأصل مملوكين وغرباء عن المجتمعات التي يحكمونها بالمدن المقدسة مثل القدس اهتمامًا شديدًا، وذلك إما لأسباب دينية شخصية، أو لأسباب سياسية مثل تشريع حكمهم للمجتمعات التي كانوا غرباء عنها. وقد جلبَ بناءُ كثير من المدارس المدعومة من الأوقاف إلى القدس كثيرًا من العلماء الذين هاجروا إلى المنطقة من الأناضول والعراق لا سيما بعد اجتياح المغول. وجعلَت حياةُ الاستقرار في عهد المماليك القدسَ التي لم تكن مركزًا سياسيًّا وعسكريًّا مُستقرَ العلماء الذين هاجروا من الشرق والغرب.

وكان تطور التجارة في عهد المماليك البحرية عاملًا من عوامل زيادة عدد سكان المدينة. وإلى جانب المسلمين الذين كانوا يشكّلون أغلبية سكان القدس في عهد المماليك، كان يعيش اليهود والمسيحيون على كثرة مذاهبهم، ويمارسون معتقداتهم بحرية. وكان في القدس آنذاك المماليك من أصل تركي وشركسي والعرب والتركمان.

وكان من أسباب تطور المستوى العلمي في القدس في عهد المماليك الاستقرار في المنطقة وتطور الحياة التجارية. وصار عهد المماليك العهدَ الذي وضِعَت فيه أكثر المؤلفات في تاريخ الإسلام. وكان المماليك يدعمون العلماء الذين كانوا الفئة الوحيدة التي تستطيع أن تعارضهم في المجتمع. وكانت القدس من أكثر المدن التي استفادت من هذا الدعم. فكان كثير من العلماء والذين يرتحلون طلبًا للعلم يأتون إلى القدس في عهد المماليك. وجعلت مرحلةُ الاسترداد في المغرب والغزوُ المغولي في المشرق مناطقَ المماليك والقدس الملاذَ الآمن. وكان من بين العلماء المغاربة الذهبي، وبدر الدين العيني، وابن حجر العسقلاني. وقدمَ طلبة العلم من الأناضول والعراق والحجاز إلى مدارس القدس التي كانت أكثر من ٤٠ مدرسة. ولعبَت أُسَر العلم مثل القلقشندي وابن جماعة دورًا مهمًا في الحركة العلمية في القدس.

لم تكن القدس مركزًا تمر منه الطرق التجارية الأساسية في التاريخ الإسلامي، ولكنها كانت قريبة من المراكز التجارية. وكان من أسباب قلة عدد سكان القدس عدم ملائمة أرضها للزراعة وأنها لم تكن مركزًا للتجارة. واشتُهِرَت القدس بزراعة الزيتون والتين والعنب وفواكه أخرى. وكان إنتاج القطن من القطاعات المهمة، لذلك تطورت صناعة النسيج في المدينة. وتذكر المراجع صناعة الزجاج فيها. وكانت البلدات المجاورة للقدس تكتفي بزراعتها، وعُرِفَت القدسُ باستيرادها للقمح. وكان من مصادر دخل القدس قصب السكر وصناعة السكر. وكان من أهم مصادر المعيشة في القدس زيت الزيتون، ومن صادرات القدس الصابون والشمع.

زاد عدد المسيحيين القادمين من أوروبا للحج إلى القدس مع زيادة الأمن والتسامح الذي أظهره المماليك.

وصار من مصادر دخل أهل المدينة استضافةُ الحجاج وإعاشتهم وبيع الهدايا من الإيقونات والهدايا المزخرفة والمنقوشة. وكانت صناعة الفضة من الصناعات المهمة في القدس. وكان من مظاهر نمو التجارة في المدينة آنذاك بناء الأسواق والخانات والنُّزل، وكان من علامات مكانة القدس الدولية وجود قنصليات للقيام بإجراءات الحُجَّاج والتجار الأجانب.

ووُضِعَت في عهد المماليك بنية تحتية متينة لحل مشكلة المياه التي تعد من أعقد مشاكل القدس. وكانت قنوات المياه تُرمَّم وتُصلح دائمًا. وبُنِيَت قنوات مياه جديدة لجلب المياه من ينابيع مختلفة خارج المدينة، وحُفِرَت كثير من الآبار وبُنِيَت سُبُل مياه داخلها. وبنى السلاطين المماليك بِركًا في القدس لا سيما حول الحرم الشريف من أجل جمع مياه الأمطار وتنويع مصادر المياه، وبنوا حمامات كثيرة لأهل القدس.

وختامًا يمكن أن نقول إن مدينة القدس عاشت خلال عهد المماليك والعثمانيين أفضلَ مرحلة في تاريخها بعد الاحتلال الصليبي، وإن الاستقرار والأمن في المدينة كانا عامِلين أساسيَّين في عيش المسلمين والمسيحيين واليهود في طمأنينة وسكينة وحرية دينية.

ضريح أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن العليمي مؤلف كتاب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» في وادي قدرون (أرشيف İ٧٧)

المراجع العربية

العارف، عارف. تاريخ القدس. القاهرة: ١٩٩٤.

زكار، سهيل. «فلسطين في عهد المماليك». الموسوعة الفلسطينية. بيروت: ١٩٩٠. ٢: ٥٢٧-٦٩٣.

عاشور، سعيد عبد الفتاح. «المماليك والقدس». يوم القدس، أبحاث الندوة السادسة. عمان: ١٩٩٦.

عبد المهدي، عبد الجليل حسن. المدارس في بيت المقدس. عمان: ١٩٨١.

علي، السيد علي. القدس في العصر المملوكي. القاهرة: ١٩٨٦.

نجم، رائف يوسف. كنوز القدس. عمان: ١٤٠١/١٩٨٣.

المراجع باللغات الأخرى

Buhl, F. “Kudüs”. İA. 964-952 :6.

Drory, J. “Jerusalem during the Mamluk Period”. The Jerusalem Cathedra.

Ed. L. I. Levine. Jerusalem: 213-190 :1 .1981.

Goitein, S. D. “Kuds”. EI2 (İng.). 333-332 :5.

Little, D. P. “Jerusalem under the Ayyubids and Mamluks 1516-1197 AD”.

Jerusalem in History. Ed. K. J. Asali. Essex: 199-177 :1989.

Lutfi, Huda. al-Quds al-Mamlūkiyya: A History of Mamlūk Jerusalem Based on the Haram Documents. Berlin: 1985.

M. H. Burgoyne. Mamluk Jerusalem: An Architectural Study. London: 1987.

Tomar, Cengiz. “Kudüs”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi.

القدس في الحكم العثماني

* عبد الله جقمق

بدأ الحكم العثماني للقدس في أواخر عام ١٥١٦م، واستمر- باستثناء عهد محمد علي باشا بين عامَي ١٨٣١- ١٨٤١- نحوًا من أربعة قرون، أي حتى عام ١٥١٧ حين احتلها الإنكليز. كانت القدس لواءً في إدارة الدولة العثمانية في كثير من الأحيان، وتبدلت المراكز التي تتبع لها. وكانت القدس تابعةً عمومًا لولاية دمشق بين عامي ١٥١٦- ١٨٣١، ولولاية صيدا بين عامَي ١٨٤١- ١٨٦٥، ثم تابعةً لولاية سوريا التي ضمت ولاية دمشق وصيدا. وصارت القدس متصرفية مستقلة بين عامَي ١٨٧٢- ١٩١٧ وتابعةً للحكومة المركزية مباشرة.[1]

سنتحدث في هذا الفصل بدايةً عن انتقال القدس من حكم المماليك إلى حكم الدولة العثمانية والتنظيم الإداري الأول في القدس. ثم نتحدث عن التطورات السياسية التي برزت في القدس تحت الحكم العثماني. وقد اقتصرنا على ذكر أمثلة من القرن السادس عشر عن بعض المسائل السياسية حتى لا نقع في التكرار، لأن هذه المسائل كانت متشابهة على مدى قرون، مثل القضاء على تمرد البدو في لواء القدس، وحفظ النظام، ومراقبة موظفي الدولة وفقًا لقرارات الديوان السلطاني. وذكرنا بتفصيل أحداث القرن التاسع عشر مثل احتلال الفرنسيين لمصر وتقدمهم نحو بلاد الشام، وتمرد والي مصر محمد علي باشا، لأن هذه الأحداث كان لها تأثير كبير في القدس.

إلحاق القدس والتنظيم الإداري الأول

اعتلى السلطان سليم الأول عرش الدولة العثمانية عام ١٥١٢م، وحقَّق فتوحات عظيمة في حكمه الذي استمر لمدة قصيرة لم تتجاوز الثمانية أعوام. إذ اتجه أولًا لمحاربة الدولة الصفوية التي كانت تدعم التشيع في الأناضول، وانتصر عليها في معركة تشالدران عام ١٥١٤م. لكن هذا الانتصار لم يقضِ على خطر التشيع في الأناضول تمامًا، فكان لا بد من حملة ثانية على الصفويين. فأعدَّ السلطان سليم الأول العدة وانطلق نحو إيران، ووردته أخبار أن سلطان المماليك قانصوه الغوري تحرك من مصر إلى حلب ليمنع الجيش العثماني من المرور من أراضيه. وكان المماليك آنذاك يحكمون الأماكن المقدسة مثل الحجاز التي فيها مكة والمدينة وكذلك القدس، وكانوا حُكَّامًا ضعفاء في موضوع حماية المسلمين، فلمَّا سمع السلطان سليم الأول بحملة قانصوه الغوري، حوَّل وجهته من إيران إلى مصر. فالتقى العثمانيون والمماليك لأول مرة في مرج دابق قربَ حلب بتاريخ ٢٤ آب/أغسطس من عام ١٥١٦م، فكانت مواجهة شديدة بينهم. وانتصر العثمانيون وسار جيشهم نحو دمشق، واستولوا على قِلاع كثيرة في طريقهم. اتجهت فرقة عثمانية بقيادة محمد بن السيد عيسى إلى غزة والرملة، فلقيت مقاومة من المماليك بقيادة والي دمشق جنبردي الغزالي، فأرسل السلطان سليم الأول فرقة بقيادة الوزير الأعظم خادم سنان باشا إلى غزة لدعم الفرقة العثمانية هناك.

* د. عبد الله جقمق، عضو الهيئة التدريسية، كلية العلوم الإسلامية بجامعة أفيون كوجاتبه.
acakmak@aku.edu.tr.

[1] Kamil C. el-Aselî, «Kudüs (Osmanlı Dönemi ve Sonrası)», Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, (Ankara: TDV Yayınları, 2002), 26: 334-338.

مـات سـلطان المماليـك قانصـوه الغـوري فجأة، وحلَّ مكانه طومان باي. ولمَّا سمعَ السـلطان سـليم الأول بمقتـل رسـوله جركـز مـراد إلـى سـلطان المماليـك الجديـد، تحـرَّك فورًا من دمشـق إلى مصر. ووصـلَ إليه خبر انتصار جيشه في خان يونس بغزة وهو قرب الرملة في كانون الأول/ديسـمبر عام ١٥١٦م. واسـتطاع سـليم الأول أن يفتـح فلسـطين كامـلًا بهـذا الانتصـار، ووصـل إلـى القـدس مع حاشيته وحرَّاسه بتاريخ ٣١ كانون الأول/ديسـمبر عام ١٥١٦م، فـزارَ الأماكن المقدسـة فيهـا وأحسـن إلى علمـاء المدينـة وفقرائهـا.[٢]

أول ورقة تتحدث عن معركة خان يونس في كتاب (فتح ديار العرب) لسلاحشور. (مكتبة السليمانية، نوري عثمانية، ٤٠٨٧)

ألحـقَ سـليم الأول القـدسَ بأراضـي بـلاد الشـام، وجعلهـا لـواءً تابعًـا لولايـة العـرب (دمشـق) فـي أول تقسـيم إداري للمنطقـة، وعيَّـن عليهـا إسـكندر بـك بـن أفرنـوس. لـم يسـتمر هـذا التنظيـم الإداري طويـلًا، ففـي ٢٥ أيلول/سـبتمبر عـام ١٥١٧م صـارت غـزة وصفـد والقـدس والكـرك ونابلـس التـي تشـكِّل أراضـي فلسـطين ألويـة عُهِـدَت إلـى جنبـردي الغزالـي الـذي كان واليًـا للمماليـك على دمشق مـدةً طويلـةً. وكانـت الغاية من تكليـف العثمانييـن لـوال مـن المماليـك بهـذه المهمـة الاسـتفادةُ مـن الـولاة ذوي الخبـرة فـي حكـم هـذه الأراضـي التـي لا يعرفونهـا جيـدًا. وبذلـك حالـوا دون ضعـف الإدارة فـي المنطقـة حتـى تمـام التنظيـم الإداري. لكـن جنبـردي الغزالـي اسـتغل فرصـة تبـدل السـلطان العثمانـي مـع وفـاة سـليم الأول عـام ١٥٢٠م، فأعلـن نفسـه سـلطانًا علـى مصـر، غيـر أن السـلطان العثمانـي الجديـد سـليمان القانونـي قضـى عليـه.

تشـير وثيقـة تُقـدَّر أنهـا تعـود للفتـرة بيـن عامَـي ١٥٢٠- ١٥٢١م إلى وجود ثلاثين لـواءً آنـذاك فـي ولايـة روملـي، وعشـرين فـي ولايـة الأناضـول، وثمانيـة فـي قارامـان، وخمسـة فـي ولايـة الـروم، وخمسـة عشـر فـي ولايـة العـرب، وتسـعة فـي ولايـة ديابكـر.[٣] وتظهـر هـذه الوثيقـة لـواء غـزة وصفـد والقـدس مـن بيـن ألويـة فلسـطين التابعـة لولايـة دمشـق.

[٢] للاستزادة في موضوع إلحاق القدس بالدولة العثمانية، انظر:
Silahşör, Fetihnâme-i diyâr-ı Arab, (İstanbul: Süleymaniye El Yazmaları Kütüphanesi, Nur-ı Osmaniye, 4087), 18a-36b; Solakzâde Mehmed Hemdemi, Solakzâde Tarihi, (Dersaadet: Mahmud Bey Matbaası, 1297), 384-389; Hoca Sadeddin, Tâcü't-tevârîh, (Dersaadet: Matbaa-i Amire), 2: 337-349.

[3] Ö. Lütfi Barkan, «H. 933-934 Mâli Yılına Ait Bir Bütçe Örneği», İstanbul Üniversitesi İktisat Fakültesi Mecmuası,15/1-4 (1954): 306.

وتبيِّـن العبـارة الفارغـة التـي تشـير إلـى غيـاب حاكـم عـن ولايـة دمشـق عـدمَ تعييـن وال فـي تلـك الفتـرة بعـد مـوت الغزالـي. عُيِّـنَ أيـاس باشـا واليًـا علـى دمشـق بعـد الغزالـي، فصـارت غـزة وصفـد والقـدس ألويـةً منفصلـة.[٤] وبذلـك أقـرَّت الدولـة العثمانيـة عمومًـا بالتنظيـم الإداري الـذي كان قائمًـا فـي عهـد المماليـك، أي بقـاء غـزة وصفـد والقـدس ألويـة تابعـة لولايـة دمشـق. كانـت القـدس لـواءً تابعًـا لولايـة دمشـق فـي التنظيـم الإداري العثمانـي وبقيـت فـي البدايـة مؤلفـة مـن ناحيـة القـدس والخليـل وبنـي عامـر كمـا كان فـي عهـد المماليـك. غيـر أنـه فـي عـام ١٥٣٨ أُلغيَـت ناحيـة بنـي عامـر وظلـت القـدس مقسَّـمةً إلـى ناحيتَيـن.[٥]

القدس في الإدارة العثمانية

كان حاكـم اللـواء الحاكـمَ العسـكري والإداري الأعلـى فـي لـواء القـدس وفقًـا للتشـيكلات الإداريـة العثمانيـة. وكان حاكـم اللـواء كمـا فـي الوظائـف الأخـرى يُعيَّـن لسـنة، لكـن يمكـن تعيينـه فـي الوظيفـة نفسـها بعـد سـنة أو وظيفـة أخـرى. وكان حاكـم اللـواء مسـؤولًا عـن حفـظ الأمـن فـي مركـز المدينـة والمناطـق الريفيـة حولهـا، وجمـع الضرائـب فـي المدينـة وريفهـا، وضمـان التجـارة وفقًـا للقوانيـن، وتأميـن الطعـام والشـراب الكافـي للمدينـة، وتجهيـز القـوة العسـكرية المحليـة وقيادتهـا فـي الحـروب عنـد الضـرورة.[٦]

كان حاكـم لـواء القـدس قـره حسـن عـام ١٥٢٢م. وشـهدت القـدس تغييـرات إداريـة مسـتمرة فـي تلـك الفتـرة، فصـارت القـدس تابعـة عـام ١٥٢٣م للـواء غـزة تحـت حكـم السـيد أويـس. وكان لـواء غـزة مؤلَّفًـا مـن أقضيـة غزة-الرملـة والقـدس وفقًـا لدفتـر التحريـر عـام ١٥٣٠م. وكان فـي قضـاء القـدس المؤلـف مـن ناحيـة القـدس وخليـل الرحمـن ١٤٧ قريـة و٩٨ مزرعـة.[٧] وعـادت القـدس بعـد فتـرة لتكـون لواءً مسـتقلًا في التنظيـم الإداري وظلـت علـى هـذا الوضـع لقـرون.

كانـت أكبـر قضيـة للـواء القـدس فـي النصـف الأول مـن القـرن السـادس عشـر قضيـة تمـرد البـدو العـرب وسـلامة طريـق الحـج. وكان جنبـردي الغزالـي قـد اتخـذ تدابيـر لمواجهـة هـذه القضيَّتَيـن، ولكـن هـذه التدابيـر ضعفـت مـع تمـرده نفسـه. فيُفهَـم مـن ذلـك أنـه مـن القضايـا الأساسـية لحكَّام قضـاء القـدس كان عـدم وجـود تنظيـم إداري شـامل فيـه وقضيـة الأمـن، وذلـك فـي الفتـرة مـن مـوت الغزالـي حتـى منتصـف القـرن السـادس عشـر. لذلـك بـدأت الدولـة العثمانيـة بتعييـن حكَّام الأقضيـة والقضـاة مـن إسـطنبول مباشـرة مـن أجـل حـل هـذه المشـاكل فـي القـدس. وكان حضـور الإدارة المركزيـة فـي القـدس البعيـدة عـن مركـز الدولـة عامـلًا أساسـيًا فـي المحافظـة علـى اللـواء، وبذلـك حُلَّـت المشـاكل الأساسـية مثـل تمـرد البـدو فـي المنطقـة، وحفـظ النظـام، ومراقبـة أعمـال موظفـي الدولـة.[٨]

صـدرَ أمـرَان مـن إسـطنبول إلـى قايتـاس بـك الـذي كان حاكمًـا علـى لـواء القـدس عـام ١٥٦٠م، أحدهمـا بعـدم الخـروج مـن اللـواء مـن أجـل حمايتـه، والآخـر باتخـاذ التدابيـر الضروريـة لـرد هجمـات البـدو العـرب علـى اللـواء فـي حـال إعـلان النفيـر للحـرب.[٩] وفـي أمـر أُصـدِرَ عـام ١٥٨٥م وردت أخبـار عـن كثـرة قُطَّـاع الطـرق العـرب، وضـرورة بقـاء حاكـم اللـواء مـع أصحـاب نظـام «الزعامـة» و«التيمـار» لحمايـة القـدس حتـى لـو صـدرَ فرمـان بالنفيـر العـام.[١٠]

[4] Şair Nedim Efendi, Müneccimbaşı Tarihi Tercümesi, (Dersaadet: Matbaa-i Âmire, 1285), 3: 463; Hoca Sadeddin, Tâcü't-tevârîh, 2:342; Solakzâde, Solakzâde Tarihi, 391; Hadîdî, Hadîdî Tarihi (Manzum Osmanlı Tarihi) (1285- 1523) Nşr. Necdet Öztürk, (İstanbul: Bilge Kültür Sanat Yayınları, 2015), 389-394; İsmail Hakkı Uzunçarşılı, Osmanlı Tarihi, (Ankara: TTK Basımevi, 1983), 2/309.

[5] Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Tapu Tahrir Defterleri [TT.d.], Nr: 1015, 1.

[6] Amy Singer, Kadılar, Kullar, Kudüslü Köylüler / Sema Bulutsuz (İstanbul: Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları,2008), 33.

[٧] كان لواء غزة في هذا التاريخ مؤلفًا من أقضية الرملة والقدس وخليل الرحمن. BOA. TT.d, Nr: ٩٩٨, ٢٩١.

[٨] للاطلاع على الأحكام المذكورة في دفاتر المهمات في القرن الخامس السادس عشر المتعلقة بهذا الموضوع، انظر:
Halit Eren (Ed.), Mühimme Defterlerinde (1545-1594) Kudüs I, (İstanbul: IRCICA, 2016).

[9] Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Bab-ı Asafi Divan-ı Hümayun Mühimme Kalemi [A. DVNS. MHM. d.], Nr: 3, judg. 1020 ve 1025.

تُذكِّر هذه الأوامر من مركز الحكم العثماني بأن المهمة الأساسية والأولى لحكَّام لواء القدس إنما هو الحفاظ على اللواء، وتبيِّن الأهمية الكبيرة لهذا الموضوع، وضرورة اتخاذ التدابير كي لا يُترَك اللواء فارغًا ولو للحظة. ومن السياسات التي كانت مُتَّبعةً للوقوف في وجه تمرد العرب تقديم الجوائر لمَن يكون له نفع في مواجهة المتمردين. وكانت الجوائز توزَّع على الذين يحاربون العرب المتمردين في طريق القدس وما حولها. ومن الأمثلة على هذا الموضوع أن عجلون بك أعلمَ بأنه قُتِلَ أكثر من عشرة وجُرِحَ الكثيرون من عرب منظور وبني سعيد وكريم الذين كانوا يقطعون الطريق بين القدس ومصر وينهبون الناس ويقتلونهم عام ١٥٦٠م، وأعطى مراد بك ٢٠٠٠٠ أقجة.[11] وفي أمر بتاريخ ١٥٧٤م يتعلق بطلب حاكم لواء القدس سليمان بك من محمد بن عبد الله بتخصيص «تيمار» لمحمد مِن جند إنكشارية دمشق لأنه ضرب أحد قادة المتمردين من بني عطية ببندقيته فقتله في ناحية خليل الرحمن.[12] وفي سجل يعود للعام نفسه يظهَر طلبٌ مُرسَلٌ لحاكم دمشق يتعلق بإعطاء جائزة لمصطفى الذي له إقطاع بقيمة ٢٦٦٠٠ في لواء نابلس لدوره في قتل المفسد المُسمَّى الأمير علي الذي كان يقطع الطريق بين القدس ومصر.[13] وكان للتعاون بين حكام الألوية دور كبير في القضاء على المتمردين العرب في منطقة فلسطين. وكانت كثير من القوافل التجارية تتجه إلى القدس لأنها تضم الأماكن المقدسة للأديان السماوية الثلاثة، وكان ذلك سببًا لزيادة عمليات النهب على يد قطاع الطرق العرب في المنطقة. وكانت السلطة المركزية العثمانية تأمر حُكَّامها في المنطقة بضرورة التنسيق فيما بينهم والقضاء على هذه الجماعات المتمردة. ففي عام ١٥٧٦ طلب حكام ألوية صفد والقدس ولجون الدعمَ من أمير دمشق الحاج قانصوه بك لمواجهة احتمال هجوم المفسد ابن أبي ريش على قافلة الحج.[14] وفي عام ١٥٧٨م هربَ العربان المتمردون بعد أمر حاكم لواء غزة السيد أحمد حتى وصلوا إلى جبال القدس وحدودها، فأمر حاكم لواء القدس بتقديم الدعم لحاكم لواء غزة.[15] وفي أمر آخر يعود لعام ١٥٨١م وردَ طلب التعاون بين ألوية القدس وغزة وعجلون لمواجهة المتمردين والمفسدين العرب.[16]

وفي الأوامر الصادرة من الديوان السلطاني لحاكم لواء القدس وقاضيها فيما يتعلق بحفظ النظام وردت معلومات عن تعريف حُكَّام اللواء بمسؤولياتهم. وذُكِرَ في الأمر الخطي لحاكم لواء القدس وقاضيها عام ١٥٦٥م مواجهةُ مَن يأتي بالخمر من خارج القدس ويبيعه فيها.[17] وصدرَ أمرٌ آخر في العام نفسه من قاضي القدس بإغلاق خمسة مقاهي افتُتِحَت حديثًا بعد أن صار يرتادها العاطلون الطائشون ويفسدون الأمن العام.[18]

ومن الطرق التي لجأت إليها الدولة العثمانية لحفظ العدل في أراضيها استعمال نظام الشكوى.

[11] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 4, judg. 851.
[12] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 25, judg. 960.
[13] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 25, judg. 2974.
[14] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 28, judg. 686.
[15] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 33, judg. 627.
[16] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 46, judg. 297.
[17] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 6, judg. 1344.
[18] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 5, judg. 612.

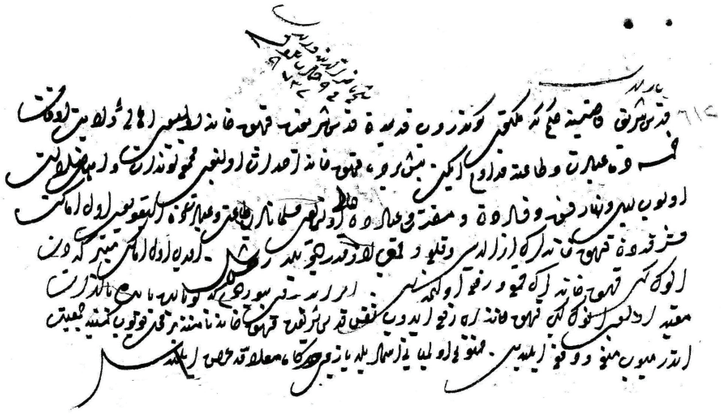

الأمر الصادر في موضوع إغلاق المقاهي التي سببت خللًا بالأمن العام في القدس
(BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 5, judg. 612)

فكانت الدولة تنظر إلى الشكاوى التي تأتي من عامة الناس حول موظَّفيها، فإذا ثبتت صحة الشكاوى بعد الفحص والتفتيش، عوقِبَ الموظفون. فأسهم ذلك في جعل الدولة تراقب خدماتها الداخلية، وإزالة العقبات في طريق عيش الرعية في رفاه. فلمَّا وردت مثلًا شكاوى إلى الديوان السلطاني حول مترجمين يعملون لدى رأس العسكر في القدس عام ١٥٦٤م، أُرسِلَت هيئة تفتيش في هذا الأمر، ولمَّا تبيَّن أن هؤلاء المترجمين يظلمون الناس، عُزِلوا من مهمة الترجمة. وعندما شكى أهل القدس مرة أخرى من هؤلاء الذين ظلوا يترجمون بصورة غير رسمية ومن أن ظلمهم زاد وطغى، صدر أمرٌ بتحري هذا الموضوع وإنهاء مهام هؤلاء المترجمين. ولمَّا شكى أهل القدس من حاكمها سليمان بك عام ١٥٧٣م، عُرِضَت الشكاوى على والي دمشق وقاضيها، وطُلِب منهما النظر في هذه الشكاوى وإثبات صحتها. وفي عام ١٥٧٧ وردت شكوى حول مترجمي رأس العسكر، لأنهم أحرقوا أموال بعض من أهل القرى في غيابهم وقطعوا أشجارهم. فصدر أمرٌ بالتحقيق في هذه القضية وعزلِ المترجمين في حال التأكد من ارتكابهم لهذا الجرم.

وقد أسهم حلُّ الدولة العثمانية المشكلاتِ المتعلقة بإدارة القدس وحركةُ العمران في المدينة بزيادة مستوى المعيشة في النصف الثاني من القرن السادس عشر. فالسلطان سليم الأول استطاع أن يلحِق القدس بدولته، ولكنه توفي قبل عمرانها. ولكن عندما تولى ابنه السلطان سليمان القانون العرشَ من بعده، واستمرت سلطنته مدة طويلة، بدأت حركة عمران كبيرة في القدس وغيرها من مدن الدولة العثمانية. حتى إن اسم السلطان سليمان القانوني ذُكِرَ في كتابَين له في القدس باسم «سليمان الثاني»، عطفًا على سيدنا سليمان الذي عمرَ المدينة أولَ مرة، لذلك تعود كثير من الآثار العثمانية الباقية في القدس إلى عهد السلطان سليمان القانوني.

[19] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 6, judg. 104.
[20] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 23, judg. 169.
[21] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 31, judg. 271.

وكان أول عمل قام به السلطان سليمان القانوني في القدس في مجال العمارة تحويل قسم من مجمع النبي داوود الذي فيه مقامه إلى مسجد. وهذا القسم هو القاعة التي تناول فيها النبي عيسى عشاءه الأخير مع حواريه. ومن أعمال السلطان القانوني في القدس إعادة بناء أسوار المدينة وقلعتها، وإصلاح قبة الصخرة والجامع القبلي، وتزيين قبة الصخرة بالفسيفساء على الطراز الإزنيكي، وإنشاء ستة سُبل في المدينة بجلب الماء من بيت لحم. وقد بنت زوجة السلطان القانوني السلطانة خُرَّم مجمعًا فيه مسجد ومدرسة وخان ورِباط صوفي في القدس عام 1552م. وكان هذا المجمع أكبر مجمع في القدس لا بل في فلسطين كلها آنذاك.

ومع ظهور حركات تمرد عُرِفَت باسم التمرد الجلالي في القرن السابع عشر وثورة الباشاوات في شرقي الأناضول، انقطع تواصل مركز الدولة مع الولايات العربية. وعندما أُضيفَ إلى كل ذلك تبدل القِوى داخل الحكومة، تحولت الإدارة المركزية في الولايات العربية إلى إدارة أقرب إلى الإدارة المحلية. فصار آل فروخ ورضوان وتورابای يحكمون لواء القدس ونابلس وغزة ولجون طوال القرن السابع عشر. طوَّرت هذه الأُسَر الثلاثة علاقاتها طوال هذا القرن وقوَّت أواصر القرابة بينها وحسَّنت أمورها عبر مصالحها الاستراتيجية وشركائها في الأعمال التجارية في ولاية دمشق، حتى صارت سلالة حاكمة واحدة في النصف الثاني من ذلك القرن. واستفادت الدولة العثمانية من القوة العسكرية لهذه الأُسَر الثلاثة وعلاقاتها الجيدة مع البدو.

لكن الإدارة في إسطنبول كانت تضع في الحسبان أن الأُسَر المحلية الحاكمة قد ترغب في التفرد بالسلطة أحيانًا، لذلك كانت تتفاهم معها ما دامت تحقق الأهداف الأساسية لسياسة الدولة. وحينما زادت قوة الإدارات المحلية في النصف الثاني من القرن السابع عشر، اعتقد وزراء الدولة في الديوان السلطاني بإسطنبول وكانوا من آل كوبرولو أن عزل هذه الأُسَر المحلية من الحكم وتعيين حكَّام من مركز الدولة يعزِّز من مركزية الحكم. لكن كان أكبر عائق أمام عزل هذه الأُسَر المحلية الحاكمة قيادة الفرقة العسكرية القائمة لحماية طريق الحج التي كانت أمرًا مهمًّا في مشروعية الدولة العثمانية في المنطقة، ذلك أن قيادة هذه الفرقة كانت في عهدة حكام القدس ونابلس وصفد حتى آلت إلى عهدة حاكم طرابلس في القرن الثامن عشر. فكانت الأسر المحلية الحاكمة التي تقود قوافل الحج على صلة وثيقة مع البدو في المنطقة، ومدعومة من الأشراف في المنطقة دعمًا قائمًا على مصالح مشتركة. فكانت هذه الأمور عائقًا كبيرًا أمام سياسة مركزية الحكم في المنطقة. إلا أن سياسة الدولة العثمانية التي أصرَّت على كسر شوكة هذه الأُسَر المحلية حققت نتائج إيجابية في نهاية القرن السابع عشر، وبدأ تعيين حاكم من إسطنبول على لواء القدس بدلًا من حُكَّام محليين. لكن بعضًا من هؤلاء الحكام الذين عُيِّنوا من إسطنبول كانوا يرون مناصبهم مصدرَ دخل لا غير، فراحوا يظلمون الناس ويعاملونهم معاملة قاسية.

قبة الصخرة التي زيَّنها السلطان سليمان القانوني بالفسيفساء (أرشيف iStock)

فكانت معاملة الحكام الجدد الذين تخلوا عن الاتفاق الذي كان بين الأشراف والحكّام المحليين سببًا في التقارب بين الأشراف وعامة الناس. واندلعت ثورة بقيادة نقيب الأشراف محمد بن مصطفى الحسيني عام ١٧٠٣م نتيجة سياسة الكبت التي ما عادت تُحتمَل، وكانت هذه الثورة ردًّا واضحًا على السياسة الحاكمة. ولم تستطع الإدارة المركزية في إسطنبول أن تكبت هذه الثورة في القدس مباشرة لأنها كانت مشغولة بكبت التمرد الذي حدث في الجيش والذي عُرِفَ باسم «واقعة أدرنة». واستطاع حاكم لواء القدس الذي عُيِّن عام ١٧٠٥م أن يقضي على هذه الثورة بعد أن أُرسِل إليه ألفان من الإنكشارية وثلاثمئة من صنّاع السلاح ومئة من جنود المدفعية. فكان ذلك ضربة قوية للأشراف في القدس وموقعهم السياسي والاجتماعي. ثم وصلت أخبار إلى حاكم طرابلس الشام مصطفى باشا أن المتمرد محمد الحسيني يختبئ في قلعة طرسوس قرب طرابلس الشام متنكرًا بزيِّه. فقبض مصطفى باشا على الحسيني وأرسله إلى إسطنبول حيث لقي عقوبة القتل في سجن يديكولا.[٢٢] ومن المواجهات التي حصلت في القدس في القرن الثامن عشر مواجهة بين الإنكشاريين الذين وضعتهم الحكومة المركزية في قلعة القدس والجنود المحليين. وكانت أعمال العنف التي قام بها الإنكشاريون في القدس سببًا لوقوف أهل القدس مع الجنود المحليين الذين استطاعوا في عام ١٧٣١م أن يطردوا الإنكشاريين من قلعة القدس. ولم يستطع الإنكشاريون إلا أن يطلبوا من إسطنبول إصدار فرمان بدعمهم.[٢٣] حاولت الدولة العثمانية أن تدير القدس بتعيين حكّام لها من المركز لمدة بعد هذا التمرد، ووجهت الباشوات لاستغلال اللواء. وبقيت القدس قضاءً تابعًا لولاية دمشق آنذاك. وكان لواء القدس يُحكَم أحيانًا بنائب يعيِّنه والي دمشق. لكن كان للأعيان في القدس دورٌ في تعيين النائب أحيانًا، وزاد تأثيرهم في حكم اللواء بدءًا من النصف الثاني من القرن الثامن عشر، حتى صار أكثر المُعيَّنين على لواء القدس في ذلك القرن من أسرتَي طوقان ونمر.[٢٤] وزادت قوة بعض الأسر مثل الحسيني والخالدي والعسلي والعلمي وصارت تُعهَد لهم مناصب في القدس. فقدت أسرة الحسيني مكانتها في القدس بعد تمرد عام ١٧٠٣م، ولكنها غيَّرت اسمها إلى «غدية»وبدأت تتولى مناصب مختلفة مثل منصب القاضي، والمفتي، ونقيب الأشراف، وشيخ الحرم، والمؤذن، وأمين مفتاح كنيسة القمامة. أما أفراد آل الخالدي فتولوا منصب رئيس الكُتَّاب في محكمة القدس والنيابة، وكانوا من الشهود الدائمين (شهود الحال) في المحكمة. وتولت أسرة العسلي مهمة حراسة قلعة القدس من جيل لآخر، أما أسرة العلمي فكانت لها إدارة كثير من أوقاف القدس.[٢٥]

[22] Râşid Mehmed Efendi & Çelebizâde İsmaîl Âsım Efendi, Târih-i Râşid ve Zeyli, Prep. Abdülkadir Özcan & Oth. (İstanbul: Klasik Yayınları, 2013), 2, 767 ve 785;

للاطلاع على التمرد في القدس عام ١٧٠٣م، انظر:

Adel Menna, «Eigtheenth and Nineteenth Century Rebellions in Palestine», Journal of Palestine Studies 24/1 (1994), 52-57; Minna Rosen, «The Naqib el-Ashraf Rebellion in Jerusalem and Its Repercussions on the City's Dhimmis», Asian and African Studies: Journal of the Israel Oriental Society, 18, (Haifa: The Institute of Middle Eastern Studies University, 1985), 249-270.

[23] Raymond, Osmanlı Döneminde Arap Kentleri, 72.

[24] el-Aselî, «Kudüs «, 26/335.

[٢٥] للاطلاع على هذه الأسر، انظر:

Esmâ Câdullah Abd Hasâvne, Âilâtü'l-Kudsi'l-müteneffizeti fi'n-nısfi'l-evvel mine'l-karni's-sâmin aşar: Dirâsetü min hilâli'l-vesâiki'ş-şeriyye, (Yermük Üniversitesi, 2005); Adil Mennâ, Alâmu Filistîn fî evâhiri ahdi'l-Osmânî (1800-1918), (Beyrut: Müessesetü'd-Dirâsâti'l-Filistîniyye, 1995).

احتل القائد الفرنسي نابليون بونابرت القاهرة في أواخر القرن الثامن عشر، فتأثرت القدس بهذا التغيير في المنطقة. فقد انطلق نابليون من فرنسا بأسطول بلغ عدد جنده ٣٠ ألفًا، فاستولى على مالطا أولًا ثم اتجه نحو القاهرة. ولمَّا سمع الإنكليز بتحركات الفرنسيين هذه، أرسلوا الأسطول الإنكليزي بقيادة الأميرال نيلسون وراء الأسطول الفرنسي من أجل حماية مصالح الإنكليز في الهند. لكن نابليون احتل الإسكندرية قبل وصول الإنكليز، وأرسى قسمًا من أسطوله في ميناء أبو قير واتجه نحو القاهرة. فهاجم الإنكليز السفن الفرنسية الراسية في الميناء، فانقطعت الامدادات القادمة لنابليون من فرنسا. احتل نابليون القاهرة في ٢٤ تموز/يوليو عام ١٧٩٨م، ولكنه بقي محصورًا فيها مع جنده بعد خسارته سفنه في أبو قير. فكّر نابليون في البداية بالبقاء في مصر بالاتفاق مع الدولة العثمانية، ولكنه عندما سمع بخبر اتفاق الدولة العثمانية مع بريطانيا وروسيا وإرسالها أسطولًا كبيرًا إلى مصر، لم يجد بُدًّا من المواجهة، فتحرَّك نحو دمشق، واحتل غزة والرملة. غير أنه حينما وصل إلى عكا التي كانت تحت قيادة والي صيدا أحمد باشا الجزار، لقي فيها مقاومة شديدة. وبعد حصار نابليون لعكا لنحو من شهرين، خرج أحمد باشا الجزار في ٢٠ أيار/مايو عام ١٧٩٩م وهاجم الفرنسيين وأوقعَ بهم ضررًا كبيرًا.[٢٦] بدأ الاضطراب السياسي في منطقة فلسطين مع احتلال الفرنسيين لمصر، وكان ذلك سببًا للتوتر بين المسلمين وغير المسلمين في القدس. وعلمت الإدارة المركزية العثمانية أن نابليون يصدر بيانات كاذبة من أجل نيل دعم سكان المنطقة، فأرسلت فرامانات تبيِّن أن نية الفرنسيين القضاء على الإسلام في هذه الأماكن المقدسة عبر احتلالهم المساجد والرباطات الصوفية والأضرحة والأوقاف في القدس.[٢٧] وحدث تطور آخر آنذاك وهو تغير في الهيكل الإداري للقدس التي يحكمها نوَّاب يعيِّنهم والي دمشق، فعُيِّن أبو المراق محمد باشا متصرِّفًا في القدس على أساس الملكية. وأُعطيَت له مقاطعة يافا وغزة والرملة. وكان السبب وراء قرار الحكومة المركزية هذا تأمين الدعم اللوجستي للجيش العثماني في محاربة الفرنسيين. وقد كان لمتصرف القدس محمد باشا خدمات كبيرة للجيش العثماني بتأمينه الجند والذخيرة والدواء.[٢٨]

أمر بجلب العساكر من متصرفية القدس لمواجهة الفرنسيين
(BOA. AE. SSLM. III, Nr: 229, Gömlek Nr: 13382.)

[26] Abdurrahman b. Hasan el-Cebertî, Acâ'ibü'l-âsâr fi't-Terâcim ve'l-ahbâr, Thk. Abdurrahim Abdurrahman Abdurrahim (Kahire: Matbaatü Dâri'l-Kütübi'l-Mısriyye, 1998), 3/78-102; Darendeli İzzet Hasan Efendi, Ziyâname Sadrazam Yusuf Ziya Paşa'nın Napolyon'a Karşı Mısır Seferi (1798-1802), Prep. M. İlkin Erkutun (İs tanbul: Kitabevi Yayınları, 2009), 118-121; Ahmed Cevdet Paşa, Tarih-i Cevdet, (Dersaadet: Matbaa-i Âmire, 1858), 7/84-91; M. C. Şehabettin Tekindağ, «Yeni Kaynak ve Vesikaların Işığı Altında Bonaparte'ın Akkâ Muhâsarası», Tarih Dergisi, 15/ 20 (1965), 1-20.

[27] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 207, 172-173.

[٢٨] الأرشيف العثماني

Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Bab-ı Asafi Divan-ı Hümayun Askerî Mühimme Kalemi [A. DVNS. ASK. MHM. d.], Nr: 11, 127; Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Ali Emiri Tasnifi III. Selim Evrakı [AE. SSLM. III], Nr: 132, Gömlek Nr: 8042; BOA. AE. SSLM. III, Nr: 178, Gömlek Nr: 10632; BOA. AE. SSLM. III, Nr: 229, Gömlek Nr: 13382.

فعُيِّن محمد باشا واليًا على مصر أولًا ثم واليًا على دمشق وأميرًا للحج. لكن تعيين محمد باشا في هذه المناصب كان سببًا لحدوث نزاع بينه وبين أحمد باشا الجزار الذي ذاع صيته في مواجهة نابليون بونابرت. فاستولى أحمد باشا الجزار على غزة والرملة وعيَّن فيهما رجاله، وحاصر يافا. ولم يقف أهل القدس أولًا بجانب أيٍّ من هذَين الحاكمَين الفذَّين في المنطقة. غير أن حاجة محمد باشا لكثير من المال والبضائع لخدمة الجيش العثماني ولجوءَه إلى الناس دائمًا لتأمين حاجاته كان سببًا لوقوف علماء القدس وأعيانها بجانب أحمد باشا الجزار. ولمَّا زادت شكاوى الناس من محمد باشا، عيَّنته الإدارة المركزية واليًا على ديار بكر. وبذلك خرجت إدارة لواء القدس من نظام الملكية وعادت إلى ما كانت عليه منصبًا يُعيَّن فيه مَن له رتبة وزير أو أمير. لذلك ظل أحمد باشا الجزار يحاول أن يتولى إدارة منطقة فلسطين وإن عُيِّنَ للواء القدس محافظ دمياط أحمد باشا. وكانت الإدارة المركزية العثمانية قلقة بشأن إدارة القدسَ عبر نائب لها لأن أحمد باشا الجزار الذي كان أميرًا للحج آنذاك كان منشغلًا بمحاربة الوهابيين الذين شكلوا خطرًا كبيرًا. واستطاع أحمد باشا الجزار عام ١٨٠٣م أن يحكم لواء القدس بفضل وعوده بحفظ النظام في اللواء، لكن وفاته بعد عام كان سببًا لتطورات جديدة في القدس.[٢٩]

احتاجت الدولة العثمانية لحاكم قوي يعرف المنطقة جيدًا من أجل مواجهة الوهابيين. فكان أول اسم يُرشَّح لهذه المهمة أبو المراق محمد باشا الذي أُبعِدَ عن المنطقة لنزاعه مع أحمد باشا الجزار. فعُهِدَ لمحمد باشا لواء جدة وإيالة الحبشة عام ١٨٠٤م.[٣٠] ومُنِحَ له التزام كثير من المناطق في فلسطين لتلبية حاجته من مال وبضائع وذخائر للقضاء على الخطر الوهابي في الحجاز.[٣١] وهذا كله كان يعني وقوف محمد باشا مرة أخرى أمام أهل القدس الذين كانوا سببًا في إبعاده عن المنطقة. فراح الباشا يطبق سياسة صارمة على الناس كأنه مالك لأراضي فلسطين. وظل يجمع الضرائب قسرًا من الناس لا سيما من غير المسلمين على الرغم من زيادة الشكاوى التي وصلت إلى إسطنبول. وعندما دخل غزة مع جنده، كلَّفت الإدارة المركزية في إسطنبول والي صيدا سليمان باشا بمواجهته، ثم لجأ أبو المراق محمد باشا إلى والي مصر محمد علي باشا.[٣٢]

فنفهم من ذلك وجود صراع على السلطة بين الحكَّام المحليين في المنطقة القريبة من خطر الوهابيين في الحجاز. ولمَّا نشب حريق في كنيسة القمامة عام ١٨٠٨م، وقعت أزمة كبيرة بين الدولة والمجتمع. إذ شارك الإنكشاريون في الصراع بين الكاثوليك الأرمن والروم الأرثوذكس بعد عدم الاتفاق في موضوع إصلاح الكنيسة. ولمَّا تدخلت الدولة، تمرد الإنكشاريون، وطردوا نائب القدس واستولوا على القلعة. وكان والي دمشق يوسف باشا مشغولًا آنذاك بقمع التمرد في طرابلس الشام، فطلب العون من والي صيدا سليمان باشا لقمع التمرد في القدس. إلا أن تهديدات يوسف باشا ثبَّتت موقف الإنكشاريين فلم يتراجعوا. فأرسل يوسف باشا فرقة عسكرية إلى القدس وقمع التمرد هناك، ولكن ضعفه في التعامل مع قضية الحجاز، كانت سببًا لعزله من المنصب.

[29] Abdullah Çakmak, Osmanlı Kudüs'ünde Devlet ve Toplum (1798-1841), (Afyon Kocatepe Üniversitesi, 2019), 44-54.
[30] BOA. A. DVNS. ASK. MHM. d, Nr: 221, 102.
[31] Adil Menna, Livâü'l-Kuds fî evâsıtı'l-ahdi'l-Osmanî, (Beyrut: Müessesetü Dirâseti'l-Filistîniyye, 2008), 24.
[32] Çakmak, Osmanlı Kudüs'ünde Devlet ve Toplum, 55-56.

مشهد للحرم الشريف وقبة الصخرة في عهد عبد الحميد الثاني (أرشيف IRCICA FAY١٣٤٢٤٣)

فعُيِّن والي مصر محمد علي باشا للتعامل مع قضية الحجاز، وكان محمد علي باشا حاكمًا قويًّا عزَّز خزينته بسياساته الزراعية والتجارية، ونجح في بناء جيش حديث. فدخل محمد علي باشا مع ولدَيه طوسون وإبراهيم باشا الصراعَ مع الوهابيين عام ١٨١١م، واستطاع أن ينتصر على الوهابيين ويُنهي احتلالهم للحجاز عام ١٨١٩م. وأُعطيَت ولاية دمشق لوالي صيدا سليمان باشا، وعمَّ الاستقرار والسكينة في القدس في عهده، وبدأت حركة عمران آنذاك في المسجد الأقصى لا سيما في الصخرة والمسجد القبلي.[٣٣]

وظلت التغييرات السياسة الحاصلة في الأراضي الواقعة تحت الحكم العثماني تؤثر في القدس بطريقة غير مباشرة. إذ لما تمرد غير المسلمين في إيالة مورا عام ١٨٢١م، كان هناك احتمال تحرك غير المسلمين في القدس، فجرَت إصلاحات كبيرة في قلعتها. وحاولت الدولة العثمانية أن تحفظ النظام في القدس عبر سياسة التوازن بين والي دمشق ووالي صيدا. لكن زيادة والي دمشق مصطفى باشا الضرائب عام ١٨٢٥م بحجة عدم كفاية الضرائب التي تُجمَع من الألوية التابعة له سبَّبَت ثورة شعبية بقيادة الرعايا غير المسلمين. فطردَ الأهالي نائبَ القدس من المدينة واستولوا على القلعة، وعيَّنوا المسؤول عن التسليح يوسف آغا الجاعوني ومحافظ القلعة أحمد آغا العسلي وهما من الأُسَر الكبيرة لقيادة الثورة. وكان الثوَّار يعتقدون أن إدارة والي دمشق المكلَّف بمنصب أمير الحج للقدس تحمِّلهم مسؤولية كبيرة، وكانوا يرون الحل الحاسم في انفصال القدس عن ولاية دمشق وخروجها من عهدة أمير الحج. كُلِّف والي صيدا بقمع هذه الثورة كما حدث في السابق. ولم يرغب الثوَّار بالوصول إلى اتفاق، فأرسل والي صيدا عبد الله باشا فرقة عسكرية للسيطرة على المدينة. فتدخل علماء القدس ليوقفوا الثورة على ألا يؤخَذ من أهل القدس إلا الضرائب المعتادة.[٣٤]

[33] Menna, Livâü'l-Kuds, 26-31.
[34] Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Hatt-ı Hümâyûn, [HAT.], BOA. HAT, Nr: 541, Gömlek Nr: 26730; BOA. HAT, Nr: 772, Gömlek Nr: 36194; BOA. HAT, Nr: 1229, Gömlek Nr: 47940.

حلَّ السلطان العثماني محمود الثاني جيش الإنكشارية عام ١٨٢٦م، وكانت حصة ولاية دمشق في الجيش الجديد (العسكرية المنصورية المحمدية) ألف عسكري، وحصة لواء القدس أربعين عسكريًّا. ولمَّا عارض أهل القدس إعطاء عساكر للجيش، أمرت الدولة بإعطاء أهل القدس ١٧٥٠٠ قرشًا بدلًا من العساكر. ولكن عندما لم تستطع الدولة أن تحصل على هذا المبلغ، أحدثت تغييرًا إداريًّا في ألوية القدس ونابلس ولجون التي كانت تابعة لولاية دمشق لمدة طويلة. إذ صارت هذه الألوية الثلاثة عام ١٨٣٠م تابعة لولاية صيدا بشرط أن تدفع لخزينة المقاطعات ٢٠٠٠ أقجة ولخزينة دمشق من أجل الوحدات الخاصة في الحجاز ٧٥٠ أقجة سنويًّا لأن ولاة الشام لا يستطيعون إدارة هذه الألوية كما ينبغي بسبب مهمة إمارة الحج.[35] وبذلك ذهبت طلبات أهل القدس سُدى، بعد أن صارت تابعًة لولاية صيدا بدلًا من تبعيتها لمركز الدولة مباشرة، ولأنها كانت ملزمة بدفع مبلغ سنوي لشؤوون الحج كما كانت في الماضي. بقي لواء القدس تابعًا لولاية صيدا حتى عام ١٨٦٥م، وخرجت من سيطرة الدولة العثمانية بين عامَي ١٨٣١-١٨٤١ إذ حكمها والي مصر محمد علي باشا.

طلبت الدولة العثمانية الدعم من والي مصر محمد علي باشا لقمع التمرد في مورا بعد أن قضى على خطر الوهابيين، ولكن محمد علي باشا قطع دعمه وتمرد حين امتنعت الدولة العثمانية عن تلبية طلباته وابنه. فأرسلَ عام ١٨٣١م ابنه إبراهيم باشا نحو الشام بجيش قوامه ٢٤٠٠٠ جندي. وكان أول هدف للقوات المصرية غزة، ثم استولت على القدس ويافا من غير سفكٍ للدماء.[36] وبذلك بدأ عهد محمد علي باشا في القدس بين عامَي ١٨٣١- ١٨٤١م. وكانت سياسة الباشا الصارمة في موضوع التجنيد والضرائب سببًا لسلسلة من الثورات في القدس. واستطاع محمد علي باشا أن يقضي على هذه الثورات بخبرة ابنه إبراهيم باشا، ولا بد هنا أن نبيِّن أن إدارة القدس كانت في عهد الباشا محصورة بالمجال العسكري، ويُفهَم هذا الأمر من القضايا التي كانت ترد إلى محكمة القدس التي بقي الناس يعيشون فيها بالحقوق التي منحتهم إياها الدولة العثمانية من ثلاثة قرون إلى عهد محمد علي باشا. ويمكن القول إن الدول الأوروبية التي كانت تريد أن توصِل نفوذها السياسي إلى القدس منذ وقت طويل قد حققت آمالها في عهد محمد علي باشا.

حفل افتتاح سبيل الماء في شارع شيمنديفر في القدس والدعاء بهذه المناسبة، وكان ذلك اليوم مصادفًا لجلوس السلطان عبد الحميد الثاني على عرش الحكم (أرشيف IRCICA FAY١٤٣٩١٧)

[35] BOA. HAT, Nr: 554, Gömlek Nr: 27425.
[36] S. N. Spyrdion, «Annals of Palestine, 1821-1841», Journal of the Palestine Oriental Society, 18, (1938), 84.

ففي عام ١٨٣٨م فتحت بريطانيا أول قنصلية لها في القدس، وتبعتها بروسيا وفرنسا والنمسا وروسيا. حاولت بريطانيا أن تحمي اليهود خاصة، وسعت لزيادة نفوذ البروتستانت في القدس. وزادت فرنسا من تأثيرها في الكاثوليك والروس في الأرثوذكس. فكان من الضروري مراقبة الأحوال في القدس بعد زيادة اهتمام غير المسلمين بالأماكن المقدسة في القدس، والمؤسسات التي بنوها، وزيادة عدد الزائرين كل عام. لذلك حققت مرحلة الإصلاحات الإدارية (التنظيمات) التي بدأت بقانون «خط غولخانة الشريف» الصادر عام ١٨٣٩م تغييراتٍ كبيرة في إدارة القدس.

ومع عودة القدس إلى الحكم العثماني عام ١٨٤١م أُنشِئَت مؤسسات جديدة بتأثير مرحلة الإصلاحات الإدارية، إذ افتُتِحَت بلدية القدس عام ١٨٦٣م، وأُقيمَ مجلس إدارة لتنظيم إدارة اللواء. وكان دخول نظام البرقية (التلغراف) إلى القدس عام ١٨٦٥م وافتتاح الطريق بين القدس ويافا عام ١٨٦٨م عاملَين أساسيَّين لانفتاح القدس على العالَم الخارجي وزيادة عدد زائريها ونموها الاقتصادي. وكان مبنى الحكومة الذي بُنيَ عام ١٨٦٨م دليلًا على صلة القدس والمدن المجاورة بالعاصمة إسطنبول عمليًّا ورمزيًّا. وبذلك انتقل مركز القوة السياسية في فلسطين من مدينة عكا بمينائها إلى القدس البعيدة نسبيًّا عن الساحل. وصارت القدس متصرفية تابعة لمركز الدولة العثمانية مباشرة بعد صدور (نظام الولايات) عام ١٨٧١م. وهذا ما فتح الطريق أمام أشراف القدس الذين عُرِفوا بتأثيرهم في المجال الديني ليُظهِروا أنفسهم في المجال الإداري. وصار للأشراف دور كبير في إدارة القدس بعد أن وصلوا إلى عضوية مجلس الإدارة في المدينة، وهيئة المحكمة، ورئاسة البلدية، ووظائف كثيرة في دوائر الدولة. وتبدلت الحياة في المدينة بالخدمات العامة التي قدَّمتها الدولة والمباني التي أنشأتها مثل المصارف والفنادق والمسارح والبلديات والحدائق.[37]

إن السبب وراء هذه التغييرات في الحياة في القدس بدءًا من النصف الثاني من القرن التاسع عشر هو اهتمام الإدارة المركزية للدولة العثمانية بالمدينة. وقد وصل هذا الاهتمام إلى أوجه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. ولا بد هنا من توضيح أن الدول الأوروبية أيضًا زادت اهتمامها بالقدس، وليس سلاطين الدولة العثمانية فقط.[38] وكان الإذن بفتح قنصليات للدول الأوربية في القدس في فترة احتلال والي مصر محمد علي باشا عاملًا أساسيًّا في زيادة هذه الدول نفوذها في المدينة المقدسة. وعندما أرادت القنصليات أن تزيد من نفوذها في منطقة فلسطين كاملة، كان على الدولة العثمانية أن تتخذ التدابير الضرورية لمواجهتها. وزاد عدد الأوربيين في المنطقة بتأثير الهجرات اليهودية إلى فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر.[39] وكان العامل الذي حثَّ اليهوديين على الهجرة إنما هو الصهيونية التي ولدت في ظل النظم الفكرية السياسية الغربية التي كانت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكانت الصهيونية حركة عالمية تهدف إلى إقامة دولة مستقلة لليهود في فلسطين وإحياء اليهودية بجميع مؤسساتها على هذه الأرض.[40] وقد تشكَّلت جمعيات كثيرة باسم «أحباء صهيون» في مناطق شتى من أوروبا انطلاقًا من آراء الدكتور بينسكر الذي كان من المدافعين عن هذه الحركة. وكان مجال النشاط الأساسي لهذه الجمعيات سعيهم لإقامة مستوطنات في فلسطين.[41] وهنا لا بد أن نذكر اسمين مهمين في هذا الشأن وهما: تيودور هرتزل والبارون إدموند دي روتشيلد.

جعل تيودور هرتزل للصهيونية هوية سياسية، وسعى لحث اليهود على الهجرة إلى فلسطين. واعتقد أن نشر فكرة «عداء السامية» سيقنع اليهود بالهجرة.

[37] للاطلاع على الفترة الأخيرة من حكم العثمانيين للقدس، انظر:
Yasemin Avcı, Değişim Sürecinde Bir Osmanlı Kenti: Kudüs (1890-1914), (Ankara: Phoenix Yayınları, 2004); el-Aselî, «Kudüs», 26/334-338; Mohanad Alamleh, Osmanlı İdaresinde Kudüs Mutasarrıflığı (1874-1914), (Ankara Üniversitesi, 2019).
[38] Butrus Abu-Manneh, «The Rise of the Sanjak of Jerusalem in the Late Nineteenth Century», The Israel/Palestine Question, ed. Ilan Pappe, (London: Routledge, 1999), 42-43.
[39] Avcı, Kudüs (1890-1914), 63-67.
[40] Mim Kemâl Öke, Osmanlı İmparatorluğu, Siyonizm ve Filistin Sorunu (1880-1914), (İstanbul: Üçdal Neşriyat, 1982), 32.
[41] Öke, Siyonizm ve Filistin Sorunu, 36-38.

وكان يرى أن زرع هذه الفكرة في أذهان اليهود سيجعلهم يشعرون بأنهم غرباء في مجتمعاتهم، فيُسِّرع ذلك عملية هجرتهم إلى فلسطين.[42] إلا أن تجمع اليهود في فلسطين واتخاذهم لها وطنًا كان مخالفًا لسياسات عبد الحميد الثاني الذي كان حريصًا على دوره في خلافة المسلمين، فاتخذ مجموعة من التدابير للحدث من هذه الهجرات انطلاقًا من خطر هذه الهجرات اليهودية إلى فلسطين على إدارة الدولة العثمانية للأماكن المقدسة.[43] ويمكن عرض هذه التدابير على أربعة أقسام، وأولها كان من مسؤولية وزارة الخارجية. فكان على الوزارة أن تسعى دبلوماسيًّا في الخارج كل السعي لمنع الدول من تبني الصهيونية. أما القسم الثاني من التدابير فكان من مسؤولية وزارة الداخلية، إذ كان عليها أن تتخذ جميع التدابير الضرورية لمنع أنشطة الصهيونية في فلسطين، وتتواصل مع الولاة في المنطقة، وتجهِّز القِوى الأمنية لمواجهة أي حالات استثنائية. وأما القسم الثالث فكان إعفاء الباب العالي اليهود الذين يتسللون إلى فلسطين على الرغم من كل التدابير من حقوق الامتيازات الأجنبية، وحرمانهم من حماية الدول الأوروبية لهم. لذلك كان الباب العالي يُدخِل الصهاينة الذين يتسللون إلى فلسطين في رعايا الدولة العثمانية ليراقب تحركاتهم. وأما القسم الرابع والأخير من التدابير فكان يتعلق بمنع مركز السجلات العقارية المهاجرين اليهود من شراء أراض في فلسطين. وكانت خطة عبد الحميد الثاني من هذه التدابير لا سيما القسم الثالث والرابع منه أن يتخلى اليهود الذين يُحرَمون من حماية دولة أجنبية ويُمنَعون من شراء الأراضي عن أحلامهم في فلسطين ويعودوا إلى ديارهم.[44] زار تيودور هرتزل إسطنبول والتقى بالإداريين العثمانيين، وعرضَ على الدولة العثمانية بعضًا من العروض المغرية لتنفيذ خطته في تحويل فلسطين إلى موطن لليهود. وكان من بين هذه العروض استفنار اليهود الذين كانوا أصحاب نفوذ كبير في الصحافة الغربية من أجل إنهاء تشويه السمعة التي بدأها الأرمن بحق السلطان عبد الحميد الثاني. أما عرضه الثاني فكان مباشرة لعبد الحميد الثاني حين استطاع أن يلتقي به، وكان عرضًا يتعلق بإنقاذ الدولة العثمانية من مشكلاتها المالية. فطلب السلطان من هرتزل بعد هذا العرض أن يُعِدَّ تقريرًا بإطالة مدة سداد ديون الدولة العثمانية. وعرض هرتزل على السلطان التقرير الذي أعدَّه بعد شهر.

السلطان عبد الحميد الثاني وتيودور هرتزل

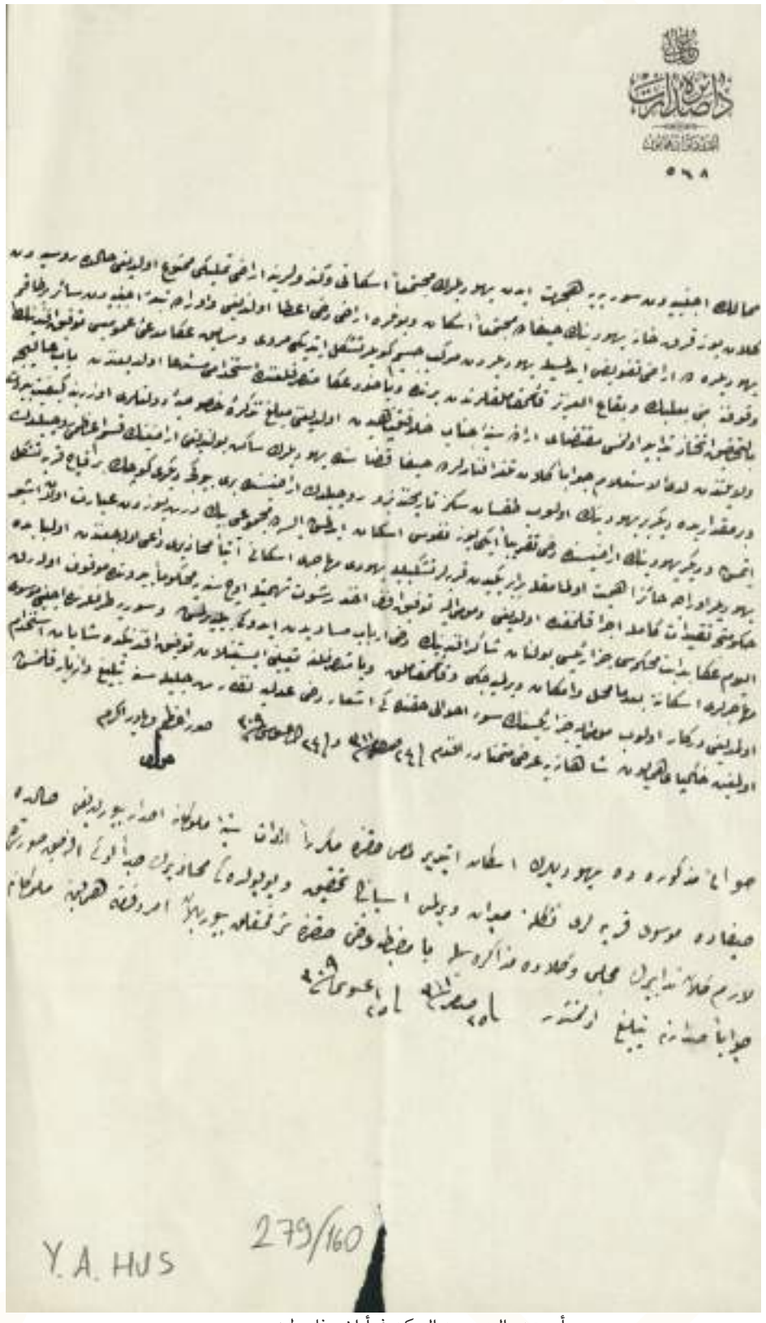

أمر بمنع اليهود من السكن في أراضي فلسطين

وكتب هرتزل رسالة أخرى للسلطان عبد الحميد الثاني يذكر فيها إمكانية سداد جميع ديون الدولة العثمانية في البورصة الأوروبية، بشرط أن يأذن السلطان لليهود بالاستيطان في فلسطين ويمنحهم الحق بإدارة ذاتية. غير أن السلطان عبد الحميد الثاني رفض هذه العروض. وفي عام ١٩٠٢م عرضت الدولة العثمانية هذه المرة لتيودور هرتزل عرضًا، وهو السماح لليهود بالاستيطان في أي أرض من أراضي الدولة العثمانية ما عدا فلسطين بشرط أن يكونوا من رعاياها مقابل إطالة مدة سداد ديون الدولة العثمانية. لكن لم يتفق الطرفان بعد إصرار تيودور هرتزل على السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين أو على الأقل في منطقة عكا بما فيها حيفا.[45]

أما البارون إدموند دي روتشيلد[46] فعلى عكس تيودور هرتزل كان يؤيد الهجرات سِرًّا ويراها الخطوة الأولى لإقامة دولة يهودية في فلسطين.[47] فصار ينفذ أنشطة سرية في فلسطين على الرغم من التدابير التي اتخذتها الدولة العثمانية. وأقام بضع مستوطنات على الأراضي التي اشتراها في فلسطين. وكانت التقارير التي ترد إلى مقر الصدر الأعظم من حكَّام المنطقة تذكر بتفصيل أنشطة اليهود لا سيما في متصرفية القدس. وثمة معلومات مهمة في الرسالة التي كتبها بوياجيان مهران الذي كان ملازمًا للقائم مقام في متصرفية القدس، بتاريخ ٢٧ أيلول/سبتمبر عام ١٨٩١م. يذكر مهران في هذه الرسالة إقامة بعض الجمعيات اليهودية وعلى رأسهم روتشيلد مستوطنات على الأراضي التي اشتروها بين حيفا وغزة، وأن هذه الجمعيات تؤدي أعمالها الزراعية بحرفية وتخرِّج مهرةً في الصناعة والتجارة، وأنها ستكون صاحبة الكلمة في القدس وما حولها مع مرور الوقت، وأنه إذا استمرت الأحوال على هذا المنوال، فإن المسلمين وغير المسلمين سيبيعون أراضيهم ويسلمون البلدة المقدسة لليهود، والأهم من ذلك كله أن دولة إسرائيل لن تقوم بالحرب بل بشراء الأرض.[48]

[42] Roger Garaudy, Siyonizm Dosyası / Nezih Uzel, (İstanbul: Pınar Yayınları, 1983), 119-120.
[43] Avcı, Kudüs (1890-1914), 79.
[44] Öke, Siyonizm ve Filistin Sorunu, 78.
[45] Öke, Siyonizm ve Filistin Sorunu, 51-57.
[46] ٤٦ بدأت علاقة أسرة روتشيلد مع الدولة العثمانية أثناء الحرب العثمانية الروسية التي قامت في عامي ١٨٢٨-١٨٢٩. وقد استدانت الدولة العثمانية من هذه الأسرة مرتين في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. للاطلاع على العلاقة بين روتشيلد والدولة العثمانية، انظر:
Mustafa Balcıoğlu ve Sezai Balcı, Rothschildler ve Osmanlı İmparatorluğu, (Ankara: Erguvanî Yayınevi, 2017).
[47] Balcıoğlu ve Balcı, Rothschildler, 211.
[48] Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Yıldız Perakende Umumi Evrakı [Y. PRK. UM], Nr: 23, Gömlek Nr: 66.

وذكرَ تقرير آخر وردَ إلى مقر الصدر الأعظم بعد عام أن يهودًا جاؤوا من روسيا إلى حيفا واستوطنوا في قرى تابعة لروتشيلد ويهودي آخر، وأن عددهم وصل إلى ١٤٠٠. ونقل مقر الصدر الأعظم هذا التقرير إلى قصر يلدز بتاريخ ٦ أيلول/سبتمبر عام ١٨٩٣، فأصدر السلطان عبد الحميد الثاني الأمر الآتي:

> ”إننا جوابًا على المحضر الذي وصلنا بعد المناقشات في مجلس الوكلاء في موضوع عدم إسكان اليهود في الأراضي المذكورة، نصدر هذا الأمر والفرمان السلطاني ونبلِّغ مقر الصدر الأعظم كي يحقِّقوا في أسباب تشكل القرى اليهودية في حيفا على الرغم من الأوامر السلطانية في هذا الشأن، ونؤكد على ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لمنع وقوع المحظور في هذا الموضوع“.[49]

ظل روتشيلد يشتري الأراضي في فلسطين عبر مندوبيه هناك على الرغم من الفرمانات التي كانت تمنع استطيان اليهود على أراضي فلسطين. وكان هؤلاء المندوبون مطلعون على حقوق الإسلام والحقوق العثمانية، وكانوا على علاقة دائمة مع الحكَّام المحليِّين في الأمور المتعلقة بهذا الموضوع مثل المساومة على السعر، وسندات الطابو التي فيها مشكلات، والاستملاك، وفرض الضرائب على الفلاحين. واستطاع إدموند دي روتشيلد عبر هذه العلاقات أن يشتري أراضي كثيرة على الخط الممتد من حيفا إلى يافا، وأرسل إداريين ومزارعين وأطباء ومعلمين ومهندسي إلى هذه المستوطنات التي أقامها هناك. وبذلك استطاع روتشيلد أن يضع الأسس الأولى للاستطيان اليهودي الدائم في فلسطين.[50] ومع احتلال بريطانيا لفلسطين في الحرب العالمية الأولى انتهى حكم الدولة العثمانية للقدس وفلسطين الذي دامَ لأربعة قرون.

[49] Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Yıldız Sarayı Hususi Evrakı [Y.A. HUS.], Nr: 279, Gömlek Nr: 160.
[50] Balcıoğlu ve Balcı, Rothschildler, 413-414.

معلومات عن الأرشيف

أرشيف رئاسة الجمهورية (BOA)

Ali Emiri Tasnifi III. Selim Evrakı [AE. SSLM. III], Nr: 132, Gömlek Nr: 8042; Nr: 178, Gömlek Nr: 10632; Nr: 229, Gömlek Nr: 13382.

Bab-ı Asafi Divan-ı Hümayun Askerî Mühimme Kalemi [BOA. A. DVNS. ASK. MHM.], Nr: 11, 127; Nr: 221, 102.

Bab-ı Asafi Divan-ı Hümayun Mühimme Kalemi [A. DVNS. MHM. d.], Nr: 3, judg. 1020 ve 1025; Nr: 4, judg. 851; Nr: 5, judg. 612; Nr: 23, judg. 169; Nr: 6, judg. 104; Nr: 6, judg. 1344; Nr: 25, judg. 2974; Nr: 25, judg. 960; Nr: 28, judg. 686; Nr: 31, judg. 271; Nr: 33, judg. 627; Nr: 46, judg. 297; Nr: 59, judg. 57; Nr: 207, 172-173.

Hatt-ı Hümâyûn, [HAT.], Nr: 541, Gömlek Nr: 26730; Nr: 554, Gömlek Nr: 27425; Nr: 772, Gömlek Nr: 36194; Nr: 1229, Gömlek Nr: 47940.

Tapu Tahrir Defterleri [TT.d.], Nr: 998, 291; Nr: 1015, 1.

أرشيف المديرية العامة للأوقاف (VGMA.)

Nr: 608-2, 235/178.

الكتب في الأرشيف

Silahşör. Fetihnâme-i Diyâr-ı Arab, (İstanbul: Süleymaniye El Yazmaları Kütüphanesi, Nur-ı Osmaniye, 4087), 1a-70a.

المراجع العربية

الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن. عجائب الآثار في التراجم والأخبار. تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٨.

مناع، عادل. أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠-١٩١٨). بيروت: مؤسسة دار السعادة الفلسطينية، ١٩٩٥.

مناع، عادل. لواء القدس في أواسط العهد العثماني. بيروت: مؤسسة دار السعادة الفلسطينية، ٢٠٠٨.

المراجع باللغات الأخرى

Abd Hasâvne, Esmâ Câdullah. Âilâtü'l-Kudsi'l-müteneffizeti fî'n-nısfı'l-evvel mine'l-karni's-aâmin aşar: Dirâsetü min hilâli'l-vesâiki'ş-şeriyye. Yermük Üniversitesi, 2005.

Ahmed Cevdet Paşa. Tarih-i Cevdet. 7 Cilt. Dersaadet: Matbaa-i Âmire, 1858.

Avcı, Yasemin. Değişim Sürecinde Bir Osmanlı Kenti: Kudüs (1890-1914). Ankara: Phoenix Yayınları, 2004.

Barkan, Ö. Lütfi. «H. 933-934 Mâli Yılına Ait Bir Bütçe Örneği». İstanbul Üniversitesi İktisat Fakültesi Mecmuası 15/1-4 (1954), 251-329.

Çakmak, Abdullah. Osmanlı Kudüs'ünde Devlet ve Toplum (1798-1841). Afyon Kocatepe Üniversitesi, 2019.

Darendeli İzzet Hasan Efendi. Ziyânâme Sadrazam Yusuf Ziya Paşa'nın Napolyon'a Karşı Mısır Seferi (1798-1802). Prep. M. İlkin Erkutun. İstanbul: Kitabevi Yayınları, 2009.

Dolu, Alaattin. Osmanlı Kudüsü'nde Toplum ve Siyaset (1703-1789). Hacettepe Üniversitesi, 2017.

el-Aselî, Kamil C. «Kudüs (Osmanlı Dönemi ve Sonrası)». Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 26: 334-338, Ankara: TDV Yayınları, 2002.

Eren, Halit. (Ed.), Mühimme Defterlerinde (1545-1594) Kudüs I. İstanbul: IRCICA, 2016.

Hadîdî. Hadîdî Tarihi (Manzum Osmanlı Tarihi) (1285-1523). Nşr. Necdet Öztürk. İstanbul: Bilge Kültür Sanat Yayınları, 2015.

Hoca Sadeddin, Tâcü't-tevârîh. 2 Cilt. Dersaadet: Matbaa-i Amire.

Menna, Adel. «Eigtheenth and Nineteenth Century Rebellions in Palestine». Journal of Palestine Studies 24/1 (1994), 51-66.

Râşid Mehmed Efendi & Çelebizâde İsmaîl Âsım Efendi. Târih-i Râşid ve Zeyli. Prep. Abdülkadir Özcan & Oth. 2

Cilt. İstanbul: Klasik Yayınları, 2013.

Raymond, Andre. Osmanlı Döneminde Arap Kentleri / Ali Berktay. İstanbul: Alfa Tarih, 2018.

Rosen, Minna. «The Naqib el-Ashraf Rebellion in Jerusalem and Its Repercussions on the City's Dhimmis». Asian and African Studies: Journal of the Israel Oriental Society 18 (1985) Haifa: The Institute of Middle Eastern Studies University, 249-270.

Singer, Amy. Kadılar, Kullar, Kudüslü Köylüler / Sema Bulutsuz. İstanbul: Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, 2008.

Singer, Amy. Osmanlı'da Hayırseverlik, Kudüs'te Bir Haseki Sultan İmareti / Dilek Şendil. İstanbul: Tarih Vakfı Yurt Yayınları, 2002.

Solakzâde Mehmed Hemdemi. Solakzâde Tarihi. Dersaadet: Mahmud Bey Matbaası, 1297.

Spyrdion, S. N. «Annals of Palestine, 1821-1841», Journal of the Palestine Oriental Society 18, (1938): 63-97.

Şair Nedim Efendi. Müneccimbaşı Tarihi Tercümesi. 3 Cilt (Dersaadet: Matbaa-i Âmire, 1285).

Tekindağ, M. C. Şehabettin. «Yeni Kaynak ve Vesikaların Işığı Altında Bonaparte'ın Akkâ Muhâsarası», Tarih Dergisi 15/ 20 (1965): 1-20.

Tütüncü, Mehmet. «Kudüs ve Sultan I. Süleyman», Düşünce ve Tarih Dergisi (Ağustos 2016): 40-49.

Uzunçarşılı, İsmail Hakkı. Osmanlı Tarihi. 2 Cilt. Ankara: TTK Basımevi, 1983.

Ze'evi, Dror. Kudüs 17. Yüzyılda Bir Osmanlı Sancağında Toplum ve Ekonomi / Serpil Çağlayan. İstanbul: Tarih Vakfı Yurt Yayınları, 2000.

احتلال فلسطين: من وعد بلفور إلى قيام إسرائيل

جان دفَجي*

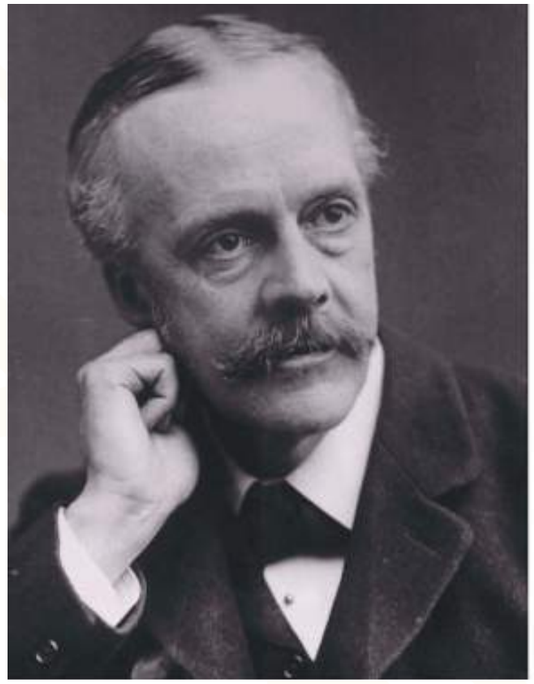

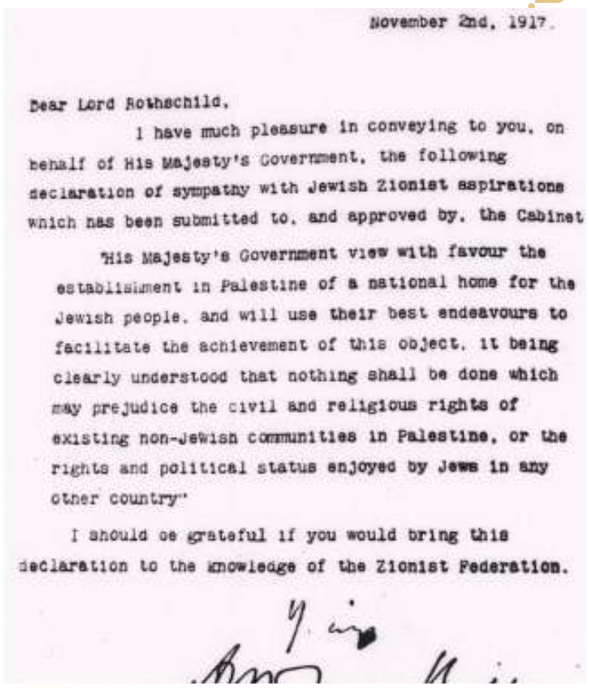

November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet.

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

مقدمة

شكَّلت الأشهر الأخيرة من عام ١٩١٧ مرحلةً مهمةً لفلسطين في الحرب العالمية الأولى، فمنذ ذلك التاريخ انتهى الحكم العثماني القائم على أساس العدل في أراضي فلسطين ولا سيما القدس، وبدأت عملية الاحتلال في ظل الانتداب البريطاني. وعملت بريطانيا مع المنظمة الصهيونية العالمية من أجل مصالحها الاستراتيجية في فلسطين.[١] وبعد وفاة تيودور هرتزل عام ١٩٠٤ تولى حاييم وايزمان عضو الهيئة التدريسية في كلية الكيمياء بجامعة مانشستر قيادةَ الحركة الصهيونية عام ١٩٠٥، ونقلَ مركز الحركة إلى بريطانيا. وكان وايزمان كيميائيًّا طوَّر الأسيتون المستعمَل في صناعة المتفجرات، واستطاع أن يلبي حاجة بريطانيا للمتفجرات التي استعملتها أثناء الحرب العالمية الأولى، وبذلك حسَّن علاقاته مع المسؤولين البريطانيين الذين يعملون في مجلس اللوردات، فكان من أصدقائه: ديفيد لويد جورج، والسير مارك سايكس، وآرثر جيمس، وبلفور، وهربرت صموئيل.[٢]

وكان إعلان الحرب العالمية الأولى فرصةً للصهاينة بقيادة وايزمان لتحقيق بند «الحصول على تأييد دولة عظمى» الذي عُدَّ مبدأً من مبادئ المؤتمر الصهيوني في بازل عام ١٨٩٦، إذ حصلوا على تأييد بريطانيا.

* الدكتور جان دَفجي عضو في الهيئة التدريسية في قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة أرجيّس. cdeveci@erciyes.edu.tr

[١] للاطلاع على أنشطة المنظمة الصهيونية العالمية في بريطانيا منذ عام ١٩٠٥، انظر:
Barnet Litvinoff, The Letter and Papers of Chaim Weizmann (Jerusalem: Transaction Books, 1983).

[2] Andrew Mango-Robert Mcnamara, T.G. Frasaer, Modern Ortadoğu'nun Kuruluşu (İstanbul: Remzi Kitabevi, 2011), 95. David Fromkin, Barışa Son Veren Barış / Mehmet Harmancı (İstanbul: Epilson Yayınları, 2004), 248. Ilan Greilsammer, Siyonizm / Işık Ergüden (Ankara: Dost Yayınları, 2007), 51.

فقد زعم الصهاينة أن تأييد بريطانيا لإقامة وطن لليهود في فلسطين سيمنع تهديد أي دولة عظمى لقناة السويس والأراضي المجاورة لها. وتتطابقت هذه الفكرة مع المصالح الاستراتيجية المتعلقة بخط الشرق الأوسط-الهند لمجلس الحرب البريطاني في حكومة ديفيد لويد جورج. وبعد لقاء وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور مع كثير من الصهاينة، أرسلَ رسالةً للورد روتشيلد أحد قادة الصهاينة تعبِّر عن تعاطف بريطانيا مع الصهاينة «لإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين».[٣] فأعلنت بريطانيا عن تأييدها لليهود عبر وعد بلفور الذي نُشِرَ في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٧، وكان ذلك نقطة تحول مهمة في عملية الانتداب البريطاني في فلسطين، لأن هذا الوعد عُدَّ وثيقة قانونية أساسية للانتداب في فلسطين. واتخذت بريطانيا خطوة أخرى إضافة إلى إعلان الوعد، ألا وهي احتلال فلسطين.

فقد طلب رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج أثناء الحرب العالمية الأولى من الجنرال إدموند هنري هاينمان اللنبي أن يحتل القدس بحلول عيد الميلاد عام ١٩١٨ ليكون ذلك هدية للشعب البريطاني والعالَم المسيحي. ورأى لويد جورج أن الحملة الصليبية الأخيرة ستنتهي باحتلال القدس. وبعد احتلال القدس التي كانت من المراكز الرئيسة التي استعملتها الدولة العثمانية لإدارة فلسطين تسارعت عملية احتلال فلسطين والمناطق المجاورة لها. واستمر الجنرال اللنبي بتحركاته العسكرية فاحتل جنوب فلسطين في ٢٣ كانون الثاني/يناير ١٩١٧، وحيفا في ٢٣ أيلول/سبتمبر ١٩١٨، ودمشق في ١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨، وبيروت في ٨ تشرين الأول/أكتوبر[٤] ١٩١٨. وبذلك استطاع إقامة إدارة عسكرية عليا باسم (إدارة أراضي العدو المحتلة) بالتعليمات التي نشرها في ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨ في البلدان التي نسميها اليوم فلسطين وسوريا ولبنان.[٥] وزال منذ ذلك التاريخ الحكم القائم على أساس العدل والأمان في البلدان المذكورة، لأن بريطانيا عملت مع المنظمة الصهيونية العالمية من أجل مصالحها الاستراتيجية في فلسطين.

شاركت بريطانيا في مؤتمر باريس للسلام في كانون الثاني/يناير ١٩١٩ وجلست في صفوف المنتصرين في الحرب. وانطلق الصهاينة إلى باريس بتأييد دولة عظمى من أجل جعل الرأي العام العالمي يقبل طلباتهم قبل الانتداب. أتم مجموعة من الصهاينة بقيادة وايزمان في ٣ شباط/فبراير ١٩١٩ بيانَ المنظمة الصهيونية بشأن فلسطين الذي سيُطرَح في مؤتمر باريس للسلام، وقدَّموه للمسؤولين المقرَّبين من الحكومة البريطانية. وقُرِئَ البيانُ أيضًا أمام اللجنة المنظمة لمؤتمر باريس للسلام بتاريخ ٢٧ شباط/فبراير ١٩١٩.[٦] طلبَ وايزمان في بيانه أمام اللجنة الاعترافَ بحق اليهود في إقامة وطن قومي في فلسطين، وإقامةَ إدارة انتداب بريطاني في فلسطين، وتنفيذَ وعد بلفور، وتأسيسَ مجلس لتمثيل اليهود الذين يعيشون في فلسطين، وتسهيلَ هجرة اليهود إلى فلسطين وفتحَ الطريق لاستطيانهم.[٧] وقد قُبِلَت أكثر هذه الطلبات في مؤتمر باريس للسلام، وأُعطيَت صبغة الرسمية في مؤتمر سان ريمو المنعقد في ١٦-٢٥ من نيسان ١٩٢٠، وبذلك دخلت فلسطين في الانتداب البريطاني. وحلت إدارة الانتداب المدنية محل الإدارة العسكرية البريطانية التي كانت قائمة في فلسطين منذ احتلالها عام ١٩١٧. ومع بداية الحكم البريطاني بدأت عملية التغيير السكاني في فلسطين بالقرارات التي كان يصدرها كل مفوِّض سام يُعيَّن من لندن. واكتسبت الهجرات اليهودية التي كانت تُعَد غير قانونية في عهد الدولة العثمانية أساسًا قانونيًّا في حكم الانتداب البريطاني. وبذلك بدأ العرب الذين يعيشون في فلسطين بفقدان تأثيرهم في إدارة فلسطين شيئًا فشيئًا، لأن المفوَّضين والموظفين الإداريين كانوا يعملون مع المنظمة الصهيونية العالمية. ستتحدث هذه المقالة عن التطورات الحاصلة في فلسطين بين عامَي ١٩١٧ و١٩٤٨ عبر الهجرات اليهودية.

[٣] للاطلاع على المزيد من النقاشات عن وعد بلفور، انظر:
Jonathan Schneer, Balfour deklarasyonu / Ali Cevat Akkoyunlu (İstanbul: Kırmızı Kedi, 2012), 129-172.

[4] Mathew Hughes, Allenby and British Strategy in The Middleeast 1917-1919 (London: Frank Cass,1999), 20-21.

[5] FO 371/3384, 1918. Gudrun Kramer, A History of Palestine (Princeton: Princeton University Press, 2011), 155.

[٦] وقَّع على بيان المنظمة الصهيونية بشأن فلسطين بتاريخ ٣ شباط/فبراير ١٩١٩ كلٌّ من: اللورد روتشيلد باسم المنظمة الصهيونية واليهود في فلسطين، ووايزمان، وسوكولو، وإسرائيل روسوف باسم المنظمة الصهيونية في روسيا، وجوليان ماك باسم المنظمة الصهيونية في أمريكا، وستيفن وايس، وهاري فريدنولد، وجاكوب دي هاس، وماري فيلس، ولويس روبنسون، وبرنارد فليكسنر. وكان هؤلاء هم الذين يديرون المجلس الذي شكَّلته الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى في مؤتمر باريس للسلام. وكان في المجلس رؤساء حكومات أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا ووزراء خارجيتها وممثلان عن اليابان.
Mango, Mcnamara, Frasaer, Modern Ortadoğu'nun Kuruluşu, 96, 154, 156.

[7] Alan Taylor, İsrail'in doğuşu / Mesut Karaşahan (İstanbul: Pınar Yayınları, 2001),43-44.

الانتداب البريطاني والهجرات اليهودية في فلسطين

عرضَ لويد جورج على السير هربرت صموئيل الذي كان مطلعًا على أدق التفاصيل في موضوع فلسطين، أن يتولى منصب المفوض السامي المدني في فلسطين، وكان هذا العرض في فندق رويال بمدينة سان ريمو في ٢٤ نيسان/أبريل ١٩٢٠. [٨] ولم يكن تعيين السير هربرت صموئيل أولَ حاكم مدني على فلسطين محضَ مصادفة، فقد كان صموئيل من أسرة يهودية عاشت لسنوات طويلة في بريطانيا، وكان على صلة وثيقة بحاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية الذي تعرَّف إليه في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٤. وعملَ في اللجنة التي شكَّلها الصهاينة من أجل كتابة وعد بلفور عام ١٩١٧. وكان من أعضاء الوفد الصهيوني في مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٩ وقدَّم لهم المشورة. وكانت الوثيقة المُسمَّاة «بيان المنظمة الصهيونية بشأن فلسطين» قد أعدَّتها مجموعةٌ صغيرةٌ برئاسة السير هربرت صموئيل في ٣ شباط/فبراير ١٩١٩ بعد سلسلة من الاجتماعات، وكانت هذه المجموعة مكوَّنة من السير ألفرد موند وحاييم وايزمان وناعوم سوكولو الذين كانوا يتولون مهامًا في حكومة لويد جورج. [٩] فلعبت هذه الخلفية التاريخية دورًا مهمًا في تعيين صموئيل مفوضًا ساميًا.

وبعد قبول هربرت صموئيل الوظيفة أعلمَ وزيرُ الخارجية اللورد كورزون الجنرالَ اللنبي الذي كان في مكتب بريطانيا بمصر ببدء الحكم المدني في فلسطين من تاريخ ١ تموز/يوليو ١٩٢٠. وطلب كورزون من اللنبي أن يسلِّم هربرت صموئيل جميل الوثائق والمراسلات في أرشيفهم المتعلقة بالصهيونية و«الوطن القومي لليهود». [١٠] وأراد صموئيل والمفوَّضون السامون الذين جاؤوا من بعده أن يحكموا فلسطين باسم ملك بريطانيا وحكومته الموقَّرة. وسعى المفوَّضون السامون لإنشاء كتلة بمشاركة سياسية من زعماء العرب واليهود والمسيحيين، لكن العرب واليهود رفضوا التعاون. وكان من بين الأسباب الأساسية للنزاع تجاهل المفوَّضين العربَ في موضوع حكم فلسطين، وتنظيم الأنشطة الصهيونية في فلسطين، والهجرات اليهودية المتزايدة يومًا بعد يوم.

تسارعت هجرة اليهود إلى فلسطين أثناء الانتداب البريطاني. وكان السبب الأساسي في تسريع الصهاينة هجراتهم إعلانهم للرأي العام العالمي أن فلسطين وطنٍ قومي لليهود. وقد وُضِعَ حجر الأساس للمنظمة التي تنظِّم الهجرة إلى فلسطين في إطار وثيقة الانتداب التي أعلنتها عصبة الأمم بشأن فلسطين في ٢٤ تموز/يوليو ١٩٢٢. وكان في مقدمة التعهدات التي قدمتها بريطانيا لعصبة الأمم تحسين هجرات اليهود إلى فلسطين وأعدادهم ومنظماتهم واقتصادهم. وكانت المنظمة التي ستقدِّم لبريطانيا المشورة لتنفيذ تعهداتها هي الوكالة اليهودية التي تنفذ أنشطة المنظمة اليهودية في فلسطين. فكان عمل الوكالة اليهودية تقديم المشورة للمفوضين الساميين، بوصفها الممثل الوحيد للصهاينة في فلسطين. فالوكالة مثلًا كانت صاحبة القرار في هجرة اليهود من دولة أخرى إلى فلسطين. وبذلك صارت للهجرات اليهودية إلى فلسطين[١٠] أساسٌ قانونيٌّ في إدارة الانتداب البريطاني.

كانت الهجرات اليهودية قبل الحرب العالمية الأولى تُعد غير قانونية من غير إذن الدولة العثمانية. وكان عدد اليهود في فلسطين نحوًا من ١٢,٠٠٠ عام ١٨٤٥، ووصل إلى ٥٨,٠٠٠ عام ١٩١٤. [١١] وأعلن السير هربرت صموئيل بعد تعيينه مفوضًا ساميًا في فلسطين بتاريخ ١ تموز/يوليو ١٩٢٠ عن قرار لإنشاء (قسم الهجرة إلى فلسطين) بتاريخ ٢٦ آب/أغسطس ١٩٢٠ وذلك لمراقبة الهجرات اليهودية إلى فلسطين. وبدأ قسم الهجرة عمله في فلسطين من تاريخ ١ أيلول/سبتمبر ١٩٢٠، ودخلت التنظيمات القانونية المتعلقة بالهجرات اليهودية حيز التنفيذ عبر هذا القسم. وقد جعل صموئيل لقسم الهجرة إلى فلسطين مهامًا هي: مراقبة الهجرات إلى فلسطين وتنظيمها، ومنح إذن السكن والمغادرة للمسافرين القادمين إلى فلسطين،

[8] Herbert Samuel, Memoirs (London: Cresset Press, 1945), 9, 150. Tom Segev, One Palestine Complete Jews and Arabs under The British Mandate (London: Abacus, 2000), 149.

[9] Litvinoff ,The Letter and Papers of Chaim Weizmann, 146-150. Yehuda Reinharz, Chaim Weizmann the Making of a Statesman (London: Brandies University Press, 2001), 106.

للاطلاع على النسخة الأصلية لبيان المنظمة الصهيونية بشأن فلسطين، انظر:

FO 608/99/5 Document Nr: 16, Foreign Office Minutes, With Added Notes on Proposals to be Presented by Zionist Organisation, 3 February 1919.

[10] FO/371/5205/ E. 7101/1136/Earl Curzon to Sir Herbert Samuel (Jerusalem), 19 Haziran 1920; FO/141/742/ E. 7436/476/44, Earl Curzon, Foreign Office, to General Allenby, 22 Temmuz 1920.

[١١] للاطلاع على التعهدات التي قدمتها بريطانيا لعصبة الأمم، انظر:

Cmd. 1785 League Of Nations, Mandate For Palestine (London : His Majesty Staionary Office, 1922), 3.

للاطلاع على تصريحات وايزمان حول موضوع تقديم الوكالة اليهودية المشورة للإدارة المدنية البريطانية في فلسطين، انظر:

Litvinoff, The Letter and Papers of Chaim Weizmann, 360.

طلب هربرت صموئيل من وايزمان تأسيس الوكالة اليهودية في إطار المادة الرابعة من عصبة الأمم، انظر:

Government of Palestine Report, Report on Palestine Administration 1922 (London: His Majesty's Stationery Office Hmso, 1922), 11-12.

[12] Can Deveci, "Filistin'in Kaderini Değiştiren Göçler: Aliyah", Derin Tarih 10 (Kasım 2017), 35-43. J.C.Hurewitz, The Struggle For Palestine (Newyork: Norton Company, 1950), 27-28.

ومنح وثيقة الجنسية المؤقتة للمستوطنين في فلسطين، وإجراء التنظيمات القانونية المتعلقة بكل ذلك. [١٣] وبذلك بدأ قسم الهجرة إلى فلسطين بتطبيق التنظيمات القانونية التي تنظِّم الهجرات الفردية أو الجماعية إلى فلسطين بين عامَي ١٩٢٠ و١٩٢٥، فاكتسبت الهجرات التي كانت غير القانونية في عهد الدولة العثمانية صبغةَ الشرعية أثناء الانتداب البريطاني عبر هذه التنظيمات.

وقد عُيِّن موظفون من البريطانيين واليهود في إدارة هذا القسم الذي ينظِّم الهجرات باسم المفوَّض السامي. فشغل العقيد موريس مثلًا منصب مدير القسم ونفَّذ تعليمات هربرت صموئيل. وكانت أكثر الهجرات إلى فلسطين تنظَّم من ميناء يافا، لذلك عُيِّن (ن. آي. ميندل) مديرًا للميناء. أما القدس فكانت مركزًا لمتابعة شؤون المهاجرين وتسجيل قيودهم الأساسية. وتولى دينيس كوهين مسؤولية مكتب الهجرة هناك. وعُيِّن ألبرت مونتيفيوري هيامسون نائبًا لمدير قسم الهجرة. [١٤] وكان العامل الأساسي لتعيين صموئيل لهؤلاء الذين ذُكِرَت أسماؤهم أنهم كانوا أعضاء في المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية. وبذلك صار الصهاينة قادرين على تغيير البنية السكانية في فلسطين بصورة مباشرة. [١٥] إن عدم وجود أي فلسطيني (مسلم أو مسيحي أو درزي) في هذه التعيينات يبيِّن بوضوح نية البريطانيين في موضوع الهجرات اليهودية. وصارت الوكالة اليهودية مؤثرة في إدارة الانتداب البريطاني بصورة كاملة، ولم تتغير فكرة التعاون مع الوكالة اليهودية وإنْ تبدَّل الأشخاص في المناصب.

بدأ تغيُّر التوازن السكاني في فلسطين نتيجة الهجرات اليهودية بعد التنظيمات القانونية. فخلال الحرب العالمية الأولى تناقص عدد اليهود حتى وصل نحو من ٥٥,٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠ من مجموع عدد سكان فلسطين الذي بلغ ٥٩٠,٠٠٠ عام ١٩١٩. أما في عهد هربرت صموئيل فقد ارتفع عدد اليهود نتيجة الهجرات اليهودية حتى وصل إلى ١٢١٫٧٢٥ من مجموع عدد السكان الذي بلغ ٨٤٧٫٣٢٨ عام ١٩٢٥. [١٦] ويمكن أن نقول بتعبير آخر إن عدد اليهود زاد خلال ٣٨ سنة أي بين عامَي ١٨٨٢-١٩٢٠ حتى وصلَ إلى ٦٦٫٥٧٤، ولكن هذا العدد تضاعف خلال عهد صموئيل الذي امتد لخمس سنوات، حتى وصلَ إلى ١٢١٫٧٢٥. وتبيِّن هذه الأرقام الدعم الذي قدمته إدارة الانتداب البريطاني في سنواتها الأولى لإقامة (الوطن القومي لليهود) في فلسطين.

العام	المجموع	المسلمون	اليهود	المسيحيون	آخرون
١٩٢٠	٦٧٣,١٩٣	٥٢١,٤٠٣	٦٦,٥٧٤	٧٧,٨٠١	٧,٤١٥
١٩٢١	٧٦١,٧٩٦	٥٨٥,٢٧١	٨١,٢٦٣	٨٨,٠٤٩	٧,٢١٣
١٩٢٢	٧٥٧,١٨٢	٥٩٠,٨٩٠	٨٣,٧٩٤	٧٣,٠٢٤	٩,٤٧٤
١٩٢٣	٧٧٨,٩٨٩	٦٠٩,٣٣١	٨٩,٦٦٠	٧٢,٠٩٠	٧,٩٠٨
١٩٢٤	٨٠٤,٩٦٢	٦٢٧,٦٦٠	٩٤,٩٤٥	٧٤,٠٩٤	٨,٢٦٣
١٩٢٥	٨٤٧,٢٣٨	٦٤١,٤٩٤	١٢١,٧٢٥	٧٥,٥١٢	٨,٥٠٧

توزع عدد السكان في فلسطين بين عامي ١٩٢٠-١٩٢٥[١٧]

عُيِّن اللورد هربرت تشارلس أونسلو بلامبر مفوضًا ساميًا في ٢١ أيار/مايو ١٩٢٥ بعد انتهاء مدة مهمة هربرت صموئيل. وضع اللورد بلامبر خطة للهجرات اليهودية بين عامَي ١٩٢٥-١٩٢٨ وفقًا لقدرة اقتصاد فلسطين على الاستيعاب. [١٨] فقد هاجر في عهد بلامبر ٥١٫٧٧٣ يهوديًّا إلى فلسطين من حزيران/يونيو ١٩٢٥ حتى تموز/يوليو ١٩٢٨.

[13] CMD. 1499, Interim Report on the Civil Administration of Palestine during the year ended 30th June 1921 (London: His Majesty Staionary Office, 1921), 6. Sahar Huneidi, A Broken Trust Herbert Samuel, Zionism and the Palestinians 1920-1925 (London: I.B.Tauris Publishers,2001), 192.

[14] Nick Reynold, Britain's Unfulfilled Mandate for Palestine (London: Lexington Books, 2014), 159.

[١٥] كان ألبرت هيامسون ودينيس كوهين عاملَين نشطَين في مقر المنظمة الصهيونية العالمية في بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى. وكان هيامسون مستشارًا لحاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية منذ عام ١٩١٧. انظر:

Albert M. Hyamson, Palestine Under The Mandate 1920-1948, (London: Methuen, 1920), 51.

[١٦] ثمة تقارير مفصَّلة عن الدول التي سمحَ قسم الهجرة لليهود فيها أن يهاجروا إلى فلسطين.

Government of Palestine Report, Report on Palestine Administration 1925 (London: His Majesty's Stationery Office Hmso, 1925), 58. M. Mossek, Palestine İmmigration Policy under Sir Herbert Samuel British Zionist and Arab attitudes, (London: Frank Cass, 1978), 96-97.

[١٧] وضع الكاتب هذَين الجدولَين بعد البحث في التقارير. تتضمن هذه الأرقام أعداد المواليد اليهود في فلسطين.

Government of Palestine Report, 1925, 58.

[18] The Government of Palestine, Official Gazette, (Jerusalem: 21 May 1925).

وبلغ عدد اليهود مع المواليد ١٥١٫٦٥٦ بحلول عام ١٩٢٨، وبلغ مجموع عدد سكان فلسطين ٩٣٥٫٩٥١. وظلت المساعي لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين بعد عهد اللورد بلامبر، أي في عهد المفوض السامي السير جون شانسيلور (١٩٢٨-١٩٣١) ثم السير آرثر وتشوب (١٩٣١-١٩٣٧) ثم السير هارولد ماك ميشيل (١٩٣٧-١٩٤٤) ثم السير آلان كونينغهام (١٩٤٥-١٩٤٨). وزاد عدد سكان اليهود يومًا بعد يوم أثناء حكم البريطانيين لفلسطين بين عامَي ١٩٢٢-١٩٤٧. وكان وصول الحزب النازي إلى الحكم في ألمانيا عام ١٩٣٣ قبل الحرب العالمية الثانية سببًا لزيادة هجرة اليهود بين عامَي ١٩٣٣-١٩٣٦ حين ظهرت فكرة معاداة السامية. وتضاعف عدد المستوطنين في فلسطين لأن الهجرات آنذاك كانت أكبر الهجرات. فقد هاجر ٢١٣٫٦٢٩ يهوديًّا إلى فلسطين بين عامي ١٩٣٢-١٩٣٩ وفقًا لإحصاءات الانتداب البريطاني وسجلات الوكالة اليهودية. وفي القدس مثلًا كان عدد اليهود ٥٣٫٨٠٠ عام ١٩٣١، ووصل هذا العدد إلى ٨٢,٠٠٠ عام ١٩٣٩. أما في تل أبيب التي كانت مركزًا لاستيطان اليهود فقد كان عدد اليهود ٤٦,٣٠٠ عام ١٩٣١، وبلغ عددهم ١٧٧,٠٠٠ عام ١٩٣٩.

العام	العرب	%	اليهود	%	آخرون	%	مجموع عدد السكان
١٩٢٢	٦٤٠,٧٩٨	٧٨	٩٤,٧٥٢	١٢	٨٤,٧٠٩	١٠	٨٢٠,٢٥٩
١٩٣١	٨٦٤,٨٠٦	٨٢	١٧٤,١٣٩	١٩	١٨,٢٦٩	٢	١,٠٥٧,٦٠١
١٩٣٣	٩٠٩,٦٨٧	٧٨	٢٣٣,٩١٢	٢٠	٢٠,٠١٧	٢	١,١٦٣,٦١٦
١٩٣٦	٩٨٣,٢٤٤	٧١	٣٨٢,٨٥٧	٢٨	٢٢,٧٥١	٢	١,٣٨٨,٨٥٢
١٩٣٩	١,٠٦٠,٥٩٣	٦٩	٤٥٥,٣٢٩	٣٠	٢٤,٨٠٥	٢	١,٥٤٠,٧٢٧
١٩٤١	١,١٢٣,١٦٨	٦٨	٤٨٩,٨٣٠	٣٠	٢٦,٧٥٨	٢	١,٦٨٩,٧٥٦
١٩٤٦	١,٣١٠,٨٦٦	٦٧	٥٩٩,٩٢٢	٣١	٣١,٥٦٢	٢	١,٩٤٢,٣٥٠

توزع عدد السكان في فلسطين بين عامي ١٩٢٢-١٩٤٦

ويظهر في الجدول أن عدد اليهود الذي كان ١٧٤٫١٣٩ عام ١٩٣١ قد تضاعف بنسبة ٩ ٪ خلال عامَي ١٩٣٣-١٩٣٦ ليصل إلى ٣٨٢٫٨٥٧. وزاد عدد السكان العرب في المدة نفسها بنحو من ١٢٠,٠٠٠. ونستطيع أن نقارن عدد السكان اليهود في عام ١٩٢٢ وعام ١٩٣٦ كي يسهل علينا تحديد زيادة عدد اليهود في فلسطين أثناء الانتداب البريطاني. ففي عام ١٩٢٢ كان عدد اليهود ٩٤٫٧٥٢ أي ١٢٪ تقريبًا من مجموع عدد السكان. أما في عام ١٩٣٦ فقد صار عدد اليهود ٣٨٢٫٨٥٧ أي ٢٨٪ من مجموع عدد السكان. ومع مرور السنوات صار من العسير على المسؤولين البريطانيين أن يسيطروا على اليهود الذين باتوا ينتشرون بلا ضابط في أرجاء فلسطين، وبدأت تتضح ردود الفلسطينيين العرب الذين أرادوا حماية أراضيهم.

ردود الفلسطينيين العرب على بريطانيا والصهاينة

كانت من أهم أسباب ردود الفلسطينيين العرب من المسلمين والمسيحيين على بريطانيا- إضافة إلى أسباب أخرى- هو احتلال بريطانيا لأراضيهم وتغيير المنظمة الصهيونية العالمية للتوزع السكاني في فلسطين عن طريق الوكالة اليهودية، فكانت هذه الردود قائمةً أساسًا على هذَين السببَين حتى عام ١٩٤٨.

[١١] إن السبب الأساسي في انخفاض عدد اليهود المهاجرين بين عامَي ١٩٢٥-١٩٢٨ هو العامل الاقتصادي. ولهذا بدأت الهجرة من فلسطين إلى بلدان مختلفة في تلك المرحلة. فقد هاجر ١٦٫١٥٠ يهودي في المرحلة المذكورة.

Colonial Office, Council of The League of Nations On The Administration of Palestine and Transjordan 1928, (London: His Majesty's Stationery Office Hmso, 1929), 91.

[20] Anthony Best, Jussi M. Hanhimaki & Oth., 20. Yüzyılın Uluslararası Tarihi / Taciser Ulaş Belge, (Ankara:Siyasal Kitabevi, 2012), 130.

[21] Hurewitz, The Struggle For Palestine, 24,25,27,29. Ayşe Ömür Atmaca, Berna Süer, Arap İsrail Uyuşmazlığı,(Ankara: ODTÜ Yayınları, Ankara, 2010), 24-25.

[٢٢] للاطلاع على إحصائيات بصورة مفصلة، انظر:

Justin McCarty, The Population of Palestine Population History and Statistics of the Late Ottoman Period and Mandate, (Newyork: Columbia Unıversty Press, 1990), 171, 228.

[23] McCarty, The Population of Palestine,223, 231.

[٢٤] للاطلاع على الجدول بتفصيل أكثر، انظر:

McCarty, The Population of Palestine ,35, 36,37.

وكانت طلبات الفلسطينيين العرب من الرأي العام العالمي وبريطانيا هي: إلغاءُ وعد وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور للصهاينة المُعلَن بتاريخ ٣ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٧ والذي يتضمن سعي الحكومة الملكية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ووقفُ هجرات اليهود بإدعاء الصهاينة في الحكومة البريطانية وجود حقوق لهم في الأراضي التي يعيش فيها الفلسطينيون العرب، وإلغاءُ توظيف اليهود في مكاتب الإدارة المدنية البريطانية، ومنعُ الوكالة اليهودية من شراء الأراضي الزراعية الخصبة في فلسطين عبر صندوق النقد القومي اليهودي.[٢٥]

وقد عبَّر الفلسطينيون العرب عن ردود أفعالهم انطلاقًا من مثل هذه الأسباب والطلبات، وتجسد ذلك بدايةً مع أحداث احتفالات النبي موسى بتاريخ ٤-٦ نيسان/أبريل ١٩٢٠، وأحداث يافا ١-٧ أيار/مايو ١٩٢١، وأحداث حائط المبكى (البراق) عام ١٩٢٩، وإضراب العرب عام ١٩٣٣ الذي خلا من أي أعمال عنف، وردود أفعال أخرى تحولت من حين لآخر إلى مواجهة بين المجتمعَين. وكانت بريطانيا تدير الأمور عبر لجان تشكِّلها بعد كل حادثة من أجل تهدئة العرب الذين معهم الحق، ومنع زيادة نفقاتها المالية في المنطقة. وكانت تقارير اللجان تجد العرب على حق، إلا أن المفوَّضين الساميين ما كانوا يحكمون فلسطين بناءً على هذه التقارير، وهذا ما كان يزيد من التوتر في المنطقة يومًا تلو آخر.[٢٦] وقد فصلت المواجهات الكبرى بين عامَي ١٩٣٦-١٩٣٩ المجتمعَين بصورة لا يمكن الجمع بينهما لاحقًا. فقد شكَّلت المواجهات التي بدأت بين المجتمعَين بتاريخ ١٥ نيسان/أبريل ١٩٣٦ مرحلةً جديدةً في فلسطين، إذ كانت حادثة قتل المنظمة الصهيونية الإرهابية الهاجاناه لفلاحَين فلسطينيَّين سببًا لتفاقم الوضع وخروج الأمور عن السيطرة. واستمر ذلك ببدء الفلسطينيين مقاطعة تجارية في كثير من المراكز بتاريخ ١٨ نيسان/أبريل ١٩٣٦، وكانت مقاطعةً أضرَّت ماديًّا بهم أيضًا.[٢٧] وكانت نتيجةُ تشبث الفلسطينيين العرب بأرضهم تأسيسَ زعماء العرب للجنة العربية العليا بتاريخ ٢٥ نيسان/أبريل ١٩٣٦. وكانت المرة الأولى التي اجتمعت فيها عناصر مختلفة (المسيحيون والمسلمون والنشاشيبيون والحسينيون وجماعة الاستقلال) تحت سقف واحد في ظل الانتداب البريطاني، وبذلك اجتمع العرب تحت قيادة واحدة لأول مرة في حكم الانتداب. وأعلنت اللجنة العليا أن الإضراب سينتهي مع حد الهجرة اليهودية، ووقف بيع الأراضي، وإقامة إدارة تمثِّل الفلسطينيين العرب. واستمرت الأحداث بدوام الهجمات من اليهود والعرب طوال صيف عام ١٩٣٦. وعندما اتخذت بريطانيا إجراءات صارمة لوقف الهجمات، كان قد مات ١٠٠٠ من العرب و٨٠ من اليهود.[٢٨] ولحقت أضرار كبيرة بالاقتصاد والمجتمع العربي في فلسطين بعد نهاية الإضراب. وكانت تفرقة البريطانيين للقيادة الفلسطينية التي كان من الممكن أن تتطور على يد الفلسطينيين العرب سببًا لحدوث فراغ في السلطة استمر تأثيره طويلًا حتى صار جمع القيادة أمرًا محالًا. وكانت عملية ملء هذا الفراغ من نصيب قادة الدول العربية الناشئة، وصارت القضية الفلسطينية لهم وسيلةً لشرعيَّة سياساتهم الداخلية.

مرحلة تقسيم فلسطين وقيام إسرائيل

انتهى الإضراب بتعليمات من اللجنة العربية العليا بعد بيان بريطانيا إرسالها للجنة بيل إلى المنطقة. وكانت بريطانيا ترسل دائمًا اللجان من أجل التحقيق في المواجهات في فلسطين بدءًا من عام ١٩٢٩. وقد أوصت اللجان المبعوثة الحكومةَ في لندن بالنظر في طلبات المجتمع العربي الفلسطيني والحد من الهجرة اليهودية. غير أن القرارات المستندة إلى توصيات اللجان كان يمنع تطبيقَها مساعي رئيس المنظمة الصهيونية وايزمان أو جماعات الضغط الصهيونية في مجلس اللوردات.[٢٩]

انطلقت لجنة بيل إلى فلسطين وَزارَتْ مناطق كثيرة فيها من أجل التحقيق بين تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦ وكانون الثاني/يناير ١٩٣٧. وعرضت اللجنة تقريرها لمجلس اللوردات في شهر تموز/يوليو من عام ١٩٣٧.

[25] J Mctague, "The British Military Administration in Palestine 1917-1920", Journal of Palestine Studies, 7(3) (1978): 67.Tom Segev, One Palestine Complete Jews, 127. Can Deveci, "Yafa Olayları", TYB Akademi, 7/21 (2017): 148.

للاطلاع على اليهود العاملين في مكاتب الحكومة في فلسطين، انظر:

CMD. 1499, Interim Report on the Civil Administration of Palestine during the year ended 30th June 1921, (London: His Majesty Staionary Office, 1921), 25.

للاطلاع على كمية الأراضي التي اشتراها اليهود بين عامَي ١٩٢٠-١٩٤٥، انظر:

Roza I.M. El-Eini, Mandated Landscape: Brıtısh Imperıal Rule In Palestıne 1929–1948, (London: Routledge&Taylor, 2006), 471.

[26] CMD. 1499, Interim Report on the Civil Administration of Palestine, 7. Reports of the Military Administrati, Occupied Enemy Territory Administration South 1919, (Cairo: Goverment Press, 1920).

[٢٧] كان للتمرد العربي جانبان: أحدهما في مواجهة البريطانيين والآخر في مواجهة اليهود.

Cambridge Archive Editions, The Middle East İntelligence Handbooks Palestine and Transjordan, (Oxford: Printed By CPI Antony Rowe,1987), 126. Hurewitz, The Struggle For Palestine, 67.

أُقيمَت نقاط تفتيش لأول مرة في فلسطين.

El-Elini, Mandated Landscape, 317.

[28]Hurewitz, The Struggle For Palestine, 67-68.

استمرت الأحداث التي بدأت أثناء مهمة الجنرال البريطاني السير آرثر واتشوب حتى عام ١٩٣٩ مع وجود فترات قصيرة خلت من أحداث.

Cambridge Archive Editions, The Middle East İntelligence Handbooks, 127, 128.

[٢٩] للاطلاع على تقارير لجنة شو (أيلول/سبتمبر ١٩٢٩)، ولجنة هوب سيمبسون، ولجنة الوثيقة البيضاء باسفيلد (١٩٣٠)، انظر:

Mahdi Abdul Hadi (Ed.), Documents on Palestine until 1947 (Jerusalem: PASSIA, 2007) Volume 1: 155-158, 160-258.

وادَّعى التقرير استحالة بقاء نظام الانتداب، وأوصى بتقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق، بحيث يكون قسم لدولة عربية وقسم لدولة يهودية وتكون القدس تحت حكم بريطانيا ومراقبتها. لكن الصهاينة رفضوا التقرير تحت ذريعة أن القسم المخصص لهم غير كاف، وعارض العرب تقسيم فلسطين وبدؤوا من جديد التعبير عن ردودهم عام ١٩٣٧. وواجهوا اليهود والبريطانيين حتى شهر آذار/مارس من عام ١٩٣٩. وكانت حصيلة هذه المواجهات مقتل ٣٠٠٠ من العرب و٢٠٠٠ من اليهود وكثير من البريطانيين.[٣٠]

بدأت بريطانيا تتساءل عن مدى جدوى وجودها في فلسطين بعد الثورة عليها، غير أن اقتراب الحرب العالمية الثانية وسياسات إيطاليا وألمانيا التوسعية ذكَّرت القادة البريطانيين بأهمية الشرق الأوسط، ذلك أنه كان عليهم ألا يتجاهلوا مدى حرص الدول العربية الناشئة على القضية الفلسطينية، لأن هذه الدول كانت ستطلب التعاون مع بريطانيا في موضوع حقول النفط في الحرب الوشيكة. ومن أجل تطبيق هذه الاستراتيجية قرر رئيس الوزراء نيفيل تشامبرلين ووزير الخارجية البريطاني أنطوني إيدن في اجتماع الوزراء المنعقد بتاريخ ٢٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٧ أن يرسلوا لجنة إلى فلسطين بقيادة جون وودهيد. وكانت مهمة اللجنة البحث في تنفيذ خطة تقسيم فلسطين أو عدم تنفيذها. وأثناء عمل اللجنة عُيِّن مالكولم ماكدونالد وزيرًا لوزارة المستعمرات البريطانية، فافتتح ماكدونالد مؤتمرَ لندن في قصر سانت جيمس بتاريخ ٧ شباط/فبراير ١٩٣٩ من غير أن ينتظر قرارات اللجنة. وشارك في هذا المؤتمر مع الفلسطينيين العرب ممثلون من مصر والعراق والسعودية واليمن والأردن. أما المنظمة الصهيونية العالمية فقد مثَّلتها هيئة من ٤٢ شخصًا بقيادة حاييم وايزمان.[٣١] إلا أن إصرار العرب واليهود على طلباتهم أثناء المؤتمر جعل من العسير إيجاد حل للتفاهم. ووجدت بريطانيا حلًّا لمشكلة فلسطين في إطار استراتيجيَّاتها الخاصة وبتأثير الحرب الوشيكة في أوروبا. فبعد انتهاء المؤتمر بتاريخ ١٥ آذار/مارس ١٩٣٩ أعد ماكدونالد وثيقة سُمِّيَت «الكتاب الأبيض ١٩٣٩»، وأُعلِنَ عنها بتاريخ ١٧ أيار/مايو ١٩٣٩. وتضمنت هذه الوثيقة استقلال فلسطين بمراقبة بريطانية خلال ١٠ سنوات، والإذن باستيطان ٧٥٠٠٠ يهودي في فلسطين خلال خمس سنوات، ثم الإذن لليهود بالاستيطان بعد هذا التاريخ على شرط قبول العرب ذلك. أما موضوع بيع الأراضي لليهود الذي كان يثير غضب العرب فقد قُلِّصَ ليشمل مناطق معيَّنة.[٣٢]

وكانت هذه الوثيقة المُعلَنَة علامةً على تغير سياسة بريطانية في موضوع فلسطين التي كانت قائمة منذ وعد بلفور عام ١٩١٧. وحدث اختلاف في فهم العرب والصهاينة للعبارة التالية الواردة في الوثيقة: «تعلن حكومة الملك بصورة لا لبس فيها أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية». وكانت بريطانيا تسعى لمنع القادة العرب الذين كانت تدرك أن النفط والمطارات وشبكات المواصلات موجودة في بلدانهم، من أن يميلوا إلى المحور الألماني السوفييتي. فشرعَ اليهود بالتعبير عن رد فعلهم على قرار بريطانيا هذا عبر مظاهرات مختلفة في فلسطين.[٣٣] واكتفى زعماء الصهاينة بالتنديد بالوثيقة البيضاء في مؤتمر الصهاينة المنعقد في جنيف بتاريخ ١٦ آب/أغسطس ١٩٣٩. لأن هتلر الذي احتل تشيكوسلوفاكيا في ١٥ آذار/مارس ١٩٣٩ وقَّعَ على اتفاقية بين النازيين والسوفييت بتاريخ ٢٣ آب/أغسطس ١٩٣٩ من أجل احتلال بولونيا.[٣٤] وبدأت الحرب العالمية في مركز أوروبا بتاريخ ١ أيلول/سبتمبر ١٩٣٩ واستمرت حتى عام ١٩٤٥. وكان ذلك يعني عيش اليهود في ألمانيا وبولونيا أيامًا عسيرة. وردَّ الصهاينةُ على الوثيقة البيضاء باستراتيجية واقعية أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد عبَّر عنها بن غوريون بقوله: «سنحارب إلى جانب بريطانيا وكأنه لا وجود للوثيقة البيضاء، وسنكافح الوثيقة البيضاء وكأنه لا وجود للحرب».[٣٥]

وفي إطار هذه السياسة بلغ عدد اليهود المنضمين إلى القوات البريطانية في الشرق الأوسط عام ١٩٤٣، ٢١,٠٠٠ يهودي، ولكن هؤلاء اليهود كانوا يعملون في قطاع النقل والبناء ولم يشاركوا في المواجهات حامية الوطيس.

[٣٠] للاطلاع على محاضر لجنة بيل المنشورة، انظر:

سُجِّلت ٥٫٧٠٨ حادثة في عام ١٩٣٨ وحده.

Mahdi Abdul Hadi, Documents on Palestine, 332-351.

Cambridge Archive Editions, The Middle East İntelligence,130.

[31] Fraser, Mango, Mcnamara, Modern Ortadoğu'nun, 347.

[٣٢] للاطلاع على محاضر وثيقة ماكدونالد البيضاء، انظر:

Mahdi Abdul Hadi, Documents on Palestine, 369-376. Cambridge Archive Editions, The Middle East İntelligence, 132. J.C.Hurewitz, Diplomacy in The Near and Middle East A Documentary Record 1535-1956, (Newyork:Printed by Cambridge Archive Editions, Redwood Burn Ltd, 1987), Volume 2: 218-226.

[٣٣] كان اليهود الذين يعترضون على القيود المتعلقة بشرائهم الأراضي في فلسطين يرفعون لافتات كُتِبَ عليها: «لا نستمد حقنا في هذه الأرض من الانتداب البريطاني، بل من التوراة». انظر:

Jean Christophe Attias, Esther Benbassa, Paylaşılamayan Kutsal Topraklar ve İsrail, Çev: Nihal Önal, (İstanbul: İletişim Yay, 2002), 19.

[34] Fraser, Mango, Mcnamara, Modern Ortadoğu'nun, 347.

[35] William Cleavend, Modern Ortadoğu Tarihi / Mehmet Harmancı, (İstanbul: Agora Kitaplığı, 2008), 289.

وأمام سياسة الصهاينة الواقعية هذه، أجرى بعض من الدول العربية وقسم من الفلسطينيين[٣٦] العرب لقاءات مع ألمانيا النازية والسوفييت. وقد اجتُثَّت المجتمعات اليهودية في أوروبا عبر المحرقة/الهولوكوست التي طبقها النازيون على اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية. ففي بولونيا وحدها قُتِل ٢,٨٠٠,٠٠٠ يهودي بطرق شتى. وكان ٢٥٠,٠٠٠ يهودي قد هُجِّروا ليعيشوا في معسكرات مع نهاية الحرب.[٣٧] وكانت الهولوكوست عنصرًا دافعًا لطبقة النخبة في الولايات المتحدة الأمريكية كي يسهموا في مشكلة البحث عن وطن لليهود، فبدأ كثير من اليهود الأمريكان بدعم الدولة اليهودية التي ستُقَام في فلسطين. وكان مؤتمر بيلتمور الذي أقامه الصهاينة الأمريكان عام ١٩٤٢ دليلًا على كون الولايات المتحدة الأمريكية مركزًا للصهيونية. وقد أعلن المؤتمر إطلاق بريطانيا العنان للهجرات اليهودية وإقامة دولة يهودية في فلسطين.[٣٨] ودافع الرئيس الأمريكي هاري ترومان عام ١٩٤٥ عن هذا المؤتمر ومقرراته، وكان مدركًا لتأثير جماعات الضغط الصهيونية في الحزب الديمقراطي.[٣٩] وصار هذا الدعم الأمريكي علامةً على بدء فقدان بريطانيا تأثيرها في النظام الجديد الذي يُقَام في الشرق الأوسط. وكان هذا المؤتمر الصهيوني حقيقةً إعادةَ تعريف بأحد أهم القرارات المُتخَذَة في المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧، ألا وهو الحصول على تأييد دولة عظمى لإقامة وطن قومي لليهود.

وكان عدم اهتمام بريطانيا بموضوع الهجرات اليهودية على الرغم من ضغط أمريكا وزعماء الصهاينة سببًا لزيادة التوتر بين الطرفَين. وسعى حزب العمال الصاعد حديثًا إلى سدة الحكم في بريطانيا لإيجاد حلول تقنع العرب والصهاينة والرأي العام العالمي. أما الصهاينة فكانوا ينظمون الهجرات اليهودية بصورة غير رسمية. وكان السبب في تسريع المنظمات السرية الصهيونية من أنشطتها موتُ ٢٥٧ يهودي في انفجار سفينة باتريا في ميناء حيفا بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٠، وموتُ ٧٦٩ يهودي نتيجة غرق سفينة ستروما المنطلقة من رومانيا في البحر الأسود بعد إعاقة بريطانيا لحركتها في شباط/فبراير ١٩٤٢. وكان لمنظمات الدفاع الصهيونية الإرجون والهاجاناه والستيرن هدفان: الفلسطينيون العرب والإدارة البريطانية. وبدأت هذه المنظمات بعد عام ١٩٤٤ بالهجوم على الموظفين البريطانيين في فلسطين متجاهلين «الوثيقة البيضاء». وكانت هذه المنظمات مسؤولة عن مقتل وزير الشرق الأوسط البريطاني اللورد موين عام ١٩٤٤، وتفجير مكاتب الهجرة في تل أبيب والقدس، ومقتل ٩٢ شخص في تفجير فندق الملك ديفيد الذي كان مركز الإدارة البريطانية.[٤٠]

ومع زيادة مثل هذه الحوادث أعلم وزير الخارجية البريطاني أرنست بيفين مسؤولي الأمم المتحدة في شباط/فبراير ١٩٤٧ بنهاية الانتداب البريطاني على فلسطين. وقد شكلت الأمم المتحدة اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين (UNSCOP) من ممثلين من السويد وهولندا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وأستراليا وكندا والهند وإيران وغواتيمالا والأورغواي والبيرو لإعداد تقرير بعد التحقيق في المشاكل في فلسطين.[٤١] قبلَ الفلسطينيون العرب التعاون مع هذه اللجنة من أجل المطالبة بحقوقهم المشروعة. وعقدت اللجنة لقاءات مع الصهاينة والدول العربية الأخرى لتقديم تقريرها في آب/أغسطس ١٩٤٧. واختلفت اللجنة في توصياتها، فقد دعم ممثلو الهند وإيران ويوغسلافيا خطة الأقلية وهي إقامة دولة فيدرالية يعيش فيها اليهود والعرب جنبًا إلى جنب، أما ممثلو السويد وهولندا وتشيكوسلوفاكيا وكندا وغواتيمالا والأورغواي والبيرو فقد دعموا خطة الأكثرية وهي إقامة دولة يهودية ودولة عربية وبقاء القدس في إدارة الأمم المتحدة. وتحدث التقريرُ عن اجتماع الدولتَين عبر اقتصاد متكامل وبقاء منطقة القدس-بيت لحم مركزًا سكنيًا خاصًّا تحت مراقبة دولية. وقد عُرِضَ التقرير على الأمم المتحدة في ١ أيلول/سبتمبر عام ١٩٤٧ بعد التصويت عليه من ممثلي اللجنة، وكانت نتيجة التصويت موافقة ٧ دول واعتراض ٣ وامتناع دولة عن التصويت وهي أستراليا.[٤٢]

[36] Fraser, Mango, Mcnamara, Modern Ortadoğu'nun, 352. Atmaca-Süer, Arap İsrail Uyuşmazlığı, 28. 372.

[٣٧] قُتِل ٨٠٠,٠٠٠ يهودي في بولونيا، و٨٠٠,٠٠٠ في روسيا، و٤٥٠,٠٠٠ في المجر، و٣٥٠,٠٠٠ في يوغسلافيا، و٨٠,٠٠٠ في اليونان، و٦٥,٠٠٠ في فرنسا، و١٠,٠٠٠ في إيطاليا برميهم بالرصاص أو بخنقهم بالغاز أو إعدامهم أو بطرق أخرى.

Emma C. Murphy, "Siyonizm ve Filistin Sorunu" / Fethi Aytuna, Ortadoğu Tarihi Dini Siyasi Kültürel ve Ekonomik Perspektiften, Ed. Youssef M. Choueıri, (İnkılap Yayınevi, 2011), 331, 343.

[38] ****

[٣٩] للاطلاع على الجدل داخل الصهيونية في مؤتمر بيلتمور، انظر:

للاطلاع على وثيقة الأرشيف المنشورة لمؤتمر بيلتمور، انظر:

Taylor, İsrail'in Doğuşu, 80, 81.

Mahdi Abdul Hadi, Documents on Palestine, 377, 378.

[40] Hurewitz, A Documentary Record 1535-1956, 234, 235.

قُتِل ٢٥٧ يهودي.

Fraser, Mango, Mcnamara, Modern Ortadoğu Tarihi, 353. Süer-Atmaca, Arap İsrail, 30.

عُيِّن مناحيم بيغين القادم من بولونيا رئيسًا للإرجون عام ١٩٤٣، وبقي في هذا المنصب حتى حل المنظمة عام ١٩٤٨، ولكنه حملَ طابعه العسكري إلى الحياة السياسية لإسرائيل. سُمِّيَت عصابة «ستيرن» أو «ليه» بهذا الاسم نسبةً إلى مؤسسها أفراهام ستيرن.

Murphy, "Siyonizm ve Filistin sorunu", 332. Cleavend, Modern Ortadoğu, 291, 292.

[41] Hurewitz, For Struggle Palestine, 185. Ali Balcı, "İsrail soruNr: Ortadoğu'nun Gordion Düğümü", Dünya Çatışmaları: Çatışma Bölgeleri ve Konuları Ed. Burhanettin Duran & Oth. (İstanbul: Nobel Akademik Yayıncılık, 2010), 106.

[٤٢] للاطلاع على وثيقة الأرشيف المنشورة لقرار لجنة (UNSCOP) المعروض على الأمم المتحدة، انظر:

انظر أيضًا:

Mahdi Abdul Hadi, Documents on Palestine, 469-496.

Balcı, "İsrail soruNr: Ortadoğu'nun Gordion Düğümü", 106. Birleşmiş Milletler (BM), "UNSCOP", (10 Kasım 2019).

نتيجة

وافقت الأمم المتحدة على خطة الأكثرية بالتصويت والقرار رقم ١٨١ بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٤٧، بعد تأييد ٣٣ دولة ورفض ١٣ دولة وامتناع ١١ دولة عن التصويت. وقد نصَّ القرار على إقامة دولة عربية في غزة ونابلس والخليل وبئر السبع، أما الدولة اليهودية فكانت تشمل تل أبيب ويافا وحيفا والنقب وسهل الحولة. ولم يعترف العرب والدول العربية بقرار الأمم المتحدة الذي ينص على إقامة دولة يهودية على أراضيهم. أما الصهاينة فقبلوا القرار بصورة عامة لأنه ما كان يشكِّل أي عائق أمام هجرة اليهود. ولم يُعجَب الطرفَان ببقاء القدس خارج حدودهما. أما الحكومة البريطانية فقد أعلنت عن عدم تنفيذها لقرار الأمم املتحدة واستدعت الجنرال آلان كونينغهام الذي كان آخر مفوض سام لإدارة الانتداب البريطاني في فلسطين إلى لندن بتاريخ ١٤ أيار/مايو عام ١٩٤٨. وبعد انسحاب بريطانيا من المنطقة أعلنت الوكالة اليهودية فورًا قيام دولة إسرائيل في ١٤ أيار/مايو عام ١٩٤٨. وعُيِّن حاييم وايزمان أول رئيس دولة لإسرائيل وديفيد بن غوريون رئيسًا للوزراء بعد أدائه اليمين أمام صورة تيودور هرتزل.

واستطاعت إسرائيل بعد قيامها توسعة نفوذها في فلسطين عبر الحروب التي خاضتها مع العرب في سنوات ١٩٤٨-١٩٤٩، و١٩٥٦، و١٩٦٧، و١٩٧٣، و١٩٨٢. ففي حرب عام ١٩٤٨-١٩٤٩ زادت إسرائيل من المساحة المخصصة لليهود بقرار الأمم المتحدة من ٥٦٪ إلى ٨٠٪. واستطاعت في الحرب التي بدأتها في ٥ حزيران/يونيو ١٩٦٧ أن تهزم القوات العسكرية المصرية والأردنية والسورية خلال ستة أيام، ووسعت حدودها لتصل إلى قناة السويس ونهر الأردن وتضم هضبة الجولان التي تقع على مسافة ٤٨ كيلومتر من دمشق. وكان اتفاق إسرائيل مع مصر التي تُعَدُّ إحدى الدولتَين اللتَين تشكلان خطرًا مباشرًا على إسرائيل في الشرق الأوسط، إشارةً إلى بدء نظام جديد في المنطقة. فبعد عقد اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ انسحبت إسرائيل من شبه جزيرة سيناء عام ١٩٨٢. وبدأت اتفاقية السلام أوسلو برعاية أمريكية في عام ١٩٩٣ بعد الانتفاضة الفلسطينية (١٩٨٧-١٩٩٣) التي اشتعلت في مرحلة نهاية الحرب الباردة. وقد شكَّلت التأثيرات السياسية والاجتماعية آنذاك مرحلةً جديدةً استمرت إلى يومنا هذا. فهذه المرحلة التي تُسمَّى عملية السلام لا تتطابق مع اسمها لِما تحمله من مشاكل كثيرة، فهي تُوصَف بالسلام من جانب، وتُعَد مرحلة بدأت فيها إسرائيل الهجمات على الفلسطينيين باستخدام القوة المفرطة.

بدأ الحكم البريطاني في فلسطين باحتلال القدس عام ١٩١٧ وانتهى بتاريخ ١٤ أيار/مايو عام ١٩٤٧. لكن مع قيام إسرائيل صار للاحتلال بُعد آخر، وكانت إدارة المفوضين الساميين للمنطقة لمدة تُعَدُّ قصيرة من أعقد مراحل تاريخ فلسطين. فقد صار اسم الاحتلال في تلك المرحلة مرادفًا للهجرات اليهودية المدعومة في كافة الظروف. فدعم بريطانيا للهجرات اليهودية إلى فلسطين إنما هو أساس المشاكل الكبرى التي تُناقَش هذه الأيام. وبهذا الدعم استطاعت المنظمة الصهيونية العالمية في المرحلة بين عامَي ١٩٢٢-١٩٤٨ أن تتحول من الخطاب السياسي للوكالة اليهودية إلى كيان دولة في فلسطين.

أما عدد سكان اليهود الذي كان يبلغ ١٢,٠٠٠ عام ١٨٤٥ في فلسطين، فقد وصل إلى ٦٥٠,٠٠٠ عام ١٩٤٨ بفضل الهجرات المنظمة. وقد وطَّنت الوكالة اليهودية التي كانت تعمل تحت إدارة المنظمة الصهيونية العالمية اليهودَ المهاجرين باستراتيجية منظَّمة في المناطق الساحلية والأراضي الخصبة عمومًا. وأقام اليهود كيانات سياسية واجتماعية وأمنية واقتصادية كثيرة مثل (الهيستادروت، والهاجاناه، والإرجون). وكان وجود جماعات ضغط لهذه المنظمات خارج فلسطين سببًا في ربط اليهود بعضهم ببعض في أرجاء العالَم، ولذلك استطاعت دولة إسرائيل أن تبني مؤسساتها في مدة قصيرة بعد الإعلان عن قيامها.

لم يُسمَح للفلسطينيين العرب بإقامة مؤسساتهم أثناء الانتداب البريطاني. وحَرَمَ الحُكَّامُ البريطانيون الفلسطينيين العرب من إيجاد قيادة لهم بعد الأحداث التي جرت عام ١٩٢٠، و١٩٢١، و١٩٢٩، و١٩٣٦-١٩٣٩. ونُفِيَ القادة العرب إلى خارج فلسطين واعتُقِل الكثير منهم. ولم يكن للفلسطينيين العرب كيان عسكري وسياسي عام ١٩٤٨ وما كانت لديهم أي استراتيجية.

أما في أيامنا هذه فنجد أنه من أهم المشكلات الأساسية بين إسرائيل وفلسطين نتيجة الهجمات الإسرائيلية وعملية السلام المدعومة أمريكيًّا: وضعُ القدس، ومشكلةُ اللاجئين الفلسطينيين الذين هُجِّروا من أراضيهم بعد الهجرات اليهودية والحروب، ومشكلةُ الاستيطان اليهودي المستمر. ومما يلفت الانتباه صمت القادة العرب على سياسة إسرائيل التي تحاول السيطرة على كامل فلسطين. وبينما كان قادة الدول العربية في الماضي يستغلون ما يجري في فلسطين من أجل خطاباتهم الوطنية التي تدعم سياساتهم الداخلية، نجدهم اليوم يميلون إلى الحفاظ على مناصبهم ببقائهم في صمت مُطبِق.

[١٣] للاطلاع على نص قرار الأمم المتحدة ذي الرقم ١٨١ بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧، انظر:
Mahdi Abdul Hadi, Documents on Palestine, 529-54. Hurewitz, A Documentary Record 1535-1956, 281-296.

مراجع الأرشيف المنشورة وغير المنشورة

FO/371/5205/ E. 7101/1136/Earl Curzon to Sir Herbert Samuel (Jerusalem), 19 Haziran 1920.
FO/141/742/ E. 7436/476/44, Earl Curzon, Foreign Office, to General Allenby, 22 Temmuz 1920. FO 371/3384, 1918.
FO 608/99/5 Document Nr: 16, Foreign Office Minutes, With Added Notes on Proposals to be Presented by Zionist Organisation, 3 February 1919.
Cmd. 1785 League Of Nations. Mandate For Palestine. London: His Majesty Staionary Office, 1922.
CMD. 1499. Interim Report on the Civil Administration of Palestine during the year ended 30th June 1921. London: His Majesty Staionary Office, 1921.
Cambridge Archive Editions. The Middle East Intelligence Handbooks Palestine and Transjordan. Oxford: Antony Rowe, 1987.
Colonial Office. Council of The League of Nations On The Administration of Palestine and Transjordan 1928. London: His Majesty's Stationery Office Hmso, 1929.
Government of Palestine Report. Report on Palestine Administration 1922. London: His Majesty's Stationery Office Hmso, 1922.
Government of Palestine Report. Report on Palestine Administration 1925. London: His Majesty's Stationery Office Hmso, 1925.
Interim Report. on the Civil Administration of Palestine during the year ended 30th June 1921. London: His Majesty Staionary Office,1921.
Reports of the Military Administration. Occupied Enemy Territory Administration South 1919. Cairo: Goverment Press, 1920.
Hadi, Mahdi Abdul. Documents on Palestine Until 1947. Jerusalem: PASSIA, December 2007.

الكتب في الأرشيف

Alan, Taylor. İsrail'in Doğuşu. İstanbul: Pınar Yayınları, 2001.
Atmaca, Ayşe Ömür, Berna Süer. Arap İsrail Uyuşmazlığı. Ankara: ODTÜ Yayınları, 2010.
Attias, Jean Christophe, Esther Benbassa. Paylaşılamayan Kutsal Topraklar ve İsrail. Çev: Nihal Önal. İstanbul: İletişim Yay, 2002.
Balcı, Ali. "İsrail soruNr: Ortadoğu'nun Gordion Düğümü", Dünya Çatışma Bölgeleri ve Konuları. Ed. Burhanettin Duran. 100-163. İstanbul: Nobel Yayınları, 2010.
Best, Anthony- Hanhimaki, Jussi. 20. Yüzyılın Uluslararası Tarihi / Taciser Ulaş Belge. Ankara: Siyasal Kitabevi, 2012.
Bm, Birleşmiş Milletler. "UNSCOP" http://unispal.un.org/UNISPAL.NSF/UNSCOP?OpenView.Erişim: 11 Kasım 2019.
Cleavend, William. Modern Ortadoğu Tarihi. İstanbul: Agora Kitaplığı, 2008.
Deveci, Can. "Filistin'in Kaderini Değiştiren Göçler: Aliyah". Derin Tarih 10 (Kasım 2017): 35-43.
Deveci, Can. "Yafa Olayları 1921". TYB Akademi 7/21. (2017):145-165.
EL-Eini, Roza I.M. Mandated Landscape: British Imperial Rule In Palestine 1929–1948. London: Routledge&- Taylor, 2006.
Fromkin, David. Barışa Son Veren Barış. İstanbul: Epilson Yayınları, 2004.
Greilsammer, Ilan. Siyonizm. Ankara: Dost Yayınları, 2007.
Huneidi, Sahar. A Broken Trust Herbert Samuel, Zionism and the Palestinians 1920-1925. London: I.B.Tauris Publishers, 2001.
Hurewitz, J.C. The Struggle For Palestine. Newyork: Norton Company, 1950.
Hurewitz , J.C. Diplomacy in The Near and Middle East a Documentary Record 1535-1956. Newyork: Printed by Cambridge Archive Editions, Redwood Burn Ltd, 1987.
Herzl, Theodor. Yahudi Devleti. İstanbul: Pınar Yayınları, 2004.
Hughes, Mathew. Allenby and British Strategy in The Middleeast 1917-1919. London: Frank Cass,1999.
Hyamson, Albert M. Palestine under The Mandate 1920-1948. London: Methuen, 1920.
Kramer, Gudrun. A History of Palestine. Princeton: Princeton University Press, 2011.
Litvinoff, Barnet. The Letter and Papers of Chaim Weizmann. Jerusalem: Transaction Books, 1983.
Mctague, J. "The British Military Administration in Palestine 1917-1920". Journal of Palestine Studies 7(3), (1978).
McCarty, Justin. The Population of Palestine Population History and Statistics of the Late Ottoman Period and Mandate. Newyork: Columbia Unıversty Press, 1990.
Mango, Andrew – Mcnamara, Robert, Frasaer. T.G, Modern Ortadoğu'nun Kuruluşu, İstanbul: Remzi Kitabevi, 2011.
Mossek, M. Palestine İmmigration Policy under Sir Herbert Samuel British Zionist and Arab Attitudes. London: Frank Cass, 1978.
Murphy, Emma C. "Siyonizm ve Filistin sorunu" / Fethi Aytuna. Ortadoğu Tarihi Dini Siyasi Kültürel ve Ekonomik Perspektiften. Ed. Youssef M. Choueiri. İstanbul: İnkılap Yayınevi, 2011.
Reynold, Nick. Britain's Unfulfilled Mandate for Palestine. London: Lexington Books, 2014.
Samuel, Herbert. Memoirs. London: Cresset Press, 1945.
Segev, Tom. One Palestine Complete Jews and Arabs under The British Mandate London: Abacus, 2000.
Schneer, Jonathan. Balfour Deklarasyonu / Ali Cevat Akkoyunlu, İstanbul: Kırmızı Kedi, 2012.
The Government of Palestine, Official Gazette. Jerusalem: 21 May 1925.

القدس موضوع للجدل السياسي

القدس مدينة صُنِعَت في السماء وأُنزِلَت إلى الأرض.
هي مدينة الإله ومدينة الناس أجمعين.
(الشاعر: سزائي قره قوج)

* **محمد حسين مرجان**

كانت القدس دائمًا نقطة التقاء المجالَين الديني والسياسي لمكانتها المهمة في الأديان السماوية. وكان للوضع الراهن بعد الحرب العالمية الأولى أثرٌ عميقٌ في قدَر المدينة والمنطقة، وفُتِحَ الطريق لقضية من أطول القضايا العالقة في العصر الحديث. وكان وعد بلفور الذي صدر في ٢ تشرين الأول/نوفمبر عام ١٩١٧م الخطوة الأولى لإقامة دولة «أجنبية» على أرض فلسطين بدعم من الخارج. وقد أوضحَت الحكومة البريطانية بهذا الوعد بأنها ستسعى لإقامة وطن لليهود في فلسطين،[1] وبدأت بتنفيذ قرار كان له تأثير عميق في مستقبل المنطقة. وكان عدمُ اعتراف بريطانيا بحق العرب أصحاب الأرض في فلسطين في تقرير مصيرهم أساسَ تحول القضية الفلسطينية إلى مشكلة سيادة من البداية، وإنْ كان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م.

سمحَ صك «الانتداب على فلسطين» الذي قُبِلَ في عصبة الأمم بتاريخ ٢٤ تموز/يوليو عام ١٩٢٢م[2] بإمكانية خلق الظروف المناسبة لإقامة دولة يهودية، في معرِض تحديد وضع إدارة الانتداب البريطاني. فالمادة الثالثة من هذا الصك كانت لا تأذن بإقامة كيان سياسي يستطيع به العرب الذين يشكلون الأغلبية أن يستفيدوا من حقوقهم في السيادة، وإنْ كانت المادة نفسها تشير إلى تعزيز إدارة الانتداب للسلطة المحلية. لذلك كانت المهمة الأساسية لإدارة الانتداب تمييز فلسطين عن غيرها من البلدان العربية. وقد استطاع العرب الذين يشكلون الأغلبية في الأراضي التي انسحبت منها بريطانيا وفرنسا بعد انتدابهما إثر سقوط الإدارة العثمانية أن يقيموا دولهم. لكن لم يُعطَ العرب تحت إدارة الانتداب في فلسطين حقَّ تقرير المصير، وأُقيمَت دولة لليهود المهاجرين خلافًا لمبدأ «حسن النية» في القانون الدولي.[3] ونتجَ عن ذلك عدم الاعتراف بحق الفلسطينيين بالسيادة بنشر فكرة الوقوف بجانب إسرائيل، وتطبيقِ سياسة بعيدة تمامًا عن معايير الأخلاق. وقد جعل تجاهلُ معايير الأخلاق في العلاقات الدولية وأولويةُ المصالح الوطنية مناقشةَ حقوق السيادة على أسس عادلة أمرًا مُحالًا.

* د. محمد حسين مرجان، عضو الهيئة التدريسية في قسم العلاقات الدولية بجامعة يلدرم بيازيد أنقرة.
mercanmh@yahoo.com.

[1] "The Balfour Declaration", 02 Kasım 1917,https://mfa.gov.il/mfa/foreignpolicy/peace/guide/pages/the%20balfour%20declaration.aspx.
[2] "The Palestine Mandate", erişim: 05 Şubat 2020, https://avalon.law.yale.edu/20th_century/palmanda.asp.
[3] Berdal Aral, Bitmeyen İhanet: Emperyalizm Gölgesinde Filistin Sorunu ve Uluslararası Hukuk, (İstanbul: Çıra Yayınları, 2019), 155.

لذلك لم يعد هناك معنى لمفهوم السيادة في عالَم يتجاهل آلام غيره ويستند إلى المصالح، وفُتِحَ المجال للظلم على الصعيد الدولي.[4] والقضية الأساسية التي لا بد من الوقوف عندها هنا حقيقةُ دوام القضية الفلسطينية لسنوات طويلة بلا حل بسبب ترجيح مصالح الدول القوية على الأخلاق. فالركن الأساسي لمشكلة القضية الفلسطينية غياب العدل في مرحلة تأسيس الدولة بين أصحاب أرض فلسطين والمستوطنين اليهود. وكان هناك تلميح بأن الحل الدائم لا يكون إلا بالاعتراف بسيادة إسرائيل المطلقة، أثناء إقامة دولة للمجتمع المهاجر بإعطائه الامتيازات والضغطِ الدائم على أصحاب الأرض ليتركوا ما في أيديهم.

إن السبب الأساسي لعدم إيجاد حل بين الطرفَين غيابُ التوازن بينهما أثناء المفاوضات. فإسرائيل تمارس سياساتها اعتمادًا على القوى الدولية الأخرى أكثر من اعتمادها على قوتها على الرغم من أنها دولة قومية، وبذلك تتلاعب بالمجتمع الدولي وتسعى لفرض ضغط نفسي على الفلسطينيين.[5] وبذلك لا تبقى للفلسطينيين فرصة للمناورة السياسية وأن يكونوا أصحاب الكلمة في عملية المفاوضات. ويتجاهل المجتمع الدولي إسرائيل التي ترى نفسها تارة خارج النظام الدولي أو أعلى منه، ولا تعبأ بالحقوق الدولية في كثير من الأحيان، ولكن هذا المجتمع الدولي نفسه يرى كفاح الفلسطينيين من جوانب أخرى. ولم يُسمَح للفلسطينيين أن يستعملوا حقهم في السيادة على الرغم من استخدام إسرائيل قوة وديبلوماسية تتجاوز قدرة دولة قومية. ومن هنا فُتِح المجال لانتشار فكرة أن إسرائيل أكبر من دولة قومية، أما فلسطين التي تُرِكَت عاجزة حتى عن رسم حدودها فصار يُنظَر إليها على أنها أقل من دولة قومية.[6]

دولة إسرائيل وتغيير في الوضع السياسي للقدس

مع الإعلان عن قيام دولة إسرائيل في ١٤ أيار/مايو عام ١٩٤٨م صار وضع القدس أكبرَ موضوع للجدل والنقاش في المنطقة. ففي عهد الانتداب البريطاني لم تكن هناك ممارسات راديكالية تتعلق بوضع القدس على الرغم من الضغوط والتضييق على العرب. حتى إن اللجنة التي شكَّلتها إدارة الانتداب لدراسة وضع القدس أكدَت في قراراها المعلَن في ٨ حزيران/يونيو عام ١٩٣١م[7] بأن القدس للفلسطينيين أو بعبارة أخرى للمسلمين. وشدَّد القرار على أن الحرم الشريف وما حوله للمسلمين كاملًا، وإنْ أذِنَ لليهود بالدخول إلى الحائط الغربي (حائط المبكى) من أجل العبادة. غير أن الإذن مع مرور الوقت لقوات الاحتلال بضغوط سياسية بالدخول إلى منطقة لا بد أن تكون تحت سيادة الفلسطينيين في حال تطبيق الحقوق الدولية، يُظهِر استراتجية القِوى الدولية التي كانت حاكمة آنذاك. وكان تعقيدُ إقامة الفلسطينيين لدولتهم بهذه الاستراتيجية وتجاهلُ القِوى الدولية لمطالب الفلسطينيين على الرغم من موقف الحركة الصهيونية العدائي عاملًا في عدم السماح لإقامة دولة فلسطين وتعمق الخلاف وعدم الوصول إلى حل.

وقد دعمَ انتصارُ القوى الصهيونية على التحالف العربي في الحرب التي دارت بين عامَي ١٩٤٨-١٩٤٩م وجودَ دولة إسرائيل على أرض فلسطين وغيَّرَ الهيكل السياسي للقدس تغييرًا جذريًّا. وسعت إسرائيل التي احتلت القدس الغربية إلى شرعنة وجودها بحجة وجود الأردن في القدس الشرقية.

[4] Berdal Aral, Küresel Güvenlikten Küresel Tahakküme BM Güvenlik Sistemi ve İslam Dünyası (İstanbul: Küre Yayınları, 2016), 62.
[5] Ahmet Davutoğlu, "Küresel ve Bölgesel Dengeler, Ortadoğu Barış Süreci", içinde Filistin Çıkmazdan Çözüme, (İstanbul: Küre Yayınları, 2003), 5.
[6] Davutoğlu, 5-6.
[7] United Nations, "The status of Jerusalem - Study (31 August 1997)", 1997, https://unispal.un.org/DPA/DPR/unispal.nsf/181c4bf00c44e5fd85256cef0073c426/533b4714451b48bf0525651b00488d02?OpenDocument.
[8] Rashid Khalidi, The Iron Cage: The Story of the Palestinian Struggle for Statehood, Reprint edition (Boston, Mass: Beacon Press, 2006), 182-83.
[9] Aral, Bitmeyen İhanet: Emperyalizm Gölgesinde Filistin Sorunu ve Uluslararası Hukuk, 161.

وزادت إسرائيل من سياستها التوسعية في القدس في المراحل اللاحقة نتيجة صمتِ المجتمع الدولي أمام إسرائيل التي ليست لها شرعية لأنها قوة احتلال، ونتيجة موقفِ الأمم المتحدة الذي يعترف بسيادة إسرائيل رغم التحذيرات في هذا الشأن. ففي عام ١٩٤٨م صدر قرار بنقل البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) إلى القدس، وبدأ الكنيست بإصدار التشريعات من القدس عام ١٩٥٠م.[١٠] فكان من أبرز مظاهر السيادة الحقيقية للدولة الصهيونية على القدس نقلها البرلمان الإسرائيلي إلى المدينة، وكان ذلك تطبيقًا لاستراتيجية جعل القدس جزءًا من إسرائيل. ومهَّدت الهزيمة الكبرى للعرب في حرب حزيران/يونيو عام ١٩٦٧م السبيلَ لتوسيع حدود إسرائيل، ولجعل الوضع الراهن في القدس لصالح الدولة الصهيونية، وضمَّت إسرائيل بحربها القدسَ الشرقيةَ إلى بلديتها، وادعت سيطرتها على المدينة كاملًا. وأشارَت الجمعية العامة للأمم المتحدة المجتمعة بعد الحرب في ٤ تموز/يوليو إلى قلقها من التطورات في القدس بالقرار رقم ٢٢٥٣، وأعلنت عن عدم شرعية هجوم إسرائيل وسعيها لتغيير الوضع الراهن في القدس.[١١] وبعد أن لم تعبأ إسرائيل بقرارات الجمعية العامة دعا مجلس الأمن إسرائيلَ إلى التخلي عن سياستها، وتطبيق قرار الجمعية العامة بقرار يتعلق بالوضع الراهن بالقدس صدرَ في ٢١ أيار/مايو عام ١٩٦٨م.[١٢]

زادت الإدارة الصهيونية من ادعاء سيطرتها على القدس مع عدم اتخاذ عقوبات جدية من دول العالَم ومع الدعم الكبير من الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل، على الرغم من قرارات الأمم المتعلقة بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧م. وكان من أبرز مظاهر هيمنة إسرائيل على القدس القانون الأساسي المتعلق بالقدس الذي أُطلِق عليه «قانون القدس» والذي قُبِلَ في الكنيست بتاريخ ٣٠ تموز/يوليو عام ١٩٨٠م. فقد وردت في هذا القانون عبارة «القدس الكاملة الموحدة هي عاصمة إسرائيل»[١٣] وهذا ما أجج الصراع بين الطرفَين، وأعدَّ الأرضية القانونية لفرض إسرائيل سيطرتها على القدس. وإذا وضعنا بالحسبان أن هيكل دولة إسرائيل وإجراءاتها قائمة على القوانين الأساسية لعدم وجود دستور للدولة، نجد أن إسرائيل جعلت القدس كاملةً ضمن حدودها بقرار له حكمُ دستور، متجاهلةً جميع القرارات المتعلقة بالوضع الراهن الخاص بالقدس. وكان هذا القرار سعيًا لإزالة أي محاولة لإقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية. وأعلن مجلس الأمن بالقرار رقم ٤٧٨ الصادر في ٢٠ آب/أغسطس عام ١٩٨٠م قلقه من هذا القانون الذي أصدرته الدولة الصهيونية، وأكدت على بطلانه.[١٤] وكان من أهم جوانب القرار رقم ٤٧٨ الطلب- لأول مرة- من الدول التي تعد طرفًا ثالثًا التعبير عن رفضها ادعاء إسرائيل سيطرتها على القدس. وكان طلبُ سحب الدول التي لها بعثات دبلوماسية لدى إسرائيل سفاراتها من القدس خطوةً مهمةً في حماية الوضع الراهن في القدس على صعيد المجتمع الدولي. وكان من العوامل الأساسية في تعذر إيجاد حل دائم حتى اليوم عدمُ التزام إسرائيل بالقرارات التي صدرت، وقبول الدول العظمى بما فيها مجلس الأمن سيطرة إسرائيل على القدس وباقي مناطق فلسطين على أنها واقع لا مفر منه.

[10] "First Knesset", erişim: 05 Şubat 2020, https://knesset.gov.il/review/ReviewPage.aspx?kns=1&lng=3.
[11] "UN General Assembly Decision of 2253", 04 Temmuz 1967, https://unispal.un.org/DPA/DPR/unispal.nsf/0/A39A906C89D3E98685256C29006D4014.
[12] "Security Council Resolution of 252, S/RES/252", 21 Mayıs 1968, https://unispal.un.org/DPA/DPR/unispal.nsf/0/46F2803D78A0488E852560C3006023A8.
[13] "Basic Law: Jerusalem the Capital of Israel", 5740 § (1980), http://knesset.gov.il/laws/special/eng/BasicLawJerusalem.pdf.
[14] "Security Council Resolution of 478, S/RES/478 (1980)", 20 Ağustos 1980, https://unispal.un.org/DPA/DPR/unispal.nsf/0/DDE590C6FF232007852560DF0065FDDB.

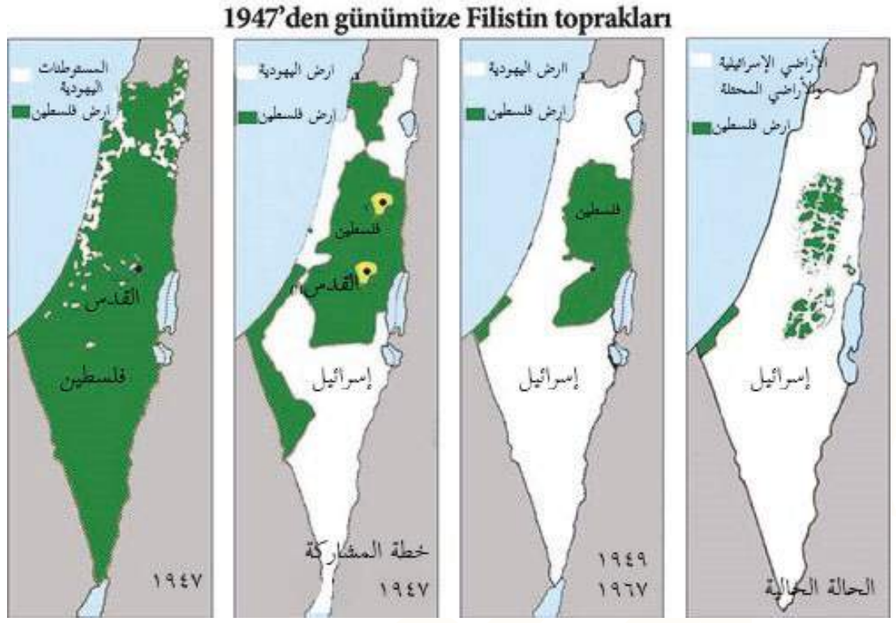

مهَّدَ عدم التزام إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة وغزة وتأجيلِ البحث في قضية القدس. وقد تباطأت السبيلَ لعملية السلام بين فلسطين وإسرائيل برعاية الولايات المتحدة الأمريكية. وظهرت مبادرات كثيرة مثل مدريد وأوسلو وواشنطن وكامب ديفيد لا سيما في تسعينيات القرن الماضي لحل هذه القضية. لكن التركيز على مصالح إسرائيل في هذه المفاوضات لم يسمح بوصول هذه المفاوضات إلى المستوى المطلوب، وأدخلَتْ سيادةَ فلسطين في متاهات. وكانت اتفاقية واشنطن عام ١٩٩٣م بعد مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ خطوةً مهمةً لتحقيق السلام بين الأطراف. فقد نصَّت الاتفاقية على انسحاب القوات العسكرية الإسرائيلية من غزة وأريحا وتشكيل حكومة انتقالية.[١٥] إلا أن الاتفاقية لم تثمر أي نتائج لعدم تحديد أي عقوبات في حال عدم التزام إسرائيل ببنود الاتفاقية، وحصرِ سلطة فلسطين في القطاع الغربي إسرائيل في سحب قواتها، وظلت تبني المستوطنات في القدس والقطاع الغربي. وكانت الاتفاقية من هذا الجانب تنص- بدلًا من استقلالهم- على إدارة ذاتية ضيقة للشعب الفلسطيني لا تتوافق مع حقهم في تقرير مصيرهم.[١٦] ولم تعترف هذه الاتفاقية بسيادة فلسطين بل قلَّلت من شأنها لأنها علَّقت كثيرًا من الشؤون السياسية المهمة من هيكل السلطة الفلسطينية ومسؤولياتها وحتى انتخاباتها بموافقة الإدارة الصهيونية.[١٧]

إدارة ترامب والسعي لشرعنة وضع القدس

وصلت مساعي رئيس الولايات المتحدة الأمريكية دونالد ترامب في شرعنة الإدارة الصهيونية إلى أعلى مستوياتها بقرار نقل السفارة الأمريكية لدى إسرائيل إلى القدس والصادر في شهر كانون الأول/ديسمبر عام ٢٠١٧م.

[15] "Declaration of Principles on Interim Self-Government Arrangements (Oslo Accords)" (United Nations General Assembly, 11 Ekim 1993), https://peacemaker.un.org/sites/peacemaker.un.org/files/IL%20PS_930913_DeclarationPrinciplesnterimSelf-Government%28Oslo%20Accords%29.pdf.
[16] Aral, Küresel Güvenlikten Küresel Tahakküme BM Güvenlik Sistemi ve İslam Dünyası, 151.
[17] Gilbert Achcar, Kaynayan Orta Doğu: Marksist Aynada Orta Doğu / Rida Şimşekel (İstanbul: İthaki Yayınları,2004), 273.

وقد نقلَ هذا القرار الذي كان له صدى كبير في أنحاء العالَم وسببًا في ردود فعل جدية، وتطبيقُه في أيار/مايو عام ٢٠١٨م، الجدلَ حول وضع القدس إلى جوانب أخرى، ووضع عقبات أمام الكفاح الفلسطيني. فكان عدم اعتراف الولايات المتحدة التي تعد لاعبًا أساسيًّا في السياسة العالمية- بهذا القرار- بوضع القدس الذي تخل به إسرائيل دائمًا سعيًا لتقليل فرصة قيام دولة فلسطينية مستقلة لها سيادة تامة على أراضيها.[١٨] إن موقف الولايات المتحدة الأمريكية التي ترى القدس مدينة موحدة كما ورد في «قانون القدس» الإسرائيلي الصادر عام ١٩٨٠م من غير تفريق بين القدس الشرقية والغربية على النقيض من قرارات الأمم المتحدة والمجتمع الدولي إنما هو موقف له آثار سلبية كبيرة على القاعدة السياسية لأي حل يتعلق بمستقبل القدس.

وقد زادت محاولة ترامب شرعنة سياسة إسرائيل التوسعية من مجال المناورة للإدارة الصهيونية وشجَّعتها لاتخاذ قرارات أكثر راديكالية تؤثر في المنطقة بكاملها. ويمكن القول إن قانون الدولة القومية لليهود في إسرائيل الذي يعد امتدادًا لمحاولة ترامب ما هو إلا مثال يوضِّح مفهوم السيادة في الفلسفة الصهيونية. قُبِل هذا القانون بموافقة ٦٢ صوتًا ومعارضة ٥٥ صوتًا في ساعة مبكرة من ١٩ تموز/يوليو عام ٢٠١٨م [١٩] وله أهمية كبيرة من حيث توسعة الأراضي التي تدعي إسرائيل سيطرتها عليها. وبهذا القانون الجديد ستطبِّق إسرائيل سياسة الاستيطان والتوسع التي ليست لها أي أساس في الحقوق الدولية ولا القيم الإنسانية، تطبيقًا قائمًا على السيادة المطلقة لدولة القومية. ولا شك أن هذا الوضع سيزيد من قوة إسرائيل على الصعيد الدولي، ويزيد من تعقيد القضية الفلسطينية ويلعب دورًا مهمًا في عدم الوصول إلى حل.

وعندما نضع بالحسبان استمرارية المشكلة الفلسطينية بسبب عدم وجود جوٍّ عادل للمفاوضات منذ البداية وعد الاعتراف بسيادة فلسطين الداخلية والخارجية، فإننا نجد أن توسيع إسرائيل للأراضي التي تدعي السيطرة عليها عقبةٌ كبيرةٌ أمام استقلال فلسطين وطلب الاعتراف بسيادتها. وكانت إسرائيل منذ قيامها تُعرَّف على أنها وطن اليهود في أنحاء العالَم، ولكن لم يكن لذلك أرضية قانونية. أما مع إعلان القانون الجديد فقد صار هذا الوضع قانونيًّا، وعُرِّفَت إسرائيل على أنها الوطن القومي لجميع اليهود. وجاءت المادة الأولى من القانون الذي يجعل حق تقرير المصير لليهود فقط على الشكل الآتي:

أ - أرض إسرائيل هي الوطن التاريخي للشعب اليهودي، وفيها قامت دولة إسرائيل.

ب - دولة إسرائيل هي الدولة القومية للشعب اليهودي، وفيها يقوم بممارسة حقه الطبيعي والثقافي والديني والتاريخي لتقرير المصير.

ج - ممارسة حق تقرير المصير في دولة إسرائيل حصرية للشعب اليهودي. [٢٠]

ويُفهَم من مواد القانون التي قُبِلَت أن الإدارة الصهيونية تسعى مسبقًا لمنع أي مواطن غير يهودي من طلب أي نوع من أنواع الاستقلال أو الإدارة

[18] Muhammed Hüseyin Mercan, "Reconsidering the Palestine Issue in the Shade of Israels Expanding Sovereignty Claim", New Middle Eastern Studies 8/2 (2018): 69.

[19] Jonathan Lis ve Noa Landau, "Israel Passes Controversial Jewish Nation-State Bill After Stormy Debate", Haaretz, 19 Temmuz 2018, https://www.haaretz.com/israel-news/israel-passes-controversial-nation-state-bill-1.6291048.

[20] "Basic Law: Israel - The Nation State of the Jewish People", 05 Eylül 2018, http://knesset.gov.il/laws/special/eng/BasicLawNationState.pdf.

الذاتية. وتجعل مواد هذا القانون مواطني إسرائيل من غير اليهود مواطنين «آخرين» لأنها تجعل من إسرائيل الوطن التاريخي لليهود. وبذلك تعيد إسرائيل تعريف المواطنة التي تعد من المعايير الأساسية لدولة القومية الحديثة، وتفرِّق بين مواطنيها متجاهلة المعايير الإنسانية والأخلاقية. ولهذه المادة من القانون جانب مهم يتعلق بالوجود السياسي لفلسطين وسيادتها. فإذا كنا نعلم أن المستوطنات الإسرائيلة في زيادة مستمرة في كثير من المناطق التي تعود للفلسطينيين لا سيما في القدس الشرقية، فإن إسرائيل لن تقبل مطالب غير اليهود في أراضيها والمتعلقة بتحديد مصيرهم، وستستعمل أمام مثل هذه المطالب جميع الوسائل معتمدةً على الصلاحيات التي يمنحها لها حق السيادة. وهذا يعني بعبارة أخرى أن مطالب الفلسطينيين بالاستقلال ستمسي مرفوضة بالقوانين التي تضعها إسرائيل.

وتُعرِّف المادة السابعة من القانون زيادة المستوطنات اليهودية على أنها «قيمة قومية» وتصف حث الدولة على الاستيطان بأنه واجب مهم. فمن الواضح أن ذهنية النظام السياسي الذي يرى في إنشاء المستوطنات الجديدة قيمة وطنية ذهنيةٌ بعيدةٌ أشد البعد عن الحل الدائم. ويظهر موقف إسرائيل الحقيقي بتأكيد قانون الدولة القومية على فكرة «القدس الكاملة الموحدة» التي وردت في قانون القدس عام ١٩٨٠م، وتجاهله أي محاولات لإقامة دولتَين تضم القدس الشرقية أو أي حق للفلسطينيين في القدس. ومن الواضح في الوضع الراهن أن إسرائيل التي تهيمن على كامل القدس لن تسمح بإقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية أو بفتح ممثليات للدول الأخرى لدى فلسطين في القدس الشرقية.

تستمر محاولات إسرائيل في تغيير البنية السكانية في القدس الشرقية منذ عام ١٩٦٧م بدون انقطاع، وتطبِّق استراتيجيات مختلفة لتحويل القدس إلى مدينة يهودية تمامًا. وتسعى الإدارة الصهيونية إلى تهجير المسلمين من القدس الشرقية بالضغوط الاقتصادية والمادية، وتهدف إلى جعل القدس كما تشاء. وصل مجموع عدد المستوطنات الإسرائيلية في القدس الشرقية والقطاع الغربي إلى ٢٠٠ مع حلول عام ٢٠١٩م، ويعيش فيها أكثر من ٧٥٠ ألف مستوطن أسكنتهم الإدارة الصهيونية هناك.[٢١] وتظهر هذه الأرقام أن إسرائيل التي تزيد من عدد المستوطنين اليهود في منطقة مهمة من القدس، تسعى لفرض سيطرتها الكاملة على القدس بتقليل عدد المسلمين في القسم الشرقي من المدينة في السنوات المقبلة.

ومن المخاطر الجديدة على القضية الفلسطينية ومستقبل القدس مسودةُ خطة السلام التي سمَّاها دونالد ترامب باسم (صفقة القرن) والتي تهدف أساسًا إلى شرعنة دولة إسرائيل بسند قانوني. وهذه الخطة المُعَدَّة أساسًا خطة تهدف إلى ضمان حدود إسرائيل وتتجاهل تمامًا القانون الدولي، وإنْ بدَت ظاهرًا على أنها دعم للاقتصاد الفلسطيني وتهدف إلى تحقيق الاستقرار في المنطقة. وقد لقيت صفقة القرن ردود فعل كبيرة على الصعيد الدولي، وقد يكون الدعمُ الذي قد يجده ترامب من العالم العربي والوضعُ الجديد بعد عهد رئيس دولة فلسطين محمود عباس سببًا لمخاطرَ شتى قد تتحول لصالح إسرائيل.

[21] Aral, Bitmeyen İhanet: Emperyalizm Gölgesinde Filistin Sorunu ve Uluslararası Hukuk, 166.

نتيجة

إن القدس أهم ركيزة للقضية الفلسطينية وستبقى أساس أي حل أو صراع بين الأطراف. ويتغير وضع القدس من يوم لآخر منذ قيام إسرائيل، وثمة محاولات لجعل المدينة كاملة عاصمةً للدولة الصهيونية. وقد شهدت القدس صراعًا عنيفًا في المجال السياسي، ويُعَدُّ سعي الدولة الصهيونية فرض سيطرتها الفعلية على كامل المدينة قانونيًّا من أكبر العقبات أمام قيام دولة فلسطينية مستقلة وإيجاد حل للقضية الفلسطينية. إن دعم الولايات المتحدة لعنجهية إسرائيل وتعنتها على الرغم من القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة سببٌ لاتخاذ الإدارة الصهيونية خطوات جرئية في السياسة العالمية، ولتجاهل حقوق الفلسطينيين. وفي ظل هذه الأوضاع كان غياب أي إرادة حقيقة من القِوى والمنظمات العالمية لإنهاء سياسة الاحتلال الإسرائيلية سببًا ليشهد الفلسطينيون اليوم أعقد مرحلة من مراحل تاريخهم. وستكون زيادة أعداد اليهود في القدس الشرقية مع زيادة عدد المستوطنات الجديدة في المستقبل القريب سببًا لمواجهة الفلسطينيين مشاكلَ أكبر، وضعفِ احتمال قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية.

فلا بد من البحث عن طرق لحل قضية الصراع المستمر على القدس منذ عشرات السنين على أسس عقلانية بدلًا من الخطابات الحماسية وبناء استراتيجيات جديدة تتجاهل سيادة إسرائيل. وإذا أخذنا بالحسبان أن الأحزاب السياسية التي تتبنى الفكر الصهيوني قد ضعفت قوتها ولو نسبيًّا في المجتمع الإسرائيلي في السنوات الأخيرة، فإنه يمكن إيجاد حلول دائمة لوضع القدس وفلسطين المستقلة بدعم من الأطراف المعارضة للإدارة الصهيونية. وعلى هذا الأساس يمكن بفضل المكاسب على الصعيد السياسي إعاقةُ الإدارة الصهيونية وظهورُ وضع راهن جديد في المنطقة، وفتحُ صفحة جديدة في القضية الفلسطينية. أما في حال عدم وضع استراتيجيات جديدة لإيجاد حل وإيقافِ الممارسات غير القانونية للدولة الصهيونية، فإن فلسطين كاملة ولا سيما القدس ستكون تحت الهيمنة الإسرائيلية، ولن يثمر الكفاح الفلسطيني الذي استمر لعشرات السنين شيئًا. لذلك يُعَدُّ وضعُ استراتجية عقلانية حازمة ملائمة لفلسطين والقدس على الصعيد السياسي ووضعُ هذه الاستراتيجية للتطبيق على صعيد المجتمع الدولي حقيقةً لا بد منها من أجل مستقبل فلسطين والقدس.

المراجع باللغات الأخرى

Achcar, Gilbert. Kaynayan Orta Doğu: Marksist Aynada Orta Doğu / Rida Şimşekel. İstanbul: İthaki, 2004.

Aral, Berdal. Bitmeyen İhanet: Emperyalizm Gölgesinde Filistin Sorunu ve Uluslararası Hukuk. İstanbul: Çıra Yayınları, 2019.

Aral, Berdal. Küresel Güvenlikten Küresel Tahakküme BM Güvenlik Sistemi ve İslam Dünyası. İstanbul: Küre Yayınları, 2016.

Basic Law: Israel - The Nation State of the Jewish People. Erişim: 05 Eylül 2018.

http://knesset.gov.il/laws/special/eng/BasicLawNationState.pdf.

Basic Law: Jerusalem the Capital of Israel, 5740 § (1980). http://knesset.gov.il/laws/special/eng/BasicLawJerusalem.pdf.

Davutoğlu, Ahmet. "Küresel ve Bölgesel Dengeler, Ortadoğu Barış Süreci". İçinde Filistin Çıkmazdan Çözüme. 3-47. İstanbul: Küre Yayınları, 2003.

"Declaration of Principles on Interim Self-Government Arrangements (Oslo Accords)". United Nations General Assembly, 11 Ekim 1993. https://peacemaker.

un.org/sites/peacemaker.un.org/files/IL%20PS_930913_DeclarationPrinciplesnterimSelf-Government%28Oslo%20Accords%29.pdf.

"First Knesset". 05 Şubat 2020. https://knesset.gov.il/review/ReviewPage.aspx?kns=1&lng=3.

Khalidi, Rashid. The Iron Cage: The Story of the Palestinian Struggle for Statehood.

Reprint edition. Boston, Mass: Beacon Press, 2006.

Lis, Jonathan, ve Noa Landau. "Israel Passes Controversial Jewish Nation-State Bill After Stormy Debate". Haaretz, 19 Temmuz 2018. https://www.haaretz.com/

israel-news/israel-passes-controversial-nation-state-bill-1.6291048.

Mercan, Muhammed Hüseyin. "Reconsidering the Palestine Issue in the Shade of Israel's Expanding Sovereignty Claim". New Middle Eastern Studies. 8/ 2 (2018): 68-83.

"Security Council Resolution of 252, S/RES/252", 21 Mayıs 1968. https://unispal.un.org/DPA/DPR/unispal.nsf/0/46F2803D78A0488E852560C3006023A8.

"Security Council Resolution of 478, S/RES/478 (1980)", 20 Ağustos 1980. https://unispal.un.org/DPA/DPR/unispal.nsf/0/DDE590C6FF232007852560DF-0065FDDB.

"The Balfour Declaration", 02 Kasım 1917. https://mfa.gov.il/mfa/foreignpolicy/peace/guide/pages/the%20balfour%20declaration.aspx.

"The Palestine Mandate". Erişim: 05 Şubat 2020. https://avalon.law.yale.edu/20th_century/palmanda.asp.

"UN General Assembly Decision of 2253", 04 Temmuz 1967. https://unispal.un.org/DPA/DPR/unispal.nsf/0/A39A906C89D3E98685256C29006D4014.

United Nations. "The status of Jerusalem - Study (31 August 1997)", 1997.

https://unispal.un.org/DPA/DPR/unispal.nsf/181c4bf00c44e5fd85256cef-0073c426/533b4714451b48bf0525651b00488d02?OpenDocument.

القدس في العرف اليهودي

نوح أرصلان طاش*

إن منطقة ما يسمى اليوم بالشرق الأوسط أولُ منطقة تشهد نشاطًا وحركة في تاريخ البشرية. هذه المنطقة التي مازالت تحافظ على هذه الصفة كانت مهدًا للحضارات دون انقطاع، كما كانت حاضنة للحظات الأولى من تجارب الإنسان الحياتية. ومن أكبر العوامل التي جعلت هذه المنطقة منطقة مركزية هي ولادة الأديان السماوية الثلاثة فيها اليهودية والمسيحية والإسلامية. وكانت كثير من الأماكن التي تراها هذه الأديان مقدسة في هذه المنطقة بالتحديد.

لهذا أصبحت القدس ودون منازع من أهم المدن في العالم بدءًا من العصور الأولى للتاريخ. هذه المدينة التي تغير حكَّامها على مر تاريخها أكثر من أربعين مرة؛ هي المدينة الوحيدة التي يمكن أن نتابع أخبارها من خلال ثقافات شعوب مختلفة. وفي الوقت نفسه تشكَّلت الهوية الدينية والسياسية لبني إسرائيل في هذه المدينة. كما أدى سيدنا عيسى نبي المسيحية رسالته في هذه المدينة. أما في الإسلام فقد كانت هذه المدينة القبلة الأولى للمسلمين. وقد عاش كثير من الأنبياء الذين يؤمن المسلمون بهم في هذه المدينة، وشهدت هذه المدينة معجزة الإسراء والمعراج التي حولت رسالة النبي محمد عليه الصلاة والسلام الذي حمل ميراث التوحيد من هؤلاء الأنبياء إلى رسالة عالمية. ولهذه الأسباب كلها فإن القدس ليست مجرد مدينة عادية فقط، بل هي تاريخ حي يشهد على التاريخ البشري أجمع.

كان محيط هذه المدينة موطن دويلات صغيرة نصف رحل في عصر الألفية الثالثة قبل الميلاد حسب ما يُعرف عن تاريخه العميق والمكتشفات الأثرية. وكانت هذه الدويلات الصغيرة التي أسست تحالفات لضمان مصالحها المحدودة والمشتركة على ضوء الظروف المرحلية والإقليمية، قد حافظت على وجودها من خلال تبعيتها في تلك الفترة للدول القوية التي كانت ترغب في السيطرة على فلسطين من الناحية السياسية والعسكرية والاستراتيجية.

ومن المعروف أن مدينة القدس التي كانت مركزًا سكنيًا صغيرًا في تلك الفترة قد بناها الكنعانيون أو أن أول سكانها كانوا من الكنعانيين الساميين (٢٢٠٠-٣٠٠٠ قبل الميلاد). ففي هذا العصر كان الكنعانيون الذين يمتلكون مستوى أعلى من الثقافة مقارنة مع الأمم المحيطة أول شعب يستخدم السلاح المصنوع من الحديد ويعرف فن الحرب معرفة جيدةً.[1] وكانت المدينة أيضًا قد احتضنت العموريين ذوي الأصول السامية في السنوات ٢٢٠٠ قبل الميلاد.[2] كما يُعرف بأن أول استيطان بشري في القدس كان بالقرب من نبع جيحون، مصدر المياه الأهم في المدينة، في العصر البرونزي وهو العصر الذي عاش فيه سيدنا ابرهيم.[3] وهنا يمكن اعتبار بداية علاقة اليهود تاريخيًا بالقدس كانت مرتبطة بسكن سيدنا إبراهيم في هذه المدينة. حسب المعلومات الموجودة في العهد القديم أُسر سيدنا لوط في المعارك التي كانت تدور بين أمراء المنطقة.

* الأستاذ د. نوح أرصلان طاش، القنصلية التركية في ملبورن (أستراليا)، ملحق الشؤون الإدارية والاجتماعية،
noaharslan@hotmail.com.

[1] يُذكَر أهل فلسطين القدماء في التوراة باسم «كنعان» واسم فلسطين بـ«أرض كنعان». وتذكر المراجع الإسلامية أن كنعان كان ابن النبي نوح. وقد عاش الكنعانيون أولًا في خليج البصرة ثم انتقلوا نحو الغرب حيث استوطنوا في لبنان وفلسطين. وعندما جاء بنو إسرائيل إلى المنطقة، كان الكنعانيون أقوى الأمم هناك. ويُستعمَل اسم «كنعان» أحيانًا للإشارة إلى الفينيقيين الذين عاشوا في فلسطين. انظر:
Ahituv, "Canaan, Land of", The Oxford Dictionary of the Jewish, ed Werblowsky-Wigoder, (USA: Oxford University Press, 1997) 146-147; Easton, Illustrated Bible Dictionary, (New York: Harper & Bros., 1893), 120; Shepherd, The Westminster Bible Dictionary, (Philadelphia: Presbyterian Board of Publication, 1880), 113.

[2] ورد اسم «العموريين» باسم «مارتو» في الآثار السومرية، وباسم «عمورو» في الآثار الأكادية، وقد سكنوا قرب بحيرة لوط (البحر الميت). وكانت الشعوب الأخرى تسميهم «أهل الجبل» ثم رحلوا من هذه المنطقة. وقد عقد النبي إبراهيم مع هؤلاء اتفاقًا مع هؤلاء الذين كانوا يسكنون قرب الخليل. للاستزادة انظر:
Shepherd, The Westminster Bible Dictionary, 42; Easton, Illustrated Bible Dictionary, 38-39; Norman, "Amorites", EJd2 (Encyclopaedia Judaica), Ed. Fred Skolnik, (Jerusalem: Keter Publishing House, 2007), 2: 95-96.

[3] Kollek-Pearlman Jerusalem, Sacred of Mankind: a History of Centuries, (Kudüs: Steimatzky Ltd., 1968), 15-22; Avi-Yonah-Gibson, "Jerusalem: History", EJd2, 11: 144.

وبعد أن أنقذ سيدنا إبراهيم ابن أخته لوطًا وفي طريق العودة استضافه ملك شاليم ملكي صادق.[4] ويرد في المصادر اليهودية اللاحقة أن كلمة «صادق» من أسماء بيت المقدس (بيت ها مقداش) الذي يرمز للصدق والفضيلة، أي اسم من أسماء القدس (أورشليم) التي بُنيَت لاحقًا. وكان اعتقاد اليهود بأن كلمة «ملكي صادق» تعني «ملك المدينة الفاضلة» وهذا ما دفعهم لربط مدينة «شاليم» التي عاش فيها الملك بمدينة «أورشليم» أو «يوروشاليم» أي القدس.[5] وترجمت كلمة «شاليم» الواردة في تفاسير التوراة المكتوبة في العصور الوسطى[6] بـ«القدس/أورشليم». على الرغم من محاولة ربط القدس بسيدنا إبراهيم في العرف اليهودي إلا أن الاكتشافات الأثرية لم تدعم هذه الأمر المزعوم.[7] وعلى عكس القدسية التي اكتسبتها القدس في المصادر اليهودية اللاحقة لم يتم الحديث عن القدس أبدًا داخل الجغرافيا الواسعة من النيل إلى الفرات التي وعد بها سيدنا إبراهيم.[8] هذا الصمت استمر في الوعود التي قدمت لإسحاق ويعقوب وموسى. ولم يتم التطرق– بشكل مشابه– إلى القدس أبدًا في الأرض الموعودة[9] التي قدمت لذرية سيدنا إبراهيم. وفي الحقيقة لم يتكمن هؤلاء الأجداد من دخول الأرض الموعودة من قبل الإله وبالتالي لم يتمكنوا من دخول القدس.

تمكن بنو إسرائيل من دخول القدس في عهد يوشع خلف سيدنا موسى. وفي عهد يوشع الذي حكم المنطقة بالحروب حينًا وبالسلام حينًا تم الحفاظ على حياة سكان المدينة ولم يرحلوا على الرغم من مقتل ملك القدس أدوني صادق.[10] هذه الحالة تظهر عدم اعتبار يوشع كما أجداده مدينة القدس مدينة مهمة ومتميزة. إضافة إلى ذلك لم يتمكن بنو إسرائيل من البقاء والعيش في المدينة بشكل دائم.

باختصار لم تكن مدينة القدس تحظى بأهمية أو تحتل مركزًا مقدسًا لدى بني إسرائيل قبل سيدنا موسى وبعده بقرنين.[11]

المرحلة التي أدت إلى التقديس

تبدأ أهمية القدس بالنسبة لليهود مع سيدنا داوود. تحول سيدنا داوود الذي عُرِف بقوته البدنية وتأثيره في الناس من راع في إسرائيل إلى قائد يجمع قبائل إسرائيل بمساعدة من النبي صموئيل. وحقق وحدة سياسية بين هؤلاء القبائل. وقد توَّج داوود الذي انتهج سياسة نشطة وناجحة تجاه الشعوب الأخرى في المنطقة نجاحاته بفتح القدس. لكن يجب التنويه هنا إلى أنه لم يتم التطرق في العهد القديم إلى أهمية القدس حتى عهد سيدنا داوود. إن سيدنا داوود، الذي بنى خيمًا من أجل الكهنة وتابوت العهد إلى جانب القصر،[12] على الرغم من رغبته في إنشاء معبد لربه في القدس بعد جلب الصندوق المقدس لدى اليهود من الخليل إلى القدس إلى أنه قد أُبلغ بأن إنشاء المعبد لن يتم على يده بل على يدي ملك من ذريته يأتي من بعده.[13] وهكذا بدأت مدينة القدس خلال فترة سيدنا داوود تحظى بأهمية في تاريخ بني إسرائيل. ولكن اختيار سيدنا داوود لمدينة القدس مركزًا سياسيًا كان لغاية سياسية استراتيجية بهدف تحقيق التوازن بين قبائل بني إسرائيل وليست لأهميتها الدينية التي اكتسبتها لاحقًا.[14]

[4] Tekvin 14/14-21.
[5] Roş (Yakov ben Aşer ben Yehiel), Tur on the Torah: Commentary on the Torah, notlarla İngilizce'ye / Eliyahu Munk, (Jerusalem-New York: Lambda Publishers),1: 113. Singer-Kohler, "Melchizedek", JE (The Jewish Encyclopedia), 8: 450; Gruenwald, "Melchizedek", EJd2, 14: 11.
[6] İbn Ezra, (Ibn Ezra's) Commentary on the Pentateuch: Genesis, Exodus, Numbers&Deuteronomy, notlarla İngilizce'ye / H.N. Strickman-A.M. Silver, (New York: Menorah Publishing Company, 1988-2001), 1: 167; RaMBaN (Namanides: Moses ben Naman), The Torah Commentary, Ed. Avrohom Biderman, İbrânîce metin ve notlarla İngilizce'ye / Yaakov Blinder & Oth., (New York: ArtScroll series Mesorah Publications, 2004-2006), 1:331.
[7] Nir, Yeruşalayim le-Doroteya I: me-İr Yevusit le-Birat am Yisrael, (Raanana: ha-Universita ha-Petuha, 1984), 4.
[8] Tekvin 13/14-15; 15/18-21.
[9] Tekvin 35/12; 28/13; Sayılar 34. bap.
[10] Yehoşua (Yuşa) 2/1, 7/2, 8/1, 10/1-7.
[11] Hasanoğlu, "Tanah'a Göre Kudüs'ün Kutsallaşma Süreci", Uludağ Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, 24:2 (2015):132-133.
[١٢] للاطلاع على وصف صندوق العهد في التوراة انظر:
Çıkış, 25/10-22.
[13] Watson, The Story of Jerusalem, (London-New York: J.M. Dent and Co., 1918), 31.
[14] Kollek-Pearlman, Jerusalem Sacred of Mankind, 33-34; Cline, Jerusalem Beseiged: from Ancient Canaan to Modern Israel, (Michigan:University of Michigan Press, 2005), 314-315

حوَّل سيدنا سليمان، الذي كان بطبيعة مختلفة مقارنة مع أبيه، مدينةَ القدس إلى مركز من خلال المبادرات السياسية والاقتصادية في الدولة التي ورثها قوية ومستقرة. وبنى المعبد الذي خطط له والده لبنائه في المدينة. وبنى المعبد الذي وصف في العهد القديم بأدق التفاصيل، في المكان الذي كان سيدنا داوود يذبح الأضاحي فيه في أعلى نقطة بالمدينة وتسمى اليوم عند اليهود بـ«معبد التل» أما عند المسلمين فتسمى بالحرم الشريف. ومع بناء المعبد تحولت مدينة القدس إلى قبلة لبني إسرائيل وبالتالي تحولت إلى مدينة دينية.[15] ويمكن أيضًا تقييم هذا التحول بأنه انفتاح سياسي مختلف لسيدنا سليمان حيث أكسب المدينة بعدًا دينيًا بعد سياسة والده الخاصة بتحويل القدس إلى مركز سياسي. بعد وفاة سيدنا سليمان انقسمت الدولة فورًا إلى دولتين. في الشمال أسست عشرة قبائل بقيادة يربعام مملكة إسرائيل مركزها نابلس اليوم. أما في الجنوب فقد أسست قبيلتان (يهوذا وبنيامين) بقيادة ابن سليمان رحبعام مملكة يهوذا ومركزها القدس. كانت العلاقات بين هاتين المملكتين بشكل عام علاقة صراع. وبنت المملكة الشمالية معابد بيت إيل ودان بديلًا عن المعبد الموجود في القدس وبداخلها ستة ثيران. ويجب التنويه إلى أن بني إسرائيل الذين رجحوا إجراء طقوس العبادة في معبد يسمى باما لم يقبلوا بالقدس مركزًا للعبادة. حيث لم يبدِ بنو إسرائيل أي رد فعل على الباما التي بنيت في عدة مدن. بالإضافة إلى ذلك تم نهب مدينة القدس من حين لآخر أثناء الهجمات التي قامت بها المملكة الشمالية.[16] من ناحية أخرى تظهر عمليات النهب هذه بأن مدينة القدس كانت في تلك المرحلة تحظى بقدسية لدى فئة قليلة فقط من اليهود. على الرغم من هدم المعابد المحلية التي كانت تعتبر بديلة للقدس بهدف مركزية العبادة في عهد مملكة يهوذا حزقيا (٦٩٧-٧٢٧ قبل الميلاد) و يوشيا (٦٠٩-٦٤٠ قبل الميلاد) إلا أنه لم يحقق الكثير من النجاح.[17]

تم اسقاط المملكة الشمالية من قبل الآشوريين بعد أن تناوب على حكمها العديد من الحكام والأسر الحاكمة. وبعد عملية الاستيلاء هذه نُفِيَ بنو إسرائيل إلى أماكن متعددة في بلاد الآشوريين (٧٢٢ قبل الميلاد). أما مملكة يهوذا الجنوبية[18] فقد هدمها إمبراطور بابل نبوخذنصر، حيث كانت المملكة قد تحولت بعد سقوط المملكة الشمالية إلى مملكة نصف مستقلة تتبع للإمبراطورية الآشورية. وهدم المعبد وقتل العديد من اليهود أو أرسلوا إلى المنفى (٥٨٦ قبل الميلاد).[19]

القدسية المصطنعة بادعاء الظلم في المنفى

كان نفي اليهود إلى بابل نقطة تحول لتاريخ اليهود. أما بالنسبة لمدينة القدس فقد كانت نقطة تحول في قدسيتها. تحولت هذه المدينة إلى مدينة مقدسة في أذهان اليهود بعد هذا التاريخ حتى وصلت فكرة قدسيتها إلى عقيدة.[20] وبرزت المدينة رويدًا رويدًا كمركز معنوي مهم ليهود القدس والمغتربين عنها بعد النفي حيث كانت القدس، التي لوّثتها بشاعة الوثنية من حين لآخر- لأسباب ثقافية وإقليمية- عاصمة لبني إسرائيل حتى تلك المرحلة.[21] وتحولت القدس التي اكتسبت مع النفي هوية الوطن الأم، إلى عشق وشوق يحلم اليهود ليل نهار بإروائه. إن فكرة التقديس الذي بدأت بالتجذر في فترة المعبد الثاني بعد النفي ترسخ في ذاكرة اليهود بعد هدم المعبد من قبل الرومان.

[15] I. Krallar 8/44-48; II. Tarihler 6/34. Detaylı ilgi için bkz. Abramsky-Liver, "Jerusalem: in the Bible", EJd2, 11: 208 210.
[16] Aydın, "Yahudiler/ Yahudilik Açısından Kudüs", Eski Yeni: Anadolu İlahiyat Akademisi Araştırma Dergisi, 37 (2018): 115-116.
[17] II. Krallar 18/4; II. Tarihler 31/1. Detaylı bilgi için bkz. Watson, The Story of Jerusalem, 47.
[18] II. Krallar 15/29; II. Krallar 17/4-6. Yıkılışla ilgili detaylar için bkz. Günaltay, Elam ve Mezopotamya, (Ankara: Türk Tarih Kurumu 1987), 552-557; a.mlf, Suriye ve Filistin- Yakın Şark III, (Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1947), 560.
[19] Yeremya 52/16, 27-30; II. Krallar 24/14.
كانت هذه الحادثة مهمة كثيرة من ناحية التاريخ اليهودي، وسميت الفترة من بناء النبي سليمان للمعبد حتى هدم نبوخذنصر له بسام «عهد المعبد الأول». وبعد هذه المرحلة لم يعد لليهود دولة مستقلة حتى عام ١٩٤٨، وظلوا يعيشون في المنفى.
[20] Gafni, "Maamado şel Erets Yisrael ba-Todaa ha-Yehudit be-Ikvut Mered Bar Kohba", Mered Bar Kohba: Mahkarim Hadaşim, ed A.Openheymer-A. Rapaport, (Kudüs: Yad Yitshak Ben Tsvi, 1984), 231.
[21] Armstrong, "The Holiness of Jerusalem: Asset or Burden", Journal of Palestine Studies, 27 (1998/3): 12; Gafni, "Maamado şel Erets Yisrael ba-Todaa ha-Yehudit be-Ikvut Mered Bar Kohba", 231.

ثم بعد هدم المعبد للمرة الثانية واعتبارًا من فترة تنائيم (في القرن الأول والثاني بعد الميلاد) بدأت القدس تحظى باهتمام خاص في خطابات رجال الدين اليهود. وبعد منع سكن اليهود في القدس ومحيطها بعد عصيان بار كوخبا تم البدء بإنتاج ثقافة تتعلق بفضائل العيش في المنطقة.[٢٢] حوَّل اليهود مدينة القدس لا سيما بعد النفي إلى مدينة فاضلة من خلال الخرافات والأساطير التي ابتدعوها في كل مناحي الحياة في العقيدة والعبادات والحقوق والسياسة والفنون والآداب. وفي الحقيقة يجب أن نوضح بأن هذا الشوق في فترة سيدنا داوود وسليمان كان لعظمة المكانة أكثر مما يكون شوقًا لمدينة القدس. وبسبب ازدياد الشوق تجاه المدينة بعد الهدم الثاني للمعبد فإن قدسية القدس وعظمتها كان يعبر عن الشوق للمملكة القديمة.[٢٣] كل هذا الشوق والخطابات عززت من قدسية المدينة على مر العصور في العقلية اليهودية. بعد عدة عصور نجح الصهاينة من خلال استغلال هذا الشوق لدى اليهود في توحيد هذه الأيديولوجية لدى أتباع دينهم في مناطق مختلفة من العالم. عندما نعلم أن كلمة «صهيون» هي إحدى أسماء مدينة القدس فإننا يمكننا القول بأن كلمة «الصهيونية» تعني «المقدسية».[٢٤]

إن أكثر كلمة استخدمَت للقدس في العهد القديم كلمة أورشليم إذ ورد في كتاب العهد القديم اسم المدينة بشكل عام على الشكل التالي «أورشليم» و»أورشالايم». على الرغم من زعم البعض أن كلمة أورشليم/شاليم تتكون من قسمين القسم الأول منها يعني «الخوف» و (ير) «الرؤية» و (يرا) الامتلاك/التورّث.، هناك اعتقاد عام في العلم بأن جذر الكلمة هو (يرا/yarah) والتي تعني «إنشاء/تأسيس». أما القسم الثاني من الكلمة «شاليم/شالايم» تعني شاليم أو سليم وهذا هو اسم إله الساميين الغربيين الذي يسمى «شاليم/شالمانو» وهذا يعني أن معنى (أورشليم/أوروشاليم) يصبح «مدينة شاليم/سليم». يُقال بأن هذه التسمية هي تسمية صحيحة نظرًا لإنسجامها مع التسميات التي كانت تستخدم في تلك الفترة للمدن المنشأة. والإشارة في رسائل تل العمارنة إلى المدينة باسم «بيت شاليم» يعزز من فكرة أن الاسم له علاقة بكلمة «شاليم». لقد ترجمت كلمة «ساليم» بـ «السلام» في هذه الرسائل وفي كتاب يوسيفيوس (حروب اليهود) وفي ترجمة أونكيلوس التوراة إلى اللغة الآرامية. فثمة قبول عام على أن معنى»أورشليم» هو «مدينة السلام». ولقد ترجم سعيد بن يوسف الفيومي (٨٨٢-٩٤٢م) العالم اليهودي الأول الذي ترجم النصوص الدينية اليهودية المقدسة إلى العربية في العصور الوسطى، ترجمَ كلمة «أورشليم» الواردة في العهد القديم بـ «دار السلام» وهي بمعنى (إشعيا ٤٤/ ٢٨، ٥١/ ١٧) وبـ «مدينة السلام» (إشعيا ٤٠/٢).[٢٥]

ولقد ورد ذكر المدينة- إضافة إلى اسم «أورشليم» المشهور- بأسماء كثيرة في الأسفار المختلفة للعهد القديم، منها: بيوس (الحكماء ١٩/١٠)؛ وصهيون، ومدينة داوود (صموئيل ٥/٧، ٩)؛ وأريل (يشوع ٢٩/١)؛ وموريا (تواريخ ٣/١)؛ والمدينة المقدسة (نحميا ١١/٨)؛ ومدينة الرب (المزامير ١١/١٨)؛ ومدينة رب الجيوش (المزامير ٤٨/٨)؛ ومدينة المؤمنين ومدينة السلام ومدينة الصدق (يشوع ١/٢٦) ودار العدل (إرميا ١/٢٦). اسم المدينة بالعربي القدس (القدس) يُعتقد بأنها اشتقت من كلمة (إرهاكودش) من سفر نحميا.[٢٦]

[22] Safray-Safray, “Keduşat Erets Yisrael ve Yeruşalayim: Kavim le-Hitpathuto şel ha-Raayon”, Yahudim ve Yahadut be-Yeme Bet Şeni, ha-Mişna ve ha-Talmud, Ed. Aharon Oppenhaimer ve dğr., (Kudüs: Yad Yitzhak Ben Tsvi, 1993),
345, 359; Hasanoğlu, “Yahudilikte Kudüs Algısı”,Geçmişten Günümüze Kudüs, Ed. Ahmet Kavas & Oth., (İstanbul: Ümraniye Belediyesi Kültür Yayınları, 2019), 15.
[23] Aydın, “Yahudiler/ Yahudilik Açısından Kudüs”, 116.
[24] Hasanoğlu, “Yahudilikte Kudüs Algısı”, 19-20.
[25] Avi-Yonah-Gibson, “Jerusalem: History”, EJd2, 11: 144; Harman, “Kudüs”, 26: 323; Aydın, “Yahudiler/ Yahudilik Açısından Kudüs”, 110-111.
[26] Hasanoğlu, “Tanah’a Göre Kudüs’ün Kutsallaşması Süreci”, 131.

كما ذكر في الأعلى فقد تم ترجمة كلمة «شاليم» في تفاسير التوراة في العهد العصور الوسطى بـ «القدس» (أورشليم).[٢٧] ويُعتقد في العرف اليهودي بأن لمدينة القدس ٧٠ اسمًا كما هو الحال في اسم الإله والتوراة.[٢٨]

الأسطورة التي غذَّاها الشوق

ادعى الأدب المدراشي اليهودي، متأثرًا بالشوق بعد النفي، أن مدينة القدس موجودة قبل خلق العالم، وأن سيدنا آدم خُلِقَ من التراب الموجود في منطقة المذبحة في القدس. لذلك قدسية القدس-وفقًا لهذا الأدب- لم تكتسب لاحقًا بل هي مقدسة منذ خلقت، وليس (العالم الصغير) وهو الإنسان فقط بل كل العالم خُلِقَ من صهيون.[٢٩]

من جهة أخرى فإن فلسطين هي مركز الدنيا، والقدس والمعبد هي مركز هذه المنطقة، فالقدس تقع في مركز العالم. والقدس مسقط المعبد السماوي الذي هو مكان إقامة الرب (شهينا) أو (السكينة)[٣٠] . وذكر علماء الدين الذين قالوا بأن القدس موجودة في الأرض وفي السماء، بأن المعبد الموجود في السماء مازال موجودًا على الرغم من هدم المعبد الذي في الأرض.[٣١] كانت القدس من الناحية الحياتية بالنسبة للناس عبارة عن مدينة ضامنة للعيش. لا تحرق الحرائق عند اشتعالها أي مكان في المدينة والزلازل لا تحدث فيها وإن حدثت لا تتضرر المباني.[٣٢] كانت القدس قمة الكمال ورمز الجمال وملكة المدن. قسم الخالق الجمال عندما خلق الدنيا إلى عشرة أجزاء خصص تسعة منها لمدينة القدس. ومن لم يرَ القدس لم يرَ شيئًا جميلًا في حياته. المقدسي كما القدس هو جميل وصاحب حكمة. من يعيش في القدس سيُعفَى عنه مرتين في اليوم.[٣٣]

وبسبب اختيار الإله هذه المدينة لنفسه فإن الأبدية والبركة ستكون في هذه المدينة.[٣٤] والقدس هي المركز المباشر لمخاطبة الإله لأن الصندوق موجود في المعبد الكائن في القدس. والقدس هي القبلة التي يتجه إليها اليهود جميعًا في عباداتهم.[٣٥] والقدس هي أيضًا مكان الحج قبل هدم المعبد حيث إن ذكور اليهود كانوا يذهبون لزيارتها في الأعياد السنوية الثلاثة (الفصح والأسابيع والمظلة) ويقربون الأضاحي فيها.[٣٦]

ولإحياء القدس في ذاكرة العرف اليهودي تم ربط الصوم بشكل عام بمدينة القدس. وتم إحداث أيام للصوم مرتبطة بالقدس منها صوم «العاشر من تيفيت» وصوم السابع عشر من تموز/يوليو بمناسبة محاصرة ملك بابل نبوخذنصر لمدينة القدس، وصوم تسعة آف بمناسبة هدم المعبد (تشعا بي آف) وصوم خمسة عشر آف بمناسبة يوم انطفاء نار المعبد بعد الهدم.[٣٧]

[٢٧] İbn Ezra, 1: 167; RaMBaN, 1: 331.
[٢٨] “Jerusalem in Aggadah”, EJd2, 11: 212.
[٢٩] Bâbil Talmudu, Yoma 54b; “Jerusalem in Aggadah”, EJd2, 11: 212; Hasanoğlu, “Yahudilikte Kudüs Algısı”, 18; Aydın, “Yahudiler/Yahudilik Açısından Kudüs”, 114-115.
[٣٠] التجلي الربوبي. أي إمكانية رؤية الوجود الإلهي في الدنيا. يُسمَّى هذا التجلي في التاريخ اليهودي «شهينا». وهو «الوجود المقدس للرب»، و»شرف الرب وشأنه»، ويرمز إلى «الوجود الروحاني» لا «الوجود الجسماني» للرب في الأرض. خشي اليهود من تشبيه الرب بصفة إنسانية، لذلك وضعوا هذه الفكرة الكلامية. وعزة الرب ليست في مكان محدد، بل في كل مكان فيه بنو إسرائيل. ويشير القرآن إلى العلاقة بين صندوق العهد و»شهينا» (التي وردت باسم السكينة في القرآن). انظر: البقرة، ٢/٢٤٦-٢٤٨. للاستزادة في موضوع «شهينا» انظر:
Urbach, The Sages, Their Concepts and Beliefs, (Hebrew University Magnes Press: 1979), 37-65; Kaçan, Kitab-ı Mukaddes ve İslâm Geleneğinde Ahid Sandığı, (İstanbul: Ataç Yayınları, 2004), 38-40.
[31] “Jerusalem in Aggadah”, Encyclopedia Judaica, 21:213; Yiğitoğlu, “Yahudilerin Tapınak Siyaseti ve Semavi Mâbed”, Türkiye İlahiyat Araştırmaları Dergisi, I:1 (2017): 48-49.
[32] “Jerusalem in Aggadah”, Encyclopedia Judaica, 21: 211-213; Aydın, “Yahudiler/ Yahudilik Açısından Kudüs”, 116.
[33] Bâbil Talmudu, Kiduşin 49b; Bâbil Talmudu, Suka 51b; “Jerusalem in Aggadah”, Encyclopedia Judaica, 11:212; Hasanoğlu, “Yahudilikte Kudüs Algısı”, 18.
[34] Mezmurlar 132/13-14.
[35] I. Krallar 8/48; Bâbil Talmudu, Berahot 30a.
[36] Çıkış 23/14-17; 34/23; Levililer 23/7; Tesniye 16/16-17; II. Tarihler 8/13.
[37] Rosenthal, “The Four Commemorative Fast Days”, Seventy-Fifth Anniversary Volume of the Jewish Quartely

تـم تحويـل إحيـاء الذكـرى إلـى عقيـدة حيـث ربطـت التراتيـل المقـروءة فـي الأيـام الخاصـة كعيـد الفصـح وعيـد الكفـارة (يـوم كيبـور) بأنشـودة «السـنة القادمـة فـي القـدس»، وهـذا الربـط انعكـس علـى الأدعيـة اليوميـة أيضًـا. علـى سـبيل المثـال تـم تخصيـص القسـم الرابـع عشـر مـن دعـاء (القيـام فـي الصـلاة) بشـكل كامـل للقـدس. هـذا القسـم يبـدأ بكلمـات» لتبنـى القـدس مـن جديـد، مدينـة الرحمـة...» وينتهـي بكلمـات « لـك الثنـاء يـا إلهـي يـا بانـي القـدس». وبهـذا الشـكل بـدأت عمليـة إحيـاء فكـرة القـدس بشـكل دائـم فـي الأدعيـة اليوميـة أيضًـا.

وعلـى المنـوال نفسـه تـم تجديـد أمـل القـدس لـدى الجماعـات اليهوديـة مـن خـلال إضافـة دعـاء (sos tasis) مـن أجـل بنـاء مدينـة القـدس مـن جديـد (Birkat hatanim) (Şiv'a Berahot) فـي دعـاء المباركـة للعـرس المكـون مـن سـبعة أقسـام. واختتـام رجـال الديـن اليهـود فـي العصـور الوسـطى لفتاويهـم بدعـاء «ليـرزق الـرب اليهـود إنشـاء المعبـد عاجـلًا، آميـن» . وهكـذا تـم تجديـد أمـل القـدس لـدى الجماعـات اليهوديـة مـن خـلال تخصيـص القسـم الأخيـر مـن الدعـاء للقـدس.

احتلـت القـدس مكانـة مهمـة فـي الاعتقـاد اليهـودي بالآخـرة. فمدينـة القـدس هـي المدينـة التـي سيجمـع فيهـا المسـيح عنـد قدومـه جميـع اليهـود المشـردين فـي المنفـى. ولهـذا سـتبنى القـدس مـن جديـد فـي المسـتقبل والشـعوب سـتجتمع فـي القـدس. بعـد أن تبنـى مجـددًا سيسـكن الإلـه صهيـون فيهـا وستتحـول إلـى مقـر الإلـه مـن جديـد إلـى أبـد الأبديـن. ولهـذا السـبب الإلـه هـو بانـي القـدس مجـددًا (Bone Yeruşalayim) وسـاكنه أيضًـا. Şohen Yeruşalayim وحسـب المعتقـدات اليهوديـة أيضًـا فـإن القـدس سـتكون مـكان الحشـر والحسـاب بعـد إحيـاء الموتـى يـوم القيامـة. لذلـك القـدس هـي بمثابـة البـاب إلـى الجنـة أو إلـى جهنـم. وفيمـا يتعلـق بالأمـور الخاصـة بالآخـرة فإنـه مـن المهـم المـوت فـي القـدس والدفـن فيهـا لكـي يسـهل الحسـاب، فهـي مـكان مهـم لخـلاص الإنسـان فـي العالـم الآخـر.

[38] S Gürkan, Yahudilik, İstanbul 2012, 128; Hasanoğlu, "Yahudilikte Kudüs Algısı", 19.
[39] Bâbil Talmudu, Ketubot 8a; Bloch, The Biblical and Historical Background of Jewish Customs and Ceremonies, (New York: Ktav Publishing House), 1980, 35.
[40] Agus, "Teşuvot Geone Erets Yisrael u-Bavel", Horev 12 (1956-57): 200.
[41] Yeremya 3/17; Hezekiel 40 vd. baplar; 43/7-9; Zekeriya 1/16-17.
[42] Hasanoğlu, "Yahudilikte Kudüs Algısı", 18-19.
[43] Aydın, "Yahudiler/ Yahudilik Açısından Kudüs", 119-120.

المراجع باللغات الأخرى

Agus, A. Yitshak. "Teşuvot Geone Erets Yisrael u-Bavel". Horev. 12 (1956-57): 194-216.
Ahituv, Shmuel. "Canaan, Land of", The Oxford Dictionary of the Jewish. Ed Werblowsky-Wigoder. USA: Oxford University Press, 146-147.
Armstrong, Karen. "The Holiness of Jerusalem: Asset or Burden". Journal of Palestine Studies 27 (1998/3), 5-19.
Avi-Yonah, Michael -Shimon Gibson. "Jerusalem: History". EJd2. 11: 144-147.
Aydın, Fuat. "Yahudiler/ Yahudilik Açısından Kudüs", Eski Yeni: Anadolu İlahiyat Akademisi Araştırma Dergisi 37 (2018): 109-125.
Bloch, Abraham P. The Biblical and Historical Background of Jewish Customs and Ceremonies. New York: Ktav Publishing House, 1980.
Cline, Eric H. Jerusalem Beseiged: from Ancient Canaan to Modern Israel. Michigan: University of Michigan Press, 2005.
Easton, Matthew George. Illustrated Bible Dictionary. New York: Harper & Bros., 1893.
Encyclopedia Judaica [EJd2]. 17 Volumes. Ed. Fred Skolnik, Jerusalem: Keter Publishing House, 2007.
Gafni, Yeşayahu. "Maamado şel Erets Yisrael ba-Todaa ha-Yehudit be-Ikvut Mered Bar Kohba". Mered Bar Kohba: Mahkarim Hadaşim. Ed A. Openheymer-A. Rapaport. Kudüs: Yad Yitshak Ben Tsvi, 1984: 224-232.
Gruenwald, Ithamar. "Melchizedek". EJd2. 14: 11.
Günaltay, Şemseddin. Suriye ve Filistin- Yakın Şark III. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1947.
Günaltay, Şemseddin. Yakın Şark Elâm ve Mezopotamya. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1987.
Harman, Ömer Faruk. "Kudüs". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 36:323-327. İstanbul: TDV Yayınları, 2002.
Hasanoğlu, Eldar. "Tanah'a Göre Kudüs'ün Kutsallaşması Süreci". Uludağ Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi 14/2 (2015): 125-148.
Hasanoğlu, Eldar. "Yahudilikte Kudüs Algısı". Geçmişten Günümüze Kudüs. Ed. Ahmet Kavas & Oth. İstanbul: Ümraniye Belediyesi Kültür Yayınları, 2019: 13-21.
Herr, Moshe David. "Fasting and Fasting Days". EJd2. 6: 721-723.
İbn Ezra, Avraham ben Meir. (Ibn Ezra's) Commentary on the Pentateuch: Genesis, Exodus, Numbers & Deuteronomy. 5 Volumes. (Notlarla İngilizce'ye) H.N. Strickman-A.M. Silver. New York: Menorah Publishing Company. 1988-2001.
"Jerusalem in Aggadah". EJd2.11: 211-213.
Kaçan, Lütfi. Kitab-ı Mukaddes ve İslâm Geleneğinde Ahid Sandığı. İstanbul: Ataç Yayınları, 2004.
Kollek, Teddy-Pearlman. Moshe, Jerusalem, Sacred of Mankind: a History of Centuries. Kudüs: Weidenfeld & Nicolson1968.
Nir, Rivka. Yeruşalayim le-Doroteya I: me-İr Yevusit le-Birat am Yisrael. Raanana: ha-Universita ha-Petuha,1984.
Norman, K. Gottwald. "Amorites". EJd2. 2: 95-96.
RaMBaN (Nahmanides: Moses ben Nahman). The Torah Commentary. 6 Volumes. Ed. Avrohom Biderman. (İbranice metin ve notlarla İngilizce'ye) Yaakov Blinder & Oth. New York: ArtScroll series Mesorah Publications, 2004-2006
Rosenthal, Franz. "The Four Commemorative Fast Days". Seventy-Fifth Anniversary Volume of the Jewish Quartely Review. Ed. Abraham A. Neuman-Solomon Zeitlin. Philadelphia: Jewish Quarterly Review, 1967: 446-459.
RoŞ (Yakov ben Aşer ben Yehiel). Tur on the Torah: Commentary on the Torah. (Notlarla İngilizce'ye) Eliyahu Munk. Jerusalem-New York: Lambda Publishers, 2005.
Safray, Zeev-Hanna. "Keduşat Erets Yisrael ve Yeruşalayim: Kavim le-Hitpathuto şel ha-Raayon". Yahudim ve Yahadut be-Yeme Bet Şeni, ha-Mişna ve ha-Talmud. Ed. Aharon Oppenhaimer & Oth. Kudüs: Yad Yitzhak Ben Tsvi, 1993.
Shepherd, Thomas J. The Westminster Bible Dictionary. Philadelphia: Presbyterian Board of Publication, 1880.
Singer, Isidore -Kaufmann Kohler. "Melchizedek". JE. 8: 450.
The Jewish Encyclopedia (JE). 12 Volumes. Funk Wagnalls Company: 1901-1905.
Urbach, Efraim Elimelech. The Sages, Their Concepts and Beliefs. Hebrew University, Magnes Press, 1979.
Watson, C. M. The Story of Jerusalem. London-New York: J.M. Dent and Co., 1918.
Yiğitoğlu, Mustafa. "Yahudilerin Tapınak Siyaseti ve Semavi Mâbed". Türkiye İlahiyat Araştırmaları Dergisi I: 1 (2017): 43-52

القدس في المسيحية

إسماعيل طاشبنار*

لسيدنا عيسى مكانة مركزية في الديانة المسيحية التي تعرف عن نفسها بأنها استمرارية لليهودية. وحسب الديانة المسيحية فإن المسيح المنتظر في آخر الزمان تحقق في شخصية سيدنا عيسى. وعليه فإن شخصية المسيح وبشرى الخلاص من الخطيئة الأصلية التي أتى بها أضعفت الاعتقاد بالشعب المختار وبالأرض المقدسة الموعودة بما فيها القدس. ولهذا السبب- وكما هو الحال في كل اعتقاد وأساس في المسيحية- تم ربط قدسية القدس بحياة عيسى المسيح فيها. ومع هدم مسجد سليمان في العام ٧٠م حلَّ اعتقاد «القدس السماوية» مكان الأرض المقدسة ومركزها القدس التي في الأرض.[1] ولكن بعض الأماكن في القدس التي يعتقد بأن عيسى المسيح عاش فيها؛ ابن الإله الأب الذي نزل إلى الأرض بهيئة بشر، يعني الأماكن التي ولد وبلغ رسالته وصلب على الصليب ودفن فيها، اعتبرت أماكن مقدسة ومركزًا للحج في المسيحية. أدى سيدنا عيسى وظيفة التبليغ في منطقة جليلة في شمال فلسطين. وعند الأخذ بعين الاعتبار هذه الحالة فإن نشاطات سيدنا عيسى المتعلقة بالقدس قد تشكَّلت بشكل خاص في الأيام الأخيرة من حياته.[2] ومدينة القدس هي مدينة مهمة وتمتلك أماكن تستحق الزيارة ليس بسبب سيدنا عيسى فقط بل بسبب احتضانها قبور الشخصيات المهمة والقديسين الذين عاصروا سيدنا عيسى. وقبر سيدتنا «مريم»، التي «ولدت الإله» وأتت بسيدنا عيسى وهي عذراء، في مدينة القدس. هذا المكان هو من أكثر الأماكن زيارة من قبل المسيحيين.

تعد السيدة مريم أهم شخصية بعد سيدنا عيسى في المسيحية. والقدس هي المدينة التي ولدت السيدة مريم فيها وقدست، حسب الروايات المذكورة في المصادر المسيحية ذُهب بسيدتنا مريم وهي طفلة صغيرة إلى مسجد سليمان وأدت يمين العذرية. وانزوت في المسجد ووهبت نفسها للإله وعكفت على العبادة ليل نهار. وفي كل يوم يزورها مَلَك ويجلب لها العديد من الأطعمة. اختيار سيدتنا مريم لهذا النمط من الحياة سيكون أحد الأعمدة التي تستند إليها مؤسسة الرهبانية. وحسب المصادر المسيحية أيضًا انتقلت سيدتنا مريم مع طفلها، حيث كانت تعيش مع خطيبها يوسف في الناصرة، إلى القدس بعد ولادة سيدنا عيسى بأربعين يومًا وقدمت أضحية فيها. تقوم سيدتنا مريم برفقة سيدنا عيسى- الذي كان عمره حينها ١٢ سنة وهو سن التكليف- بالذهاب إلى القدس بمناسبة عيد الفصح وزيارة معبد سليمان. هنا يدخل سيدنا عيسى في نقاش مع رجال الدين اليهود ويوقعهم بإجاباته في الحيرة. هذه الحادثة حسب المعتقدات المسيحية هي إشارة إلى كون سيدنا عيسى هو المسيح المنتظر.

* الأستاذ د. إسماعيل طاشبنار، مدير معهد العلوم الاجتماعية في جامعة مرمرة وعضو الهيئة التدريسية في قسم تاريخ الأديان في كلية الإلهيات بجامعة مرمرة.
itaspinar@marmara.edu.tr

[1] Behnan Özbek, Kutsal Kitap Sözlüğü, (İstanbul: 2016), 833-839.

[2] Dominique Trimbur., 'Jérusalem', Le Monde du Catholicisme, (Paris: 2017), 683-685.

كنيسة القيامة / مدخل كنيسة كامامي وداخلها (أرشيف ١٧٧)

أما المعنى الآخر لهذا الحادثة التي وقعت في معبد القدس بالنسبة للمسيحيين هي انتهاء اليهودية. ومنذ تلك اللحظة بدأت فترة جديدة تسمى المسيحية. لأن المسيح المنتظر في القدس من قبل اليهود قد أتى.[3]

يوحنا الذي يُعتقد بأنه كاتب الإنجيل الرابع والذي استأمنه سيدنا عيسى على أمه مريم كان حواريًا يقيم في القدس. وتنقل المصادر المسيحية بأن سيدتنا مريم قد توفيت قي القدس عن عمر يناهز التسعين عامًا. وعليه ورد في كتاب «Transitus Mariae» الذي يعني «انتقال سيدتنا مريم من هذه الدنيا» بأن سيدتنا مريم تدعو وهي في حالة حزن على وفاة سيدنا عيسى وتسلم روحها في القدس. وبعد مراسم الجنازة يدفن الحواريون جسدها في قبر يقع بين يما يعرف اليوم بالحرم الشريف وجبل الزيتون في وادي يهوشافاط أو ما يعرف بوادي قدرون. يُعتقد اليوم بأن قبرها موجود في كنيسة العذراء التي يوصل إليها بعد نزول ستين درجة. بينما تروي المصادر بأن هذا المكان قد ظهر بمبادرة من الإمبراطورة بولشيري في القرن الخامس الميلادي. وتروي الحكايات أن الحُجاج المسيحيين بدؤوا زيارة هذا المكان اعتبارًا من القرن الخامس. ونظرًا لاعتقاد المسيحيين بأن جسد سيدتنا مريم قد رفع إلى السماء فإن القبر المذكور في يومنا هذا فارغ. وكطقس من الطقوس القديمة يتم في هذا المكان إشعال البخور في ساعات محددة من اليوم للاعتقاد بأنها تطرد الأرواح الشريرة. الغريب في الموضوع أنه على الرغم من إشارة المصادر إلى وفاة سيدتنا مريم في القدس إلا أن المعلومات التي تتحدث عن إقامة سيدتنا مريم في أواخر عمرها مع الحواري يوحنا في أفس (Efes) ستكون سببًا لظهور الشبهات حول مكان وفاة سيدتنا مريم. كما يوجد بناءان مختلفان في القدس يعتقد بأن سيدتنا مريم قد توفيت ودفنت فيها. وتعتبر كنيسة الصعود (Assomption) التابعة للكاثوليك بأن سيدتنا مريم لم تمت في الحقيقة بل رفعت جسدًا وروحًا إلى عند الإله.[4] أما المبنى الثاني السالف الذكر في قصة وفاة سيدتنا مريم فإنه يعبر عن العقيدة الأرثوذكسية وكما هو المعتقد لدى جميع المسيحيين في أن السيدة مريم قد دخلت في سبات الموت وعادت إلى الله. هذا القبر يقع داخل دير بُني في مكان هذه الحادثة. ومع هذا فإن الاعتقاد السائد هو أن قبر سيدتنا مريم في مدينة القدس.[5]

وفي المقبرة المعروفة في وادي قدرون بمقبرة القدس يقع إلى جانب قبر سيدتنا مريم قبر يعقوب أخو عيسى المسيح الذي يعتبر من الشخصيات المهمة في التاريخ المسيحي وقبر أم سيدتنا مريم آنّا (/Anne Anna) وأبوها عمران (Joachim) وقبر والد سيدنا يحيى سيدنا زكريا وقبر العزيز يوسف الذي يُعتقد بأنه خطيب سيدتنا مريم.

الغرفة التي يعتقد أنها شهدت تناول طعام العشاء الأخير في القدس تقع في الطابق الأعلى من مكان تواجد قبر سيدنا داوود. أما تعيين مكان قبر سيدنا داوود ومكان تناول العشاء الأخير فقد تم في فترة الصليبيين في القرن الثاني عشر حيث انتشرت رواية تخالطها الأساطير حول ذلك. هذا المكان كان سببًا لظهور الخلافات والادعاءات بالأحقية لسنوات طويلة بين اليهود والمسيحيين.

قام السلطان سليمان القانوني بالتدخل وتحويل المكان إلى جامع. ولكن هذا المكان في يومنا هذا فقد صفته على الرغم من تصميمه المعماري الخاص بالجوامع والآيات المكتوبة على جدرانها، وتحول إلى مكان يُزار من قبل المسيحيين واليهود والمسلمين أيضًا.[6]

وفي محكمة اليهود في سنهندرين حُكم على سيدنا عيسى بالموت لأنه اعترف خلال استجوابه بأنه المسيح. وتبلغ المحكمة حاكم روما بيلاطس البنطي بحكمها. وتُعرف كنيسة القيامة أيضًا في أيامنا هذه باسم «كنيسة القبر المقدس» الذي تم بناؤه في فترة الصليبيين. من طقوس الحج المهمة لدى المسيحية

[3] Trimbur., 'Jérusalem', 683-685.
[4] İsmail Taşpınar, "Katolik Assomptionistler Tarikatı ve Türkiye", Sakarya Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, 10/2004, 95-120.
[5] E. Aman, 'Église de Jérusalem', Dictionnaire de Théologie Catholique, Ed: A. Vacant, 8: 1010.
[6] Pelin Çift – Ö. Faruk Harman, Kudüs'ün Gizemli Tarihi, (İstanbul: 2016), 79-130.

قطع الحجاج المسيحيين درب الآلام والوقوف في كل مرحلة، وقراءة الآيات من الإنجيل، والإحساس بالألم الذي عاشه عيسى المسيح. بعض الحجاج المسيحيين يقومون بحمل الصليب على ظهورهم أثناء قطعهم الطريق المكون من أربعة عشر مرحلة مع استشعار الألم الذي عانى منه عيسى المسيح. والمواقف الخمسة الأخيرة من طريق الألم هذا يقع داخل كنيسة القيامة التي تعتبر أقدس مكان في العالم المسيحي.

القدس أيضًا هي المكان الذي شهد انعقاد مجمع كنسي للحواريين وهو ما يُعتقد بأنه أول مجمع كنسي في تاريخ المجمعات الكنسية. تم في مجمع القدس هذا مناقشة واتخاذ قرارات تتعلق بالمعتقدات الأساسية للمسيحية والمسؤوليات الدينية لغير اليهود. القدس التي شهدت المراحل الأخيرة من حياة سيدنا عيسى اعتُبرَت أقدس أرض بالنسبة للمسيحيين. والمسلمين الذين يؤمنون بسيدنا عيسى نبيًا وبسيدتنا مريم على أنها مقربة من الله، يعتقدون ضمن إطار معتقداتهم بأن الأماكن المقدسة التي عاش فيها سيدنا زكريا وزوجته والحواريون هي ذكرى معنوية لهم.

وحسب المصادر المسيحية، فإن جماعة المقدس حافظت على وجودها بعد سيدنا عيسى لسنوات طويلة تحت قيادة يعقوب أخو سيدنا عيسى (وفاة ٦٥). وكما ذُكر في العهد الجديد كتاب المسيحية المقدس أن يعقوب دافع بشدة من أجل بقاء الجماعة المقدسية مرتبطة بالشريعة. ولأجل هذا الأمر دخل في كفاح طويل مع بولس. ولهذا السبب حافظت المسيحية المقدسية المبكرة على وجودها تحت مسميات مختلفة تحت قيادة يعقوب كجماعة موحدة مرتبطة بالشريعة لسنوات طويلة. وفي هذا السياق كانت جماعة القدس التي دافعت عن الميراث اليهودي هي العقيدة التي تمثل البعد عن المسيحية المستندة إلى الاعتقاد الذي عمل بولس على ربطها بالثقافة الهيلينية والرومانية والقائلة بأن «المسيح الذي ضحى بنفسه من أجل العفو عن الخطيئة الأصلية للإنسانية». وبالإضافة إلى هذا أيضًا أصدر الرومان في عام ٣٥ قرارًا بمطاردة واعتقال الجماعة المسيحية الجديدة. وسيكون هذا الأمر لاحقًا سببًا لترك الجماعة والالتزام بالشريعة إلى تبني الثقافة الهيلينية بدلًا من الالتزام بالشريعة والثقافة اليهودية، وسببًا لترك القدس.[7]

ومع مرسوم ميلان الذي أصدره إمبراطور الرومان قسطنطين عام ٣١٣ اكتسب وجود المسيحيين في القدس الشرعية. وفي فترة الرومان دافع الوثنيون الذين انتقلوا إلى المسيحية عن الميراث القديم لليهود-المسيحيين الأوائل. وفي عام ٣٣٥ وبعد أداء والدة الإمبراطور قسطنطين الإمبراطورة هيلينا عبادة الحج في القدس تحولت كنيسة القيامة وتل الصليب الذي يُعتقد بأن سيدنا عيسى قد صلب فيها إلى أماكن مقدسة.

وعثرت الإمبراطورة هيلينا على قطع الخشب التي يُعتقد بأنها من بقايا الصليب. وتحولت مدينة القدس من جديد- التي فقدت أهميتها السياسية لمجاورتها مدينة قيصارية الساحلية سابقًا- إلى مركز معنوي للديانة المسيحية تقام فيها عبادة الحج.[8]

وفي الفترة التي شهدت المسيحية فيها انقسامات عام ٤٥٥ شيدت الإمبراطورة ثيودورا ديرَ سانت إتيان في القدس، وتوفيت لاحقًا فيها. أما في عهد الامبراطور جستينيان (٥٦٥-٥٢٧) فقد تم إنشاء العديد من الأبنية الدينية منها الكنيسة الجديدة التي نذرت لسيدتنا مريم. وفي المجمع الكنسي الذي أقيم في إزنيك في عام ٣٢٥ تقرر إعطاء مدينة القدس الحق في الأولوية في البرتوكول بين رئاسة الأساقفة. وبدأت مدينة القدس باستخدام اسم البطريركة اعتبارًا من القرن السادس. حسب المسيحيين فإن الأسقفية في القدس بدأت مع يعقوب أخو سيدنا عيسى ويواظب عليها اليوم بطريرك الروم الأرثوذكس.[9]

ومع الحملات الصليبية التي ترأستها البابوية في العصور الوسطى وقعت القدس عام ١٠٩٩ تحت احتلال المسيحيين الغربيين. وفي فترة الصليبيين

[7] Philippe Blaudeau, 'Jérusalem', Christianisme, (Paris: 2010), 312-314.
[8] İsmail Taşpınar, 'Yahudilik ve Hıristiyanlık'ta Kudüs', Kudüs, Tarih, Şehir Toplum, Ed.: Yunus Çolak-Latif Karagöz, (İstanbul: 2019), 1-16.
[9] E. Aman, 'Église de Jérusalem', Dictionnaire de Théologie Catholique, Ed.: A. Vacant, 8: 1010.

أُسست البطركية اللاتينية لتحل محل البطركية الأرثوذكسية. ولكن ومع فتح المسلمين لمدينة القدس عام ١١٨٧ نُقلت البطريركية اللاتينية إلى مدينة عكا التي كانت مقرًا لفرسان سانت جان. وفي عام ١٢٩١ ومع فتح المماليك لمدينة عكا تم نقل البطريركية اللاتينية المقدسية من عكا إلى روما. ومع إخراج الصليبيين من القدس توقفت زيارات الحج التي بدأت في القرن الرابع. ثم عادت فيما بعد رحلات الحج للمسيحيين الأوروبيين إلى القدس في القرن التاسع عشر من خلال بعض الرحالة.[10]

وإلى جانب البطركية اللاتينية في القدس كان هناك أيضًا البطركية اليونانية والأرمنية. كان مركز البطركية الأرمنية في دير سان جاك. وأعطيت هذه الكنائس الثلاثة حصريًا صلاحية إجراء قداس في كنيسة القيامة المقدسة. ومُثلّت الكنيسة اليعقوبية المحلية بأسقف واحد. أما المسيحيون الأقباط فقد أظهروا رغبتهم في أداء زيارات عبادة الحج إلى القدس اعتبارًا من العصور الأولى. وأسسوا جماعة دينية وامتلكوا كنيسة في القدس اعتبارًا من القرن التاسع عشر. وبدأوا اعتبارًا من القرن الثاني عشر باستخدام دير سانت ماري مادلين بشكل مشترك مع اليعقوبيين. وهذا المكان اليوم تحول إلى مدرسة القادسية للبنات. وتم تمثيل الكنيسة القبطية اعتبارًا من تاريخ ١٢٣٦ بمستوى رئيس أساقفة. هذا الأمر أدى لحدوث بعض النقاشات بينهم وبين السريانيين الذين يؤيدون أن يبقى الأقباط تحت ولايتهم. وكان للأقباط أيضًا كما للسريانيين مصلى خاص بهم في كنيسة القيامة المقدسة. وبعد الأقباط في العصور الوسطى مُثِّلت الكنيسة الأثيوبية أيضًا في القدس. ولكن الكنيسة الأثيوبية انفصلت عن الكنيسة القبطية عام ١٨٢٠ وامتلكت ديرًا خاصًا بهم تحت قبة مصلى القديسة هيلانة. ونظرًا لفقدان الكنيسة الجورجية والنسطورية لمكانتهم التي كانوا يتمتعون بها مسبقًا في القدس لم يبق لهم اليوم ممثليات. وفي يومنا هذا لدى المسيحيين ٥٦ كنيسة قديمة.[11]

[10] Ahmet Türkan, “Başlangıçtan Günümüze Kudüs Latin Patrikliği”, Milel ve Nihal, 10/2, (2013), 29-61.
[11] J. Assfalg – P. Krüger, Petit Dictionnaire de l’Orient Chrétien /: J. Longton, Belgique: 1991.

المراجع باللغات الأخرى

Aman, E. “Église de Jérusalem” Dictionnaire de Théologie Catholique Ed. A. Vacant.8: 1010.
Assfalg, J. -P. Krüger. Petit Dictionnaire de l’Orient Chrétien / J. Longton Belgique: 1991.
Balard, Michel. “Jérusalem” Dictionnaire du Moyen Âge. Paris: 2002.
Blaudeau, Philippe “Jérusalem”. Christianisme. Paris: 2010: 312- 314.
Çift, Pelin, –Ö. Faruk Harman. Kudüs’ün Gizemli Tarihi. İstanbul: 2016.
Özbek, Behnan. Kutsal Kitap Sözlüğü. İstanbul: 2016.
Taşpınar, İsmail. “Yahudilik ve Hıristiyanlık’ta Kudüs”. Kudüs, Tarih, Şehir Toplum. Ed.Yunus Çolak-Latif Karagöz. İstanbul: 2019: 1-16.
Taşpınar, İsmail. “Katolik Assomptionistler Tarikatı ve Türkiye”. Sakarya Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi. 10. (2004): 95-120.
Trimbur, Dominique. “Jérusalem”. Le Monde du Catholicisme. Paris: 2017:683-685.
Türkan, Ahmet. “Başlangıçtan Günümüze Kudüs Latin Patrikliği”.
Milel ve Nihal. 10/2, (2013): 29-61.

القدس وأهميتها في الإسلام

* ألدار حسن أوغلو

مقدمة

يعدُّ الإسلامُ- مثل اليهودية والمسيحية- القدسَ مدينة مقدَّسة. وتحتل قدسية هذه المدينة مكانة في ذاكرة المسلمين من عصر النبي صلى الله عليه وسلم. فقد وردت إشارات كثيرة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة إلى القدس التي كانت أول قبلة للمسلمين ومحطةً في معجزة الإسراء والمعراج. ولم يستطع علماء المسلمين أن يُحصوا فضائل هذه المدينة انطلاقًا مما ورد في الكتاب والسُّنَّة، وفي هذا الإطار وُضِعَت كتب تذكر فضائل القدس، وأُلِّفَت مؤلفات تتحدث عن أهميتها. وقد سُمِّيَ هذا النوع من الكتب باسم «فضائل القدس» في المصادر الإسلامية. وإذا علمنا أن أول كتاب وُضِعَ في فضائل القدس كان كتاب (فتوح بيت المقدس) لإسحاق بن بشر البخاري (ت: ٢٠٦/٨٢١)، فيظهر لنا أنه قد وُضِعَت مؤلفات في هذا الموضوع في مرحلة مبكرة من التاريخ الإسلامي. وإنما ذلك أوضح دليل على مكانة القدس لدى المسلمين.

وردت أسماء كثيرة للقدس في المراجع الإسلامية في مرحلة مبكرة، فالزركشي (ت: ٧٩٤/١٣٩٢) مثلًا ذكرَ ١٧ اسمًا للمدينة.[١] من أشهر هذه الأسماء: إيلياء، والمسجد الأقصى، وبيت المقدس. فأما اسم «إيلياء» فهو تعريب لاسم المدينة «إيليا» (كابتولينا) في العهد البيزنطي. وأما «المسجد الأقصى» فهو اسم وردَ في القرآن الكريم لدى ذكر معجزة الإسراء والمعراج، وقد اشُتهِرت المدينة بهذا الاسم بين المسلمين لوروده في القرآن الكريم. وأما اسم «بيت المقدس» فمشتق من اسم «بيت ها مقداش» الذي كان يُطلَق على الهيكل الذي بناه سيدنا سليمان عليه السلام. وقد استعمل المحدِّثون الأوائل والمفسِّرون وعلماء التاريخ والجغرافيا هذه الأسماء الثلاثة معًا أو منفصلة في مؤلفاتهم. فابن إسحاق (ت: ١٥١/٧٦٨) مثلًا حينما ذكر حادثة الإسراء والمعراج، قال: «من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس من إيلياء».[٢] وكرَّر ابن هشام (ت: ٢١٨/٨٣٣) العبارةَ نفسها».[٣] أما البلاذري (ت: ٢٧٩/٨٩٢) فذكرَ الاسمين معًا قائلًا: «إيلياء مدينة بيت المقدس».[٤] وأما الطبري فوضَّح اسم «أورشليم» باستعمال اسم «إيلياء» إذ قال: «أورشليم وهي إيلياء بيت المقدس»،[٥] وهذا دليل على أن اسم إيلياء كان الأشهر. ولم يُستعَمل الاسم الأشهر للمدينة وهو «القدس» مفردًا بل مع صفة دلالةً على قدسية المدينة، فكان يُقال عنها «القدس الشريف».

[١] أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، الطبعة الخامسة، تحقيق: الشيخ مصطفى المراغي، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠/١٩٩٩)، ٢٧٧-٢٧٩.

[٢] محمد المدني ابن اسحاق، السير والمغازي، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨/١٩٧٨)، ٢٩٥.

[٣] عبد الملك الحميري ابن هشام، السيرة النبوية، الطبعة الثانية، تحقيق: هيئة، (مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥/١٩٥٥)، ٢: ٣٢.

[٤] أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨)، ١٤٠.

[٥] محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الطبعة الثانية، (بيروت: دار التراث، ١٣٨٧)، ١: ٦٠٣.

الحرم الشريف/المسجد الأقصى (أرشيف iYV)

عرَّف القرآن الكريم القدس على أنه مكان مقدَّس قد بُورِك ما حوله. وثمة إشارات كثيرة في الآيات الكريمة إلى القدس وإنْ لم يرد لفظها. وقد بلغَ مجموع عدد الآيات التي تشير إلى القدس نحوًا من ٧٠، ووردَ ذكرها في ٢١ سورة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ويرى المفسرون أنه ثمة آية صريحة تشير إلى القدس مباشرة، أما الآيات الأخرى فهي تلمِّح إلى المدينة. وتبيِّن الآيات المكية لدى ذكرها القدس أن هذه المدينة مكان مبارك، ومن اللافت أن الآيات المدنية تؤكد على قدسية القدس، ولعل ذلك كان لخلق جو من الحوار مع يهود المدينة المنورة.

والآية التي تشير إلى القدس صراحةً الآيةُ الأولى من سورة الإسراء التي تذكر معجزة الإسراء والمعراج، إذ قال الله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء، ١/١٧].

ذكرَ فخر الدين الرازي أن المفسرين في الإسلام يُجمِعون على أن (المسجد الأقصى) المذكور في الآية يدل على المسجد الأقصى الموجود في أيامنا في القدس. ويرى المفسرون أن الآية تشير بوضوح إلى المسجد الأقصى في القدس وإنْ لم يُذكَر أي اسم من أسماء القدس المعروفة. ويذكر أكثر علماء الحديث والعلماءُ الذين وضعوا مؤلفات في التاريخ والجغرافية- مثل غيرهم من أوائل المفسرين- أن القدس كانت محطةً في معجزة ليلة الإسراء. ولا بد هنا أن نشير إلى أن القدس لم تكن كما نعهدها اليوم ليلةَ الإسراء، فالقدس صار لها شكلها الحالي لاحقًا، وقد هُدِمَت وعمِرَت مرات كثيرة. وعندما ذكرَ النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمَّ الأنبياء، لم يذكر أي بناء قائم في المدينة. فالمذكور في الآية ليس البناء بل المكان. وقد بيَّن كثير من المفسرين مثل الطبري (ت: ٣١٠هـ)، والزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، والقاضي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، والنسفي (ت: ٧١٠هـ)، وابن كثير (ت: ٧٧٤)، وألماليلي حمدي يازر (ت: ١٩٤٢م) وغيرهم أن المقصود من المسجد الأقصى إنما هو بيت المقدس، ويرون أن ذلك لا يعني وجود بناء في ذلك المكان. ورأى المفسرون أن عبارة «الذي باركنا حوله» تشير إلى البركة المادية والمعنوية، فالبركة المادية تشير إلى كروم القدس وبساتينها، والبركة المعنوية تشير إلى سكن الأنبياء والصالحين فيها. وثمة مَن يرى أن المسجد الأقصى المذكور في الآية ليس المسجد الموجود اليوم، انطلاقًا من حقيقة أن المسجد الأقصى قد بُنيَ في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وأن المسجد الأقصى كان قبلة للمسلمين في أول عهد الإسلام بدلًا من الكعبة لظروف سياسية، فلا بد من قراءة ما وردَ ي الأحاديث والتفاسير المتعلقة بالقدس من هذا المنظور. وكان صاحب هذا الرأي المستشرق الألماني اليهودي الأصل إجناتس جولد تسيهرن وقد أيَّده بعض من المستشرقين، غير أن مستشرقين آخرين مثل شلومو دوف غوتين وجوزيف هوروفتس و م.ه. شورَّاب قد رفضوا هذا الرأي.

[٦] أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠)، ٢٠: ٢٩٢.

[7] Aşır Örenç, “Kudüs ve Mescid-i Aksa’nın Faziletine Dair Hadisler ve Yorumu”, Türk İslam Medeniyeti Akademik Araştırmalar Dergisi, 11:22 (2016), 141-142.

ودليلٌ آخرُ على عدم صحة هذا الادعاء الأهميةُ التي أولاها المسلمون للقدس في أول عهد الإسلام. فقد كانت القدس مدينة لها مكانة كبيرة بين المسلمين منذ عهد الصحابة الكرام. وكان المسلمون يستقبلون هذه المدينة في صلواتهم لسنوات طويلة. ولمَّا فتحوها، لم يروا فيها مدينة كغيرها من المدن، إذ كانت غايتهم استلامها من غير إرهاق للدماء، حتى إن الخليفة عمر بن الخطاب قد انطلق من المدينة المنورة قاطعًا مسافات طويلة في الصحراء وجاء إلى القدس لهذه الغاية، وكل ذلك دليل على أن القدس كانت مدينة مقدسة لدى الصحابة منذ العهد الأول للإسلام. ومما يدل على قدسية هذه المدينة لدى اليهود أيضًا ذِكرُ بني إسرائيل في أوائل سورة الإسراء.

ومن الأفضل هنا تصنيف الآيات التي تشير إلى القدس وذكر بعض منها بدلًا من ذكرها كلها. ولا بد أن نذكر هنا أنه وإنْ كان هناك مفسرون لا يرون في هذه الآيات إشارةً إلى القدس، إلا أن أغلب العلماء يؤكدون أن هذه الآيات تشير إليها.

تذكر آيات في القرآن الكريم أن القدس مدينة مباركة، ففي سورة الأعراف مثلًا وردَ أن هذه الأرض مباركة أثناء منح بني إسرائيل الأرض الموعودة لصبرهم. وقد ذكرَ الطبري والقرطبي (ت: ٦٧١هـ) والماوردي (ت: ٤٥٠هـ) وأكثر علماء التفسير أن المقصود في هذه الآية القدسُ.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف، ١٣٧/٧].

وفي الآيات التي تذكر الأنبياء في سورة الأنبياء، ذُكِر النبي إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام، وأنه نُجِّيَ إلى الأرض المباركة، إذ قال الله تعالى:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾

[الأنبياء، ٧١/٢١].

وقد ذكرَ المفسرون أن هذه الآية تشير إلى القدس، حتى إن الطبري ذكرَ أن الآية تشير إلى (الحجر المعلَّق) الذي أراد النبي إبراهيم أن يذبح ابنه عليها.[٨] ولمَّا ذُكِرَ النبي سليمان في الآيات التالية، كانت هناك إشارة إلى القدس التي فيها عرشه وهيكله، إذ قال الله تعالى:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا﴾

[الأنبياء، ٨١/٢١].

وتذكر بعض الآيات عن طريق الإشارة أن القدس أرض مقدسة. إذ لما وردَ ذكر النبي موسى وبني إسرائيل وإخراجهم من مصر إلى الأرض الموعودة في سورة المائدة، ذكرت الآية كلمة (الأرض المقدسة). وقد كان للمفسرين آراء مختلفة في المقصود من هذه الأرض، لكن الرازي وابن كثير والمقدسي والنسفي والماوردي والقرطبي وغيرهم رأوا أن المقصود من هذه الأرض هو القدس وما حولها.

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[المائدة، ٢١/٥].

[٨] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠/١٤٢٠)، ١٨: ٤٦٨، ٤٧٠.

ويُفهَم من الآيات التي ذُكِرَت هنا أن قصص الأنبياء المذكورة في القرآن الكريم لها صلة بالقدس انطلاقًا من أن المدينة كانت مدينة الأنبياء. ويشير القرآن الكريم في معرض حديثه عن النبي داوود أنه كان حاكمًا عادلًا [ص، ٣٨/٢١-٢٢]. فالمكان الذي جاءه فيها الخصمان وهو في المحراب هو القدس. ويذكر القرآن الكريم [النمل، ٢٧/٢٠-٤٤] قصة النبي سليمان وملكة سبأ بلقيس. والمكان الذي جرَت فيه أحداث هذه القصة هو القدس. وقد جيءَ بعرش بلقيس بلمح البصر إلى القدس على يد مَن كان له علم رباني. ودعا النبي سليمان بلقيسَ إلى القدس وصنعَ لها صرحًا من قوارير. فأدركت بلقيس أن ما رأته معجزة، فتركت عبادة الأجرام السماوية وآمنَت بالله وحده في القدس. والأحداث المتعلقة بالنبي زكريا أيضًا كانت في القدس، وفيها بُشِّر بابنه النبي يحيى [آل عمران، ٣/٣٩]. أما السيدة مريم التي وهبتها أمها للمعبد فبقيت تعبد الله في محرابها في القدس لسنين طويلة. والمكان الذي كان يرزقها الله تعالى فيه هو القدس [آل عمران، ٣/٣٧]. وإلى القدس أيضًا أشارت الآيات التي ذكرت قصة ولادة النبي عيسى، فقد حملت السيدة مريم بالنبي عيسى معجزةً إلهيةً في القدس. وقد أنطقَ الله تعالى النبي عيسى في مهده في القدس ليشهد على عفة السيدة مريم. وبلَّغ النبي عيسى رسالتَه في القدس وفضحَ فيها الذين يستغلون الدين لمصالحهم. وحاول الذين يريدون إطفاء نور الله أن يكيدوا بالنبي عيسى، وأرادوا أن يصلبوه، إلا أن الله تعالى رفعه، وصلبوا آخر بدلًا منه [النساء، ٤/١٥٧]. ومن الثابت تاريخيًّا أن القدس كانت قبلة المسلمين في أول عهد الإسلام. ولا شك أن آيات تحويل القبلة تشير إلى القدس [البقرة، ٢/١٤٢-١٤٥].

وقد ذكر المفسِّرون آيات كثيرة تشير إلى القدس غير التي ذكرناها هنا، ووضَّحوا وجوه الإشارات فيها.

القدس في الأحاديث وكتب السير

كان لدى النبي صلى الله عليه وسلم شوق كبير للقدس مدينة الأنبياء، ودعا أمته إليها. ولم يبقَ شوقه تمنيًّا ورغبةً، بل كانت له مبادرات تجاه الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تسيطر على أرض فلسطين، وأولها أنه أرسل رسالة للإمبراطور هرقل يدعوه فيها للإسلام. وقد قُتِل رسولُ رسولِ الله الحارث بن عمير الأزدي وهو يحمل الرسالة إلى والي بصرى، فلم تصل الرسالة لصاحبها. ثم بعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالةً ثانية مع دحية الكلبي، فأوصلها لهرقل في القدس. فأراد هرقل أن يعلم أكثر عن هذا النبي والإسلام، فجاء بأبي سفيان الذي كان في قافلة تجارة قرب غزة. وعلِم أبو سفيان الذي كان مشركًا حينئذ ما سينزل عليه من مصائب إنْ عرفوا أنه يكذب، فتكلم بالصدق، وأنصت هرقل لكلام أبي سفيان، وأدرك أن ما ذكره أبو سفيان لا يكون إلا في نبي. ثم أخبر هرقل الذي لم يعارض الإسلام ظاهرًا دحيةَ أنه لن يقبل دعوة الإسلام لأسباب سياسية.

أما المبادرات الأخرى للنبي صلى الله عليه وسلم فكانت ثلاث غزوات في أرض فلسطين بعد أن لم تنجح الطرق الدبلوماسية. فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم جيشًا إلى فلسطين عام ٨ للهجرة، فكانت غزوة مؤتة التي كانت غزوة عسرة، وقد استُشهِد فيها زيد الذي كان النبي قد تبنَّاه في الماضي، وجعفر بن أبي طالب ابن عم النبي، وصحابة آخرون كثر. وخرج جيش المسلمين بعد عام ووصلوا إلى موقع تبوك، وفرض المسلمون الجزيةَ على بعض القبائل التي كانت حول تبوك وفي أرض الشام وفلسطين، فكانت هذه الغزوة البابَ لفتح أرض فلسطين. وكانت مبادرة النبي الأخيرة حين جهَّز جيشًا بقيادة أسامة بن زيد. وكان ذلك بعد عودته من حجة الوداع، وكان قد اهتم بكل تفاصيل تجهيز الجيش، وطلب خروج الجيش من غير أن ينتظروا شفاءه في مرض موته. غير أن بعضًا من الصحابة فهموا أنها أيام النبي الأخيرة، فما أرادوا أن يكونوا بعيدين عنه، فلم ينطلق الجيش. ولمَّا استلم سيدنا أبو بكر رضي الله عنه الخلافة، كان أول عمل له خروج هذا الجيش.

وإلى جانب هذه المبادرات الدبلوماسية والعسكرية، ذكرَ النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث عن القدس مبينًا أهمية هذه المدينة المباركة. ونجد في هذه الأحاديث الشريفة ذكرًا واضحًا لاسم القدس وليس إشارات كما في القرآن الكريم. فقد ذكرَ النبي صلى الله عليه وسلم اسم القدس وبيَّن فضائلها ونبَّه أمته إلى هذه المدينة المباركة. ذكرَ النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث أن القدس من الأماكن التي يُشَدُّ الرحال إليها، وذكرَ زمان بناء المسجد في المدينة، وأهميته وضرورة محافظة المسلمين عليه، وعِظَمَ ثواب الصلاة فيه، ودعا أن يغفر الله ذنوب مَن يعبده فيه. وكانت للقدس أهمية كبيرة في حياة الصحابة الكرام، فقد كانت هذه المدينة قبلة المسلمين لسنوات، وشهدوا حادثة الإسراء والمعراج التي كانت تسلية لهم في أعسر أوقاتهم.

كان المسلمون يستقبلون القدس في صلاتهم في العهد المكي كما ورد في الأحاديث الشريفة وكتب التاريخ. وظلوا كذلك لمدة في المدينة المنورة، ثم جاءهم الأمر الرباني أن يستقبلوا الكعبة. وذكرت المصادر أن تحويل القبلة كان في الشهر ١٦ أو ١٧ أو ١٨ من الهجرة، ومن الواضح أن الفرق بين هذه الأرقام لم يكن كبيرًا. والمهم هنا أن القدس كانت لها مكانة كبيرة لدى الصحابة لأنها كانت قبلتهم الأولى، وبدا ذلك جليًّا أثناء فتحهم هذه المدينة، فالقدس في أعينهم لم تكن قبلتهم السابقة فقط، بل كانوا يدركون أن هذه المدينة تحمل أثرًا من الأنبياء.

أما العامل الآخر لتعظيم الصحابة لمدينة القدس فهو صلة المدينة بمعجزة الإسراء والمعراج. وقد جاءت تفاصيل هذه المعجزة في الأحاديث أكثر من القرآن الكريم. وكانت القدس محطة من محطات معجزة الإسراء التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ربطَ النبي دابته «البراق» في موقع الحرم الشريف اليوم وصلَّى هناك. ثم قدَّم له جبريل عليه السلام بعد الصلاة كأسَين من خمر ولبن، فاختار اللبن وشربه. ثم عُرِجَ به إلى السماء.

[٨] الطبري، تاريخ، ٢: ٦٤٦-٦٥١؛ عبد الرحمن مجير الدين العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، إعداد: محمود علي عطا الله، (عمان: مكتبة دنديس، ١٤٢٠/١٩٩٩)، ١: ٢٠٢.

[١٠] أبو الحسين مسلم ابن الحجاج، صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر من السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ)، «الإيمان»، ٧٤، رقم الحديث: ٢٥٩.

وتذكر رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما وصلَ إلى القدس، استقبله الأنبياء جميعًا، فأمَّهم في الصلاة، ثم عُرِج به.[١١] وذكرَ الطبري أمورًا أخرى عن معجزة الإسراء والمعراج، إذ لمَّا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم مشركي قريش بهذه الحادثة، كذَّبوه وطلبوا منه براهين على ادعائه. فجيء بالقدس أمام عينَي النبي صلى الله عليه وسلم، وصار يصفها، وأخبرهم بخبر قافلة قريش القريبة من القدس.[١٢] فظلت للقدس مكانة عظيمة في قلوب الصحابة الكرام حتى بعد تحويل القبلة لأنها مدينة الأنبياء.

ومن أجل ذلك كان الصحابة حريصين على فتح هذه المدينة المباركة وأخذها من يد البيزنطيين في أقرب وقت، وقد نذر بعض من الصحابة أنهم سيصلون في القدس إنْ فُتِحَت مكة،[١٣] وكان ذلك دليلًا على ثقتهم الكبيرة بفتح القدس، وأن هذه المدينة لم تكن غريبة عليهم بل في نطاق رحلاتهم. حتى إن ثقة الصحابة بفتح القدس في وقت قريب كان واضحًا من أخذ الصحابي تميم الداري وثيقةً مكتوبةً[١٤] من النبي صلى الله عليه وسلم بخصوص إدارة القدس حين تُفتَح للمسلمين. ولمَّا كانت الأيام الأخيرة للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته، حزن الصحابة الكرام لأنهم كانوا يتوقعون فتح القدس في حياة النبي. وتذكر المصادر أنه لمَّا رأى النبي صلى الله عليه وسلم حزنَ الصحابي شداد بن أوس المدفون عند أسوار الحرم الشريف في القدس، بشَّره بفتح القدس في وقت قريب.[١٥] وتحققت هذه البشارة في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب، وصارت القدس مدينة للمسلمين.

وكان مصدر شوق الصحابة الكرام لفتح القدس ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه المدينة. فقد وصَّى النبيُّ مَن يذهب منهم إلى هذه المدينة المباركة بها، وطلب ممَن لا يستطيع أن يذهب أن يتصدق فيها. وهذا ما روته مولاة النبي ميمونة، فعنها أنها قالت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس فقال: «ائتوه فصلوا فيه» وكانت البلاد إذ ذاك حربًا، «فإن لم تأتوه وتصلوا فيه، فابعثوا بزيت يسرج في قناديله».[١٦] وفي هذا السياق قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى».[١٧] من أجل ذلك أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الحج أو العمرة إلى مكة من القدس مُكفِّرةٌ للذنوب،[١٨] فوضعَ بذلك هذه المدينة المقدسة في طريق الحج. وتذكر المراجع أن الصحابي راوي الحديث قد طبَّق هذه الوصية فأحرم من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام بمكة.[١٩]

وذكرَ النبي صلى الله عليه وسلم فضيلةَ الصلاة في القدس، وحث المسلمين على زيارتها. والقاسم المشترك بين الروايات التي تذكر ثواب الصلاة في القدس أن هذه الروايات تبشر بثواب مضاعف للصلاة في المسجد

[١١] أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١/٢٠٠١)، «الصلاة»، ١، رقم الحديث: ٤٥٠.
[١٢] الطبري، جامع البيان، ١٧: ٣٣٥-٣٣٦.
[١٣] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، (المدينة: مجمع الملك فهد، ١٤١٦/١٩٩٥)، ٣١: ٢-١، رقم الحديث: ٥٢٠؛ ابن ماجه، «المساجد والجماعة»، ٧، رقم الحديث: ٧٥٣؛ النسائي، «المساجد»، ٣، رقم الحديث: ٧٧١.
[١٤] أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠/١٩٩٩)، ١: ٤٤٦؛ شهاب الدين محمد بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥)، ٨: ١٣، ٤١٩؛ الزركشي، إعلام الساجد، ١: ٢٩-٣٠، ٢٨٣.
[١٥] أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٤)، ٧: ١٨٩، رقم الحديث: ٦٧٩٧؛ أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي، السنن الكبرى، الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، ٣: ٤٧١، رقم الحديث: ٦٣٦١.
[١٦] الطبراني، المعجم الكبير، ٢٠: ٣١٧، رقم الحديث: ٧٥٤.
[١٧] ابن ماجه، «إقامة الصلاة»، ١٩٦، رقم الحديث: ١٤٠٧.
[١٨] الطبراني، المعجم الكبير، ٧: ٢٦٤، رقم الحديث: ٧٠٧٦.

الأقصى من الصلاة في أي مكان آخر ما سوى المسجد الحرام والمسجد النبوي.[٢٠] والصلاة هنا مكفِّرة للذنوب وهذا ثابت بدعاء النبي سليمان. فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس، سأل الله ثلاثًا: حُكمًا يصادف حكمه، ومُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة».[٢١] فنفهم من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يقدِّم معلومات عن تاريخ هذا المسجد، ويُثبِت ما فعله النبي سليمان هنا. ولكنه صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن هذا المسجد قد بُنيَ قبل عهد النبي سليمان بكثير، فقد أخبرنا أن أول مسجد في الأرض الكعبة وثاني مسجد الحرم الشريف في القدس. فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه».[٢٢] وهذا دليل على أن القدس كانت تحظى بأهمية دينية عظيمة منذ القديم، وقد بُنِيَت قبل النبي سليمان وإنْ كانت المراجع اليهودية ينسبون المعبد للنبي سليمان. ويرى علماء المسلمين أن النبي سليمان بنى المعبد على أنقاض المسجد القديم. ويرون أن النبي داوود اختار مكان المسجد القديم لبناء المعبد، ولكنه لم يستطع بناءه، فبناه ابنه النبي سليمان. وقد تعددت الآراء في المراجع عن باني المسجد القديم، فثمة مَن يرى أنه سيدنا آدم، ومنهم مَن يرى أنه سام بن النبي نوح، ومنهم مَن يرى أنه النبي يعقوب.[٢٣] والرأي الأقرب إلى الحقيقة رأي مَن يرى أن باني المسجد سيدنا آدم بناءً على التاريخ المذكور في الحديث. ومن مميزات القدس أنها مثل مكة لن تدخل في حكم الدجال في آخر الزمان كما ورد في الأحاديث.[٢٤] ووردَ في الحديث أن طائفة تظهر من أمة محمد في آخر الزمان يظهرون على مَن يغزوهم حتى يأتيهم أمر الله، ولمَّا سُئِل النبي صلى الله عليه وسلم أين هم، قال: «ببيت المقدس».[٢٥] وثمة أحاديث تذكر أن القدس ستكون المحشر يوم القيامة، منها الحديث الذي روته زوج النبي ميمونة لمَّا سألت النبي عن بيت المقدس.[٢٦] ولا بد من الإشارة هنا أن القدس تحمل هذه الصفة في اليهودية أيضًا، وقد يرد على الأذهان أن هذا الحديث من الإسرائيليات. لكن الطبراني ذكرًا حديثًا عن سمرة بن جندب، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لنا: «إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجتمعون يوم القيامة».[٢٧] فهذه الرواية المختلفة كافية لإزالة احتمال أن يكون الحديث من الإسرائيليات.

[٢٠] ابن ماجه، «إقامة الصلاة»، ١٩٦، رقم الحديث: ١٤٠٧.
[٢١] ابن ماجه، «إقامة الصلاة»، ١٩٦، رقم الحديث: ١٤٠٨؛ النسائي، «المساجد»، ٦، رقم الحديث: ٦٩٣.
[٢٢] البخاري، «أحاديث الأنبياء»، ١١، رقم الحديث: ٣٣٦٦، ٣٩، رقم الحديث: ٣٤٢٥؛ مسلم، «المساجد ومواضع الصلاة»، ١-٢، رقم الحديث: ٥٢٠؛ ابن ماجه، «المساجد والجماعة»، ٧، رقم الحديث: ٧٥٣؛ النسائي، «المساجد»، ٣، رقم الحديث: ٧٧١.
[٢٣] أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠/١٩٩٩)، ١: ٤٤٦؛ شهاب الدين محمد بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥)، ٨: ١٣، ٤١٩؛ الزركشي، إعلام الساجد، ١: ٢٩-٣٠، ٢٨٣.
[٢٤] أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٤)، ٧: ١٨٩، رقم الحديث: ٦٧٩٧؛ أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي، السنن الكبرى، الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، ٣: ٤٧١، رقم الحديث: ٦٣٦١.
[٢٥] الطبراني، المعجم الكبير، ٢٠: ٣١٧، رقم الحديث: ٧٥٤.
[٢٦] ابن ماجه، «إقامة الصلاة»، ١٩٦، رقم الحديث: ١٤٠٧.
[٢٧] الطبراني، المعجم الكبير، ٧: ٢٦٤، رقم الحديث: ٧٠٧٦.

حرص الصحابة الكرام على عدم إرهاق الدم أثناء فتح القدس لتعظيمهم لهذه المدينة. وصارت القدس مدينة مقدسة للمسلمين منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم. وكانت القدس رمزًا من رموز الإسلام في التاريخ الإسلامي، وثغرًا من ثغورها في مواجهة غير المسلمين. وقد بناها الحُكَّام المسلمون على مدى التاريخ، وأرادوا أن يخلِّدوا أسماءهم عبر هذه البلدة المقدسة، فبنوا فيها المساجد والتكيات والزاويات والرباطات الصوفية والمدارس والقصور والدور والخانات والنُّزل التجارية وسُبل المياه والبِرَك وغيرها.

وقد بنَى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قبة الصخرة والمسجد الأقصى إبرازًا لعظمة الإسلام أمام الكنائس المسيحية التي كانت في المدينة، فكان هذَان الأثرَان من أعظم الآثار في تاريخ الفن. وصار إعمار القدس التي غدت رمزًا لإظهار القوة أمام البيزنطيين جزءًا من سياسة الدولة الأموية. وحرص العباسيون ومَن جاؤوا بعدهم على إعمار القدس وعيش أهلها في طمأنينة ورفاه، وجعلوا الضرائب التي جبوها مِن بلدان مختلفة لخدمة هذه المدينة المقدسة وأوقافها. ولمَّا وقعت مصيبة الصليبيين على القدس، جعل السلطان الأيوبي صلاح الدين استعادة المدينة هدفًا له. ويذكر المؤرخون المسيحيون بإعجاب أن وجه السلطان الذي كان يحمل في ذهنه هذا الهدف لم يضحكَ أبدًا، وأنه لم يحد عن العدل والإنصاف في معاملته المسيحيين بعد استرداد المدينة. ثم دخلت القدس في حكم المماليك، ثم في حكم العثمانيين بدءًا من أوائل القرن السادس عشر الميلادي. فكانت هذه الأُسَر المالكة العظيمة في تاريخ الإسلام تسعى بكل ما أوتيت من قوة لبناء المدينة. وما زالت آثار السلطان العثماني سيلمان القانوني باقية في المدينة، فقد رمَّم أسوار القدس لحمايتها من هجوم الأعداء، وبنى فيها مباني كثيرة، ولم يجد اليهود الذين بقدومهم بدأ الاضطراب في القدس بُدًّا من الانحناء أمام عظمة السلطان القانوني وكرمه الظاهر.

يرد اسم القدس في المراجع العبرية باسم «أورشليم»، ويُذكَر أنه من عبارة «يرَ-شاليم» أي «سيرى السلام». لم يتعرض غير المسلمين لأي ضغوطات أو إكراه أثناء حكم المسلمين، على عكس ما كان لدى حكم المسيحيين واليهود، إذ عانى أتباع الديانات غير الحاكمة من الويلات. ولم يتجلَّ السلام المذكور في اسم القدس القديم في المدينة إلا لدى حكم المسلمين لها.

المراجع باللغات الأخرى

ابن أبي عاصم، أبو بكر. الآحاد والمثاني. الرياض: دار الراية، ١٤١١/١٩٩١.

ابن اسحاق، محمد المدني. السير والمغازي. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨/١٩٧٨.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، المدينة: مجمع الملك فهد، ١٤١٦/١٩٩٥.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. الطبعة الثانية. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠/١٩٩٩.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد. سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٩٥/١٩٧٥.

ابن هشام، عبد الملك الحميري. السيرة النبوية. الطبعة الثانية. تحقيق: هيئة، مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥/١٩٥٥.

أبو داوود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داوود. تحقيق: محمد عبد الحليم، بيروت: المكتبة العصرية، بدون تاريخ.

الألوسي، شهاب الدين محمد بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح. تحقيق: محمد الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢/٢٠٠١.

البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين. السنن الكبرى. الطبعة الثالثة. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. مفاتيح الغيب. الطبعة الثالثة. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد. إعلام الساجد بأحكام المساجد. الطبعة الخامسة. تحقيق: الشيخ مصطفى المراغي، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠/١٩٩٩.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. الطبعة الثانية. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٤.

الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. الطبعة الثانية. بيروت: دار التراث، ١٣٨٧.

الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠/٢٠٠٠.

العليمي، عبد الرحمن مجير الدين. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. إعداد: محمود علي عطا الله، عمان: مكتبة دنديس، ١٤٢٠/١٩٩٩.

المقدسي، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد. فضائل بيت المقدس. تحقيق: محمد معطي الحافظ، دمشق: دار الفكر، بدون تاريخ.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. السنن الكبرى. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١/٢٠٠١.

مسلم، أبو الحسين القشيري النيسابوري ابن الحجاج. صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر من السنن. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

المراجع باللغات الأخرى

Örenç, Aşır. “Kudüs ve Mescid-i Aksa’nın Faziletine Dair Hadisler ve Yorumu”. Türk İslam Medeniyeti Akademik Araştırmalar Dergisi. 11: 22 (2016), 133-150.

القدس في الفن الإسلامي

محمد طوب*

مقدمة

مدينة القدس هي من بين المدن القديمة في العالم، حافظت على أهميتها واحتلت مكانة وموقعًا مميزًا، على الرغم من الحروب وعمليات الاحتلال والتدمير التي مرت به منذ إنشائها وحتى يومنا هذا. إنها مدينة قدسها الله عز وجلّ، حيث يتم تمثيل جميع الديانات السماوية في جغرافيا الشرق الأوسط في رقعتها، وهي حاضنة للأديان والحضارات. تقع القدس بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت، ولا تزال القدس قائمة في الأراضي الفلسطينية، وتقع أغلب أراضيها تحت احتلال الكيان الإسرائيلي اليوم. كانت هذه المدينة تعتبر من ضمن الأراضي السورية في الماضي، وكانت تعتبر مقدسة لدى الديانات السماوية الثلاث، وهي اليهودية والمسيحية والإسلام. وهي مقدسة لأنها تضم ثلاثة قمم، أحدها جبل الهيكل (موريا) ويقع في البيت المقدس/المسجد الأقصى. يعتبره اليهود مقدسًا لأنه المكان الذي تم فيه بناء هيكل سليمان. وهناك الصخرة الشريفة التي عرج عليها نبينا صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج، وقد أقيمت عليها مسجد قبة الصخرة في العصر الأموي، وكان المسلمون يعتبرونها مقدسة. أما القمة الأخرى فهي قمة جبل الزيتون، وهو جبل مهم أيضًا لدى الديانات السماوية الثلاث. والقمة الثالثة هي جبل صهيون، حيث يوجد فيه قبر النبي داوود، واليوم يقع فيه كلية النبي داوود.

يعتمد فهم القدس من الناحية التاريخية والحضارة الإسلامية على حسن تقديمها من حيث الفن والعمارة والدين. مما لا شك فيه أن صلة وصل القدس وارتباطها بالإسلام يأتي من كونها القبلة الأولى للمسلمين وفيها تحقق معجزة الإسراء والمعراج لرسولنا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم.

على الرغم من أنها كانت تعرف باسم بيت المقدس قبل حادثة المعراج، إلا أنها اكتسبت الصفة الإسلامية عندما تمت الإشارة إليها باسم (المسجد الأقصى) في القرآن الكريم. كانت القدس في التاريخ اليهودي تسمى (أورشليم)، لكنها أصبحت تسمى (القدس) أو (القدس الشريف) بعد الإسلام. ويظهر أهمية هذه المدينة في التاريخ الإسلامي من ذهاب سيدنا عمر (رضي الله عنه) إلى القدس وأخذه المدينة بنفسه من المسيحيين عام ٦٣٨ للميلاد.

* د. محمد طوب، عضو الهيئة التدريسية في قسم تاريخ الفن بكلية الآداب بجامعة يوزونجويل فان. mtop@yyu.edu.tr .Van

منظر عام لمدينة القدس

منظر عام لقبة الصخرة

واعتبارًا من عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وحتى نهاية الفترة العثمانية- باستثناء الهيمنة الصليبية بينهما- ظلت القدس تحت حكم الخلفاء والدول الإسلامية دون انقطاع. بدأ الفن الإسلامي في الظهور في زمن الأمويين الذين تمركزوا في بلاد الشام، وتم بناء المباني الأثرية الأولى للعمارة الإسلامية هنا. بعد أن استرجع العباسيون والفاطميون القدس من الصليبيين، استمر البناء في القدس والمسجد الأقصى في العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية.

المدينة القديمة في القدس تضم المسجد الأقصى في الجنوب الشرقي، هذه المدينة كانت محاطة بأسوار في العهد العثماني، وقُسمت إلى أربعة أقسام: الحي الإسلامي، والحي المسيحي، والحي الأرمني، والحي اليهودي. ومع وجود المعابد والمساجد لهذه الطوائف فإننا نتأكد من تمثيل الأديان والمعتقدات فيها على أعلى مستوى. بعد هدم معبد سليمان وتدمير المعبد الثاني الذي قام هيرودس بتجديده، شيدت روما معبد جوبيتر الوثني الذي بقي في خراب بعد أن تم التخلي عنه وهجره، وهذا الأمر لم يفضله الرومان الشرقيون المسيحيون، الذين أعادوا هيكلة مدينة القدس قبل الإسلام.[1] هذا الشيء لاحظه أمير المؤمنين سيدنا عمر (رضي الله عنه) عند زيارته للقدس وأمر بتنظيفه، وبُني هنا أول مسجد، ويضم أعمالًا فنية معمارية إسلامية في القدس.[2]

[1] Simon Goldhill, Kudüs Tapınağı / İbrahim Şener (İstanbul: Doruk, 2011), 97-107; Simon Sebag Montefiore, Kudüs Bir Şehrin Biyografisi / Cem Demirkan, (İstanbul: Pegasus Yayınları, 2016), 147-161; Talha Uğurluel, Arzın Kapısı Kudüs Mescid-i Aksâ, 4. Edit., (İstanbul: Timaş Yayınları, 2016), 24.

[2] Montefiore, Kudüs, 178.

في سياق التاريخ الإسلامي تميزت المدينة بأعمالها المميزة والرائعة على مر العصور المتلاحقة. تكشف الأبنية الإسلامية في القدس بوضوح عن وجود بصمات خاصة لكل فترة من الفترات التي شُيدت فيها، من حيث أسلوبها وخصائصها الجمالية. وترى ذلك جليًا في الأعمال المشيدة هنا، فإنك تلاحظ الزخارف الفسيفسائية للأمويين، والزخارف الحجرية للأيوبيين والمماليك، وزخارف البلاط للعثمانيين. ومن خلال الأعمال الفنية والهندسة المعمارية الراقية المشيدة في هذه التصاميم المعمارية المميزة يُلاحظ أحيانًا تمثيل السلطة السياسية على أعلى المستويات، كالخليفة الأموي عبد الملك، ومحرر القدس الحاكم الأيوبي صلاح الدين الأيوبي، والسلطان المملوكي قايتباي، والسلطان العثماني سليمان القانوني.

يعتبر دين الإسلام هو آخر ممثل للأديان السماوية، وهناك ثلاث مدن فيها مقدسات شريفة، مكة المكرمة التي تضم فيها الكعبة والمسجدالحرام، والمدينة المنورة التي تضم المسجد النبوي الشريف الذي أُسري منه سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، ومدينة القدس التي تضم المسجد الأقصى. لقد ثبت أنه يتم الاعتناء بكل ما ذُكر في كل عصر من العصور من خلال فعاليات الإحياء والبناء.

في هذه الدراسة، سيتم تسليط الضوء على الهياكل التي تبرز في كل فترة من حيث الفنون الإسلامية في القدس، وأسلوبها وخصائصها الفنية وبنيتها الجمالية. ومن المؤكد أن القدس والمسجد الأقصى قد تمت مناقشتهما ودراستهما بعدة طرق، وتم التعامل معها ونشرها ضمن مطبوعات في المطبوعات المحلية والأجنبية. وتم تحديد ما مجموعه حوالي ١٩٠ مبنى إسلامي، من الفترة الأموية حتى نهاية العصر العثماني، وسيتم إجراء تقييم على نماذج من الأعمال الفنية وخصائصها.

نبذة تاريخية عن القدس

إن التعامل مع تاريخ القدس من خلال تقسيمها إلى فترات وعصور سيسهل فهمها. الفترة الأولى المهمة هي المملكة اليهودية، وتبدأ مع داود عليه السلام في عام ١٠٠٠ ق.م، وتستمر مع ابنه سليمان عليه السلام حتى غزو نبوخذنصر- ملك بابل- عام ٥٨٧ ق.م، وتم بناء معبد سليمان أو الهيكل في هذه الفترة. في هذا الغزو تم تدمير القدس والهيكل الأول وبدأ السبي الأول لليهود إلى بابل. في فترة العصر الفارسي التي تلت ذلك، سُمح لـ ٥٣٧ يهوديًا بالعودة إلى القدس، وفي عام ٥١٦ ق.م قاموا ببناء المعبد الثاني. في عام ٣٣٦ ق.م انتهت الهيمنة الفارسية عليها بمجيء إسكندر الكبير، وبعد ذلك سيطر المكابيون على المنطقة أولًا ثم الرومان.

خلال الفترة الرومانية- بين عامي ٣٧ ق.م و٤م- برز هيرودس في المقدمة كحاكم لأورشليم وأعاد بناء المعبد الثاني. وفي يومنا هذا، يعود تاريخ ما تبقى في المسجد الأقصى إلى هذه الفترة.

وتُعتبر ولادة السيد المسيح في هذه الفترة وعيشه في القدس وما حولها من أهم الأحداث في تاريخ المنطقة. هناك أهم حدثين في الفترة الرومانية، الأول هو تدمير المعبد الثاني عام ٧٠م، والثاني هو بناء معبد جوبيتر عام ١٣٥م ونفي اليهود من القدس للمرة الثانية.

بعد أن قبل الإمبراطور الروماني قسطنطين المسيحية، انتشرت المسيحية بسرعة في القدس، وبدأت حركة بناء الكنائس في القرن الرابع بعد الميلاد، واستمرت الهيمنة الرومانية الشرقية حتى ظهور الإسلام. أثناء إقامة المسيحية، لم يمس المسيحيون المعبد- أي منطقة بيت المقدس- كي يكونوا بعيدين عن اليهود. تم تحرير القدس- التي احتلها الساسانيون عام ٦١٤- من قبل الإمبراطور البيزنطي هرقل عام ٦٢٩ م. ووضع الصليب المقدس الذي أخذه من الفرس في مكانه في القدس، ثم فتح المسلمون المدينة عام ٦٣٨ للميلاد.

[3] Montefiore, Kudüs, 185-187.

[4] Mustafa Yiğitoğlu "İsra ve Miraç'ta Süleyman Mâbedi ve Mescid-i Aksa'nın Varlığı Meselesi", İnsan ve Toplum Bilimleri Araştırmaları Dergisi, 6/1(Nisan 2017), 641-642.

[5] Harman, Ömer Faruk, "Kudüs", Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, (Ankara: TDV Yayınları, 2002), 26: 325-326.

[6] Harman, "Kudüs", 26: 326, Yiğitoğlu, "İsra ve Miraç'ta Süleyman Mâbedi", 642-646.

في عام ٦٢١ للميلاد- أي قبل عام واحد من الفتح الإسلامي للقدس والهجرة إليها- أسري بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم (معجزة الإسراء) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم صعد منه إلى السماء (حادثة المعراج). وبهذه الطريقة ارتبط اسم الإسلام بالقدس والمسجد الأقصى. في الفترات والعصور اللاحقة، انتقلت المدينة- التي ظلت تحت حكم الأمويين (٦٦١) والعباسيين (٧٥٠) وبعد ذلك الفاطميين (٩٦٩)- إلى إدارة الدولة السلجوقية الكبرى، ثم عادت مرة أخرى إلى الفاطميين في عام ١٠٩٨ للميلاد. وغزاها الصليبيون في عام ١٠٩٩ للميلاد. بعد هيمنة الصليبيين التي استمرت قرابة قرن، انتزعها صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين عام ١١٨٧ للميلاد وفتحها المسلمون للمرة الثانية.

وهكذا، بدأت فترة السيطرة الإسلامية الثانية على القدس عبر الأيوبيين. في الفترة التي تلتها، استمرت السيطرة في العهد المملوكي (١٢٥٠) م، ثم العثماني (١٥١٧) م، حتى الاحتلال البريطاني في عام ١٩١٧ للميلاد. ونلمس أهمية القدس إبان حكم الإمبراطورية العثمانية واضحة للعيان، والتي امتدت ٤٠٠ عام. وسنجد ذلك جليًا من خلال قراءة جهود السلطان سليمان القانوني والسلطان عبد الحميد الثاني. اكتسبت القدس أعمالًا مهمة جدًا في مجال الفن والعمارة على يد الدول الإسلامية وحكامها أنذاك. ولا تزال العديد من المباني داخل المسجد الأقصى وخارجه عائدة لتلك الفترات.

القدس في الفنون الإسلامية

القدس مدينة تضم أماكن مقدسة للعبادة لدى الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية. توجد في هذه المدينة أشكال يتم التعبير عنها على أنها فن مقدس. ومن الضروري إلقاء نظرة على المسجد الأقصى وقبة الصخرة، من أجل فهم ما نقوله بالكامل.

قبة الصخرة

أصبحت القبة المشرفة بفخامتها وجلالتها رمزًا للتوحيد في الإسلام في العصر الأموي لأول مرة.[٧] وفي سباق حضاري، تم بناء قبة الصخرة لتكون مكانًا يرتادها زوارها، وشيدت في الموقع الذي يوجد فيه معبد سليمان سابقًا. تحتوي هذه المنطقة ومحيطها أيضًا على قباب أخرى، مثل قبة السلسة وقبة المعراج وقبة النبي وقبة الخضر. وهناك أمثلة أخرى.[٨]

قبة النبي

قبة الخضر

قبة المعراج

قبة السلسلة

[7] Markus Hattstein, Peter Delius, İslam Sanatı ve Mimarisi, (İstanbul: LiteratürYayınları,2007), 64-66, Titus Burck hardt. İslam Sanatı Dil ve Anlam / Turan Koç, 2. Edit., (İstanbul: Klasik Yayınları, 2013), 30-37.

[8] Abdulkadir Dündar, "Bulunduğu Şehir İnşa Edildiği Alan, Mimarisi ve Süslemeleri Bakımından Kubbetü's-Sahra", Dini, Tarihi ve Edebi Açıdan Kudüs, Editörler: İbrahim Çelik, Mehmet Dursun Erdem, Özcan Güngör, Necip Fazıl Kurt, (İstanbul: Dün Bugün Yarın Yayınları, 2018), 271-272.

ولعل أهم من القبة هو المحراب الذي يأتي في المرتبة الأولى بين الأشكال التي وصفناها قبل قليل على أنها فن مقدس. ويمكننا اليوم رؤية عشرات المحاريب في الأماكن المفتوحة والمغلقة في المسجد الأقصى. يُفهم من معنى المحراب وشكل عمرانه على أن المقصود منه هو القبلة، وقد أُستخدم في القرآن الكريم في هذا المنحى جليًا في قوله تعالى «كلما دخل عليها زكريا المحراب» (سورة آل عمران- الآية ٣٧). بالإضافة إلى ذلك، كثيرا ما استخدمت هذه الآية (آية المحراب) في المحاريب العثمانية.[9] يصف المحراب في هذه الآية الحُجرة التي أقامت فيها السيدة مريم العذراء في البيت المقدس، ويُعبّر ذلك عن القداسة في المعنى، إلى جانب القداسة العمرانية. وهكذا نجد أن المحراب يرتبط بالمسجد الأقصى، وهو من أهم عناصر المسجد في العمارة الدينية الإسلامية.[10]

حجر منقوش عليه آية محراب بمسجد بايزيد الثاني في أدرنة

وتم تشييد المسجد الذي يقع فيه المحراب والمتواجد ضمن ساحة المسجد الأقصى عندما تم بناء مسجد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). وتلا ذلك إضافة عظيمة، وهو الجامع القبلي الذي بناه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك.

الجامع القبلي (الأقصى) الواجهة الشرقية

الجامع القبلي (الأقصى) الواجهة الشمالية

[9] Mehmet Top, Erken Dönem Osmanlı Mihrabları (XIV – XV YÜZYIL), (Yüzüncü Yıl Üniversitesi, 1997), 319.
[10] Tolga Bozkurt, "İslam Mimarisinde Mihrap Sembolizmi", Prof. Dr. Selçuk Mülayim Armağanı Sanat Tarihi Araştırmaları, Ed. Aziz Doğanay, (İstanbul: Lale Yayıncılık. 2014), 188-189.

بوابة الشام (باب العامود) في القدس

إضافة إلى ذلك، فإن عدد المساجد المبنية في القدس كثير جدًا، ويمكن تصنيفها ضمن مجموعات كمساجد داخل البلدة القديمة، ومساجد في الحرم الشريف، أي المسجد الأقصى، ومساجد خارج البلدة القديمة.

كانت مدينة القدس (البلدة القديمة) محاطة بأسوار، بما في ذلك المسجد الأقصى، وتم وضع البوابات في أجزاء مختلفة من هذه الأسوار. قام سليمان القانوني بإعادة بناء هذه الجدران والبوابات على أساساتها القديمة خلال فترة الحكم العثماني، وتُعتبر واحدة من أعظم إنجازات الإمبراطورية العثمانية ومساهمتها في المدينة، وقد أدى ذلك إلى تقسيم المدينة إلى داخل وخارج أسوار المدينة. تم تسمية البوابات الموضوعة على هذه الجدران حسب خصائصها أو موقعها، ومن أهم تلك البوابات، بوابة الأسد (باب الأسباط)، باب الشام (باب العامود) وبوابة صهيون (باب النبي داود).

بوابة الأسد (باب الأسباط) في القدس

بوابة الأسد (باب الأسباط) في القدس

[11] Baha Tanman, "Osmanlı Döneminde Kudüs: Kent Dokusu, Mimarlık ve Çini Sanatına İlişkin Bir Araştırmanın Sonuçları", Ortadoğu'da Osmanlı Dönemi Kültür İzleri Uluslararası Bilgi Şöleni Bildirileri, Prep. Şebnem Ercebeci-Aysu Şimşek (Ankara: Atatürk Kültür Merkezi Başkanlığı Yayınları, 2001), 2: 523.

نافورة البوابة المظلمة في المسجد الأقصى

بوابة السلسلة في المسجد الأقصى

نماذج من المدرسة الشمالية الغربية في المسجد الأقصى

بوابة القطانين في المسجد الأقصى

نموذج عن المصلى في المسجد الأقصى

نموذج عن الموضأ والمسقاة في المسجد الأقصى

كما أن المسجد الأقصى- أي الحرم الشريف- يقع في الركن الجنوبي الشرقي من المدينة، ويحيط به جدران عالية من الخارج من الجهة الشرقية والجنوبية، ويتصل بالمدينة في الغالب من الجهة الشمالية والغربية. كما هو الحال في المدينة، فهناك العديد من البوابات التي توصلك إلى الحرم الشريف.[١٢] ومن أهم هذه البوابات باب الأسباط باب حتا وباب العتيم من الجهة الشمالية، وباب الحديد وباب السلسلة وباب القطانين في الجهة الغربية.

بصرف النظر عن ذلك، هناك عدة أنواع من المباني ذات ميزات تخطيطية مختلفة خارج أو داخل الحرم. هذه الأبنية التي تم شُيّدت من مدرسة وزاوية عبادة ونُزُل وأضرحة ومقامات وماء سبيل والموضأ ومسقاة ماء (شاذروان) ووحداتها ومخططاتها وعناصرها المعمارية والزخرفية... كلها تتميز بخصائص تعكس فن عصرها بأفضل طريقة.

[12] Mevlüt Çam, "Tarihçe-i Harem-i Şerîf-i Kudsî", Vakıflar Dergisi 48, (Ankara: Aralık 2017), 196-200.

التصميم الداخلي للجامع القبلي

عندما نفكر في الهياكل المعمارية في القدس حسب فتراتها، يتبين أن العناصر المعمارية قد تم تشكيلها وفقًا لأنواع وسمات الأساليب في تلك الفترة. هناك تطبيق آخر هو الزخرفة، ويتم تطبيقها على الأسطح أو العناصر المعمارية للمبنى، والتي تهدف إلى تجميل المبنى بمزيد من الاهتمام التجميلي، وإظهار بعض الميزات الفنية. إن كثافة الزخرفة في القدس إما أن تكون مقتصرة فقط على الفترة التي تم فيها بناء المبنى، أو على التعديلات والإضافات التي تمت في فترات لاحقة. في عدة أمثلة- خاصة في قبة الصخرة والجامع القبلي- لا تظهر زخارف الفترة التي بُنيت فيها فقط، ولكن أيضًا هناك آثار لفترات تالية واضحة للعيان. فهي نماذج غنية بالزخارف والتركيبات، فضلًا عن أنها تظهر تنوعًا كبيرًا من حيث المواد والخصائص التقنية مثل الفسيفساء الزجاجي والحجر والخشب والزجاج والبلاط وأعمال الرسم الرصاصي.

زخارف الفسيفساء الزجاجية في قبة الصخرة

زخرفة منبر خشبي للجامع القبلي (المنبر الزنكي)

تتشكل خصائص التركيب اعتمادًا على مكانها في الهيكل، ويتم توزيعها على السطح بشكل متماثل أو وفقًا لمبدأ اللانهاية. كما أننا نواجه عدة نماذج عن الزخارف الخارجية والداخلية لهيكل قبة الصخرة.

تعتبر الزخارف الفسيفسائية الزجاجية في الجامع القبلي (الأقصى) وقبة الصخرة- هي أبنية تعود إلى أوائل العصر الإسلامي- من النماذج التي بقيت حتى يومنا هذا بملامحها من العصر الأموي، واستمرت عملية الزخارف بتقنية الفسيفساء الزجاجية في العصر الأيوبي. توجد في قبة الصخرة هذه الفسيفساء الزجاجية على الأقواس التي تحمل القبة، وعلى الأسطح الداخلية للقبة، وفي القسمين السفليين، ويتم ترتيب الصف العلوي بين النوافذ، ويتكون بشكل عام من الكتابة والتركيبات والزخارف النباتية.

التصميم الداخلي لقبة الصخرة

زخرفة بلاط قبة السلسلة في المسجد الأقصى

زخارف منحوتة في قبة الصخرة

نموذج عن الزخرفة الحجرية في الأعمال المعمارية في القدس

زخرفة الزجاج الملون للجامع القبلي (زجاج معشّق)

تتكون هذه الزخارف النباتية من أوراق القنب، والأغصان المنحنية، والورد، وأغصان العنب وعناقيدها، وأشجار النخيل، والمزهريات المختلفة، والزهور الخارجة من المزهرية، وخيوط من اللؤلؤ، وشرائط وردية. وإلى جانب القبة، تم استخدام الزخارف الفسيفسائية المكونة من زخارف نباتية من الأزهار بين الأقواس العلوية للمثمن الذي يشكل الصف الثاني من الداخل. بالإضافة إلى ذلك، توجد كتابات فسيفسائية في أربعة أسطر على مقرنصات المحراب الرئيسي. كما تذكرنا الأشكال الفنية والتركيبية لهذه الزخارف الفسيفسائية الزجاجية بالأعمال البيزنطية.[13]

يوجد هنا أول وأطول نقش فسيفساء زجاجي في العمارة الإسلامية. أما النقش الذي يستمر

الزخرفة والكتابات الفسيفسائية في قبة الصخرة

الزخرفة والكتابات الفسيفسائية في قبة الصخرة

دون انقطاع على أقواس الرواق الثاني المثمن الشكل من الأعمدة والأقدام الموجودة بداخله، فهو مكتوب بالخط الكوفي. في هذا النقش، تمت كتابة آيات قرآنية من سور قرآنية مختلفة. بعد البسملة كُتبت سورة الإخلاص، والآية ٥٦ من سورة أحزاب، والآية ١١١ من سورة الإسراء، والآية ١ من سورة التغابن، والآية ٢ من سورة الحديد، والآيتين ١٧١ و١٧٢ من سورة النساء، والآيات ٣٤-٣٦ من سورة مريم، والآيات ٣٤-٣٦ من سورة آل عمران. شدد المسلمون بهذه الكتابات على عقيدة التوحيد وأرادوا الكشف عن اختلاف الإسلام عن الأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية والوثنية.[14]

الزخارف الفسيفسائية في بدايات القبة

[13] Birol Can - Özgür Gülbudak - Burak Muhammet Gökler, “Fusayfisa” İslam Mimarisinde Mozaik”, Art-Sanat Dergisi. 7 (İstanbul:2017), 73-75.

[14] İlhan Özkeçeci, Doğu Işığı VII.-XII. Yüzyıllarda İslam Sanatı, (İstanbul: Yazıgen Yayınevi, 2006), 84-85.

الزخارف الفسيفسائية في القبة الموجودة أمام المحراب- الجامع القبلي

الزخارف الفسيفسائية في القوس الشمالي الجامع القبلي

الزخارف الفسيفسائية الموجودة في القبة أمام المحراب – الجامع القبلي

توجد زخارف فسيفسائية على محراب الجامع القبلي، وعلى القبة أمام المحراب، وعلى ثماني نوافذ في المنطقة الموجودة تحت القبة، وعلى الجدران المعلقة فوق الأقواس التي تحمل القبة، على الأحزمة على الجدران، وعلى سطح الجدار فوق القوس الشمالي للقبة.[15] ومن بين هذه اللوحات المنقوشة على حافة القبة، تم تزويدها بشكل متناظر بزخارف نباتية بين النوافذ الثمانية، وفي الوسط مجموعات من النباتات تخرج من الإناء. يتم وضع الحلي الفسيفسائية مثل الأوراق على سطح تجاويف دائرية مقعرة داخل مثلثات القبة.

وفي الفسيفساء الموجودة على القبة الشمالية المواجهة للساحة، تم ترتيب الزخارف الزهرية التي ترتفع من الجانبين بشكل متناغم مع السطح. أما في الأعلى فقد تم نقش سطرين من النقوش بالفسيفساء مرة أخرى، ووُضعت الزخارف الفسيفسائية على مقرنصات المحراب التي رممها الناصر صلاح الدين الأيوبي في العصر الأيوبي.

وعلى زوايا الأقواس وعلى الكتابة الإنشائية أعلاه وفي الخطوط الرأسية على الجوانب العلوية. كما تم نقش الترتيبات الهندسية التي تم إنشاؤها باستخدام الزخارف العقدية والزخارف ذات الأشكال الورقية داخل المقرنصات. وتم وضع الزخارف الهندسية المكونة من النجوم والمضلعات على زوايا القوس، وكان النقش في الأعلى مذهبًا على خلفية خضراء. كما أن الأرضية مليئة بزخارف نباتية، بالإضافة إلى كتابات كوفية على الشرائط الجانبية.

[15] Lorenz Korn, “Ayyubid Mosaics in Jerusalem”. Ayyubid Jerusalem: The Holy City in Context 1187-1250 , Ed. Robert Hillenbrand and Sylvia Auld., (London : 2009) , 377-379.

الزخرفة الحجرية غنية جدًا بالمباني في القدس، وخاصة في المسجد الأقصى. ويمكنك رؤية الأعمال الحجرية والزخارف التي تعود للعصور الأموية والعباسية والفاطمية والأيوبية والمملوكية والعثمانية في المباني من العصر الإسلامي الأولي. وهي من أهم المواد المستخدمة في العمارة، وكذلك الزخرفة الحجرية في المباني. وينبغي إضافة أعمال الرخام والحجر الملون إلى ذلك. كما تم استخدام المواد الحجرية المعاد استخدامها في جميع هذه المباني، ولا يمكننا ذكر تفاصيل كل هذه المباني الحجرية بكل ميزاتها. سيتم مناقشة استخدام الحجر في باب الأسد- أحد مباني مدينة القدس-، والحرم الشريف في قبة الصخرة، والجامع القبلي، والمدرسة الأشرفية، وماء سبيل قايتباي، ونافورة السلطان سليمان القانوني، وبعض المنابر والمحاريب، وسيتم تقييمه من حيث مساهماته في الفن الإسلامي.

تجذب البوابات الموجودة على جدران المدينة القديمة الانتباه بأعمالها الحجرية الأنيقة والديكورات من حيث الهندسة المعمارية وزخرفها. بوابة الاسباط[16] - التي تنفتح من جهة الشرق- بُنيت في العهد العثماني، ونُحتت أشكال أُسود بارزة على سطح الجدار من الجانبين عند مستوى قوس البوابة. الأرقام التي لا نراها كثيرًا في الفترة الإسلامية في القدس مهمة.

لكونها نموذجًا نادرًا ما يتم مواجهته. كما نرى أن الأسُود- التي تحمل معاني القوة والعظمة والحماية- تُصوَّر على أنها أزواج متجهة إلى الداخل. [17]

بالإضافة إلى السمات الزخرفية الأخرى لقبة الصخرة في الحرم الشريف، يُلاحظ أن الحجر الثقيل كان يستخدم ككساء في العمارة الداخلية والخارجية، ولا سيما في الترميمات خلال الفترة المملوكية. وتُستخدم الأحجار والرخام الملون ككساء على الأجزاء السفلية من الواجهات الخارجية للهيكل المخطط ذي الشكل الثماني. تم فتح باب في منتصف الاتجاهات الرئيسية الأربعة للمثمن، تم تقسيمه إلى ستة أسطح من ثلاثة على كل جانب من المثمن، وعلى الواجهات الأخرى، وتم تقسيمه إلى سبعة أسطح غائرة داخليًا بجص مستطيل، وقد تم بناؤه بالرخام على مستوى النافذة. تم تشكيل أنماط هندسية من الأحجار الملونة بشكل متماثل داخل هذه الأسطح. يتم دعم الهياكل المقببة لأبواب المدخل على شكل شرفات بأعمدة رخامية. بالإضافة إلى ذلك، تم بناء رواق مدعوم بثلاثة أعمدة رخامية على جانبي الباب المتدلي على الواجهة الجنوبية. كما أن تيجان الأعمدة لها زخارف عشبية قديمة.

أشكال الأسد في باب الأسباط في القدس الشريف

[16] Feyza Betül Köse, “Osmanlı Dönemi Kudüs’ünde Mimari Çalışmaları”, Kahramanmaraş Sütçü İmam Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi , 29 (Kahramanmaraş: 2017),30; Robert Hillenbrand, “Introduction: Structure, Style, and Context in the Monuments of Ottoman Jerusalem”, Ottoman Jerusalem: The Living City, 1517-1917. Ed. Sylvia Auld and Robert Hillenbrand, (Londra: Altajir World of Islam Trust, 2000), 4.

[17] Gönül Öney, “Anadolu Selçuklu Mimarisinde Arslan Figürü”, Anadolu (Anatolia), (Ankara: 1971), 13: 37-41.

داخل المبنى شُيدت الأعمدة الحاملة وتيجانها من الرخام بالكامل وبألوان مختلفة، وربما يكون معظمها عبارة عن تجميع. أسطح الجدران والقدمين والأقواس مغطاة بألواح رخامية، ومصنوعة في الغالب باستخدام أنماط وألوان طبيعية معرّقة. بالإضافة إلى ذلك، تم إنشاء المحاريب والمنافذ داخل المبنى وتزيينها بمواد رخامية. وتم نحتها من رخام متجانسة على يسار الدرج من المحرابين في كهف الأرواح أسفل الصخرة بالداخل، وتُعتبر واحدة من أقدم نماذج المحاريب. لها إطار ذو شكل مستطيل، تحدّها أعمدة ملتوية من الجانبين، وتنتهي بقوس ثلاثي الأجزاء في الأعلى.

جميع العناصر الموجودة على سطح المحراب لها سمات زخرفية.[18] والمحراب على يمين الدرج الآخر مصنوع أيضًا من الرخام على شكل مستطيل. يحدها من جانبين أعمدة مزدوجة متشابكة مع زخارف متداخلة، وتم الانتهاء من المشكاة في الأعلى بتجويف مؤلف من ثلاث شرائح من الأقواس. وتوجد زخارف نباتية مع وضع أشكال الزهور على زوايا القوس. وإن مدخل درج كهف الأرواح- الذي تم تشكيله أيضًا بمواد رخامية- محدود بعمودين من الرخام متوّجان بقوس مدبب يرتكز عليهما. تم إثراء القوس تدريجيًا بالقوالب وتم نقش بعض الزخارف الزهرية والتعريقات على الطراز الغربي.

أعمال الرخام في الداخل- قبة الصخرة

رخام المحراب في الشرق- كهف الأرواح- قبة الصخرة

رخام المحراب في الشرق- كهف الأرواح - قبة الصخرة

[18] Eva Bear,“The Mihrab in the Cave of the Dome of the Rock”, Muqarnas, III, (Leiden:1985), 8-19.

كان المحراب الرئيسي[19] الواقع على سطح جدار القبلة والمتواجد على يسار الباب، مبنيًا بالكامل بمواد رخامية، ووضعت زخارف فسيفساء في تجاويفه (في المقرنصات). يتكون المحراب- المحدود بعمودين في فجوة متدرجة على الجانبين- من مشكاة نصف دائرية وقوس مدبب من مرحلتين. وقد أحيت الزخارف الرخامية الملونة على سطوح القوس وفي منطقة البطن كل المحراب. وبصرف النظر عن ذلك، هناك تشكيلان آخران للمحراب، أحدهما بثلاثة أرجل والآخر بسبعة أرجل. إنه مصنوع بالكامل من الرخام، والأسطح منفصلة عن بعضها البعض بواسطة أعمدة رخامية مستقلة. في الجزء العلوي منه، توجد تلال مموجة مقوسة الشكل على شكل محار.

الجامع القبلي الذي تم بناؤه بالقرب من الجدار الجنوبي للحرم الشريف[20] ثري بالأعمال الحجرية في الهندسة المعمارية الخارجية والداخلية، كما هو الحال في العديد من الجوانب الأخرى. عندما يتعلق الأمر بالأعمال الحجرية والزخارف فإن إحدى الأماكن الرائدة هي الواجهة الشمالية للبناء، فقد تم بناء هذه الواجهة على شكل رواق مدخل بسبعة أقواس واضحة ومجزأة، وتم فتح سبعة أبواب في الداخل، تتوافق كل منها مع كل قسم. من بين فتحات قوس ترتيب الرواق، تكون الفتحات الوسطى أوسع وأعلى، في حين أن الفتحات الأخرى مرتبة على شكل ثلاثيات على جانبيها. وإن الأعمدة الداعمة للأقواس متحركة بأعمدة مزدوجة، ووضعت عليها قوالب الأقواس.

بالإضافة إلى ذلك، فإن القوس الموجود في المنتصف متحرك بالقوالب، على عكس الآخريات. كما أن الواجهة محدودة بقولبتين من الأعلى لتشكيل

المحراب الأساسي- قبة الصخرة

وحدة، ويتم رفع القوالب تدريجيًا في المنتصف.

إن القمة العلوية على شكل دنان، وقد تم ترتيبها على شكل قمة. وقد استُخدمت هذه الدنانات على نطاق واسع في المباني الفاطمية والمملوكية في القاهرة لاحقًا. يتم تمييز الجزء الأوسط المرتفع من خلال القوالب من الجانبين، ويتم وضع منافذ مقوسة مدببة على سطحين جانبيين على مستوى القوس. على نفس الجبهة، تمت تعبئة الجزء الأوسط العلوي وجوانب القوس الكبير بتشكيلات معمارية. المنافذ مسطحة في الجزء العلوي، يحدها أعمدة مزدوجة في المنتصف والجوانب غائرة في الوسط العلوي، ومنقوشة بكتابات من الداخل. وعلى جانبي القوس تم تشكيل محاريب مزدوجة غائرة من الداخل بأعمدة في المنتصف وعلى الجانبين وتنتهي بأقواس مدببة. بالإضافة إلى ذلك، بين القوس الأول والثاني على الجانبين، توجد منافذ تنتهي بقوس مدبب مرتب بحجارة بلونين، يحدها عمودان غائران من السطح.

الأعمال الحجرية للواجهة الشمالية- الجامع القبلي

[19] Ahmet Gedik, Hat Sanatı Bakımından Kudüs Ve Çevresindeki Eyyûbî Kitâbeleri, (Necmettin Erbakan Üniversitesi 2013), 77-78.
[20] Lorenz Korn, "Ayyubid Jerusalem in Perspective: The Context of Ayyubid Architecture in Bilad al-Sham", Ayyubid Jerusalem: The Holy City in Context 1187-1250, Ed. Robert Hillenbrand and Sylvia Auld,(London:2009)405; Uğurluel, Arzın Kapısı Kudüs, 196-197.

قوس المدخل الرئيسي للواجهة الشمالية- الجامع القبلي

على المحور الأوسط للمبنى، أي على مستوى القوس الكبير، يوجد باب المدخل الرئيسي. والرواق المقابل لهذا الباب مغطى بقبة حجرية. وتوضع هذه القبة على أقواس من أربعة جوانب. على الرغم من أن مداخل القبة والداخل تظل بسيطة، تم وضع تجاويف دائرية الشكل مع أخاديد المحار في الاتجاهات الأساسية الأربعة على الأسطح المعلقة وداخل القبة. يحتوي الباب على فتحة مستطيلة الشكل مستوية، وتُنقل عضادات الباب والعتبة بمجموعات الصب. ويمتلئ الجزء الداخلي من الدعامة المقوسة المدببة فوق الباب بالرخام والتشابك الهندسي والتركيبات النجمية في تقنية النحت الشبكي. وعلى جانبي الباب الرئيسي- خلف الأروقة المغطاة بأقبية متقاطعة- توجد ثلاثة أبواب أخرى بفتحات مستطيلة الشكل. توجد أقواس على جميع الأبواب، بعضها مدببة وبعضها مستديرة، كما هو الحال في الباب الرئيسي. وتم ملئ الأقواس بنجمات هندسية وأنماط متشابكة. بصرف النظر عن هذه الترتيبات التي يتم فيها استخدام الحجر المقطوع الأملس والرخام بشكل متناغم، فمن الواضح أن القوالب والأعمدة- التي تجعل الواجهة الشمالية مدركة ككل- مدرجة أيضًا بشكل كبير.

ينقسم الجدار الشرقي للمبنى المشكّل بحجر أملس إلى خمسة أسطح ذات أقواس مدببة ومسننة قليلًا، مدعومة بالجص من الأسفل، بدءًا من الشمال، بعد الجدار الشرقي للرواق، وصولًا إلى البوابة. ويتبع ذلك باب، وبعد الباب يأتي سطح الجدار بنوافذ وردية. ويبرز هذا المكان من الهيكل الرئيسي ويتوافق مع مقام النبي زكريا. بالإضافة إلى ذلك توجد صفوف من النوافذ على طول الواجهة، بما في ذلك الصفوف السفلية والوسطى والعليا.

الباب والقبة- المدخل الرئيسي للواجهة الشمالية- الجامع القبلي

إنه الباب الوحيد في المبنى الذي يظهر فيه خاصية الباب التاجي، وهذا يعكس أسلوب وطراز العصر المملوكي. وترتفع واجهته المستطيلة حتى مستوى النافذة العلوية. تم بناء الباب بقوس قوس مدبب، وهو باب مبني بالكامل بمواد حجرية ناعمة القطع وأعمال حجرية مؤلفة من لونين. كما أن الباب مصمم من جزئين، الجزء العلوي والسفلي.

يستمر الجزء السفلي حتى مستوى القوس، ويتكون من جناحين جانبيين مع أعمدة موضوعة في الزوايا الداخلية، ويفتح الباب الرئيسي من منتصف مكان ابتداء الباب. يتكون سطح الأجنحة الجانبية للباب بطريقتين مختلفتين، والجزء الخارجي عبارة عن شبكة حجرية مقطوعة بشكل عادي. تم تشكيل الجزء الداخلي- المفصول بقالب رفيع- بأحجار مقطوعة بلونين، ووضعت الأعمدة في الزوايا. من ناحية أخرى، يحد الباب المفتوح على جانبيه صفوف من الحجارة ذات اللونين، ومغطى بقوس مدبب. وزوايا الحزام مليئة بزخارف العقدة، وعليها كتابة أفقية منقوشة على شكل خرطوشة، وهي مفرغة.

الأعمال الحجرية للواجهة الشمالية- الجامع القبلي

يتكون الجزء العلوي من الباب من أقواس مدببة ذات مرحلتين، وأقواس وزوايا ترتكز على الأجنحة الجانبية. وتم ترتيب الأقواس المتقاطعة على السطح الداخلي للقوس المدبب. بصرف النظر عن هذا، فإن القوس الثاني مصنوع من أحجار مقطوعة ناعمة بلونين، تحدها قوالب (Moulding) عرقوبية. تستمر القولبة على القوس وتفصل بينها عقدة في المنتصف تشكل الزوايا. تمتلئ الزوايا بزخارف ثلاثية العقد، في الوسط دائري وأطراف الجوانب مملوءة بالزخارف. الجزء الداخلي من النتوء في منتصف هذه الأقواس كانت مملوءة بأخاديد على شكل محار تطورت حول اللوحة المقوسة المدببة في المنتصف. بالإضافة إلى ذلك، تم تزيين الجزء الداخلي من اللوحة في المنتصف بسعف النخيل المتناسق والزخارف الرومية.

يتكون التلال في الجزء العلوي من البوابة من قاع مقلوب ومسطح وسلسلة من سعف النخيل متصلة بواسطة السيقان من الأعلى. هذا الباب- الذي لا يجذب انتباه الباحثين والزوار- مهم من حيث الأعمال الحجرية، ويعكس السمات والأسلوب للفترة التي بُني فيها.

هناك نافذة وردية في المنتصف العلوي تلفت الانتباه إلى سطح الجدار البارز المجاور لها. هذه النافذة الوردية من الفترة الصليبية كثيرا ما توجد في الكاتدرائيات القوطية في أوروبا، وهي مؤطرة من الخارج بقوالب دائرية. تم تشكيل نافذة بفتحة سداسية في منتصف الداخل وفتحات على شكل قطرة على حوافها الستة.

تم استخدام المواد الحجرية والرخامية التي تعود إلى فترات مختلفة على نطاق واسع في بناء وزخرفة الجامع القبلي. ومن أهم هذه الأعمال المحراب الرئيسي للمسجد (محراب صلاح الدين الأيوبي) وجدار الجامع القبلي كاملة. بصرف النظر عن هذا، يبرز في الشرق مقام زكريا عليه السلام ومحرابه، وفي الجنوب مسجد الشهداء الأربعون ومسجد عمر بن الخطاب ومحرابه، وفي غرب المنبر ضريح يحيى عليه السلام ومحرابه ومحراب موسى، تبرز هذه المعالم كأهم الأماكن التي تستخدم فيها مواد الرخام الملون كعناصر

زخارف حجرية ملونة داخلية- الجامع القبلي

زخرفية. يُظهر أن هذا المكان غني بالمحاريب، مثل قبة الصخرة. كما أن الأعمدة والأقواس التي تحمل القبة أمام محراب المسجد، والأعمدة

كتابات المحراب الرئيسي- الجامع القبلي

الحاملة وأعمدة الفراغات في يمينها ويسارها، هي الأماكن التي أخذت نصيبها من هذه الأعمال الحجرية. يُفهم من النقوش أن المحراب الرئيسي للمسجد رممه صلاح الدين الأيوبي بعد الفتح الثاني للقدس.[٢١] يقع المحراب على المحور الرئيسي في منتصف جدار القبلة. يحد مشكاة المحراب ذات الإطار المستطيلي من كلا الجانبين أعمدة رخامية أسطوانية بألوان مختلفة، واحدة مزدوجة والأخرى مفردة. فالمشكاة العميقة نصف

محراب عمر في الجامع القبلي

دائرية ومغطاة بصفوف عمودية من الرخام الملون. كما أن مشكاة المحراب مغطاة بمقرنص نصف قبّوي محاط بقوس من مرحلتين من الأعلى. تم تأطيرها من الأعلى مع استمرار القوس الخارجي، مع نقوش كتابية إنشائية موضوعة على القوس. يتضح من الصور القديمة وجود محرابين صغيرين بجوار الأعمدة الموجودة على الجانبين السفليين من المحراب الرئيسي، وهو ما لا يُرى اليوم. هذه المحاريب سطحية وتنتهي بعقود مدببة، تحدها أعمدة أسطوانية من الجانبين. بالمقارنة مع اللوحات القديمة، يمكن أن نفهم أن المسجد قد خضع لبعض التغييرات والترميمات بعد حريق المسجد عام ١٩٦٧م.

على الجانب الشرقي من المسجد وبموازاة جدار القبلة يوجد مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. يوجد محراب على جدار القبلة من هذه الوحدة، وهو مغطى بقباب متصالبة.

[٢١] تعد كتابة الفسيفساء هذه أول كتابة أيوبية في القدس، وهي تزيّن القوس في محراب المسجد الأقصى، على شكل مستطيل أفقي بأبعاد ٤٠٥٢١٠ سم، والكلمات فيها على أربعة أسطر بخط الثلث الجلي الأيوبي صنعت بالفسيفساء والنحت. وليست هناك أي معلومة عن خطاط هذه الكتابة. أما المكتوب في الكتابة فهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمرَ بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة، وهو يسأل الله إبزاعه شكر هذه النعمة وإجزال حظه من المغفرة والرحمة». توضيح: الموافق لـ٢٧ من رجب ذكرى معجزة المعراج.
Gedik, Hat Sanatı Bakımından Kudüs Ve Çevresindeki Eyyûbî Kitâbeleri, 63-68.

وتم إضافته إلى البناء بعد الحملة الصليبية. إنه نموذج لمحراب مثير للاهتمام، ولا يتم العثور على هكذا نماذج بسهولة في العمارة والفنون الإسلامية. يتكون الجناحان الجانبيان للمحراب من تيجان وقواعد وأعمدة متجانسة من الرخام الملتوي. ومن الممكن أن تعود هذه القطع الصغيرة إلى الفترة الصليبية أو ما قبلها، ويتم فهم الحضارة التي تنتمي إليها بعد إجراء التدقيقات التفصيلية. وتتكون أجسام هذه الأعمدة من أربعة حلزونيات لولبية مزدوجة، تم نقش شخصيات أسطورية واستعارية للحيوانات تُظهر عناوينها ميزتين مختلفتين للموضوع والتكوين. كما يوجد عمودان آخران يحددان مكان مشكاة المحراب، هذه أجسام رخامية أسطوانية وعلوية. في نهاية المشكاة يتم أيضًا لف القالب الممتد أفقيًا عند مستوى بداية القوس حول الجزء العلوي، وتؤطر الأقواس والزوايا على شكل مستطيل. كان القوس المدبب ذو الطبقتين المحيط بالمقرنصات المصنوعة من أحجار مقطوعة ناعمة بلونين، وتم تشكيل النقوش المقعرة والزوايا الوسيطة بأحجار مقطوعة.

إلى الشمال مباشرة من هذا المكان- الذي يوصف بمسجد الأربعين شهيد- يتصل مباشرة بالحرم من الغرب بفتحتين مقوستين. جدران هذه المساحة المستطيلة الشكل والمسقطة من الشرق، مغطاة برخام متعدد الألوان بدءًا من الأسفل إلى المنتصف، أي من الزوايا الشمالية الغربية والجنوبية الغربية.

يتم ترتيب القطع الرخامية المستطيلة والدائرية والمضلعة والمربعة عبر مجموعة متنوعة غنية من الألوان بطرق مختلفة على كساء السطح الذي ينتهي بشريط حروف من الأعلى إلى الأسفل. كُتب النقش في الجزء العلوي البارز بخط الثلث على خلفية زرقاء داكنة، ويتضمن الآيات الأولى من سورة الإسراء من القرآن الكريم. أما من الناحية الجمالية فجودة الكتابة رائعة وممتازة.[22] على الجانب الشرقي من الجدار الجنوبي للمكان يوجد باب ذو قوس مدبب من الرخام الملون يؤدي إلى مسجد عمر. وتوجد ألواح دائرية، واحدة على الجزء المتبقي من السطح المغطى بالكامل بالرخام، واثنتان على السطحين الشرقي والشمالي الآخرين، ومؤطر بإطار مربع من الخارج ومرفق بأربع عقد من الداخل، يتم وضعها بشكل متماثل على سطح الجدار. ويتم إنشاء بعض هذه الشرائط بزخارف نباتية منحوتة، وتم إثراء زوايا المربعات والدوائر بزخارف نجمية مصنوعة من الفسيفساء الرخامية الملونة. على الأسطح المتبقية، تصطف كرات الرخام الملونة جنبًا إلى جنب أو تتحول إلى أسطح مؤطرة بالرخام الأسود. في الزخارف التي نراها في أجزاء مختلفة من الحرم، توجد أشكال هندسية وتركيبات من الفسيفساء الرخامية الملونة باللونين الأحمر والأبيض، وتقنيات التبطين أو الألواح المنقوشة على ألواح مستطيلة أو مربعة مماثلة لتلك الموجودة هنا. يجب أن يُنظر إلى هذه الزخارف الرخامية متعددة الألوان في المبنى على أنها جزء من طراز وأسلوب الفترة المملوكية.

زخارف رخام مسجد الأربعين شهيد- الجامع القبلي

[22] Uğurluel, Arzın Kapısı Kudüs, 219.

هناك وحدة أخرى تقع في الجانب الشمالي من هذا المكان، وهي المنطقة التي يقع فيها محراب زكريا على جدار القبلة، وتسمى مقام زكريا عليه السلام. في الواقع، هذا المكان يتوافق مع الواجهة ذات النوافذ الوردية التي وصفناها من الخارج. تنفتح فتحة دائرية الشكل على الحرم بقوس مدبب، تحدها أعمدة رخامية من كلا الجانبين على الجدار الشرقي لهذا المكان، من أسفل النافذة الوردية في الأعلى إلى المنتصف. بالإضافة إلى ذلك، تم عمل كسوة رخامية ملونة مرتبة على شكل ألواح على كلا الجانبين، ويستخدم الجزء السفلي من الفتحة كنافذة على الجدار الشرقي للمكان، وعلى الجدار الشمالي بأكمله.

محراب زكريا في الجامع القبلي

من ناحية أخرى، تم بناء محراب زكريا بالكامل من الرخام على الجدار الجنوبي للمكان، وتمت إضافته في وقت متأخر. يتكون المحراب- المستطيل من الخارج- من ثلاثة أقواس مقوسة الشكل، ترتكز على عمودين رخاميين على كلا الجانبين. وتم فتح محراب نصف متعدد الأضلاع في منتصف السطح. مشكاة المحراب الضيقة مغطاة بالرخام الملون الممتد رأسيًا، وتنتهي بمقرنصات ذات شرائح. وقد زُينت أركانه بنباتات على خلفية مطلية باللون الأخضر. زُخرف في الأعلى بتل أفقي على شكل شريط، وأغصان منحنية وزخارف من الورود.[23]

كما يُفهم من المصادر فهناك نقش كتابي يعود إلى العصر السلجوقي تحت محراب زكريا

مسجد زكريا الموجود في الجامع القبلي

عليه السلام. إنه نقش ترميمي مكتوب بالخط الكوفي العربي عبر تقنية الحفر، وهو مهم لإظهار وجود السلاجقة هنا.[24]

تم بناء محراب يحيى الموجود على جدار القبلة في المنطقة الغربية من المنبر، ليكون بمثابة مقام رمزي نبوي. وهي منطقة مربعة صغيرة، مكشوفة من ثلاث جهات ومغلقة من جهة القبلة، وتتكون من ثلاثة أقواس مقطعة تدعمها أربعة أعمدة رخامية. صُنعت الأقواس ذات الأقسام الثلاثة في الأعلى من الرخام الأخضر، وزُينت بالقوالب (القولبة) بأربع درجات. بُني محرابٌ على شكل لوحة على السطح الرخامي في جهة القبلة، مع وجود خطوط سوداء، وينتهي بعقد في الأعلى ذو ثلاث أجزاء.

هناك محراب آخر على الجانب الغربي يسمى محراب موسى (عليه السلام). تم تأطير المحراب الصغير بشكل مستطيل بواسطة قالب مسطح من الرخام الأخضر متبوعًا بشرائط رفيعة. في داخله مشكاة نصف دائرية، وفي نهايته مقرنصات على شكل نصف قبابي. تم تغطية الجزء الداخلي من المقرنصات برخام ذي لونين على شكل ست شرائح، وسطح المشكاة مرتب بقطع من الرخام الملون، يمتد عموديًا من الوسط إلى الجزء العلوي. أما في الجزء العلوي من المحراب توجد لوحة ذات زخارف نباتية بارزة مؤطرة بالرخام.

[23] "Bünyamin Erul, Kudüs ve Aksa, 2. Edit., (Ankara: Diyanet İşleri Başkanlığı, 2019), 62-63.
[24] Uğurluel, Arzın Kapısı Kudüs, 204-206; Mehmet Tütüncü, "Mescid-i Aksa'da Saklı Selcuklu Kitabesi", Yedikıta, 37 (İstanbul: Eylül, 2011), 14-17.

تـم بنـاء المنبـر الرخامـي الوحيـد فـي الحـرم الشـريف علـى الجانـب الجنوبـي مـن منصـة قبـة الصخـرة، بجـوار الجـدار الخارجـي علـى الحافـة الغربيـة للمدخـل المقوس في الوسـط، يسـمى المنبر الصيفـي أو منبـر القاضـي برهـان الديـن. وقـد تـم التعامـل معـه ومـع المحـراب علـى الحافـة الشـرقية، وهـو بنـاء يعـود للعصـر المملوكـي وتـم ترميمـه فـي العهـد العثمانـي. يحتـوي النقـش عليها على الطغراء واسـم السـلطان العثمانـي عبـد المجيـد، ويسـتخدم الرخـام والحجـر الملـون معًـا فـي المحـراب والمنبـر.

يتكـون المنبـر الممتـد فـي الاتجاهيـن الشـمالي والجنوبـي مـن: البـاب والجسـم والجنـاح وأقسـام الجنـاح. والبـاب محـاط بعموديـن مـن الرخـام، ومغطـى بحجـر اللُحمـة (الوشـاحي) المسـطح. بعـد وضـع النقـوش المقعـرة المرصعـة والمزخرفـة، نُقـش فـي أعلـى البـاب كتابـة مـن الفتـرة العثمانيـة بقـوس دائـري، وهـي مكتوبـة بطغـراء السـلطان عبـد المجيـد وتاريـخ ١٢٥٩ للميـلاد.

كمـا أن واجهـة المنبـر مـن كلا الاتجاهـات وكلا الجانبيـن مصنوعـة بنفـس الميـزات. تتكـون محيـط هيـكل المنبـر وسـوره مـن ثلاثـة أجـزاء ذات ألـواح رخاميـة بسـيطة. قسـم المرآة الجانبيـة مُرتَّـب فـي جزأيـن، الجانـب الشـمالي مُحـاط بأحجـار ملونـة مثلثـة وداخلـه مكسـو بكسـاء رخامـي عـادي. والجـزء الآخـر الموجـود أسـفل الممـر بيـن الـدرج والجنـاح، وسـطحه المغطـى بالجبـس مقسـم إلـى ثـلاث ألـواح رخاميـة. وقـد زُخـرف علـى اللوحـة العلويـة شـكل الهـلال والنجمـة، ووجهتهمـا باتجـاه اليسـار. وزُخـرف علـى الأخريـات نباتـات نافـرة الشـكل.

أمـا الصـرح فهـو مدعـوم بسـتة أعمـدة ثابتـة علـى قاعـدة سداسـية، وكل سـطح متصـل ببعضـه بواسـطة قـوس ثلاثـي الأجـزاء. تـم نقـش الزخـارف الهندسـية والنباتيـة علـى القاعـدة السـفلية وأسـطح المرصعـات العلويـة، والصـرح مغطـى بقبـة ذات أجـزاء مقطّعـة. الجـزء السـفلي مـن الصـرح علـى شـكل فتحـة مقوسـة كحـدوة حصـان، مدعمـة علـى الجانبيـن بأعمـدة رخاميـة مزدوجـة. بالإضافـة إلـى ذلـك، هنـاك زخـارف تُظهـر الخصائـص القديمـة والغربيـة.

المحـراب المجـاور للجـدار علـى الجانـب الشـرقي للمنبـر تحـده أعمـدة مسـتطيلة علـى كلا الجانبيـن، ويتكـون مـن مكانـة ذات سـطح مسـتو مـع قـوس مدبـب (الصـورة: ٦٠). وينتهـي بقولبـة مرصعـة مـن الأعلـى. إنـه مصنـوع بالكامـل مـن الرخـام، وأحيانًـا يتـم اسـتخدام الرخـام الملـون والعـروق. خصوصًـا علـى سـطح المحـراب تشـكل الأشـكال السـداسية الهندسـية خطوطًـا عليها كرات رخاميـة ملونـة فـي القسـمين العلـوي والسـفلي.

علـى طـول الحـدود الشـمالية والغربيـة للحـرم الشـريف توجـد العديـد مـن المـدارس، ومعظمهـا مـن العصـر المملوكـي. إنهـا أبنيـة مدرسـية رائعـة للغايـة مـن حيـث التصميـم والعمـارة والديكـور واسـتخدام الحجـر.

منبـر القـاضـي برهـان الديـن- المسـجد الأقصى

محراب القاضي برهان الدين- المسجد الأقصى

قنطرة (قبو القبة) مدخل المدرسة الشرفية- المسجد الأقصى

قنطرة (قبو القبة) مدخل المدرسة الشرفية- المسجد الأقصى

زخارف قنطرة (قبو القبة) مدخل المدرسة الشرفية- المسجد الأقصى

المدرسـة الأشـرفية هـي إحـدى هـذه المـدارس، تقـع فـي الجنـاح الغربـي للحـرم، بيـن بـاب السلسـلة وبـاب القطانيـن. يحتـل المبنـى المرتبـط بالحـرم الشـريف- أي أحـد المـدارس التـي يفتـح بابهـا علـى الحـرم- مكانـة خاصـة عـدة أعمـال مـن العصـر المملوكـي بهندسـته المعماريـة وزخارفـه الحجريـة التـي تعـود إلـى العصـور المتأخـرة. يُعتبـر الحـرم الشـريف هـي الجوهـرة الثالثـة وأهـم عمـل قائـم، بعـد قبـة الصخـرة والجامـع القبلـي. إنـه أجمـل مبنـى يتـم التفاخـر بـه بيـن مـدارس القـدس والمسـجد الأقصـى. لا يمكـن فهـم هـذه الميـزة إلا مـن البوابـة ومنحوتهـا الحجريـة ثنائيـة اللـون المكونـة مـن أحجـار حمـراء وبيضـاء.[٢٥]

تـم تنظيـم الركـن الجنوبـي الشـرقي مـن مبنـى المدرسـة كوحـدة مدخـل، ويبـرز ذلـك مـن حـدود الحـرم. المدخـل الـذي يتصـل بالخـارج مباشـرة عبـر أقـواس مدببـة مـن الجنـوب والشـرق مغطـى بقبـو (مصطلـح القبـو فـي هـذا المقـال يعنـي قنطـرة القبـة) مضلـع. وقـد نُظّـم قلـب هـذا القبـو بشـكل صليبـي، وتـم تجميـع الأضـلاع فـي القلـب بثلاثـة أخاديـد مـن الزوايـا مصنوعـة مـن حجـارة بلونيـن (الصـورة: ٦١). فـي القلـب الصليبـي للقنطـرة تـم نقـش تركيبـة نجمـة مؤلفـة مـن مـن رُبْعيـات اثنـي عشـرة ذراع، منقوشـة علـى الجانبيـن وفـي المنتصـف. كمـا تـم عمـل زخـارف نباتيـة داخـل أذرع النجمـة والأسـطح المتبقيـة فـي القلـب.

تـم تقييـم السـطح الغربـي للمدخـل مـع امتـدادات البـاب التاجـي، الممتـد مـن الأرضيـة إلـى منطقـة القنطـرة. وتـم تأطيـر البـاب مـن الخـارج بقولبـة ذات شـكل عقـدة، والأجنحـة الجانبيـة للبـاب الـذي ينتهـي بقـوس مـن ثـلاث شـرائح مـن الأعلـى مكونـة مـن حجـارة بلونيـن. يوجـد بـاب مسـطح مسـتطيل الشـكل يفتـح فـي منتصفـه ويغلـق بحجـر اللُحمـة (الوشـاحي) المسـطحة. ونُقشـت كتابـة رخاميـة فـي منتصـف الفتحـة تتجـه باتجـاه الجناحيـن الجانبييـن. وزُخـرف هـذا النقـش بثلاثـة أشـكال عموديـة مـن سـعف النخـل علـى كل جانـب. كمـا تـم وضـع ألـواح حجريـة بيضـاء مزخرفـة بأشـكال نباتيـة علـى جانبـي العتبـة الحجريـة المؤطـرة بالقوالـب (القولبـة). والصـف الثانـي مـن العتبـة التـي تعلـوه مصنـوع مـن الرخـام الأبيـض والرمـادي علـى شـكل زخـارف سـعف النخيـل، والألـواح الهندسـية منظمـة علـى كلا الجانبيـن.

[25] Archie, Walls. “Ottoman Restorations to the Sabil and to the Madrasa of Qaytbay in Jerusalem” In Muqarnas: An Annual on Islamic Art and Architecture. X Ed. Margaret B. Sevcenko (Leiden: E.J. Brill, 1993) 91-95;. Uğurluel, Arzın Kapısı Kudüs, 153-156.

يغطي فتحة الباب مقرنصات على شكل قوس مؤلفة من ثلاث شرائح، لها نافذة في الوسط السفلي، وتم تنظيم قبة نصفية على جانبيها مع وجود مقرنصات. والمقرنصات التي تملأ الزوايا السفلية للقوس ثلاثي الأجزاء، مقسمة إلى خمسة صفوف ولها زخارف نباتية فوقها. ويمتلئ سطح القبة النصفية- الذي يشكل الوسط العلوي للقوس- بزخارف من سعيفات النخيل المتشابكة. بالإضافة إلى ذلك، تم وضع قطع من البلاط الفيروزي بين الحجارة. تم فتح نافذة في فُرجة في منتصف الجدار الشمالي للمدخل. فوق النافذة المستطيلة المفتوحة ينقسم سطح الجدار إلى أربعة أجزاء بواسطة شريط رفيع مائل إلى الحُمرة.

يتكون الجزءان السفليان من عتبة النافذة المسطحة، والثاني متشابك مع أحجار حمراء وكريمية ملونة. بالإضافة إلى ذلك، تم تزيين سطح الأحجار ذات الألوان الفاتحة بزخارف نباتية. أما الجزء الثالث فهو مربع الشكل، وفُتحت في المنتصف نافذة دائرية متصلة بشبكة النجوم (في المنتصف) ذات اثني عشر ذراعًا. ويتكون الجزء الخارجي من ستة عشر شريحة من الأحجار الملونة البديلة. أما الصفوف الثلاثة العلوية عبارة عن مقرنصات وتغطي تجويف النافذة. بالإضافة إلى ذلك، تم نقش زخارف نباتية وكتابية على فتحات المقرنصات والسطوح الجانبية لها.

النافذة الشمالية لمدخل المدرسة الشرفية- المسجد الأقصى

أما المحراب الموجود في الإيوان الجنوبي للمبنى فقد بني بالكامل من أحجار ذات لونين على الطراز المملوكي. أما مشكاة المحراب الذي يحده حجارة ملساء بلونين على الجانبين فإنها على شكل جوفاء نصف دائرية، ومخططة على إحدى الزوايا. سطحها مغطى بصفوف عمودية من الرخام الملون. المقرنصات التي تغطي مشكاة المحراب عبارة عن قبة نصفية، ويتم استخدام صفوف حجرية ذات لونين مع صفوف أفقية، على عكس سطح المحراب. تنتهي المقرنصات بقوس من الخارج، ويحد الشريط الذي يشكل القوس أيضًا الزوايا من خلال حلقات من الأعلى. الزخرفة الوحيدة على المحراب هي صف من السعيفات فوق المشكاة.

وينبغي إضافة زخارف أرضية الحوض الموجودة في منتصف الشرفة العلوية إلى الأجزاء الجميلة للمبنى وجماليتها. وتحولت اللوحة المستطيلة إلى تركيبة هندسية من الرخام الأسود والأبيض والأحمر، وتحولت الأرض المظلمة إلى تكوين هندسي بخطوط فاتحة. وقد تم إنشاء التركيبة بنظام خط مفتوح ومغلق، وعندما تم إضافة الألوان المتباينة ظهرت زخرفة جميلة. ينبع نجاح التكوين من عجن الأشكال الهندسية مع مبادئ الجماليات الموحدة مثل التكرار والانسجام والإيقاع والتعقيد.

يعد سبيل قايتباي من أجمل المباني المائية في الحرم الشريف بهندسته المعمارية وزخارفه الحجرية، وهو أحد العمارات المملوكية في العصور المتأخرة. هذه النافورة الأنيقة بناها السلطان المملوكي الأشرف قايتباي، وهو الذي أعاد الحكم بعد الاضطرابات السياسية والتدهور الاقتصادي. تزامن عهده أيضًا مع فترة النهضة، حينها كانت العمارة تتميز بالأناقة والانسجام بدلًا من الميل إلى العمل الآثري.[٢٦]

تقع نافورة ماء السبيل في الساحة الغربية للحرم الشريف بالقرب من المدرسة الشرقية. هيكلها المكعب والطويل والأنيق مصنوع بالكامل من الحجر، ويتميز برواق مؤلف من أربع زوايا.

المنظر الغربي لسبيل قايتباي- المسجد الأقصى

وتوجد نقوش بخط الثلث على الجزء العلوي من الواجهات. القبة القائمة على حافة مثمنة الشكل مشغولة بزخرفة نباتية على الطراز المملوكي.

توضع الأقواس المدببة داخل المبنى من أربعة اتجاهات، وتمتلئ زوايا هذه الأقواس بزخارف نباتية. هناك استخدام لأحجار ذات لونين في الأقواس، كما أن الزوايا الشريطية الرفيعة التي تدور

المكان الذي يشمل الوحدة المفردة المخططة مربعة الشكل ومغطاة بقبة. (٤٫٦٠ × ٤٫٨٠ × ٧٫٦٥ م). تم بناء جسم الهيكل بمواد حجرية ناعمة، وأحيانًا تم استخدام حجرين ملونين. الأعمدة الموضوعة في زوايا الجسم الأربعة مرتبة بجسم أسطواني، وقواعدها السفلية عبارة عن ساعة رملية ورؤوسها مرتبة بصفين من المقرنصات. أما الموجودات في الزوايا الغربية والشرقية فلها زخارف مختلفة في هيكلها. كما فُتحت فتحات في المبنى، كفتحة الباب على الواجهة الشرقية، وفتحات النوافذ على الواجهات الثلاثة الأخرى. تتشابك القوالب ذات العقد المزدوجة على الجزء العلوي من الباب وعلى الواجهات الأخرى.

نافورة/سبيل قايتباي- المسجد الأقصى

حول الجزء الخارجي من القوس تؤطر الزوايا أيضًا. تم تشكيل الوصلات إلى القبة بالكامل من خلال سلسلة المقرنصات. وفُتحت نافذة صغيرة في كل اتجاه من الاتجاهات الأربعة للوصلات الانتقالية، وتم تزيين محيطها وداخل مقعرات المقرنصات بالنباتات. أما الجزء الداخلي من القبة المزودة بقالب سادة غير مزخرف.

[26] Walls, “Ottoman Restorations to the Sabil and to the Madrasa”, 85-88; Uğurluel, Arzın Kapısı Kudüs, 158.

الشكل الداخل لنافورة/سبيل قيتباي في المسجد الأقصى

في العهد العثماني، تم بناء نوافير في الشوارع والميادين الصغيرة في مدينة القدس القديمة، تم بناء معظمها من قبل سليمان القانوني، وأغلبها موجودة إلى يومنا هذا. إحداها هي نافورة السلسلة، وهي تقع في المدينة خارج بوابة السلسلة، مباشرة

نافورة السلسلة في القدس

وقصبات مستقيمة. مشكاة النافورة ذات الأعمدة العمودية المقطعة الأنيقة وعليها زخارف معقودة في المنتصف، مغطاة بأقواس مدببة ترتكز على صفين من المقرنصات على كل جانب. وجُعلت واجهة القوس المدبب أكثر وضوحًا من خلال مجموعة من القوالب المتعرجة والمسطحة. زُينت زوايا القوس بزخارف نباتية، وجُعل الوسط العلوي للقوس على شكل وردي.

على الجانب الغربي من الحرم. يُفهم من النقش المؤلف من ثلاثة أسطر أن السلطان سليمان القانوني قد بناه في عام ١٥٣٧. [٢٧]

واجهة النافورة التي يتوجه ظهرها على الحائط شكلها مستطيل، وتحيط بها أخاديد مقولبة

[27] Tanman, Osmanlı Döneminde Kudüs, 527.

القوس والجبهة العلوية لنافورة السلسلة- القدس

وُضِعت وردة متجانسة كبيرة مجمّعة على الجبهة العلوية من النافورة، وتم قطع شرائحها الثلاث السفلية. الجزء الداخلي الدائري وحواف هذه الوردة نباتية. تم نقش خط الثلث الجلي المكون من ثلاثة أسطر على الجزء العلوي من النافورة، ووضعت مرآة نافورة تحتها. يوجد في الأسفل حوض حجري عليه زخارف هندسية.

تعكس هذه النوافير الطراز العثماني وتلفت الانتباه بهياكلها الأنيقة. من ناحية تقدم خدمات خيرية في المدينة، ومن ناحية أخرى تساهم في جماليات المدينة بسماتها المعمارية.

نتيجة

من أجل فهم القدس في التاريخ والحضارة الإسلامية، تمت مناقشة هذه الدراسة بهدف تعريف وتقييم فنها وهندستها المعمارية إلى حد ما. ولا شك أن للقدس أهمية كبيرة لأنها أول قبلة في الإسلام. بالإضافة إلى كونها المدينة التي تربط نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمعجزة الإسراء والمعراج، وهذا يزيد من قيمتها لدى المسلمين. إن حقيقة تسمية هذا المكان بالمسجد الأقصى في القرآن كانت مفيدة جدًا، لأنها اكسبتها هوية إسلامية. بالإضافة إلى ذلك، فإن تغيير اسم المدينة إلى القدس أو القدس الشريف يدل على اندماج المدينة مع الإسلام وتكاملهما. كان للفن الإسلامي بصمة واضحة في مؤسسات الدولة وقياداتها، ونجد أمثلة واقعية لذلك في العصر الأموي. وكانت المراكز الإدارية- وتحديدًا العواصم- هي الأماكن التي ينعكس فيها ذلك الفن في تلك الفترة بشكل أفضل.

ونلاحظ أن تأثير الأسلوب المركزي على الأعمال الفنية يتضاءل مع توسعه نحو الريف، وتبرز الديناميكيات المحلية في المقدمة. تُعتبر مدينة القدس موقعًا إقليميًا بعيدًا عن العواصم في الدول الإسلامية، باستثناء الفترة الأموية. ومع ذلك، يتم فهمها بوضوح عند الأعمال القائمة، نظرًا لقدسية المدينة وأهميتها الدينية، وتحظى برعاية وأهمية خاصة في كل فترة، على الرغم من كونها واقعة في موقع إقليمي وفقًا للمراكز الإدارية. يندمج هذا الثراء في العمل مع السمات الأسلوبية المحلية، ومن الممكن رؤية آثار أسلوب كل فترة على الأعمال الفنية الموجودة. على سبيل المثال، تعد الجودة وصنعة الحجر والرخام الملونة هي أكثر الأمثلة الملموسة على ذلك. تعكس بعض القطع الأثرية الموجودة في القدس- مثل قبة الصخرة- الخصائص الفنية لجميع الفترات الإسلامية منذ إنشائها حتى الوقت الحاضر، ويؤكد الآثار الأخرى على السمات الأسلوبية للفترة التي بُنيت فيها.

حاولنا تعريف الفن الإسلامي في القدس غالبًا من خلال الهندسة المعمارية، أي الأعمال الفنية الثابتة والأملاك غير المنقولة. والسبب في ذلك أن المتحف الذي يعرض الأعمال المنقولة هنا لا يفتح دائمًا، بالإضافة إلى إمكانيات المراجعة المحدودة، ويعود ذلك إلى الجدل القائم حول انتماء تلك الأعمال إلى القدس، لأنها أُسست وجُلبت من الخارج. ومع تزايد دراسات الفن الإسلامي في القدس، سيتم التأكيد على ذلك أيضًا.

تعبّر الأعمال الفنية الإسلامية في القدس بوضوح عن جمال الفترة التي صنعت فيها بأسلوبها وملامحها الجمالية. وإن المواد والأسلوب المستخدم في الأعمال هنا جلبت الفن والعمارة إلى القمة، جنبًا إلى جنب مع الهوية الإسلامية. وهكذا أظهر المسلمون- وهم آخر الموحدون- أنهم يهتمون بالمدينة بأنشطتهم في الإحياء والبناء وبقبولهم القدس كمكان مقدس، مثلها مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة. ومع ذلك، عندما نفكر في هذه الأعمال نرى أن هناك أعمالًا تمتد من روعتها إلى أعمال دالة على التواضع بشكل عام. فكما أننا نعلم أن الخليفة عبد الملك بنى قبة الصخرة على جبل الهيكل بطريقة تتناسب مع روعة معبد سليمان، فقد بنى السلطان سليمان القانوني نوافير في شوارع القدس كعلامة على التواضع.

مما لا شك فيه أن الاعتراف بمدينة القدس والمسجد الأقصى ومعرفتهما سيسهل إقامة علاقة بين الفن والعمارة والدين، وهذا الكلام سارٍ في ديننا الإسلامي الحنيف. بعبارة أخرى، فإن الآثار التي خلفتها الحضارة الإسلامية لا تمكننا فقط من اتباع العمارة والفنون الإسلامية في القدس، بل تساعدنا أيضًا على فهمها. ومع ذلك، يبدو أن الأمر سيستغرق وقتًا أطول قليلاً حتى نفهم ذلك. ولأننا لا نفكر في الأمر بما يكفي، ولا يمكننا إجراء بحثنا بشكل صحيح، فإن مشاكلنا بشأن القدس لن تنتهي، كما هو الحال في أجزاء كثيرة من الدول والمناطق الإسلامية.

باختصار، لن يتم فهم المسجد الأقصى إلا بفهم قبة الصخرة، ولن يتم فهم القدس إلا بفهم المسجد الأقصى، ولن تُفهم الجغرافيا الإسلامية دون فهم القدس.

المراجع باللغات الأخرى

Adam, Baki. “Üç Dinde Kudüs”. Vakıf ve Toplum, Vakıf Medeniyeti Kudüs, 5. (Ankara: Mayıs 2017): 16-21.

Armstrong, Karen. Jerusalem One City Three Faiths. New York: Ballantine Books; 1996.

Avcı, Casim.“Kudüs (Fethedilişinden Haçlı İstilâsına Kadar)”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 26: 327-329. İstanbul: TDV Yayınları, 2002.

Bear, Eva,“The Mihrab in the Cave of the Dome of the Rock”. Muqarnas 3. (Leiden:1985). 8-19.

Bozkurt, Nebi. “Kubbetü’s-Sahre”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 26: 304-308. İstanbul: TDV Yayınları, 2002.

Bozkurt, Nebi. “Mescid-i Aksâ”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 26: 268-271. İstanbul: TDV Yayınları, 2002.

Burckhardt, Titus. İslam Sanatı Dil ve Anlam / Turan Koç 2. Edit. İstanbul: Klasik Yayınları, 2013.

Can, Birol - Gülbudak, Özgür - Gökler, Burak Muhammet. “Fusayfis” İslam Mimarisinde Mozaik”. Art-Sanat Dergisi. İstanbul Üniversitesi Türkiyat Araştırmaları Enstitüsü. 7 (İstanbul 2017): 71-121.

Çam, Mevlüt, “Tarihçe-i Harem-i Şerîf-i Kudsî”. Vakıflar Dergisi 48. (Ankara: Aralık 2017),195-202.

Çift, Pelin-Harman Ömer Faruk. Kudüs’ün Gizemli Tarihi. İstanbul: Destek Yayınları, 2018.

Dündar, Abdulkadir. “Kubbetü’s-Sahra”. Vakıf ve Toplum, 5 (Mayıs 2017): 54-59.

Dündar, Abdulkadir. “Bulunduğu Şehir İnşa Edildiği Alan, Mimarisi ve Süslemeleri Bakımından Kubbetü’s-Sahra”.

Dini, Tarihi ve Edebi Açıdan Kudüs. İstanbul: Dün Bugün Yarın Yayınları. 2018.

Eraslan, Cezmi. Fotoğraflarla II. Abdülhamid Döneminde Kudüs İnanç-Mekan- İnsan. İstanbul: Üsküdar Belediyesi, 2017.

Erul, Bünyamin. “Bir Vakıf Şehri Kudüs”. Vakıf ve Toplum, Vakıf Medeniyeti Kudüs. 5 (Mayıs 2017): 22-29.

Erul, Bünyamin. Kudüs ve Aksa. 2. Edit., Ankara: Diyanet İşleri Başkanlığı, 2019.

Goldhill, Simon. KUDÜS TAPINAĞI Yahudi, Hıristiyan ve Müslümanlar İçin Kutsal Olan Bir Sitenin Olağandışı Tarihi / İbrahim Şener. İstanbul: Doruk Yayınları, 2011.

Grabar, Oleg. İslâm Sanatının Oluşumu / Nuran Yavuz. İstanbul:Hürriyet Vakfı Yayınları, 1988.

Güç, Ahmet. “Dinlerde Kutsal ve Kutsallık Anlayışı”. Dinler Tarihi Araştırmaları II. Ankara: Dinler Tarihi Derneği Yayınları, 1996.

Güneş, Hasan Hüseyin. Tarihi Olaylar ve Belgeler Işığında Kudüs’ü Yeniden Düşünmek. İstanbul: Önsöz Yayıncılık, 2017.

Harman, Ömer Faruk. “Kudüs”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 26: 323-327. İstanbul: TDV Yayınları, 2002.

Hillenbrand, Robert. “Introduction: Structure, Style, and Context in the Monuments of Ottoman Jerusalem”. Ottoman Jerusalem: The Living City, 1517-1917. Ed: Sylvia Auld and Robert Hillenbrand. Londra: Altajir World of

Gedik, Ahmet. Hat Sanatı Bakımından Kudüs Ve Çevresindeki Eyyûbî Kitâbeleri. Necmettin Erbakan Üniversitesi, 2013.

Kılcı, Ali. “Kubbetü’s-Sahra ve Türkler”. Vakıf ve Toplum 5. (Mayıs 2017): 112-119.

Korn, Lorenz. “Ayyubid Jerusalem in Perspective: The Context of Ayyubid Architecture in Bilad al-Sham”. Ayyubid Jerusalem: The Holy City in Context 1187-1250 , Ed. Robert Hillenbrand and Sylvia Auld.(London:2009), 388-407.

Korn, Lorenz, “Ayyubid Mosaics in Jerusalem”. Ayyubid Jerusalem: The Holy City in Context 1187-1250 , Ed. Robert Hillenbrand and Sylvia Auld, (London: 2009), 377-387.

Mert, Rabia. Bir Kutsal Kent Olarak Kudüs. Ankara: Eski Yeni Yayınları, 2018.

Feyza Betül Köse, “Osmanlı Dönemi Kudüs’ünde Mimari Çalışmaları”. Kahramanmaraş Sütçü İmam Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi. 29 (Kahramanmaraş:2017), 27-47.

Montefiore, Simon Sebag. Kudüs Bir Şehrin Biyografisi / Cem Demirkan. Ed. Dilek Yücel. İstanbul: Pegasus Yayınları, 2016.

Nicault, Catherine. Kudüs 1850-1948 / Estreya Seval Vali. İstanbul: İletişim, 2001.

Özdemir, İbrahim Furkan. Kudüs'ün Hazineleri "Mescitler". Ankara: DH Yayınları, 2019.

Özkeçeci, İlhan. Doğu Işığı VII.-XII. Yüzyıllarda İslam Sanatı. İstanbul: 2006.

Soylu, Sabri. Sahratullah Mescid el Aksa Kudüs ve Mübarek Etrafı. İstanbul: 2017.

Tanman, Baha, & Oth. "Osmanlı Döneminde Kudüs: Kent Dokusu, Mimarlık ve Çini Sanatına İlişkin Bir Araştırmanın Sonuçları". Ortadoğu'da Osmanlı Dönemi Kültür İzleri Uluslararası Bilgi Şöleni Bildirileri. Cilt II. 25-27 Ekim 2000

Hatay, 28 Ekim 2000 İskenderun. Atatürk Kültür Merkezi Başkanlığı Yayınları. Ankara 2001. 511-548, 771-801.

Tütüncü, Mehmet. Turkish Jerusalem (1516-1917). Ottoman Inscriptions from Jerusalem and Other Palestinian Cities.

Haarlem: SOTA, 2006.

Tütüncü, Mehmet, "Mescidi Aksada Saklı Selcuklu Kitabesi". Yedikıta. 37 (Eylül 2011), 14-17.

Tütüncü, Mehmet. "Kudüs ve Sultan I. Süleyman". Düşünce ve Tarih Dergisi. 26 (Ağustos 2016): 40-49.

Tütüncü, Mehmet. "Kubbetüssahra Yazıları". Düşünce ve Tarih Dergisi. 40 (Ocak 2018): 37-44.

Uğurluel, Talha. Arzın Kapısı Kudüs Mescid-i Aksâ. 2. Edit. İstanbul: Timaş Yayınları, 2016.

Walls, Archie. "Ottoman Restorations to the Sabil and to the Madrasa of Qaytbay in Jerusalem. In Muqarnas An Annual on Islamic Art and Architecture, X. Ed. Margaret B. Sevcenko. (Leiden: E.J. Brill, 1993): 91-95, 85-97.

Yılmaz, Ömer Faruk. Vesikalarla ve Fotoğraflarla Osmanlı Devrinde Kudüs. İstanbul: Çamlıca Yayınları, 2009.

Ze'evi, Dror. Kudüs 17. Yüzyılda Bir Osmanlı Sancağında Toplum ve Ekonomi. İstanbul: Tarih Vakfı Yurt Yayınları, 2000.W

منظر عام للقدس في العهد العثماني (أرشيف IRCICA FAY ٢٢٤٠٠٤)

القدس في الأدب التركي الإسلامي القديم والحديث

عالِم قهرمان*

ذكر اسم القدس موغل في القدم، وأقدم ما وجد عن القدس يعود لوثائق عدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قبل الميلاد. واسم «القدس» اسم أطلقه المسلمون ويعني «البركة والمبارك». ولم يرد ذكر اسم القدس في القرآن الكريم، ولكن ذكر المسجد الأقصى الموجود في القدس في سورة الإسراء (١٧/١) بما في ذلك قبة الصخرة، و«الأرض المقدسة» (المائدة ٥/٢١)، والتي تقع أيضًا في القدس، والتي تشير إلى الأراضي الفلسطينية بشكلٍ عام، والتي تضمُّ القدس بين جنباتها.[1]

١- القدس في النصوص القديمة الكلاسيكية والشعر

يذكر محمد بيري داده المانيسي في ديوانه المكتوب، وفي إيماءٍ منه إلى بداية الآية الأولى من سورة الإسراء أن السر في قوله تعالى:

«سبحان الزي أسرى. . .» المزكور فيها سيجعل
كل القلوب منتشية مزهولة لرى فرحه.[2]

من أعظم المميزات التي تجعل القدس مكانًا مقدسًا ومباركًا للمسلمين بالإضافة لكونها موطن الأنبياء السابقين ومقاماتهم، هو حقيقة أنها كانت القبلة الأولى لهم سابقًا، وهي أيضًا مسرى ومعراج النبي محمد صلَّى اللَّه عليه وسلم حيث كانت وما زالت معجزته شاهدةً فيها.

إن مصطلح «القدس» المستخدم مع هذه المعاني في أدبنا الكلاسيكي أكثر ما يوجد في القصائد وخاصة ما يستخدم هذا المعنى في القصائد الغزلية كما وقد ظهر في دواوين الشعر والنثر المتنوعة.

وقد كتب السيد «خيالي» في قصيدة:

مكانك مكة وقبلتي القدس
وجه الروم وملك الإفرنج[3]

ويقول الشاعر أن بيت المحبوبة ينتهي إليه كل طريقٍ يُسلك حتى بات كالقبلة (في القدس)، كذلك السلطان سليمان القانوني يقول:

د. عالم قهرمان، مركز الأبحاث الإسلامية (İSAM)/الهيئة العلمية للموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي،
alim_kahraman@hotmail.com

[1] Ömer Faruk Harman "Kudüs", Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, (Ankara: TDV Yayınları, 2002), 26: 324.
[2] Rasih Erkul, "Birrî Mehmed Dede Divânı'nda Âyetlerden İktibaslar" MCBÜ Sosyal Bilimler Dergisi (Celal Bayar Üniversitesi Yayınları 2017), 15: 3, 99
[3] Hayâlî Bey Dîvânı, Prep.: Ali Nihad Tarlan, (İstanbul: İstanbul Üniversitesi Yayınları, 1945), 118.

حاجباك المسجد الأقصى ووجهك الكعبة العليا

ويعني أن حاجبي المحبوب إنما هي محراب العشق (قبلته)، وفي ذلك كناية بذكره للمسجد الأقصى (والقدس) وإيماءٌ لكونه أول القبلتين. الأدب الذي تشكل وتبلور مع معجزة المعراج أدب غنيٌ جدًا ومليءٌ بالخيال، والكثير مما تردد ذكره عنه لاحقًا في الأدب التركي ليس إلا تأليفًا على السيرة ونسجًا من الكُتَّاب. بصرف النظر عن الكتب المستقلة من الأعمال مثل كتب السيرة، الموالد والمعجزات النبوية، فقد خَصصت بعض الأعمال كما في «المحمدية» و»غريب نعمي» أقسامًا خاصة ضمنها تتحدث عن معجزة المعراج. وتدرج الأمر في الحديث عنه ليشمل أقسامًا أخرى ضمنتها في أعمالها؛ فقد بات من العادات والتقاليد أن تتضمن القصائد حديثًا يصفه، وباتت الدواوين والنصوص زاخرةً بأحاديثه، ومع مرور الوقت، تشكل أدبٌ جديد متنوع كُنيَّ بالأدب المعراجي، وأصبح من الآداب الغنية المطروقة، وبات عمل «غريب نعمي» غنيًا بكل ما يتعلق بالمعراج.

شغلت بعض الأحداث والوقائع المتعلقة بالقدس بما في ذلك معجزة المعراج أيضًا مكانها في شعرنا الكلاسيكي. وأحد تلك الأحداث الهامة هو عندما أمَّ رسول الله صلَّى اللَّه عليه وسلم الأنبياء الآخرين جميعًا وصلى بهم.حتى إنه يقال:

لقد صرت مقترى لخلق العالم أجمع يا محمّد
الزي أسري به للقدس وصلى بهم

وقد طلب سيدنا عمر من بلال الحبشي الذي كان من بين المشاركين في حملته أثناء فتح القدس (٦٣٨) أن يؤذّن بالناس، وأذّن سيدنا بلال للصلاة في المسجد الأقصى وكانت تلك اللحظات من المواقف التي خلد ذكرها الشعراء. لأن سيدنا بلال الذي كان قد امتنع عن النداء بالأذان من بعد وفاة الرسول محمد صلَّى اللَّه عليه وسلم قد رفعه الآن وعاد إليه؛ بناءً على طلب سيدنا عمر في القدس المباركة، فأضفى على هذا الأذان الذي يرفع في المسجد الأقصى طابعاً مميزًا. حتى أن «فضولي» استخدم حادثة الأذان الذي رفعه بلال في القدس مشيرًا إليه في أحد أبياته قائلًا:

طاعتك لرين محمّد إعلامك الخلق
ليكن قروتك بلال في طاعته في المسجد الأقصى

بالإضافة إلى استخدام مثل هذه الاستعارات والكنايات، كانت القدس ومحيطها موضوع حديث الشعراء والأدباء في أعمالهم الأدبية الشعرية المنظومة منها أو النثرية.ومن أسباب سفر هؤلاء الأشخاص إلى القدس هو أن المدينة كانت منذ القدم ممرًا للحجاج ومنزلًا في الطريق لهم، وليست القدس ممرًا لجميع طرق الحج، ولكن الحجاج كانوا يمرون بالقدس للزيارة والورد ومن ثم يكملون طريقهم. «ما بين الشام والقدس تسع منازل وأماكن. ولكن حافلات رحلات الشام لا تذهب إلى القدس ولا تمر بتلك المنازل، ولكن كان يلاحظ كما هو الأمر مع من هم من أمثال «أحمد الفقيه والنابي وأوليا جلبي» من توجه من بعض الحجاج لذلك الطريق لزيارة المسجد الأقصى.»

ثامن هذه المنازل التسع هي القدس، وتاسعها هو خليل الرحمن (الخليل). قبل الوصول إلى القدس، يمكن للمسافرين الإقامة في قريتي «البيار» و»النافورة»، واللتين تبعدان عن المدينة ما يقارب الساعات الثلاث. والقدس مدينة كبيرة واسعة محاطة بالحدائق الغنّاء، وللمدينة ست بوابات وخمس حمامات وسوق كبير. كما يأتي المسجد الأقصى في المقدمة عند الحجاج القادمين لزيارته فهو المكان الأكثر أهمية. أما خارج المدينة فهناك العديد من الأماكن للزيارة مثل «نهر السلوى»، ومقامات الأنبياء. وفي الوجهة التاسعة «خليل الرحمن» يزور الحجاج على وجه الخصوص مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام. وعلى بعد ساعتين من القدس توجد قرية «بيت الله» والتي يُعتقد أن المسيح عيسى عليه السلام قد قبض عليه في كنيستها. يوجد في الخارج صهريج البازيليك الذي بناه القانوني والقلعة التي بناها أحمد الأول. كما وفي خليل الرحمن حمام شعبي، ويوجد مسجد دفن فيه سيدنا ابراهيم وزوجته، وكذلك نبيُّ الله إسحاق ومعه زوجته، ونبيُّ الله يوسف عليهم جميعًا السّلام. وتحت المسجد هنالك مغارة يعتقد أن فيها مقام سيدنا إسحاق وأنه دفن بداخلها».

[4] Cemal Kurnaz, Hayâlî Bey Divanının Tahlili, (İstanbul: Milli Eğitim Bakanlığı Yayınları, 1996), 152.
[5] Muhibbî Divanı, Prep.: Coşkun Ak, (Ankara: Kültür ve Turizm Bakanlığı Yayınları, 1987), 795.
[6] Mustafa İsmet Uzun, "Mi'râciyye", Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, (İstanbul: TDV Yayınları, 2005) 30: 135.
[7] Gencay Zavotçu, Klasik Türk Edebiyatı Sözlüğü, (İzmit:: Umuttepe Yayınları, 2013), 508.
[8] Ahmet Talat Onay, Eski Türk Edebiyatında Mazmunlar, (Ankara: Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları, 1992), 78.
[9] Fatma Büyükkarcı Yılmaz, Hac Menzilnamelerinde Osmanlı Şehirleri, (İstanbul: Simurg Yayınları, 2018), 196.
[10] Yılmaz, Hac Menzilnamelerinde Osmanlı Şehirleri, 197-198.

من أقدم كتب الأسفار والرحلات المذكور فيها اسم القدس هي في كتاب أحمد فقيه (كتاب أوصاف المساجد الشريفة وفضائل مكة والمدينة والقدس)، وقد نُشر العمل جنبًا إلى جنب مع مراجعة حسيبي مازي أوغلو له في البداية.

هذا العمل الذي ينتمي إلى القرن التاسع عشر هو من نوع الشعر المثنوي (وهو الذي تتساوى فيه قوافي كل بيت) ويبلغ إجمالي عدد الأبيات فيه ٣٩٠ بيتًا، ١٨٩-٣٠٣ من الأبيات التي تصف مكة المكرمة والمدينة يتخللهم وصف وأحاديثٌ عن القدس وما حولها، بالإضافة إلى ذلك نال مدح القدس ما نصيبه حوالي ٣٤٠-٣٩٠، من الأبيات التي أشادت بها.

القرس المباركة أرض عجيبة
صنعها الخالق تعالى وتبارك

ويذكر الشاعر في المقاطع التالية أنه مكث في القدس شهرين، على الرغم من أن الحجاج الآخرين قد غادروا متابعين طريقهم. ويسرد «أحمد الفقيه» في أبياته التفاصيل الدقيقة تباعًا لقبة الصخرة وفي ما يلي مثالان عن ذلك:

إنها ثمانية أضلاع زوايا تلك القبة.
مقابل النون هو جبل طور
بزجاج متناثر مزخرف ملون
ونوافذ فسيفسائية
أحجار القبة رخامية حجر
تبعث فيك الشعور بالجلالة عندما تنظر إليها
أعمدة خضراء حمراء رخامية
وفي منتصفها تتربع الصخرة

وابتداءً من البيت ٢٣٥. يبدأ وصفه وذكره لخليل الرحمن قائلًا:

دعونا نواجه قبر خليل الله ونمسح وجوهنا بترابه
ونعطي أرواحنا فداء لك يا خليل الله

يصف الشاعر مقام خليل الله بالتفصيل الدقيق فمن المفرش الذي على تابوته، إلى الشمعدانين في أعلى مقامه، وصولًا إلى ضريح النبي إسحاق ويعقوب ويوسف في الجوار.[11]

توجد في صفحات من أسفار زيارة أوليا جلبي إلى القدس في المجلد التاسع من كتابه، حيث يبدأ جلبي حديثه بتوضيح فكرة أن القدس هي جزء من جغرافية ومناسك الحج، وأنها كانت قبلة بني آدم قبل الطوفان وبعده. «وبعدها جاء الأمر الحق بالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وقد أقام رسول الله صلَّى اللَّه عليه وسلم في المدينة المنورة حوالي العشر أعوام صلى منهم ما يقارب السنة ونصف باتجاه المسجد الأقصى، حيث نزل جبريل عليه السلام على رسولنا الكريم بآياتٍ من سورة البقرة: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره..) وبذلك تحولت القبلة شطر البيت الحرام في مكة المكرمة.»[12]

كما وذكر في جزء رائع آخر ملفت في كتاب «سياحة نامه» الذي ألّفه الرحالة أوليا جلبي وهو الجزء الذي وصف فيه زيارة السلطان سليم الأول إلى القدس عام ٩٢٢ هـ (١٥١٦). وكيف سلّمت مفاتيح المدينة إلى السلطان سليم من قبل «علماء المدينة وشيوخها الصالحين» الذين خرجوا لمقابلته، وبذلك كان فتح المدينة ميسرًا سهلًا، ويذكر أوليا جلبي أن السلطان سليم قال عندها: «الحمد للَّه، أصبحت صاحب القبلة الأولى».[13]

[11] Ahmed Fakih, Kitâbu Evsâf-ı Mesâcidi'ş-Şerife, Yayımlayan: Prof. Dr. Hasibe Mazıoğlu, (Ankara: Türk Dil Kurumu Yayınları), 1974), 33-40, 42-45.
[12] Evliya Çelebi Seyahatnamesi, Prep.: Seyit Ali Kahraman, Yücel Dağlı, Robert Dankoff, (İstanbul: Yapı Kredi Yayınları, 2011), 2 :230.
[13] Evliya Çelebi Seyahatnamesi, 2:230.

وكان العمل الأدبي للنابي «تحفة الحرمين» والذي اكتمل عام ١٧١٢، عبارةً عن عمل مكتوب بمزيج متداخلٍ ما بين الشعر والنثر، وعلى الرغم أن إقامة النابي في القدس لم تتجاوز الأيام الثلاثة، إلا أن الصفحات التي سطرها وخصصها للحديث عن تلك المدينة طويلة جدًا.[14]

وفي القرن السابع عشر فيما كتبه «حفظي» في عمله النثري عن المدينة والمسمى (مرآة القدس)، قدم العديد من المعلومات عن القدس، كما كان للقصص والروايات والأحاديث نصيب لدى المؤلف أثرى بها كتابه.

كان «حفظي» قد جاء إلى القدس بهدف طلب العلم لا لزيارة المدينة والاطلاع عليها:

«... اعلم أن هذا المسكين الحقير الفقير قد جاور القدس في عام ألف وواحد وخمسين [١٦٤١م]، في القدس مجاورًا وزائرًا لقبور الأنبياء والصالحين ونتيجة لذلك ألمَّ «حفظي» بحصيلة واسعة من العلم في علوم الدنيا والآخرة.

ستة وستون ورقة، اثنا عشر قسمًا وستًا وعشرين فصلًا هي نتاج عمل المؤلف. ركز فيها بدلًا عن تصوير الأماكن في القدس بالتركيز في الارتباط الديني للمدينة. وبصرف النظر عن القدس بين المدن فإن الجزء الأطول في مؤلفه من بين ما ذكر فيها من أسماء مدن وأماكن كدمشق، ومصر، وجبل الجودي، ونهر الفرات، وأنطاكيا، وأدرنة، والقسطنطينية، جاء الحديث عن المعراج في البداية كأطولها. وبعد سرد الكاتب لكل الأحداث والأعمال التاريخية المتعلقة بالقدس واحدة تلو الأخرى. يتجلى لنا منها قدسية المدينة وعظمتها وجلالها. بالإضافة إلى ذلك يذكر «حفظي» أنه وعلى الرغم من وجود العديد والعديد من المؤلفات المتعلقة بالقدس باللغة العربية، فلا وجود لمؤلفات بالتركية ولذلك فقد بدأ بكتابة هذا العمل.[15]

ولمدة عام منذ قدومه للمدينة مع أواخر عام ١٦٢٢، قام بجمع الدواوين جنبًا إلى جنب مع كونه قاضيًا في القدس آنذاك وهو الشيخ العلامة لقب «بالسيد» و«الشيخ» جمعها أعماله كلها في ديوان مكتوب، توجد به قصيدة مقدسية بحتة وغزليتان. وفي إحدى تلك القصائد يقول:

«خلال تساقط ندف الثلج على القرس، والأشجار ملتحفة بوشاحها الأبيض، لكحرم متوجه للحج»[16]

وفيها كنايةٌ وتشبيهٌ لها بالكعبة.

منظر للأقصى الشريف ملتحفاً بوشاح أبيض رقيق من الثلج.

[14] Menderes Coşkun, Nâbî'nin Tuhfetü'l-Harameyni, (Ankara: Kültür Bakanlığı Yayınları, 2002), 219-232.
[15] Bilge Karga, "XVII. Yüzyıla Ait Bir Seyahatnâme: 'Mir'âtü'l-Kuds", Mine Mengi Adına Türkoloji Sempozyumu Bildirileri 20-22 Ekim 2011, (Adana: Çukurova Üniversitesi Yayınları, 2012), 137-144.
[16] Mustafa Öztürk, "Türk Edebiyatında Kudüs Teması", Beytülmakdis Araştırmaları Dergisi Journal of Islamicjerusalem Studies, (Beytülmakdis Çalışmaları Vakfı Yayınları: 2017), 17:2, 48-49. Yazımızın "Klasik Şiir ve Metinlerde Kudüs" bölümünü hazırlarken Mustafa Öztürk'ün bu makalesi yol gösterici oldu.

٢. القدس في بعض كتب المذكرات في بدايات القرن العشرين

لقد اطلعنا إلى الآن على أولئك الذين ضمنوا القدس في أشعارهم، وعلى آخرين من الحجيج الذين مروا بالقدس وسكنوا بين كنفاتها متحدثين عنها في كتبهم، أو غيرهم ممن مر طريق طلبهم للعلم بالقدس وتركت آثارها في أعمالهم. ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أدرجت الكتب التي كتبها الإداريون والمسؤولون من ضمن الكتب الأدبية التي تتحدث عن تاريخ القدس. من خلال التمعن بالتفكير في كون تلك الفترة هي فترة انحلال وانهيار الإمبراطورية العثمانية نجد أن الأحداث والمذكرات العائدة على تلك المدة من الزمن قد اكتسبت معنًا مختلفًا.

ولا شك أن أول كتاب يتبادر إلى الذهن لا بد أن يكون كتاب (جبل الزيتون) لفالح رفقي والذي كان جنديًا في تلك المنطقة. أسس علي أكرم بن نامق كمال نظامًا إداريًا في القدس خلال بضع سنوات قبل الإصلاحات الدستورية الثانية في (١٩٠٨) مباشرة. ومع أن ذكريات علي أكرم لا تتجاوز المقتطفات المتناثرة، نسبةً لمدة بقائه في القدس والتي لم تتجاوز السنة، إلا أن ابنته سلمى ومع بدايات السنة ١٩٣٠ كانت قد كرست جزءًا مهمًا من كتاباتها في أمريكا عن ذكرياتها وأسرتها في القدس باللغة الإنجليزية. سلمى تلك الطفلة الصغيرة التي لم تتجاوز في تلك الأيام عامها السادس تجدها تسرد ذكرياتها المتنوعة التي لابد أنها استعانت بوالدها ومذكراته لإتمامها.[١٧]

أما عن الصحفي يوسف أكتشورا الذي زار القدس سائحًا عام ١٩١٣ ولمدة ثلاثة أشهرٍ مكث فيها مراقبًا ومقيمًا، مرسلًا انطباعاته وتقيماته ومشاهداته ضمن رسائل بريدية، والتي جمعت لاحقًا في كتاب. وكذلك حسين واصف، الذي قام برحلة إلى سوريا وفلسطين عام ١٩١٣، فقد خصص جزءًا من مذكراته تحدث فيه عن القدس. [١٨]

لذا دعونا نتوقف عند هذه المذكرات الباقية كل منها على حدة.

٢-١ «تمرد على الحجاب»

كرست سلمى في مذكراتها «تمرد على الحجاب» التي ترجمت من الإنجليزية إلى التركية فصلًا عن القدس وعن رحلتها إليها بصحبة أسرتها ووالدها الذي كان قد تم تعيينه كحاكم متصرف في ذاك الوقت، بعد وصولهم إلى يافا من إسطنبول عن طريق البحر، استقلوا قطارًا ضيقًا تمتد سكته من يافا إلى القدس. واجتمع حشد بالمحطة لاستقبال الحاكم المتصرف الجديد:

محطة القدس

[١٧] علي أكرم، في رسالته إلى شاذية بيرين بتاريخ ١٤ فبراير ١٩٣٠، وخلال حديثه عن ابنته سلمى أكرم، تحدث عن مؤتمراتها وأعمالها في أمريكا، وذكر أن ابنته كتبت عملاً، وقد تم قبول هذا العمل من قبل ناشر وحتى تم الدفع لها مقدمًا. العمل المذكور أعلاه هو ذكريات سلمى أكرم، مترجمة إلى التركية تحت عنوان تمرد المحجبات (اسطنبول ١٩٩٨). لكن والدها علي أكرم قد يكون من يقف وراء نجاحات ابنته في أمريكا: "لماذا أنكر أنني عاملٌ أساسي، وربما الأول في نجاح ابنتي؟ لكن هل هذه مهمة سهلة؟ انظروا ما أرسلته إلى سلمى من قانون الأولين [ديسمبر ١٩٢٩] منذ الخامس عشر وحتى اليوم لكم قد ارسلت من أوراق وكتابات: الزواج في تركيا (الزيجات، الأعراس، إلخ) ٦٥ [صفحة] وليالي رمضان في اسطنبول ٥٧، درس (رواية) ١٧، السلطان إبراهيم المجنون ٢٨، قصص (من التاريخ القديم) ٥٢، حضرة محمد ٧٥، حريم السلطان ٥٨، عائلتنا (الجزء الأول من المعلومات عن أسلافنا وأجدادنا ٥٠ «(رسائل إسراء سزيك وشاذية بيرين إلى علي أكرم، (أنقرة: منشورات الهجاء ٢٠١٩)، ٣٦٨-٣٦٩.

[١٨] محمد توفيق بيرن هو أحد المسؤولين في القدس، وزوجته الرسامة ناجية نيال وقد نشرت مذكراتهم هما الاثنين. منذ عام ١٨٩٠ قد بدأوا بفتح صفحات جديدة أمامنا في حين أن المسؤولين يهتمون أكثر بالمسائل السياسية والإدارية. تلعب كتابات النساء في تشكيل منظور الأسرة أيضًا لذا نرى دورًا في كتابات النساء مع دفع المرأة إلى الأمام. وبذلك ظهرت لدينا شخصيات ملفتة (كل الشكر لمحمد مرتضى أوزورن الذي أبلغني بذكريات توفيق وناجية بيران بفضله كنت على إطلاع).

«وبعد عدة ساعات دخل القطار إلى القدس، مدينة مليئة بالمنازل الملتفة، محاطة بتلال أرجوانية يغمرها اليأس، تجمع حشدٌ كبيرٌ على رصيف المحطة، مصطفين في طابور أنيق من الجنود لموظفي الخدمة المدنية والمسؤولين والمأمورين، وكذلك ممثلي البعثات الأجنبية بزيهم الرسمي ووفد من الكهنة، كلهم قد اجتمعوا على المنصة. كان أولئك الكهنة رجالًا محترمين بأزيائهم الأرجوانية الحريرية. وعلى مسافة بعيدة، كان حشد من الناس يراقبوننا (...)، ركبنا السيارات وذهبنا إلى مبنى حكومي ذي هيكل حجري».

ومع بداية الأيام الأولى وجدت زوجة علي أكرم- التي كانت اعتادت حياة إسطنبول- أنها قد ضاقت ذرعًا بالقدس ووجوهها الغريبة، والتعب الذي رافق السفر إليها، أما الأب فقد كان مشغولًا تمامًا بالقيام بدوره في التوفيق وحل المشاكل والصراعات التي كانت قائمةً ما بين الطوائف المسيحية المتنازعة، من أحقادٍ وكرهٍ وغيرةٍ والكثير غيرها من الخلافات.. وقد كان يحلم بالقضاء عليها تمامًا. في مذكراتها تذكر أن أكبر وأهم ثلاث تحديات كانت تعيق ذاك الحلم هو كون القدس منطقة متنازعًا عليها بين ثلاث دياناتٍ كبرى أساسية، وكونها مدينة تملأ جنباتها القذارة ويغمرها الغبار والتراب بسحابه.

في القدس كل طائفة تريد التمكين لدينها في المدينة والسيطرة عليها والتفوق على غيرها، إحدى هذه الطوائف الساعية للهيمنة هي الأرثوذكسية الروسية. حيث تعيش أسرة سلمى أكرم بالقرب من مبنى كبير لهذه الجماعة يدعى موسكو، يطل على برج الساعة وحدائق جميلةٍ غناء:

«في القدس عاش الروس المقدسيون، وكان الحجاج الروس يأتون إلى هنا في مجموعات. كنت أراهم وافدين يأتون من الصباح إلى المساء. وكنا نسمع تراتيلهم وغنائهم مع بزوغ الفجر. رجالًا ونساءً غنوا معًا ترانيم روسية رائعة الجمال».

من أول المشاكل التي افتعلت من قبل الحجاج كانت عندما دخل أحدهم بيت لحم تحت جنح الليل، وفي وقت متأخرٍ منه وفي حالة من التأثر والوجد المفتعل ألقى بنفسه على النجمة الذهبية؛ في المكان الذي يعتقد بولادة سيدنا عيسى عليه السلام فيه. وبقي ممددًا هناك ولم يبرح لمدة طويلة، حتى نهض بعد فترة واختفى مندسًا ما بين الحجيج، وعندما اشتبه الجنود العثمانيون المسؤولون عن الأمن بحالة الرجل واقتربوا من النجم وجدوا أن جزءًا منه قد فُقد. هذا الأمر شعلةٌ لحرب بين الجماعات المسيحية في القدس وليس بالحدث العادي، إنه حدث قد يشعل الفتنة، يسفك الدماء ويريقها، بل إنه سبب كاف ليشيع الموت في المدينة! ولذلك قام الحاكم المتصرف (علي أكرم) بالذهاب أولا للقنصلية الروسية ليتم البحث عن هذا الحاج في جميع أنحاء القدس، واستمر البحث حتى تم العثور عليه وإحضاره، إلا أنه نفى التهم الموجهة إليه.. ورغم كل التحقيقات والتهديد والترهيب بالطرد أصر على إنكاره، وفي النهاية وبسبب الضغط تحطمت جسارته المزعومة ولم يبق أمامه خيار آخر غير إعادة الجزء المسروق. ويسرد الكتاب هذه الحادثة وغيرها من الحوادث المشابهة لها.

وتجدر الإشارة أيضًا إلى تلك السطور التي وصفت بها سلمى أكرم للحظات استماعها للأذان وكيف جذبتها بينما هي وسط حشود من المسيحيين في احتفالات ليلة عيد الفصح:

«ثم، وسط هذه الأصوات المتدفقة، ارتفع صوت خافت في البداية، كما لو كان من عالم آخر. (الله أكبر، الله أكبر) انتشلني هذا الصوت من القاع بطريقة جنونية، كالذي يسحب من دوامة كانت تجذبه للحضيض. رفعت نظري للأعلى ورأيت مئذنة مسجد صغير ممشوقة تمتد بشوق إلى السماء. وعلى شرفتها المنقوشة المزخرفة رأيت المؤذن ذا الثياب الداكنة ويداه على رأسه وهو يدعو المؤمنين للصلاة. كان صوته الآن يرتفع بقوة وعلو أكثر في السماء. (الله أكبر، الله أكبر).

٢-٢. رحلة سوريا-فلسطين-القدس بالرسائل ومسألة الصهيونية

نشر يوسف أكتشورا انطباعاته عن رحلته إلى فلسطين الممتدة ما بين شهري آذار/مارس وتموز/يوليو ١٩١٣ في جريدة «الوقت» التي تصدر في أورينبورغ، على شكل رسائل باللغة التتارية، ما بين ٢٠ نيسان/أبريل و١٧ تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٩١٣.

كتب «أكشورا» رجل الفكر والعلم هذه المقالات بكل اهتمام ودقة مستحضرًا معتقداته الدينية بالإضافة إلى هويته القازانية والإسطنبولية مستخدمًا دقته وانضباطه في كتاباته.

[19] Selma Ekrem [Bolayır], Peçeye İsyan, Çeviren: Gül Çağalı Güven, (İstanbul: Anahtar Kitapları Yayınevi, 1998), 64-65.
[20] Selma Ekrem, Peçeye İsyan, 72.
[21] Selma Ekrem, Peçeye İsyan, 90.
[22] Ömer Hakan Özalp, Suriye ve Filistin Mektupları, İstanbul 2019.

[٢٣] قرأها أتشورا في باريس عام ١٨٩٩ في:
Ecole Libre des Sciences Politiques

يحاول المؤلف أن يفتح أعين القارئ، بدءًا من حقيقة أن السفينة التي انطلق على متنها تابعة لشركة فرنسية، وصولًا للفت انتباهنا إلى أن الفرنسيين كانوا يستعدون لأن يصبحوا ورثة العثمانيين في سوريا منذ قرن، حيث أن سفينةً فرنسيةً تبحر من إسطنبول إلى بيروت كل أسبوعين تقريبًا، وكذلك العبَّارات الرّوسية والنمساوية والبريطانية كانت تأتي أيضًا إلى هذه المنطقة. من ناحية أخرى بالكاد كانت العبَّارة التركية تقدر على الإبحار والقدوم لمرةٍ واحدةٍ كلَّ شهرين أو ثلاثة. وهذا الوضع استمر إلى ما قبل حرب البلقان! أما الآن فضاعت هذه الفرصة. «أي وبعبارة أخرى فقد بات من يربط هذه الولايات المهمة جدًا بالعاصمة والعرش مَن يأخذ بريد إسطنبول ويستلمه؛ وبالتالي من يوصل أوامر الحكومة لهذه المقاطعات والولايات هم أغراب عنهم وأجانب».[24]

وكما وصلت سلمى أكرم إلى القدس يصل يوسف أكتشورا إليها أيضا بالقطار، القدس التي يبلغ ارتفاعها ستمئة أو سبعمئة متر عن يافا يتحدث عنها قائلًا: «كان القطار يتسلق مرتفعًا من منحدرات الوديان عند سفح هذه الجبال، متلويًا مثل ثعبان كبير، في بعض الأحيان عند قمم الجبال كانت تتراءى لنا أحجارٌ كالجمر الملتهب المتناثر ما بين بقايا الرماد بألوانها المتباينة؛ تلك الأحجار التي كان من المفترض أن تكون قرية... وأحيانًا أخرى كانت قبة بيضاء تتألق متوجة كومة الحجارة تلك، وهنا قبور بعض الأنبياء القدماء... شمعون، إليسع، وذو الكفل.. عليهم جميعًا السلام... منذ دخولنا للمنطقة الجبلية بات عدد الناس الذين نقابلهم على الطريق قليلًا جدًا، حتى الشجر لم يعد موجودًا، وكأن الحياة تذوي وتنقرض وكأنها انقلبت لصخرة محترقة منتهية بلا حياة». [25]

ويتحدث المؤلف عن داخل قلعة القدس بأنها «مدينة شرقية بالكامل»، شارع ضيق ومزدحم. قذر وعار. «إنها ممتلئةٌ بالكامل، مزدحمةٌ للغاية، لدرجة أنه من المستحيل السير دون الاصطدام بشخص ما. امرأةٌ بدوية ترتدي رقعة على أنفها وتزين وجهها نصف الظاهر بطلاء أزرق هناك، حمار، شوالات طحين، الشيوخ بجببهم الواسعة، الجِمال، صبيٌ عربيٌ صغيرٌ هنا يحمل على رأسه صينيةً واسعةً طويلةً واضعًا فيها خبزًا أصفر دائريًا صغيرًا... كانوا جميعًا متجمعين في ذات المكان، يدفعون بعضهم البعض يصرخون ويصرخون، يتدفقون خلال كلِّ ذلك الضيق وتلك القذارة».[26]

وقد استقر المؤلف في فندق «الفرنسيين»، كان ما حول الفندق مألوفًا له كبلاده؛ لأن الفندق كان يطلُّ على شارع الروس.فحالما يغادر باب الفندق يشعر وكأنه نزل من السفينة إلى الرصيف الكبير في قازان، حيث توجد متاجر تبيع الخيار المخلل في براميل سوداء ضخمة والأسماك مجففة في صناديق عليها أحرف روسية والخبز الأسمر الروسي الفريد من نوعه.

هناك لا تسمع أي لغةٍ أخرى غير الروسية في الشارع، ولا يمكنك رؤية أي نقود غير النقود الروسية فيه.[27]

زار اكتشورا الأماكن المقدسة هناك وصولًا إلى الحجر المعلق (الصخرة المشرفة بمسجد قبة الصخرة) مديرًا وجهه إلى سقف قبة الصخرة وجدرانها وأقواسها وأعمدتها، ليخلص إلى أنه لم ير قط مكانًا أكثر جمالًا من هذا المعبد. يرد إلى عقلك صور من معبد البارثيون في أثينا وأخرى لآية صوفيا في إسطنبول «بأصالة البارثينون البسيط التفاصيل، وجلال آيا صوفيا العظيم، يطغى هنا عليه الجمال الغامض». ويسرد ملاحظاته حول المسجد الأقصى:

المسجد الأقصى هو ضعف أو ثلاثة أضعاف حجم قبة الصخرة، رباعيٌ مستطيل بداخله مسجدٌ فقط. تقسم الأعمدة السميكة والقصيرة والثقيلة هذا الهيكل المستطيل إلى ثلاثة أقسام منفصلة وفقًا للقِبلة. (...) وعلى الرّغم من أنها لا تحمل قبة الصخرة، إلا أنها نابضة بالحياة والجمال والرقة والروحانية. ومن خلال إضفاء الزجاج الملون على النوافذ تلونت الأضواء الداخلة منها وكسرت النمطية البيضاء في الضوء، ليحل دفئُ الألوان مكان شحوب الأبيض، وعلى الجدران وما بين الأقواس يتداخل اللونان الأخضر الغامق والذهبي في فسيفسائها معطيًا إياها إضاءةً خافتةً لطيفةً... وكما في «صخرة الله» تغطي أيضًا هذا المكان المقدس قبةٌ ضخمةٌ مليئةٌ بالأسرار. أما عن منبر المسجد ومحرابه فهو يعتبر من أفضل الأعمال الحرفية الإسلامية الخشبية في القرن الثاني عشر...» [28]

ويتحدث الكاتب عن إحدى صلوات الجمعة التي قد صلاها هناك وعن خطبة الجمعة فيها وكم قد أعجب بها.

يتسلق اكتشورا جبل الزيتون صاعدًا على خطى الأنبياء السابقين، هذا الجبل الذي يدعوه العرب «بجبل الطور» وهو جبل يرتفع حوالي (٨١٨ م) عن سطح البحر بمسافة أعلى قليلًا من القدس التي تعلو (٧٩٠ م) عن البحر. وفي أعلى هذه القمة ومن تلك الإطلالة التي تخترق الروح:

[24] Yusuf Akçura, Mektuplarla Suriye-Filistin-Kudüs Seyahati ve Siyonizm Meselesi, Prep.: Ömer Hakan Özalp, (İstanbul: İşaret Yayınları, 2019), 30.
[25] Akçura, Mektuplarla Suriye-Filistin-Kudüs Seyahati ve Siyonizm Meselesi, 169.
[26] Akçura, Mektuplarla Suriye-Filistin-Kudüs Seyahati ve Siyonizm Meselesi, 268.
[27] Akçura, Mektuplarla Suriye-Filistin-Kudüs Seyahati ve Siyonizm Meselesi, 178.
[28] Akçura, Mektuplarla Suriye-Filistin-Kudüs Seyahati ve Siyonizm Meselesi, 194, 196.

«تحت قدميك تجد نهر قدرون ووادي يهوشافاط/ملك يهوذا... وعلى أحد جوانبها وفي أعلى أحد جدران القلعة الضخم جدًا يتربع ميدان الحرم الشريف وفي الميدان تطل قبة الصخرة ذات اللون الفيروزي، والمسجد الأقصى الواسع، والقباب الكبيرة والصغيرة المتناثرة، وأشجار الزيتون والجميز تلتف في دوائر وحلقات حول المكان، وتمتد أشجار السرو متطاولة مصطفة كشموعٍ سوداء ثخينةٍ متراصة... هذه الساحة المهيبة بدت للناظر من بعيد وكأنها لعبة ثمينة جدًا».[29]

يحتوي الكتاب على نتائج ملحوظةٍ وملفتةٍ حول أهداف وأنشطة اليهود وفعالياتهم. ويستشهد المؤلف -الذي استفاد أيضًا من كتاب جاستون ماسبيرو- حيث ينقل الأسطر التالية من قوله: «لم يحدث غزو اليهود للأرض بحركات سريعةٍ وحادة؛ بل حدث ذلك ببطءٍ شديد، جزءٌ يتبعه آخر. دخل المهاجرون اليهود البلاد على شكل مجموعات، كرعاة ماشيةٍ أو كعصابات تقطع الطرق، وبعد أن تضاعفت أعدادهم بمرور السنوات شرعوا في طرد أو إخضاع أصحاب الأرض الأصليين لحكمهم».[30]

وقد التقى يوسف أكتشورا هناك بروحي الخالدي سليل فاتح سوريا القائد المسلم خالد بن الوليد، وكان روحي الخالدي الذي كان يعرفه يوسف سابقًا من إسطنبول قد أنهى دراسته في مكتب-ملكية التعليمي في إسطنبول، ذلك بالإضافة الى ما نهله من علوم علماء المقدس في الجانبين العربي والديني، فكانت مجالات تبادل الأحاديث والنقاشات بينهما فيما يخص قضايا القدس وفلسطين غزيرة وافرة. من بين ما كشفه وتحدث عنه يوسف أكتشورا في ذاك الموقع برحلته هذه التي قام بها عام ١٩١٣ هو وضع البيروقراطية العثمانية وموظفي الخدمة المدنية في المنطقة، حيث انتقدهم بشدة، مشيراً إلى أن معظمهم «كسالى، جُهلٌ، عجزةٌ، حمقى، أغبياء، فاسقون، وسكارى مخمورون». حتى أنهم يرون أنفسهم هنا منفيين وسجناء، ويخططون للعودة إلى إسطنبول أو إلى إزمير في أقرب وقت ممكن، بل إن الأسوأ من ذلك كله أن بعض الإداريين منهم يعملون مع اليهود الصهاينة:

«وعلى الرغم من ذلك فقد استولى اليهود الصهيانة على الكثير من الأراضي من أصحابها واغتصبوها من فلاحيها، بمساعدة من الحكام المتصرفين، والإداريين والباشوات الذين أعانوهم مقابل الذهب الأصفر الرنان، حتى إنه يذكر ويوثق أن أحد الرجال المقتدرين والذي كان وزيرًا للشؤون الداخلية في حكومة كامل باشا في عهد حاكم القدس المتصرف جمع ما يصل إلى أربعمئة ألف روبل في بضعة أشهر جرّاء كونه سمسارًا للصهاينة، والكثير من الناس يذكرون الأمر فبات موثوقًا على عهدة الراوي فعلى قوله: (المسؤولية على من قالها، والإثم على رقبة من رواها).»[31]

٢-٣ ذكريات الحجاز (جولاتي في سوريا وفلسطين)

يتحدث حسين وصاف الذي جاء إلى القدس في نفس العام الذي جاء فيه يوسف أكتشورا ولكن بعد ستة أشهر تقريبًا بالقطار ذاته -حيث كان قادمًا ليبقى بضعة أيام-، يتحدث واصفًا أيضًا هذا الوصول وهذه الرحلة بأسلوبه الفريد قائلًا: «لقد كنت عازمًا على القدوم للقدس على الرغم من ركوب القطار، كان السيد ميرالاي حافظ إلى جانبي، وكانت الطرق جميلة جدًا. مررنا عبر بساتين البرتقال، ورأيت أثناء الرحلة قطعانًا من الحمير العارية كانت تفر إلى الحقول خوفًا من القطار الهادر خلفهم. ملابس أهل القدس المشهورة كما في الصورة، ومن ثم تراءى لي سور القدس من بعيد، كانت رفات قلبي وخفقاته توحي لي بوصولي إلى مكانٍ مقدسٍ مبارك.

وصلنا إلى محطة جميلة، ونزلنا هناك قرابة وقت العصر، وأغلب الظن أن قاضي القدس رضا نوري الذي كنا قد صادفناه سابقًا على السفينة قد أرسل إلينا خادمه الخاص للمحطة فقد كان يبحث في الوجوه عن أوصافنا وعندما تطابقنا مع بحثه نظر إلينا قال لنا «تفضلوا سأرافقكم من هنا''.[32]

تحتوي هذه السطور التي كتبها حسين وصاف على بعض الاختلافات عن الذكريات الأخرى التي نقلناها بادئ ذي بدء، ويرجع ذلك بالأساس إلى أنه وفي رواية حسين وصاف كانت عيونه تبحث في المدينة عن الجمال، وكما رأت عيناه الحُسن فإن انعكاسات قلبه وخفقاته قادته لمعرفة أنه مقبل على مكان مبارك. وكما بإمكاننا الاستنباط من هذه السطور فإن هنالك ميزةً أخرى تعطي حسين وصاف الأفضلية في التعبير عن غيره من الآخرين، ألا وهي كون وصف كتاباته عن السفر مترافقة مع البطاقات البريدية والصور الفوتوغرافية العائدة لتلك الحقبة والتي كان يرفقها بها وتعكس بعمق ودقة وصفه وحديثه. المؤلف الذي كان قد حلّ ضيفًا على نوري أفندي قاضِ القدس، قد ذهب على الفور في اليوم التالي من وصوله إلى أماكن الزيارة:

[29] Akçura, Mektuplarla Suriye-Filistin-Kudüs Seyahati ve Siyonizm Meselesi, 292.
[30] Akçura, Mektuplarla Suriye-Filistin-Kudüs Seyahati ve Siyonizm Meselesi, 209.
[31] Akçura, Mektuplarla Suriye-Filistin-Kudüs Seyahati ve Siyonizm Meselesi, 325.
[32] Hüseyin Vassaf, Hicaz Hâtırası, (İstanbul: Kubbealtı Yayınları, 2011), s. 346.

«الحرم الشريف واسعٌ فسيح، ومن أهم الأماكن الموجودة فيه هما صخرة الله والمسجد الأقصى، وكما نرى في الصور التالية في الرسمين الثاني والثالث في أماكن وجود القباب وحيث توجد صخرة الله وكذلك المسجد الأقصى في هذا المكان المبارك.

بزينته وزخارفه الملفتة للعين والتي لا مثيل لها في العالم ولا شبيه، وكما هو معروف لدينا عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج حيث وكما يقال قد حطت قدم الرسول المباركة في مكان اختلفت تسمياته (فمن البيت المقدس إلى بيت المقدس أو صخرة الله أو حتى كما يدعى بالحرم الشريف) وضع الرسول الكريم قدمه الطاهرة لتمس تلك الصخرة الصلبة فتلين الصخرة بلينه ويطبع أثر قدمه المباركة على ذلك الجلمود، ليقوم سيدنا عمر من بعد ذلك ببناء البنيان متخذًا من موطئ قدمه أساسًا».

يقدم حسين واصف الذي زار كنيسة القيامة لاحقًا وصفًا جذابًا رائعًا حولها فيقول: «الكنيسة قديمة جدًا، تم تزيين الجزء الداخلي منها بالمرمر الفسيفسائي وسقفها مزين بالذهب ومرصعٌ كما في آيا صوفيا.

كان هنالك نزاعٌ وخلافٌ سابقًا ما بين الطوائف المسيحية على مع من سيبقى مفتاح الكنيسة، لينتج عن ذلك قرارٌ بأن المسلمين سيحتفظون به وسيظل معهم، داخلها مذهل وعظيم كمثالٍ مصغرٍعن زينتها وعظمتها».

٤-٢ جبل الزيتون

يذكر فالح رفقي في مذكراته دار الضيافة الألمانية التي كانت تستخدم كمقر للجيش الرابع خلال الحرب العالمية الأولى، في بستان صنوبر كبير على جبل الزيتون، «إن كنتم تبحثون عن غرف نومٍ واسعةٍ بحمامات خاصة بها فعليكم بالفندق الألماني، إذا اقتربتم من طرف الكنيسة ستجده أشبه بالدير تطوف الممرضات فيه وهن يعتمرن حجابهن ينقلن أخبار المرضى كعيادة جوالة، يا ترى هل يمكننا تسمية هذه القطعة «بحانة الحجيج» بدل عن عيادة المرضى كذلك يتساءل مؤلفنا. وهنا يصف المؤلف أيضًا اليوم الذي مثل فيه في حضرة قائد الجيش جمال باشا:

«بلا أدنى ذرة غبار، لامعٌ ذو سطوةٍ وبأس، الجميع ضابطًا وجنديًا على أطراف أصابعهم متأهبين، ومن وقت لآخر تمر الممرضات عبر الممر الواسع المطل على غرف النوم والمائدة.»

أما عن غرفة جمال باشا: «غرفة ضخمة: تطل جهتها اليسرى على نهر الأردن والبحر الميت، وعلى يمينها القدس، وأمامها مباني وحدائق روسية الصنع تدعى «موسكو». ما بين النافذة المواجهة لحدائق موسكو ونافذة الضفة يتشكل مثلث ثالثه هو جمال باشا الذي كان قد أعطانا ظهره قبل أن ينظر إلينا وهو منهمك في التوقيع على بعض الأوراق أمامه».

و يحدد لنا فالح رفقي موقعه الجغرافي على النحو التالي: «أنا على قمة جبل الزيتون، أطالع بناظري البحر الميت وجباله، وأبعد من ذلك يتراءى لي البحر الأحمر بساحله الأيسر حيث الحجاز واليمن، وإذا إلتفت برأسي سأجد أمام ناظري قباب كنيسة القيامة، هذه فلسطين هاهنا، هناك سوريا وتلك لبنان. على أحد أطرافي قناة السويس تتربع، وتمتد الصحاري الفارسية حتى خليج البصرة من طرف آخر! أنا ابن هذه الإمبراطورية العظيمة». وبينما يكتب فالح رفيقي مذكراته عن القدس ويحكي لنا أوضاعها في تلك الفترة، يتحدث عن كوننا مجرد عساكر نحمي تلك الأراضي حتى حين، ويقارن تلك المهمة بحمل المسلمين لأمانة مفتاح كنيسة القيامة.

«تعلمون أن كنيسة القيامة مقسمة ما بين الطوائف المسيحية في كل جزءٍ من داخلها، وكل خدمةٍ في الكنيسة تنتمي إلى جماعة ما مختلفة، ولكن لم يكن بإمكان هذه الطوائف والجماعات تقاسم شيءٍ واحد ألا وهو مفتاح الكنيسة، فالمفتاح يحتفظ به أحد العلماء كأمانة، تمامًا كما نحتفظ نحن بهذه الأرض كلها كأمانة وكحرس.. فالتجارة والثقافة والزراعة والصناعة وحتى البناء، كل شيء هو مملوك للعرب أو لدول أخرى... فقط الجيش كان لنا، حتى إن صحَّ القول ليس الجيش وإنما أثواب العسكر هي ما كانت ملكنا».

وبالرجوع إلى إسطنبول، يستذكر الكاتب الأماكن والجنود الأتراك الذين بقوا هناك ودافعوا عن الوطن وزادوا عنه بأرواحهم، فيما يعود بالذكرى لما يتعلق بسقوط القدس عندما سرت جملة «سقطت القدس!» مثل أخبار الموت في المقر، لا بد لنا نحن أن نجهز دموعنا لبيروت ودمشق وحلب القادمين على الطريق منذ الآن».

كما كتب المؤلف الأسطر التالية مقارنة ما بين وضع اليهود والعرب: «سافرت عدة مرات إلى فلسطين «اليهودية» وتجولت من يافا وصولًا إلى القدس، المدن والقرى الجديدة في فلسطين باتت قطع أثرية يهودية، هذه ليست فلسطين محدثة،

[33] Hüseyin Vassaf, Hicaz Hâtırası, 348.
[34] Hüseyin Vassaf, Hicaz Hâtırası, 354.
[35] Falih Rıfkı Atay, Zeytin Dağı, (İstanbul: Milli Eğitim Bakanlığı Yayınları, 1989), 3-4.
[36] Falih Rıfkı Atay, Zeytin Dağı, 36.
[37] Falih Rıfkı Atay, Zeytin Dağı, 37.
[38] Falih Rıfkı Atay, Zeytin Dağı, 112

بل إنها فلسطين جديدة تمامًا ومختلفة، فمن يهودي إنجليزي يرتدي بذلة سهرة في الأمسيات الليلية قد بات مختار القرية، إلى فتيات يهوديات ألمانيات بخدود حمراء يغنين أهازيجهم في طريق عودتهم من الكروم... والعرب المسلمون باتوا خدمًا لهم فترى العربي اليوم يعصر العنب ليقدمه نبيذًا لذاك اليهودي السمين».

٣. القدس في الأدب الحديث

يعتبر خروج القدس من كونها أرضًا عثمانية في عام (١٩١٧) من أعظم أحداث القرن الماضي الجلل بالنسبة للمسلمين، أما ثانيها فيأتي مع قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، التي ما فتئ جرحها الدامي ينزف ويألمنا حتى الآن مع الحروب والمذابح والاضطهاد والظلم الذي لا يتوقف. وإذا أردنا الحديث عن تطور هذا الوضع فإن الشعر التركي مدين بتوصيفه لسيزي كارا كوتش، فينما كان اليهود الصهاينة يهمّون بإحراق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ نشرت في مجلة القيامة قصيدتها المسماة «أيها اليهودي»: وفي النهاية قد أحرقت المسجد الأقصى أيضا أيها اليهودي!..كما حرّقت أرواح البشرية جمعاء لقرون!..

هذه القصيدة التي استهلت بحدث صعود رواد الفضاء إلى القمر والذي كان حدثًا جللًا في ذاك الوقت، والتي تتحدث عن معراج سيدنا محمد صلَّى الله عليه وسلم «بصعود» ميتافيزيقي، وبجمع الظنون والاستنتاجات حول الأمر والافتراضات ومقارنتها ببعضها البعض، لتصل بنا إلى منظور مختلف وجديد تمامًا عن المعتاد عليه:

ظننت أنك وصلت للسماء عندما صعرت للقمر يا يهودي!..
صرفْ أو لاتصرفْ بالصعود للسماء..
أحرقت معراج النبي الأعظم للسماء يا يهودي!..
حرقت المسجد الأقصى أيها اليهودي!..
بل الأصح أنك ظننت نفسك قد أحرقت المسجد الأقصى يا يهودي!..
ما أحرقته أنت أبدًا، أنت بالكاد تقدر على حرق ظله المنعكس عن مكان تربعه في السماء يا يهودي!..
ليست روح الأقصى ما أحرقته أيها اليهودي!..
ما أحرقته ليس إلا أحجارًا وترابًا، ما أحرقته ليس إلا أشجارًا وخشبًا يا يهودي!..

القدس في روح سزائي كاراكوتش هي مدينة حضارية عظيمة مثلها كمثل مكة والمدينة وبغداد ودمشق وإسطنبول، قد تشكل له منها منظورٌ فكري يتجلى بين قصائده وأشعاره، وتوحد بها فباتَ الحديث عنها بابًا يطرقه في كتاباته الفكرية واليومية. في قصيدة أخرى، نشهد تعابير جديدة للتفكير الميتافيزيقي المتشكل لديه فيصف الشاعر مدينة القدس بأنها «المدينة التي صنعت في السماء ونزلت منها إلى الأرض»:

ومدينة القدس تلك التي صنعت في السماء وتنزلت علينا إلى الأرض
مدينة الله ومدينة البشر جمعاء
المدينة التي تخفي تحتها فوهة
قلبي ينقله الهم ويعتصره الألم
أولم تكن ستحضر لي شمعدانًا من الشام
وستضيئه على قبر النبي سليمان
كصباح يضيئ النفوس وينيرها
كصباح سيعيد العفريت إنسانًا
سيطفئ لهيب عيني الوحش
إلى من سيعيد لعفريت إنسانًا

[39] Falih Rıfkı Atay, Zeytin Dağı, 69.
[40] Sezai Karakoç, Gün Doğmadan, (İstanbul: Diriliş Yayınları, 2000), 627.

وجدت الأصداء الإسلامية الجديدة التي ظهرت في الأدب التركي بعد عام ١٩٦٠ تعبيرَها الأوسع في أدب سزائي كاراكوتش في مفهوم «القيامة». بهذه المفاهيم يولد جيل جديد أدبي مدعم بمنظور أوسع من غيره من الأجيال وذو نظرة واسعة إدراكية ويخرج من أصلاب هذا الجيل أسماء عظيمة عريقة تمتلك مفهومها الخاص وأصالتها.

ويتجول شاهد ظريف أوغلو في مختلف الجغرافيات الإسلامية من خلال قصائده مستخدمًا لغة التحذير والتنبيه قائلًا:

لنفترض أنك أعمى
أمسك يديك
خذ حجرًا، وارمه
سيجد طريقه للكافر
أين غزلانك
أين أغانيك الجهادية الهادرة
كيف هربت من معركة آلف وقبضات
حتى إنك لم تبق ولو في آخر الركب والصفوف
رميت آلتك وتهت في الرنيا . . [41]

إذا فكرنا في القدس على وجه الخصوص، فعلى الرغم من أنه لا يمكن القول أن هناك ضوءًا آخر بنفس القوة في بيئة ومحيط كاراكوتش فيجب أن نذكر حساسية الشرق الأوسط وأفريقيا التي حاول نوري باكديل تأسيسها وحمايتها في مجلته الأدبية. ويلفت باكديل الانتباه ببعض التصريحات الأنيقة، مثل تسمية مؤلفي المجلة المذكورة أعلاه بأنهم شرق أوسطيون. كما يتم تضمين ترجماته من الشعر العربي الحديث والتاريخ من خلال اللغة الفرنسية في نفس السياق وقد أدت الحساسية التي ظهرت حول هذا الموضوع إلى قيام باكديل بكتابة قصائد لزيادة الوعي بقضية القدس تحت اسم مستعار وذلك كله على الرغم من أنه لم يكن شاعرًا. وبتنا نصادف قصائد ومراجع عن موضوع المسجد الأقصى والقدس، ولا سيّما محمد عاكف عنان، وعارف آي.[42] ومن قصيدة عاكف عنان الشهيرة المنشورة عام ١٩٧٩:

كأن بي أرى السجر الأقصى
يلقي التحية بالسلمين
لاطاقة لي على تحمل هذا النأي آكثر
ضمني لحضنك أيا إسلام !
بأربعيك يا عارف آي
أنا القدس
لقد أتيتني من كل صوب وباب

[41] Cahit Zarifoğlu, Şiirler, (İstanbul: Beyan Yayınları 2000), 383-385.

[42] لا بد هنا من أن نذكر أصواتًا أخرى تعالت من بلدان مختلفة مثل نزار قباني، ومحمود درويش، وأدونيس الذين تُرجمَت أشعارهم إلى التركية. ويكفينا الاستشهاد بشعر نزار قباني الذي يقول: يا قدسُ.. يا مدينتي، يا قدسُ.. يا حبيبتي، غداً.. غداً.. سيزهر الليمون، وتفرحُ السنابلُ، لخضراءُ والزيتون، وتضحكُ العيون..، وترجعُ الحمائمُ المهاجرة...، إلى السقوفِ الطاهرة، ويرجعُ الأطفالُ يلعبون، ويلتقي الآباءُ والبنون، على رباك الزاهرة..، يا بلدي..، يا بلد السلام والزيتون

[43] من الذين رفعوا شعار القدس في كتاباتهم: عثمان صاري، ونجاة جاوش، وحسين أطلانصوي، ومتين أونال منغوش أوغلو، ومصطفى مياس أوغلو، وجاهيل يشيليورت، وإلهامي شيشك، وأحمد مرجان، وعلي غوشر، وياسين دوغرو، ورجب غريب، وشرف آق بابا، ومصطفى يوركلي، وجواد آق قانات، ومُرسال سونماز، وسيف الدين أونلو، وكمال صاير، ومجاهد كوجا، وأوزجان أونلو.

من ذاك الباب الزي في القلب
من ذاك الباب الزي في السماء
المسجر الأقصى
المحطة الأولى والأخيرة
مني ارتفع البراق وصعد
لاتنسى ودعنا نحفظ ذاك بين السطور . [43]

نتيجة

بيَّنَّا بخطوط عريضة انعكاس القدس على الأدب التركي/الإسلامي منذ القرن الثالث عشر وحتى يومنا هذا، وخلال المدة الطويلة التي كانت بها القدس تحت الحكم الإسلامي كانت أكثر الآداب والأشعار تنحو منحًا عقائديًا كون القدس هي موئل الأنبياء السابقين وأولى القبلتين ومعراج سيدنا محمد صلَّ الله عليه وسلم، وقد حبك الأدب بتلك القصص فصيغ منه ما تولد عندنا من مذكرات وآثار.. أما في المدة الأخيرة من الحكم العثماني للمنطقة فقد ظهرت لدينا الصراعات على السلطة والنزاعات ما بين الإداريين وموظفي الخدمات وغيرهم من القادة وذلك بالتوازي مع انهيار الحكم وانعكاسًا للتفكك العام، فكما الحال دائمًا هنالك دومًا إلى جانب أولئك المخلصين الذين يبذلون قصارى جهدهم هنالك أيضًا أولئك المتخاذلون الفاسدون الذين يستغلون مناصبهم يستخدمونها لمنافعهم الشخصية.. وبعيدًا عن كل هذا لدينا أيضًا تلك الأسطر التي تصف الموجات والهزات التي تعصف بالأرواح وتكشف أشراخها..

بعد سقوط القدس وخاصة بعد قيام دولة إسرائيل تجلى الاضطهاد والظلم وأخذت المعاناة نصيبها من الأدب، وفي هذه الفترة لمع نجم سزائي كاركوتش بأدبه الملامس للأرواح فاتحًا بابًا ميتافيزيقيًّا متماهيًا بالآلام أمام منظور الحضارة للشعر.

المراجع باللغات الأخرى

Ahmed Fakih, Kitâbu Evsâf-ı Mesâcidi'ş-Şerife, Yayımlayan: Prof. Dr. Hasibe Mazıoğlu, Ankara: Türk Dil Kurumu Yayınları, 1974.

Akçura, Yusuf. Mektuplarla Suriye-Filistin-Kudüs Seyahati ve Siyonizm Meselesi. Prep.: Ömer Hakan Özalp. İstanbul: İşaret Yayınları, 2019.

Atay, Falih Rıfkı. Zeytin Dağı. İstanbul: Milli Eğitim Bakanlığı Yayınları, 1989.

[Bolayır], Selma Ekrem. Peçeye İsyan / Gül Çağalı Güven. İstanbul: Anahtar Kitapları Yayınevi, 1998.

Coşkun, Menderes. Nâbî'nin Tuhfetü'l-Harameyni. Ankara: Kültür Bakanlığı Yayınları, 2002.

Evliya Çelebi Seyahatnamesi. Prep.Seyit Ali Kahraman, Yücel Dağlı, Robert Dankoff. İstanbul: Yapı Kredi Yayınları, 2011.

Harman, Ömer. "Kudüs". Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi. 26: 324. Ankara: TDV Yayınları, 2002.

Hayâlî Bey Dîvânı. Prep. Ali Nihad Tarlan. İstanbul: İstanbul Üniversitesi Yayınları, 1945.

Hüseyin Vassaf. Hicaz Hâtırası. İstanbul: Kubbealtı Yayınları, 2011.

Karakoç, Sezai. Gün Doğmadan. İstanbul: Diriliş Yayınları, 2000.

Karga, Bilge. "XVII. Yüzyıla Ait Bir Seyahatnâme: 'Mir'âtü'l-Kuds". Mine Mengi Adına Türkoloji Sempozyumu Bildirileri 20-22 Ekim 2011. Adana: Çukurova Üniversitesi Yayınları, 2012.

Kurnaz, Cemal, Hayâlî Bey Divanının Tahlili, İstanbul: Milli Eğitim Bakanlığı Yayınları, 1996.

Muhibbî Divanı. Prep.: Coşkun Ak. Ankara: Kültür ve Turizm Bakanlığı Yayınları, 1987.

Onay, Ahmet Talat. Eski Türk Edebiyatında Mazmunlar. Ankara: Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları, 1992.

Öztürk, Mustafa. "Türk Edebiyatında Kudüs Teması", Beytülmakdis Araştırmaları Dergisi Journal of Islamicjerusalem Studies. (Beytülmakdis Çalışmaları Vakfı Yayınları: 2017), 17:2, 48-49.

Sazyek, Esra. Şaziye Berin'e Mektuplarıyla Ali Ekrem Bolayır. Ankara: Hece Yayınları, 2019.

Uzun, Mustafa İsmet. "Mi'râciyye". Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi. 30: 135. İstanbul: TDV Yayınları, 2005.

Yılmaz, Fatma Büyükkarcı. Hac Menzilnamelerinde Osmanlı Şehirleri. İstanbul: Simurg Yayınları, 2018.-

Zavotçu, Gencay. Klasik Türk Edebiyatı Sözlüğü. İzmit: Umuttepe Yayınları, 2013.

Zarifoğlu, Cahit. Şiirler. İstanbul: Beyan Yayınları 2000.

القدس في كتب الرحلات

سليم تزجان*

مقدمة

كانت القدس مَحط رِحال الرحَّالة والحُجاج الذين يأتون من أرجاء الأرض في كل عصر، لأهمية المدينة دينيًّا وتاريخيًّا وثقافيًّا. وبقيت القدس على هذه الحال في العصر العثماني، فقد زارها رحالة مسلمون مثل أوليا جلبي (ت: ١٦٨٢)، والنابلسي (ت: ١٧٣١)، واللقيمي (ت: ١٧٣٠)، وابن عثمان المكناسي (ت: ١٧٩٩). وزارَ القدسَ كثير من الرحالة والسياح من أوروبا وأمريكا من بينهم كُتَّاب مشهورون مثل شاتوبريان، ولامارتين، ومارك توين، مع «إعادة اكتشاف الغرب لفلسطين»[1] بدءًا من أوائل القرن التاسع عشر. وقد انصب اهتمام الزائرين الغربيين في هذا القرن وما سبقه على المعابد وأماكنهم المقدسة. غير أننا في هذه الدارسة سنقتصر على ما ذكره الرحالة من الشرق والغرب بدءًا من أوائل العهد العثماني، ووصفهم للبيوت والأزقة والأطعمة والأشربة، وللآثار الإسلامية وعلى رأسها المسجد الأقصى والمساجد الأخرى.

المنظر العام للقدس من الداخل والخارج

اتفق الرحَّالة الذين زاروا القدس لأول مرة على أن أجمل منظر للمدينة من بعيد يكون من جهة الشرق من جبل الزيتون. يقول المؤرخ السويسري فيليب شاف: «عليك أن ترى القدس أول مرة وآخر مرة من جبل الزيتون. لن تنسى ذلك المنظر أبدًا»[2]. أما الوزير المغربي ابن عثمان المكناسي فيرى أن القدس تبدو من جبل الزيتون بمشهد رائع وخلَّاب.[3] وأما الرحَّال الإنكليزي أدوارد دانييل كلارك فيرى أنك حينما تقترب من القدس من جبل الزيتون لأول مرة، تظهر المدينة تحت ضوء الشمس أمامك بِزيٍّ حاضِرة مهيبة، وبقبابها المضيئة وأبراجها وقصورها، فلا تستطيع المخيلة أن تستوعب جمال هذه المدينة.[4] وتحدث الشاعر والكاتب الفرنسي ألفونس دو لامارتين عن «المدينة التي تذهل الأنظار بلمعانها وألوانها» حين رآها من جبل الزيتون، وعن الأسوار التي لم يبلَ حجر واحد منها، وقبة الصخرة بجبهتها الزرقاء وأروقتها البيضاء، و«القبة والأشعة التي تنعكس منها كالبخار حين يصطدم بها ضوء الشمس»، والبيوت التي تلونت جباهها بصفرة الذهب بفصول الصيف المتعاقبة.[5]

* د. سليم تزجان، عضو الهيئة التدريسية في قسم التاريخ في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة أنقرة للعلوم الاجتماعية. selim.tezcan@asbu.edu.tr

[1] Naomi Shepherd, The Zealous Intruders: The Western Rediscovery of Palestine (San Fransisco: Harper & Row, 1 987), 11-43.
[2] Philip Schaff, Through Bible lands: notes of travel in Egypt, the desert, and Palestine (New York: American Tract Society, 1878), 234.
[3] Abdülhâdî et-Tâzî (Ed.), el-Kuds ve'l-Halil fî rihalâti'l-garbiyye, rihlet ibn-Usman nümuzecen (Fes: ISESCO, 1997), 65.
[4] Edward Daniel Clarke, Travels in various countries of Europe, Asia and Africa, 4. , (Londra: T. Cadell and W. Davies, 1817), 4/289-90.
[5] Alphonse de Lamartine, De Lamartine's visit to the Holy Land, or recollections of the East / Thomas Phipson, (Londra: George Virtue, 1847), 1/313-14.

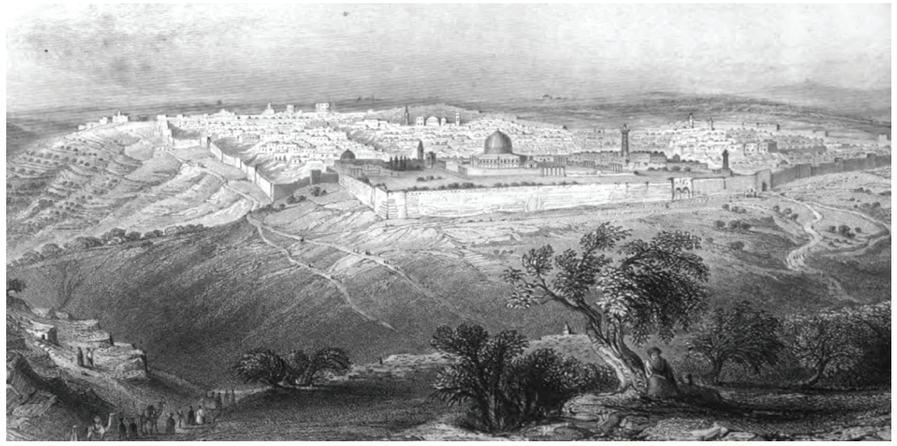

منظر القدس من جبل الزيتون

ويذكر أكثر زوَّار المدينة أن آمالهم تخيب حين يسيرون في المدينة بعدما يشاهدون منظر المدينة الرائع من بعيد. فقد ذكرَ الرحَّال الإنكليزي ويليام راي ويلسون الذي جاء إلى القدس في بدايات القرن التاسع عشر أن للمدينة مشهد جذَّاب من بعيد، ولكن حينما دخلها، خابت آماله، إذ لم يرَ شيئًا من جمالها وروعتها إلا الخراب والأزقة الضيقة وبقايا هياكل.[6] وتحدث شاف الذي قدِمَ إلى القدس في سبعينيات القرن التاسع عشر عن إعجابه بموقع المدينة بين التلال، ولكنه ذُهِلَ حين رأى سوء حال أهلها والفقر المدقع الذي يعيشون فيه.[7] وذكرَ الكاتب الإنكليزي جون واردل الذي زار المدينة في أوائل القرن العشرين أنه لم يتوقع أن يرى ما رآه بعد أن شاهد جمال المدينة بقبابها ومناراتها من بعيد، ثم وجد نفسه ضائعًا في الأزقة الضيقة الحجرية، وبين سحب الغبار التي تعلو منها.[8] لكن الضليع بالكتاب المقدس أدوارد روبنسون الذي جاء من أمريكا إلى القدس في ثلاثينيات القرن التاسع عشر كان له رأي مختلف، وكانت انطباعاته الأولى على عكس ما توقعه بناءً على ما ذكره الرحَّالة السابقون من خراب الدور وقذارة الأزقة وسوء حال الناس، ولم يجد سببًا في الشك بانطباعاته هذه. وقد وجد أن الأبنية في القدس أفضل من تلك التي في الإسكندرية وإزمير وحتى إسطنبول، وأزقتها أنظف، ورأى أن القدس من هذه الناحية تأتي بعد القاهرة مباشرةً، وأن الناس في المدينة لا يقِلُّون شأنًا عن الناس في مدن الشرق الأخرى.[9]

منظر القدس من جبل الزيتون

[6] William Rae Wilson, Travels in Egypt and the Holy Land, 2. Edit., (Londra: Longman, 1824), 111-12.
[7] Schaff, Through Bible lands, 233.
[8] John Wardle, A tour to Palestine and Egypt and back (Nottingham: H. B. Saxton, 1907), 105; Chateaubriand, Travels in Greece, Palestine, 2/180.
[9] Edward Robinson & Oth. Biblical Researches in Palestine and the Adjacent Regions: A Journal of Travels in the Years 1838 & 1852, 2. Edit., (Londra: John Murray, 1856), 1/222-23.

الجو العام للمدينة

إن جو الحزن في المدينة من المواضيع التي يتفق عليها الرحَّالة الذين ذكروا انطباعاتهم عن المدينة. فالكاتب الأيرلندي ريتشارد روبرت مادن يرى أن كل أجنبي يزور المدينة لا بد أن يشعر بجو الحزن المهيب فيها.[10] ويذكر الرحَّال ويلسون أن القسوة والحزن يسودان في المدينة.[11] وكذلك كان رأي المبشِّر الإيطالي يوغين فيتروميل الذي وجد الحزن والألم في كل شيء، وذكر أنه طوال مدة إقامته في المدينة لم يرَ الابتسامة في وجه ساكني المدينة على اختلاف أعراقهم، ورأى أنه من العسير إيجاد شيء يُفرِح الناس، وكأن كل شيء يحثهم على التقوى وترك الدنيا والتفكر والتدبر.[12] وأما العسكري الإيطالي أميليو داندولو فيرى أن الشخصية العامة للقدس الحزنُ، وأن العيش في هذه المدينة ليس إلا للأرواح التي تتغذى على التفكر، وأن زيارة هذه المدينة المقدسة للمحرومين من صفة الكمال هذه ليست إلا همًّا وغمًّا لا طمأنينة وسكينة.[13]

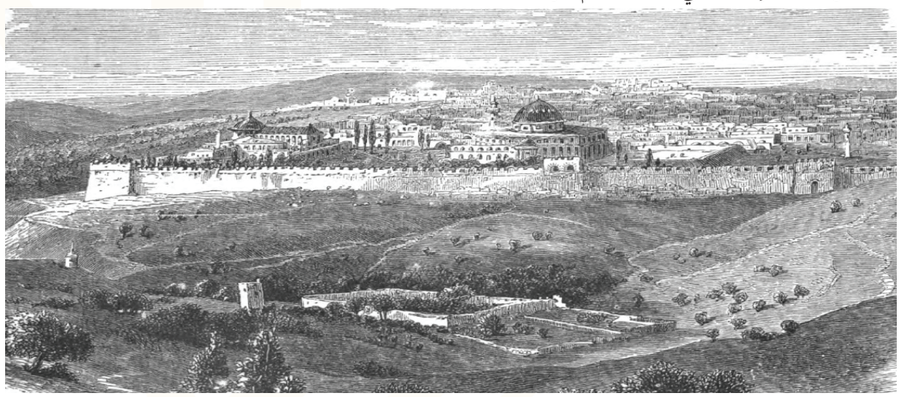

منظر القدس من جبل الزيتون

ومن صفات القدس التي لفتت أنظار الرحَّالة هدوؤها وصمتها. فلامارتين الذي زار المدينة في ثلاثينيات القرن التاسع عشر شبَّهها بـ«مدينة الأشباح». وذكرَ أن المدينة من الخارج تبدو للناظر مفعمة بالشباب والحياة، ولكن عندما يقترب منها يدرك أنه خُدِعَ بظاهرها، فلا صوت يعلو في شوارع المدينة ومساحاتها مع أن عشرات الآلاف من الناس يسكنونها. وذكرَ أن الصمت والهدوء حاكمان على أبواب أسوار المدينة، وأنه لم يجد أحدًا يدخل المدينة أو يخرج منها، ورأى أن السبب الوحيد لمثل هذه الأحوال ليس الوباء وحده.[14] وأما روبنسون الذي زار المدينة أول مرة في الفترة نفسها فتعجَّب من قلة الناس الذين صادفهم أثناء تجوله في المدينة وما حولها، وذكرَ أن السوق كان المكان الوحيد الذي يُعَدُّ من مؤشرات الحياة في القدس، ولكن نبض الحياة حتى هنا في مركز المدينة لم يكن قويًّا. كانت الحركة محدودة في بعض الشوارع الرئيسة، أما الأزقة والأقسام البعيدة عن المركز كانت باردة لا روح فيها، وقد يجول الزائر طوال اليوم ولا يصادف إنسانًا.[15] ولم يسمع داندولو ضجيج الناس ولا صخب الدكاكين، وكان الصمت مُطبِقًا حتى في السوق. وشعر بالضيق في صدره وهو ينظر إلى هذه المدينة التي لم يعلم أين تخبِّئ ساكنيها.[16]

[10] Richard Robert Madden, Travels in Turkey, Egypt, Nubia, and Palestine in 1824, 1825, 1826, and 1827 (Londra: Henry Colburn, 1829), 2/324.
[11] Wilson, Travels, 27.
[12] Eugene Vetromile, Travels in Europe, Egypt, Arabia Petraea, Palestine and Syria, (New York: D. & J. Sadlier & Co., 1871), Travels, 2/246.
[13] Emilio Dandolo, Viaggio in Egitto, nel Sudan, in Siria ed in Palestina (1850-1851), (Milan: Carlo Turati, 1854), 385-86.
[14] Lamartine, De Lamartine's visit, 1/314-15.
[15] Edward Robinson, Travels in Palestine and Syria (Londra: Henry Colburn, 1837), 1/116-17; Robinson & Oth. Biblical researches in Palestine, 1/245.
[16] Dandolo, Viaggio, 385-86.

غير أن بعضًا من الرحالة كانوا يرون أن صمت المدينة وهدوءها يزيد من قدسيَّة هذه المدينة. فمادن مثلًا يعتقد أن صمت الموت الذي وجده في أزقة القدس ولم يشهده في مكان آخر يمنح المدينة جوًّا من القداسة ويبعث فيها الروح.[17] وأما رجل الدولة الروسي أفرام سرغيفيتش نوروف فذكر أن القدس تعيش عمومًا في صمت وهدوء مطبقَين ما عدا فترة عيد الفصح حين يعم الصخب في أحياء المسيحية، ولم يجد تفسيرًا لحالة المدينة هذه، ولكنه وجد قداسة تبعث الطمأنينة في كل الأحوال.[18]

وذكرَ روبنسون الذي زار القدس للمرة الثانية عام ١٨٥٢ اختلاف المدينة عمَّا كانت عليه في الثلاثينيات من ذلك القرن. فذكرَ علامات لتطور عام شهدته المدينة في جميع أرجائها، فمع زيادة النفوذ الغربي افتُتِحَت مدارس ومستشفيات جديدة، وتطورت الزراعة نتيجة هذه المدارس، وزادت حركة الأموال، وذكَر سعي أهل فلسطين لمواكبة التقدم. ووجد روبنسون أنشطة أكثر في الأزقة وحركة أكبر من الناس في الأسواق، وكل ذلك نتيجة الإصلاحات التي بدأت في الإدارة العثمانية بين عامَي (١٨٣١- ١٨٤٠) حين كان محمد علي باشا يحكم فلسطين.[19]

الأزقة والبيوت

لفتت أزقة القدس انتباه كثير من الرحَّالة، فقد رأى نوروف الذي زار المدينة في ثلاثينيات القرن التاسع عشر أن الأزقة الفرعية كانت أزقة ترابية، أما الشوارع الرئيسة فكانت معبَّدة بالحجارة الكبيرة وبمستويات مختلفة، لذلك كان المشي عليها صعبًا ليس للأحصنة فقط بل حتى للناس.[20]

وذكرَ أوليا جلبي الذي زار المدينة قبل قرنَين الحجارة نفسها، إذ قال: «ثمة طريق مرصوف بحجارة كبيرة بحجم بِساط من سوق غايلا إلى باب مسجد سيدنا عمر الملاصق لجدران القمامة [كنيسة القيامة]. ويقولون إن عمالقة النبي سليمان قد بنوا هذا الطريق». ولكنه ذكر أن أزقة المدينة كلها كانت معبدة بحجارة بيضاء مصقولة في تلك المرحلة.[21] وأكَّدَ على ضيق الأزقة. وذكرَ الكاتب الأمريكي مارك توين الذي زار المدينة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أنه رأى القطط تقفز من سطح بيت لآخر بسهولة، وأن الأزقة الضيقة لا تتسع لوسائط النقل، وأنها تبدو تنتهي بعد مئة متر للماشي بسبب أقواسها.[22] وذكرَ روبنسون ضيق الأزقة وأن لأغلبها قناطر، فتبدو المدينة مع طريقة عمارتها بمظهر قاس.[23] ولا شك أن هذه الأزقة مغطاة لحماية الناس من حر الصيف وبرد الشتاء. وثمة رحَّالة كانت لهم انطباعات إيجابية عن هذه الأزقة. فكلارك مثلًا وجد أزقة مدينة القدس أضيق من الأزقة في مدن بلاد الشام الأخرى، ولكنها أنظف.[24] وأشارَ الكاتب الإنكليزي جيمس كين إلى أن لأزقة القدس نظامًا خاصًّا بها وإنْ بدت في النظرة الأولى مثل متاهة لكثرة الأزقة المسدودة، وأنه ثمة خمسة شوارع رئيسة تفصل بين أقسام المدينة وتمتد إلى الأودية الخمسة، وكلُّ مَن يتبع ذلك لا يضيع في المدينة أبدًا.[25]

وقد تشابهت آراء الرحَّالة في موضوع المنظر العام لبيوت القدس وعمارتها، إذ ذكر نوروف أن المدينة بُنِيَت على أفضل صورة في أيامه بالإشارة إلى شعره: «القدس بُنِيَت مدينة متحدة كأنها بناء واحد» في كتابه (الرثاء). لأن أغلب بيوت القدس مترابطة بالممرات المسقوفة، وقسم من الأزقة يقع أسفلها. واتحاد لون البيوت يجعلها تبدو ككتلة واحدة.

[17] Madden, Travels, 2/324.
[18] Avraam Sergeyeviç Norov, Puteşestviye po Svyatoy Zemlye v 1835 godu, (St. Petersburg: y.y., 1854), Puteşestviye po Svyatoy Zemlye, 348-49.
[19] Robinson & Oth. Biblical researches in Palestine, 3/161-62.
[20] Norov, Puteşestviye po Svyatoy Zemlye, 350.
[21] Evliya Çelebi. Günümüz Türkçesiyle Evliya Çelebi Seyahatnamesi: Kütahya, Manisa, İzmir, Antalya, Karaman, Adana, Halep, Şam, Kudüs, Mekke, Medine, 9. Kitap, Prep. Seyit Ali Kahraman, (İstanbul: Yapı Kredi Yayınları, 2011), 2/525.
[22] Mark Twain, The Innocents Abroad, or the New Pilgrims' Progress, (Hartford, Connecticut: American Publishing Company, 1871), 558-59.
[23] Robinson, Travels in Palestine, 1/115.
[24] Clarke, Travels in various countries, 4/375-76. James Kean, Among the Holy Places: A Pilgrimage through Palestine, 5. Edit., (Londra: T. Fisher Unwin, 1895), 29-30.
[25] James Kean, Among the Holy Places: A Pilgrimage through Palestine, 5. Edit., (Londra: T. Fisher Unwin, 1895), 29-30.

إلا أن قبة الصخرة وكنيسة القيامة منفصلتان عن هذه الكتلة. ويصوِّر نوروف بيوت القدس على أنها عمارة ضخمة من الحجر أو الطوب، وفي فوقها قباب أو سطوح مكشوفة[٢٦]. ولاحظ توين أنه عندما ينظر الناظر إلى البيوت من الأعلى، فلا يبدو له أي زقاق لقرب البيوت بعضها من بعض، فيحسب الناظر أن المدينة كتلة واحدة، لكن ما لفت انتباهه قِباب البيوت: فعلى سطوح البيت المستوية ثمة اثنتا عشرة قبة أو ستة قِباب واسعة مطلية بالأبيض، وهذا ما يعطي للمدينة منظرًا خاصًّا بقبابها الصغيرة التي لا تُحصَى. ويرى الكاتب أن القدس أكثر مدينة في العالَم لها قِباب بعد إسطنبول.[٢٧] ويوضِّح روبنسون أن هذه القباب ليست للزينة فقط، بل تدعم السطوح المستوية في غياب الأخشاب، وتعطي للغرف تحتها سقفًا أعلى وأوسع.[٢٨] ويروي أن البيوت مبنية بحجارة ضخمة، ولا يزيد أكثرها على طابقَين. ويشبِّهها بالقِلاع لأن نوافذها تطل على الداخل، ولا يُرَى من الزقاق إلا الجدران والأبواب.[٢٩] وهذا بلا شك من المعالِم الأساسية للعمارة الإسلامية، فالنوافذ لا تطل على الأزقة والبيوت الأخرى بل على داخل البيت حفاظًا على حرمة البيت.

ويلفت الرحَّالة الانتباه إلى كثرة البيوت الخرِبة في القدس. فقد رأى ويلسون الذي زار القدس في بدايات القرن التاسع عشر أن كثيرًا من الأبنية خربة مهملة، وقد استُعمِلت حجارتها لإصلاح الأسوار، ولو أن هذه البيوت أُصلِحَت، لزاد عدد سكان المدينة.[٣٠] وذكر داندولو الذي زار المدينة في منتصف القرن التاسع عشر أنه رأى بيوتًا مهدمة فارغة بين البيوت المسكونة في كل خطوة خطاها، وأن أنقاض هذه البيوت كانت تعيق الحركة في الطرق.[٣١] لكن روبنسون الذي جاء إلى القدس مرة ثانية في تلك الفترة شاهد حركة عمران قوية لبناء بيوت محل البيوت القديمة، وشبَّه المدينة بنيويورك من هذا الجانب. حتى إنه ذكرَ أن عدد البيوت التي أُعيدَ بناؤها في القدس في ذلك العام أكثر مما رآه في مجموع ستة مدن هولندية في العام السابق.[٣٢]

منظر لأزقة القدس

26 Norov, Puteşestviye po Svyatoy Zemlye, 349-50.
27 Twain, Innocents abroad, 558.
28 Robinson & Oth. Biblical researches in Palestine, 1/223.
29 Robinson, Travels in Palestine, 1/116.
30 Wilson, Travels, 126-27.
31 Dandolo, Viaggio, 410.
32 Robinson & Oth. Biblical researches in Palestine, 3/161-62.

السكان

ذكَر مارك توين الذي زار القدس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أن سكان القدس يتألفون من المسلمين، واليهود، والروم، واللاتين، والأرمن، والسريان، والأقباط، والألبان، والروم الأرثوذكس، والبروتستانت. وثمة طوائف أصغر في هذه المجموعات، واللغات التي يتكلمون بها كثيرة لا تُحصَى. وكأن الذين يسكنون القدس «يمثِّلون أعراق العالَم وألوانه ولغاته».[٣٣] وقد اختلفت الانطباعات الأولى للرحَّالة المسلمين والغربيين عن الصفة العامة لأهل القدس. وصفَ أوليا جلبي أهل القدس بقوله: «وجوه سكانها مائلة للحمرة لحسن طقسها. أهلها أهل سرور يحمون الغريب، وفيهم ربَّانيون من أهل الطريقة. يلبس الفقراء عباءات مرقطة وعباءات بيضاء واسعة، أما الأغنياء ففرو السمور الملوَّن. وأما النساء فمحتشمات يلبسن الإزار الأبيض ويضعن الحلي من الذهب والفضة، ويلبسن الجزمة دائمًا».[٣٤] ووصفَ ابن عثمان المكناسي الذي زار المدينة في القرن التالي أهلَ القدس بأن وجوههم طلقة وأخلاقهم حسنة، وبأنهم يحمون الغريب ويستضيفون ابن السبيل كما قال أوليا جلبي، ويزيد اهتمامهم بالضيف إنْ كان من أهل العلم.[٣٥] أما الفيلسوف والمستشرق الفرنسي قسطنطين فرانتشويس فولني فيرى أنه قد يكون من الخطأ الاعتقاد أنه لا مجتمع أكثر تديُّنًا في العالَم من أهل القدس لتعظيمهم للأماكن المقدسة في المدينة، ويرى أن هذا التعظيم لم يمنع من وصفهم بأنهم «أشد المجتمعات بؤسًا في سوريا وفلسطين».[٣٦] ويبالغ زائران بريطانيَّان جاءا إلى القدس للحج في الفترة التي زارها أوليا جلبي، فيدَّعيان أنه «لا عمل سيئ في الدنيا إلا وقد ارتكبه سكان الأرض المقدسة» وأنه ليس لديهم تواضع ولا فضيلة.٣٧

وتبدو هذه الآراء السلبية عن أهل القدس نتيجة الحكم المسبَق على السكان المسلمين من الكتَّاب الغربيين أكثر من كونها نتيجة ملاحظات ومشاهدات، لأنه ثمة كثير من الرحَّالة الغربيين كانت لهم انطباعات مختلفة عن علاقاتهم بسكان القدس، منهم الدبلوماسي الفرنسي لوران دارفيو الذي زار القدس في بدايات القرن الثامن عشر، وصار يجول في الأسواق وحده بالزي المحلي ويتكلم العربية، وكان أهل القدس يستقبلونه في دكاكينهم أحسن استقبال، ويدعونه للقهوة والسجائر، وقد قال: «لم أقع في أي حادثة سيئة ولو كانت صغيرة في هذه المدينة ولا في أي مدينة عثمانية، ولا أستطيع أن أذكر معاملتهم إلا بالمديح والثناء».[٣٨] وليس ثمة خلاف في أن الذين كانوا لا يجولون القدس بالزي المحلي مثل دارفيو تعرضوا لمعاملة مختلفة تمامًا. إذ ذكرَ الكاتب الإنكليزي توماس روبرت جوليف الذي زار المدينة في بدايات القرن التاسع عشر أنه ليس من الآمِن أن تتجول في أزقة المدينة بالزي الأوروبي، لأنك حينئذ قد تتعرض لجميع أنواع التحقير الشديد بصوت عال، ويتبعك الأهالي، ويرمونك الصغار بالحجارة. ويرى أن معاملة مسلمي فلسطين القاسية للقادمين من الغرب ليست إلا نتيجة حملة الفرنسيين بقيادة نابليون (١٧٩٩م). لكن كان هناك احترام ظاهر للإنكليز لدفاع القائد الإنكليزي سدني سميث بإسطوله عن عكا لدى حصار الفرنسيين لها، ولم يتعرض جوليف لأي رد فعل حين خرج بزي الصيد الإنكليزي.[٣٩] ولكن يُفهَم مما وقع فيه ويلسون الذي زار القدس آنذاك أن ردود الفعل الإيجابية تجاه الإنكليز لم تكن كل حين. فهو عندما كان يتجول بالزي الإنكليزي بالقرب من باب القديس ستيفن (باب الأسد، باب الأسباط) تعرَّض للضرب الحجارة، واستطاع أن ينجو بصعوبة ويلجأ إلى دير، وأخبره القساوسة أن السبيل الوحيد للنجاة من مثل هذه الحوادث لبس الزي المحلي، لأن الأهالي يكرهون الزي الأوروبي، ثم فعلَ ما أخبروه به وراح يتجول بحرية وراحة. وفسَّر ذلك أن المسلمين لا يجدون صعوبة في تمييز المسيحيين الغربيين الذين يلبسون مثل أهل الشرق، ويرون في لبسهم الزيَّ الشرقي احترامًا لعاداتهم وتقاليدهم، فيُعاملونهم باحترام.[٤٠]

33 Twain, Innocents abroad, 559.
34 Evliya Çelebi, Seyahatname, 2/ 533.
٣٥ النابلسي، القدس والخليل، ٨٠.
36 Constantin-François Volney, Travels through Syria and Egypt in the Years, 1783, 1784, and 1785 (Londra: G. G. J. and J. Robinson, 2. Edit., 1788), 2/304.
37 Nathaniel Crouch (müstear: Richard Burton), Two journeys to Jerusalem (Londra: y.y., 1759), Two journeys to Jerusalem, 67.
38 Laurent d'Arvieux, Mémoires du Chevalier d'Arvieux, 2. Edit., (Paris: Charles-Jean Baptıste Delespine, 1735), 116-17.
39 Thomas Robert Jolliffe, Lettres sur la Palestine, la Syrie et l'Égypte, ou Voyage en Galilée et en Judée, fait dans l'année 1817 / Aubert de 39Vitry, (Paris: Picard-Dubois, 1820), 104-5.
40 Wilson, Travels, 123

ولـم يذكـر الرحالـة الذيـن زاروا المدينـة خـلال العشـرين سـنة اللاحقـة مثـل المعاملـة التـي لقيهـا ويلسـون وجوليـف، ولعـل ذلـك لأن زيارتهمـا كانـت بعـد الحملـة الفرنسـية الداميـة مباشـرة. وعندمـا كان روبنسـون يقـوم ببعـض القياسـات فـي المدينـة، لـم يشـتبه بـه أحـد أو يسـأله شـيئًا، بـل كان أقصـى مـا تعـرض لـه أن بضعـة أشـخاص توقفـوا عنـده ونظـروا إليـه ثـم أكملـوا سـيرهم. أمـا لـو كان الأمـر نفسـه في نيويورك أو لندن، لاجتمع كثير من الناس عند رأسـه.[41] ولاحـظ الروائـي والرسَّـام الإنكليـزي ويليـام ميكبيـس ثاكـري أن أهالـي القـدس داخـل السـور يعاملـون الأوروبييـن جميعًـا بلطـف وليـن. وذكـرَ أنـه حينمـا كان يرسـم المناظـر التـي رآهـا فـي المدينـة، كان النـاس حولـه يتبسَّـمون ولا يتدخلـون في عملـه، حتـى إن بعضهـم سـمحوا لـه بـأن يرسـمهم، وعندمـا رأوا الرسـمات، عبَّـروا عـن فرحهـم ورضاهـم بحركات لطيفـة. لكنـه لـم يجـد الـود واللطافـة نفسـها مـن الأهالـي خـارج السـور.[42]

رسمة لرجل وولد مقدسيَّين
(William Makepeace Thackeray (müstear: Michael Angelo Titmarsh), Notes of a journey from Cornhill to Grand Cairo, by way of Lisbon, Athens, Constantinople, and Jerusalem (Londra: Chapman and Hall, 229 ,(1846)

وذكـرَ الذيـن زاروا القـدس فـي هـذه المرحلـة حسـن معاملـة الحكَّـام والإداريين. فقـد بيَّـن روبنسـون التعامـل الحضـاري للجنـود والضبَّـاط الذيـن صادفهـم داخـل المدينـة وخارجهـا أثنـاء زيارتـه المدينـة عـام ١٨٣٨.[43] وكان الراهـب الأمريكـي السـيد لانيـو المقيـم فـي حـي مسـلم جـارًا للمفتـي وبعـض مـن وجهـاء المدينـة، ووجـد روبنسـون فرصـةً للقـاء بهـم لأنهـم كانـوا يـزورون الراهـب كثيـرًا، وعلاقاتهـم بـه علاقـة ود ووئـام. وقـد وصـفَ المفتيَ على أنه رجل نشـيط فـي السـتينيات أو السـبعينيات مـن عمـره، لـه لحيـة بيضـاء طويلـة قـد أحسـنَ تطريفهـا، وعينـان تـدلان علـى ذكائـه. وكان المفتـي لا يتوانـى عـن تقديـم أي دعـم يتطلـب مناقشـة علميـة مـع جماعتـه، وقـد وجـد روبنسـون الإخـلاص فـي عملـه.[44] ولمَّـا مـرَّ كيـن علـى المحكمـة (المدرسـة التنكريـة) القريبـة مـن بـاب مـن أبـواب المسـجد الأقصـى، سـلَّمَ عليـه قاضيـان شـابَّان بعـد أنهيـا قضايـا ذلـك اليـوم، وطلبـا منـه الجلـوس، فتبادلـوا الآراء، ورأى كيـن فيهمـا الـذكاء والكفـاءة فـي عملهمـا.[45]

41 Robinson & Oth. Biblical researches in Palestine, 1/246.
42 William Makepeace Thackeray (müstear: Michael Angelo Titmarsh), Notes of a journey from Cornhill to Grand Cairo, by way of Lisbon, Athens, Constantinople, and Jerusalem (Londra: Chapman and Hall, 1846), 228-30.
43 Robinson & Oth. Biblical researches in Palestine, 1/245.
44 Robinson & Oth. Biblical researches in Palestine, 1/246-47.
45 Kean, Among the holy places, 51.

ويثنـي الرحَّالـة علـى التسـامح الدينـي لـدى أهـل القـدس. فقـد ذكـرَ المعلـم والمؤرخ الألمانـي هرمـان فيدفيـر الحُجَّـاج المسـيحيِّين الذيـن يدعـون فـي المحطـات المختلفـة علـى (طريـق الآلام)، وقـال: «لقـد دُهِشـتُ حيـن رأيـت الحُجَّـاج المسـيحيين في القـدس يجلسـون ويدعـون فـي وسـط الزقـاق مـن غيـر أن يتعـرَّض لهـم المسـلمون بحجـة أنهـم متعصبـون».

ثـم قـال: «ربمـا سـيكون مـن المحـال أن يحـدث مثـل هـذا الشـيء في كثير من المـدن التي يسـكنها المسـيحيون في أوطاننا».[46] وجـاء لامارتيـن بمقارنـة مماثلـة، ومـدح كثيـرًا تسـامح المسـلمين الذيـن كان يذكرهـم باسـم «التـرك» كغيـره مـن الرحَّالـة لأن العثمانييـن كانـوا حاكميـن فـي المنطقـة، فقـال:

> «لا أرى سـببًا للـوم التـرك واتهامهـم، إن الشـيء الوحيـد الظاهـر الـذي يحـل محـل التعصـب المقيـت الـذي يتهمهـم بـه الجاهلـون إنمـا هـو احترامهـم للآخريـن والتسـامح الـذي يظهرونـه أمـام مـا يعبـدون. فالمسـلم يحتـرم دائمًـا أخـاه إن رأى فـي ذهنـه فكـرة الإلـه، ويعتقـد أن هـذه الفكـرة تجعـل مـن كل ديـن دينًـا مقدسًـا. إن المجتمـع المسـلم المجتمـع الوحيـد الـذي لديـه التسـامح. علـى المسـيحيين أن يسـألوا أنفسـهم السـؤال التالـي ويجيبـوا عنـه بصـدق: مـاذا كانـوا سـيفعلون لـو أن الحـرب منحتهـم مكـة والكعبـة؟ هـل كان التـرك سيسـتطيعون أن يأتـوا مـن كل ناحيـة مـن أوروبـا وآسـيا ليعبـدوا ربهـم بطمأنينـة فـي الأماكـن المقدسـة الإسـلامية التـي حُفِظَـت حفظًـا تامًّـا؟»[47]

ويؤكـد الكاتـب والسياسـي المكسـيكي لوبـز بورتيلـو روجـاس الـذي زار القـدس فـي سـبعينيات القـرن التاسـع عشـر أن فلسـطين بلـد التسـامح، ففيـه يمكـن لأي شـخص أن يعتقـد بالديـن الـذي يريـده ويـؤدي عباداتـه كمـا يشـاء. ويذكـر الكاتـب أن الشـيء الوحيـد الـذي لا يسـتطيع المسـلمون هنـاك أن يتحملـوه ليـس اعتقـاد المـرء بديـن آخـر، بـل فخـره بعـدم وجـود ديـن لـه، لأن الشـك فـي الأمـور الدينيـة لديهـم أمـر باطـل، والـذي لديـه شـك غريـب عنهـم لا بـد أن يكـون خـارج المجتمـع. لكنـه لاحـظ أن هـذا الأمـر ليـس هكـذا دائمًـا لا سـيما للحجـاج الغربييـن. فالحجـاج فـي الماضـي كانـوا يُجبَـرون علـى دفـع ضرائـب ورسـوم كثيـرة، وكان أهـل القـدس المسـيحيون والرهبـان يتعرضـون للتحقيـر والمضايقـات دائمًـا، لكـن كل شـيء تغيـر الآن، فقـد صـاروا يحترمـون الأجانـب، ويسـتقبلونهم كأنهـم أحبـاب لا أعـداء يفصلهـم البحـر عنهـم. ويـرى الكاتـب أن سـبب هـذا التغييـر النفـوذُ المتزايـد للغـرب لا سـيما روسـيا فـي الإمبراطوريـة العثمانيـة، فالتغييـر كان علـى نطـاق واسـع، ولـو رآه الرحالـة الذيـن زاروا المدينـة في بدايـة القـرن، لحـارواواندهشـوا.[48] وقـد رأى الكاتـب هـذا التغييـر فـي كتابـات جوليـف وويلسـون مـن جهـة وروبنسـون وثاكيـراي مـن جهـة أخـرى حـول معاملـة الرحَّالـة الذيـن يلبسـون الـزي الغربـي، لكـن ربمـا كان لحملـة نابليـون تأثيـرات كمـا ذكرنـا.

السوق والصناعة والتجارة

تعـددت انطباعـات الرحَّالـة الذيـن زاروا القـدس فـي أوقـات مختلفـة عـن سـوق المدينـة. فقـد لاحظـت الرحَّالـة الفرنسـية مـاري دومينيـك دي بيونـس التـي زارت المدينـة فـي أواخـر القـرن الثامـن عشـر كثـرةَ البضائـع والفواكـه والخضـراوات لا سـيما الليمـون والبرتقـال فـي السـوق. وكان المارونيـون يبيعـون أقمشـة (الموسـلين) التـي يأتـون بهـا مـن أوروبـا. وكان فـي الدكاكيـن أغطيـة الـرأس التـي يرتديهـا القرويـن والبـدو، والعصـي التـي يسـتعملونها.[49] أمـا الكاتـب الفرنسـي فرانتشـويس رينيـه الـذي زار المدينـة بعـد عشـرين سـنة عـام ١٨٠٦ أي بعـد حملـة نابليـون علـى فلسـطين عـام ١٧٩٩ فقـد رسـمَ لوحـة مختلفـة عـن الشـارع الرئيسـي فـي القـدس والسـوق الـذي يعـد أفضـل أحيـاء المدينـة. وكان السـقف الـذي يغطـي السـوق يمنـع أشـعة الشـمس تمامًـا، وينشـر العـدوى. ولـم يسـتطع إلا أن يقـول: «مـا أسـوء الحـال هنـا!». لا أحـد هنـا. ليـس فـي السـوق إلا بضعـة دكاكيـن صغيـرة ترسـم لوحـة بائسـة، وكثيـرًا مـا تكـون مغلقـة أو متروكـة خوفًـا مـن الباشـا أو القاضـي.[50]

46 Hermann Wedewer, Eine Reise nach dem Orient, (Regensburg: Druck und Verlag von Georg Joseph Manz, 1877), 279.
47 Lamartine, De Lamartine's visit, 1/323-24.
48 José López Portillo y Rojas, Egipto y Palestina: apuntes de viaje (Mexico: Imprenta de Diaz de Leon y White, 1874), 96-98, 129.
49 Marie-Dominique de Binos, Voyage par l'Italie en Egypte, au Mont-Liban et en Palestine ou Terre Sainte, (Paris: Boudet, 1787), 2/328.
50 Chateaubriand, Travels in Greece, Palestine, 2/80, 180.

وتبيِّن انطباعات كلارك الذي زار القدس بعد عشر سنوات من زيارة الكاتب الفرنسي تشاتيوبرياند أن الأحوال لم تتغير كثيرًا. فقد رأى أن السوق غير سليمة صحيًّا، وكانت مرتعًا لجميع الأمراض المعدية، وأن عربات عرض البضائع فارغة.[٥١] وذكرَ ويلسون الذي زار المدينة في الوقت نفسه أن الإدارة العثمانية كانت تراقب السوق. وروى أنه لمَّا اشتكى أحدهم للوالي على صاحب دكان غشَّه بالمبلغ الذي أعاده إليه، أمر الوالي مباشرة بسمر أذن البائع بباب الدكان، وظلَّ صاحب الباب لبضع ساعات وهو مُشهَّر أمام أعين المارة. وكانت عقوبة مَن يغش في الوزن أو ينقص من المال الموزون من الباعة عقوبةً شديدة.[٥٢]

وأما الرحَّالة الذين زاروا القدس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فكانت انطباعاتهم عن السوق إيجابية، ووصفوها بأنها كانت مزدحمة وأكثر تنظيمًا. فقد ذكر الرحَّال الكولومبي رافائيل دوك أوريبا الذي زار المدينة عام ١٨٥٨ أن السوق كانت أكثر ازدحامًا لدى الاقتراب من مدخل كنيسة القيامة، وأنه مع دخوله الشارع الرئيسي رأى كثيرًا من باعة الصابون والجلود والفواكه المجففة والحليب والخضراوات والفحم والحطب، وأنه كان يمر بعصوبة بين عربات الباعة الذين شبَّههم بالباعة المتجولين في بلده. أما في المقدمة فكانت تُباع المسبَحات والأوسمة وأشياء أخرى مصنوعة من خشب الزيتون.[٥٣] وقد أُعجِبَ فيدفير الذي زار المدينة آنذاك «بالحركة الملوَّنة» التي رآها في السوق، ولاحظ- مثل أوريبا- أنه لا توجد دكاكين مثل التي يعرفونها في الغرب. كان كل بائع يصنع صنعته بأدوات بسيطة في كشك أو جالسًا على الأرض مثلما يكون في المعارض والأسواق في ألمانيا، ويهتم بزبائنه.[٥٤]

يُعَدُّ روبنسون الرحَّال الذي فصَّل الحديث عن الصناعة والتجارة في القدس.[٥٥] فقد وضَّح وجود قليل من الصناعات في المدينة، وكانت من أشهر الصناعات صناعة الصابون. فقد كان في القدس تسع مصانع لإنتاج الصابون منذ وقت طويل، وكان الرماد المخُلَّف من هذه المصانع في المنطقة الشمالية خارج السور أكوامًا تشبه التلال الطبيعية. وكان الحُجَّاج المسيحيون في عيد الفصح يشترون الصابون المعطَّر بكميات كبيرة. ولاحظ أوليا جلبي قبل روبنسون بقرنَين أن أكثر ما يُطلَب في القدس الصابون المعطَّر والبخور.[٥٦] ورأى روبنسون أيضًا مدبغة وتسع مصانع تنتج زيت السمسم، وكلها كانت مُلكًا خاصًّا للمسلمين. أما المسيحيون فكانوا يصنعون من خشب الزيتون والصدف والحجارة السوداء اللامعة المسبَحات والصلبان ومجسمات كنيسة القيامة وصناديق وضع الأمانات المقدسة، وأغطية الأكتاف التي تستعمَل في الدعاء. وذكرَ كثير من الرحالة الآخرون صناعة الأشياء نفسها. وكان أهل القدس كبارًا وصغارًا ينشغلون بصناعة هذه الأشياء لارتفاع سعر بيعها وانخفاض سعر المواد الأولية لصناعتها، وكانت الكميات الضخمة من هذه المنتجات تُصدَّر من ميناء يافا إلى تركيا وإيطاليا والبرتغال وإسبانيا خاصةً.[٥٧] ورأى روبنسون أن المدينة تتحول إلى معرض ضخم مفعَم بالحركة في عيد الفصح، وكان الحُجَّاج المسيحيون يشترون كميات ضخمة من المنتجات المحلية أو من التجار الذين يأتون من المدن المجاورة مثل دمشق، ويحملونها معهم إلى بلدانهم. وقد رأى الكاتب أنه لا فرق من حيث الأهمية بين هذا المعرض في القدس ومعارض لايبزيغ وفرانكفورت.

الأطعمة والأشربة

نالت أطعمة القدس لا سيما الفواكه إعجاب كثير من الرحالة. وذكر الرحَّال البولوني الأرمني سيمون الذي زار القدس في النصف الأول من القرن السابع عشر أن لون خبز «السمون» المُباع كان أبيض، وأنه كانت هناك أنواع كثيرة من الخبز ألذها خبز «الحصى».

منظر للمسجد الأقصى والقدس من جبل الزيتون
(James Kean, Among the holy places: a pilgrimage through Palestine (Londra: T. Fisher Unwin, 5. Basım, 1895), 18-19)

وكان زيت المدينة وزبدتها ولبنها لذيذًا. وكانت الأغنام تُذبَح في أيام العيد الكبير، ولكنه وجد لحم الجدي ألذ. وكانت أرض القدس مليئة بأشجار الزيتون وصالحة للزراعة وتنتج الفواكه اللذيذة مع أنها أرض صخرية وبتربة جافة. «البطيخ والشمَّام هنا بحجم كبير وطعم حلو، والرمان كبير، والتين حلو كالعسل، والسفرجل صغير لكنه لذيذ ويمكن حفظه لشهور. وهنا يُزرَع العنب ذو العناقيد الضخمة... وَزَنَّا عنقودًا، فكان أُقة ونصف [نحوًا من ٢ كيلوغرام]. وأما الورود فكانت برائحة عطرة، وكانوا يستخرجون ماءها، ويحملها الزائرون إلى بلدانهم هديةً من القدس».[٥٨] وبعد أن مدح أوليا خبز «الحصى» أشار إلى كثرة مزارع الزيتون في جبال القدس وكثرة البساتين والحقول وكثرة أنواع العنب ولذتها، مع أن أرض المدينة صخرية، وقد رأى الناس يحملون ماء الورد هدايا إلى كثير من الولايات.[٥٩]

ذكرَ الرحَّال الغربي جوليف الذي زار القدس بعد قرنين من أوليا جلبي أي في بدايات القرن التاسع عشر أن أسعار الأطعمة أرخص من أوروبا ولكنه لم يُعجَب بجودة الأطعمة في القدس، فالخبز كان قاسيًا ولم يكن مغذيًا مثل الخبز الموجود في إنكلترا، ولم يكن الجبن كما يعرفونه. وذكرَ أن الناس هنا لا يعرفون شيئًا اسمه زبدة على عكس ما ذكره سيمون. أما العسل فكان لذيذًا، ونادرًا ما وجد لحم بقر وعجل، فقد كان أهل المدينة يأكلون لحم الغنم والجدي، وكانت الدواجن كثيرة. ولكنه أُعجِبَ كثيرًا بالفواكه، فكلها كانت لذيذة على اختلاف ضروبها، وكلها أفضل لذةً وحجمًا مما كان في البلدان التي زارها، فالعنب كان رائعًا والتين أحلى من التين الموجود في أوروبا. وطعم الزيتون والرمان والبطيخ هنا لا يُعلَى عليه.[٦٠] ولم يُعجَب فيدفير الذي زار المدينة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بطعم الخبز، فقد ذكر أن داخله عجين وطعمه حامض. أما اللحم فكان مقصورًا على الغنم والدواجن، وإيجاده ليس سهلًا. وكان يذكر دائمًا الكوسا المحشية بالرز وزبيب العنب، وطبخات الخضراوات المشابهة التي «تسبح دائمًا في سمن الغنم». ووضَّح أنه أحب كثيرًا الرز، وأنه وجد صعوبة في الاعتياد على مطبخ القدس. ولكنه كان مقتنعًا مثل جوليف بأن فواكه المدينة تكفي للتعويض عن الأطعمة كلها، وذكرَ الكلمنتينا الصغيرة الحلوة، والعنب والتين الطري، والتمر الحلو، والموز الكبير، والبرتقال والليمون الذي ينعش الإنسان، ولم يجد بُدًّا من قول: «يا لها من مختارات طازجة تدعوك لأكلها».[٦١]

أما في موضوع الأشربة، فيمدح أوليا جلبي الماء الذي جلبه السلطان العثماني سليمان القانوني من الجبال، فيقول: «للمدينة كثير من المحبين والمحبَّات لروعة مائها».[٦٢] وذكر جوليف أن الماء الذي يأتي من الينابيع صافية عذبة.[٦٣] لكن الماء لا يكفي في فصل الصيف، وذكرَ كين أنه لا يمكن تلبية الحاجة إلى الماء بحفر الآبار، فمياه الأمطار تجري من غير أن تنفذ إلى التلال الصخرية التي قامت عليها المدينة، لذلك لا يخرج الماء من الآبار وإن كانت عميقة. فكان الحل بنقل مياه الأمطار التي تسقط على سطوح البيوت المستوية إلى بِرك، ثم سحب المياه المتجمعة في هذه البرك من فتحتات ضيقة بالدِّلاء. ولم يرتح الكاتب لطعم الماء المتجمع الذي يقضي حاجة الناس طوال الصيف، ولا حتى بعد تصفيته بالأقمشة وغليه.[٦٤] أما الشراب الذي يُستهلَك كثيرًا بعد الماء فهو كما لاحظ فيترومیل القهوةُ التي تُشرَب في فناجين صغيرة طوال ساعات اليوم على الرغم من ارتفاع سعر الحطب الذي يُستعمَل في الحرق. وذكر الرحَّال نفسه أن حليب الماعز يُستهلَك كثيرًا.[٦٥] ورأى فيديفر أنه من الصعب إيجاد حليب البقر لقلة الأبقار في فلسطين. ومن الأشربة عصير الليمون والبرتقال و«المستكة» المصنوعة من العنب.[٦٦]

51 Clarke, Travels in various countries, 4/376.
52 Wilson, Travels, 131.
53 Rafael Duque Uribe, Recuerdos de la Tierra Santa: apuntamientos del viaje que hizo a la Palestina en 1858 (Bogotá: Imprenta de Echeverria Hermanos, 1868), 78.
54 Wedewer, Eine Reise, 70.
55 Robinson & Oth. Biblical researches in Palestine, 1/428.
56 Evliya Çelebi, Seyahatname, 2/ 533-34.
57 William George Browne, Travels in Africa, Egypt, and Syria, from the year 1792 to 1798 (Londra: T. Cadell and W. Davies, 1799), 361; Volney, Travels through Syria and Egypt, 2/306-7; Buckingham, Travels in Palestine, 262; Uribe,Recuerdos de la Tierra Santa, 103.

58 Polonyalı Simeon, Polonyalı Simeon'un Seyahatnamesi / Hrand D. Andreasyan (İstanbul: İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Yayınları, 1964), 128.
59 Evliya Çelebi, Seyahatname, 2/ 533-34.
60 Jolliffe, Lettres sur la Palestine, 175.
61 Wedewer, Eine Reise, 82-83, 154.
62 Evliya Çelebi, Seyahatname, 2/ 533.
63 Jolliffe, Lettres sur la Palestine, 178.
64 Kean, Among the holy places, 33. Aynı zamanda bkz. Wedewer, Eine Reise, 154.
65 Vetromile, Travels, 2/241.
66 Wedewer, Eine Reise, 82-83.

المسجد الأقصى والآثار الإسلامية

يعبِّر الرحَّالة المسلمون والغربيون عن إعجابهم بجمال المسجد الأقصى وهم يصفون منظره العام. فقد وصف الصوفي والفقيه والشاعر الدمشقي النابلسي هذ االمكان بأنه «ساحة كبيرة خضراء منيرة واسعة».[٦٧] وأثنى الرحَّال الدمياطي العربي اللقيمي على جمال منظر المسجد الأقصى، وذكرَ سبعًا وأربعين بِركة ماء تجلب البرَكة العظيمة للمكان، والميضأة الرخامية في وسطه، وأشجار الزيتون وغيرها، وذكرَ أن القلب يفرح برؤية هذا المنظر وتتبدد سحب الأحزان.[٦٨] وأخبرنا الرحَّال المصري القاياتي الذي زار القدس في زمن السلطان عبد الحميد الثاني (ت: ١٩١٨) أن الإنسان يعجز عن وصف المسجد الأقصى، وأنه كلما خطا خطوة، رأى جمالًا لم يره من قبل.[٦٩] وعرَّف كين الذي زار المدينة أثناء زيارة الرحالة الغربيين المسجدَ الأقصى على أنه أجمل مكان في القدس: الأرضية المستوية المغطاة بالحجارة المصفوفة، وسُبُل الماء، والعشب الأخضر، وأشجار السرو الطويلة كلها تجتمع لتشكِّل حديقة من الجنة يستمتع المرء حتى بالنظر إليها في هذه المدينة الصخرية الوعرة. وقد كان سكَّان الأحياء المسلمة التي تقع شمالي هذا المكان الجميل وغربيه يأتون إلى هنا للعبادة والراحة.[٧٠]

ووصفَ الرحَّال المسلم أوليا جلبي الذي زار قبة الصخرة التي تقع وسط المسجد الأقصى إعجابَه وحيرته بأسلوب بديع، إذ قال: «زار الفقير بلدانًا في حكم ١٧ سلطانًا على مدى ٣٨ عامًا، ولكنني لم أرَ فيها مثلما رأيت من الجنة هنا. فحينما يدخل المرء هذا المكان، تصيبه الحيرة والدهشة، ولا يجد بُدًّا من وضع إصبعه في فمه إعجابًا. مسجد منير كقصر الخورنق فوق صخرة مغطاة بالرخام الأبيض». وذكَر جلبي أن الساحة التي فيها قبة الصخرة كانت تُسمَّى «الهضبة البيضاء» لبياض الرخام فيها، ومَن كان حزينًا عاد إلى سعادته حين يجول في هذه الساحة، وقال عنها: «ساحة تُذهِب الغم». يبدو في كل قطعة من الرخام السحابي والسماقي والخرقاني «أثرٌ لألف إله». ويحار الناظر من الفسيفساء والنقوش التي تزيِّن القسم من أرضية الرخام إلى طنف القبة.[٧١] وقلَّما يصوِّر الرحالة المسلمون ما عدا أولياء جلبي ما يرونه في قبة الصخرة. ويذكر الرحَّال العثماني حفظي أن الجدار الداخلي للمسجد مغطى بالرخام، ويُعجِب الناظر بنقوشه.[٧٢] ويشبِّه ابن عمر المكناسي الرخام الذي يغطي المسجد من داخله وخارجه بالمرآة، ويذكر أنه لم يرَ- مثل أوليا- أجملَ من فن هذا المسجد بظرافته وحسنه في البلدان الإسلامية كلها.[٧٣]

أما الرحَّالة الغربيون فكان لا يؤذن لهم بدخول المسجد الأقصى فيشاهدون قبة الصخرة من بعيد، ثم صار يؤذَن لهم مقابل مبلغ من المال بعد حرب القرم،[٧٤] وكانوا عندما يرونها من قريب، يقارنونها بالمساجد المشهورة في العالَم الإسلامي. يقول كلارك عن منظر المسجد من بعيد: «يا له من مسجد عظيم، ولم نستطع إلا أن نعدَّه أعظم تحفة معمارية في الإمبراطورية التركية اليوم، وهو أعلى شأنًا من مسجد آيا صوفيا في إسطنبول».[٧٥] ورأى جوليف أن قبة الصخرة أجمل فنًّا من مسجد آيا صوفيا وإنْ لم تكن كبيرة مثله.

منظر عام للمسجد الأقصى

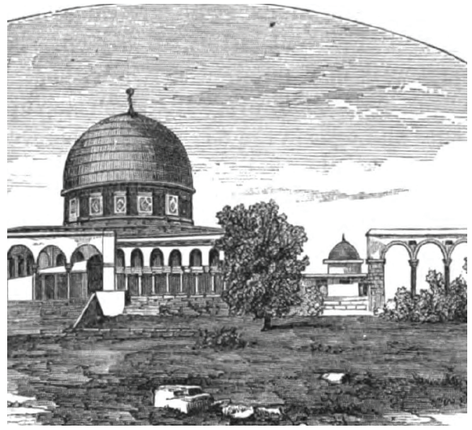

منظر لقبة الصخرة من الخارج

[٦٧] عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، تحقيق: أكرم حسن العلبي (بيروت: المصادر، ١٩٩٠)، ٩٨.
[٦٨] مصطفى أسعد اللقيمي، تذهيب موانح الأنس برحلتي لوادي القدس، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد (دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠١٢)، ١٠٨-٩.
[٦٩] محمد عبد الجواد القاياتي، نفحة البشام في رحلة الشام، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨١)، ٩١.
[70] Kean, Among the holy places, 20, 39, 50.
[71] Evliya Çelebi, Seyahatname, 2/ 50a2, 508-9.
[72] Bilge Karga, Hıfzi'nin Hayatı, Eserleri, Edebi Kişiliği ve Mir'at-ı Kudüs (Selçuk Üniversitesi, 2011), 120.
[٧٣] التازي، القدس والخليل، ٦٠.
[74] Eduardo Malvar, Recuerdos de un viaje a los Santos Lugares, (Madrid: Imprenta Calle Del Pez, 1876), 116; Wedewer, Eine Reise, 142-43.
[75] Clarke, Travels in various countries, 4/385-86.

وذكرَ أنها لم تتجاوز مسجد السلطان أحمد في جمالها وروعتها.[٧٦] أما لوبز بورتيلو روجاس فرأى أن هذا المعبد يحمل سمة من سمات العمارة المغربية، ولكنه بظرافته يذكِّر الناظر إليه بمسجد قرطبة وقصر الحمراء.[٧٧] ويرى فيتروميل أيضًا أن قبة الصخرة أجمل مسجد بعد مسجد قرطبة، وأعظم أثر من الآثار الإسلامية بعد قصر الحمراء.[٧٨]

وعندما رأى الرحَّال الفرنسي مارسيل لادوير قبةَ الصخرة حين لم يكن يؤذَن بدخول المسجد الأقصى، لم يستطع إلا أن يعبِّر عن إعجابه بجمال القبة وعظمتها وهو يشاهدها من جبل الزيتون، وحزِنَ لعدم السماح لغير المسلمين برؤية هذا المعبد الفريد.[٧٩] وكان كلارك الذي قارن بين قبة الصخرة وآيا صوفيا واثقًا من أنه لا أثرَ في القدس يضاهي جمال قبة الصخرة وفنها: «إن عظمة هذا البناء بأسلوبه الفريد، وأقواسه الكثيرة، وقبته الكبيرة بتذهيباتها المنمَّقة الخاصة، وساحته الواسعة الملونة بأفضل الرخام... كل ذلك يجعل من هذا المعبد أفضل تحفة معمارية تستحق الثناء في العالَم الإسلامي».[٨٠] ويلفت العالِم الإنكليزي هنري موندريل الانتباه إلى اللوحة الفنية الرائعة التي يرسمها المسجد بفضل موقعه على الرغم من صغر حجمه.[٨١]

[76] Jolliffe, Lettres sur la Palestine, 84-85.
[77] López Portillo y Rojas, Egipto y Palestina, 152.
[78] Vetromile, Travels, 2/232-33.
[79] Marcel Ladoire, Voyage fait à la Terre Sainte en l'année M. DCC. XIX (Paris: Jean Baptiste Coignard, 1720), 52-3.
[80] Clarke, Travels in various countries, 4/392-93.
[81] Wright, Thomas (Ed.). Early Travels in Palestine, (Londra: Henry G. Bohn, 1848), 472-73.

زار نوروف القدس في ثلاثينيات القرن التاسع عشر حين كان دخول المسجد ممنوعًا لغير المسلمين، ولكنه استطاع أن يزور المسجد الأقصى وقبة الصخرة بإذن خاص من والي مصر محمد علي باشا الذي كان يحكم الشام آنذاك. وذكرَ نوروف أن المسجد الأقصى في عمارة الشرق كمثل بانثيون روما في العمارة الكلاسيكية. ووصفَ الجدران المغطاة بالفسيفساء المائلة للزرقة، والقبة المتداخلة بنقوش الأزهار، والخطوط المذهَّبة التي تحيط بالطنف وكل جانب من البناء، والضوء الخافت الذي يعبر من الزجاج الملون فيحيط كل شيء بالأسرار، ويثير خيال الإنسان، ويعبر عن مخيلة الشرقي الخصبة. ويزداد جمال المعبد بأرضيته الرخامية البيضاء، وثمة هنا ميضأة فريدة بجمالها بُنيَت بأسلوب يليق بالمعبد. ويرى نوروف- مثل أوليا جلبي- أن ساحة قبة الصخرة مكان يجد فيه المسلمون في هذه المدينة الحزينة السعادة والسرور.[82]

وكذلك كانت انطباعات الرحَّال الغربي فيدفير الذي زار القدس بعد حرب القرم ورأى قبة الصخرة بعد أن نال الإذن، فوصفَ أن المسجد قد ذُهِّبَ ظاهره تذهيبًا فاخرًا، وأن الضوء الخافت الذي ينفذ من الزجاج المعشَّق في القبة المهيبة يؤثر في المرء تأثيرًا خاصًّا. أما أكثر ما لفت انتباهه في هذا البناء العظيم فهو المنبر الخشبي الذي وصفه بأنه تحفة في النجارة.[83] ولاحظ الرحَّال الإنكليزي هنري بيكر تريسترام الذي زار القدس في الوقت نفسه أن البناء قد حافظ على هيكله وشكله أكثر من الآثار الإسلامية الأخرى. فذكرَ أن ظاهره رائع، وداخله خلَّاب، وتبدو الدقة في بنائه، والجمال في فسيسفائه، أما الزخرفات المتناسقة الكثيرة فتصبغ كل شيء بألوان قوس قزح. وتجتمع العناصر جميعًا على ضوء الصباح الخافت الذي ينفذ من النوافذ، فترسم لوحة عظيمة يقف العقل مذهولًا أمامها.[84]

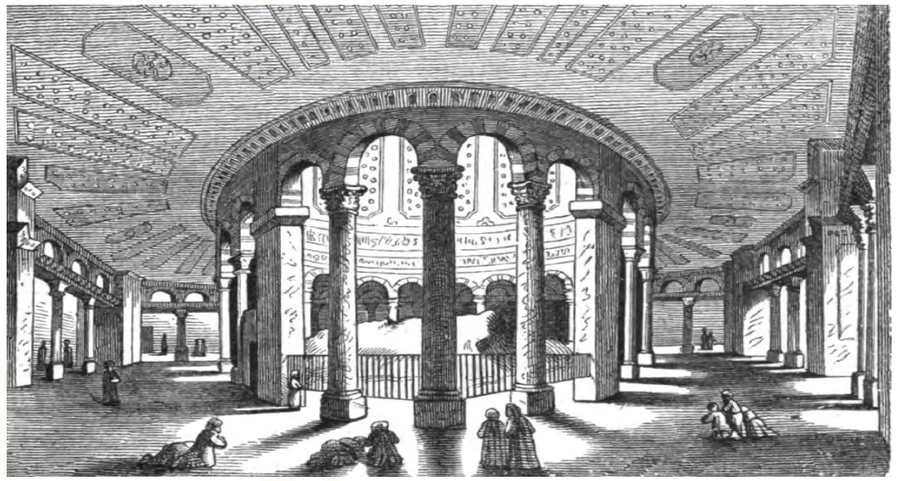

قبة الصخرة من الداخل

يُعَدُّ أوليا جلبي الرحَّال الذي وصف الجامع القبلي الذي يقع أمام قبة الصخرة وصفًا دقيقًا. فقد وقف أولًا عند الأعمدة الرخامية السماقية وغيرها من الألوان في الجامع، وقال عنها: «كل واحدة منها جوهرة تعادل خزينة مصر». ورأى أنه لا نظير في الدنيا للقبة فوق المحراب بارتفاعها وضيائها.

[82] Norov, Puteşestviye po Svyatoy Zemlye, 270, 277-78, 280-81.
[83] Wedewer, Eine Reise, 146-47, 150.
[84] Henry Baker Tristram, The Land of Israel: journal of travels in Palestine, 3. Edit., (Londra: Society for Promoting Christian Knowledge, 1876), 173.

إذ قال: «ترى التذهيب في داخلها وزجاجًا بألوان شتى، مزخرفة بشجرة طوبى وأنواع مختلفة من الورود، كأنها نور على نور، وعلى أطرافها آية: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [النور، ٣٥].» و»يبقى اللسان عاجزًا» في مدح المحراب والمنبر. والمنبر تحفة فنية «كأنه سحر مفتوح». أما المحراب «فجوهرة نادرة». لقد جمع الصانع كل حجر كريم في الأرض وجعلها قطعًا صغيرة ونقشها هنا. وعندما تضرب أشعة الشمس الزجاج بزخارفها الاثنتي عشرة فوق المحراب، «يكون على الزجاج نور على نور، فتلمع عيون المصلين ويصلون بخشوع». وإضافة إلى ذلك ثمة ١٠٥ أنواع من الزجاج منقوشة، النجف والبلور والمورانو.[85]

أما الرحالة الأجانب فوصفوا قبة الصخرة أكثر من الجامع القبلي. حينما دخل نوروف إلى هذا البناء الوقور من بابه، أحس أنه في كاتدرائية القديس بيترو في روما. وقد لفتَ انتباهه الأعمدة الرخامية بألوانها المتنوعة، ورأى أنها لا تقل جمالًا عن الأعمدة في قبة الصخرة.[86] أما تريسترام فرأى أن الأسلوب المعماري للجامع أقل شأنًا من قبة الصخرة بأعمدتها وأقواسها الحادة، مع أنه غني بمصابيحه وزجاجه المعشَّق، وذُهِّبَ تذهيبًا دقيقًا.[87] ولاحظ فيتروميل أن الجامع قد زُخرِف وزُيِّن بِدِقَّة، وتحدث عن جمال التذهيب والتنميق والرخام شديد البياض.[88]

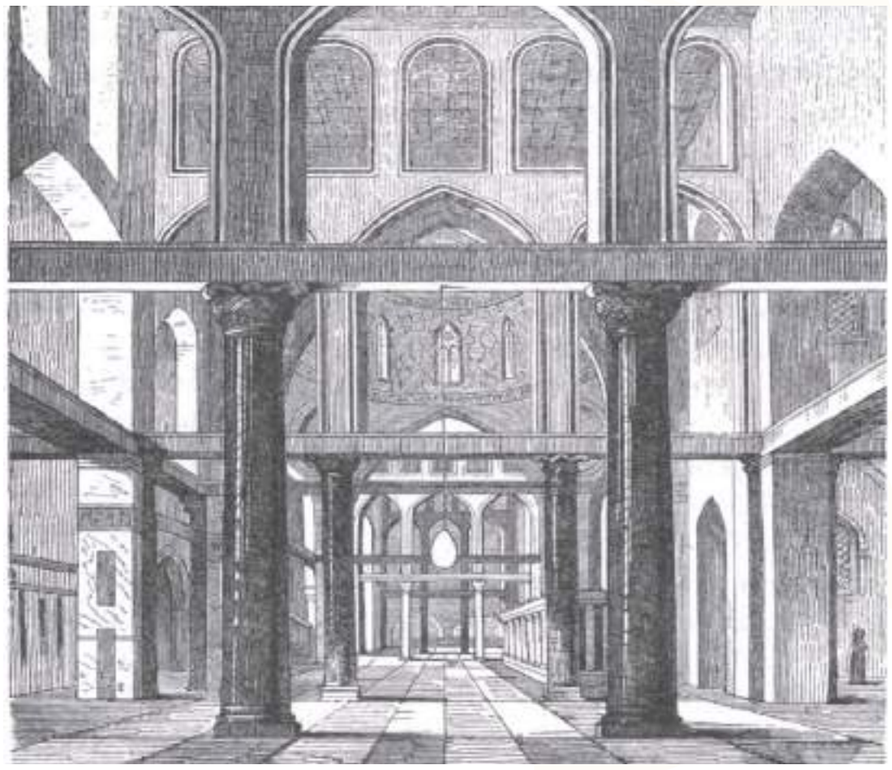

الجامع القبلي من الداخل

[85] Evliya Çelebi, Seyahatname, 2/ 498-99.
[86] Norov, Puteşestviye po Svyatoy Zemlye, 287.
[87] Tristram, Land of Israel, 175-76.
[88] Vetromile, Travels, 2/232-39.

وقد أثنى ابن عمر المكناسي على إصلاحات العثمانيين للمسجد الأقصى، وذكرَ أن العثمانيين اهتموا بالحرم الشريف في القدس كاهتمامهم بمكة والمدينة، فكان إذا وقع حجر وضعوه مكانه، وإنْ خرِب جانب أصلحوه، ورمَّموا ما في الحرم ترميمًا شاملًا. وتحدث عن وقف السلطانة خاصَكي، وأن الطعام هنا كان يُوزَّع في الصباح والمساء منذ وقت طويل، وأن العثمانيين كانوا يعينون الأسر الفقيرة في القدس. ودعا أن يستمر حكم السلاطين العثمانيين مؤكدًا على تأثير هذه الصدقات. [٨٩]

أما الرحالة الغربيون فقليلًا ما كانوا يذكرون الآثار العثمانية مثل الأوقاف، وإنْ تكلموا عنها، تكلموا بسوء. فروبنسون مثلًا ذكرَ أن مؤسسات الدولة في المدينة قليلة وليس فيها ما يلفت الانتباه. ووجدَ الحمامات التي زارها في الحي المسلم أقل شأنًا من الحمامات الأخرى في مدن الشرق.[٩٠] أما تشاتيوبرياند فيرى أنه يجب الحذر من الخلط بين الآثار العثمانية والآثار الإسلامية التي تعود للعهود السابقة، ويدعي أنه «لم يفهم شيئًا من العمارة التركية»، ويرى أن العثمانيين لم يزيدوا على القدس إلا بضع أسواق ومساجد.[٩١] ولكنه يتجاهل حقيقة أنه عندما دخل العثمانيون القدس، كانت الأبنية قليلة في المدينة.

وقد لفتت أسوار المدينة التي بُنيَت في عهد السلطان سليمان القانوني أنظار الرحالة جميعهم. يذكر أوليا جلبي أن الأسوار بناها الباشا لالا مصطفى في عهد السلطان القانوني، ثم يثني على الأسلوب الخاص به في البناء فيقول: «لقد بنى قلعة حصينة من الحجر يعجز اللسان عن مدحه. بناها من حجارة القلعة التي هُدِمَت في الماضي، وجعل صخرة الله والمسجد الأقصى داخل السور، فكانت قلعة كبيرة وكأن كل حجرة منها ظهر فيل».[٩٢] ووصفَ النابلسي الذي زار القدس مثل أوليا في القرن السابع عشر الأسوارَ على أنها بُنيَت بناءً سليمًا من الحجارة المنحوتة والمِلاط، وأنها بناء ضخم أساسه متين. وعلِم أن السلطان سليمان القانوني هو الذي بنى هذه الأسوار، فدعا له.[٩٣] ولم يستطع الرحالة العرب الذين زاروا المدينة في القرن التالي إلا أن يعبروا عن إعجابهم بالأسوار. ولم يجد اللقيمي الأسوار متينة فحسب، بل وجدها إبداعًا في الأسلوب وإتقانًا في الصنع، ولها ستة أبواب يصعب ضبطها.[٩٤] ورأى ابن عثمان المكناسي المغربي في الأسوار تحفة فنية وأثرًا ضخمًا، وعرَّفها على أنها بناء متين، وسمَّى أبوابها الستة بابًا بابًا: باب العمود (باب دمشق)، وباب الساهرة (باب هيرود)، وباب الأسباط (باب الأسد، باب القديس ستيفين)، وباب المغاربة (باب القمامة)، وباب النبي داوود (باب صهيون) وباب الخليل (باب يافا).[٩٥]

ويذكر الرحالة الغربيون انطباعات مشابهة عن الأسوار، فيرون أن الأسوار العالية التي بُنيَت بحجارة كبيرة تزيِّن المدينة أكثر من أي شيء آخر.[٩٦] ولاحظ فيدفير أن الأسوار التي بُنيَت بحجارة سوداء داكنة تعطي للمدينة مظهرًا جديًّا وقورًا. ووقف على باب دمشق، ووجد أن ذلك المكان أمنع نقطة في المدينة، فالبُرجان بشرفاتهما على جانبي الباب يجعلان الأسوار محمية من أي هجوم.[٩٧] وذكر الكاتب الفرنسي بير لوتي إعجابه بهذا الباب المليء بالأسرار، ووصف الباب بأنه «أفضل وأبدع» أبواب السور. ووجد الأسوار قاسية، ورأى أثناء سيره بجانبها خطًّا جميلًا على شكل وردة بين الحجارة الضخمة القديمة، وكأن هذا الخط بظرافته يخبر المارَّ به بأن الذين بنوا هذه الأسوار الضخمة الخشنة هم أنفسهم الذين نقشوا تلك الزخارف الدقيقة البديعة على جدران المساجد والقصور.[٩٨]

[٨٩] النابلسي، القدس والخليل، ٧٧.

[90] Robinson, Travels in Palestine, 1/116.

[91] Chateaubriand, Travels in Greece, Palestine, 2/126.

[92] Evliya Çelebi, Seyahatname, 2/494.

[٩٣] النابلسي، الحضرة الأنسية، ٩٧. انظر أيضًا: النابلسي، الحقيقة والمجاز في رحلتي إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق: أحمد عبد المجدي هريدي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦)، ١١٦.

[٩٤] اللقيمي، تذهيب موانح الأنس، ١٠٢.

[٩٥] النابلسي، القدس والخليل، ٥٩.

[96] William Lithgow, Travels and voyages through Europe, Asia and Africa for nineteen years, 12. Edit., (Leith: William Reid & Co., 1814), 196.

[97] Wedewer, Eine Reise, 53.

النظام العثماني في كنيسة القيامة

لفت العسكر الذين كانوا عند مدخل كنيسة القيامة انتباهَ كثير من الرحالة الغربيين. وصوَّرهم فيتروميل على أنهم يراقبون بدقة الباب وهم يشربون القهوة والسجائر في مجلس كبير.[٩٩] أما لوتي فرأى هؤلاء الحرس واقفين «كأنهم مسلَّحون من أجل مجزرة كبيرة»، وأنهم يشاهدون الذين يأتون للعبادة في الكنيسة بعيون «عار القدس المسلمة» من فوق المجلس الذي أقاموه كمجلس الحكام.[١٠٠] أما روبنسون فكان له رأي آخر، إذ رأى أنه من الأفضل أن يُعتَقَد أن وجود هؤلاء العسكر الذين يأخذون الأجرة من داخلي الكنيسة يحمي الكنيسة وغيرها من الأماكن المقدسة من أي هجمات، وإنْ كان وجودهم يؤذي مشاعر الحجَّاج المسيحيين القادمين إلى هذا المكان.[١٠١] إذ تحدث الدبلوماسي الهولندي جوهان أيغيديوس فان أيغمونت وخاله جون هايمان اللذَان زارا القدس في القرن الثامن عشر عن محاولة القرويين العرب نهب كنيسة القيامة مستفيدين من غياب الباشا، فوصلوا إلى باب الكنيسة ولكن الآغا مع فرقة من عسكر القلعة فرَّقوهم.[١٠٢] وأثنى رحَّالان آخران على العساكر العثمانيين الذين استطاعوا حماية طقس ديني للروم والأرمن بعد أن اجتمع حشد كبير من الناس، وإنْ لجؤوا إلى العُصي آنذاك.[١٠٣] ورأى الرحَّال السويسري فريدريك هاسليكوست أنه لولا حيطة الترك ومنعهم الفوضى، لما مرَّت مثل هذه الطقوس الدينية بسلام.[١٠٤]

غير أن هاسليكوست وغيره من الرحالة يعتقدون أن أهم عمل للعسكر في كنيسة القيامة منعُ أي صدام أو نزاع بين الطوائف المسيحية التي لها أقسام مختلفة في الكنيسة وحفظُ النظام.[١٠٥] يقول الرحَّال الأمريكي جون توماس: «لقد كان الصراع بين الطوائف المسيحية صراعًا شديدًا، حتى إن الإدارة التركية وجدت ضرورة التدخل وحماية القبر المقدس، لذلك نرى اليوم حرَّاسًا من الترك هناك دائمًا».[١٠٦] ويقدِّم لامارتين معلومات مفصلة عن هذا الموضوع ويثني على النظام الذي وضعته الإدارة العثمانية. فقد وصفَ الحرَّاس أثناء دخوله الكنيسة على أنهم رجال بلحى بيضاء طويلة يبدو عليهم الوقار وكانوا يشربون القهوة وهم جالسون في مجلسهم، وأنه مع الذين كانوا معه سلَّموا عليهم وأمروا المسؤول عنهم أن يُري الزوَّار جميع أنحاء الكنيسة. ولم يرَ الكاتب أي علامة من علامات عدم الاحترام التي اتهمهم بها بعضهم لا في وجوههم ولا أقوالهم ولا أفعالهم، وكانوا لا يدخلون الكنيسة، ويحترمون كالمسيحيين قدسية هذا المكان. وأكَّد لامارتين على أهمية العمل الذي تؤديه الإدارة المسلمة التي يمثِّلها هؤلاء العسكر في الحفاظ على النظام والتوازن بين الطوائف المسيحية التي تزور الكنيسة، إذ قال:

«إنهم لا يهدمون معبد المسيحيين المقدس مع أن لديهم الحق بعد أن فتحوا المدينة. إنهم يحافظون عليه ويحرصون على النظام فيه، وقد خصَّصوا فرقة عسكرية لحمايته، ويُظهِرون الاحترام بصمت وهم يراقبون تنازع الطوائف المسيحية على المعبد. ويحرصون على حفظ هذا المعبد الذي يعد مُلكًا للبشر جميعًا ويحمل اسم المسيحيين، وعلى أن تؤدي كل طائفة مسيحية العبادة التي تريدها في القبر المقدس. ولولا الترك، لكان هذا القبر الذي يتنازعه الروم والكاثوليك وجميع الطوائف المسيحية الأخرى موضوعَ خلاف بين هذه الطوائف المتصارعة الممتلئة غضبًا، ولسعَت كل طائفة للسيطرة عليه، ولا شك أن المنتصر في هذا الصراع كان سيمنع أعداءه من الوصول إلى القبر».[١٠٧]

[98] Pierre Loti, Jérusalem, 47. Edit., (Paris: Calmann Lévy, 1896), 47-48, 176.

[99] Vetromile, Travels, 2/158.

[100] Loti, Jérusalem, 54-55.

[101] Robinson, Travels in Palestine, 1/44-45.

[102] Johan Aegidius van Egmont & John Heyman, Travels through part of Europe, Asia Minor, the islands of the Archipelago, Syria, Palestine, Egypt, Mount Sinai, &c (Londra: L. Davis and C. Rymers, 1759), 1/345.

[103] Egmont & Heyman, Travels, 1/312.

[104] Frederick Hasselquist, Voyages and Travels in the Levant in the years 1749, 50, 51, 52 (Londra: L. Davis and C. Rymers, 1766), 137.

[105] Hasselquist, Voyages and Travels, 121; Kean, Among the holy places, 24.

[106] John Thomas, Travels in Egypt and Palestine (Philadelphia: Lippincott, Grambo, and Co., 1853), 87-88.

[107] Lamartine, De Lamartine's visit, 1/323.

نتيجة

عندما ننظر إلى القدس في العهد العثماني من عدسة كتب الرحلات، سنرى المدينة من منظور مختلف عمَّا هو موجود في الوقائع المؤرَّخة ووثائق الأرشيف والمصادر المحلية الأخرى. إن الرحَّالة عندما يتنفسون هواء المدينة لأول مرة، ينفذون بملاحظاتهم إلى ما وراء المعتاد، فيضعون- كما رأينا في هذا المقال- انطباعات جديدة عن أدق تفاصيل الحياة اليومية التي قد لا نجدها في المراجع الأخرى. وبذلك تحتل قدس الرحَّالة موقعًا خاصًّا وتغدو جزءًا لا يتجزَّأ من لوحة القدس التاريخية.

وليست قدس الرحَّالة قدسًا واحدة، بل «أقداسًا» كثيرة، لوجود اختلافات كبيرة في انطباعات الرحالة الذين جاؤوا من بلدان عدة وأزمنة مختلفة. وغالبًا ما يركز الرحالة المسلمون في حديثهم عن القدس على الأماكن المقدسة، ما عدا أوليا جلبي الذي وصف أهل القدس وطعامهم وشرابهم ومسجدهم بلغة مختلفة وأسلوب فريد، ذلك أنه لا يقتصر على وصف ما يراه وتصويره، بل يذكر في قسم كبير من كتاباته روايات المؤرخين والمحدِّثين، وأشعارًا، وملاحظات في فضائل القدس والمسجد الأقصى، وأحاديث عن الذين التقى بهم والقبور التي زارها. أما الرحالة الغربيون الذين زاروا المدينة في أواخر القرن الثامن عشر، فكان اهتمامهم منصبًّا على الأماكن المقدسة، وكانت آراؤهم عن المواضيع الأخرى- مثل رأيهم عن أهل القدس- آراءً سلبيةً، وكأنها تستند إلى حكم مسبق لا نتيجة ملاحظات ومشاهدات. لكن هذه النظرة تغيرت مع «إعادة اكتشاف الغرب لفلسطين»، وبدأ الرحالة يقدمون ملاحظات مفصلة عن القدس عمومًا. لكن نظرة أهل القدس للغرب تغيرت بعد الحملة الفرنسية بقيادة نابليون، فكانت انطباعات الذين زاروا القدس في بدايات القرن التاسع عشر انطباعات سلبية، وشبهوا المدينة بالخراب. أما الرحالة الغربيون الذين جاؤوا إلى القدس في أواسط القرن التاسع عشر فكانت نظرتهم للناس وللمدينة عمومًا نظرة إيجابية بتأثير الإصلاحات التي طُبِّقت بدايةً لدى حكم محمد علي باشا ثم الإدارة العثمانية. ولا يمكن الفصل بين آراء الرحالة الغربيين الذين جاؤوا من أقطار شتى، ولكن نستطيع أن نقول إن الرحالة الذين أتوا من بلدان البروتستانت وروسيا كان وصفهم للمدينة أكثر إيجابية من الذين جاؤوا من بلدان الكاثوليك، وعندما وجدوا المدينة هادئة صامتة صمتًا شديدًا، نسبوا هذا الصفة إلى «جو القداسة» في المدينة. لكن تبقى هناك استثناءات بين هؤلاء الرحالة، ومنهم لامارتين الذي أثنى كثيرًا على تسامح المسلمين والنظام الذي وضعته الإدارة العثمانية في كنيسة القيامة.

المراجع العربية

التازي، عبد الهادي. القدس والخليل في الرحلات المغربية، رحلة ابن عثمان نموذجًا. المغرب: منظمة الأيسيسكو، ١٩٩٧.

القاياتي، محمد عبد الجواد. نفحة البشام في رحلة الشام. بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨١.

اللقيمي، مصطفى أسعد. تذهيب موانح الأنس برحلتي لوادي القدس. تحقيق: رياض عبد الحميد مراد. دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠١٢.

النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل. الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية. تحقيق: أكرم حسن العلبي، بيروت: المصادر، ١٩٩٠.

النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل. الحقيقة والمجاز في رحلتي إلى بلاد الشام ومصر والحجاز. تحقيق: أحمد عبد المجدي هريدي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.

المراجع باللغات الأخرى

Arvieux, Laurent d'. Mémoires du Chevalier d'Arvieux. 2. Edit.. Paris: Charles-Jean Baptıste Delespine, Edit.1735.

Binos, Marie-Dominique de. Voyage par l'Italie en Egypte, au Mont-Liban et en Palestine ou Terre Sainte. 2. Cilt. Paris: Boudet, 1787.

Browne, William George. Travels in Africa, Egypt, and Syria, from the year 1792 to 1798. Londra: T. Cadell and W. Davies, 1799.

Buckingham, James Silk. Travels in Palestine through the countries of Bashan and Gilead, east of the river Jordan. Londra: Longman, 1821.

Chateaubriand, François-René de. Travels in Greece, Palestine, Egypt, and Barbary during the years 1806 and 1807 / Frederic Shoberl. 2 Volumes. 2. Edit.. Londra: Henry Colburn, Edit.1812.

Clarke, Edward Daniel. Travels in various countries of Europe, Asia and Africa. 4 Volumes. 4. Edit.. Londra: T. Cadell and W. Davies, Edit.1817.

Crouch, Nathaniel (müstear: Burton, Richard). Two journeys to Jerusalem. Londra: y.y., 1759.

Dandolo, Emilio. Viaggio in Egitto, nel Sudan, in Siria ed in Palestina (1850-1851). Milan: Carlo Turati, 1854.

Egmont, Johan Aegidius van & Heyman, John. Travels through part of Europe, Asia Minor, the islands of the Archipelago, Syria, Palestine, Egypt, Mount Sinai, &c. 1. Cilt. Londra: L. Davis and C. Rymers, 1759.

Evliya Çelebi. Günümüz Türkçesiyle Evliya Çelebi Seyahatnamesi: Kütahya, Manisa, İzmir, Antalya, Karaman, Adana, Halep, Şam, Kudüs, Mekke, Medine. 9. Kitap, 2. Cilt. Prep. Seyit Ali Kahraman. İstanbul: Yapı Kredi Yayınları, 2011.

Hasselquist, Frederick. Voyages and travels in the Levant in the years 1749, 50, 51, 52. Londra: L. Davis and C. Rymers, 1766.

Jolliffe, Thomas Robert. Lettres sur la Palestine, la Syrie et l'Égypte, ou Voyage en Galilée et en Judée, fait

dans l’année 1817 / Aubert de Vitry. Paris: Picard-Dubois, 1820.

Karga, Bilge. Hıfzi’nin Hayatı, Eserleri, Edebi Kişiliği ve Mir’at-ı Kudüs. Selçuk Üniversitesi, 2011.

Kean, James. Among the holy places: a pilgrimage through Palestine. 5. Edit.. Londra: T. Fisher Unwin, Edit. 1895.

Ladoire, Marcel. Voyage fait à la Terre Sainte en l’année M. DCC. XIX. Paris: Jean Baptiste Coignard, 1720.

Lamartine, Alphonse de. De Lamartine’s visit to the Holy Land, or recollections of the East. 1. Cilt / Thomas Phipson. Londra: George Virtue, 1847.

Lithgow, William. Travels and voyages through Europe, Asia and Africa for nineteen years. Leith: William Reid & Co., 12. Edit. 1814.

López Portillo y Rojas, José. Egipto y Palestina: apuntes de viaje. Mexico: Imprenta de Diaz de Leon y White, 1874.

Loti, Pierre. Jérusalem. 47. Edit. Paris: Calmann Lévy, Edit. 1896.

Madden, Richard Robert. Travels in Turkey, Egypt, Nubia, and Palestine in 1824, 1825, 1826, and 1827. 2. Cilt. Londra: Henry Colburn, 1829.

Malvar, Eduardo. Recuerdos de un viaje a los Santos Lugares. Madrid: Imprenta Calle Del Pez, 1876.

Norov, Avraam Sergeyeviç. Puteşestviye po Svyatoy Zemlye v 1835 godu. St. Petersburg: y.y., 1854.

Polonyalı Simeon. Polonyalı Simeon’un Seyahatnamesi / Hrand D. Andreasyan. İstanbul: İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Yayınları, 1964.

Robinson, Edward. Travels in Palestine and Syria. 1. Cilt. Londra: Henry Colburn, 1837.

Robinson, Edward vd. Biblical researches in Palestine and the adjacent regions: a journal of travels in the years 1838 & 1852. 1. ve 3. Cilt. 2. Edit. Londra: John Murray, Edit. 1856.

Schaff, Philip. Through Bible lands: notes of travel in Egypt, the desert, and Palestine. New York: American Tract Society, 1878.

Shepherd, Naomi. The Zealous Intruders: The Western Rediscovery of Palestine. San Fransisco: Harper & Row, 1987.

Thackeray, William Makepeace (müstear: Titmarsh, Michael Angelo). Notes of a journey from Cornhill to Grand Cairo, by way of Lisbon, Athens, Constantinople, and Jerusalem. Londra: Chapman and Hall, 1846.

Thomas, John. Travels in Egypt and Palestine. Philadelphia: Lippincott, Grambo, and Co., 1853.

Tristram, Henry Baker. The Land of Israel: journal of travels in Palestine. 3. Edit. Londra: Society for Promoting Christian Knowledge, Edit. 1876.

Twain, Mark. The innocents abroad, or the new pilgrims’ progress. Hartford, Connecticut: American Publishing Company, 1871.

Uribe, Rafael Duque. Recuerdos de la Tierra Santa: apuntamientos del viaje que hizo a la Palestina en 1858. Bogotá: Imprenta de Echeverria Hermanos, 1868.

Vetromile, Eugene. Travels in Europe, Egypt, Arabia Petraea, Palestine and Syria. 2. Cilt. New York: D. & J. Sadlier & Co., 1871.

Volney, Constantin-François. Travels through Syria and Egypt in the years 1783, 1784, and 1785. 2. Cilt. 2. Edit. Londra: G. G. J. and J. Robinson, Edit. 1788.

Wardle, John. A tour to Palestine and Egypt and back. Nottingham: H. B. Saxton, 1907.

Wedewer, Hermann. Eine Reise nach dem Orient. Regensburg: Druck und Verlag von Georg Joseph Manz, 1877.

Wilson, William Rae. Travels in Egypt and the Holy Land. 2. Edit. Londra: Longman, Edit. 1824.

Wright, Thomas (Ed.). Early travels in Palestine. Londra: Henry G. Bohn, 1848.

المدارس الممتدة على الأروقة الشمالية للمسجد الأقصى من الغرب إلى الشرق،
وهي: الملكية، والإسعردية، والفارسية، والأمينية، والباسطية، والدواداري. (أرشيف MT)

الحياة العلمية والعلماء والمؤسسات التعليمية في القدس

هارون يلماز*

محمد أنس ميديللي**

القدس مدينة مقدسة لدى المسلمين، ففيها المسجد الأقصى الذي ذُكِر في القرآن الكريم والذي بُورِكَ ما حوله، والذي كان قبلة الإسلام الأولى، وفيها جرت حادثة الإسراء والمعراج، وكانت للقدس مكانة خاصة في كل صفحة من صفحات التاريخ الإسلامي. حاصرَ أبو عبيد بن الجراح القدسَ عام ١٦هـ/٦٣٧م أثناء حركة الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وفُتِحَت المدينة بقدوم سيدنا عمر بن الخطاب إليها عام ١٧هـ/٦٣٨م، وسكن فيها كثير من الصحابة بعد هذا الفتح العظيم. عيَّن سيدنا عمر بن الخطاب علقمة بن حكيم واليًا على نصف منطقة فلسطين، وعلقمة بن مجزز على النصف الآخر، وأمر ابن مجزز أن يقيم في القدس.[1] أقام الصحابة الذين جاؤوا إلى القدس مثل أبي ذر الغفاري مدةً فيها، وبقي فيها آخرون، منهم واثلة بن الأسقع وأبو ريحانة من أهل الصُّفَّة، وعبد الله بن عمرو بن قيس، وذو الأصابع الجهيني، وسلامة بن قيصر، وفيروز الديلمي.[2]

* د. هارون يلماز عضو الهيئة التدريسية في قسم تاريخ الإسلام في كلية الإلهيات بجامعة مرمرة. harun.yilmaz@marmara.edu.tr.

** محمد أنس ميديللي باحث في قسم تاريخ الإسلام في كلية الإلهيات بجامعة إسطنبول. enesmidilli@istanbul.edu.tr.

[1] أبو الحسن عز الدين علي بن محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (لبنان: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧)، ٢: ٣٣٠.

[2] أبو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٦٨)، ٤: ٤٢٣١؛ ٧: ٤٠٢، ٤٠٨، ٤٤٢٤؛ أبو عبد الله ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، فضائل بيت المقدس، تحقيق: محمد معطي الحافظ (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥)، ٩٠-٩٢؛ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥)، ٣: ١١٤-١١٥، ٢٨٩-٢٩١؛ ٤: ١٦٧.

قبر الصحابي شداد بن أوس الذي أقام في القدس (أرشيف iأ٧٧)

وسكنَ في القدس في السنوات اللاحقة أولاد الصحابة والتابعين وأحفادهم.[3] وقد ذكرَ مجير الدين العليمي (ت: ١٥٢٢/٩٢٨) في كتابه (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) الذي يعد من أهم الكتب في تاريخ القدس في التاريخ الإسلامي، نحوًا من أربعين صحابيًّا زاروا القدس أو سكنوا فيها، من هؤلاء: أبو عبيد بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وبلال بن رباح، وعياض بن غنم، وخالد بن الوليد، وأبو ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت، وتميم الداري، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن سلام، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وعبد الله بن العباس.[4]

ومن اللافت للانتباه بدء انتشار العلم بسرعة في القدس بعد الفتح، وكان لهذه الأنشطة العلمية دور مهم آنذاك. إذ لمَّا طلب أمير دمشق يزيد بن أبي سفيان من الخليفة عمر معلِّمين يعلمون أهل الشام القرآن الكريم والإسلام، أرسلَ إليه سيدنا عمر عبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وأبا الدرداء. وكان معاذ بن جبل ومن بعده عبادة بن الصامت معلِّمَين وقاضيَين في القدس.[5] ولمَّا كان الصحابي أبو الدرداء قاضيًا في دمشق، كانت زوجه أم الدرداء الوصابية تقيم ستة أشهر في دمشق وستة أشهر في القدس، وكانت مشهورة بكثرة عبادتها وزهدها، وكانت تعظ في مجالس العلم التي تقيمها، وتنطق بالحِكَم والكلام الجميل، وكانت أحيانًا تكتب الحكم على ألواح وتعطيها للطلبة.[6] وكان قدوم كبار الصحابة مثل معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأم الدرداء إلى القدس وإقامتهم لمجالس العلم فيها علامةً على بدء الأنشطة العلمية في المدينة في مرحلة مبكرة.

[3] ابن سعد، ٣: ٤٩٥، ٤٥٠٣؛ ٤: ٤٠١، ٤٠٢؛ المقدسي، فضائل، ٩٢.

[4] مجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن العلمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد أبو تبانة (عمان: مكتبة دنديس، ١٩٩٩)، ١: ٣٨٥-٣٩٤.

[5] أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥)، ٢٦: ١٩٤.

[6] Ayşe Esra Şahyar, "Ümmü'd-Derdâ el-Vassâbiyye", Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, (11 Ekim 2019).

بنى سيدنا عمر مسجدًا في القدس بعد الفتح.[٧] ووقَفَ سيدنا عثمان بساتينَ سلوان لأهالي القدس، فكان هذا الوقف النموذج الأول للأوقاف الغنية الكثيرة التي أُقيمَت لاحقًا في القدس.[٨] وبنى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قبةَ الصخرة التي تعد من أعظم معالم القدس يأتي إليها الناس للعبادة والزيارة، وبدأ ببناء الجامع القبلي وأتمَّه ابنه الوليد بن عبد الملك.[٩] فكان المسجد الأقصى الذي يضم هذَين المعلمَين مقصد كثير من العلماء على مدى القرون، ومركزًا حافلًا بالأنشطة العلمية.

بدأ ظهور نهضة علمية كبيرة في القدس في القرن الهجري الثاني، فقد زارَ القدسَ علماء وفقهاء ودرَّسوا فيها، منهم: مقاتل بن سليمان (ت: ٧٦٧/١٥٠)، والأوزاعي (ت: ٧٧٤/١٥٧)، وسفيان الثوري (ت: ٧٧٨/١٦١)، والليث بن سعد (ت: ٧٩١/١٧٥)، ووكيع بن الجراح (ت:٨٢١/١٩٧)، ومحمد بن إدريس الشافعي (ت: ٨٢٠/٢٠٤). وزارَ القدسَ أعلام التصوف مثل إبراهيم بن أدهم (ت: ٧٧٨/١٦١)، ورابعة العدوية (ت: ٨٠١/١٨٥)، وبشر الحافي (ت: ٨٤١/٢٢٧)، وسري السقطي (ت: ٨٦٥/٢٥١).[١٠]

وكانت القدس مركزًا مهمًا للحكَّام والعلماء في العصر العباسي، فمن مظاهر اهتمام الخلفاء العباسيين بالقدس زيارة بعض الخلفاء المدينةَ وإصلاحهم المسجد الأقصى، ومنهم أبو جعفر المنصور الذي زار القدس مرتَين، مرة عام ٧٥٨/١٤٠ ومرة عام ٧٧١/١٥٤، وأصلحَ الأضرار التي أصابت المسجد الأقصى بعد حدوث زلزال في المدينة. وزار الخليفة المهدي بالله القدس عام ٧٨٠/١٦٣، ورمَّم الجامع القبلي. وفتحَ الخليفة المأمون الباب الشرقي والشمالي للمسجد الأقصى عام ٨٣١/٢١٦، وفتحت أم الخليفة المقتدر بالله أربعة أبواب عظيمة في قبة الصخرة.[١١]

وعندما قل نفوذ العباسيين بدءًا من أواسط القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وبدأت تظهر في البلدان الإسلامية دول مستقلة تتبع للخلافة العباسية اسمًا، دخلت القدس أولًا في حكم الدولة الطولونية التي كان مركزها في مصر (٢٥٤-٢٩٢/ ٨٦٨-٩٠٥)، ثم في حكم الدولة الإخشيدية (٣٢٣-٣٥٨/٩٣٥-٩٦٩). وكان من مظاهر إيلاء الحكَّام الإخشيديين أهمية خاصة للقدس أنهم كانوا يُدفَنون فيها.[١٢] وظلت القدس نحوًا من قرن في حكم الفاطميين (٣٥٨-٤٦٣/٩٦٩-١٠٧١) بعد حكم الإخشيديين. وقد ذكرَ الرحَّال الفارسي ناصر خسرو (ت: ١٠٧٣/٤٦٥) الذي زار القدس آنذاك أن المدينة كان يسكنها عشرون ألف شخص، وأنها كانت مدينة معمورة فيها الأسواق والأبنية العالية، وأنه كانت فيها أوقاف كثيرة، وبيمارستان كبير يقدِّم جميع أصناف العلاج للمرضى ويعطي رواتب منتظمة للأطباء.[١٣] ويشير ما ذكره هذا الرحَّال إلى وجود نهضة علمية كبيرة في علوم شتى كالطب وصناعة الأدوية وعلم النبات إلى جانب العلوم الدينية. وقد اشتُهِر آنذاك محمد بن أحمد التميمي الذي وُلِد وترعرع في القدس بعلمه ومؤلفاته في الطب وصناعة الأدوية وعلم النبات. وكان يُعرَف أنه من أسرة فيها أطباء كثر، منهم جده سعيد الذي كان أشهر أطباء عصره. أخذ التميمي العلم عن أعلام الطب وصناعة الأدوية مثل أبي محمد حسن بن أبي نعيم والراهب أنبا زخريا بن ثوابة.[١٤] ومن المراجع التي فيها معلومات عن القدس في

[٧] أبو نصر المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية)، ٤: ٤٨؛ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩١٤)، ٤: ١٠١.

[8] Abdülaziz ed-Dûrî, “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”, Jerusalem in History, Ed. K J Asali (Essex: Scorpion Publishing, 1989), 108.

[9] Dûrî, “Jerusalem in the Early Islamic Period”, 111; Casim Avcı, “Kudüs”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi (02 Ekim 2019).

[١٠] العليمي، الأنس الجليل، ١: ٢٩٢-٢٩٥؛

Avcı, “Kudüs”.

[11] Dûrî, “Jerusalem in the Early Islamic Period”, 112-113; Avcı, “Kudüs”.

[١٢] جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مصر: دار الكتب المصرية، ١٩٣٣)، ٤: ١٠.

[13] Nâsır-ı Hüsrev, Sefername / Yahyâ el-Haşşâb (Mısır: el-Hey’etü’l-Mısriyyetü’l-Âmme li’l-Kitâb, 1993), 67-68.

[١٤] أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف ابن القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، الناشر: جوليوس ليبرت (ليبزيغ: Dieterich’sche Verlagsbuchhandlung، ١٩٠٣)، ١٠٥-١٠٦، ١٦٩.

العهد الفاطمي كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي (ت: ٣٩٠/١٠٠٠) الذي ذكرَ فيه فضائل المدينة، ومناخها ومعالمها الأثرية، ومنتجاتها، وحياتها العلمية والثقافية.

وذكرَ المقدسي أيضًا في كتابه مذاهب أهل القدس بتفصيل، وتحدث عن جماعة تنتسب لمذهب الكراميَّة، وخانقاهاتهم ومجالسهم العلمية. ووضَّح أن أكثر أهل القدس على المذهب الشافعي، وكان للحنفية حلقة علم في المسجد الأقصى. وذكرَ أيضًا معلومات تشير إلى النهضة العلمية في المدينة منها وجود مجالس مناظرات بين علماء المسلمين وقساوسة المسيحيين واليهود.[١٥]

وثمة رويات تشير إلى بناء (دار للعلم) في القدس في العهد الفاطمي. وتستند المعلومات عن هذه الدار إلى السجلات في المراجع التي تذكر تاريخ (المدرسة الصلاحية) التي بناها صلاح الدين الأيوبي في القدس، إذ تذكر هذه المراجع أن هذا البناء كان دارًا للعلم ثم صار كنيسة في عهد الصليبيين ثم مدرسةً بعد تحرير القدس.[١٦] وليس ثمة معلومات مفصلة عن دار العلم هذه، ولكن من المحتمَل أنها كانت مثل دور العلم في مصر التي تنشئ دُعاة المذهب الشيعي الإسماعيلي.

بقيت القدس في حكم السلاجقة نحوًا من ربع قرن بعد أن قضوا على النفوذ الفاطمي الشيعي في المدينة. فقد دخل أتسز بن أوق الذي كان من أمراء السلطان ملك شاه القدسَ عام ١٠٧١/٤٦٣ وطردَ الوالي الفاطمي من المدينة، وصارت الخُطَب باسم الخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان بعد أن بقيت باسم الخلفاء الفاطميين لنحو من قرن.[١٧] وقد بُنِيَت أولى المدارس في القدس في عهد السلاجقة، وجاء إلى المدينة علماء كبار من أنحاء شتى من البلدان الإسلامية كأبي حامد الغزَّالي (ت: ١١١١/٥٠٥)، وأبي رندقة الطرطوشي (ت: ١١٢٦/٥٢٠)، وأبي بكر ابن العربي (ت: ١١٤٨/٥٤٣). وكانت مرحلة وجود هؤلاء العلماء في القدس من أهم مراحل التاريخ العلمي للمدينة، لأنهم كانوا علماء أفذاذ في تاريخ الفكر الإسلامي وليس في عصرهم فقط، ووضعوا مؤلفات عظيمة لا تزال تُدرَّس إلى الآن.

ذكرَ الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) الذي يعد سيرة ذاتية أنه بحث في الكلام والفلسفة والباطنية والتصوف، وأن الحقيقة لم تتضح له مدةً. وذكرَ أنه وقع في الشبهة في موضوع العلم والتدريس هل يكون لرضا الله تعالى أم لنيل مقام، ثم قرَّر أن يترك مقامه في بغداد ويسوح وينزوي.[١٨] وبقي في منطقة الشام نحوًا من عامَين من عام ١٠٩٥/٤٨٨ إلى ١٠٩٧/٤٩٠. وقد زار الغزالي القدس في رحلته هذه وأقام فيها مدة. وذكرَ العليمي أنه أقام في المدرسة الناصرية التي تقع شرقي المسجد الأقصى.[١٩] وتحدثَ الغزالي في كتابه (المنقذ) عن زيارته قبة الصخرة كل يوم لدى إقامته في القدس، وإغلاقه بابها على نفسه وانشغاله بتزكية نفسه.[٢٠] وذكر الغزالي أيضًا أنه كتب لأهل القدس (الرسالة القدسية) التي تعد جزءًا من كتابه (إحياء علوم الدين) ويذكر فيها مسائل في العقيدة.[٢١]

[١٥] أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن: ي. ج. بريل، ١٩٠٦)، ١٦٧، ١٨٢.

[١٦] جمال الدين أبو عبد الله محمد بن واصل، مفرج الكروب بأخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٥٧)، ٢: ٤٠٧. من أهم دور العلم التي بُنِيَت في العهد الفاطمي الدار التي بناها الحاكم بأمر الله في مصر عام ١٠٠٤/٣٩٥. وكانت من أعظم مراكز العلم في مصر لمكتبتها الغنية بالكتب وإتاحة كل شيء للعلماء فيها. وكان الخليفة بنفسه ينفق على هذه الدار التي فيها مكتبة تحتوي على مؤلفات من جميع فروع العلوم. ومن المعلوم أن هذه الدار كانت ذات هوية سُنِّيَّة في البداية، وأن علماء السنة كانوا يحضرون مجالس العلم فيها، وكان الخليفة نفسه يأتي إليها أحيانًا. لكن بعد وفاة الخليفة تحولت هذه الدار إلى مركز لتخريج دعاة المذهب الإسماعيلي. (تقي الدين أبو محمد أحمد المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠١٣) ٢: ٥٠٢-٥٠٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٤: ٢٢٢؛

İsmail E. Erünsal, “Dârülilim”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi (Erişim: 1 Kasım 2019).

[17] Avcı, “Kudüs”.

[18] Ebû Hâmid Muhammed el-Gazzâlî, el-Münkız mine’d-dalâl ve’l-müfsıh bi’l-ahvâl, Thk. Abdürrezzak Tek (Bursa: Emin Yayınları, 2013), 63-66.

[١٩] العليمي، الأنس الجليل، ١: ٤٣٤، ٤٣٦-٤٣٧.

[٢١] أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين (جدة: دار المنهاج، ٢٠١١)، ١: ٣٨٠.

[20] Gazzâlî, el-Münkız, 67.

وزارَ الفقيه المالكي أبو رندقة الطرطوشي مدينةَ القدس وبقي فيها مدة، ولعله تعرَّف إلى الغزالي في هذه الزيارة.[٢٢] وُلِدَ الطرطوشي في مدينة طرطوشة شمال شرقي الأندلس عام ١٠٥٩/٤٥١، وسافر من الأندلس وهو في الخامسة والعشرين من عمره للحج وطلبًا للعلم، ثم زارَ العراق والشام ومصر بعد الحج، واشتغل بالتدريس حتى وفاته. وزار القدسَ التي كانت محطة في رحلة الحج لكثير من العلماء، واتصل هناك بكثير من شيوخها وعلمائها، ولكن لم يُعرَف تاريخ زيارته ومدة إقامته فيها.[٢٣]

أما أبو بكر ابن العربي الذي كان من طلبة الطرطوشي فمكث في القدس ثلاثة أعوام، واتصل بأهل العلم فيها. وُلِد ابن العربي في إشبيلية عام ١٠٧٦/٤٦٨، وخرج مع أبيه أبي محمد ابن العربي وأسرته للحج وطلب العلم عام ١٠٩٢/٤٨٥، وظل نحوًا من عشرة أعوام يسوح في البلدان. وقد تحدث عن مراكز العلم التي زارها في سفره والعلماء الذين التقى بهم في كتابه (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة) و(قانون التأويل). طلب ابن العربي العلم أولًا في بعض مدن المغرب ثم رحل إلى مصر ثم إلى القدس. وتحدث عن عدم إيجاده ما يبحث عنه في العلم في مصر، وأنه رحل مع أبيه إلى القدس أثناء توجههما إلى الحج، وأفاض في الحديث عن مجالس العلم في القدس والخصال الحميدة لعلمائها. وتأثر بالحياة العلمية في القدس، فودَّع أباه حين خرج إلى الحج وظلَّ هو في القدس يطلب العلم لثلاثة أعوام.[٢٤]

تردَّد ابن العربي على المدارس الشافعية والحنفية خلال إقامته في القدس، وحضر مجالس المناظرات فيها، وكانت له مناظرات مع علماء الكلامية والمعتزلة والمشبِّهة والقساوسة المسيحيين واليهود.[٢٥] ويُذكَر أنه اشتغل بالعلوم لا سيما علم الكلام وأصول الفقه وعلوم الخلاف أثناء مكوثه في القدس، ووضع مؤلفات في هذه العلوم.[٢٦] وعندما زار علماء الحنفية من خراسان القدسَ مثل أبي سعد الزفزاني، وأبي علي الصغاني، وأبي سعيد الزنجاني، كان ابن العربي حاضرًا في حلقات دروسهم، وذكر أنه تأثر كثيرًا بمجالسهم.[٢٧] ومن الواضح أن ابن العربي قد تأثر كثيرًا بالوسط العلمي في القدس وكانت لمدة بقائه في القدس الأثر الكبير في تحصيله للعلوم، لأنه كثيرًا ما كان يستشهد في مؤلفاته بالمناقشات العلمية التي جرت في القدس وآراء العلماء فيها.[٢٨] ويُظهِر ما ذكره ابن العربي وجود نشاط علمي كبير في المسجد الأقصى والمدارس الشافعية والحنفية في القدس آنذاك، وعقد مناظرات علمية بين أتباع المذاهب والأديان المختلفة، وإعطاء العلماء القادمين من بلدان الإسلام دروسًا في القدس.

ونفهم من الحديث عن ابن العربي أن القدس كانت مدينة يزورها الحجاج والعلماء من الأندلس والمغرب، وأنهم كانوا يقيمون فيها مدة طلبًا للعلم. وكان العالم الأندلسي الحسن بن أحمد الغافقي المشهور بابن العنصري معاصرًا لابن العربي، وقد طلب العلم بدايةً في الأندلس، ثم خرج إلى الحج، وأخذ العلم عن علماء كثر في القدس أثناء زيارته لها.[٢٩] وظل علماء الأندلس والمغرب بعد ابن العربي وابن العنصري يزورون القدس أثناء الحج ويطلبون العلم فيها.

وكان من كبار العلماء الذين كانوا في القدس في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي قُبيل الغزو الصليبي الفقيه الحنبلي أبو الفرج الشيرازي (ت: ١٠٩٤/٤٨٦).

[٢٢] أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥)، ١٩: ٤٩١؛ تقي الدين أبو محمد أحمد المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦) ٧: ٢٢١.

[٢٣] العليمي، الأنس الجليل، ١: ٤٣٩.

[٢٤] أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، قانون التأويل، تحقيق: محمد السليماني (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية) ٤٣٢-٤٣٣؛ ابن العربي، «مختصر ترتيب الرحلة للترغيب في الملة»، مع القاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق: سعيد أعراب (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧)، ٢٠٢-٢٠٣.

[٢٥] ابن العربي، قانون التأويل، ٤٣٦-٤٣٧؛ ابن العربي، «مختصر ترتيب الرحلة»، ٢٠٥-٢٠٧.

[٢٦] ابن العربي، قانون التأويل، ٤٣٨؛ ابن العربي، «مختصر ترتيب الرحلة»، ٢٠٨.

[٢٧] ابن العربي، قانون التأويل، ٤٣٨-٤٣٩؛ ابن العربي، «مختصر ترتيب الرحلة»، ٢٠٨-٢٠٩.

[28] Ahmet Baltacı, “İbnü’l-Arabi, Ebû Bekir”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi (Erişim: 05.11.2019).

[٢٩] ابن عساكر، تاريخ، ٣: ١٦-١٧.

أخذ الشيرازي العلم عن فقيه بغداد الحنبلي أبي يعلى الفرَّاج (ت: ١٠٦٦/٤٥٨) لسنوات طويلة، ثم رحل إلى الشام وأقام في القدس مدة. ويُذكَر أنه كان للشيرازي دورٌ مهمٌ في زيادة عدد أتباع المذهب الحنبلي في القدس ودمشق.[٣٠] وكان الشيرازي واعظًا زاهدًا نشر المذهب الحنبلي في القدس وما حولها، وكان له طلبة كثر في تلك البلاد.[٣١]

ومن المعلوم أنه كانت هناك مدرسة للشافعية ومدرسة للحنفية في القدس أثناء حكم السلاجقة، وكانتا أول مدرستَين تُعرَفان في تاريخ القدس. وقد درَّس أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (ت: ١٠٩٦/٤٩٠) في المدرسة الناصرية التي كانت للشافعية في شرقي المسجد الأقصى، وإليه نُسِبَت هذه المدرسة. وكان المقدسي من أعلام الفقه الشافعي، وقد قضى أكثر عمره في القدس طالبًا العلم ومُدرِّسًا فيها، حتى إن بعضًا من العلماء يقارنون مكانته في المذهب بمكانة إمام الحرمين الجويني (ت: ١٠٨٥/٤٧٨) وأبي إسحاق الشيرازي (ت: ١٠٨٣/٤٧٦)، ويرون أصوله أفضل.[٣٢] وسُمِّيت المدرسة الناصرية باسم الغزَّالية نسبة للإمام الغزَّالي الذي أقام فيها أثناء مكوثه في القدس.[٣٣] ومن المدارس التي كانت للحنفية في القدس في تلك المرحلة مدرسة أبي عقبة. وقد ذكرها أبو بكر ابن العربي كثيرًا مجالس العلم التي حضرها في هذه المدرسة.[٣٤]

حكم السلاجقة القدسَ نحوًا من ربع قرن حتى استولى عليه الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي (ت: ١١٢١/٥١٥) عام ١٠٩٨/٤٩١، وعيَّن واليًا عليها وعاد إلى القاهرة. غير أن الحملات الصليبية على العالم الإسلامي التي بدأت في تلك المرحلة كانت نقطة تحول في تاريخ القدس. إذ احتل الصليبيون أنطاكيا أثناء حكم الفاطميين للقدس عام ١٠٩٨، وتقدموا عبر الساحل نحو فلسطين، واستطاعوا أن يحتلوا القدس بعد عام من دخول الفاطميين إليها بتاريخ ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ الموافق لـ١٥ تموز/يوليو ١٠٩٩م، وظلوا يحكمونها نحوًا من تسعين عامًا.[٣٥]

ومع بدء الحملات الصليبية على العالَم الإسلامي اضطُرَ كثير من العلماء في البلدان التي استولى عليها الصليبيون للهجرة إلى مدن أخرى طوال تلك المدة. إذ رحل العلماء من القدس والمدن المحتلة الأخرى هربًا من القتل، ولجؤوا إلى الخليفة العباسي في بغداد وإلى سلطان السلاجقة.[٣٦] وبعد سقوط دولة السلاجقة الكبرى كانت بلدان الزنكيين والأيوبيين أفضل البلدان للجوء العلماء إليها. ودخل العلماء الذين هاجروا إلى مدن الزنكيين والأيوبيين في حماية السلاطين ورجال الدولة، ونالوا مناصب شتى.[٣٧] وقد حمى سلاطين الأيوبيين كثيرًا من العلماء لأنهم كانوا مدركين للدور الذي يلعبه العلماء في الحياة الاجتماعية، ودعمهم الكبير في مواجهة الصليبيين.

[٣٠] أبو الحسين محمد بن محمد ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حميد الفكي (بيروت: دار المعرفة)، ٢: ٢٤٨-٢٤٩؛ العليمي، الأنس الجليل، ١: ٤٣٣.

[٣١] أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن العليمي، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: محي الدين نجيب (بيروت: دار صادر، ١٩٩٧)، ٣: ٧-٩.

[٣٢] ابن عساكر، تاريخ، ٦٢: ١٧-١٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٩: ١٣٦-١٣٩؛ أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٧)، ٥: ٣٥١-٣٥٣.

[٣٣] العليمي، الأنس الجليل، ١: ٤٣٤، ٤٣٦-٤٣٧؛ ٢: ٦٨، ٧٦.

[٣٤] ابن العربي، «مختصر ترتيب الرحلة»، ٢١١؛
Mustafa A Hiyari, “Crusader Jerusalem 1099-1187 AD”, Jerusalem in History, Ed. K J Asali (Essex: Scorpion Publishing, 1989), 136-137.

[35] Mustafa A Hiyari, “Crusader Jerusalem 1099-1187 AD”, Jerusalem in History, Ed. K J Asali (Essex: Scorpion Publishing, 1989), 136-137.

[٣٦] قتل الصليبيون كثيرًا من المسلمين حين دخلوا القدس، وكان من الذين قُتلوا علماء، منهم الفقيه الشافعي أبو القاسم الرميلي (ت: ١٠٩٩/٤٩٢) الذي ألَّف كتابًا عن تاريخ القدس وفضائلها. (السبكي، طبقات الشافعية، ٥: ٣٣٢-٣٣٣؛ العليمي، الأنس الجليل، ١: ٤٣٥-٤٣٦). وممن قتلهم الصليبيون الفقيه الشافعي أبو القاسم عبد الجبار أحمد بن يوسف الرازي (ت: ١٠٩٩/٤٩٢) الذي جاء إلى القدس من بلاد ما وراء النهر والعراق طلبًا للعلم، فتصوَّف هناك وقُتِل وهو في الانزواء. (العليمي، الأنس الجليل، ١: ٤٣٦).

[٣٧] من أشهر الأسر التي اضطرت للهجرة من القدس بعد الاحتلال الصليبيي أسرة بني قدامة الحنبلية. وكان بنو قدامة يسكنون في الجمائل القريبة من القدس، فرحلوا عنها إلى دمشق عام ١١٥٦/٥٥١ بعد الاحتلال الصليبي وسوء معاملة الأهالي. وكان الفقيه المشهور موفق الدين بن قدامة (ت: ١٢٢٣/٦٢٠) في العاشرة من عمره لمَّا قدم إلى دمشق مع أسرته. (زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب، كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥)، ٢: ١٣٣؛ أبو الصفا صلاح الدين خليل بن عز الدين أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات (ويسبادن: Franz Steiner Verlag، ١٩٨١)، ١٧: ٤٣٧؛
Ferhat Koca, “İbn Kudâme, Muvaffakuddin”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi (Erişim: 11 Ekim 2019)).

ومع الاحتلال الصليبي أصاب الخراب القدس لا سيما المسجد الأقصى، فقد استعمل الصليبيون الأماكن المقدسة لدى المسلمين لأغراضهم، وتوقفت كثير من الأنشطة العلمية التي كانت قائمة في المدينة. ومن المعلوم أن بعضًا من العلماء بقوا في القدس بعد الاحتلال الصليبي، فقد زار السمعاني (ت: ٥٦٢/١١٦٦) الذي كان من أشهر المحدثين في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي القدسَ أثناء الاحتلال الصليبي، وذكر في أشهر كتبه (الأنساب) أنه التقى بعلماء هناك وأخذ العلم عنهم.[٣٨]

ابتعدت القدس كثيرًا عن هويتها الإسلامية في السنوات التي رزحت فيها تحت الحكم الصليبي. لذلك عندما فتح صلاح الدين الأيوبي القدسَ عام ٥٨٣/١١٨٧، اتخذ تدابير لجعل المدينة مركزًا للعلم مرة أخرى، وتأسيس حياة اجتماعية سليمة فيها. وحينما استعاد المسلمون المدينة، غادرها أكثر المسيحيين اللاتين الكاثوليك. وبقي الأرثوذكس واليعقوبيون (السريان) فيها على أن يدفعوا الجزية. وحثَّهم صلاح الدين على البقاء في المدينة، وسلَّم الأماكن المقدسة المسيحية التي كانت في إدارة الكاثوليك للأرثوذكس. وعندما عُرِض عليه هدم كنيسة القمامة (القيامة)، لم يقبل، وبيَّن أن ذلك مخالف للحقوق في الإسلام، وأن هدم الكنيسة لن يمنع المسيحيين من القدوم إلى القدس، وأنه ليس من الصواب أن يصنع شيئًا لم يصنعه سيدنا عمر بن الخطاب حين فتح القدس.[٣٩]

وكانت التغييرات الكبيرة التي أحدثها صلاح الدين في القدس من أجل إرجاع المدينة إلى هويتها الإسلامية من جديد. فكان أول عمل بعد الفتح إنزال الصليب الذي كان على قبة الصخرة في عهد الصليبيين، وإزالة جميع معالم المسيحية هناك. ومُحيَت جميع ما يدل على الاحتلال الصليبي في المسجد الأقصى الذي كان فرسان المعبد يسيطرون عليه. ونُظِّف البناءان كاملًا وعُطِّرَا. وجُلِبَ المنبر الذي بناه نور الدين الزنكي من حلب ووُضِعَ في مكانه في المسجد الأقصى.[٤٠]

وضع صلاح الدين الأيوبي تنظيمات جديدة كثيرة في القدس بعد الفتح، ومن أبرز الدلائل عليها الخانقاه والمدرسة اللتان بناهما بغية إحياء الحياة العلمية في المدينة. وأراد صلاح الدين الأيوبي أن تكون المدينة مركزًا للعلماء وأيضًا للصوفية الذين يلعبون دورًا مهمًا في الحياة الاجتماعية والدينية، لذلك بنى الخانقاه الصلاحية عام ٥٨٥هـ.[٤١] وبنى الأمير حسام الدين الجراحي (ت: ٥٩٨) الذي كان من أبرز أمراء صلاح الدين زاويةً للصوفية، وكان هدفه جعلها مركزًا لأهل التصوف في المدينة.[٤٢] وظلت هذه الخطوات التي اتخذها صلاح الدين لإحياء الحياة العلمية في القدس باقية في الفترات اللاحقة. وقام صلاح الدين بتنظيمات إدارية ومالية في القدس حين عاد إليها بعد إزالة خطر الحملة الصليبية الثالثة، وألحق بعضًا من الدكاكين والبساتين لأوقاف المدارس كي يزيد من عائدات هذه المدارس.[٤٣]

وقد أسهمَ السلاطين الأيوبيون الذين حكموا بعد صلاح الدين في السعي لإكساب القدس هويةً إسلاميةً، فالملك الأفضل علي بن صلاح الدين مثلًا بنى مدرسة للمالكية عام ٥٩٠/١١٩٤، وبنى أخوه الملك العادل سيف الدين مكانًا ليتوضأ الناس في الحرم، وسُبلًا لشرب الماء. ويُعد ملك دمشق الملك المعظم عيسى من أبناء الملك العادل من أكثر ملوك الأيوبيين الذين أولوا القدسَ أهمية كبيرة بعد صلاح الدين.

فقد رمَّم الملك المعظم بعضًا من الأماكن في

[٣٨] أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، تحقيق: شرف الدين أحمد (حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٨١)، ١٢: ٣٨٩-٣٩٠؛ العليمي، الأنس الجليل، ١: ٤٤٠-٤٤١.

[٣٩] أغلقت الكنيسة مدةً بعد الفتح، ثم فتحت أبوابها للزائرين مقابل دفع الأجرة. (العليمي، الأنس الجليل، ١: ٤٨٥؛ شاكر مصطفى، صلاح الدين، دمشق: دار القلم، بدون تاريخ، ٢٦٨؛

Steven Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi / Fikret Işıltan, Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 2008, 2: 392;

[40] Runciman, Haçlı Seferleri Tarihi, 2: 392; Mustafa, Salâhuddîn, 268.

[٤١] العليمي، الأنس الجليل، ٢: ٩٩. يُذكر أن الخانقاه كانت بنيًا تابعًا لبطريرك القدس في عهد الصليبيين، ثم وقفَها صلاح الدين بيتًا للصوفية. (انظر: العليمي، الأنس الجليل، ١: ٤٨٥؛ ٢، ٤٨٨؛ عبد الجليل حسن عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي: دورها في الحركة الفكرية، عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨١، ١٨١).

[٤٢] العليمي، الأنس الجليل، ٢: ١٠١-١٠٢.

[٤٣] أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة المقدسي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الناصرية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)، ٤: ١٩٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٢: ٤٠٧.

الحرم الشريف، وأعاد بناء بعضًا من أقسام المسجد الأقصى. وبنى أيضًا مدرسة للحنفية ومدرسة لتعليم العربية، فأسهم بذلك في التقدم العلمي للمدينة.[٤٤]

وكان للمدارس التي بناها الأيوبيون دور عظيم في إعادة القدس إلى هويتها الإسلامية، وأسهمت هذه المدارس في إحياء الحياة العلمية في المدينة، وفي تقديم العلماء منافع عظيمة للحكَّام الأيوبيين. وقد رأى الملوك الأيوبيون أن حماية العلماء الذين يعدون المرجع الديني في المجتمع الإسلامي أداةٌ مهمةٌ لنيل دعمهم في مواجهة الأعداء والقِوى السياسية المحلية. فالعلماء العنصر الأهم في وضع القواعد الضرورية وتطبيقها ومراقبتها من أجل أن يكون المجتمع المسلم سليمًا من كل الجوانب. لذلك كان يرى الذين يتولون مقاليد السياسة أهمية كبيرة في الدور الذي يلعبه العلماء من أجل حياة اجتماعية سليمة. ولا شك أن العلماء كانوا أكبر عون لملوك الأيوبيين في تجييش المجتمع الإسلامي لمواجهة الصليبيين. إذ كان حث الواعظين المشهورين آنذاك المسلمين على الجهاد عبر مواعظهم في المساجد والمؤلفات التي وضعوها عاملًا أساسيًّا في محاربة الصليبيين. من أجل ذلك كله أولَى الأيوبيون أهميةً عظيمةً لحماية العلماء عبر بناء المدارس، وبنوا مدارس كثيرة في القدس.

فمن أشهر المدارس التي بناها الأيوبيون في القدس «المدرسة الناصرية الصلاحية» التي بناها صلاح الدين الأيوبي والتي اشتُهِرت باسم «المدرسة الصلاحية». ويظهر من المراجع التي تعود لذلك العهد أن فكرة بناء مدرسة كانت من بين أفكار تجديد القدس التي كانت لدى صلاح الدين بعد فتح المدينة. إلا أن بدء الحملة الصليبية الثالث بعد الفتح بمدة قصيرة أخَّر بناء هذه المدرسة. ويتضح من اللوحة في المدرسة أن بناءها كان عام ٥٨٨/١١٩٢، وهذا يعني أنها بُنيَت بعد الحملة الصليبية الثالثة. وقد كلَّف صلاح الدين في هذا التاريخ بعد الفتح وكيل بيت المال في القدس أبا عبد الله محمد بن أبي بكر بن خضر المقدسي ببيع بعض الأملاك المخصصة لبيت مال القدس. وقد اشترى صلاح الدين من ماله الخاص كنيسةً كانت بين الأملاك التي تُباع وقد خصَّصها من قبل لينشئ فيها مدرسة، ووقفَها مدرسةً لفقهاء الشافعية، وجعل للمدرسين والطلبة فيها رواتب كبيرة.[٤٥]

وكان المسيحيون يقدِّسون هذه الكنيسة التي وقفَها صلاح الدين مدرسةً ويُعتقَد أن قبر السيدة مريم فيها.[٤٦] وكان كبار العلماء يدرِّسون في هذه الكنيسة التي تحوَّلت إلى دار علم حين حكمَ الفاطميون القدس. وعندما استولى الصليبيون على القدس، حوَّلوا هذه الدار إلى كنيسة. وعندما فتح صلاح الدين القدس، حوَّل هذا المكان إلى مدرسة ومركز للعلم مرة أخرى.[٤٧]

أراد صلاح الدين أن يأتي بضياء الدين الحقَّاري (ت: ٥٨٥/١١٨٩) الذي كان من أعلام الفقه ليدرِّس في المدرسة لثقته به وصحبته له مدة طويلة.[٤٨] ولكن رغبة صلاح الدين هذه لم تتحقق لتأخر إنشاء المدرسة بسبب الحملة الصليبية الثالثة ووفاة الحقاري في تلك الفترة، فأتى بهاء الدين بن شداد (ت: ٦٣٢/١٢٣٤) الذي كان من أعلام الفقه أيضًا ليكون مدرِّسًا في هذه المدرسة.[٤٩] وكانت «الصلاحية» من أفضل مدارس القدس آنذاك.

[44] Carole Hillenbrand, Müslümanların Gözünden Haçlı Seferleri / Nurettin Elhüseyni, (İstanbul: Alfa Basım Yayın Dağıtım, 2015), 226-227.

[٤٥] ابن واصل، مفرج الكروب، ٢: ٤٠٧؛ عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ١٨٢-١٨٣.

[٤٦] العليمي، الأنس الجليل، ١: ٤٨٥.

[٤٧] ابن واصل، مفرج الكروب، ٢: ٤٠٧.

[٤٨] ابن واصل، مفرج الكروب، ١: ١٦٩؛ أبو شامة، كتاب الروضتين، ٤: ٦٥؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٧٨)، ٣: ٤٩٧.

[٤٩] ابن واصل، مفرج الكروب، ٢: ٤٠٧. تعرف ابن شداد إلى صلاح الدين الأيوبي بعد فتح القدس. ودعا صلاح الدين ابن شداد إلى دمشق لعلمه وأحسنَ إليه وقرَّبه منه. وعيَّنه في منصب قاضي القضاة في القدس ثم مدرِّسًا في المدرسة الصلاحية بعد إنشائها. وقد بقي ابن شداد في منصبه طوال عهد صلاح الدين. وأرسله صلاح الدين رسولًا إلى الخليفة العباسي ليسانده في حربه مع الصليبيين. وبعد وفاة صلاح الدين انتقل ابن شداد إلى حلب حيث الملك الظاهر بن صلاح الدين، وتولى مناصب كثيرة منها منصب قاضي القضاة. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧: ٨٤-١٠٠)

والدليل على ذلك أن أشهر علماء ذلك العصر درَّس فيها، فبعد ابن شداد جاء مجد الدين بن جهبل (ت: ٥٩٦/١٢٠٠)، وفخر الدين بن عساكر (ت: ٦٢٠/١٢٢٣)، وابن الصلاح الشهرزوري (ت: ٦٤٣/١٢٤٥)، والعز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠/١٢٦٢).[٥٠] وبقيت الصلاحية مدرسة مهمة في عهد المماليك أيضًا، حتى إن العلماء كانوا يتنافسون أحيانًا على التدريس فيها.[٥١] وكان في القدس- كغيرها من مدن المماليك- منصب قاضي القضاة من كل مذهب من المذاهب السنية الأربعة، وكان قاضي قضاة المذهب الشافعي يدرِّس في الصلاحية. وصار تولي مدرِّس المدرسة الصلاحية للخطبة في المسجد الأقصى عُرفًا.[٥٢]

وقد بُنيَت مدارس أخرى في القدس بعد الصلاحية، من أشهرها «المدرسة الأفضلية» التي بناها الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين الأيوبي (ت: ٦٢٢/١٢٢٥) ووقفَها عام ٥٨٩/١١٩٣ على فقهاء المالكية الذين جاؤوا إلى القدس وأقاموا فيها.[٥٣] فكانت الأفضلية دليلًا على الحركة العلمية النشطة بين القدس والبلدان التي ينتشر فيها المذهب المالكي مثل المغرب والأندلس، وتفنيدًا لادعاء أن الأيوبيين كانوا يرعون المذهب الشافعي ويهملون المذاهب الأخرى.[٥٤]

ومن الأمثلة التي تدل على دعم الطبقة السياسية والعسكرية للنهضة العلمية وبناء الأوقاف «المدرسةُ الميمونية». ولا ترد في المراجع معلومات مفصلة عن هذه المدرسة، إلا أنه من المعروف أن الذي وقفَها الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون القصري عام ٥٩٣/١١٩٧ على أصحاب المذهب الشافعي.[٥٥] ومن المدارس في القدس «المدرسة البدرية» التي وقفَها بدر الدين محمد بن أبي القاسم محمد الحقَّاري (ت: ٦١٤/١٢١٧) من أمراء الملك المعظَّم عيسى عام ٦١٠/١٢١٣ على أصحاب المذهب الشافعي.[٥٦] وكان الأمير بدر الدين يولي العلم وأهله أهمية كبيرة، فتولى إدارة المدرسة بنفسه ومن بعده أولاده.[٥٧]

ومن المدارس أيضًا «المدرسة النحوية» وهي دليل على وجود مدارس في العهد الأيوبي لا يقتصر التدريس فيها على الفقه، بل فيها علوم أخرى. وقد وقفَها ملك دمشق الأيوبي الملك المعظم عيسى لتدريس اللغة العربية. ووقفَ الملك المعظم كثيرًا من الأوقاف في دمشق- مركز الإدراة- والقدس. وكان يُعرَف عن الملك المعظم الذي كان يولي أهل العلم أهمية كبيرة أنه كان فقيهًا وعالمًا باللغة، وكان من علماء النحو في عصره.[٥٨]

وكان من أشهر الكتب التي تُدرَّس في النحو: (الكتاب) لسيبويه، و(الإيضاح) لأبي علي الفارسي، و(إصلاح المنطق) لابن السكيت، و(ملحة الإعراب) للحريري. وكانت تُدرَّس إلى جانب النحو علوم العربية الأخرى مثل العروض والبلاغة والأدب.[٥٩]

وكان الأيوبيون على المذهب الشافعي إلا الملك المعظم عيسى الذي كان على المذهب الحنفي، فبنى المدرسة النحوية لعلماء الحنفية وطلبتهم. ووُظِّفَ في

[٥٠] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ١٨٧.

[٥١] تنافس الفقيهان جمال الدين ابن جماعة وسراج الدين عمر بن موسى الحمصي على التدريس في المدرسة في عهد الملك الظاهر، ثم عُقِدَت مناظرة بينهما، فغلب ابن جماعة الحمصيَّ وتولى التدريس في الصلاحية. (عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ١٩٦-١٩٧)

[٥٢] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ١٩٧-١٩٨.

[٥٣] يذكر سند الوقف بوضوح وقف المدرسة على العلماء والطلبة الذكور والإناث القادمين إلى القدس من المغرب طلبًا للعلم. (العليمي، الأنس الجليل، ٢: ٩٧؛ عبد المهدي، المدارس في القدس، ٣٣٦).

[٥٤] للاطلاع على الادعاء ونقده، انظر:
Harun Yılmaz, Zengî ve Eyyûbî Dımaşk'ında Ulema ve Medrese (İstanbul: Klasik Yayınları, 2017), 248-253.

[٥٥] العليمي، الأنس الجليل، ٢: ١٠٠؛ عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٤٠.

[٥٦] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٥٩.

[٥٧] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٥٩.

[٥٨] للاستزادة في الحياة العلمية للملك المعظم، انظر:
Yılmaz, "Dımaşk Eyyûbî Meliki el-Melikü'l-Muazzam'ın İlmî Hayatı", Eyyubiler Yönetim, Diplomasi, Kültürel Hayat, Ed. Önder Kaya (İstanbul: Küre Yayınları, 2012), 329-347.

[٥٩] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٥١.

[٦٠] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٥٢.

المدرسة مدرِّسٌ يدير شؤونها وإمامٌ يصلِّي بطلبة العلم الصلوات الخمس. وقد ذُكِرَ في سند الوقف هذا شرطُ وجود خمسة وعشرين طالبًا لتعلم النحو ومدرِّسٍ في النحو يدرِّسهم، ووجوب أن يكون الطلبة والمدرِّس على المذهب الحنفي.[٦٠]

ولا تذكر المراجع مَن هو أول مدرِّس في المدرسة النحوية. ولكن مما يشير إلى أن المدرسة كانت لها مكانة في الوسط العلمي أن تقي الدين أبا بكر بن عيسى بن الرسَّاس الأنصاري المقدسي الحنفي (ت: ٨٣٢/١٤٢٩) الذي كان يشغل منصب قاضي القضاة في القدس وغزة في العهد المملوكي قدَّ درَّس في هذه المدرسة.[٦١] ومن المدارس «المدرسة المعظمية» التي بناها ملك دمشق الملك المعظم عيسى، وهي من أهم المدارس التي بُنيَت في القدس في عهد الأيوبيين. وقد بُنيَت لأصحاب المذهب الحنفي عام ٦٠٦/١٢٠٩، لذلك سُميَّت أيضًا باسم «المدرسة الحنفية». وخصَّص الملك المعظم أوقافًا من بينها قرى كثيرة من أجل المدرسة،[٦٢] وجعل في سند الوقف شرطَ أن تتولى ذريته إدارة المدرسة. وظلَّت المدرسة المعظمية أشهر مدرسة يدرِّس فيها علماء الحنفية في القدس في العهد الأيوبي وعهد المماليك.[٦٣]

وكانت هناك حلقات دروس بين الأوقاف التي تُسمَّى مدارس في القدس، فالمدرستان «الناصرية» و«الغزَّالية» كانتا في الأصل قِسمان داخل المسجد الأقصى وُقِفَا للتدريس. واشتُهِرَت المدرسة أولًا باسم الناصرية نسبة للفقيه الشافعي نصر بن إبراهيم المقدسي (ت: ٤٩٠/١٠٩٧) والذي كان أول مدرِّس فيها، ثم باسم «الغزَّالية» نسبة للإمام الغزَّالي.[٦٤] وقد كتَب الغزالي رسالته باسم (الرسالة القدسية في قواعد العقائد) هنا لأهل بيت المقدس، ثم كانت جزءًا من كتابه (إحياء علوم الدين).[٦٥] أما الذي أحيا المدرسة التي توقف نشاطها العلمي أثناء احتلال الصليبيين للقدس فهو الملك المعظم عيسى الذي وقفَ المدرسة النحوية والمعظمية. وُقِفَت المدرسة التي أُعيد تفعيل سند وقفها في عام ٦١٠هـ لتصبح مدرسة للقراءة والنحو، ووقفَ الملك المعظم كثيرًا من كتب اللغة العربية في هذه المدرسة.[٦٦] وعيَّن للتدريس في هذه المدرسة ابن الصلاح الشهرزوري الذي كان مدرسًا أيضًا في الصلاحية، فظلَّ يدرِّس فيها حتى رحل إلى دمشق بعد التهديد الصليبي عام ٦١٦هـ.[٦٧] وكان من شروط وقف المدرسة تدريس القراءة والنحو.[٦٨] وعُرِفَ عن ابن الصلاح أنه كان يدرِّس الحديث والفقه ودروسًا أخرى في الصلاحية، ودرَّس هذه الدروس أيضًا إلى جانب النحو في الناصرية.

أما المدرسة العزيَّة التي تُذكَر في المصادر فلعلها كانت في الأصل حلقة درس في المدرسة الناصرية. وقد اشتُرِطَ في سند وقف هذه المدرسة التي وقفها عز الدين أيبك المعظمي (ت: ٦٤٧/١٢٤٩) الذي كان أستاذ الملك المعظم عيسى أن تبقى قائمة في القدس إن كانت في يد المسلمين، وإلا ففي المسجد الأموي بدمشق، وهذا ما يُعزِّز احتمال أن هذه المدرسة لم تكن بناءً مستقلًا بل زاوية في المسجد الأقصى أو مسجد في مكان آخر.[٦٩]

[٦١] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٥٣.

[٦٢] العليمي، الأنس الجليل، ٢: ٨٩-٩٠.

[٦٣] للاطلاع على العلماء الذين درسوا في المدرسة آنذاك، انظر: عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٦٥-٣٩٠.

[64] Hatim Mahamid, "Mosques as Higher Educational Institutions in Mamluk Syria", Journal of Islamic Studies, 20/2, (Mayıs 2009), 201.

[٦٥] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٥٦-٣٥٧.

[٦٦] العليمي، الأنس الجليل، ٢: ٧٦؛ عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٥٧.

[٦٧] ابن واصل، مفروج الكروب، ٤: ٣٢؛ أبو مظفر شمس الدين يوسف بن قز أوغلو سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، حيدر أباد ١٩٥١، ٢/٨: ٧٥٧.

[٦٨] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٥٨.

[٦٩] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٩٦.

وتُذكَر أيضًا مدرستان بناهما الأيوبيون، فأما الأولى فهي المدرسة الأمجيدة التي وقفها الملك الأمجد حسن الأخ غير الشقيق للملك المعظم عيسى على أتباع المذهب الحنفي، وأما الأخرى فالمدرسة الأوحدية التي بُنيَت في عهد المماليك. وليس ثمة معلومات كثيرة عن المدرسة الأمجدية في المراجع، ولكن من المعلوم أن واقفها قد دُفِنَ في المدرسة.[٧٠] أما الذي بنى المدرسة الأوحدية عام ١٢٩٨/٦٩٧ فأسرة أيوبية في عهد المماليك، وإنما ذلك دليل على دعم الأيوبيين لنشر العلم. [٧١]

ولم تكن القدس مركزًا سياسيًّا وعسكريًّا في عهد صلاح الدين ولا مَن أتى بعده من ملوك الأيوبيين، وإنْ شهدت المدينة نهضة علمية كبيرة ببناء المدارس فيها، وكانت لها مكانة دينية عظيمة. فقد كانت دمشق مركز الأيوبيين في الشام، والقاهرةُ مركز الأيوبيين في مصر. ولم تنافس القدسُ دمشقَ والقاهرة وحتى مدن الساحل على الرغم من أهميتها الدينية.

وقد سعى صلاح الدين الأيوبي إلى إعادة القدس إلى هويتها الإسلامية عبر دعمه لنهضة علمية في المدينة، إلا أن المدينة والحياة العلمية فيها تأثرت سلبًا طوال عهد الأيوبيين ببقاء تهديد الصليبيين والنزاعات الداخلية بين الأيوبيين أنفسهم. فكانت أول ضربة للحركة العلمية التي عادت إلى القدس عام ١٢١٩/٦١٦، وكان ذلك مع قدوم الحملة الصليبية الخامسة وخطر دخول الصليبيين إلى القدس مرة أخرى، إذ أمرَ ملك دمشق الملك المعظم عيسى بهدم قسم كبير من أسوار المدينة خوفًا من سقوطها بيد الصليبيين.[٧٢] فكان هدم أسوار المدينة سببًا لرعب أهل القدس وطلاب العلم فيها. وتذكر المراجع أنه بعد قرار الملك المعظم هذا، بدأ المسلمون يذهبون إلى الأماكن المقدسة للدعاء فيها وسط حالة من الاضطراب والفوضى، وأن قسمًا كبيرًا من الناس تركوا القدس وهاجروا إلى دمشق.[٧٣] وكان منهم علماء أمثال ابن الصلاح الشهرزوري.[٧٤]

أما الأمر الآخر الذي أثَّر سلبًا في الحركة العلمية في المدينة فكان بعد نحو من عشر سنوات من الحملة الصليبية الخامسة. فقد وصلت النزاعات بين الأيوبيين إلى درجة تهدد خروج القدس من حكم المسلمين. إذ كان هناك صراع بين ملك دمشق وملك مصر الأيوبيَّين، فعرض ملك مصر على الصليبيين أن يدعموه مقابل تسليمهم القدس، وبذلك سُلِّمت القدس للصليبيين هذه المرة من غير حرب بعد أن حرَّرها صلاح الدين عقِب جهاد طويل.[٧٥] وكان تسليم ملك مصر القدسَ للصليبيين سببًا لردود أفعال كبيرة من الناس والعلماء، فقد وعظَ سبط ابن الجوزي الذي كان من علماء العصر وعظًا بليغًا في المسجد الأموي بدمشق وضَّح فيه للناس المصيبة التي حلَّت بالقدس، وكان ذلك بدعم من ملك دمشق الأيوبي لتشويه سمعة ملك مصر.[٧٦]

وأما الضربة الثالثة التي تلقَّاها الحكم الأيوبي في القدس فكان أيضًا نتيجة صراع بين ملوك الأيوبيين أنفسهم.

[٧٠] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٣٩٤.
[٧١] الملك الأوحد نجم الدين يوسف واقف المدرسة هو حفيد ملك دمشق الملك المعظم عيسى من ابنه الملك الناصر داوود. (العليمي، الأنس الجليل، ٢: ٨٥)
[٧٢] ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٣٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢/٨: ٧٥٧.
[٧٣] ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٣٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢/٨: ٧٥٧؛
Hillenbrand, Müslümanların Gözünden Haçlı Seferleri, 229-230.
[٧٤] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ١/٨: ٢٨٩. عندما هاجر ابن الصلاح إلى دمشق، عمل مدرسًا وناظرًا في المدرسة الشامية الجوانية والمدرسة الرواحية المبنية حديثًا، ثم صار مدرِّسًا في دار الحديث الأشرفية التي بناها الملك الأشرف موسى بعد توليه حكم دمشق. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣: ٢٤٤؛ أبو المفاخر محي الدين عبد القادر بن محمد بن عمر الدمشقي النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨)، ١: ٢٦٦).
[٧٥] دعا الملك الكامل حاكم مصر فردريك الثاني للتحالف معه لمواجهة أخيه ملك دمشق الملك المعظم، وعرض عليه تسليم القدس. وقبل فردريك الثاني هذا العرض، وسُلِّمت المدينة للصليبيين عام ١٢٢٩/٦٢٦ على ألا يدخل المسلمون إلا الحرم الشريف. وبذلك سلَّم الأيوبيون بأنفسهم القدسَ للصليبيين بعد نحو من ثلاثين سنة من تحريرها على يد صلاح الدين.
Hillenbrand, Müslümanların Gözünden Haçlı Seferleri, 230-231
[٧٦] ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٢٤٥.

فقد تحالف الملك الصالح نجم الدين أيوب مع جند خوارزم الذين قدِموا إلى دمشق بعد هزيمتهم أمام المغول عام ١٢٤٤/٦٤٢ ليستعملهم في مواجهة خصومه الأيوبيين، لكن كان لهذا التحالف نتائج سلبية على القدس، فقد دخل جند خوارزم القدسَ فنهبوها وسلبوا ما فيها.[٧٧]

ونفهم مما ذكرنا أن الأيوبيين لا سيما بعد صلاح الدين كانوا يرون في القدس مركزًا دينيًّا، ولكنها لم تكن لهم ذات شأن من الناحية السياسية والعسكرية. ويبدو ذلك واضحًا من سياساتهم أثناء مواجهتهم الصليبيين وصراعاتهم الداخلية. كانت القدس للأيوبيين رمزًا دينيًّا أكثر من كونها مركزًا سياسيًّا واستراتيجيًّا، لذلك اختاروا التأكيد على الهوية الدينية والعلمية للمدينة عبر الخطوات التي اتخذوها، وسعوا لجعل المدينة مركزًا لأهل العلم.

وقد أنهى هجوم المغول على بلاد الشام عام ١٢٦٠/٦٥٨ حكمَ الأيوبيين، ولكنه وسَّع نفوذ المماليك الذين كانوا يحكمون مصر منذ نحو من عشر سنوات، حتى وصل إلى الشام. فقد أوقف المماليك في معركة عين جالوت زحف المغول نحو الغرب، ونجحوا في حكم بلاد الشام والقدس التي كانوا ينازعون الأيوبيين عليها. وقضوا على الخطر الصليبي على سواحل فلسطين خلال بضعة أعوام، وأنقذوا القدس من الصليبيين.[٧٨] وأدركوا أهمية القدس الدينية، فساروا على نهج الأيوبيين في بناء الأوقاف والمدارس ومساندة العلماء. وزاد عدد المؤسسات العلمية والمناصب الممنوحة للعلماء في القدس آنذاك. وإلى جانب المدارس والأوقاف التي أنشأها سلاطين المماليك بأنفسهم، كانت من أبرز مظاهر دعم المماليك الأنشطة العلمية في القدس المدارسُ التي بناها أمراء دمشق وحلب والقدس والأمراء الآخرون. بنى المماليك أكثر من ثلاثين مدرسة في القدس، ووصل العدد الكلي للمدارس في القدس إلى نحو من خمسين. بُنيَت أكثر المدارس في القدس قربَ المسجد الأقصى، فكانت هذه المنطقة مركز العلم في المدينة. وإضافةً إلى الدروس التي كان تُعطَى في المدارس، وُقِفَت دروس كثيرة في المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وقدَّمت الأوقاف عطايا كثيرة للعلماء.

مدرسة الأشرفية من الخارج (أرشيف MT)

[77] Hillenbrand, Müslümanların Gözünden Haçlı Seferleri, 234.
[78] Donald P. Litte, “Jerusalem under the Ayyūbids and Mamlūks”, Jerusalem in History, Ed. K J Asali (Essex: Scorpion Publishing, 1989), 186.

من أشهر المدارس في عهد المماليك «المدرسة الأشرفية» التي بناها سلطان المماليك الملك الأشرف قايتباي (١٤٦٨-١٤٩٦) داخل الحرم الشريف. وتُعرَف هذه المدرسة أيضًا باسم «المدرسة السلطانية» و«المدرسة الأشرفية السلطانية». ومما يميِّز هذه المدرسة عن غيرها من المؤسسات التعليمية أن هذه المدرسة الوقفية كان لها دور مدرسة وخانقاه في الوقت نفسه. وكان وقف الأشرفية يخصص مبالغ للصوفية والمدرِّسين والطلبة. ويذكر العليمي أن المدرسة الأشرفية مع الجامع القبلي وقبة الصخرة كانت ثلاث لآلئ في المسجد الأقصى.

مدخل المدرسة الأشرفية (أرشيف MT)

بدأ بناءَ مدرسة الأشرفية ناظرُ الحرمين الأمير حسن بن تتار باسم الملك الظاهر خشقدم (١٤٦١-١٤٦٧)، لكن الملك الظاهر توفي قبل اكتمال بناء المدرسة، فعرضَ الأمير حسن المدرسة للسلطان الملك الأشرف قايتباي الذي تولى العرش عام ٨٧٢/١٤٦٨، فكان الملك الأشرف واقفَ هذه المدرسة. وقد وقفَ كثيرًا من الأملاك في مدينة غزة على هذه المدرسة. وعُيِّن الفقيه الشافعي الشيخ شهاب الدين العميري (ت: ٨٩٠/١٤٨٥) مدرِّسًا وشيخًا في المدرسة، وخُصِّصَ له مبلغ خمسمئة درهم شهريًّا. ويُفهَم من ذلك أن المدرسة كانت فيها دروس في الفقه والعلوم الشرعية إلى جانب التصوف، وكان يدير التدريس والمشيخة شيخٌ مدرِّسٌ. وكان يُخصَّص مبلغ خمسة عشر درهمًا شهريًّا لستين صوفيًّا في المدرسة، وخمسة عشر درهمًا شهريًّا لطلبة الفقه والعلوم الشرعية. وكان في الأشرفية مناصب أخرى للعلماء منها قارئ المصحف، وقارئ الحديث، وقارئ البخاري.

[٧٩] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٢: ١٥٦.
[٨٠] العليمي، الأنس الجليل، ٢: ٧٨-٧٩.
[٨١] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٢: ١٥٦-١٥٩.
[٨٢] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٢: ١٦٦.

مدخل المدرسة الأشرفية (أرشيف MT)

عندما زار قايتباي القدس عام ٨٨٠/١٤٧٥-١٤٧٦، رأى المدرسة الأشرفية التي تحمل اسمه لأول مرة، فلم تعجِبه، فأمر بعد خمس سنوات بهدمها وبناء مدرسة جديدة كما أراد. وجاء قايتباي إلى القدس أثناء بناء المدرسة الجديدة، وأحضر معه المعماريين والمهندسين وعمال الحجارة، وتم بناء المدرسة عام ٨٨٧/١٤٨٢.

محراب المدرسة الأشرفية (أرشيف MT)

بنى الأمراء أكثر المدارس التي بُنيَت في القدس في عهد المماليك، من أشهرها المدرسة التنكزية التي بناها الأمير تنكز الناصري. وكان تنكز من أمراء المماليك الأقوياء، وحكم دمشق لثلاثين سنة تقريبًا بين عامَي ٧١٢-٧٤٠ هـ (١٣١٢-١٣٣٩)، وكانت له آثار عمرانية عظيمة في المدن التي كانت تحت حكمه، إذ بنى كثيرًا من الطرق وقنوات المياه والجسور والخانات والساحات والمدارس. وكانت المدرسة التنكزية التي بناها في القدس عام ٧٢٩/١٣٢٨ مركزًا علميًّا متعدد الوظائف، فقد كانت مدرسة للحنفية ودارًا للحديث ورباطًا ومسجدًا. وجعل في هذه المدرسة مناصب كثيرة منها: منصب المدرِّس، والمعيد، وشيخ الحديث، وشيخ قارئ الحديث، وشيخ الصوفية، وقارئ القرآن، وخصَّص مبلغًا شهريًّا ومساعدات من وقف المدرسة للعلماء الذين عيَّنهم في هذه المناصب.

[٨٣] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٢: ١٦١- ١٦٣.
[٨٤] للاطلاع على الآثار العمرانية التي بناها الأمير تنكز الناصري في دمشق، انظر:
Ellen Kennedy, Power and Patronage in Medieval Syria: The Architecture and Urban Works of Tankiz al-Nasiri (Chicago: Middle East Documentation Center, 2009).
[٨٥] كامل جميل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٣)، ١: ١٠٥- ١٠٧.

وكان يُعطَى مُدرِّسُ الحنفية ستين درهمًا شهريًّا وطعامًا كل يوم، أما طلبته الخمسة عشرة فيُعطى المبتدئ عشرة دراهم شهريًّا، والمتوسط خمسة عشرة درهمًا، والمنتهي (المتقدم) عشرين درهمًا إلى جانب طعامهم اليومي. وعُيِّنَ في المدرسة أيضًا شيخ حديث وعشرون من طلبة الحديث. وكُلِّف شيخ الحديث بدرس لعامة الناس في أيام محددة من الأسبوع في المدرسة، واشتُرِط أن يقرأ فيها صحيحَي البخاري ومسلم. وعُيِّن شيخ ومعه خمسة عشر صوفيًّا في المدرسة التنكزية، فكانت المدرسة كخانقاه في الوقت نفسه. وجُعِل رِباط للنساء الصوفية في المدرسة، وعُيِّنت شيخة رباط عليه. وكان من بين المؤسسات التعليمية التي أُقيمَت في القدس على يد الأمراء الخانقاه الدوادارية التي بناها الأمير علم الدين سنجر الدواداري (ت: ٦٩٩/١٣٠٠) الذي كان من أمراء المماليك الأوائل وتولى منصب نائب السلطان في مصر، ومنها المدرسة الجاولية التي بناها نائب غزة الأمير علم الدين سنجر الجاولي (ت: ٧٤٥/١٣٤٤)، والمدرسة الأرغونية التي بناها نائب حلب الأمير أرغون الناصري (ت: ٧٥٩/١٣٥٨).

وكانت أكثر المدارس التي في القدس في العهد المملوكي قد بناها الحكّام المماليك، ولكن كانت بينها مدارس بناها التجار والقضاة والعلماء. فمن المراكز العلمية التي بُنيَت في القدس على يد نساء ثريَّات المدرسة الخاتونية التي بنتها أوغول خاتون القازانية البغدادية عام ٧٨٢/١٣٨٠، والمدرسة العثمانية التي بنتها إصفهان شاه خاتون بنت أمير الأناضول عام ٨٤٠/١٤٣٦. وبنى العلماء أيضًا مدارس على قدر استطاعتهم، فالملا فناري (ت: ٨٣٤/١٤٣١) مثلًا حينما زار القدس وقفَ مدرسةً فيها، فسُمِّيَت المدرسة الفنارية نسبةً إليه. وكان الفناري قد سافر من بورصا للحج عام ٨٢٢/١٤١٩، وفي طريق رجعته مكث في القاهرة سنةً، ثم زار القدس ووقف فيها مدرسته، ثم عاد إلى بورصا. ومن المدارس التي بناها العلماء في القدس المدرسة المحدِّثية، وقد بناها العالِم المحدِّث عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن سليمان الأردبيلي عام ٧٦٢/١٣٦٠.

وقد بقي قسم من المدارس التي بُنيَت في العهدين الأيوبي والمملوكي قائمة حتى في العهد العثماني. إذ حرص العثمانيون على بقاء المدارس والأوقاف القائمة في القدس، وبنوا مدارس جديدة فيها، وأقاموا أوقافًا كبيرة لدعم النهضة العلمية هناك.

[٧٩] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٢: ١٥٦.
[٨٠] العليمي، الأنس الجليل، ٢: ٧٨-٧٩.
[٨١] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٢: ١٥٦-١٥٩.
[٨٢] عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، ٢: ١٦٦.

المراجع العربية

ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد. طبقات الحنابلة. مجلدان. تحقيق: محمد حميد الفكي. بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.

ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد. الكامل في التاريخ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ١٠ مجلدات. لبنان: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧.

ابن القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف. إخبار العلماء بأخبار الحكماء. الناشر: جوليوس ليبرت. ليبزيغ: Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung، ١٩٠٣.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله. قانون التأويل. تحقيق: محمد السليماني. جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، بدون تاريخ.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله. «مختصر ترتيب الرحلة للترغيب في الملة»، مع القاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق: سعيد أعراب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ١٦ مجلدًا. مصر: دار الكتب المصرية، ١٩٣٣.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي. الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ٨ مجلدات. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي. إنباء الغمر بأنباء العمر. تحقيق: حسن حبشي. ٤ مجلدات. مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٩.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. ٨ مجلدات. بيروت: دار صادر، ١٩٧٨.

ابن رجب، أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد. الذيل على طبقات الحنابلة. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. ٥ مجلدات. الرياض: مكتبة عبيكان، ١٤٢٥/٢٠٠٥.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد. الطبقات الكبرى. تحقيق: إحسان عباس. ٨ مجلدات. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن. تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: عمرو بن غرامة العمري. ٨٠ مجلدًا. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥.

ابن واصل، جمال الدين أبو عبد الله محمد. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشيال. ٥ مجلدات. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٥٧.

أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي الدمشقي. كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الناصرية والصلاحية. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. ٥ مجلدات. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ٢٥ مجلدًا. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

السبكي، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو. ١٠ مجلدات. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٧.

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد. الأنساب. تحقيق: شرف الدين أحمد. ١٢ مجلدًا. حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٨١.

الصفدي، أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن عز الدين أيبك بن عبد الله. الوافي بالوفيات. ٣٠ مجلدًا. العسلي، كامل

جميل. وثائق مقدسية تاريخية. مجلدان. عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٣.

العليمي، أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد أبو تبانة. مجلدان. عمان: مكتبة دنديس، ١٩٩٩.

العليمي، أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد. تحقيق: محي الدين نجيب. ٣ مجلدات. بيروت: دار صادر، ١٩٩٧.

الغزالي، أبو حامد محمد. إحياء علوم الدين (جدة: دار المنهاج، ٢٠١١.

القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. ١٤ مجلدات. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩١٤.

المقدسي، أبو عبد الله ضياء الدين محمد بن عبد الواحد. فضائل بيت المقدس. تحقيق: محمد معطي الحافظ. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥.

المقدسي، أبو نصر المطهر بن طاهر. البدء والتاريخ. ٦ مجلدات. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ.

المقريزي، تقي الدين أبو محمد أحمد. المقفى الكبير. تحقيق: محمد اليعلاوي. ٨ مجلدات. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦.

المقريزي، تقي الدين أبو محمد أحمد. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار. تحقيق: أيمن فؤاد سيد. ٦ مجلدات. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠١٣.

النعيمي، أبو المفاخر محي الدين عبد القادر بن محمد بن عمر الدمشقي. الدارس في تاريخ المدارس. تحقيق: جعفر الحسني. مجلدان. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨.

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أوغلو التركي. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ٨/١-٢، حيدر أباد: دار المعارف العثمانية، ١٣٧٠/١٩٥١.

عبد المهدي، حسن. المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي: دورها في الحركة الفكرية. عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨١.

مصطفى، شاكر، صلاح الدين. دمشق. بدون تاريخ.

المراجع باللغات الأخرى

Avcı, Casim. “Kudüs”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 2 Ekim 2019. https://islamansiklopedisi.org.tr/kudus#2-fethedilisinden- hacli-istilasina-kadar.

Dûrî, Abdülaziz ed-. “Jerusalem in the Early Islamic Period 7th-11th Centuries AD”. Jerusalem in History. Ed. K J Asali. 105-129. Essex: Scorpion Publishing, 1989.

Erünsal, İsmail E. “Dârülilim”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. Erişim: 2 Kasım 2019 https://islamansiklopedisi.org.tr/darulilim.

Gazzâlî, Ebû Hâmid Muhamm Ed. el-Münkız mine’d-dalâl ve’l-müfsıh bi’l-ahvâl. Thk. Abdürrezzak Tek. Bursa: Emin Yayınları, 2013.

Hillenbrand, Carole, Müslümanların Gözünden Haçlı Seferleri / Nurettin Elhüseyni. İstanbul 2015.

Hiyari, Mustafa A. “Crusader Jerusalem 1099-1187 AD”. Jerusalem in History. Ed. K J Asali. 130-176. Essex: Scorpion Publishing, 1989.

Kandemir, M. Yaşar. “Ubâde b. Sâmit”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 11 Ekim 2019. https://islamansiklopedisi.org.tr/ubade-b-samit.

Kennedy, Ellen. Power and Patronage in Medieval Syria: The Architecture and Urban Works of Tankiz al-Nasiri. Chicago: Middle East Documentation Center, 2009.

Koca, Ferhat, “İbn Kudâme, Muvaffakuddin”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 11 Ekim 2019. https://islamansiklopedisi.org.tr/ibn-kudame-muvaffakuddin.

Litte, Donald P. “Jerusalem under the Ayyūbids and Mamlūks”. Jerusalem in History. Ed. K J Asali. 177-199. (Essex: Scorpion Publishing, 1989).

Mahamid, Hatim, “Mosques as Higher Educational Institutions in Mamluk Syria”. Journal of Islamic Studies 20/2, (Mayıs 2009), 188-212.

Nâsır-ı Hüsrev. Sefernâme / Yahyâ el-Haşşâb. Mısır: el-Hey’etü’l-Mısriyyetü’l-Âmme li’l-Kitâb, 1993.

Runciman, Steven. Haçlı Seferleri Tarihi / Fikret Işıltan. 3 Cilt. Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 2008.

Şahyar, Ayşe Esra. “Ümmü’d-Derdâ el-Vassâbiyye”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 11 Kasım 2019. https://islamansiklopedisi.org.tr/ummud-derda-el-vassabiyye.

Yılmaz, Harun. “Dımaşk Eyyûbî Meliki el-Melikü’l-Muazzam’ın İlmî Hayatı”. Eyyubiler Yönetim, Diplomasi, Kültürel Hayat. Ed. Önder Kaya.

İstanbul: Küre Yayınları, 2012, 329-347.

Yılmaz, Harun. Zengî ve Eyyûbî Dımaşk’ında Ulema ve Medrese. İstanbul: Klasik Yayınları, 2017.

الأروقة الغربية مع سبيل قايتباي للمياه في المقدمة ومن الجنوب إلى الشمال المدرسة الأشرفية والمدرسة العثمانية والمدرسة الأرغونية و المدرسة الخاتونية والمدرسة المنجكية. (أرشيف ١٧٧)

نظرة على الطبقة العلمية في القدس العثمانية

مصطفى أوكسوز*

ظهرت طبقة العلماء في القدس بوصفها طبقةً لها تقاليدها الخاصة عبر مراحل تاريخية مختلفة، عقب فتح الخليفة الراشدي عمر رضي الله عنه للقدس سنة ٦٣٨/١٧، وبالتوازي مع انتشار الإسلام. وكان لطبقة العلماء هذه مكانة مهمة في المجتمع، فقد لعبت دورًا مهمًا وكان لها حضور في مجالات مختلفة في مدينة القدس التي دخلت في حكم الأتراك في عهد السلطان سليم الأول. وثمة معلومات كثيرة في أرشيف الدولة العثمانية التي بقيت حاكمة في المنطقة حتى عام ١٩١٧م عن هذه الطبقة وأدوارها المتغيرة مع مرور الزمان بوصفها عنصرًا أساسيًّا في المدينة. وكان لهذه الطبقة حضور دائم في المجتمع بفضل الصلة بين أفرادها أو علاقتها بالطبقات الأخرى.

وقد حرص العثمانيون على حماية هذه الطبقة والحفاظ على امتيازاتها انطلاقًا من ميراثهم الذي يحض على طلب العلم. وكان للاهتمام الذي أظهره الحكام الجدد بالقدس لأهميتها للمسلمين دورٌ كبيرٌ في موقف العثمانيين من هذه الطبقة. وبهذه الدوافع لم يتردد الحكام في إظهار كرمهم للطبقة العلمية حتى السنوات الأخيرة من الإمبراطورية العثمانية.

في هذا السياق، عندما يتم فحص دفاتر أوقاف خصكي سلطان المتأخرة العهد، تم العثور على أسماء العلماء الذين كانوا يتقاضون رواتب بانتظام من الإمارة، وبالنظر إلى الأسماء (نسيبة، خالدي، قطب، نشاشيبي، عُلَمي، إلخ) يتبين أنها أسماء أُسَر متجذرة، بل ويعود بعضها إلى العصر المملوكي.[١]

من المفهوم أن هذه الامتيازات ليست للأفراد فقط، فالمؤسسات الأخرى أيضًا في المدينة محمية من قبل الإمارة. تذكر الدفاتر الخاصة بمؤسسة «حُرَّم سلطان» بشكل منهجي أسماء المؤسسات التي تدعمها العاصمة ماليًا، ومن بين المؤسسات تأتي تلك التي لها جوانب صوفية بارزة تلفت الانتباه. يُلاحظ أن زوايا مثل زاوية الشيخ عبد القادر، وزاوية سيدي البدوي، وزاوية سيدي إبي المدين الغوث، وزاوية الشيخ الخليلي، وزاوية الشيخ العلمي، وزاوية الأوزبكية، وزاوية الهنود، وزاوية البراق الشريف، وزاوية داود، وزاوية مولوي خانة، يتلقون بانتظام مساعدات مالية. تهدف التبرعات المقدمة إلى تلبية احتياجات المؤسسة والمسؤولين بالإضافة إلى احتواء الأفراد الذين تم تعيينهم هناك.[٢]

* د. مصطفى أوكسوز، عضو الهيئة التدريسية في جامعة فان يوزونجي يل، ٢٨gmail.com@mustafaoksuz@yyu.edu.tr; mustafaoksuz

[١] «دفتر مصارفات مرتبات أهالي القدس الشريفة عن علايف جزوخان رابطة شريفة وعلايف تكية عامرة ومقطوع قرايا وبدل أخباز فقراء ومجاورين تكايا والرواقات والزوايا والنساء والأرامل والمرتزقة بتكية صاحبة الخيرات والميراث المرحومة والمغفور لها حصكي سلطان در قدس شريف طاب ثراها وذلك عن واجب سنة ١٢٧٨ ثماني وسبعين ومئتين وألف». انظر الأرشيف العثماني، دفاتر الأوقاف:

Osmanlı Arşivi (COA), Evkaf Defterleri [EV.d] 1278 (1862/63), Nr: 17753, 1b

[٢] دفتر يتضمن مصارفات تكية حصكي سلطان بالقدس الشريف شهر حزيران سنة ١٢٦٤ أربعة، انظر للوثيقة: الأرشيف العثماني، دفاتر الأوقاف:

Osmanlı Arşivi (COA), Evkaf Defterleri [EV.d] Haziran 1264 (Haziran/Temmuz 1848), Nr: 13432, 1b.

إن ميل الحكام وخاصة السلاطين نحو أهل الصوفية أدى دائمًا إلى حماية هذه الطبقة، ومع ذلك وكما أشرنا ليس فقط الشيوخ ولكن أيضًا الأعضاء العلميين الآخرين لهم نصيبهم في هذا الامتياز ومن الواضح أن هذا الاهتمام يشمل جميع أبنائهم بغض النظر عما إذا كانوا فتيات[٣] أو فتيانًا.[٤]

ومن المعروف أيضًا أن العلماء أتوا إلى القدس من مدن إسلامية أخرى للاستقرار في مناسبات مختلفة لكونها مركزًا دينيًا، فكان لهذه الحركة من الخارج إلى الداخل تأثير إيجابي على الحياة العلمية هناك. في واقع الأمر، أثبت الدكتور سطيح أن ٤٨ باحثًا كانوا يعيشون في المدينة في القرن الثامن عشر، ١١ منهم من خارجها (نابلس، الخليل، الرملة، دمشق، حلب، بغداد، مصر، المغرب، نيسابور). حقيقة أن الزوار تلقوا تعليمًا في أماكن مثل القاهرة والقدس ودمشق والمغرب وبغداد واسطنبول تكشف عن علاقة المدينة بمراكز التعليم المختلفة في العالم الإسلامي.[٥]

المدارس

في رواية مجير الدين الحنبلي عن تاريخ القدس والخليل، تم فتح فصل منفصل للمدارس والزوايا في المدينة، كما وضح من هم المؤسسون وما هي الأوقاف التي أنشئت هناك. عندما ننظر إلى المعلومات التي قدمها، نلاحظ وجود أكثر من أربعين مدرسة من العصور السابقة للعصر المملوكي،[٦] ومع ذلك فقد أشارت دراسة حديثة إلى أن الرقم قد يكون أعلى، حيث ذكرت ٧٠ مدرسة منها.[٧] يقول غونيش -الذي يصنف مؤسسات التعليم العالي في المدينة على أنها مخصصة لطائفة معينة، والمدارس الدينية المشتركة وتلك التي ليس لها قيود طائفية- أنه يتم توفير التدريبات وأن البعض لديه دورات مثل الرياضيات والتاريخ في مناهج تعليمهم، وبطبيعة الحال، يقول أن ثقل المذاهب الأربعة ملموس.[٨] في واقع الأمر من الممكن العثور على أسماء هذه المؤسسات في سجلات الإدارة التركية المنشأة بعد عام ١٥١٦. في معظم الحالات يتم الاطلاع على المعلومات المتعلقة بالشؤون الداخلية والأمور المالية لهذه المؤسسات، ولكل منها هوية مؤسسة، لذلك؛ بعد فتح الخليفة عمر بُذلت جهود لتأسيس حياة علمية نشطة في المدينة بما يتوافق مع الأسلمة بالاضافة لمحاولات تحويل هذا المكان إلى مركز علمي. باسم الحفاظ على هذا التراث الذي انتقل إليهم بذل العثمانيون جهدًا للتأكد من عمل المؤسسات والحفاظ على عملها بحرية.

يفيد الحكم الصادر إلى قاضي القدس بتاريخ رجب ٥١٠٠١ (نيسان/أبريل- أيار/مايو ١٥٩٣م)، والذي يؤكد أن الدخل لم يكن كافيًا لتغطية المصاريف وأن الرواتب تم دفعها بالمخالفة للقانون والنظام، يفيد بأن المدرسة الميمونية وقعت في مأزق مالي. حقيقة أن مقدم الشكوى هو المدرس محمد، يشير إلى أن أحد المطلعين على بواطن الأمور لم يكن راضيًا عن مسار الوضع وقدم الوضع على الفور إلى اسطنبول وأنه كان يحاول إعادة المؤسسة إلى العمل بشكل صحيح.[٩]

[٣] «مرتب عائشة بنت درويش» انظر الوثيقة: الأرشيف العثماني، دفاتر الأوقاف:

Osmanlı Arşivi (COA), Evkaf Defterleri [EV.d] Mart 1279 (Mart/Nisan 1863), Nr: 18277, 1

«مرتب السيدة خانوم خديجة كريمة السيد موسى أفندي الموقت يوم رغيف ٣٢ عنها حنطة.... وقية ٠٠ رطل ٠٠ مد ١٤». انظر الوثيقة: الأرشيف العثماني، دفاتر الأوقاف:

Osmanlı Arşivi (COA), Evkaf Defterleri [EV.d] 1279 (1863/64), Nr: 18431, 3a.

[٤] «مرتب أولاد الشيخ درويش الرفاعي يومي وقية ٤ «. انظر الوثيقة: الأرشيف العثماني، دفاتر الأوقاف:

Osmanlı Arşivi (COA), Evkaf Defterleri [EV.d] Mayıs 1264 (Mayıs/Haziran 1848), Nr: 13407, 1.

[5] Abdalqader Steih, “Osmanlı Devleti ve 18. Yüzyılda Kudüs Şehrine Ders Vermek İçin Gelen Alimler” Osmanlı Döneminde Kudüs’te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri, Ed. Zekeriya Kurşun & Oth., (İstanbul: Bağcılar Belediyesi, 2019), 12-13

[٦] مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المجلد الثاني ؛ اعداد وتحقيق ومراجعة: محمود عودة الكعابنة (أردن: مكتبة دنديس، ١٩٩٩) ٥٢٢-٥٢٣.

[7] Ali İhsan Aydın, “Osmanlı Döneminde Kudüs Medreselerinin Arşiv Kaynakları”, Osmanlı Döneminde Kudüs’te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri, Ed. Zekeriya Kurşun & Oth., (İstanbul:Bağcılar Belediyesi, 2019), 103-104.

[8] Hasan Hüseyin Güneş, “Kudüs Medreselerinde Vazife Mücadeleleri ve Kriz Üretimi”, Osmanlı Döneminde Kudüs’te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri, Ed. Zekeriya Kurşun & Oth., (İstanbul:Bağcılar Belediyesi, 2019), 109-110.

[٩] «... قلت، عليكم القيام بالتفتيش بما يتوافق مع الشرع في هذا الشأن؛ فإذا كانت القضية كما هي معروضة، فالواجب عليكم أن توزعوا وتقسموا مستحقات كل واحد من المدرسين والمتولين والنظار وسائر المستفدين بناء على وثائقهم بما هو معلوم تمامًا وظاهر بالشرع من محاصيل الوقف وأن لا تسمحوا لأحد من أن يتوظف مخالفًا للشرع الشريف والفتوى المنيف ووثيقة التوزيع... «. انظر للوثيقة: السجل الشرعي لسنجق القدس:

Kudüs Sancağı Şer’iyye Sicil Defteri (843-1009), İSAM Kütüphanesi, Nr: 11, 78.

على الرغم من أن العثمانيين لم يفضلوا التدخل بأي شكل من الأشكال في الأداء الداخلي ومناهج المدارس الدينية العاملة في المدينة قبلهم، إلا أنهم حاولوا ضمان استمراريتها. بطريقة ما، تهدف هذه المؤسسات إلى الوقوف على أقدامها من خلال التصرف على هذا النحو. في الواقع وبناءً على الشكوى، تم إرسال أمر لمنع تعطل النظام الحالي واتخاذ الإجراءات اللازمة. بدأ ترميم المدرسة الإسعردية الشهيرة برواق الحراب بوساطة القاضي جيوي زاده، ولكن بعد وفاته لم يكتمل هذا العمل، وفي واقع الأمر تم إرسال حكم بشأن استكمال واستئناف العمل. بالإضافة إلى ذلك، صدر أمر بتخصيص إحدى الغرف الثلاث في المدرسة للمفتي الشافعي يوسف، والأخرى للشيخ محمد الإسعردي والشيخ فخر الدين الإسعردي.[10]

كما يشير السجل، فقد لعب المسؤولون في المقاطعات دورًا نشطًا في إصلاح المؤسسات التعليمية بمدخراتهم الخاصة وحمايتها، في بعض الأحيان يُلاحظ أن المركز يتم تنشيطه في مواقف غير متوقعة. بالإضافة إلى ذلك، فإن ذكر اسم المفتي الشافعي في تخصيص الغرف أمر ملفت للنظر بالرغم من أن المذهب الحنفي هو المأخوذ به من قبل الدولة. وبالتالي، من الواضح أن علماء المدارس السنية الأخرى مشمولون أيضًا في سياسة الحماية وأن جميع الامتيازات لا تقتصر على الحنفية فقط، وهذا يدل على أنه عندما يتعلق الأمر بالتعليم حتى المشاريع التي فشلت تمت متابعتها بجدية وإبرامها من قبل العاصمة ولم تترك لمصيرها.

دفتر السجل الشرعي لسنجق القدس (٨٤٣-١٠٠٩) رقم ١١

[10] Kudüs Sancağı Şer'iyye Sicil Defteri (843-1009), 79-80.

لم تقتصر رعاية المدارس على هذا، بل وتم محاولة منع جميع أنواع المعوقات التي من شأنها أن تعيق العملية التعليمية. في بعض الأحيان، أدت الخلافات بين الناس من أجل التدريس إلى تغيير الرتب. كان من الممكن لهذه التغييرات المفاجئة، والتي لعبت فيها المخاوف المالية دورًا مهمًا، أن توقف عملية التعليم. على سبيل المثال صدر المرسوم السلطاني إلى قاضي القدس بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٥٣٩ (١٨ رجب ٩٤٦)، والذي جاء فيه أن هناك تدخلًا خارجيًا للمدرسة التنكزية وقع وأعطي المدرس عبد الرحمن راتبًا أعلى من شروط الوقف، على الرغم من أنه تمت تبرئته من التهمة إلا أنه أمر بالتحقيق في الموقف والوضع الحاصل، وعدم تدخل أحد بناء على دعوى رفع في الأمر.[11] تدخل مركز الدولة في مثل هذه المشاكل التي نشأت بسبب حقيقة أن رواتب المدرسين كانت جيدة قد شكلت توازنًا من ناحية التشغيل، كما منعت السلوك العشوائي.

ما هو ضروري في إجراءات تعيين الأساتذة هو إرسال شهادة إلى الشخص المعني مع الحرص على الإعلان عن مقدار الراتب الذي سيحصل عليه الشخص المعين في العقد، وذلك بهدف تفادي أي نقاش في الأمر. وفي مواجهة القضايا التي أثارتها التعيينات والتي أثارت استياء البعض، طُلب اتخاذ قرار بالرجوع إلى الشروط المكتوبة في العقد. هذا الموقف الذي يعكس احترام الهوية القانونية، هو مؤشر على أن الشؤون الداخلية للمؤسسات لا يتم التدخل فيها، وأن الهياكل المستقلة يتم محاولة حمايتها.

أحد المبادئ الأساسية لحماية استقلالية المؤسسات التعليمية هو ضمان الاستقلال المالي. في واقع الأمر، نحن نرى أن هناك قرى مخصصة تم وقف غلالتها للمدارس الدينية المختلفة في سجلات التحرير. وهذه السجلات تشير إلى وجود أوقاف مخصصة للمدارس مثل المدرسة الصلاحية والطولونية والفخرية والمعظمية الحنفية والجوهرية والباسطية والحسينية والمزهرية والإسعردية) وهذا يعني أن هذه المدارس استطاعت أن تنشئ شبكات أقامتها خارج المدينة، وبهذه الطريقة، نشأت علاقة وثيقة وتبعية ثابتة بين القرى والمؤسسات المحيطة، لأنه يعني أن النظام إذا اهتز فسيعاني الجميع من الخسارة، وهكذا تحررت المؤسسات العلمية من الوقوع مسجونة داخل المدينة ووُجدت قنوات وطرق جديدة في القرى، هذا ما أعطى أهمية لحياتهم ووجودهم.

إن وجود مؤسسات مختلفة تابعة لمؤسسات تعليمية أخرى في المدينة وحمايتها بهذه الوسيلة دليل على تقارب الحياة التعليمية ككل. نتيجة لذلك، بدأ تدريب طلاب المدرسة، وهي أعلى مؤسسة تعليمية في تلك الفترة، من المدارس المنتشرة في الشوارع، تهدف هذه الهياكل التي لها ميزات أكثر من كونها المرحلة الأولى من طريق التعليم العالي، إلى إعداد أطفال المدينة للمستقبل والمجتمع من خلال تزويدهم بتعليم أولي. في واقع الأمر، يُلاحظ أن محمد آغا، مسؤول الدولة العثماني، خصص بعض عقاراته كأوقاف لاحتياجات المدرسة بالإضافة إلى ضريحه في القدس.[12]

من الضروري وجود مكتبات في كل مكان تتواجد فيه المدارس الدينية، لأن الموارد والمراجع الرئيسية التي يمكن للطلاب العودة إليها أثناء تعليمهم تم الاحتفاظ بها هناك، وهي كثيرة خاصة في المسجد الأقصى، يذكر الأستاذ طولو أسماء عدة للمكتبات بالمدينة في القرن الثامن عشر، مثل مكتبة علي مصطفى أبو الوفا العلمي ومحمد صنع الله الخالدي وحسن عبد اللطيف الحسيني ومحمد الخليلي ومحمد البديري وأحمد الموفقت وغيرها. ويذكر أيضًا أن العثمانيين كأسلافهم ساهموا في إثراء هذه الهياكل في سياق تشجيع الحياة العلمية، لذلك استدعى هذا الوضع وجود نقابة منفصلة في المدينة لسد الحاجة إلى الكتب.[13]

[11] Kudüs Sancağı Şer'iyye Sicil Defteri (945), İSAM Kütüphanesi, Nr: 9, 67.

[12] «وقف المرحوم محمد أغا در قدس شريف على مصالح المكتب وتربته» انظر:
Osmanlı Arşivi (COA), Defter-i Evkâf ve Emlâk der-Livâ'-i Kudüs-i Şerîf [T.T.d], Nr: 0342, 17.

[13] Alaattin Dolu, "18. Yüzyılda Kudüs'te Kitap Sahipliği", Osmanlı Döneminde Kudüs'te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri, Ed.Ed. Zekeriya Kurşun & Oth., (İstanbul: Bağcılar Belediyesi, 2019.

باترونات

في إطار سياسة معينة، كان مركز الدولة يهدف إلى حماية الطبقة العلمية في القدس بوسائل مختلفة وعلى رأسها سُرَّة[14] حتى يتم إدراجهم في النظام. يمكن القول أن توظيفهم في بنود مختلفة ذات عوائد جيدة، وخاصة المقاطعة، أدى إلى نمو وتقوية حلفاء إسطنبول في المحافظات.

تكشف أسماء أولئك الذين يديرون المقاطعات عن جوانبهم الصوفية، على سبيل المثال، أحد خلفاء أحمد الرفاعي وهو من يدعى أحمد نصر الدين الحريري يبدو أنه قد استولى على مزرعة تسمى «كاكوله» بالقرب من قرية بيت لحم كمقاطعة. نظرًا لأهمية هذه القرية المذكورة بالنسبة للديانة المسيحية، فإن تخصيص مكان حولها لخليفة من الطريقة الرفاعية يعكس خيارًا واعيًا وليس اختيارًا عشوائيًا.[15] كما أنه من المعروف أن الدراويش استُخدموا من قبل العثمانيين للاستيطان في البلقان وفي المناطق الأخرى التي تم فتحها، لذلك يمكن القول أن هذا الاختياركان لهذا الغرض.[16]

في الوقت نفسه، تبنى المسؤولون طريقة الاستفادة من الصوفية لتشجيع الاستيطان في القدس. في واقع الأمر، بعد وفاة الصوفي المقدسي الشهير أحمد الدجاني، أكدت خطابات القاضي نور الله وأمير السانجاق/اللواء على ضرورة الحفاظ على الأماكن المقطوعة له (بيت عور الفوقا ومزرعة الجيرة) وعلى ضرورة بقائها لأبنائه، وذكر أنه في حالة حدوث تغيير في الممارسة الحالية، فإن السكان سوف يتفرقون، مشيرًا إلى ضرورة الحفاظ على نفس الاجراءات لاستمرار الاستقرار. في الواقع، هذه الحقيقة ليست سوى انعكاسًا لسياسة الاستيطان المطبقة في الإمبراطورية العثمانية على المنطقة.[17]

إن وظيفة «اجزاء شريفه»، التي تم إنشاؤها لتقرأ على أرواح السلاطين، تظهر أيضًا كأحد وسائل الحماية. وكما هو معتاد، يُلاحظ أنه تم تخصيص أجزاء مختلفة من القرآن لتُقرأ على روح السلطان من طرف بعض الأشخاص المنتمين إلى الطبقة العلمية في المدينة، ويتم دفع رسوم معينة لهم مقابل هذا. ومن المعروف أنه في بعض الأحيان كانت هناك مناقشات بين الطرفين بخصوص دفع الرواتب. في واقع الأمر، كان أولئك المسؤولون عن تلاوة الجزء لروح سليمان القانوني يتلقون رسومًا من غلات كنيسة قمامة.[18] لكن عندما فهم أن ذلك أثار جشع بعض الناس، وأن الأمناء لم يدفعوا الثمن فقاموا بطرح بعض الأعذار، تم نقل الأمر إلى مقر الدولة وتم إيجاد حل له.[19]

[14] Mustafa Güler, “Surre Defterlerine Göre XIX. Asrın Başında Kudüs’teki Eğitim Görevlileri ve Tahsisleri”, Osmanlı Döneminde Kudüs’te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri,.Ed. Zekeriya Kurşun & Oth., (İstanbul: Bağcılar Belediyesi, 2019), 169-184.

[15] Kuyûd-u Kadîme Arşivi (TKG.KK), Defter-i Livâ’-i Mufassal Kuds-i Şerîf, [TKG.KK.TT.d], Nr: 178, 21b; «Kuyûd-u Kadîme Arşivi (TKG.KK), Defter-i Livâ’-i Mufassal Kuds-i Şerîf, [TKG.KK.TT.d], Nr: 178, 23b;

[16] بالنسبة لسياسة استيطان الدراويش وأسلمتهم انظر:

Ömer Lütfi Barkan, “Osmanlı İmparatorluğunda Bir İskân ve Kolonizasyon Metodu Olarak Vakıflar ve Temlikler I: İstilâ Devirlerinin Kolonizatör Türk Dervişleri ve Zâviyeler”, Vakıflar Dergisi 2, (1942): 279-386.

[17] في الحقيقة القرية المذكورة والمزرعة كانت مقطوعة للشيخ أحمد الدجاني قدس سره ومسجلة باسمه أتى الشيخ المذكور بالفلاحين وعمر الأرض المقطوعة له وكان الشيخ يقوم بتأمين الطريق العام في المنطقة وكان الناس يعبرون بأمان وأهل القرية يعتمدون على الشيخ والحال هذه توفي الشيخ المذكور وخيف على القرية من جور الفلاحين. لذلك قام قاضي القدس الشريف مولانا نور الله وأمير السنجاق بإرسال الرسائل إلى المعنيين من أجل إبقاء هذه القرى على أولاد الشيخ المذكور لاستتابة الأمور هناك. الفقير درويش، المرسوم بتاريخ ١٢ ذي القعدة سنه ٩٧١ (٢٢ حزيران/يونيو ١٥٦٤). انظر:

Kudüs Sancağı Şer’iyye Sicil Defteri (972-978), İSAM Kütüphanesi, Nr: 47, 17

[18] Kuyûd-u Kadîme Arşivi (TKG.KK), Kubbe Altında Müdevver ‘Atîk Kudüs Mufassal Defteri, [TKG.KK.TT.d], Nr: 112, 17b.

[19] مرسوم بتاريخ أواخر شهر ربيع الأول ١٠٠٢ (ديسمبر ١٥٩٣)، انظر:

Kudüs Sancağı Şer’iyye Sicil Defteri (843-1009), 140

دفتر السجل الشرعي لسنجاق القدس (٩٧٢-٩٧٨)، مكتبة ISAM، رقم ٤٧، ١٧.

النقطة المهمة هنا هي أن وجود أسماء العلماء في وظيفتهم (التلاوة) أعطاهم القوة والهيبة في علاقاتهم مع إسطنبول، لذلك، لعبت شبكة العلاقات هذه دورًا مهمًا في مستقبلهم من خلال وضعهم في موقع أكثر تميزًا بين أقرانهم.

من ناحية أخرى، عززت هذه الوظائف شرعية السلاطين العثمانيين في المجتمع من خلال التقريب بين الحكام وطبقة العلماء، في واقع الأمر إن كتابات الشيخ حميد الدين محمد الخليل صاحب كتاب تاريخ القدس والخليل، وهو يبين تاريخ أفعال رجب باشا الذي عين واليًا للقدس بين ١٧١٤ و ١٧١٦ تظهر كيف يتم التعامل بين الجانبين مع بعضهما البعض.[20]

أوقاف خدمت في تكوين الأُسَر العلمية

أنشأ العلماء اوقافًا أهلية من أجل الحفاظ على المركز الذي اكتسبوه من الفترة المبكرة، وهكذا وأثناء محاولتهم ضمان مستقبل الأجيال القادمة، ومن ناحية أخرى، كانوا يهدفون إلى أن تحافظ أسرهم على وجودهم من خلال الاعتماد على مواردهم المالية الخاصة بهم.

[20] الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي، تاريخ القدس والخليل، تحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٥/٢٠٠٤.

هذا الوضع كفل تكوين الأُسَر العلمية، وضمن استمرار وجودهم في العملية التاريخية. يعتبر بدر الدين حسن بن قطينة، الأب المؤسس لأسرة قُطَينَة، مثالًا واحدًا فقط على هذه الظاهرة.[٢١] وقد كان بعض العلماء يعطون الأولوية لأنفسه ؛ ثم لأولادهم، كما قام محمد بن أبي القاسم بن محمد الحكاري وأوقف لنفسه أولًا ثم لأبنائه، حسب المثل المشهور كأنهم يقولون: النفس أولًا ثم يأتي بعدها المحبوب.[٢٢]

يُلاحظ أحيانًا أن راعيًا آخر من خارج الأسرة يتدخل ويهتم بأحد العلماء، ويخصص له ولذريته عقارات مختلفة تحت اسم الوقف. كما هو الحال في العقار الذي وقفه الحاج بك على علي الخلوتي وأولاده وهذا مثال على هذا النوع من الأوقاف،[٢٣] ثم قيام قيماز بوقف عقار له في قرية حربا التابعة للقدس على الشيخ عبد العزيز يعد واحدًا من الأدلة الأخرى على الحقيقة التي تم التعبير عنها هنا.[٢٤] كما يتضح هنا، فإن الطبقة المفضلة هم عادة شيوخ العصر المشهورين، ويلاحظ أن السلاطين أخذوا زمام المبادرة في هذا الأمر وكادوا يوجهون رعاياهم. فيمكن الاستشهاد كمثال على ذلك بتخصيص صلاح الدين الأيوبي قرية طور زيتا كاملا وقرية أبو ديس جزئيًا وقفًا على الشيخ أحمد بن أبوبكر الحكاري.[٢٥]

ومعلوم أن هذا الوضع لم يقتصر على الحكام والسلاطين السابقين، بل اتبع العثمانيون أيضًا هذا الاتجاه، في واقع الأمر خصص مصطفى إسكندر باشا بعض «الدور» كأوقاف على فقراء الطريقة الخلوتية. ومما لا شك فيه أن إخلاص الباشا الروحي لهذه الطريقة لعب دورًا مهمًا في اختيارهم.[٢٦] كأهم شخص في هذه القائمة يجب أن نذكر السلطان سليمان الأول والملقب بالقانوني الذي كان سلطانًا في هذه الفترة، لأن الأهمية التي أعطاها للقدس ومساهمته في تطوير المدينة تسببت في وضع الختم العثماني هناك. فالأوقاف التي وضعها السلطان على الشيخ أحمد الدجاني منذ عام ٩٥٦ الذي عين هنا بعد استلام قبر النبي داود، أظهرت أنه لم يكتف بالتغييرات والتحولات المادية فحسب، بل كان يهدف أيضًا إلى المساهمة في ظهور عوائل علمية جديدة.[٢٧]

فكان حي المغاربة التابع لوقف صلاح الدين الأيوبي، والذي لم يعد موجودًا اليوم حيث أزالته اسرائيل بحجة إفساح المجال لحائط المبكى يشكل نوعًا خاصًا في ضوء الأمثلة المذكورة أعلاه. كان العلماء الذين استقروا هنا واستمروا في وجودهم داخل الحدود التي حددها لهم الراعي، حافظوا أيضًا على امتيازاتهم خلال الفترة العثمانية، لذلك، ضمن درع الحماية هذا الذي قدمته الأوقاف، ظهرت أُسَر مختلفة تنتمي إلى الطبقة العلمية.[٢٨]

[٢١] وقف بدر الدين حسن بن قطينه على أولاده وذريته: قريه عيناطه تابع قدس شريف تمامًا حاصل ٨٦٨٦ ؛ عن قريه عجول تابع قدس شريف حصة ١٢ ت ٤٤٠٠٠؛ يكون ١٢٦٨٦ « انظر: COA, T.T.d., Nr: 0342, 14.

[٢٢] وقف محمد بن أبي القاسم بن محمد الحكاري على نفسه ثم على اولاده، مزرعه بيت أبيزة تابع قدس شريف تمامًا حاصل ٢٥٠٠، انظر: COA, T.T.d., Nr: 0342, 16.

[٢٣] «وقف محمد جلبي أخو حاجي بك على الشيخ علي الخلوتي ثم على أولاده ونسله وعقبه، غراس عنب وتين بأرض طيليه ظاهر قدس شريف تعرف بالتعليقية تمامًا في سنه ٢٠٠ «. انظر. COA, T.T.d., Nr: 0342, 15.

[٢٤] «وقف قايماس عبد الله على الشيخ عبد العزيز، قريه خربا تابع قدس شريف تمامًا حاصل ٢٥٠٠ «. انظر. COA, T.T.d., Nr: 0342, 17.

[٢٥] «وقف الملك صلاح الدين الأيوبي على الشيخ احمد بن أبي بكر الحكاري قريهء طور زيتا تابع قدس شريف تمامًا حاصل ٢٩٠٨ ؛ قريهء أبو ديس تابع م حاصل ١٠٥٠٠، يكون ١٣٤٠٦ «، انظر: COA, T.T.d., Nr: 0342, 16.

[26] COA, T.T.d., Nr: 0342, 17.

[27] COA, T.T.d., Nr: 0342, 24.

[٢٨] للاستزادة عن الحي انظر: Hasan Hüseyin Güneş, Kudüs Meğâribe Mahallesi, (Ankara: Vakıflar Genel Müdürlüğü Yayınları, 2017

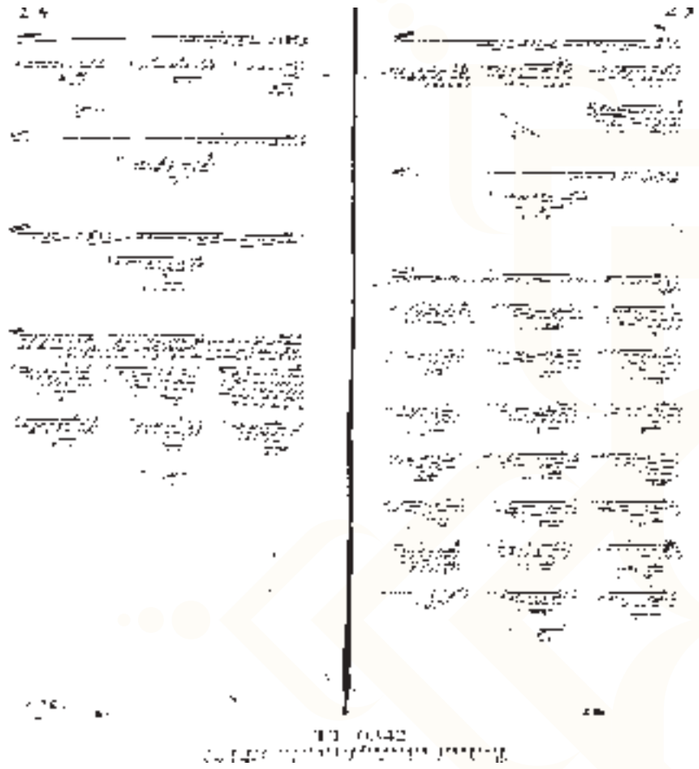

دفتر أوقاف أملاك در لواء قدس شريف، الأرشيف العثماني
[T.T.d], Nr: 0342, sayfa 24

الأملاك

أدت الأملاك التي وقعت مع مرور الوقت في أيدي العلماء، إما من خلال الميراث أو من خلال تصرفاتهم الخاصة، إلى الحفاظ على وضعهم كـ «أسرة» في العملية التاريخية وتشكيل تقاليدهم ضمن الانتماء الطبقي وفقا لذلك. حيازة الممتلكات، والتي لا تترك لاختيار هذه الفئة وحدها، بل لقد تحولت إلى عملية يقوم فيها المسؤولون وتدعمهم في المناسبات المختلفة. في واقع الأمر، لقد شاركوا أيضًا في شراء العقارات التي تمثل جزءًا مهمًا من النشاط الاقتصادي، في الوقت والمكان اللذين يرونه مناسبًا، من خلال الاستفادة من الوسيط المتاح، ونتيجة لذلك، تحولت الملكية، التي تشكل أهم جزء من ثروتهم، إلى أداة تعزز مكانتهم في المجتمع.

يفيد محضر مؤرخ بتاريخ ٩٤٥ (١٥٣٨/١٥٣٩) أن الأشخاص الذين امتلكوا قصرًا وبئرًا في حي بني زيد بالقدس هم أبناء الشيخ علاء الدين الخلوتي.[٢٩] إذا أخذ بعين الاعتبار بأن المدينة تعاني من نقص المياه ومن المشاكل التي تحدث في أوقات الجفاف، فمن الواضح أن وجود قبو المياه سالف الذكر سيساعد الأسرة كمنقذ في الأوقات الحرجة، علمًا بإن تخصيصَ قسم خاص من شبكة المياه العامة كان يتوقف على إذن من العاصمة، وإدراكًا من مركز الولاية لأهمية المياه للمدينة أبقى عملية اتخاذ القرار مشدّدة، وكأنه يتجنب أي خطوات من شأنها أن تعرض مصالح الجمهور للخطر. في هذا السياق، يمكن تقديم الالتماس الذي قدمه «الدجاني»[٣٠] إلى اسطنبول - والذي نال تقدير السلطان - كمثال مهم من حيث توفير المعلومات حول كيفية سير العملية. على الرغم من كل شهرتها عندما يتعلق الأمر بالمياه، تم التحقيق في القضية بدقة وإنما تم تحقيق التخصيص في ٦ سبتمبر ١٥٦٤ (٢٩ محرم ٩٧٢) نتيجة موافقة الناس ولكن لم تكن حياة الشيخ كافية لرؤية ذلك.[٣١] عندما يتم النظر في المثالين بالتوازي، فيبدو واضحًا أن المنزل الذي يحتوي على صهريج خاص سيظهر كرمز للقوة لأفراده في مدينة من المحتمل أن تواجه نقصًا في المياه في أي وقت، كما أن تحقيق هذه القوة يعتمد أيضًا على السمعة الجادة والثروة المادية.

اشترى الشيخ عبد القادر ابن الشيخ علي الخلوتي بجوار الإمارة العامرة لوقف خصكي حُرّم سلطان، مسكنًا في منطقة عقبة الست، في مايو ١٥٥٦ (٢٠ رجب ٩٦٣) أولًا، وبعد ذلك بعامين في ١٢ أبريل / نيسان ١٥٥٨ (٢٣ جمادى الآخر ٩٦٥) اشترى بيتًا ملاصقًا للمسكن الذي اشتراه من قبل.[٣٢]

مما لا شك فيه أن هذه الأمثلة لم تقتصر على الأفراد الذين ينتمون للطريقة الخلوتية. بصرف النظر عن ذلك، من الممكن العثور على اتفاقيات تجارية تابعة لمجموعات علماء أخرى في كل من المدينة والقرى المجاورة في لواء القدس. في هذا السياق، يمكن أيضًا ذكر العقارات التي اشتراها أبناء قاضي السلط شهاب الدين عام ٩٤٧ (١٥٤٠/٤١) كمثال.[٣٣]

سيكون من الخطأ الاعتقاد بأن هذه العملية مقصورة على الأولاد الذكور فقط، فالعلماء لم يهملوا بناتهم أيضا، فكانت بنات الشيخ علاء الدين الذي يظهر من لقبه (كان يلقب بالواعظ) أنه كان يعمل كواعظ ؛ فاطمة وعايشة وستيشاه يظهرن كأصحاب أملاك عام ٩٥٢ (١٥٤٥/٤٦)[٣٤] فلم يتخلفن عن الرجال في هذا الصدد، ونلن ما يستحققن من الثروة.

سجل أحمد الدجاني المؤلف من ثمانية مواد إجمالًا ؛ أربعة منها في بيت صفافا، وثلاثة في المليحة وواحد في قرى دير أبي صور، بتاريخ ٩٦٥ (١٥٥٧/٥٨)، مهم للغاية حيث يعبر عن كيفية رعاية العلماء من قبل مسؤولي الدولة في عملية اكتساب الثروة.[٣٥] بعد أن تم تسليم قبر النبي داوود إلى المسلمين حوله السلطان سليمان القانوني إلى زاوية صوفية فعين الشيخ علاء الدين شيخًا لهذا المكان، مما أدى إلى زيادة ملحوظة في ثروته بعدما تم طرد الكهنة الكاثوليكية من هناك، مما يعني أن هذا العمل أكثر من مجرد تحول بسيط لمركز من طرف الدولة، ثم إنه كان من غير المقبول أن يعيش الشخص الذي تم تعيينه في منصب شيخ الزاوية وعائلته في فقر ومستوى معيشي منخفض. لذلك، فإن الصوفي الذي يجب

29 COA, T.T.d., Nr: 0342, 24.

٣٠ للاطلاع على سيرة الشيخ، انظر:
Mustafa Öksüz, "Kudüslü Bir Sûfî: Ahmed ed-Decânî" Osmanlı Döneminde Kudüs'te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri

٣١ للاطلاع على الحكم الصادر بتاريخ ١٠ شعبان ٦/٩٦٧ مايو ١٥٦٠، انظر:
Murat Uluskan, & Oth., Al Quds in Muhimme Registers/Mühimme Defterlerinde Kudüs (1545-1594), 1, (İstanbul: Ircica, 2016), 54, 68.

٣٢ «ملك شيخ عبد القدير بن شيخ علي الخلوتي در محلهء عقبة الست در نزد عمارت عامره در قدس شريف تاريخ المشترى في ٢٠ رجب سنه ٩٦٣. جميع الدار در محلهء م تماما ؛ جميع الداري الملاصق للدار المزبور در محلهء م تاريخ المشترى ٢٣ جمادي الآخر سنه ٩٦٥» انظر:
COA, T.T.d., Nr: 0342, 30.

٣٣ «ملك الحاج محمد وإخوته محمود وشهاب الدين أولاد قاضي الصلت بقدس الشريف تاريخ الملكية في سنه ٩٤٧» انظر:
COA, T.T.d., Nr: 0342, 31

٣٤ «ملك بنات المرحوم شيخ علاء الدين الواعظ وهن فاطمة وعائشة وست الشاه القاطنين بالقدس الشريف تاريخ الملكية في سنه ٩٥٢»، المصدر السابق.
35 COA, T.T.d., Nr: 0342, 32.

تخليد ذكراه بالزهد والتقوى والسترة الصوفية تحول في النهاية إلى شخص غني وقوي، وفي الوقت نفسه يتناقض هذا مع صورة الصوفية في أذهاننا اليوم، حيث كانوا بعيدين كل البعد عن السلع الدنيوية، والتي احتلت مكانة في الأذهان. سبب ذلك وفقًا لتقدير السلطان، كان الهدف هو إنشاء مجموعة قوية بدلًا من الأفراد الضعفاء الذين يمدون أيديهم هنا وهناك.

مع مرور الزمن تحولت الطبقة العلمية، التي تلقت الدعم المادي والمعنوي من الإداريين، فشكلت الجزء الثري من المجتمع، وهي نتيجة للسياسات الواعية للعثمانيين وأسلافهم لغرض حماية القسم المذكور أعلاه، فكان الهدف الرئيسي من هذا هو تطوير العلم من خلال إنشاء أرضية مناسبة. وكان تسهيل ظهور طبقة معينة في عصر كانت فيه وسائل الاتصال والمواصلات صعبة ومحدودة مقارنة بالوقت الحاضر، يوفر الراحة في إيجاد الكوادر اللازمة التي يحتاجها المجتمع في المستقبل. في واقع الأمر يمكننا رؤية تحقيق الهدف المراد من هذا الأمر في بقايا عوائل علمية مستمرة حتى يومنا هذا. ومع ذلك، وعلى الرغم من الأهمية التي تُعطى لهذه الطبقة والفرص المتاحة لهم فإن الأمر مطروح للنقاش حول ما إذا كانوا يؤدون دورهم في تطوير العلم وواجباتهم في تنمية المجتمع، ولا شك أن هذه المشكلة لا تقتصر على العلماء في القدس فحسب، بل تشمل مناطق أخرى في الجغرافيا الإسلامية.

المنافسة في الرتب العلمية

كان ينتقل الوظائف وعلى رأسها وظيفة التدريس والمذكورة في شروط الوقف من شخص لأخر في أسرة واحدة منحصرًا عليها بما يتوافق مع شروط الواقف. وبالفعل يبدو بديهيًا أن عدم اختلال الشرط والنظام االموضوعين في شروط الوقف منذ اللحظة الأولى كان في مصلحة الأشخاص الذين يستفيدون من الوقف، ومع ذلك، فقد لوحظ أن هذه الامتيازات قد أدت إلى المنافسة وإثارة الجدل.

ولا يمكن القول أن الاهتمام الذي أبداه مركز الدولة منع أو أنهى الصراع بين الطبقة العلمية، لأن الإمكانيات المالية التي جلبوها لهم في بعض الأحيان كانت تضعهم وجهًا لوجه.

قد كان يشعل الفتنة أطماع الآخرين في غلات الوقف المخصص لأسرة ومحاولتهم حرمان الآخرين من هذه النعمة، وكما هو معتاد في نهاية مثل هذه النزاعات، فقد كان يدعو أطراف القضية الدولة إلى الميدان كحكم. فكان الحكم من ناحية أخرى، يؤيد الحكم على القضاء على الظلم وإقامة العدل، ويدافع عن استصحاب الحال وأن يترك الأمر كما كان من قبل، مشددًا على الانتباه لخط واضح يجب على الجميع السير وفقه. في واقع الأمر، أبلغ أشخاص يُدعون الشيخ نصرت، ومحمد وسليم مقر الدولة أنهم تعرضوا لمعاملة غير عادلة من خلال القول أن وظائفهم سلبت منهم دون سبب وأنه لا يوجد سبب لفصلهم، هؤلاء المشتكون، الذين لم يتجاهلوا إضافة سجل جنائي إلى التماساتهم، حصلوا أيضًا على دعم القاضي. فكان الأمر أنه إذا كان الوضع كما تم إبلاغه في الشكوى يجب رفع الظلم حيث فلا ينبغي اضطهاد أحد.[٣٦]

كما رأينا هنا وفي العديد من الأمثلة الأخرى، فإن الطريقة التي اعتمدها مركز الدولة في هذه المناقشات، كان استمرارًا للبنية القديمة والحفاظ على الأسس القانونية التي كفلتها. بمعنى آخر، كان يطلب بذل جهود لحل المشكلة وفقًا للقواعد التي وضعها الشخص الذي أنشأ الوقف، وبهذه الطريقة، كان الهدف هو الحفاظ على الأهداف التي تضمن وتحدد الغرض من وجود الأوقاف، وأن تعمل بحرية في نفسها وتستمر بطريقة تتناسب مع روح الوقف.

كانت العاصمة تُدعى باستمرار للتدخل كحكم في النقاش ولم يكن الأمر يتعلق بالعدالة فقط بل كان نابعًا من تخصيص وإسناد جميع الوظائف بموافقة هذا المكان. لذلك، كان على أولئك الذين يريدون الحصول على راتب منتظم في أي مدرسة أو نزل دراويش أو زاوية في القدس أن يطرقوا باب القاضي أولًا ويتقدموا إلى مقر الدولة من أجل الحصول على مرسوم لهم، لأنه بخلاف ذلك، لم يكن من الممكن تلقي رواتب من الأوقاف أو تحقيق أي مدخرات.

36 «Kudüs Sancağı Şer'iyye Sicil Defteri (843-1009), 126.

يذكر في عريضة قاضي القدس عبد الرحيم أن جعفر بن رمضان، الذي كان قارئًا للأجزاء القرانية في الصحراء المشرفة، تولى هذه الوظيفة بدون مرسوم. وفقًا لهذه الرسالة، اعتبارًا من ٢٨ صفر ٩٤٧ (٤ تموز/يوليو ١٥٤٠)، تم منح الشخص المعني مرسومًا وتم تكليفه بوظيفة مقابل خدمته من محصول قمامه وألا يعيقه أحد في هذا الامر.[٣٧]

في بعض الأحيان، كانت الأخطاء الفنية التي يرتكبها المسؤولون تضع المستفيدين في صعوبات وتحرمهم من دخلهم المعتاد. الأمر الذي أرسل إلى والي دمشق وقاضيها في ٢٨ شعبان ٩٤٦ (٨ كانون الثاني/يناير ١٥٤٠) يعطي وصفًا جيدًا لهذه المشاكل التي حدثت. على سبيل المثال كان نصف غلات القرية المسماة بيت ليكيا احدى أوقاف الملك المعظم الملك عيسى بن أيوب أحد الملوك الأيوبيينتم تخصيصه للمدرسة الشيخونية في القدس الشريف وللمدرسة المعظمية بنواحي دمشق، وخصص الباقي لأبنائه وذريته. وبالفعل، ووفقًا لهذه القاعدة، بينما استمر والد شمس الدين سيف بن ملوك في تلقي الدخل لكونه من نسله، حصل على مرسوم في هذا الصدد في عهد السلطان سليم. ومع ذلك، بعد وفاة والده، تم تسجيل العقارات التابعة للوقف على أنه تفرد بها نقّاش علي بك، مما أدى إلى حرمانه من راتبه، وفي الواقع، تم طلب المساعدة من اسطنبول لتصحيح هذا الوضع.[٣٨]

العلاقات مع غير المسلمين

يُلاحظ أن العلماء دخلوا أحيانًا في جدال مع غير المسلمين في القدس، يمكن الاستشهاد بموقع حوران حول مسجد سيدنا عمر كمثال، عندما جُرحت مشاعر المسلمين، تصرفت الطبقة العلمية جنبًا إلى جنب مع القضاة في المدينة وسرعان ما نقلوا الوضع الخطير إلى العاصمة. ومع ذلك في مثل هذه الحالات، نصحت الدولة المركزية الأطراف بالتهدئة وجعلت من الضروري تسوية الأمر بعدالة، ولم تتخذ رد فعل قوي على الفور، لكن أخذت بعين الاعتبار إمكانية تحول الوضع إلى أزمة خطيرة، فلم تتردد في اتخاذ قرارات حاسمة.

أدى تقديس المدينة من قبل الديانات الثلاث إلى تجمع أتباعها هنا وبناء أماكن عبادة مختلفة، لذلك، كان كل قسم على دراية ببعضه البعض، ولكن كان يعرف في ذات الوقت حدوده الخاصة. ومع ذلك، كانت هناك أوقات تحولت فيها المعابد إلى مشكلة وضعت المسلمين وغير المسلمين في المواجهة. بدلًا من الأبنية نفسها، فإن القضية المطروحة هنا هي إلحاق الضرر بالعنصر المهيمن. وإلا لم يكن هناك منع أو إلغاء حق العبادة للآخر، في الواقع، تمثل عملية مصادرة الكنيسة المسماة بكنيس نحمانيدس نحمانيدس، نقطة تجوزت فيها الخطوط ووصل التوتر إلى ذروته. وجاء الأمر الصادر عن اسطنبول منذرًا بأنه لا يحق لليهود أن يكون لهم معبد في القدس تحت أي ظرف من الظروف، وأوصى بالاستيلاء عليه.[٣٩]

أزمة أخرى وضعت العلماء واليهود في المواجهة هي المقبرة الموجودة في المكان المسمى بجسيمانه، بجوار المدرسة الصالحية. مولانا عفيف الدين المدرس في المدرسة وأمين الوقف عارض استخدام هذا المكان من طرف اليهود كمقبرة، ودفن موتاهم فيها مقابل ٥ عملات ذهبية. في الواقع طُلب من كاتب المقاطعة أحمد بك زيادة المبلغ عن طريق الشكوى من انخفاض الإيجار السنوي المدفوع، ونتيجة لذلك تمت إحالة القضية إلى المحكمة. ومع ذلك نجح اليهود في الحفاظ على الوضع الحالي بتقديم الحجة الشرعية في هذه القضية بدليل أنهم استأجروا المكان من الوصي السابق بهذا المبلغ، وبتأييد بعض جيش سِباهِ حيث أكدوا أن السعر الحالي للإجار لا يمكن أن يكون أعلى. إلا أن مولانا عفيف الدين لم يستسلم وحصل على فتوى بشأن بطلان عقد الإجارة ونجح في إبرام عقد جديد مقابل ١٠٠ ذهب سنويًا في دعوى ثانية رفعت في المحكمة بدعم من العلماء.[٤٠]

[٣٧] انظر الحكم المؤرخ بتاريخ ربيع الآخر ٩٤٦ (١٧ أغسطس ١٥٣٩):
Kudüs Sancağı Şer'iyye Sicil Defteri (945), 23.
[38] Kudüs Sancağı Şer'iyye Sicil Defteri (945), 23-24.
[39] Mustafa Öksüz, "XVI. Yüzyıl Kudüs'ünde Yahudi Mabetleri ve Osmanlı Devleti", İsrailiyat: İsrail ve Yahudi Çalışmaları Dergisi, Nr: 2, (Yaz 2018), 9-32.
[40] TKG.KK., TKG.KK.TT.d, Nr: 112, 18b

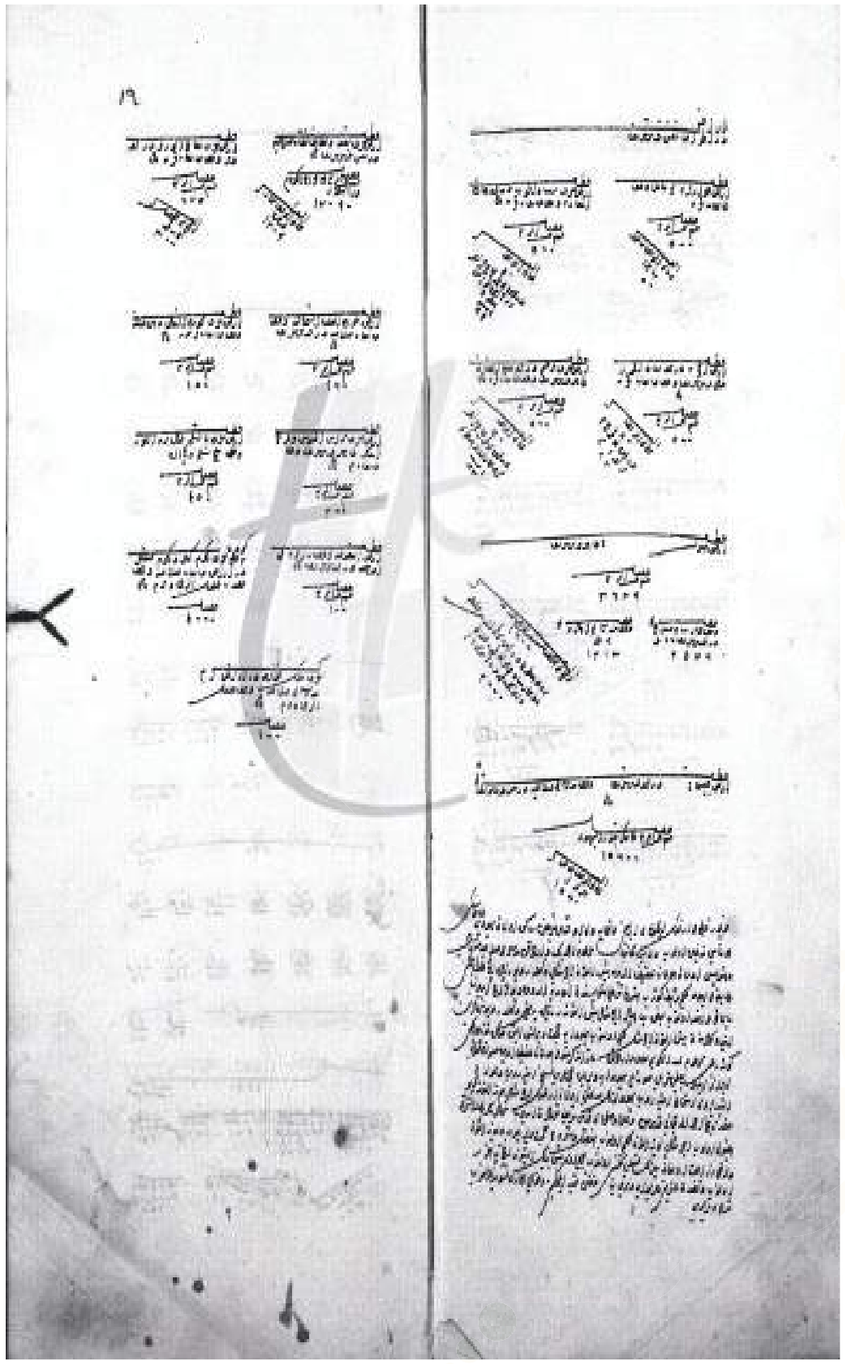

TKG.KK., TKG.KK.TT.d, Nr: 112, 18b.

لا يمكـن القـول بـأن الأعضـاء العلميـين لديهـم دائمًـا علاقـات سـيئة مـع غيـر المسـلمين، لأنـه فـي الأمثلـة المذكـورة أعـلاه روعـي مشـاعر الجمهـور المسـلم كأسـاس وتـم التعامـل معهـا وفقًـا لذلـك. وهنـا يُلاحـظ أيضًـا أن الجنـاح العسـكري لـم يكـن معهـم دائمًـا بـل علـى كانـوا مـع اليهـود أحيانًـا، كمـا رأينـا ذلـك فـي مثـال المقبـرة الآنفـة الذكـر. هـذا يـدل علـى وجـود توازن طبيعي بيـن مراكـز القـوة فـي المدينـة. ثـم لا ينبغـي أن ننسـى أنـه تـم إنشـاء علاقـة تبعيـة طبيعيـة بيـن الطرفيـن مـن خـلال تخصيـص بعـض عائـدات الجزيـة للأوقـاف الإسـلامية. وذلـك لأن اضطهـاد غيـر المسـلمين سـوف يؤدي فـي نهايـة المطـاف إلـى تركهـم أماكنهـم مـع مـرور الوقـت، وبالتالـي يؤدي إلـى انخفـاض العوائـد التـي يحصلـون عليـه مـن هـذه المجموعـة، ولا شـك بأنـه ليـس مـن المعقـول أن يتبنـى العلمـاء الذيـن لا يريـدون أن يحرمـوا مـن هـذا الدخـل موقفًـا متطرفًـا فـي كل وقـت. لأنـه كان مـن الطبيعـي أن تضـر مثـل هـذه المحاولـة بهـم، لكـن فـي نهايـة الأمـر، عرفـت الطبقـة العلميـة أن التوتـر والمشـاحنات المسـتمرة لـن يفيـد أحـدًا.[٤١]

النتيجة

بـدأ تاريـخ الحيـاة العلميـة فـي القـدس بفتـح الخليفـة الثانـي عمـر رضـي الله عنـه. منـذ ذلـك الحيـن إلـى أن اسـتلم السـلطان سـليم الأول مقاليـد الحكـم هنـا عـام ١٥١٦ كل دولـة مسـلمة حكمـت فـي المطقـة أضافـت ملحًـا فـي هـذا الحسـاء إن صـح التعبيـر. ولذلـك ورث العثمانيـون التقليـد العلمـي واسـتمروا عليهـا حيـث تلقـوا مـن نفـس المصـدر الـذي لـم يكـن غريبًـا عليهـم، كمـا أن الجانبيـن لـم يكـن بينهـم مـا يجعلهـم علـى حـرج مـع بعضهمـا البعـض. ومـع إنشـاء الإدارة الجديـدة، بـدأت عمليـة التعبيـر عـن الأطـراف بشـكل طبيعـي واسـتمرت حتـى انسـحاب الإمبراطوريـة العثمانيـة مـن مشـهد التاريـخ. ونظـرًا لأنـه مـن الطبيعـي انعـكاس التجربـة والخبـرة الخاصـة بـكل إدارة فـي الميـدان، فـإن الممارسـات التـي تـم إنشـاؤها تتكـون مـن خطـوات نحـو تحسـين أداء النظـام وتطويـره. لذلـك، يُـرى أنـه لا يوجـد رد فعـل داخلـي فـي مثـل هـذه الحـالات، ومـن المتوقـع تدخـل مركـز الدولـة فـي المواقـف الصعبـة.

تكـوّن ظهـور نخـب جديـدة ضمـن الطبقـات العلميـة فـي المدينـة مـن انعـكاس لسياسـة الحمايـة العثمانيـة هنـا وامتـداد طبيعـي للعمليـة التاريخيـة. فـي الواقـع، تمـت حمايـة الأُسَـر ذات الجـذور العميقـة واسـتمرارية امتيازاتهـا. حقيقـة أنـه لـم يكـن هنـاك تغييـر فـي مواقفهـم والحفـاظ علـى هيبتهـم سـهلت تكيفهـم مـع الهيـكل الجديـد، وبالفعـل أن مـا كان متوقعـا منهـم هـو مواصلـة نشـاطهم ووجودهـم فـي إطـار الأسـاليب القديمـة والقيـام بأدوارهـم فـي المجتمـع.

[٤١] انظر الحكم المؤرخ بتاريخ أواخر ربيع الآخر ١٠٠٢ (ديسمبر ١٥٩٣):
Kudüs Sancağı Şer'iyye Sicil Defteri (843-1009),140.

المراجع الوثائق الأرشيفية

COA, Osmanlı Arşivi. Evkaf Defterleri [EV.d] 1278 (1862/63), Nr: 17753.

COA, Osmanlı Arşivi. Evkaf Defterleri [EV.d] Haziran 1264 (Haziran/Temmuz 1848), Nr: 13432.

COA, Osmanlı Arşivi. Evkaf Defterleri [EV.d] 1279 (1863/64), Nr: 18431.

COA, Osmanlı Arşivi. Evkaf Defterleri [EV.d] Mayıs 1264 (Mayıs/Haziran 1848), Nr: 13407.

COA, Osmanlı Arşivi. Defter-i Evkāf ve Emlâk der-Livâ'-i Kudüs-i Şerîf [T.T.d], Nr: 0342.

Kudüs Sancağı Şer'iyye Sicil Defteri (945), İSAM Kütüphanesi, Nr: 9.

Kudüs Sancağı Şer'iyye Sicil Defteri (843-1009), İSAM Kütüphanesi, Nr: 11

Kudüs Sancağı Şer'iyye Sicil Defteri (972-978), İSAM Kütüphanesi, Nr: 47.

TKG.KK, Kuyûd-u Kadîme Arşivi. Defter-i Livâ'-i Mufassal Kuds-i Şerîf, [TKG.KK.TT.d], Nr: 178.

TKG.KK, Kuyûd-u Kadîme Arşivi. Defter-i Livâ'-i Mufassal Kuds-i Şerîf, [TKG.KK.TT.d], Nr: 112.

المراجع العربية

الخليلي، شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين. تاريخ القدس والخليل. تحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٥/٢٠٠٤.

العليمي، مجير الدين الحنبلي. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. المجلد الثاني. إعداد وتحقيق ومراجعة: محمود عودة الكعابنة (الأردن: مكتبة دنديس، ١٩٩٩).

المراجع باللغات الأخرى

Aydın, Ali İhsan. "Osmanlı Döneminde Kudüs Medreselerinin Arşiv Kaynakları". Osmanlı Döneminde Kudüs'te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri. Ed. Zekeriya Kurşun & Oth. (İstanbul: Bağcılar Belediyesi, 2019), 101-108.

Barkan, Ömer Lütfi. "Osmanlı İmparatorluğunda Bir İskân ve Kolonizasyon Metodu Olarak Vakıflar ve Temlikler I: İstilâ Devirlerinin Kolonizatör Türk Dervişleri ve Zâviyeler". Vakıflar Dergisi 2. (1942): 279-386.

Dolu, Alaattin: "18. Yüzyılda Kudüs'te Kitap Sahipliği". Osmanlı Döneminde Kudüs'te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri. Ed. Zekeriya Kurşun & Oth. (İstanbul: Bağcılar Belediyesi, 2019): 49-80.

Güler, Mustafa. "Surre Defterlerine Göre XIX. Asrın Başında Kudüs'teki Eğitim Görevlileri ve Tahsisleri".

Osmanlı Döneminde Kudüs'te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri. Ed. Zekeriya Kurşun & Oth. (İstanbul: Bağcılar Belediyesi, 2019): 169-184.

Güneş, Hasan Hüseyin. Kudüs Meğâribe Mahallesi. Ankara: Vakıflar Genel Müdürlüğü Yayınları, 2017.

Güneş, Hasan Hüseyin. "Kudüs Medreselerinde Vazife Mücadeleleri ve Kriz Üretimi". Osmanlı Döneminde

Kudüs'te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri. Ed. Zekeriya Kurşun & Oth. (İstanbul:Bağcılar Belediyesi, 2019): 109-119.

Öksüz, Mustafa. “XVI. Yüzyıl Kudüs’ünde Yahudi Mabetleri ve Osmanlı Devleti”. İsrailiyat: İsrail ve Yahudi Çalışmaları Dergisi. 2 (Yaz 2018): 9-32.

Öksüz, Mustafa. “Kudüslü Bir Sûfî: Ahmed ed-Decânî”. Osmanlı Döneminde Kudüs’te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri. Ed. Zekeriya Kurşun & Oth. (İstanbul: Bağcılar Belediyesi, 2019): 25-47.

Steih, Abdalqader. “Osmanlı Devleti ve 18. Yüzyılda Kudüs Şehrine Ders Vermek İçin Gelen Alimler”.

Osmanlı Döneminde Kudüs’te İlmi Hayat ve Eğitim Uluslarası Sempozyum Bildirileri. Ed. Zekeriya Kurşun & Oth. (İstanbul: Bağcılar Belediyesi, 2019): 11-24.

Uluskan, Murat & Oth. Al Quds in Muhimme Registers/Mühimme Defterlerinde Kudüs (1545-1594), 1. İstanbul: IRCICA, 2016.

التصوف في القدس

ويسال آقّايا*

مقدمة

كانت فلسطين مسرحًا للتيارات الفكرية والاجتماعية والتصوفية والفلسفية والسياسية طوال التاريخ، وكانت مركزًا من المراكز المعنوية للعالَم الإسلامي. ولم يغب التصوف الذي يعد انعكاسًا لروحانية الإسلام في مدينة القدس كغيرها من بلدان الإسلام، فالقدس مدينة تضم في جنباتها المسجد الأقصى الذي له مكانة خاصة في قلوب المسلمين.

ونستطيع أن نُرجع وجود الصوفية في القدس مثل غيرها من المدن الإسلامية إلى القرون الأولى من ظهور الإسلام. وكان لبناء أول خانقاه في مدينة الرملة القريبة من القدس في القرن الهجري الثاني دورٌ عظيمٌ في إحياء التصوف في هذه البقعة.[1] وبُنيَ في القرون اللاحقة كثير من الزوايا والخانقاهات حول الحرم الشريف لطرق صوفية كثيرة مثل الدوادارية، والكريمية، والفخرية، والسعدية، والمنجكية، والمولوية، والصُّلحية. وكان العُبَّاد والزُّهَّاد والعلماء يستعملون هذه الأمكنة إلى جانب الصوفية.[2]

وإذا كان الحديث عن الجانب الثقافي، فمن المعلوم أن مِن أشهر مكتبات فلسطين كانت لشيخ الطريقة القادرية الفقيه الشافعي الشيخ محمد بن محمد خليل. وتعد هذه المكتبة والمدرسة التي بجانبها مثالًا لدور الصوفية في الحياة العلمية في القدس.[3]

مواقع بعض من التكايا والرباطات والخانقاهات في القدس

* الأستاذ المساعد د. ويسال آقّايا، كلية العلوم الإسلامية في جامعة صباح الدين زعيم إسطنبول، veyselakkaya@gmail.com.

[1] Süleyman Uludağ, "Hankah", Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi (İstanbul: TDV Yayınları, 1997), 36: 42.

[2] سهير قاسم، الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين، (فلسطين: جامعة بيرزيت، ٢٠٠٦)، ٨٠.

[3] ربحي مصطفى عليان، «المكتبة في مدينة القدس»، (الأردن: أفكار، ٢٠١٨) ٣٤٨: ١٢٤.

أ. تطور التصوف في القدس

لعب الصوفية دورًا كبيرًا في فتح صلاح الدين الأيوبي للقدس وتخليصها من الصليبيين. فقد كان في جيش المسلمين كثير من الزهَّاد والصوفية، وانتشر التصوف في القدس على نطاق أوسع بعد الفتح. وقد كان لصلاح الدين الأيوبي بعض من الإجراءات لدعم الهوية الإسلامية للمدينة، إذ بنى مدرسة للفقهاء ورباطًا للصوفية. وخصَّص بعضًا من الأماكن لإقامة الصوفية وجعل لها أوقافًا.[4] وبقي نهج صلاح الدين الأيوبي في دعم التصوف في القدس قائمًا في عهد الأيوبيين والمماليك. فقد بنى سلطان المماليك بيبرس زوايا لشيوخ الصوفية في القدس. وبنى الأيوبيون والمماليك كثيرًا من الأوقاف بعد فتح العثمانيين للمدينة. وزاد عدد الأوقاف المُنشأة للزوايا في العهد العثماني ووُضِعَت شروط أكثر لدوامها. وظلت الشروط التي حددها صلاح الدين كما هي، من هذه الشروط: «لا يدخل بين الصوفية مَن ليس منهم إلا بإذنهم... لا يبقى في الزوايا أحد أكثر من المدة التي يحتاجها... إذا ذهب صوفي إلى بلد آخر وعاد، فيبقى مكانه حقًا له...» وكان هذا الاهتمام بالصوفية وسيلةً لازدهار التصوف في القدس، وزيادة التكايا والزوايا، وانتشار الطرق الصوفية كالرفاعية والخلوتية والشاذلية والوفائية والبسطامية والقلندرية واليونسية وغيرها.[5]

وكان من أعمال الدولة العثمانية لمنع الدول الأوروبية من إعادة احتلال القدس تقديم الدعم الكبير لازدهار التصوف في المدينة، لأن للصوفية دورًا كبيرًا في استقرار المدينة وفي الحياة الدينية والروحانية والاجتماعية والسياسية فيها. فكان السلاطين العثمانيون يرسلون الهدايا لشيوخ الطرق الصوفية، ويكلِّفونهم بمهام شتى عبر دعم الإعاشة في التكايا. وثمة معلومات حول السلاطين ورجال الدولة في سندات الوقف في السجلات، ومثال لذلك أن السلطان سليم الأول كان قد خصَّص خمسمئة أقجة شهريًّا لشيخ الطريقة المولوية. ووقفَ نائب والي القدس قاسم بك بن قزل أحمد بستانَ كرم للشيخ علي الخلوتي عام ١٥٣٠م. وجعلَ السلطان سليمان القانوني بعضًا من الأوقاف لأحمد الدجاني بعد تعيين شيخ الطريقة الوفائية في زاوية النبي داوود. ولمَّا بشَّر الشيخ الدجاني بفتح جزيرة غيريت، ارسل السلطان سليمان الهدايا له شكرًا، وأمر بإنشاء قناة لإيصال الماء إلى زاويته.[6]

التكية الوفائية في القدس

[4] أحمد حسين عبد الجبوري، القدس في العهد العثماني، (عمان: دار أحمد، ٢٠١٠)، ١٩٠؛
Esad el-Hatib, Sufiler ve Aksiyon / Halil İbrahim Kaçar, (İstanbul: İnsan Yayınları, 1999), 71.

[5] عبد الجبوري، القدس في العهد العثماني، ١٩٠؛
El-Hatib, Sufiler ve Aksiyon, 85.

[6] محسن محمد صالح، دراسة في التراث الثقافي لمدينة القدس، (بيروت: مركز زيتونة للدراسات، ٢٠١٠)، ١٩١.

ب. القدس مكان يطمئن فيه الصوفية

أولى الصوفية القدسَ أهمية عظيمة، إذ كانت محط رحالهم ومصدر فيوضات لهم.[٧] ومن المعلوم أن الإمام الغزالي رحل إلى القدس عام ١٠٩٥م، وزار المسجد الأقصى وانزوى فيه مدةً. وألَّف هنالك (الرسالة القدسية) لأهل القدس والتي هي جزء من كتابه (إحياء علوم الدين).[٨]

اهتم الصوفية بالخانات والزوايا التي زادت على الخمسين في القدس. وتذكر الأبحاث الأكاديمية عن العهد العثماني الأوقاف الصوفية التي كانت في القدس، وكانت هذه الأوقاف تلبي حاجة الضيوف للإنارة والطعام والشراب.[٩]

وكانت من الأعراف السائدة في القدس في العهد العثماني دعوة أرباب الطرق الصوفية في الأعياد الدينية والرسمية، فكانت الأُسَر الثرية مثلًا تدعو أرباب الطرق المقرَّبة منها إلى بيوتها للدعاء والذكر في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان. وصارت هذه الدعوات بعد العثمانيين محصورة بالأعياد الرسمية وليلة القدر وعيد المولد النبوي. وقد أصاب الضرر الكبير كثيرًا من الزوايا الصوفية وتعرضت للهدم كغيرها من المعالم الدينية أثناء الاحتلال الإسرائيلي بعد عام ١٩٤٨م. ولم يبقَ إلا القليل من الزوايا مقارنةً بالماضي.[١٠]

زار أعلام الصوفية والمريدين بيتَ المقدس، وأقام بعضهم فيها وبنوا زوايا وتكايا وخانقاهات. وألَّف الصوفيون في القدس كتبًا ورسائل في التصوف.[١١] وقد ثبتَ بالأبحاث العلمية تأليف كثير من الكتب في التصوف في القدس.[١٢]

ولعله من المفيد هنا أن نذكر باختصار حادثة الإسراء والمعراج من منظور التصوف. فمن المعلوم أن هذه الحادثة تأتي في الصدراة عند الكلام عن قدسية القدس لدى المسلمين، لذلك وُضِعَت مؤلفات كثيرة عن الإسراء والمعراج. وقد وضع الصوفية أيضًا مؤلفات مهمة عن هذا الموضوع. ويأتي محيي الدين بن عربي (ت: ٦٣٨) في مقدمة الصوفية الذين ألفوا كتابًا مستقلًا عن الإسراء والمعراج من المنظور الصوفي.[١٣] وقد أثَّرت تفسيراته للحادثة في الصوفية الذين جاؤوا من بعده، وصار كتابه من أعظم المراجع. وفصَّلَ ابن عربي في كتبه الحديثَ عن معراج الأولياء ومعراجه هو نفسه، انطلاقًا من معراج الرسول صلى الله عليه وسلم.[١٤] ورأى أن البراق رمز للمحبة الإلهية، وأن المسجد الأقصى نور إلهي وأن اقتداء الأنبياء برسول الله وانتظار البراق هناك إشارة إلى صفاء القلب. أما شرب النبي اللبن هناك فدليلٌ على العلم اللدني أي الكشفي. وأما قرع أبواب السماء فإشارة إلى مجاهدة النفس، وأما بلوغه سدرة المنتهى وأكله من ثمارها فرمز للإيمان.[١٥]

ويلفت إسماعيل حقي البورصوي الانتباه إلى الصخرة التي عرج النبي منها إلى السماء، فهو يرى أنها ليست كغيرها من الصخور، بل تشير إلى أمر عظيم. وقد رأى أن مركز ماء الأرض كلها تحت هذه الصخرة، وجميع ماء الأرض يُوزَّع من هذا المركز. وربطَ بين الماء والرحمة، وذكَّر أن رسول الله بُعِثَ رحمةً للعالمين. وتسمية هذه الصخرة باسم «صخرة الله» تعظيمٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشارَ هنا إلى تسمية الكعبة باسم «بيت الله»، وذلك تعظيمٌ للنبي إبراهيم عليه السلام.[١٦]

ج. صوفية القدس

لفلسطين مكانة عظيمة في العالَم الإسلامي، وأهلوها امتدادٌ للحضارة الإسلامية. والذي يميِّز الفلسطينيين عن غيرهم من المسلمين أنهم يعيشون حياتهم بلا أمن نتيجة الأحداث السياسية والاحتلال الإسرائيلي.

[7] Veysel Akkaya, Evliyâullah'ın Mekke-Medine Hatıraları, (İstanbul: Erkam yayınları, 2017), 234-238.
[8] Mustafa Çağrıcı, "Gazzâlî", Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi (İstanbul: TDV Yayınları, 1996), 13: 492.

[٩] سهير قاسم، الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين، ٥-٧.
[١٠] سهير قاسم، الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين، ٨٥.
[١١] سهير قاسم، الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين، ٧٢.
[١٢] انظر: أمين سعيد أبو ليل، مخطوطات التصوف في فلسطين، (الزرقاء: مكتبة المنار، ١٩٨٨).
[١٣] محيي الدين بن عربي، الإسرا إلى المقام الأسرى (كتاب المعراج)، تحقيق وشرح: سعاد الحكيم، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٨).
[١٤] انظر: محيي الدين بن عربي، تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠)؛
Veysel Akkaya, Şeyh-i Ekber İbn Arabî'de İdris Peygamber, (İstanbul: Erkam Yayınları, 2010), 193-208.
[١٥] أبو العلا عفيفي، الكتاب التذكاري محيي الدين بن عربي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٩)، ١: ٩٢.
[16] İsmail Hakkı Bursevî, Tuhfet-i Atâiyye, vr. 53a, hz. Veysel Akkaya, Kabe ve İnsan, (İstanbul: İnsan Yayınları, 2001).

التكية النقشبندية في القدس

وهكذا كانت أحوال الصوفيين أيضًا في القدس، فقد منعت ظروف الاحتلال القاسية ظهور الحياة الصوفية، لذلك يعيش أكثر شيوخ الطرق الصوفية المشهورة في القدس خارج فلسطين.[١٧]

وصلت إلى القدس طرق صوفية من شمالي أفريقيا مثل اليونسية والقلقشندية، ومن تركيا المولوية، ومن مصر الدسوقية والجيلانية، وتُسمَّى جميع الطرق التي جاءت من مصر باسم الطرق «الدرويشية».[١٨]

من أشهر الطرق القائمة حتى اليوم في القدس: الخلوتية، والنقشبندية، والشاذلية، والعلاوية. وما زالت الطريقة الخلوتية تلعب دورًا كبيرًا في المجتمع الفلسطيني. وقد مثَّل هذه الطريقة في القدس أولًا الشيخ عبد الرحمن الشريف،[١٩] وكان أكثر أتباع هذه الطريقة من المثقَّفين كالأطباء والمهندسين والمعلمين والأكاديميين، وكانت لهم الريادة في الخدمات الاجتماعية كالتعليم وتقديم المساعدات.[٢٠]

ولنا أن نذكر هنا بعضًا من أشهر صوفية القدس الذين تركوا أثرًا عظيمًا وراءهم، ومنهم:

١. ابن الجلَّاء

هو أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلَّاء، أقام مدةً في بلدة الرملة حيث تقع اليوم على الطريق بين يافا والقدس في فلسطين. لازم ابن الجلَّاء (ت: ٩١٨/٣٠٦) في طفولته أكابر الصوفية مثل معروف الكرخي، وسري السقطي، وذي النون المصري. وكان مرشده وشيخه أبو تراب النخشبي الذي تعرف إليه في دمشق. وقد تحدث ابن نُجيد عن ثلاثة صوفية على الطريق السليم وذكر منهم ابن الجَّلاء.[٢١]

٢. طاهر بن علي المقدسي الشيباني (ابن القيسراني)

وُلِدَ في القدس عام ١٠٥٦م. وتعلَّم العلوم الشرعية، ويُروَى أنه كان صوفيًّا حافظًا للحديث يقدِّم العلم والحديث في كل أمر. وللقيسراني أحد عشر كتابًا في الحديث، وله في التصوف كتاب (صفوة التصوف)[٢٢] و(كتاب السماع)[٢٣] الذي يُعَّد من أولى الكتب التي وُضِعَت في هذا الموضوع. توفي عام ١١١٣/٥٠٧.[٢٤]

[١٧] سهير قاسم، الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين، ٧٤.
[١٨] الزوايا الصوفية بالقدس، المركز العلمي الفلسطيني، https://www.palinfo.com/news/٢٠١٦/١/٧/ (تاريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٢/٢٠).
[١٩] عفيف حسني القاسمي، أضواء على الطريقة الخلوتية، (فلسطين: الجامعة الرحمانية، ١٩٩٧) ٥.
[٢٠] سهير قاسم، الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين، ٧٥.
[21] Mustafa Bahadıroğlu, "İbnü'l-Cellâ", Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, (İstanbul: TDV Yayınları, 1999), 20: 538.
[22] el-Makdisi, (İbnü'l-Kayserânî), Tasavvufun Özü (Safvetü't-Tasavvuf) / M. Cevat Ergin, İstanbul: İlk Harf Yayınevi, 2015.
[٢٣] طُبِعَ الكتاب مُحقَّقًا في مصر. ابن القيسراني المقدسي، كتاب السماع، تحقيق: أبو الوفا المراغي، القاهرة، ١٩٩٤.
[24] M. Yaşar Kandemir, "İbnü'l-Kayserânî", Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, (İstanbul: TDV Yayınları, 2000), 21: 109-111.

٣. غانم المقدسي

وُلِدَ غانم بن علي عساكر المقدسي عام ٥٦٢هـ. وكان عالمًا زاهدًا. عاش في القدس وتوفي عام ٦٣٢هـ.[٢٥]

٤. أحمد البسطامي

كان أحمد بن الكردي البسطامي شيخ الزاوية البسطامية في القدس، وفقيهًا في المدرسة الصلاحية. وظل شيخ الصوفيين الشرعيين في القدس حتى وفاته عام ٨٨٠هـ.[٢٦]

٥. محمد بن أبي بكر المقدسي

وُلِدَ في بيت المقدس عام ٨٤١هـ. وكان شيخ الزاوية الوفائية ومدرِّسًا في المدرسة الحسينية. توفي عام ٨٩١هـ.[٢٧]

٦. شهاب الدين المقدسي

وُلِدَ شهاب الدين أبو العباس الشيباني المقدسي عام ٨٤٤هـ. وكان صالحًا تقيًّا محقِّقًا. وكان شيخ الزاوية الشيبانية في القدس، وتوفي عام ٩٢٥هـ.

وثمة كثير من الصوفية والزهَّاد في القدس، ولكننا نكتفي بذكر هؤلاء مثالًا لهذا الموضوع.

د. الزوايا والخانقاهات في القدس

كانت القدس مدينة فيها كثير من الزوايا والخانقاهات في تاريخها، وقد ظل قسم منها قائمًا حتى يومنا هذا. وقد بُنِيَت الزوايا داخل سور المدينة وخارجها.[٢٨]

ومن الدلائل على انتشار التصوف وأهميته في القدس وجود مدرسة وزاوية «الناصرية» في ساحة المسجد الأقصى. بنى هذه المدرسة والزاوية ناصر إبراهيم المقدسي في القرن الخامس الهجري.[٢٩] وقد بلغ عدد الزوايا عشرين في العهد العثماني.[٣٠]

وثمة زوايا خارج أسوار مدينة القدس القديمة. ويبلغ عدد جميع الزوايا في القدس نحوًا من خمس وأربعين وفقًا لبعض الدراسات.[٣١] وسنكتفي بذكر بعض منها لضيق المجال:

١. الزاوية الجراحية الرفاعية

بناها حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحي من أمراء صلاح الدين الأيوبي في حي الشيخ جراح. توفي عيسى الجراح في القدس، ودُفِنَ في الزاوية، وبُنِيَت قبة على قبره. وهذه الزاوية من الأماكن التي يزورها أتباع الطريقة الرفاعية.[٣٢]

[٢٥] شذرات الذهب، بيروت: ؟؟، بدون تاريخ. ٥: ١٥٤.
[٢٦] مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، (نجف: ١٩٦٨)، ٢: ١٩٧.
[٢٧] شذرات الذهب، ٨: ١٣١.
[٢٨] الزوايا الصوفية بالقدس، المركز العلمي الفلسطيني، https://www.palinfo.com/٥٩٩٣٢، (تاريخ الزيارة: ٢٠١٦/٠١/٠٧).
[٢٩] الفرق في فلسطين الصوفية، مركز بيت المقدس للدراسات الصوفية، http://www.aqsaonline.org/news.aspx?id=378 (تاريخ الزيارة: ٢٠٠٨/٠١/٠١).
[٣٠] محسن محمد صالح، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات، ٢٠١٠)، ١٨٨.
[٣١] انظر: نعمان داوود أحمد الأشقر، الصوفية في فلسطين- القدس نموذجًا، https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/07/24/205133.html (تاريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٠٢/٠٢)
[٣٢] الزوايا الصوفية بالقدس، المركز الإعلامي الفلسطيني، https://www.palinfo.com/news/2016/1/7، (تاريخ الزيارة: ٢٠١٦/٠١/٠٧).

التكية الرفاعية

٢. الزاوية الهندية

تقع أمام باب الساهرة على الجانب الأيمن داخل سور القدس. وسُمِّيت الزاوية بهذا الاسم لأن أكثر المقيمين في هذه المنطقة من الهند. والمباني هناك تعود للقرن الثالث عشر أو الرابع عشر الميلادي على الأرجح. وقد أصلح هذه الزاوية ورممها الصوفي الهندي فريد بابا كنج في أوائل عهد العثمانيين وجعلها للقادمين من الهند. ثم أُعطيَت الزاوية لآل الأنصاري المقدسي، وبقيت معهم حتى يومنا هذا. وفي عام ١٩٦٤ أُجِّر قسم من الزاوية لتقديم العون للاجئين، فاستُعمِل لتوزيع المساعدات العينية للفقراء واللاجئين في القدس. أما القسم الآخر من الزاوية فهو عيادة صحية في هذه الأيام.[٣٣]

التكية الهندية

[٣٣] الزوايا الصوفية بالقدس، المركز الإعلامي الفلسطيني٥٩٩٣٢، (تاريخ الزيارة: ٢٠١٦/٠١/٠٧).

٣. الزاوية الوفائية (المنارة الحمراء)

تقع في نقطة التقاء باب الساهرة بشارع المجاهدين في القدس، ويُسمَّى شارع الزاوية. بُنيَت الزاوية في أوائل عهد العثمانيين.[٣٤]

٤. الزاوية النقشبندية (الزاوية البخارية أو الأوزبكية)

سُمِّيَت الزاوية بالأوزبكية لأن المقيمين هنا من أوزبكستان، أو لأن الذين كانوا يزورونها من أوزبكستان. وكانت الزاوية تستضيف الحجَّاج الإندونيسيين حتى عام ١٩٦٧م حين توقف نشاط الزاوية بسبب الاحتلال.

والزاوية اليوم مسجد، وقد حاول اليهود كثيرًا السيطرة عليها، واستعمالها بابًا للنفق الذي حفروه تحت الأروقة الغربية من المسجد الأقصى. وافتتحوه في عام ١٩٦٦، إلا أن محاولاتهم بائت بالفشل بعد تصدي الأوقاف الإسلامية لهم.[٣٥]

٥. الزاوية الأفغانية

بناها الشيخ عبد القادر الجيلاني الهندي عام ١٦٣٣م حين جاء من الهند إلى القدس ونشر الطريقة القادرية العلوية. وتعرف هذه الزاوية اليوم باسم الزاوية الأفغانية، نظرًا لإقامة مجموعة من الأفغان فيها، ويداوم الأفغان اليوم على نشاطات الزاوية لا سيما في المولد النبوي ورأس السنة الهجرية.[٣٦]

التكية الأفغانية

[٣٤] الزوايا الصوفية بالقدس، المركز الإعلامي الفلسطيني
https://www.palinfo.com/59932
(تاريخ الزيارة: ٢٠١٦/٠١/٠٧).

[٣٥] محمد أبو الفيلات، الزاوية النقشبندية إرث صوفي عريق. ٢٩ر٠٦ر٢٠١٤.
http://honaalquds.net/ar/article/943/
(تاريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٠٢/٠٢).

[٣٦] الزوايا الصوفية بالقدس، المركز الإعلامي الفلسطيني
https://www.palinfo.com/59932
(تاريخ الزيارة: ٢٠١٦/٠١/٠٧).

٦. الزاوية البسطامية

تقع أسفل صحن الصخرة من جهة الشرق عند الزيتون. وهي مكان مأنوس كان يجتمع فيه الفقراء البسطامية.[٣٧] وبجوارها زاوية الصمادية من جهة الشمال وهي بلصق درج البراق.[٣٨]

وفي القدس خانقاهات كثيرة، منها:

١. الخانقاه الصلاحية

تقع في الجانب الشمالي الغربي من مدينة القدس القديمة، فوق كنيسة القيامة. بناها صلاح الدين الأيوبي ويوسف بن أيوب عام ١١٨٩م.

٢. الخانقاه الدوادارية

تقع أمام الحرم الشريف من جهة الشمال، وبناها علم الدين سنجر بن عبد الله ابن الدوادار عام ١٢٩٥م. وقد جمعَت هذه الخانقاه بين التصوف والعلوم الشرعية، إذ كانت مدرسةً تعلِّم الفقه على المذهب الشافعي، إضافةً إلى دروس القراءات والحديث النبوي. وهي اليوم مدرسة ابتدائية تُسمَّى «المدرسة البكرية».

[٣٧] الحنبلي، الأنس الجليل، ٢: ٢٣.
[٣٨] الحنبلي، الأنس الجليل، ٢: ٢٣.

٣. الخانقاه الفخرية

تقع في الزاوية الجنوبية من الحرم الشريف بجوار المتحف الإسلامي. بناها القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله عام ١٣٢٩م. كان البناء أولًا مدرسة ثم تحول إلى خانقاه. وقد دمَّرت قوات الاحتلال الإسرائيلي قسمًا كبيرًا منها عام ١٩٦٧م، أما القسم الباقي فاستُعمِل من أجل المؤلفات الإسلامية. ويستعمله اليوم موظفو المتحف الإسلامي.[٣٩]

الخانقاه الفخرية

نتيجة

كانت القدس عبر تاريخها من المراكز التي ازدهر التصوف فيها. وزادت الطرق الصوفية في القدس بعد فتح صلاح الدين الأيوبي للمدينة بمشاركة كبيرة من الصوفيين، ووصل عدد الرباطات والخانقاهات الصوفية إلى نحو من خمسين في العهدين المملوكي والعثماني. وإنما هذا دليل واضح على مكانة التصوف الكبيرة في القدس.

وقد حرص الحكَّام المسلمون على دعم المشايخ وخدمات الزوايا والخانقاهات الصوفية بالأوقاف من أجل الحفاظ على الوجود الإسلامي في القدس، وكان هذا الدعم سياسةً لمواجهة الصليبيين.

[٣٩] نعمان الأشقر، الصوفية في فلسطين
https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/07/24/205133.html
(تاريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٠٢/٠٢).

المراجع العربية

ابن عربي، محيي الدين. الإسرا إلى المقام الأسرى (كتاب المعراج). تحقيق وشرح: سعاد الحكيم. بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٩٨٨.

ابن عربي، محيي الدين. تنزل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠.

أبو ليل، أمين سعيد. مخطوطات التصوف في فلسطين. الزرقاء: مكتبة المنار، ١٩٨٨.

الحنبلي، مجير الدين. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. نجف: ؟؟ ١٩٦٨.

القاسمي، عفيف حسني. أضواء على الطريقة الخلوتية. فلسطين: الجامعة الرحمانية، ١٩٩٧.

المقدسي، ابن القيسراني. كتاب السماع. تحقيق: أبو الوفا المراغي. القاهرة: ؟؟ ١٩٩٤.

سهير قاسم. الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين. فلسطين: جامعة بيروت، ٢٠٠٦.

صالح، محمد محسن. دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس. بيروت: مركز الزيتونية للدراسات، ٢٠١٠.

عبد الجبوري، أحمد حسين. القدس في العهد العثماني. عمان: دار أحمد، ٢٠١٠.

عفيفي، أبو العلا. الكتاب التذكاري محيي الدين بن عربي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٩.

عليان، ربحي مصطفى. «المكتبة في مدينة القدس». الأردن: أفكار، ٢٠١٨.

المراجع باللغات الأخرى

Akkaya, Veysel. Evliyâullah'ın Mekke-Medine Hatıraları. İstanbul: Erkam Yayınları, 2017.

Akkaya, Veysel. Şeyh-i Eker İbn Arabî'de İdris Peygamber. İstanbul: Erkam Yayınları, 2010.

Bahadıroğlu, Mustafa. "İbnü'l-Cellâ". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 20: 538, İstanbul: TDV Yayınları, 1999.

Bursevî, İsmail Hakkı. Tuhfet-i Atâiyye. Prep. Veysel Akkaya. Kabe ve İnsan. İstanbul: İnsan Yayınları, 2001.

Çağrıcı, Mustafa. "Gazzâlî". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 13: 492, İstanbul: TDV Yayınları, 1996.

el-Hatib, Esad. Sufiler ve Aksiyon / Halil İbrahim Kaçar & Oth. İstanbul: İnsan Yayınları, 1999.

el-Makdisi, İbnü'l-Kayserânî. Tasavvufun Özü (Safvetü't-Tasavvuf) / M. Cevat Ergin. İstanbul: İlk Harf Yayınevi, 2015.

Kandemir, M. Yaşar. "İbnü'l-Kayserânî". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 21: 109-111. İstanbul: TDV Yayınları, 2000.

Uludağ, Süleyman. "Hankah". Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 36:42. İstanbul: TDV Yayınları, 1997.

مواقع الإنترنت

الفرق في فلسطين الصوفية، مركز بيت المقدس للدراسات الصوفية

http://www.aqsaonline.org/news.aspx?id=378

(تاريخ الزيارة: ٢٠٠٨/٠١/٠١).

نعمان داوود أحمد الأشقر، الصوفية في فلسطين- القدس نموذجًا

https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/07/24/205133

(تاريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٠٢/٠٢)

محمد أبو الفيلات، الزاوية النقشبندية إرث صوفي عريق. ٢٩ر٠٦.. ٢٠١٤.

http://honaalquds.net/ar/article/943/

(تاريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٠٢/٠٢)

الزوايا الصوفية بالقدس، المركز الإعلامي الفلسطيني

https://www.palinfo.com/59932

(تاريخ الزيارة: ٢٠١٦/٠١/٠٧).

المعالم الإسلامية المهمة في بيت المقدس

فتاح آيقاج *

أ - أهمية مساحة «بيت المقدس»

يضم القدس مئاتٍ من المعالم المعمارية، الصغيرة والكبيرة، من المساجد، والمدارس، والمستشفيات، ودور الطبخ، والأوقاف، التي بنيت لتلبية حاجات الناس، ولا يزال كثيرٌ من هذه المعالم المعمارية كالمساجد والمدارس التي تتحدث عنها كتب التاريخ باقيةً إلى يومنا هذا، يستخدمها الناس.

أظهر المسلمون من العصور الأولى اهتمامهم بهذه المدينة بإنشاء كثير من المؤسسات الوقفية، والآثار المعمارية التي تضمها هذه المؤسسات. ونظرًا لأهمية بيت المقدس في الإسلام سعى الخلفاء الأوائل، والسلاطين المسلمون، والولاة، في إنشاء مرافق عامة، وأوقافٍ لعابري السبيل والمقيمين في هذه المدينة.

١ - نبذة تاريخية مختصرة عن القدس من زاوية الأديان السماوية

تحظى القدس قداسة دينية لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث الرئيسة؛ الإسلام، واليهودية، والنصرانية، وهي أقدم مدينة مأهولة في العالم، وتشير الحفريات الأثرية إلى أن تاريخها يعود إلى خمسة آلاف سنة. تضم المدينة أكثر من مئتي معلم أثري، وفي إطار الأديان السماوية دخل بنو إسرائيل فلسطين في عهد النبي يوشع عليه السلام بعد أن نجوا من بطش فرعون بقيادة نبي الله موسى عليه السلام، وخرجوا من التيه الذي استمر أربعين عامًا، وقد انتصروا بقيادة النبي يوشع عليه السلام على جيش الملك اليبوسي أدوني صادق الذي كان يسيطر على المنطقة، غير أنهم لم يستطيعوا دخول عاصمتهم القدس. بقيت القدس بيد اليبوسيين إلى أن فتحت بقيادة النبي داوود عليه السلام، وكانت من حصة نسل بنيامين في تقسيم ديار كنعان بين أسباط بني إسرائيل، ووفق ما ورد في العهد القديم هاجم قبائل يهوذا وسيمون على مدينة القدس بعد وفاة النبي يوشع عليه السلام، وأسروا ملكها، وأضرموا النار في المدينة، غير أن حكم اليبوسيين للمدينة استمر،[1] وبعد أن أصبح داوود عليه السلام ملكًا على بني إسرائيل، استولى على قلعة صهيون، وأطلق عليها مدينة داوود، واتخذ القدس حاضرة لمملكته، وعزز تحصيناتها، ورمم قلعة صهيون، وبنى لنفسه قصرًا فيها، وحاول أن يجعلها مركزًا دينيًا، وجلب تابوت العهد إلى القدس لهذه الغاية، وجعله في خيمة بجوار قصره، غير أن الرب لم يأذن له بذلك.[2]

٢ - نبذة تاريخية مختصرة عن إنشاء المعابد في مساحات بيت المقدس

تبلغ مساحة بيت المقدس المعروفة لدى المسلمين بهذه التسمية الواردة في القرآن، والمسمى بالميدان في مصادر أجنبية قرابة ١٤٤ دونمًا (الصورة ١)، وقد عُطفت على أجزاء من هذا الموقع معاني وقيم من قبل أتباع عقائد مختلفة على مدى التاريخ، وشيدت مبانٍ فيه.

* د.فتاح آيقاج عضو الهيئة التدريسية في قسم التاريخ الإسلامي وفنونه في كلية العلوم الإسلامية بجامعة صباح الدين زعيم.
fetthaykc3@gmail.com

[1] Ömer Faruk Harman, “Kudüs”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 26: 324, (Ankara: TDV Yayınları, 2002.)
[2] Harman, “Kudüs”, 26: 324-329.

الصورة ١ موقع بيت المقدس من جبل زيتون (أرشيف iyv)

بنيت في بيت المقدس التي تطلق عليها في المصادر الأجنبية تل موريا أي تل المعبد، معبدان على مدى التاريخ، أولى هذين المعبدين بني في عهد سليمان عليه السلام بين عامي ٩٤٢ – ٩٧٢ قبل الميلاد (الصورة ٢، ٣)، وقد نُهب ودمر على يد الملك البابلي نبوخذنصر سنة ٥٨٧، و ٥٩٧، ٦٠٠ قبل الميلاد بعد استيلائه على مدينة القدس.[٤]

وبني المعبد الثاني من قبل هيرودس ملك روما لمنطقة فلسطين (قيل إنه اعتنق اليهودية فيما بعد لمصالح سياسية واقتصادية) بين عامي ٠٤ – ١٨ قبل الميلاد (الصورة ٤ – ٥) غير أنه تم تخريبه على يد القائد الروماني تيتوس بعد إخماده تمرد اليهود بين عامي ٦٧ – ٦٩ بعد الميلاد.

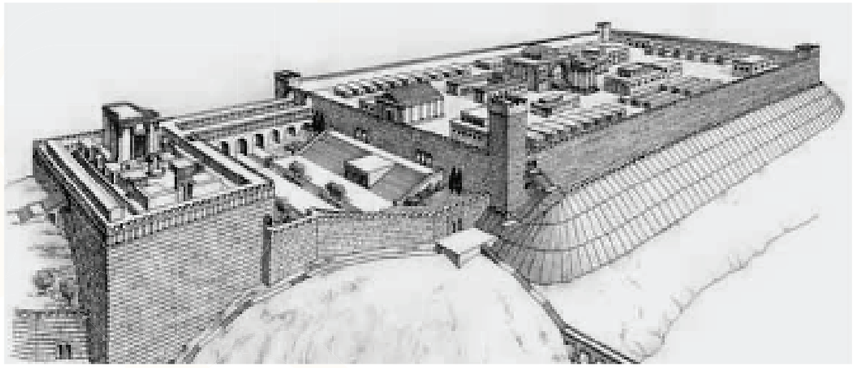

(الصورة ٢أ) بيت المقدس وموقع معبد سليمان (الهيكل) وفق المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس (المتوفى ١٠٠ للميلاد)

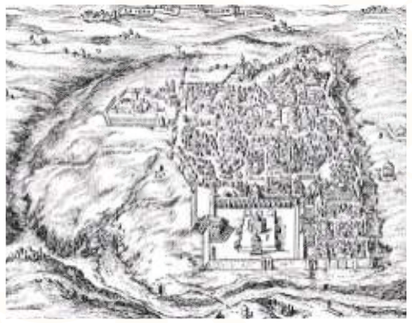

صورة ٢ ب- معبد سليمان الأول ومساحة بيت المقدس حسب اليهود

الصورة ٣ ب- صورة تمثيلية للمعبد الذي أعاد هيرودس بناءه.

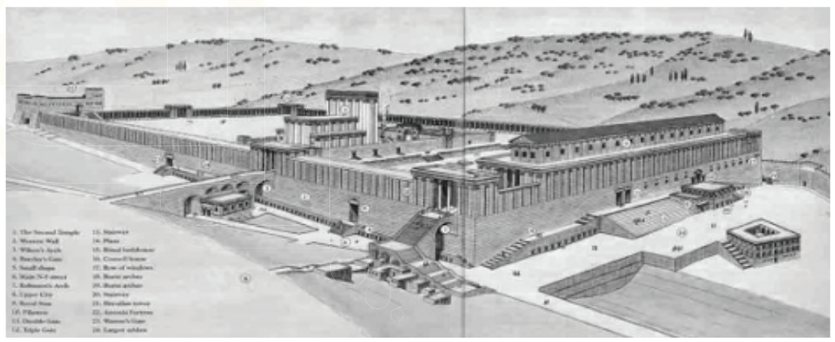

صورة ٣ أ- منظر تقديري للمعبد الثاني والمباني الملحقة التي بناها الملك هيرود من الجنوب الغربي نظرة عامة

[٤] أشيرت إلى هذه الحادثة في الآية ٤ – ٨ من سورة الإسراء، انظر :
Harman, “Kudüs”, 26: 325.

وقد انهارت المعابد الواهية التي بنيت في الفترات التي توالت على تدمير هذين المعبدين الكبيرين (على سبيل المثال عقب جلاء البابليين عن المنطقة بدءًا من ٣٥٠ قبل الميلاد، وبين عامي ١٠٠ – ١٣٥ بعد الميلاد، وعقب الحرب البيزنطي – الساساني) بسبب الفوضى السياسي الذي عم البلاد وعدم متانة عمارتها، وقد دمرت إحدى هذه المعابد حوالي عام ١٣٥ بعد الميلاد على يد هادريان بعد إخماده تمردًا لليهود بين عامي ١٣٢ – ١٣٣، [٤] ومع قبول الإمبراطورية البيزنطية النصرانية دينًا رسميًا لها سنة ٣٢٣، امتنع النصارى تشييد أية مبنى ديني في موقع بيت المقدس فترة حكمهم للقدس بين عامي ٣١٦ – ٣٢٣ و ٦٢٧ – ٦٣٧ بسبب آية في الإنجيل تقول «.. لخوفهم من جلب غضب الرب..»، [٥] كما أذنوا لليهود بإنشاء معابدهم في القدس لأداء عباداتهم في فترات معينة، ولم يشيد الصليبيون طيلة ثمانٍ وثمانين عام من حكمهم للقدس، بدءًا من عام ١٠٩٩ بموجب اتفاقية أبرموها مع الفاطميين، وقد أوغلوا في أهلها قتلًا وفتكًا، إلى عام ١١٨٧ بعد هزيمتهم أمام جيش صلاح الدين الأيوبي، غير أنهم استخدموا الأبنة الموجودة فيها لغاياتٍ دينيةٍ وإداريةٍ وسياسية.

٣ – خدمات العثمانيين في القدس وبيت المقدس

يصف الرحالة العثماني أوليا جلبي في كتابه سياحت نامه (الرحلات) لحظة تسليم مفاتيح القدس للعثمانيين قائلًا :»في سنة ٩٢٢ هجرية (١٥١٦ م) عندما كان القدس بيد المماليك الشركس خرج جميع علماء المدينة ووجهاؤها لاستقبال السلطان سليم الأول وسلموه مفاتيح مسجد الأقصى وقبة الصخرة، فسجد سليم داعيًا: «أحمد الله حمدًا كثيرًا أن ملّكني أولى القبلتين..».[٦] اهتم العثمانيون مذ خضوع فلسطين ومصر لهم على يد السلطان سليم الأول عام ١٥١٦ إلى حين انحسار حكمهم عن المنطقة عام ١٩١٨ بتشييد عمائر صغير في بيت المقدس، وصيانة جميع مبانيها، وترميمها.

[٥] «... اسمع، سيصبح منزلك خرابًا.» Mathew XXIV، ٢ ؛ و «... لن أترك حجرًا غير مكسور هناك.» Luke XIX، ٤٤، أنظر :
(Pocock’s Ed. Oxon, 1658, II, pp. 288-289) K.AC. Creswell, Early Muslim Architecure, v. 1, pt. 1, p. 31, Oxford 1969, NY 1979.
[6] Archie G. Walls, “Restorations of Jerusalem and the Dome of the Rock and Their Political Significance 1537-1928”, Muqarnas V, p. 85-97.

هضبة المعابد والمسجد الأقصى محاطان بأسوارٍ بناها السلطان سليمان القانوني (İYY أرشيف)

بدأت حركة العمران بالقدس في عهد السلطان سليمان القانوني نجل السلطان سليم الأول، حيث رمم كامل أسوار المدينة برعاية الوالي العثماني على مصر كوزلجه حسن باشا سنة ١٥٢٤، [٧] بالإضافة إلى صيانة المسجد الأقصى وقبة الصخرة من الداخل والخارج،[٨] وشيدت مبانٍ كبيرة فيها، وبفضل هذه الترميمات وأعمال الصيانة التي أجريت في هذه الفترة وصلت هذه المباني إلى القرن التاسع عشر،[٩] ومع إعلان السلطان عبد العزيز القدس بلديةً في القرن التاسع عشر أجريت أعمال الصيانة في بيت المقدس بما في ذلك المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وصرفت لهذه الغاية أموال هائلة (الصورة ٣١ – ٣٤)، وبعد انحسار الحكم العثماني عن القدس في الحرب العالمية الأولى قدِم المعمار كمال الدين بك إلى القدس بناءً على طلب رسمي لبريطانيا وأجرى ترميمات مهمة في المسجد الأقصى، وبفضل هذه الترميمات وأعمال الصيانة لمعالم بيت المقدس التي لم تقدَّر لغير العثمانيين من القرن السادس عشر إلى يومنا هذا، وصلت هذه الآثار إلى يومنا، كما عززت الطابع العثماني على هذه المعالم كما أفاد بذلك بعض الباحثين.[١٠]

ب – المعالم المعمارية الأخرى للمسلمين في بيت المقدس وجواره[١١]

تم تعريف المعالم المعمارية للمسلمين في بيت المقدس في كثير من المصادر بتصنيفها إلى المساجد، والمصليات، والقبب، والمآذن، والأقواس، والمدارس، والأروقة، والأبواب، والمياه، والينابيع، والمتحف الإسلامية، وحائط البراق.

وقد تم تعريف المعالم الإسلامية لبيت المقدس في بحثنا هذا على نحو ما ذكر آنفًا في بعض المصادر بشكل موجز تجنبًا لأي تعارض معها:

[٧] لايزال قبرا معماريين شاركا في أعمال الترميم موجودين في القدس . (انظر الصورة ٣٢ أ، ب).

[8] Creswell, EMA, v. I, pt. I, 1969/79, p. 91, n. 4.

[9] Gülru Necipoğlu, “The Dome of the Rock as Palimpsest: ‹Abd al-Malik’s Grand Narrative and Sultan Süleyman’s Glosses”, Muqarnas V25, p.17-105, 2008.

[10] Mehmet Tütüncü, “Kudüs ve Sultan 1. Süleyman”, Düşünce ve Tarih, İstanbul (2016): 41.

[١١] تم اقتباس هذه المعلومات والصور التعريفية من المطبوعات والمنشورات على شبكة الإنترنت التي ترد عناوينها في قائمة المراجع ومن المصادر الآتية :
«دليل المسجد الأقصى «،، تيكا، آب ٢٠٠٣؛ مرحبًا بكم في الأرض المقدسة، فلسطين، من إعداد تيكا + وزارة السياحة والآثار الفلسطينية، بدون تاريخ ؛
S. Demirsoy- M. Usta, Orta Doğu’nun Kalbi Kudüs, İstanbul: 2018; Harman, “Kudüs”, 26: 323-338, Ankara, 2002; Mehmet Tütüncü, “Kudüs ve Sultan 1. Süleyman”, Düşünce ve Tarih, İstanbul: 2016; K. Balcı-A. İnce, Kutsallığın Başşehri Kudüs, İstanbul: Timaş Yayınları, 2012.

١ – أبواب بيت المقدس (المسجد الأقصى):

لبيت المقدس خمسة عشر بابًا، منها أحد عشرة أبوابٍ مفتوحة، وأربعة مغلقة، أما المفتوحة فهي :

بيت المقدس وأبوابه

١- باب الأسباط : وهو باب القبائل ويقع شمال شرق المسجد الأقصى، ويسمى أيضًا بباب ستي مريم.

٢- باب الحطة : ويقع على السور الشمالي للمسجد الأقصى بين منارة باب القبائل وباب فيصل.

باب الحطة (i٧٧ أرشيف)

٣- باب الملك فيصل (باب العتم): يقع غرب باب الحطة، على السور الشمالي للمسجد الأقصى، ويعرف أيضًا بباب شرف الأنبياء، وباب داوود.

٤- باب الغوانمة : يقع على السور الشمالي للمسجد الأقصى.

باب الناظر (İY7 أرشيف)

باب الغوانمة (İY7 أرشيف)

باب القطانين (FA Arşivi)

٥- باب الناظر: يقع في السور الغربي للمسجد الأقصى، كما عرف بباب المجلس، وباب ميكائيل، وباب علاء الدين البصيري، وباب الرباط المنصوري، وباب الحبس، وباب الرباط.

٦- باب الحديد : يقع في السور الغربي للمسجد الأقصى بين باب القطانين وباب الناظر.

٧- باب القطانين : يقع في السور الغربي للمسجد الأقصى بين باب الحديد وباب المطهرة.

٨- باب المطهرة يقع في السور الغربي للمسجد الأقصى جنوب باب القطانين، ويسمى أيضًا باب المتوضأ.

٩- باب السلسلة، يقع في السور الغربي للمسجد الأقصى ويعرف أيضً بباب الملك داوود.

١٠- باب المغاربة : يقع في السور الغربي للمسجد الأقصى، ويعرف أيضًا بباب البراق، وباب النبي.

١١- باب السكينة : ويعرف أيضًا بباب السحرة، وباب داوود، وهو من الأبواب الرئيسة للحرم، يتصل من الجهة الشمالية بباب السلسلة، وهو مغلق حاليًا، بني هذا اباب في عهد الأيوبيين، عليه نقوش متداخلة، ويتكون من جناحين، وعلى أحد جناحيه باب صغير بقدر دخول شخص واحدٍ.

أما الأبواب المغلقة فهي :

١- باب اتوبة: يقع في السور الشرقي للمسجد الأقصى.

٢- باب الرحمة : يقع في السور الشرقي للمسجد الأقصى.

٣- باب السكينة: يقع في السور الغربي للمسجد.

٤- باب البراق : يقع في السور الغربي لحرم المسجد الأقصى.

باب السلسلة (İY7 أرشيف)

باب الرحمة من داخل المسجد الأقصى (İY7 أرشيف)

باب المغاربة (İY7 أرشيف)

باب الرحمة كما يظهر من خارج أسوار المسجد الأقصى، وأمامه مقبرة إسلامية (İY7 أرشيف)

٢ – المساجد

آ – المسجد الأقصى

يقع المسجد الأقصى جنوب شرق المدينة القديمة بالقدس، وهو كامل المنطقة المحاطة بالسور، واسم لكل ما هو داخل سور المسجد الأقصى من المساجد تحت الأرض وظاهرها، والمصليات، والمآذن، والقبب، والمدارس، والأروقة، وتسمية المسجد الأقصى بـ « الحرم الشريف « نابع من الثقافة الشعبية، وقد اطلق مصطلح « الحرمين الشريفين « في العقيدة الإسلامية على المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة، ويجدر بنا ههنا أن نشير إلى أن كل ما يقع في حدود بيت المقدس من المساجد تحت الأرض وظاهرها، والمصليات، والمآذن، والقبب، والمدارس، والأروقة لها نفس القداسة وفق العقيدة الإسلامية والفقه الإسلامي، فمن اعتكف في الأماكن مكشوفة ضمن الحدود المذكورة للحرم القدسي حكمه حكم الإعتكاف داخل المسجد الأقصى.

يتكون حرم المسجد الأقصى من المستويات المختلفة:

١- المستوى الأول: تحت الأرض، ويحتوي على آبار للمياه، والقنوات، وبعض الأبنية المغطاة بالتراب.

٢- المستوى الثاني: تحت الأرض أيضًا ويضم المسجد المرواني(يقع شمال مسجد القبلة) والمسجد البراق، والمسجد الأقصى القديم (يقع تحت قواعد مسجد القبلة)، وباب الرحمة والتوبة، وكذلك الأبواب المغلقة (باب المفرد)و (باب المزدوج) و باب المثلث، وباب المغاربة والسلسلة.

٣- المستوى الثالث: الأرضية ويضم مسجد القبلة الواقع جنوب المسجد الأقصى، والساحات الرئيسة، والأبواب المفتوحة، والأروقة.

٤- المستوى الرابع : يرتفع عن الأرضية بقليل، ويشمل مسجد قبة الصخرة وحرمه، والقبب، والمصليات، وبعض الأبنية.

مدخل المسجد الأقصى القديم وداخله (İYV أرشيف)

الجذور التاريخية لاسم مسجد الأقصى

تعني كلمة الأقصى في العربية الأبعد، وسمي بذلك بسبب بعده عن المسجد الحرام يوم أوحي إلى النبي في مكة المكرمة، أما اكتسابه القدسية فيعود إلى البيان القرآني في سورة الإسراء « إلى المسجد الأقصى » في اشارته إلى بُعد البيت المقدس عن الكعبة المشرفة.

يقع المسجد الأقصى في الأرض المقدسة على نحو ما وصفها موسى عليه السلام في قوله تعالى في الآية ٢١ من سورة المائدة « يقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدُّوا على أدباركم فتنقلبوا خسرين « وقد جعل الله كامل الأرض التي عليها المسجد الأقصى أرضًا مباركةً كما جاء في الآية الأولى من سورة الإسراء، وتحظى المساجد الثلاثة مكانة خاصة بقداستها؛ المسجد الأقصى (معبد سليمان الأول)، أولى القبلتين، و ثاني المسجدين بعد الكعبة المشرفة على وجه الأرض، وقد روي في هذا الخصوص حديثٌ لأبي ذرٍ الغفاري رضي الله عنه.

ب - المسجد القبلي/ مسجد عمر بن الخطاب

يقع جنوب غرب المسجد الأقصى باتجاه القبلة، يستخدم اليوم مسجدًا للنساء، وهو مسجد ضيق وطويل، يتكون من صحن واحد (انظر الصورة رقم ١٩، مخطط المسجد الأقصى الحالي وملحقاته، رقم: ٩). أجريت تعديلات معمارية لموقع المسجد، وحين فتح المسلمون مدينة القدس سنة ١٥ للهجرة/ ٦٣٧- ٦٣٨ للميلاد، وجدوا حرم المسجد الأقصى مكشوفةً، عليه بقايا أبنيةٍ مهدمة، وأكوام القمامة.

بني أول مسجدٍ في بيت المقدس من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد عرف فيما بعد بمسجد عمر، أقيم هذا المسجد على قواعد معبد الملك هيرودس الذي هدم من قبل القائد الروماني تيتوس سنة سبعين للميلاد، حيث استخدم في بنائه بقايا أعمدة المعبد وأحجاره، كما استخدمت الأخشاب والأحجار المتوفرة بجوار القدس آنذاك في أبواب ونوافذ المسجد، وقد تم بناؤه خلال عشرين يومًا خلال زيارة الخليفة عمر بن الخطاب للمنطقة، يطول المسجد بصورة غير طبيعية من الجنوب إلى الغرب، وعمقه من الشمال إلى الجنوب ضيق، غير أنه يستوعب ٣ آلاف مصلٍ.

ظهور أول مسجد بني في منطقة بيت المقدس

مسجد عمر بن الخطاب

وفق ما جاء في المجلد الأول من كتاب « العمارة الإسلامية المبكرة » (Early Muslim Architecture, Oxford Press, ١٩) للمستشرق البريطاني أرشيبالد كاميرون كريزويل K.A.C. Creswell[١٢] الذي أعيد نشره عام ١٩٦٩، بني في الشطر الجنوبي من بيت المقدس (في موقع مسجد الأقصى اليوم) عام ٦٣٧ عقب فتح القدس مسجدٌ برعاية عمر بن الخطاب الذي قدم لإستلام مفاتيح القدس على يد جيش الفتح، استخدم في بنائه بقايا أعمدة وأحجار بناء ستوا (الصورة ٤ أ-ب) المتبقية من معبد جوبيتر الذي بناه الأمبراطور الروماني هادريان سنة ١٣٧ خلال أسبوعين أو ثلاثة (في مخطط هذا الخراب، الجزء الجنوبي الشمالي ضيق والجزء الشرقي الغربي طويل) في فترة زيارة الخليفة عمر بن الخطاب، واستخدم مسجدًا جامعًا للقدس لمدة ٧٠ -٧٥ عامًا (الصورة ٥) وقد استمر تسميته بمسجد عمر من عام ٦٣٧ إلى عام ٧١٠ – ٧١٥ حين هدم وأعيد بناؤه مجددًا، وتحول إلى المسجد الأقصى، غير أن التسمية استمرت في المصادر الغربية لإرتباطها بالفتح الإسلامي للمدينة

[١٢] ولد أرشيبالد كاميرون كريزويل عام ١٨٧٩م في لندن، عاش بين عامي ١٩٢٢ -١٩٧٢ في القاهرة، له مؤلفات ضخمة في مجال العمارة الإسلامية تعد مرجعًا في بابه كـ العمارة الإسلامية المبكرة، العمارة الإسلامية المبكرة في مصر. للاستزادة انظر:
Semavi Eyice, “Creswell, K.A.C”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 8: 75. (İstanbul: TDV Yayınları, 1994.).

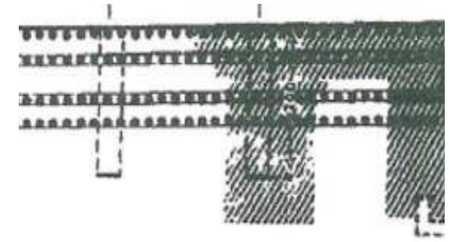

الصورة ٤ ب : مخطط تخميني لـ ستوا[١٥]

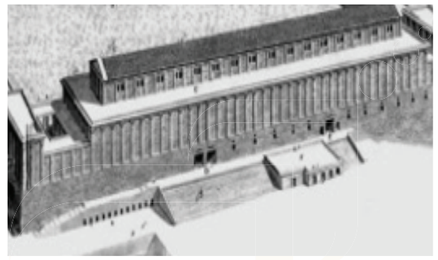

صورة ٤ أ (خيالية) منظر ستوا لهادريان[١٤]

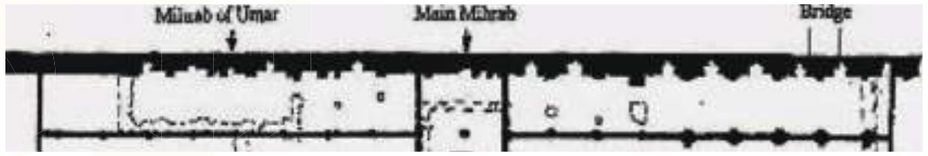

الصورة ٥ المخطط التخميني لمسجد عمر بن الخطاب[١٦]

ج – المسجد الأقصى

تحول مسجد عمر إلى المسجد الأقصى :

لـم يكـن مسـجد عمـر قـد بنـي وفـق مخطـط المسـاجد، حيـث أدى طـول قسـميه الشـرقي والغربـي إلـى صعوبـات عديـدة، مـا دفـع الخليفـة الأمـوي عبـد الملـك بـن مـروان المتوفـى سـنة٧٠٥ ميلاديـة إلـى هـدم مسـجد عمـر وإعـادة بنائـه، لكـن المنيـة وافتـه قبـل أن يحقـق مـا كان يصبـو إليـه، وقـام ببنائـه ولـده وليـد بـن عبـد الملـك - الـذي تولـى العـرش مـن بعـده – بيـن عامـي ٧١٠ – ٧١٥، وغـدا أول «مسـجد الأقصـى» فـي العهـد الإسـلامي وفـق الـرأي السـائد لباحثـي تاريـخ الفـن (الصـورة ٦)[١٧]

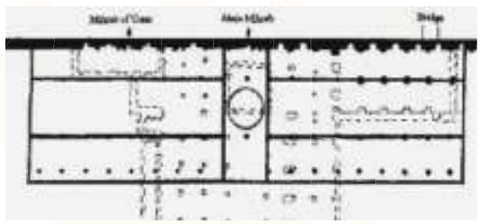

الصورة ٦ مخطط تخميني للمسجد الأقصى الأول الذي بناه الوليد بن عبد الملك على مخطط بثلاث بلاطات و جناح حوالي عام ٧١٠بعد ما هدمه عبد الملك بن مروان من أجل إعادة إعماره.

[١٤] أشار K.A.C. Creswell إلى أن بقايا بناء ستوا عائدة إلى المعبد الثاني الذي بناه الملك هيرودس سنة ٠٤ – ١٨ قبل الميلاد لا كما جاء في مصادر العصر القديم بأنها من بقايا معبد جوبيتر الذي بناه الإمبراطور هادريان انظر: هارمان، «القدس»، جـ: ٢٦، ص: ٣٢٥ ؛
(http: / / en.Wikipedia. org / wiki / Hadrian, n. 57, 58 (02.02.2016)

[١٥] انظر الصور ٥-٦ :
Myriam Rosen-Ayalon, “The Early Islamic Monuments of al-Haram al-Sharif: An Iconographic Study, Al-Masjid al-Aqsa-Al-Aqsa Mosque”, Qedem 28, Jerusalem 1989, pp. 4-7.

[16] Ayalon, Qedem 28, Jerusalem 1989, pp. 4-7.

[١٧] كان الوليد بن عبد الملك مولعًا بأعمال البناء، وقد ترك آثارًا كبيرة في فترة خلافته بين عامي ٧٠٥ – ٧١٥ كـ إعادة بناء المسجد النبوي، والمسجد الأموي في قلب دمشق، وتشييد قصرٍ في موقع فلل الحاخامات تحت الشطر الجنوبي للقدس .

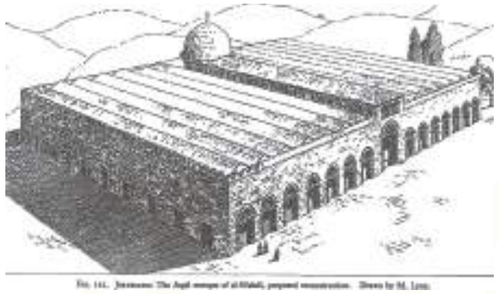

صورة ٧ ب : منظر تمثيلي خارجي للمسجد الأقصى الثاني وفق مخطط الخليفة أبو جعفر المنصور

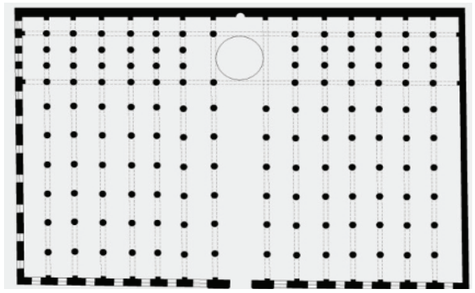

الصورة ٧ أ.[١٨] مخطط مبنى المسجد الأقصى الثاني، حيث أعاد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بناء المسجد الأقصى المبارك المكون من ثلاثة بلاطات الذي قام ببنائه الوليد الأول بـ ١٥ بلاطة في ٧٥٨-٥٩ (ويقال أن ابنه المهدي قد رممه عام ٧٨٦ -٧٨٧) (Creswell)

بقـي المسـجد الـذي بنـاه الوليـد بـن عبـد الملـك فـي القـدس إلـى سـنة ٧٥٠ حيـث انهـار كثيـر مـن أجزائـه بمـا فيهـا القبـة إثـر زلـزالٍ كبيـر ضـرب المنطقـة، وبقـي المسـجد علـى حالـه هـذا إلـى ٧٥٧ – ٧٥٨ حيـث أعـاد الخليفـة العباسـي أبـو جعفـر المنصـور بنائـه علـى شـكل مربـع، مكونًـا مـن ١٥ صحـنٍ، وأذيـب الذهـب والفضـة الموضوعـان فـي نقـوش أبـواب المسـجد، وصرفـت أثمانهـا علـى أعمـال البنـاء (الصـورة ٧ أ-ب).

وقـد بقـي المسـجد الأقصـى الثانـي إلـى عـام ١٠٤٠، حيـث تعـرض لدمـارٍ كبيـرٍ نتيجـة زلـزال ضخـم فـي ١٥ محـرم سـنة ٤٢٥ هـ / (١٠/ ١٠٣٣/١٢) ألـزم إعـادة بنائـه مـن جديـد، وفـي الفتـرة اللاحقـة فـي عهـد الخليفـة الفاطمـي الظاهـر سـنة ٤٢٦ -٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م اضطـر إلـى إعـادة بنائـه مغيـرًا مخطـط أبـو جعفـر المنصـور، حيـث كان المسـجد مؤلفًـا مـن ١٥ صحـن، فأنزلـه إلـى ٧ صحـون، مضيقًـا شـطريه الشـرقي والغربـي، وجعـل قسـمه الشـمالي طويـلًا (الصـورة ٨ أ).

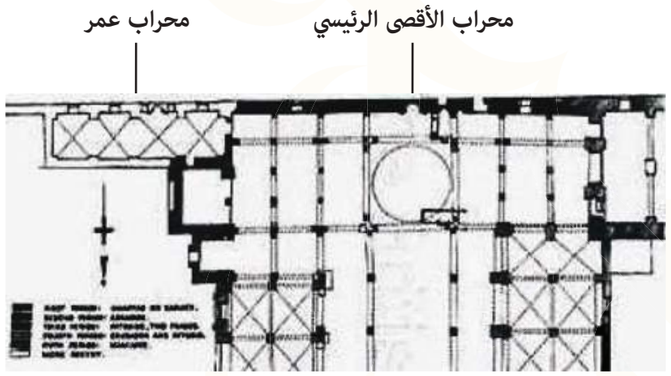

الصـورة ٨ ب. (التفاصيـل من الصورة ٨ أ)[١٩]
المحـراب الرئيسي لمسـجد الأقصى ومحراب عمر في الشـطر الجنوبي الشرقي

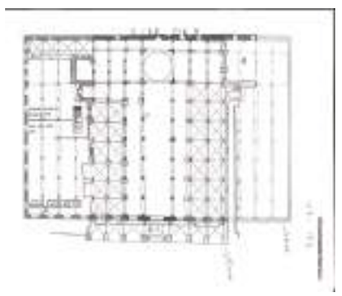

الصـورة ٨ أ. مخطط بناء المسـجد الأقصى الذي بنـاه الخليفة الفاطمي الظاهر سـنة ١٠٣٣ – ١٠٣٤، (هاملتون)

[18] Creswell, EMA, v. II, p. 122, Fig. 120: 1969/79 ve Creswell, A Short Acc. of EMA, UK, 1958, p. 211.

[19] KA.C. Creswell EMA, v. 1, pt. 1, p. 375, Oxford 1969/NY 1979.

صورة ٨ ج - ٨ د : جزء من المنطقة التي يقع فيها مسجد عمر المعروف أيضًا باسم مسجد القبلة الأول، ويظهر في الصورة محراب سيدنا عمر وقد تم وضعه هنا لاحقًا للتذكار (أرشيف iY٧).

صورة ٩ : الجناح الشرقي للمسجد الأقصى. ومحراب زكريا (أرشيف FA)

الصورة ١٠ : لوحة ترميم تعود إلى العصر السلجوقي الكبير، خلف محراب زكريا[٢٠]

[٢٠] كتب بالخط الكوفي الفاطمي على النقش ما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله للإمام أبي القاسم عبد الله الإمام المقتدي بامر الله امير المومنين ... وامر ٢ -بعمله الملك الأجل المويد المنصور المظفر تاج الدولة وسراج الملة و]شرف الأمة ابي سعيد تتش بن ملك الإسلام ناصر امير المومنين اعز الله نصره جرى ذلك على يد الوزير الأجل فخر المعالي ناصح الدولة ابو نصر احمد بن الفضل ابتغاء ثواب الله [٤].... -للملة توقيفه وكتب في ذي الحجة سنة ست او سبع وسبعين واربع مائة وصلى الله على محمد» . تآكل النقش بشكل كبير خاصة في الجزء الأخير من الأسطر الثالث الأولى. انظر للنص : خضر سلامة، «نقش سلجوقي من المسجد الأقصى «، حوليات القدس | العدد السادس عشر | خريف - شتاء ٢٠١٣ ص. ٥٤ .

استولى السلاجقة سنة ١٠٧٥ بقيادة آتسيز Atsız أحد قادة السلطان السلجوقي ألب أرسلان على القدس، حيث بقيت في يد المسلمين الأتراك ٢٥ عامًا، وقد أجروا ترميماتٍ في مدينة القدس والمسجد الأقصى خلال هذه الفترة، ويقع إحدى كتابات الترميم (الصورة ١٠) والذي ذكر فيها اسم تتش خلف المحراب المعروف في أيامنا باسم محراب أربعين (الصورة ٩)، وفي سنة ١٠٩٩ اضطر الأتراك السلاجقة نتيجة ضغوط قائد الجيش الفاطمي أفضال نجل والي عكا السابق الوزير بدر الجمال المنحدر من أصول أرمنية – إلى الانسحاب من القدس، وعقب انسحاب السلاجقة أبرم القائد أفضال اتفاقية مع الصليبيين الذين كانوا يحاصرون القدس تنازل بموجبها عن القدس للصليبيين دون قتال، ومع انسحاب الجنود الفاطميين من المدينة قام الصليبيون بمجزرة رهيبة في المدينة.

وحين احتل الصليبيون مدينة القدس سنة ١٠٩٩، حولوا مدخل الأقصى إلى كنيسة، وجعلوا قسمه الآخر مأوى لفرسان المعبد، كما جعلوا أقسامه السفلية اسطبلًا لخيولهم ودوابهم، ومستودعًا للمؤن. بقيت القدس بيد الصليبيين ١٨٨ عامًا إلى أن حررها صلاح الدين الأيوبي بعد أن وحَّد العالم الإسلامي سنة ١١٨٧، ودخلت المدينة بذلك في حكم المسلمين مجددًا، ويوجد في المدينة آثارٌ تعود إلى عهد صلاح الدين الأيوبي، وتعد الكتابات الموجودة على المحاريب (الصورة ١٣ أ، ب)، والمنابر (الصورة ١٦ أ، ب)[٢١] والأغطية الرخامية دلائل واضحة عن الترميمات الأيوبية في عهد صلاح الدين الأيوبي بالمسجد الأقصى.

تذكر المصادر التاريخية قيام الأمويين بوضع محرابٍ في مسجد عمر (الصورة ٥، ٨ ب) غير أنه أزيل في الفترات اللاحقة أثناء إعادة بنائه، ووضعت محاريب أخرى متنوعة مكانه. وفي القرن السادس عشر وضع محراب كبير في الجناح الشرقي للمسجد (الصورة ٨ ج).

صورة ١١. الأقواس السبعة المدببة للمسجد الأقصى (الباقية من الصليبيين في القرن الثاني عشر) مع المدخل الأمامي (الشمالي) ومدخل الطابق السفلي، والذي يستخدم بعضه اليهود كمعبد يهودي ويتسخدم قسمًا منه المسلمون كمسجد صغير (FA أرشيف)

صورة ١٢ : الصحن الأوسط الأوسع للمسجد الأقصى. منظر عام للعوارض المغطاة بالأخشاب والتي أعيد بناؤها بعد حريق عام ١٩٦٩ بين أعمدة البلاطات (أرشيف iY٧)

[٢١] وقد أصيب هذا المنبر بأضرار بالغة في حريق اندلع نتيجة تعمد من قبل متعصب يهودي في المسجد عام ١٩٦٩ وتمت إزالته. بعض القطع منه معروضة في المتحف الإسلامي. تم بناء المنبر الخشبي، الموجود في مسجد الأقصى اليوم، في عام ٢٠٠٨ بالتعاون مع عامل خشب من تركيا وجامعة السلط الأردنية، على غرار منبر صلاح الدين (الصورة ١٧).

تشير المصادر إلى قيام المسجد الأقصى الحالي البالغ طوله ٨٠ مترًا وعرضه ٥٥ مترًا على ٥٣ عمودٍ من الرخام، و٤٩ عمود مربع، وكذلك في قبو المسجد يوجد ملحق ومراب وعناصر من الرخام (الصورة ١٨ أب). ويوجد للمسجد الأقصى ١٥ بابًا.

الصورة ١٣ ب. نقش صلاح الدين أيوبي على محراب المسجد الأقصى (أرشيف i٧٧)

الصورة ١٣ أ. المحراب الرئيسي للمسجد الأقصى بعقده المدببة وزخارفه الفسيفسائية الداخلية، والتي تعتقد أنه يعود إلى عهد صلاح الدين الأيوبي (أرشيف FA)

صورة ١٤-١٤ ب محراب المسجد الأقصى من عهد صلاح الدين (أرشيف i٧٧)

الصورة ١٥ أ : منظر من الداخل للمسجد الأقصى / مسجد القبلة (أرشيف MT)

الصورة رقم ١٥. منبر المسجد الأقصى من عهد صلاح الدين الأيوبي (كريسويل، ثلاثينيات القرن الماضي)

الصورة ١٦ أ-ب. مناظر من الأمام والأبواب والواجهة التي تواجه المحراب وجانب منبر كوندركاري الذي يبلغ عمره ٨٠٠ عام والذي احترق في حريق عام ١٩٦٩ بالمسجد الأقصى المعروف بمنبر صلاح الدين الأيوبي (الصورة ١٦ أ-ب، كريسويل ثلاثينيات القرن الماضي).[٢٢]

الصورة ١٧. المنبر الجديد الذي بني في عام ٢٠٠٩ بقصد محاكاته منبر صلاح الدين الذي دمر في حريق عام ١٩٦٩ (آرشيفIY٧)

صورة ١٨ أ-ب مزرعة خيول سليمان الواقعة في قبو المسجد الأقصى / المسجد المرواني (أرشيف MT و IY٧)

[22] K.A.C Creswell, 1930'lar https://archnet.org/sites/2809 yoluyla.

مخطط المسجد الأقصى الحالي وملحقاته:

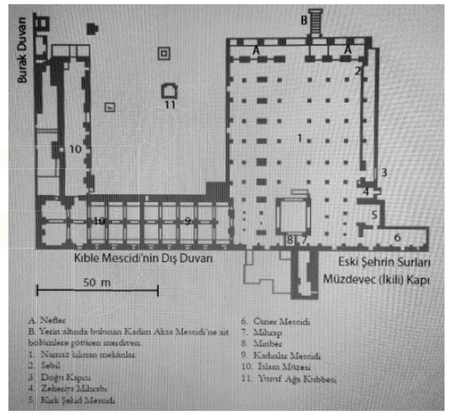

الصورة ١٩ أ. مخطط المسجد الأقصى الحالي وملحقاته[٢٣]

مفتاح لقراءة مخطط المسجد الأقصى الحالي وملحقاته:

آ. الصحون، ب. الدرج المؤدي إلى الأقسام الموجودة في قبو المسجد الأقصى القديم.

١. المصليات. ٢. السبيل. ٣. الباب الشرقي. ٤. محراب زكريا. ٥. مسجد الأربعين شهيد. ٦. مسجد عمر بن الخطاب. ٧. المحراب. ٨. المنبر. ٩. المسجد القبلي/ مصلى النساء. ١٠. المتحف الإسلامي. ١١. قبة يوسف آغا.

د - مسجد الأربعين شهيد

وهو غرفة واسعة، يقع شمال مسجد عمر بن الخطاب، ويشرف الباب الآخر لمسجد عمر على المسجد القبلي، ويعد جزءًا من المسجد القبلي، وسمي بمسجد الأربعين شهيد (انظر الصورة رقم ١٩ أ، خطة الملحقات، رقم ٥) حسب الرواية القائلة بدفن أربعين من الصالحين والأنبياء فيه، غير أنه لا يوجد ما يؤكد ذلك في المصادر التاريخية

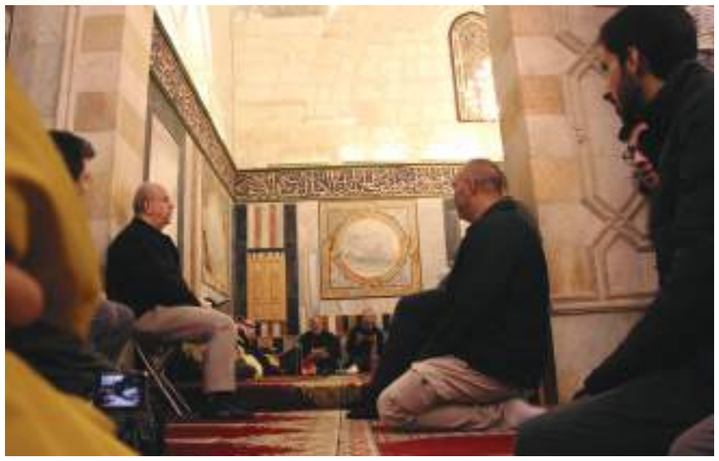

صورة ١٩ ب- مسجد الأربعين شهيد (أرشيف iY٧)

[٢٣] «دليل المسجد الأقصى «، وزارة السياحة والآثار الفلسطينية، ص: ١١.

هـ - محراب زكريا عليه السلام

عثر على محرابٍ في غرفة ملتصقة بالقسم الشرقي للمسجد القبلي، وينسب إلى زكريا عليه السلام غير أن المعروف بناؤه في القرن السادس عشر، وبسبب الآية ٣٧ من سورة آل عمران « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا « بنى المسلمون هذا المحراب في الغرفة التي بناها السيدة مريم في زاوية المعبد الثاني الذي بناها الملك هيرودس في بيت المقدس تخليدًا لذكرى بناء السيدة مريم للمحراب أوالغرفة، (الصورة ٩) وقد عُرِف من الكتابة السلجوقية على الجدار وجود هذا المحراب (الصورة ١٠).

خ - قبة الصخرة

مع تولي عبد الملك بن مروان عرش الخلافة الأموية (على الرغم من عبد الله بن الزبير الذي انتخبه أهل مكة والمدينة والحجاز خليفة بعد وفاة والده مروان بن حكم). شيد مسجد قبة الصخرة (الصور ٢٠، ٢٥، ٢٧، ٢٩). بين عامي ٦٧ -٧٢ هـ (٦٨٦ – ٦٩٢ م) في بيت المقدس ليكون مفخرة المسلمين أمام كنيسة القيامة في مدينة القدس (الصورة ٢٣ – ٢٤ – ٢٥ – ٢٦) وقد بناه على هضبة المعابد (Mount Moria)، وهو عبارة عن بناء مثمن الأضلاع وأحاطه بسورٍ.[٢٤]

يعد المسجد من أبرز وأقدم نموذج في العمارة الإسلامية، ويعلوه قبة دائرية، مغطاة أولًا بألواح نحاسية ومطلية بالذهب، ويعلو القبة هلال مطلي بالذهب أيضًا بارتفاع خمسة أمتار، وفي داخل المسجد في القسم الأسفل يوجد مغارة ويغطيها «الحجر المعلق/ الصخرة المشرفة « (صورة ٢٩، ٣٠) [من العصر الأموي]،ويعتقد أن هذه الصخرة التي عرج منها النبي محمد إلى السماء في رحلة الإسراء والمعراج.

رسم تخطيطي لقبة الصخرة في القدس القديمة

[٢٤] اعتبر اليهود نظرًا على هذا التل الصخري لأنه كان المكان الذي حاول فيه إبراهيم التضحية بإسحاق وكان الكهف الموجود تحت الصخرة هو المكان الذي تم فيه إخفاء تابوت العهد خلال هيكل سليمان الأول، فقد اعتبروا هذه الصخرة والمغارة بمثابة «أقدس المقدس»، تيتوس عام ٧٠ بعد الميلاد وهادرين عام ١٣٧. ومن المعروف أنه خلال فترة الحكام المعتدلين الذين أتوا بعد فترة نفي اليهود من القدس، كانوا يأتون إلى القدس مرة في السنة ويصلون حول هذه الصخرة بتلاوة آيات من التوراة (انظر هارمان، «القدس»، ٢٦: ٣٢٥). بعد استسلام القدس بدون حرب عام ٦٣٧ هـ. عندما دخل عمر هذه المنطقة، لم يتمكن من العثور على موقع الصخرة. سبب عدم العثور على الصخرة هو أن المسيحيين، الذين كانوا في إدارة المدينة لفترة طويلة، كانوا غاضبين من اليهود لدعمهم مكافحة الحرائق الساسانية في الحروب البيزنطية الساسانية في ٦١٣ و ٦٢٨، وأيضًا لأنه كان ممنوعًا البناء هنا بواسطة آيتين من الكتاب المقدس) لمنع إعادة بناء الهيكل هنا من قبل اليهود، وتحولت المنطقة إلى مكب نفايات في المدينة وتركت هذه الصخرة تحت أكوام القمامة. لكن، أظهر كعب الأحبار، الذي دخل المدينة مع عمر، مكان الصخرة. يقال أن عمر رضي الله عنه قام بتنظيف القمامة حول وحول الصخرة احتراما لإبراهيم. في وقت لاحق عام ٦٥٨. ومعلوم أن معاوية بن سفيان جاء إلى القدس بعد صفين وصلى حول هذه الصخرة عندما حصل على الولاء للخلافة. يُذكر أن هذه الصخرة، التي لم يكن لها أهمية كبيرة بالنسبة للمسلمين حتى هذا التاريخ، قد ارتبطت بحدث المعراج منذ عام ٦٦١، وازدادت أهميتها من خلال الروايات المختلفة . انظر:
N. Bozkurt, “Kubbetü’s-Sahre”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 26: 305. (Ankara: TDV Yayınları, 2002

الصورة ٢٠ : مواقع قبة الصخرة كنيسة القيامة / قمامة (Holy Sepulchre) في القدس الشرقية (IYV Archive)

صورة رقم ٢١. منظر جوي لفناء كنيسة Holy Sepulchre (القيامة/ القمامة) [٢٥]

الصورة ٢٢ مسجد قبة الصخرة من الداخل

صورة ٢٣. من داخل كنيسة القيامة يعتقد من قبل المسيحيين أن هذا الحجر قد وضع على عيسى عليه السام عندما تم إنزاله عن الصليب (أرشيف i٧٧)

صورة ٢٤. السورة مكتوبة فوق الجوانب الثمانية السفلية على قبة الصخرة

صورة رقم ٢٥. قبة الصخرة (التي عرفت في السنوات الأخيرة بقبة السلسلة) أول بناية لبيت المال في القدس (أرشيف i٧٧)[٢٦]

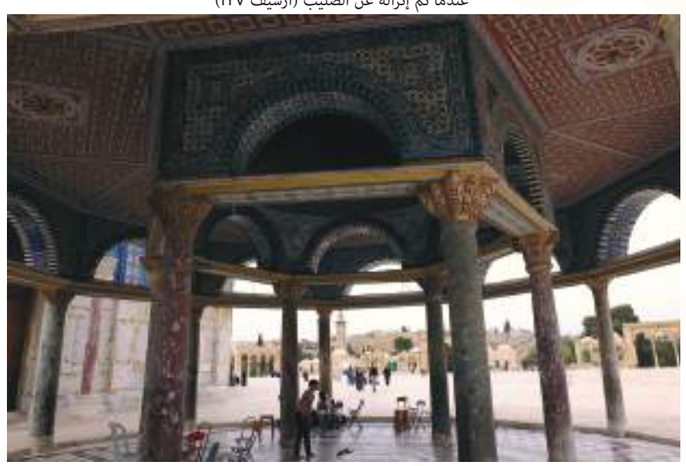

الصورة ٢٥ أ. منظر داخلي لقبة السلسلة (أرشيف MT)

صورة ٢٧. باب قبة الصخرة الذي تم تركيبه على الأعمدة اللاحقة

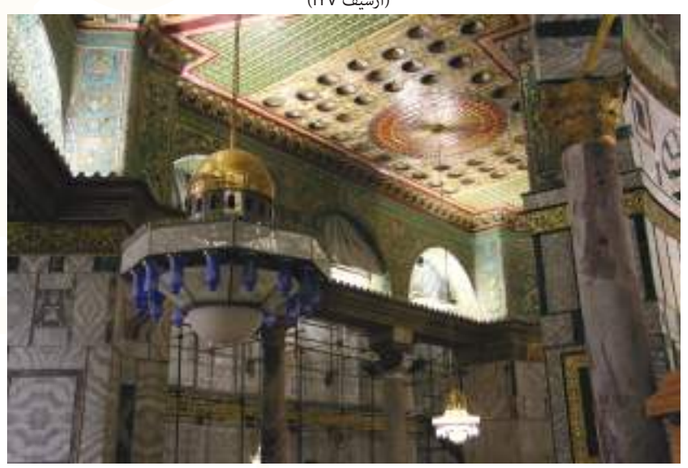

صورة ٢٨. الممر الثاني حول الصخرة وزخارف السقف من قبة الصخرة (أرشيف IYV)

[٢٥] الصورة ٢٢-٢٣،
http:/ /www.newadvent.org/cathen/07202b.html (02.09.2017).
قطر قبة هذه الكنيسة أكبر بمقدار ٣-٥ سم من قبة الصخرة . ويوجد أيضًا ضريح / مغارة، أسفل الكنيسة (كما في قبة الصخرة تمامًا، الصورة ٢٩-٣٠)، وهو المكان الذي كان فيه السيد المسيح مدفونًا ثم اختفى لاحقًا (يُزعم أنه أحيي ثم صعد إلى السماء) (صورة ٢٣ أ-ب) . ويقال لهذا المكان «القبر المقدس»، وهو أيضًا اسم الكنيسة، يشير إلى القبر (الكهف) الذي ينتظر السلام، حيث تم وضع جسد عيسى المسيح عليه السلام بعد صلبه.

[٢٦] على الرغم من أنه يشار إليها باسم قبة السلسلة في المنشورات الحديثة، فقد تم بناء هذا الهيكل من قبل عبدالملك كمبنى لبيت المال في عام ٦٨٦ للحفاظ على الذهب لاستخدامه في بناء قبة الصخرة، وبعد ذلك تم تحويلها إلى مكان للصلاة من خلال بناء أروقة حولها ووضع محراب بداخلها . انظر:
(Bk. K.A.C. Creswell, EMA, v. 1, pt. 1, p. 98, n. 6, Oxford 1969/NY 1979).

بُنيت هذه القبة في منطقة مكشوفة في وسط الأرض المشمولة بالمسجد الأقصى، بارتفاع أربعة أمتار عن أرضية مسجد القبلة. ويمكن الوصول إلى هذه الساحة حيث تقع القبة، بالمرور تحت الأقواس عند ثماني نقاط مختلفة، والتي تم بناؤها لإضافة الجمال إلى الفضاء. يغطي الهيكل العظمي للقبة مساحة تحيط بالدائرة في وسط بناء مثمن يبلغ طوله ٢٠٫٥٩ مترًا وارتفاعه ٩٫٥ مترًا، مع أربعة أبواب. بين القبة والبناء المثمن من الخارج، يوجد شريط قلادة دائري مزين بالبلاط، كُتبت عليه بعض آيات سورة الإسراء باللون الأبيض، على أرضية زرقاء، على الجانب العلوي، وتحيط بالكامل جميع واجهاتها.

على الأسطح الخارجية للواجهات الثمانية، كُتبت سورة يس بالكامل باللون الأبيض على خلفية زرقاء، تبدأ من واجهة القبلة وتنتهي هناك (الصورة ٢٤، ٢٧). يُفهم من التوقيع أن من كتب هذه الكتابة هو الخطاط محمد شفيق بك تلميذ القاضي عسكر مصطفى عزت من اسطنبول (الصورة ٣٤ أ، ب). وذلك خلال الإصلاحات والترميمات التي أجريت في المدينة وهذه المنطقة، حيث تم استبدال بعض البلاط البالي من عهد القانوني ببلاط جديد بعد أن أصبحت القدس محافظة في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦٣-١٨٦٥). فيمكن لأي شخص يدخل إلى هذا المبنى أن يرى داخل المبنى الذي يقف بالأعمدة من زاوية واسعة، بغض النظر عن أي من هذه الأبواب أربعة دخل، بفضل ميل الأعمدة التي تحافظ على بقاء الدائرة بين ٢٫٥ درجة و ٣ درجات.

الصورة ٢٩ أ. منظر من داخل قبة الصخرة (أرشيف i٧٧)

الصورة ٢٩ ج. منظر داخلي لقبة الصخرة الرائعة المغطاة بالذهب من الخارج (أرشيف i٧٧)

الصورة ٢٩ أ. منظر من داخل قبة الصخرة (أرشيف i٧٧)

الصورة ٣٠ ب. موقع المحراب للعهد المبكر في الكهف على يمين الدرج (أرشيف FA)

الصورة ٣٠ أ. محراب من القرن العاشر على يمين الدرج المؤدي إلى الصحراء (صخرة) (أرشيف FA)

الصورة ٣٠ ج. الجزء الشمالي الغربي من الكهف الذي تم توسيعه ليتسع من ٢٥ إلى ٣٠ شخصًا. (أرشيف FA)

الصورة ٣١ ب. تطريز زجاج معشق على النوافذ من عهد سليمان القانوني (أرشيف FA)

الصورة ٣١ أ. تطريز زجاج معشق لنافذة عثمانية نقش عليها الآية : «إن الدين عند الله الإسلام » من عهد سليمان القانوني في المسجد الأقصى (أرشيف FA)

الصورة ٣٢ أ-ب، قبور محمد جلبي النقّاش على اليمين والمهندس بيرام الرقيب من الفريق الذي قام بإصلاح أسوار القدس خلال فترة القانوني، لا تزال باقية بين المنازل في المدينة (iY٧٧ أرشيف)

الصورة ٣٣ أ-ب. منظر لأحجار نقش النمر المزدوج من فترة السلطان المملوكي بيبرس، والتي كانت موضوعة على الحائط بينما تم ترميم البوابة المعروفة باسم باب الأسد (Lions Gate) والجدران خلال أعمال إعادة الإعمار الكبرى في القدس في عهد سليمان القانوني (أرشيف iY٧)

توقيع الخطاط محمد شفيق بك في واجهة بداية ونهاية سورة يس

الصورة ٣٤ أ. بأمر من السلطان عبد العزيز (١٨٧٣-١٨٧٥)، غطيت البلاطات المزينة بنقش سورة يس على ثماني واجهات لقبة الصخرة (الجزء العلوي من الواجهة الجنوبية، حيث تقع بداية ونهاية سورة ياسين)

الصورة ٣٤ ج. جزء من النقش الموجود على الواجهة المواجهة للقبلة، حيث تبدأ وتنتهي سورة يس، خطه محمد شفيق بك (ت ١٨٨٠) ليستدير بجولة في الواجهات الثمانية لقبة الصخرة بأمر من السلطان عبد العزيز (الصورة ٣٤ أ- أرشيف c FA)

قبة الصخرة في العهد العباسي :

اهتم العباسيون بمسجد قبة الصخرة، وقاموا بترميمها عدة مرات، وقد أجريت أهم هذه الترميمات في عهد الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور سنة ٧٥٨ – ٧٥٩ م، بعد أن تعرض ما بناه الوليد بن عبد الملك لدمار كبير إثر زلزال كبير ضرب المنطقة سنة ٧٥٤م، حيث رفع أبو جعفر المنصور عدد صحون المسجد إلى ١٥ صحنًا بعد أن كان مؤلفًا من ٣ صحون، وقد رمم المسجد في الخليفة العباسي المهدي سنة ٧٨٦م، ثم في عهد الخليفة المأمون سنة ٨٣١م، هذا وقد رمم أيضًا في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٩١٣م / ٣٠١هـ من قبل والدته حيث صنعت أبواب خشبية كبيرة لمسجد قبة الصخرة.

قبة الصخرة في عهد الفاطميين :

أجريت عملية صيانة كبيرة في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر بأمر الله أبو حسن بن الحكم سنة ١٠٣٣ عقب زلزالٍ كبير تسبب بدمار المسجد، كما قام الخليفة الفاطمي أبو جعفر عبد الله ببعض الإصلاحات فيه.

قبة الصخرة في عهد الصليبيين :

احتل الصليبيون القدس سنة ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ، وقد حولوا المسجد خلال احتلالهم للمدينة إلى كنيسة، وسموها «معبد الرب»، وزينوها بعض الصلبان والأيقونات، وغطوا الحجر المعلق بالحديد لمنع الناس من اقتطاع أجزاء منه، وغدت هذه الكنيسة معسكرًا لفرسان المعبد ومقرًا لإجتماعاتهم، وبعد تحرير القدس من الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م حوله إلى سابق عهده مسجدًا.

قبة الصخرة في عهد الأيوبيين :

بعد تحرير صلاح الدين الأيوبي للقدس، قام بعملية إصلاحات شاملة في مسجد قبة الصخرة، وأزال المعالم الصليبية عن المسجد، وزينه بزخارف إسلامية، كما أجرى تعديلات في الجدران الداخلية للمسجد، فزينوه بزخارف مطلية بالذهب.

قبة الصخرة في عهد المماليك:

أولى المماليك أهمية كبيرة لمسجد قبة الصخرة، حيث قاموا بإصلاحات كثيرة فيه، ففي عهد الظاهر بيبرس إصلاحات شاملة لمسجد قبة الصخرة، كما زخرف خارجه بزخارف قيمة سنة ٦٥٩ هـ /١٢٦٤م، وفي عهد الملك العادل المنصوري ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤م أجريت إصلاحات ثانية في المسجد، وتتالت الإصلاحات وعمليات الترميم أيضًا في عهد السلطان محمد بن قلاوون، والأمير محمد بن سيف الدين الظاهري.

قبة الصخرة في عهد العثمانيين :

أولى السلاطين العثمانيين أهمية كبيرة لمسجد قبة الصخرة، حيث استبدل زخارف المسجد بزخارف أخرى استقدمها بشكل خاص من إسطنبول سنة ٩٥٥ – ٩٦٩ هـ / ١٥٤٨ – ١٥٦١م، كما رمم بناء المسجد ترميمًا عامًا، وفتح للمسجد نوافذ جديدة، ولبّس أبوابه بزخارف نحاسية، وفي عهد السلطان عبد المجيد الثاني أجريت ترميمات شاملة في مسجد قبة الصخرة، وفي سنة ١٢٧٠هـ /١٨٥٣م أعاد للمسجد جماله القديم، وفي سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م أمر السلطان عبد العزيز بوضع ثريا كبيرة بين الباب في جهة القبلة والمنبر، وفي عام ١٨٦٣-١٨٦٤م أمر بكتابة سورة ياسين على الجدار الخارجي للمسجد.

قبة الصخرة في عهد الهاشميين:

قام الهاشميون (الأسرة الحاكمة للدولة الأردنية حاليا) بأعمال في أوقات مختلفة لإعادة بناء قبة الصخرة، منذ أن تولوا إدارة المسجد الأقصى وحمايته. أمر الملك عبد الله الأول بإصلاح القبة بشكل شامل في حوالي عام ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م. و وتلا هذه الإصلاحات ما تم في عهد الملك عبد الملك حسين بن طلال من أعمال صيانة وترميم، وتم تغطية القبة بطلاء من الألمنيوم ذهبي اللون. تم تركيب الكرات الرخامية على الجدران الداخلية. تم الانتهاء من إصلاح البلاط الخارجي في السنة ١٣٧٢ /١٩٥٣ م

بدأ نشاط تنموي طويل يعرف بالمرحلة الثالثة والذي استمر من عام ١٣٨٩ / شهر ١٩٦٩ حتى ١٤١٥ / شهر ١٩٩٤. خلال هذه الأعمال، تم تجديد قبة قبة الصخرة بطلاء جديد آخر مصنوع من النحاس الممزوج بالزنك، وغطى بورق ذهب عيار ٢٤. تم الحفاظ على الزخارف بالداخل. بسبب المواد الخشبية في القبة، تم تركيب نظام حماية وإطفاء. واليوم، يواصل الهاشميون (بدعم من دول إسلامية أخرى) تنفيذ أعمال الصيانة والإصلاح للمسجد الأقصى وقبة الصخرة[٢٧] من خلال الوقف الإسلامي في القدس.[٢٨]

نقوش فسيفساء على الجدران الداخلية لقبة الصخرة وقرائتها بالعربية[٢٩]

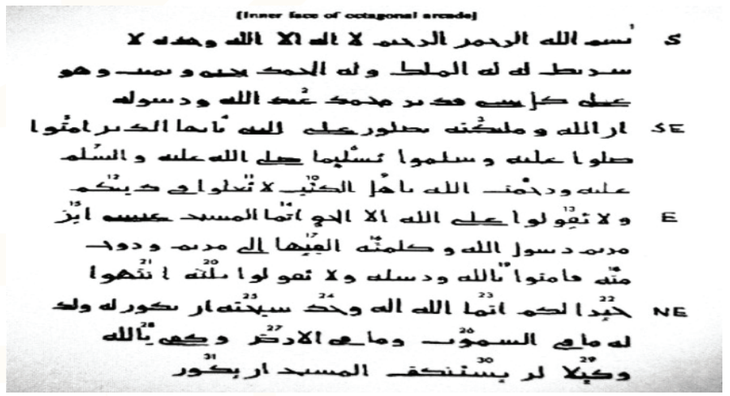

الصورة ٣٥ أ. كتابات فسيفساء لقبة الصخرة (المجموعة الأولى)

٢٧ في ٢٧ هـ / ١٤٣٣/٢٠١٢ م وبالتعاون مع لجنة إعمار المسجد الأقصى ووكالة التعاون والتنسيق التركية (تيكا)، تم تنفيذ إعادة طلاء هلال قبة الصخرة بالذهب من جديد. (باسيا، ١٢).

٢٨ باسيا، ١٥

٢٩ تم نسخ نصوص النقوش الموجودة (قياسا على الأسلوب الكوفي القديم) على الجزء الداخلي والخارجي للمثمن داخل قبة الصخرة، والمنقوشة بفسيفساء (ذهبية اللون) من عهد عبدالملك، من قبل مؤرخ الفن د. كريستل كيسلر (وهو الذي ساعد في تحديث كريسويل EMA لعام ١٩٦٩). (وضع د. كيسلر، رموز W، E، S، N للواجهات مع نقوش وهوامش في النصوص، مع تفسيرات للتعليقات (وبعض الاختلافات) في منشورات مثل Max v. Berchmen، Corpus Inscriptonum Arabicorum، Jarusalem II، Haram، MIFAO، XLIV، ١٩٢٧) .

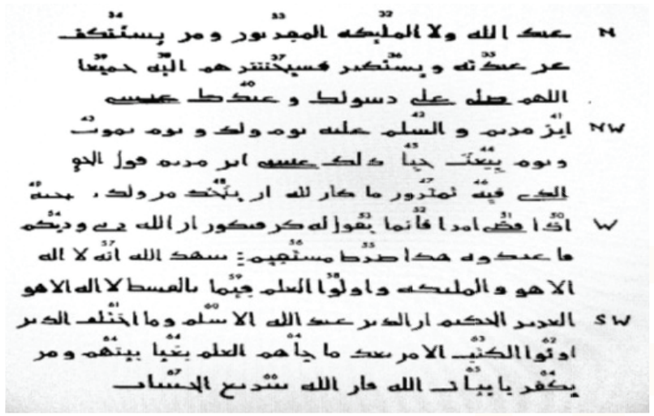

الصورة ٣٥ ب. كتابات فسيفساء لقبة الصخرة (المجموعة الثانية)

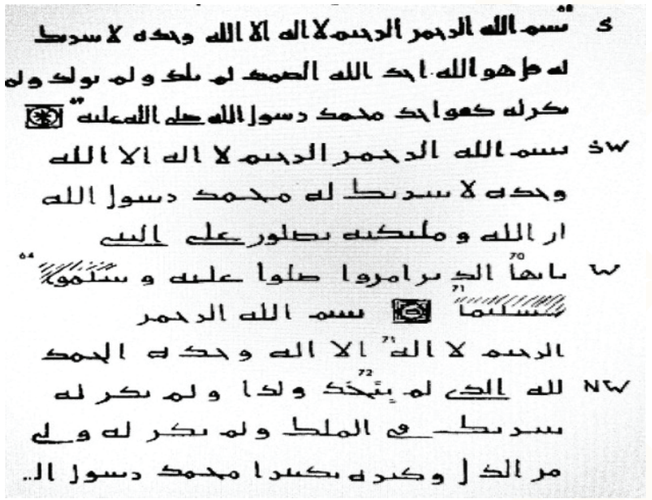

الصورة ٣٥ ج. كتابات فسيفساء لقبة الصخرة (المجموعة الثالثة)

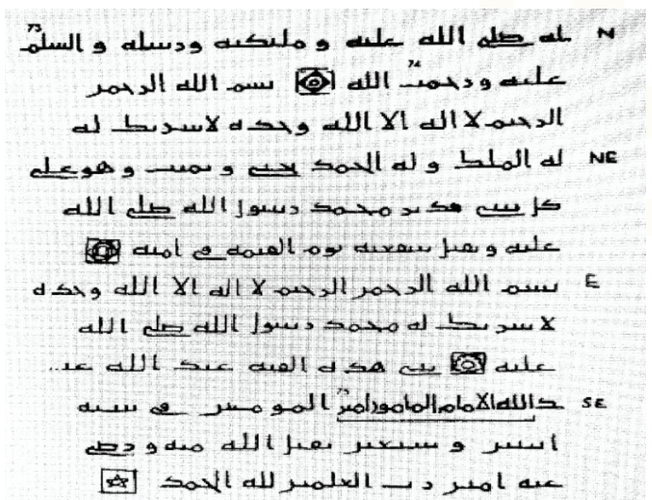

الصورة ٣٥ د. كتابات فسيفساء لقبة الصخرة (المجموعة الرابعة)

رسـم تخطيطي يوضح مواقع النقوش الفسيفسـائية في قبة الصخرة من إعداد ماركوس ميلرايت

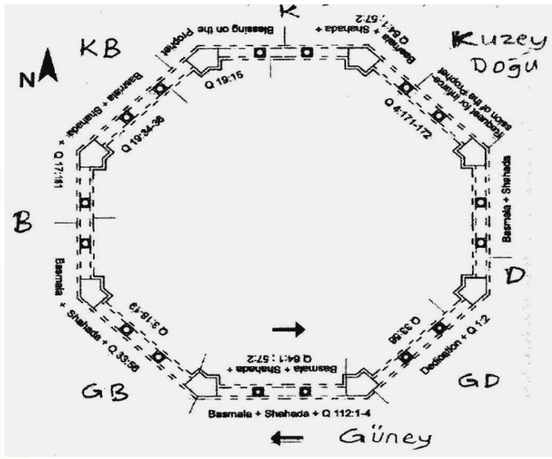

الصورة ٣٥ هـ. رسـم تخطيطي يوضح المسـاحات المكتوبة على الدوائر الداخلية والخارجيـة لقبـة الصخرة وما هو مكتوب هناك[٣٠]

مفتاح النقوش الكتابات على الواجهات العلوية للدائرة الخارجية:

الجنوب (القبلة): البسملة + كلمة الشهادة + سورة الإخلاص، الجنوب الغربي: الآية ٥٦ من سورة الأحزاب.

غربا: بسملة + كلمة الشهادة، الشمال الغربي: بسملة +كلمة الشهادة + الآية ١١١ من سورة الإسراء،

الشمال: صلوات + صلوات. + كلمة الشهادة، الشمال الشرقي : الآية ١ من سورة التغابن+ الآية ٢ من سورة الملك + الصلاة.

شرقًا: البسملة + كلمة الشهادة، الجنوب الشرقي: صلوات + الآية ٢ من سورة الفاتحة.

مفتاح النقوش الكتابات على الواجهات العلوية للدائرة الداخلية:

الجنوب (القبلة): البسـملة + كلمة الشـهادة + الآية ١ من سـورة التغابن+ الآية ٢ من سـورة الحديد، الجنوب الشرقي: الآية ٥٦ من سورة الأحزاب.

شرقًا: لا يوجد نص، الجنوب الشمالي: الآيتان ١٧١-١٧٢ من سورة النساء.

الشمال: الآية ١٩ من سورة مريم، الشمال الغربي : الآيات ٣٤-٣٦ من سورة مريم.

غربا: لا يوجد نص، الجنوب الغربي :+ الآيتان ١٨-١٩ من سورة آل عمران.

المعالم المهمة حول بيت المقدس :

١- مهد عيسى عليه السلام :

وهـو عبـارة عـن قبـة صغيـرة، بنـي فـي عهـد السـلطان عبـد الحميـد الثانـي سـنة ١٣١٦ هـ، يقـع جنـوب شـرق المسـجد المروانـي، تقـوم القبـة علـى أربعـة أعمـدة، وتحـت هـذه القبـة حـوض حجـري، وأمـام المهـد محـراب حجـري. أُطلق علـى هـذا المـكان اسـم «مهـد المسـيح عيسـى « بسـبب البركـة الحجريـة التـي تـم وضعهـا هنـا فـي عهـد الفاطميـين أو العباسـيين وفقًـا للـرأي الراجـح. ورغـم ذلـك أدلـى رجـال الديـن البـارزون فـي الكنيسـة المسـيحية بالقـدس بتصريـح حـول هـذا المهـد مخالفًـا للشـائعات، وأعلنـوا عـدم وجـود قطعـة أثريـة أو مـكان مخصـص لهـم فـي حـرم المسـجد الأقصـى.

[٣٠] هناك شرح جزئي لمحتويات النقوش:
Mehmet Tütüncü, "Kubbetüssahra Yazıları", Düşünce ve Tarih, 4/40, (Ocak 2018): 37-44.

صورة ٣٥ ح، مسـجد البراق (أرشيف I٧٧)

صورة ٣٥ ز، محراب البراق (أرشيف i٧C)

الصـورة ٣٥ هــ رسـم تخطيطي يوضح المسـاحات المكتوبة على الدوائر الداخلية والخارجيـة لقبة الصخرة وما هو مكتوب هناك[٣٠]

٢- مسجد البراق (العصر الأموي / العصر المملوكي):

يقع المسجد بإزاء حائط المبكى، وداخل الرواق الغربي للمسجد الأقصى، في موقع يمتد إلى الشمال من باب المغاربة، والمسجد عبارة عن مبنى كبير أسطواني مقبب يمكن الوصول إليه بواسطة سلم. واطلق هذا الإسم على المسجد للإعتقاد السائد لدى المسلمين بأن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ربط البراق بحلقة على جدار هذا المسجد ليلة الإسراء المعراج. بني هذا المسجد الذي وصل إلى اليوم كما بدأ في عهد المماليك بين عامي ٧٠٧- ٧٣٧ هـ / ١٣٠٧-١٣٣٦م. يقع مسجد البراق ملاصقًا بجوار المسجد الأقصى القديم ومسجد مروان وباب المغاربة. تقع بوابة المدخل الرئيسية داخل حائط براق (حائط المبكى) وهي مغلقة الآن. للمسجد باب آخر يفتح على الأديرة الغربية المطلة على المساحات المفتوحة للحرم وهو مفتوح لمن يرغب في الصلاة.

٣- مسجد المغاربة (العصر الأيوبي) : يقع في الشطر الجنوبي الغربي من الأقصى بجوار باب المغاربة. هذا مسجد قديم كان يستخدمه المالكيون ومؤسسه مجهول ومن غير المعروف أيضًا تحت أي شروط قام الواقف بوقفه. بني المسجد بين القرنين السادس والسابع الهجري / ١٢-١٣ الميلادي من قبل الأيوبيين، يتم استخدام المسجد اليوم، كجزء من المتحف الإسلامي، حيث تم العثور على أجمل الأمثلة من القطع الأثرية من فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي.

٤- بقايا قصور الأمويين في الجنوب:

«... تم الكشف عن بقايا ستة مبانٍ مختلفة في حرم القدس الشريف، أسفل الواجهة الجنوبية الغربية لمبنى المسجد الأقصى (الصورة ١٩ أ-د)، أثناء الحفريات التي أجرتها جمعية الاستكشاف الإسرائيلية ومعهد الآثار بالجامعة العبرية بين ١٩٦٨-١٩٧٠. من المفترض أن أحد هذه المباني، رقم ٢، كان قصر الحاكم (السلطان، الخليفة، إلخ) بسبب أبعاده وخصائصه الأخرى. بالإضافة إلى ذلك، فإن الأسباب مثل مدخل المسجد الأقصى من الممر العلوي لهذا المبنى مع الدرج تشير إلى أن مجموعة المباني في الجزء السفلي كانت مخططة وبنيت مرتبطة بالمسجد الأقصى وساحات الأقصى في الجزء العلوي.

الصورة ٣٦ ب. أطلال القصر الأموي جنوب المسجد الأقصى (أرشيف i٧٧)

الصورة ٣٦ أ. أطلال القصر الأموي - جنوب المسجد الأقصى (أرشيف i٧٧)

[٣٠] هناك شرح جزئي لمحتويات النقوش:
Mehmet Tütüncü, "Kubbetüssahra Yazıları", Düşünce ve Tarih, 4/40, (Ocak 2018): 37-44.

الصورة ٣٦ ج. أطلال القصر الأموي في الجنوب / أمام المسجد الأقصى والمكان الذي حفرت فيه إسرائيل تحت المسجد الأقصى (أرشيف ١٧٧)

صورة ٣٨. نقش لا إله إلا الله، إبراهيم خليل الله على باب الخليل في القدس (عبر ألبير تان)

الصورة ٣٧ ب. برج الساعة العثماني الذي ظل قائمًا من عام ١٩٠٨ إلى عام ١٩٢٢ في ساحة الخليل بالقدس (الصورة ٣٧ أ، ب: https: //en.wikipedia.org/wiki/Jaffa_Gate (الويب)

الصورة ٣٧ أ. منظر داخلي لبوابة الخليل في القدس، أوائل عام ١٩٠٠ (الويب)

٥- باب الخليل:٣

خصوصية هذا الباب هو وجود نقش (لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله) على الحائط داخل الباب، يعتقد أنه من الفترة التي قام فيها سليمان القانوني بترميم أسوار المدينة. وثمة أمر آخر فيما يخص هذا الباب ألا وهو وجود متاجر للمسلمين والنصارى واليهود في هذا الحي الذي فيه الباب ومزاولتهم لأعمالهم بكامل الحرية وبأمن وسلام طيلة العهد العثماني، وكأنه أصبح رمزًا لإمكانية تعايش الأديان بسلام. لهذا السبب، بعد عام ١٩٠٠ تم بناء أبراج للساعات، في العديد من المقاطعات العثمانية، في الجزء الأكثر أهمية من المدينة أيضًا شيدها عبد الحميد في الساحة داخل باب الخليل في القدس. ومع ذلك، انتقلت إدارة المدينة إلى إنجلترا اعتبارًا من عام ١٩١٧ وادعى البريطانيون أنها لا تتناسب مع النسيج التاريخي للمربع وهُدم برج الساعة في عام ١٩٢٢ (انظر الصورة ٣٧ ب).

[31] http://www.ayvakti.net/ayvakti-gezi/item/talarn-konutuu-ehir-kudues.

صورة ٣٨ ج- من داخل المسجد المرواني، الدرج المؤدي إلى الغرفة التي كانت تعتزل فيها سيدتنا مريم (أرشيف i٧٧)

صورة ٣٨ ب- داخل المسجد المرواني (أرشيف MT)

٦- اسطبلات سليمان (المسجد المرواني):

يتم الوصول إلى هذا المكان، الذي سمي فيما بعد بالمسجد المرواني، عن طريق السلالم المؤدية إلى الطابق السفلي في الجزء الأمامي (الجانب الشمالي) من المسجد الأقصى (انظر الصورة رقم ١٩، مخطط المسجد الأقصى الحالي وملحقاته) . يقع تحت ساحات المسجد الأقصى الجنوبية الشرقية ويتحد حائطاه الجنوبي والشرقي مع حائطي المسجد الأقصى المبارك.هذا المسجد عبارة عن مبنى مكون من ١٦ صحنًا يغطي مساحة تزيد عن ٤٫٥ فدان. وهي أكبر الأماكن المغطاة في حرم المسجد الأقصى. يتسع المكان بهذا الحجم الكبير بما يكفي لستة آلاف مصل في نفس الوقت. ويمكن الوصول إلى المسجد المرواني على الجانب الشمالي الشرقي من مسجد القبلة بالمرور عبر بوابتين كبيرتين ودرج حجري كبير. ويوجد بضعة محاريب صغيرة في الأماكن مثل الممر المؤدي إلى المسجد وغيره من المناطق (الصورة ١٨ أ-ب). في الآونة الأخيرة بدأت مجموعة من الجالية اليهودية المتطرفة في استخدام جزء من هذه المنطقة كنيسًا يهوديًا.

٧- المقابر الإسلامية شرقي بيت المقدس : وهي إحدى أشهر المقابر الإسلامية مذ فتح الإسلامي لمدينة القدس، وتقع تحديدًا عند جزء من منطقة بيت المقدس الممتدة من الشمال إلى الجنوب على الجانب السفلي من الجدار الشرقي المواجه لجبل الزيتون. وخلال الفترة العثمانية فدن فيها غالبًا أعيان المؤسسات الوقفية مثل المدرسة والتكايا (صورة ٣٩ أ-ب).

الصورة ٣٩ أ. منظر لمقبرة المسلمين في الجزء السفلي من الجدار الشرقي لساحة بيت المقدس من جبل الزيتون (أرشيف i٧٧)

الصورة ٣٩ ب. المقبرة الإسلامية عند أسفل السور الشرقي للبيت المقدس (أرشيف i٧٧)

٨- مقبرة مأمن الله : تم استخدام مقبرة مأمن الله الإسلامية التاريخية كمقبرة من قبل المسلمين الذين استقروا في المدينة منذ الفتح الإسلامي للقدس، وإن انقطع الدفن فيها في فترة الحروب الصليبية، لكن عاد الدفن فيها مع تحرير صلاح الدين الأيوبي للقدس من الصليبيين سنة ١١٨٧م، حيث دفن فيها الشهداء الذين سقطوا أثناء التحرير، وقد استخدمت المقبرة بصورة كثيفة في العهد المملوكي، وتقع هذه المقبرة في يومنا هذا ضمن الحديقة الكبيرة أمام باب يافا في القدس القديمة، تحتوي المقبرة على أضرحة للمتصوفة والعلماء والصحابة (الصورة ٤١ أ-ج). وقد تعرضت للإحتلال الإسرائيلي بعد حرب عام ١٩٤٨. وفي السنوات التالية للاحتلال تم إنشاء متحف التسامح في هذه المنطقة بجهود سيمون روزينتيل، وتم تحويل جزء من المقبرة إلى ساحة فناء، وموقف سيارات، وما إلى ذلك من أعمال متحف وتم غصبها.[٣٢]

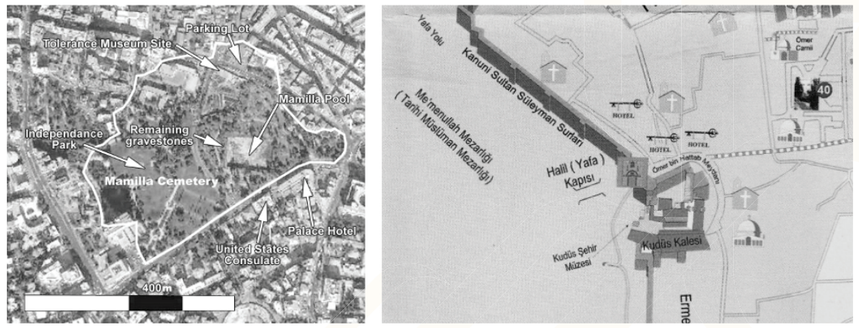

الصورة ٤٠ أ، ب. خرائط توضح موقع مقبرة مأمن الله خارج باب يافا أحد أسوار القدس القديمة

الصورة ٤١ أ. قسم من قبور المسلمين مع شواهد القبور المكسورة في مقبرة مأمن اللهباب يافا أحد أسوار القدس القديمة

الصورة ٤١ ب. ضريح الشيخ الكبكي شيخ الزاوية الكبكية في مقبرة مأمن الله

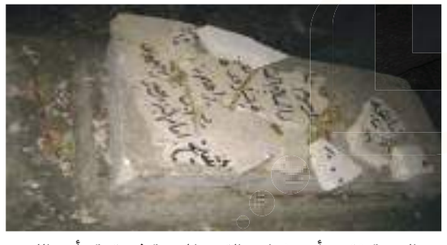

الصورة ٤١ ج. أحد شواهد القبور المدمرة في مقبرة مأمن الله (الصور ٤٠-٤١)

[32] http://www.aktuel.com.tr/dunya/2013/02/14/osmanli-mezarligini-bastilar/amp:http://archives.jrn.columbia.edu/2010/coveringreligion. org/indexa873.html?-p=1164; https://en.wikipedia.org/wiki/ Mamilla_Cemetery (03.03.2017).

د. القباب

١- قبة الصخرة (Dome of the Rock) : أقيمت على الصخرة المعلقة. يطلق الأوروبيون على هذه القبة (Dome of the Rock) وهي ترجمة معناها باللغة الإنجيلزية.

الصورة ٤١ د: قبة الصخرة (أرشيف iY٧)

٢- قبة الأرواح : تقع شمال قبة الصخرة، تعود تشييدها إلى القرن العاشر الهجري، ربما أطلق عليها هذه التسمية لقربها من مغارة بجوار قبة الصخرة المعروفة بمغارة الأرواح، تقوم القبة على ثمانية أقواس مستندةٍ على ثمانية أعمدة اسطوانية.

الصورة ٤٢ أ-ب. قبة الأرواح (أرشيف iY٧)

٣- قبة السلسلة (بيت المال):

على الرغم من أنه يُزعم أنه أول نموذج لقبة الصخرة وفقًا لبعض المؤرخين أو يُعرف باسم قبة سلسلة الأنبياء من قبل الناس، إلا أن الحقيقة هي أن هذه القبة بنيت من قبل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ / ٦٨٦م بصفتها بيتًا للمال لحفظ الأموال التي تنفق لبناء مسجد قبة الصخرة. وتقع القبة شرق قبة الصخرة، وقد تمت زخرفتها بزخارف عثمانية بفرمان من السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٩هـ / ١٥٦١م، وإبان الاحتلال الصليبي اتخذوها كنيسة وسموها بكنيسة العزيز جيمس، لكن أعادها صلاح الدين الأيوبي إلى سابق عهدها بعد تحرير بيت المقدس من الصليبيين عام ١١٨٧ م.[٣٣]

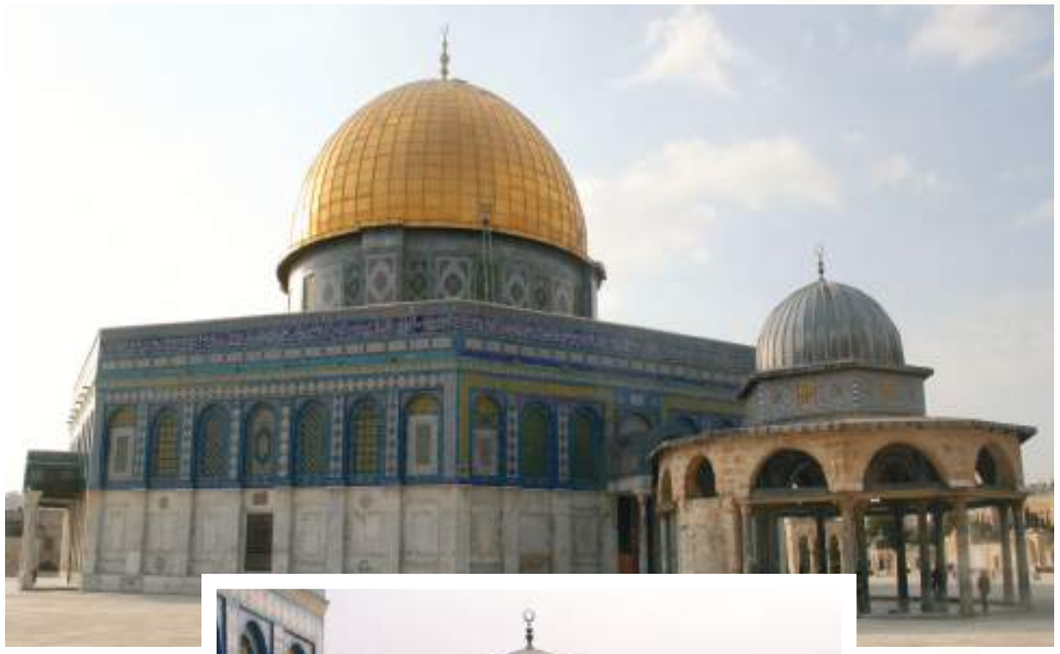

[٣٣] تم ترميم قبة السلسلة على نطاق واسع وتجديد بلاطها الذي يزين القبة من الداخل والخارج ببلاط صنع في تركيا-إزنيق وله نفس خصائص بلاطها الأصلي، من قبل «لجنة إعادة إعمار المسجد الأقصى» و «وكالة التعاون والتنسيق التركية (تيكا) «، عام ١٤٣٣ هـ /٢٠١٢ م (ياسيا، ١٢)

٤- قبة موسى : علم من الكتابات الموجودة عليها تشييدها من قبل صلاح الدين الأيوبي للعلماء الكبار سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩- ١٢٥٠م لأداء عباداتهم، وقد خططت على شكل مربع، وتتكون من عدة محاريب، ومدخلها في الجهة الشمالية.

الصورة ٤٤: قبة موسى (أرشيف iY٧)

٥- قبة الخضر: وهي قبة صغيرة، يعود تشييدها إلى القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي، تستند القبة على أقواس تقوم على ستة أعمدة اسطوانية، القبة دائرية من الداخل وسداسية من الخارج. وتحت القبة توجد أحجار حمراء على شكل محراب يوضح القبلة. ويعتقد أنه المكان الذي صلى فيه سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام، كما جاء في الأية ٦٥- ٨٢ من سورة الكهف.

الصورة ٤٥: قبة الخضر (أرشيف iY٧)

٦- قبة سيدنا سليمان عليه السلام :

تقع في ساحة بيت المقدس قرب باب الملك فيصل، وهي مثمن الأضلاع، يعزو بعض المؤرخين بنائها إلى العهد الأموي، غير أن طراز بنائها لا يشير إلى ذلك، بل هو أقرب إلى العهد المملوكي.

الصورة ٤٦: قبة سليمان عليه السلام
(أرشيف iY٧)

الصورة ٤٧: قبة يوسف عليه السلام
(أرشيف FA)

٧- قبة يوسف : تقع القبة بين مدرسة النحويين وجنوب قبة الصخرة خلف منبر برهان الدين، بنيت في عهد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م، وجددت في عهد السلطان العثماني مصطفى الرابع سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م، هناك روايتان لهذه التسمية الأولى : نسبة إلى يوسف عليه السلام، والثانية نسبة إلى يوسف بن أيوب الملقب بصلاح الدين الأيوبي محرر بيت المقدس، والرواية الثانية هي أقرب إلى الصواب. الجهة الجنوبية للقبة مغلقة بجدار، وجهاتها الأخرى مفتوحة. وهي موضوعة وسط الجدار الجنوبي لساحة قبة الصخرة. تستند القبة من الجهة الأمامية على عمودين عليها كتابتان؛ أولى هاتين الكتابتين : كتبت بالعربية وأن القبة بناها صلاح الدين الأيوبي، والكتابة الثانية كتبت باللغة التركية وتقول أنها جددت من قبل علي بن يوسف آغا.

يتكون هذا المبنى من قبة وبناء مربع طوله متران، وهو مفتوح من جميع الجهات باستثناء الواجهة الجنوبية، وهناك قبة أخرى بهذا الاسم في العقبة.

٤- قبة موسى : علم من الكتابات الموجودة عليها تشييدها من قبل صلاح الدين الأيوبي للعلماء الكبار سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩- ١٢٥٠م لأداء عباداتهم، وقد خططت على شكل مربع، وتتكون من عدة محاريب، ومدخلها في الجهة الشمالية.

الصورة ٤٨ أ-ب : قبة المعراج (أرشيف i٧٧)

٩- قبة النبي / محراب النبي وقبته :

وهي قبة صغيرة قرب قبة المعراج، وشمال غربي قبة الصخرة، بنيت للإشارة إلى المكان الذي أمّ فيه النبي بالأنبياء والملائكة ليلة المعراج، وقد تم بناء القبة على مرحلتين : المرحلة الأولى : في عهد السلطان سليمان القانوني شيدها والي غزة والقدس محمد بك سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٩ م كمحراب بطول ٧٠سم، وأما في المرحلة الثانية بنيت في عهد السلطان العثماني عبد المجيد الثاني قبة على المحراب تستند إلى ثمانية أعمدة اسطوانية وبذلك تم بناء القبة. وهي قبة تغطي عقدًا صغيرًا على ثمانية أعمدة رخامية متصلة بأقواس. تقع على الجانب الشمالي الغربي من قبة الصخرة بينها وبين قبة المعراج. وتسمى أيضا بمحراب النبي صلى الله عليه وسلم. و يُفهم من النقش المكتوب عليه، أنه شُيِّد عام ١٥٣٩/٩٤٥ على يد محمد شاكر بك، قائد سرايا غزة والقدس.

الصورة ٤٩ أ-ب : قبة النبي ﷺ (أرشيف i٧٧)

١٠- قبة يوسف آغا :

تقع جنوب غربي ساحة بيت المقدس، بين المتحف الإسلامي والمسجد الأقصى، وتشير الكتابة الموجودة على القبة بنائها من قبل والي القدس يوسف آغا في عهد السلطان العثماني مصطفى الرابع سنة ١٠٩٢هـ/١٦٨١م. يستخدم هذا المبنى اليوم كمكتب إعلامي لزوار المسجد الأقصى.. بناه يوسف آغا محافظ القدس في عهد السلطان محمود الثاني عام ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م.

الصورة ٥٠ أ : قبة يوسف آغا (أرشيف i٧٧)

١١- قبة المحمدية / قبة الزاوية الخليلية (العهد العثماني):

بنيت القبة في الفترة العثمانية في عهد السلطان العثماني مصطفى الثاني من قبل والي القدس محمد بك سنة ١١١هـ / ١٧٠٠م، تقع شمال غربي قبة الصخرة، وتتكون من غرفتين. تقع إحدى الغرفتين على الأرض والأخرى تحت الأرض، ويوجد محراب في كلتا الغرفتين. اليوم، يتم استخدامه كمكتب للجنة إعادة إعمار المسجد الأقصى. تُعرف هذه القبة باسم «قبة الشيخ الخليلي» نسبة إلى العلامة الإسلامي محمد الخليلي. وهو المكان الذي صلى وعبد فيه محمد الخليلي العالم الصوفي.

الصورة ٥١ :قبة المحمدية / قبة الزاوية الخليلية (أرشيف i٧٧)

١٢- قبة السلطان محمود الثاني / قبة عشاق النبي صلى الله عليه وسلم (العهد العثماني):

تقع قرب باب شرف الأنبياء، شمال المسجد الأقصى، بناه السلطان العثماني محمود الثاني سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م بنية أن يترك أثرًا له داخل المسجد الأقصى، وهو عبارة عن مبنى مربع الشكل، مفتوح من أربعة جوانب، يرتكز على أربعة أعمدة فوق مصلى مربعة الشكل، يبلغ ارتفاعها نصف متر عن أرضية المسجد الأقصى. توجد قبة صغيرة على الأعمدة ومحراب جميل في وسط الواجهة الجنوبية. والسبب في تسميتها ب»عشاق النبي» هو أن شيوخ الصوفية والدراويش يجتمعون تحت هذه القبة ويؤدون الذكر. واشتهر باسم «قبة محبي الرسول» اكثر من غيرها. يوجد مقابلها مصلى أخر.

الصورة ٥٢ :قبة السلطان محمود الثاني / قبة عشاق النبي (أرشيف i٧٧)

١٣- قبة النحويين ومدرستهم (العصر الأيوبي):

بنيت في عهد الأيوبيين على يد الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م لتعليم اللغة العربية ونحوها، وقد أضيفت إلى المدرسة قبة من قبل الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٨ للهجرة وأطلقت عليه قبة النحويين. يتكون المبنى من غرفتين وصالة في الوسط. والجزء العلوي من الغرفة على الجانب الغربي مغطى بقبة كبيرة، والغرفة في الجهة الشرقية مغطاة بقبة أصغر ذات ارتفاع منخفض، وأعلى الصالة مغطى بسقف مسطح. يقع مدخل المبنى على الواجهة الشمالية ويبدأ مدخل المبنى بالقاعة. يوجد عمودان من الرخام في القاعة يسميان ب»الأبناء العاقين». وكان لهذه المدرسة دور مهم في الحياة الثقافية والفكرية في القدس، واستمر هذا الدور، خاصة في اللغة العربية وقواعدها، حتى القرن الثاني عشر هـ / السابع عشر مـ. واستُخدمت المدرسة باسم «مكتب المجمع الإسلامي الأعلى» في أوقات لاحقة. في عام ١٩٥٦ تم استخدامها كمكتب للهندسة المعمارية والخدمات الهندسية للقبة الصخرة. ويستخدم اليوم كمقر لرئيس المحكمة الشرعية العليا.

الصورة ٥٣ ب :باب مدرسة النحويين (أرشيف FA) النبي (أرشيف i٧٧)

الصورة ٥٣ أ :قبة ومدرسة النحويين بجوار أقواس المسجد الأقصى (أرشيف i٧٧)

هـ- المـــــآذن :

مئذنة باب المغاربة :

تقع في الجهة الجنوبية الغربية من بيت المقدس، وتسمى أيضا بالمنارة الفخرية بنيت من قبل القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، وقد رفعت المئذنة بدون قواعد، وبارتفاع ٢٣٫٥ مترٍ، وتعد أقصر مئذنة للمسجد الأقصى، وقد تضرر قسمها العلوي بالزلزال الذي ضرب مدينة القدس سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، لذا رممت من قبل لجنة ترميم مسجد الأقصى، وأضيفت إليها قبة جميلة لم تكن من قبل. وغطت قبة المئذنة بالرصاص، خلال أن رممتها «لجنة إعمار المسجد الأقصى» مرة ثانية. ويوجد العبارة الآتية في نقشها: «شيدت بإشراف الحاكم شرف الدين عبد الرحمن بن صاحب الوزير الفخر الدين الخليلي في ٦٧٦-٦٧٨ هـ/ ١٢٧٧- ١٢٨٠ م في عهد السلطان ناصر الدين بركة خان.»

الصورة ٥٤ أ : مئذنة باب المغاربة (أرشيف i٧٧)

مئذنة باب السلسلة :

تقع على الأروقة الغربية للمسجد الأقصى بجانب باب السلسلة، بنيت من قبل الأمير شرف الدين تنكز بن عبد الله الناصري سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، بنيت على شكل مربع الأضلاع عليها شرفة تقوم على أعمدة من الحجر، يصعد إليها بمِعراج يتكون من ثمانين درجة، ويتم الوصول إلى المئذنة من قبل المدرسة الأشرفية. وقد تضررت بزلزال القدس وتم إصلاحها من قبل الأوقاف الإسلامية بعد الزلزال عام ١٣٤٠ / ١٩٢٢ م. والآن لا تسمح قوات الاحتلال الإسرائيلي للمسلمين بصعود المئذنة أو الاقتراب منها بذريعة حماية المصلين اليهود حيث تقع هذه المئذنة في مواجهة حائط البراق.

الصورة ٥٥: مئذنة باب السلسلة (أرشيف i٧٧)

مئذنة باب الغوانمة :

تقع بجانب باب الغوانمة في الزاوية الشمالية الغربية للبيت المقدس، بنيت في عهد السلطان حسام الدين لاجين سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٩م من قبل القاضي شرف الدين عبد الرحمن الصاحب، وقد تم تجديدها مع تجديد باب السلسلة في عهد السلطان قلاوون، وتعرف أيضًا بمئذنة قلاوون.

الصورة ٥٥. ١ : مئذنة باب الغوانمة (أرشيف i٧٧)

الصورة ٥٥. ٢ : مئذنة باب الغوانمة (أرشيف i٧٧)

مئذنة باب الأسباط / القبائل:

تقع بجانب باب الأسباط/ القبائل، بنيت من قبل ناظر الحرمين ونائب القدس الأمير سيف الدين قطلوبوغا في عهد السلطان المملوكي الأشرف شعبان، بنيت على شكل مربع الأضلاع وفق الهندسة المعمارية السائدة في العهد المملوكي، غير أنها بتجديدها في السلطان العثماني محمد الثالث بنيت المئذنة على الطراز العثماني سنة ١٠٠٧هـ / ١٥٩٩م، رممت المئذنة مرتين : الأولى سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م بعد تضرر قواعدها في زلزال القدس، والثانية رممت من قبل لجنة ترميم مسجد الأقصى بعد تضررها في حرب ١٩٦٧ أثناء احتلال مدينة القدس من قبل الجيش الإسرائيلي بسبب المدافع والرصاص أثناء الحرب، وهذه المرة تم تغطية مخروطه بالرصاص.

الصورة ٥٥. ٣ : مئذنة باب الأسباط / القبائل
(أرشيف i٧٧)

وهناك أحجار كبيرة للدعم على الجانبين، وبينها أقواس مدببة على ثلاثة أعمدة. تم بناؤه من قبل العباسيين وتم تجديده في عهد الفاطميين والعثمانيين..، فإن الأقواس التي رممها عبد الحميد هان في عام ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م، تحتوي على ساعة شمسية على العمود الأوسط في منتصف الواجهة الجنوبية. بنيت هذه الساعة الشمسية في الساعة ١٣٢٥ / م ١٩٠٧.

و) البوائـــــــــك :

البوائك الجنوبية : وهي عبارة عن ثلاثة أعمدة اسطوانية رخامية وبينها أقواس مدببة وفي الوسط تحفها عن اليمين واليسار ركبتان عظيمتان. تم بناؤها من قبل العباسيين وتم تجديدها في عهد الفاطميين والعثمانيين. فالأقواس التي رممها السلطان عبد الحميد خان الثاني في عام ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م على عكس الأقواس الأخرى، تحتوي على ساعة شمسية على العمود الأوسط في منتصف الواجهة الجنوبية. بنيت هذه الساعة الشمسية في السنة ١٣٢٥ هـ / م ١٩٠٧.

الصورة ٥٥. ٤ :بوائك الصخرة الجنوبية (أرشيف i٧٧)

البوائك الشرقية :

عبارة عن أحجار كبيرة وضعت على الجانبين من أجل تقويتهما حيث تتكون البائكة من هاتين الركبتين العظيمتين، وبينهما أربعة أعمدة اسطوانية رخامية. والأعمدة متصلة ببعضها البعض بأقواس مدببة. على الرغم من عدم وجود معلومات عن التاريخ الدقيق للبناء، إلا أنه يقال إنه بني في العصر العباسي وفقًا لبعض المؤرخين وخلال الفترة المملوكية وفقًا لآخرين. ربما تم بناؤه خلال العصر العباسي وتم تجديده في العصر الفاطمي.

الصورة ٥٥. ٥ : البائكة الشرقية (أرشيف i٧٧)

البوائك الغربية : تتكون البائكة من أحجار كبيرة وضعت لتقوية الركنين على الجانبين وبينهما ثلاثة أعمدة رخامية، وأربعة أقواس مدببة على الأعمدة. يعود تاريخ تشييدها إلى العهد الفاطمي سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، ولا يعرف من شيدها.

الصورة ٥٥. ٦ :بوائك الصخرة الغربية (أرشيف i٧٧)

البوائك الشمالية الغربية :

تقع على الطرف الغربي لصحن الصخرة في جهته الشمالية بالقرب من قبة الخضر، شيدت في عهد السلطان المملوكي الأشرف شعبان سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، وهي عبارة عن ركبتين عظيمتين في الأطراف، وثلاثة أعمدة اسطوانية في الوسط، وقد جددت في عهد السلطان العثماني سليمان القاتوني سنة ٩٢٦هـ / ١٥١٩ – ١٥٢٠م.

الصورة ٥٥. ٧ :البوائك الشمالية الغربية (أرشيف i٧٧)

البوائك الشمالية الشرقية :

تقع في الجانب الشمالي من صحن قبة الصخرة من ناحية الشرق، وهي تتصل بمحور مستقيم عبر ممر مبلط بباب حطة ويعود تاريخ تشييدها إلى العهد المملوكي في عهد السلطان محمد بن قلاوون سنة ٧٢٦هـ /١٣٢٥م.

الصورة ٥٥. ٨ :البوائك الشمالية الشرقية (أرشيف i٧٧)

البوائك الجنوبية الغربية :

تقع على المحيط الغربي لصحن قبة الصخرة في جهته الجنوبية، وهي عبارة عن ركبتين عظيمتين في الأطراف، وعمودين من الرخام في الوسط، يعود تاريخ تشييدها إلى سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢ – ١٤٧٣ م من قبل ناظر الحرمين الشريفين الأمير ناصر الدين النشاشيبي في عهد السلطان المملوكي قيتباي.

الصورة ٥٥. ٩ : البوائك الجنوبية الغربية (أرشيف i٧٧)

البوائك الجنوبية الشرقية :

وتقع في الطرف الشرقي للحد الجنوبي لصحن الصخرة، يعود تاريخ تشييدها إلى العهد الفاطمي سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠ م، وهي عبارة عن ركبتين عظيمتين في الأطراف، وعمودين اسطوانيتين من الرخام في الوسط.

الصورة ٥٥. ١٠ : البوائك الجنوبية الشرقية (أرشيف i٧٧)

ز-المـــــدارس :

المدرسة الختنية (الفترة الأيوبية) :

بنيت في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي الأيوبي سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م، ودعيت باسم المدرسة الختنية أو الزاوية الختنية نسبة إلى شيخها الختني، وهو الذي كان يدرس العلوم الدينية في المدرسة والمدرسة ملتصقة بالجدار الجنوبي للمسجد القبلي. مع الزمن أضيفت الغرف والمراحيض إلى مبنى المدرسة، التي خضعت لإصلاحات مختلفة في فترات مختلفة. واليوم بقيت فقط بعض الأقواس والنوافذ من المبنى الأصلي.

الصورة ٥٥. ١١ : هذه المدارس قائمة على الرواق الشمالي للمسجد الأقصى من الغرب إلى الشرق بالترتيب :
المدرسة الجاولية، الملكية، الأسعردية، الفارسية، الأمينية، الباسطية، الدويدار (أرشيف MT)

المدرسة الفخرية (الفترة المملوكية) :

سميت نسبةً إلى بانيها القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله، شيدت سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩-١٣٣٠ م، تم وقفها لتدريس العلوم الدينية، لكنها تحولت فيما بعد إلى زاوية للصوفية، وبسبب تخريب قوات الاحتلال الإسرائيلي للمدرسة لم يبق منها سوى المسجد وثلاثة غرف، فمسجد المدرسة الفخرية عبارة عن مبنى مستطيل بسيط مخصص للصلاة. يغطي سقفه ثلاث قباب كبيرة أضيفت خلال الفترة العثمانية، داخل غرفة تدعمها ثلاثة أعمدة. ويوجد داخل المسجد محراب مزين بالحجارة الحمراء.

مدرسة دويدار (الفترة المملوكية):

بنيت في العهد المملوكي سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥م من قبل الأمير علم الدين أبو موسى سنجار دويدار، تقع بالقرب من باب شرف الأنبياء الذي كان يُعرف سابقًا باسم باب دويدار، وقد خصصت في عهد الإنتداب البريطاني لتدريس البنات. هذا المبنى عبارة عن مدرسة وخانقاه[٣٤] في نفس الوقت. وكان يدرس فقه المذهب الشافعي في المدرسة. ثم تم تخصيصها لتعليم الفتيات حتى فترة الانتداب البريطاني. يتم الدخول إلى المبنى المكون من طابقين من خلال باب جميل بزخارف المقرنصات المملوكية[٣٥] على الطراز المملوكي. ويوجد مسجد بالداخل. اليوم، يتم استخدامه كمدرسة تقدم التربية الخاصة للطلاب المعوقين عقليًا، والمعروفة باسم « المدرسة البكرية «.

[٣٤] الخانقاه : كلمة فارسية كانت تطلق قديمًا على المكان الذي يتقطع فيه المتصوف للعبادة، أو الغرفة التي يختلى فيها.
[٣٥] المقرنصات: وهي نوع من الزخارف تشبه سعف النخيل، في السابق كان عنصرًا حاملًا للبناء في المساجد، لكن تم استخدامها لاحقًا للزينة.

الصورة ٥٥,١٢ - ٥٥,١٣ مدخل المدرســـــــــــة التنكزية (أرشيف ١٧٧)

المدرسة التنكزية (الفترة المملوكية) :

تقع بين باب السلسلة شمالًا وحائط البراق جنوبًا جزء منها داخل الرواق الغربي للمسجد الأقصى وجزء خارجه أنشأها وأوقفها نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز الناصري في العهدالمملوكي عام ٧٢٩هـ /١٣٢٨م، كانت دارًا للحديث، وفي عهد السلطان المملوكي قايتباي اتخذت مقرًا للقضاء والحكم وفي العهد العثماني تحولت إلى محكمة شرعية وعرفت بهذا الاسم فيما بعد، وبقيت كذلك حتى أوائل الإنتداب البريطاني فاتخذها المجلس الإسلامي الأعلى دارًا للسكنى، فكان المقر الخاص للشيخ الحاج أمين الحسيني، رئيس اللجنة العليا للمجلس الإسلامي. ثم عادت مدرسة لتعليم الفقه الإسلامي، تتكون المدرسة من طابقين، وتحتوي على مساحة مكشوفة، ومحراب، وأربعة إيوانات، وقاعة كبيرة كانت تستخدم كمكتبة، وغيرها من المباني الملحقة. وفي عام ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م، استولت قوات الاحتلال الصهيوني على المدرسة وحولتها إلى مخفر للشرطة للسيطرة على المسجد الأقصى.

المدرسة الفارسية (الفترة المملوكية) :

دعيت بهذا الاسم نسبة إلى واقفها الأمير فارس البكي بن أمير قطلو ملك ابن عبد الله، والذي وقفها عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م. تقع فوق الأديرة الشمالية للحريم الشريف، وتواجه واجهته الرئيسية المسجد الأقصى. يتم الوصول إلى المبنى، الذي يحتوي على باب مدخل جميل مقوس ومتوج ومطرز، يرتكز على حجرين كبيرين من الجانبين، من باحة المسجد الأقصى عن طريق درج. يوجد فناء مكشوف على شكل مربع داخل المدرسة. في هذا الفناء، يوجد درج متدرج يؤدي إلى مدرسة الأمينية المجاورة وكذلك إلى الطابق الأول. المدرسة الأمينية والمدرسة الفارسية عبارة عن مباني متداخلة. واليوم يستخدم هذا المبنى كسكن.

المدرسة الأشرفية (الفترة المملوكية) :

تأسست هذه المدرسة لأول مرة في عام ٨٧٢ / م ١٤٦٧. بناها الأمير حسن بن تتر الظاهري للملك الظاهر سيف الدين خوشقدم، لكن الملك توفى قبل إتمام عمارتها. فعين الظاهري الصوفيين ورجال الدين لإدارة المدرسة وقدمها كهدية إلى السلطان الأشرف قايتباي. لكن البناء لم يعجب السلطان الأشرف قايتباي عندما رآه أثناء زيارته للقدس فهدمه وأعاد بنائه عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠ م. وعدت هذه المدرسة جوهرة ثالثة في بيت المقدس إلى جانب الصخرة والأقصى، فنصف هذه المدرسة داخل المسجد الأقصى والنصف الآخر خارج حدود المسجد الأقصى. تم هدم جزء كبير من الطابق العلوي للمبنى المكون من طابقين وللمدرسة مدخل جميل مزين بالحجارة البيضاء والحمراء. ويوجد داخل المدرسة مسجد كان يستخدمه الحنابلة في الماضي وقبران يعتقد أن أحدهما هو قبر الشيخ الخليلي،. واليوم يتم استخدام جزء كبير من المدرسة من قبل «ثانوية أقصى الشرعية للبنات». ويستخدم بعض أجزائها كمركز إصلاح لوثائق المخطوطات في المسجد الأقصى، بينما يتم استخدام الأجزاء المتبقية من قبل عائلات من القدس كسكن. وفي عام ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م تم تنفيذ ترميم شامل لمبنى المدرسة من قبل لجنة إعادة إعمار المسجد الأقصى والجمعية الخيرية.

المدرسة الملكية (الفترة المملوكية) :

أنشئت في عهد السلطان المملوكي محمد بن قلاوون سنة ٧٤١هـ - ١٣٤٠ م من قبل الأمير الناصر جوكيندار، يتكون المبنى من طابقين وله مدخل جميل مزين بأسلوب مملوكي مقطوع بالحجارة البيضاء والحمراء. بعد المدخل، هناك ممر ضيق للدخول إلى بهو مربع مكشوف، ومن هناك يتم الدخول إلى الفصول الدراسية وقاعات المدرسة. يطل القسم الأكبر من المدرسة على باحة المسجد الأقصى.ويستخدم في يومنا للسكن.

المدرسة الجاولية (الفترة المملوكية) :

تقع شمال غربي المسجد الأقصى، يعود تاريخ انشائها إلى ما قبل العهد الإسلامي، وهي من أقدم الأبنية، تم وقفها من قبل ناظر الحرمين الشريفين الأمير علم الدين سنجار بن عبد الله الجاولي في عهد السلطان محمد بن قاوون بين عامي ٧١٢- ٧٢٠هـ / ١٣١٢-١٣٢٠ م، تطل الواجهة الجنوبية للمدرسة على ساحة المسجد الأقصى. استخدمت مدرسة إلى مجيء العثمانيين،ثم أصبح مبنى مجلس المدينة خلال الفترة العثمانية في بداية القرن التاسع الهجري،. تم استخدامه كمقر إقامة لنواب القدس حتى تم استخدامه كمبنى لمجلس المدينة مرة أخرى. تتكون المدرسة من طابقين، وغرف كثيرة، واليوم أصبحت جزءًا من المدرسة العمرية.

المدرسة الخاتونية (الفترة المملوكية) :

تقع في الرواق الغربي للمسجد الأقصى، ويعود تاريخ انشائها إلى القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي، وسميت بالخاتونية نسبة لواقفتها أوغول خاتون البغدادية، خصصت لتدريس علوم القرآن ودروس الفقه، تطل النوافذ الموجودة في الواجهة الجنوبية للمدرسة على باحة المسجد الأقصى وفي فناء المدرسة يوجد قبر واقفتها السيدة أوغول خاتون البغدادية وبجانبها قبر أحد مشاهير فلسطين الأمير محمد الهندي (هندي دافع عن القضية الفلسطينية) و مقابر كل من موسى كاظم الحسيني (حاكم القدس في العهد العثماني ورئيس المجلس الوطني الفلسطيني الثالث)، وعبد القادر الحسيني بطل حرب القسطل، وابنه فيصل الحسيني، وشريف عبد الحميد بن عون وعبد الحميد شومان أحد مؤسسي بنك العرب.

المدرسة الأسعردية (الفترة المملوكية) :

أنشئت سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م وقد تم وقفها سنة ٧٧٠هـ من قبل مجد الدين بن عبد الغني بن سيف الدين أبو بكريوسف الأسعردي، يتم الدخول إلى المدرسة عبر طريق متدرج من داخل المسجد الأقصى. تتكون من طابقين يتوسطهما صحن مكشوف مربع الشكل، محاط بالغرف، وتتميز بثلاث قباب فوقها من جهاتها الشرقية والوسطى والغربية، ولها مسجد واسع، يطل نتوء محرابه الجميل على ساحات المسجد الأقصى. ويستخدم البناء في يومنا للسكن.

مدرسة أراغون (الفترة المملوكية) :

أنشئت سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م من قبل الأمير أراغون الكاملي وقد توفي قبل أن يتم البناء، وأتمها ركن الدين بيبرس، تقع المدرسة بين باب القطانين وباب الحديد. تتكون من طابقين. لها مدخل مزين بالحجارة الحمراء والبيضاء في الجانب الجنوبي من باب الحديد. يظهر في النقش المكتوب على حجر رخامي عند المدخل اسم المنشئ وتاريخ البناء. يوجد قبران داخل أرضية مدخل المدرسة. أحدهما للأمير أراغون الذي بنى المدرسة والآخر كان للملك حسين بن علي. وكانت تستخدم المدرسة حاليًا كسكن، إلا أنها نتيجة الحفريات التي قام بها الإسرائيليون تحت المسجد الأقصى تضررت وتصدعت جدران المدرسة وتم إجلاء سكانها من المبنى.

المدرسة الأمينية (الفترة المملوكية) :

أنشئت من قبل أمين الدين عبد الله سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م، والمبنى مكون من طابقين ويقع في مواجهة الفناء الشمالي للمسجد الاقصى. في الطابق الارضي يوجد مقابر العلماء والصالحين. باب مدخل المدرسة مشترك مع مبنى المدرسة الفارسية وكانت هذه المدرسة تستخدم كسكن إلى وقت قريب.

المدرسة الباسطية (الفترة المملوكية) :

تقع داخل الرواق الشمالي للمسجد الأقصى بين باب شرف الأنبياء وباب الحطة بجانب مدرسة دويدار، تم وقفها في عهد الملك المؤيد سيف الدين المملوكي من قبل القاضي عبد الباسط الخليل الدمشقي وزير الجيش والمالية أنشأها ناظر الحرمين الشريفين شيخ الإسلام شمس الدين محمد الهروي إلا أنه توفي قبل اكتمال البناء. وتتكون من ثلاثة غرف وباحة مكشوفة. وكانت المدرسة مختصة لتدريس الفقه الشافعي وعلوم القران والحديث وخصصت للأيتام والصوفية. واليوم يتم استخدامها كمبنى سكني.

المدرسة المنجكية (الفترة المملوكية) :

تقع بجوار باب الناظر ملاصقة للجدار الشمالي الغربي للمسجد الأقصى، تقع هذه المدرسة بجوار بوابة الناظر، أنشأها الأمير سيف الدين منجك الناصري عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م وهي عبارة عن طابقين، ولها العديد من الغرف والممرات. واستخدمت مدرسةً إلى العهد العثمانيين وفي عهد الاحتلال البريطاني تم تحويلها إلى المدرسة الابتدائية ثم استخدم المبنى بعد أن تم ترميمه من قبل اللجنة العليا للمجلس الإسلامي كمركز إداري له. ويستخدم المبنى اليوم كمقر إداري لمديرية الأوقاف الإسلامية التابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف الأردنية.

المدرسة العثمانية (الفترة المملوكية) :

تقع على السور الغربي للمسجد الأقصى، جنوبي باب المطهرة، ويمتد جنوبًا حتى يتصل بمبنى المدرسة الأشرفية، وقفتها أصفهان شاه بنت محمود العثمانية سنة في عهد الأشرف بيبرس،أوقفتها أصفهان شاه خاتون بنت محمود العثمانية في عهد السطان الأشرف برسباي، تم تزيين مدخل المبنى المكون من طابقين على الطراز المملوكي بزخارف هندسية باستخدام حجارة متشابكة باللونين الأحمر والأبيض. تطل الواجهة الجنوبية للمدرسة على باحة المسجد الأقصى. ويوجد عدة غرف ومسجد داخل المبنى. وفيها أيضًا مقبرتان على الجانب الأيسر من المدخل. تعود إحدى القبور إلى أصفهان شاه خاتون، التي وقفت المدرسة. وقد تأثرت أساسات المبنى بالحفريات التي قام بها الإسرائيليون تحت المبنى، وصادرت قوات الاحتلال الإسرائيلي مسجد المدرسة لتهوية الأنفاق. وفي يومنا هذا تستخدم أجزاء أخرى من المدرسة كمسكن لبعض العائلات من القدس.

ح) الأروقة:

الرواق الشمالي (العصر الأيوبي):

تم بناء أقدم جزء من هذا الرواق الممتد من الغرب من جهة باب شرف الأنبياء من قبل الملك المعظم عيسى سنة ٦١٠هـ / ١٢١٣ م. ويوجد على نقش في هذا القسم من المبنى كتابة تظهر عن اسم المنشئ وتاريخ البناء وقد أقيمت عل هذا الرواق المدرسة الأمينية، والمدرسة الفارسية، والملكية، والأسعردية، والصبيبية، أما الأجزاء الأخرى من الرواق قد بنيت من قبل كثير من السلاطين والخلفاء والأمراء من عهود مختلفة. وتوجد حجارة كبيرة يعتمد عليها هذا الرواق. وسقفه مغطى بالملاط الجيري، وقد بني على أرض أعلى من أرضية المسجد الأقصى. خلال الفترة العثمانية، تم بناء أقسام جديدة وإغلاق الرواق واستخدم المبنى كبيت ضيافة لزوار القدس الفقراء.

الصورة ٥٥,١٤ - ٥٥,١٥ أورقة المسجد الأقصى الشمالية الشرقية والشمالية الغربية ومدارس دويدار والباسطية والمدرسة الأمينية، والمدرسة الفارسية، والملكية، والأسعردية والجاولية فوقها بالترتيب من الشرق إلى الغرب (أرشيف i٧٧)

الرواق الغربي (العصر المملوكي):

أنشأ في عهد المماليك ما بين ٧٠٧-٧٣٧ هـ / ١٣٠٧- ١٣٣٦ م. يتكون سقفه من أقواس مزينة بأحجار زاويّة متشابكة، أرضيته مرتفعة قليلًا عن أرضية المسجد الأقصى، ومرصوفة بالحجارة، وكانت هذه الأروقة قديمًا تستخدم مركزًا للعلوم.

الصورة ٥٥,١٦ الأروقة الغربية مع سبيل / نافورة قايتباي أمامها والمدارس الأشرفية والعثمانية والأراغونية والخاتونية والمنجكية من الجنوب إلى الشمال (أرشيف i٧٧)

ط) أسبلة المياه الكبيرة:

١) شاديرفان / نافورة الوضوء (العصر الأيوبي)

تم تشييدها في العهد الأيوبي سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م، من قبل السلطان عادل أبو بكر الأيوبي موضئًا للمصليين، ثم رممها الأمير تنكيز الناصري عام ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م، ثم للمرة الثانية السلطان قايتباي، وهي عبارة عن حوض دائري تحيط به نافورة في الوسط ومقاعد حجرية تستخدم للوضوء. وتوجد صنابير حول الحوض للوضوء. وجدار الحوض رخامي وأعلى السور محاط بسياج معدني.

الصورة ٥٦ : شاديرفان / نافورة الوضوء من العصر الأيوبي عند مدخل المسجد الأقصى (أرشيف i٧٧)

٢) سبيل قايتباي (الفترة المملوكية) :

أنشأ السبيل من قبل السلطان سيف الدين إنال سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٦م، وجدده السلطان قايتباي سنة ٨٨٧هـ / ١٤٢٨ م. إلا أنه لم يبق من المبنى الأصلي غير بئر الماء شيء. وقد أضاف السلطان قايتباي للمبنى مكانًا مكونًا من حجر ملون وأمر بتغطية الأرضية بالرخام. وتم تطريز قبته وجدرانه بزخارف ونقوش مزينة إسلامية. ثم قام السلطان العثماني عبد الحميد خان الثاني بتجديد المبنى في حوالي ١٣٠٠ / م ١٨٨٢-١٨٨٣. يتكون السبيل من طابقين ويوجد بئر ماء في الأرضية. في الطابق العلوي توجد غرفة لتخزين المياه. وقد استخدم الأحجار البيضاء والحمراء في بناء السبيل. تم بناء النافورة ذات الشكل المربع على أرضية مثمنة الأضلاع. والجزء العلوي من المبنى مغطى بقبة رائعة.

الصورة ٥٧ : سبيل قايتباي (أرشيف i٧٧)

٣) سبيل قاسم باشا (العهد العثماني):

بني في عهد سليمان القانوني في عام ٩٣٣ هـ / ١٥٢٧ م على يد ميرلوا قاسم باشا في القدس، بالقرب من «باب السلسلة» على الجانب الغربي من المسجد الأقصى. شكل هذه النافورة مثمن الأضلاع وفي المنطقة التي يتم فيها الوصول إلى الصنابير عن طريق نزول درج صغير، تم بناء مظلة خشبية لحماية المستخدمين من أشعة الشمس والمطر. يوجد ١٦ حنفية في السبيل. يسمى هذا السبيل ب» سبيل باب المحكمة» أيضًا.

الصورة ٥٨ : سبيل النارنج (أرشيف FA)

٤) سبيل قاسم باشا (العهد العثماني):

بني في عهد سليمان القانوني في عام ٩٣٣ هـ / ١٥٢٧ م على يد ميرلوا قاسم باشا في القدس، بالقرب من «باب السلسلة» على الجانب الغربي من المسجد الأقصى. شكل هذه النافورة مثمن الأضلاع وفي المنطقة التي يتم فيها الوصول إلى الصنابير عن طريق نزول درج صغير، تم بناء مظلة خشبية لحماية المستخدمين من أشعة الشمس والمطر. يوجد ١٦ حنفية في السبيل. يسمى هذا السبيل ب» سبيل باب المحكمة» أيضًا.

الصورة ٥٩ : سبيل قاسم باشا (أرشيف FA)

٥) سبيل السلطان سليمان (العهد العثماني):

يقع سبيل السلطان العثماني سليمان خان القانوني بالقرب من باب شرف الأنبياء، تم بناؤه على مصلى يحمل نفس الاسم، تم وقفه عام ٩٤٨ هـ/ ١٥٤١ م وأضيف إليه مكان للوضوء بين السبيل و «قبة محبي الرسول صلى الله عليه وسلم». تم تجديده عام ١٩٩٧ من قبل لجنة إعمار المسجد الأقصى.

الصورة ٦٠ أ : سبيل السلطان سليمان، تنظيم المقطع الداخلي والكتابة (أرشيف FA)

٦) صهريج الملك عيسى المعظم (العهد الأيوبي) :

أنشأه الملك عيسى المعظم سنة ٦٠٧ هـ /١٢١٠ م، حيث تم تحويل بعض غرف قبة النحوية التي شيدت عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م إلى خزان مياه سنة ٦٠٧ هـ /١٢١٠ م. يتكون خزان المياه من ثلاث غرف وبينها جدران سميكة. سقفه مقبب وله ثلاثة مداخل من الجنوب. على باب المدخل للجزء الأوسط، تم تسجيل اسم المنشئ وسنة البناء بنقوش مطرزة. خلال فترة المماليك تم تحويل جزء من الصهريج إلى مستودع لحفظ المحاصيل التي تم جمعها للمسجد الأقصى، والجزء الآخر تم تخصيصه لأصحاب المذهب الحنبلي ليستخدموه كمسجد. في وقت لاحق أهمل الصهريج ولم يعتن به، واليوم يستخدم كمركز لأعمال البستنة في باحة المسجد الأقصى.

ي) الأسبلة الأخرى الصغيرة

سبيل الكأس،: يقع أمام المسجد الأقصى من الجهة الجنوبية. تم بناؤه في عهد السلطان سيف الدين أبو بكر الأيوبي عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م.

سبيل شعلان: يقع في أسفل الدرج المؤدى إلى صحن الصخرة من زاويته الغربية الشمالية، تم بنائه في عهد الملك المعظم عيسى في سنة ٦١٣ هـ /١٢١٦ م.

سبيل البصيري : يقع على قيد بضعة أمتار من باب الناظر ومنه إلى الشمال الشرقي، تم تجديده في حوالي ٨٣٩ هـ /١٤٣٦ م في عهد السلطان يارساي.

سبيل قابات:- يقع مقابل مسجد الأقصى، في الجهة الغربية لساحة الحرم الشريف، بني في عهد السلطان سيف الدين إينال.

سبيل البديري: يقع شرق باب الناظر في الجهة الغربية، أنشئ عام ١١٥٣ هـ / م ١٧٤٠ في عهد السلطان محمود الأول.

سبيل باب حطة: يقع بالقرب من باب حطة في الفترة العثمانية.

سبيل باب المغاربة: يقع بالقرب من باب المغاربة، أنشئ في الفترة العثمانية.

الصورة ٦١ : سبيل باب المغاربة (أرشيف i٧٧)

ك) الآبار

يوجد في المسجد الأقصى ٢٥ بئرًا معظمها مملوء بالماء ؛ ثمانية منها فوق باحات قبة، سبعة عشر منها منتشرة حول المسجد الأقصى. تم حفر الآبار في فترات إسلامية مختلفة من أجل توفير مياه الشرب للمصلين في المسجد الأقصى ولسكان البلدة القديمة في القدس.

الصورة ٦٢ : أحد آبار المياه في باحة بيت المقدس (أرشيف iY٧٧)

ل) منابر :

منبر نور الدين زنكي / منبر صلاح الدين الأيوبي (الفترة الأيوبية)

شيد هذا المنبر نور الدين زنكي في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م خلال احتلال القدس من قبل الصليبيين ليوضع في المسجد الأقصى بعد فتحه. إلا أن نور الدين زنكي توفي قبل أن يرى أن القدس قد فتح. بعد فتح القدس أمر صلاح الدين بجلب منبر نور الدين زنكي من حلب لوضعه في المسجد الأقصى. هذا المنبر مصنوع من خشب الأرز، مزين بالعاج والصدف. يوجد تاج رائع على بابه. وبحسب الشائعات، فإن هذا التاج أضافه الأمير تنكز الناصري أثناء ترميم المنبر في عام ٧٣١ / م ١٣٣٠ م. وكان هذا التاج شعار الدولة التنكيزية. يوجد في أعلى المنبر شرفة خشبية يمكن الوصول إليها عبر درجات. في عام ١٩٦٩ احترق المنبر التاريخي نتيجة حريق في مسجد القبلة داخل

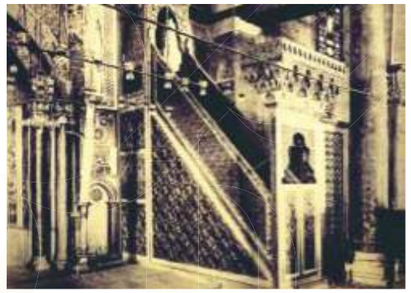

الصورة ٦٣ : منبر صلاح الدين قبل عام ١٩٦٩ (أرشيف iY٧٧)

المسجد الأقصى من قبل مواطن أسترالي صهيوني متطرف. كان لهذا الحدث تداعيات كبيرة في العالم الإسلامي، ودفع الدول الإسلامية إلى التجمع في جميع أنحاء العالم لتأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي. بدلًا من المنبر المحترق، تم بناء منبر حديدي بسيط في البداية ثم في وقت لاحق تم بناء منبر جديد مشابه للمنبر التاريخي القديم باستخدام نفس المواد في الأردن. نُقل المنبر المشيد حديثًا إلى القدس عام ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ووضع في مكانه السابق.

الصورة ٦٤ ب : كتابة الترميمات العثمانية على تاج منبر برهان الدين (أرشيف FA)

الصورة ٦٤ أ : منبر برهان الدين (أرشيف FA)

منبر برهان الدين (الفترة المملوكية) :

يقع هذا المنبر في الجانب الجنوبي من صحن قبة الصخرة غرب الأقواس الجنوبية المؤدية إلى مسجد القبلة. شيده قاضي القضاة برهان الدين جماعة عام ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م. تم تحويله إلى منبر مصنوع من الرخام والحجر بينما كان منبرًا متحركًا لأنه مصنوع من الخشب والعجلات،. لها درج قصير ومدخل جميل يؤدي إلى المقعد الحجري في الأعلى لجلوس الخطيب. المنبر مزين بقبة لطيفة. ترتكز قبته على أربعة أعمدة رخامية. هذه القبة تسمى «قبة الميزان». والسبب هو أن الأقواس القريبة منه كانت تسمى «الميزان» في العصور القديمة. يوجد محراب محفور بجانب المنبر. يقع هذا المحراب إلى الغرب من المنبر، تحت المكان الذي يجلس فيه الخطيب. يوجد محراب آخر في نفس المكان. نقش هذا المحراب على العمود الأول من الأقواس الجنوبية إلى الشرق من المنبر. إنه المنبر الوحيد في المنطقة المكشوفة في منطقة المسجد الأقصى. ولكنه لا يستخدم اليوم.

م) المتحف الإسلامي

قام المجلس الإسلامي الأعلى بتأسيس المتحف الإسلامي عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣م. وبهذا المتحف، تم إنشاء أول متحف تاريخي للقطع الأثرية في فلسطين. وبالنسبة لموقع المتحف فإنه كان يقع بالقرب من الرباط المنصوري، على الجانب الآخر من موقعه الحالي، بالقرب من مديرية الأوقاف الإسلامية وباب الناظر. ومن ثم انتقل المتحف الى مقره الحالي الواقع في الجزء الجنوبي الغربي من المسجد الأقصى المبارك بالقرب من باب المغاربةفي عام ١٩٢٩/١٣٤٨ م. ويتكون المتحف الإسلامي من قاعتين تشكلان زاوية قائمة، حيث كان مبنى القاعة الغربية يعرف قديما باسم مسجد المغاربة، بينما تشكل القاعة الجنوبية جزءا من مسجد النساء. وتضم معروضات المتحف مجموعة من أندر وأثمن المقتنيات التاريخية الإسلامية حيث تؤرخ هذه المعروضات لتاريخ المسجد الأقصى منذ الفتح العمري حتى الآن. كما يمتلك المتحف مجموعة من المخطوطات النادرة للقرآن الكريم والتي يرجع تاريخ أقدمها للقرن ٢هـ/ ٨م، إضافة إلى نسخة نادرة من القرآن الكريم أمر بتخطيطها السلطان المملوكي برسباي بين ٨٢٥-٨٤٠هـ/١٤٢٢-١٤٣٧م، وتعد أكبر نسخة من القرآن الكريم موجودة في فلسطين حيث تبلغ أبعادها ١١٠سم X ١٧٠سم.

الصورة ٦٥ : المتحف الإسلامي بالقرب من باب المغاربة (أرشيف IYV)

ن) حائط البراق / حائط المبكى

حائط البراق هو جزء من المسجد الأقصى ويقع في الجنوب الغربي من المسجد الأقصى. هذا الحائط تحت ملكية إسلامية. بعد احتلال إسرائيل للقدس عام ١٩٦٧، صادر اليهود هذا الحائط وتغير اسمه إلى «حائط المبكى». يدعي اليهود أن هذا الحائط هو جزء من هيكل سليمان. وهذا الحائط حسب العقيدة الإسلامية هو المكان الذي ربط فيه الرسول صلى الله عليه وسلم جبله المسمى البراق قبل أن يصعد إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج.

كان اليهود يؤدون صلواتهم وعبادتهم على جبل الزيتون خارج البلدة القديمة في القدس حتى القرن ٨ هـ / ١٥ م. أدى تحقيق أجرته لجنة تقصي الحقائق البريطانية في عام ١٩٣٠، حول دعاوي المسلمين واليهود بشأن ملكية حائط البراق إلى قرار يؤكد أن حائط البراق والمباني الأخرى ملك للأوقاف الإسلامية. ظهرت اليوم الساحة الموجودة أمام الحائط بعد احتلال قوات الاحتلال الإسرائيلي للقدس عام ١٩٦٧ وتدمير حي المغاربة التابع للمسلمين وطرد المسلمين المقيمين فيه.

الصورة ٦٦ ب : حائط البراق / حائط المبكى (أرشيف iYV)

الصورة ٦٦ أ : حائط البراق (أرشيف MT)

صورة ٦٧ أ : محراب إحدي المصليات أمام قبة موسى في باحة بيت المقدس / المسجد الأقصى (أرشيف FA)

صورة ٦٧ ب : منظر لبعض المحاريب في باحة بيت المقدس / المسجد الأقصى (أرشيف MT)

س) المصليات

يوجد ٢٦ مصلى في باحات المسجد الأقصى. صُنعت المصليات من الحجر، ذات سطح مستوٍ، على ارتفاع متر واحد من الأرض. متصلة ببعضها البعض بالخطوات. يحتوي العديد منها على محراب صغير أو حجر علامة للإشارة إلى اتجاه القبلة. تم تخصيص هذه المصليات للصلاة والخطبة والمحاضرة وما زالت تستخدم لهذا الغرض. تم بناء الاثنتين من هذه المصليات الستة والعشرين حديثًا، بينما تم بناء الأخريات خلال فترات مختلفة من الحكم الإسلامي، وخاصة المماليك والعثمانيين.

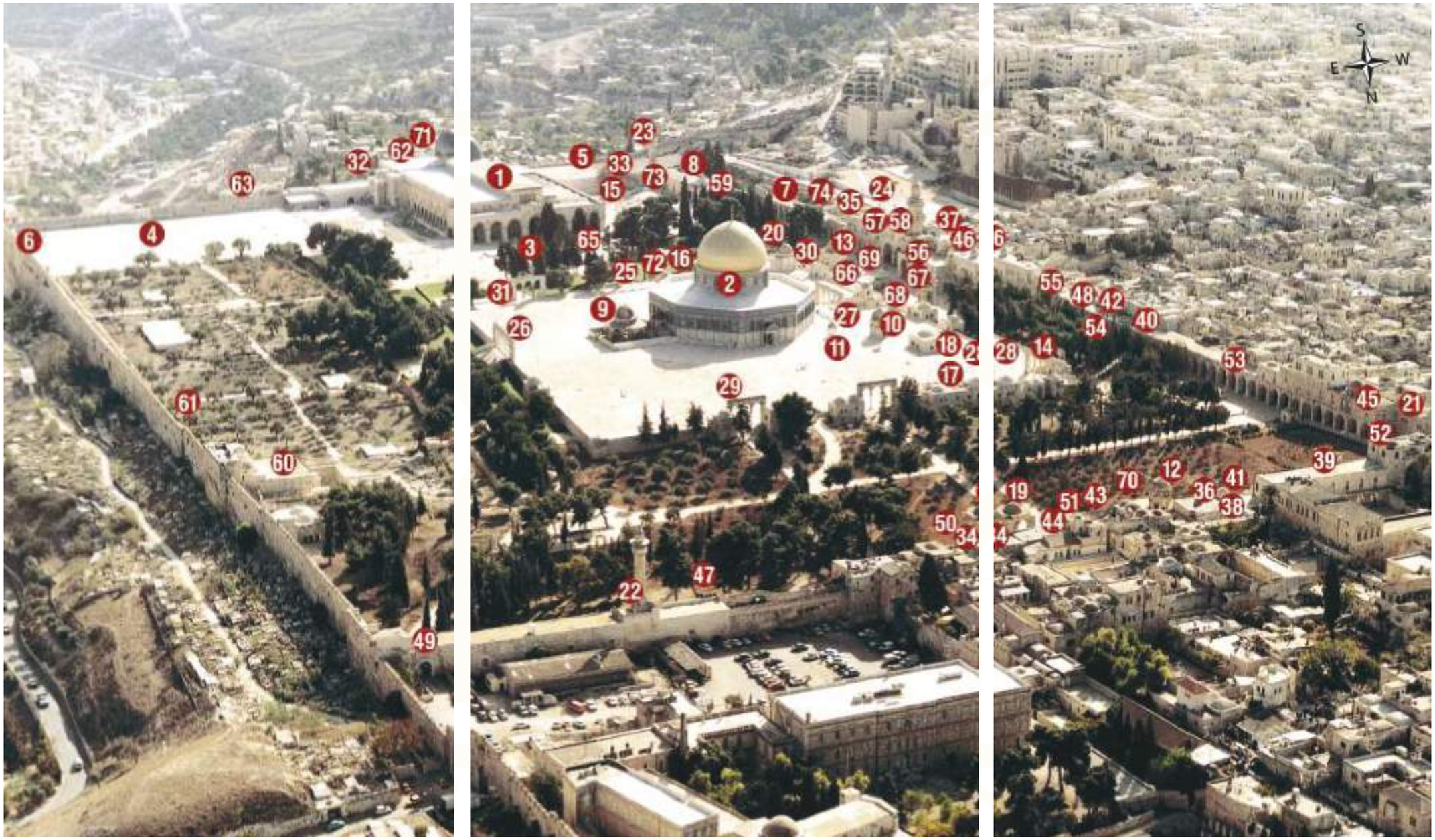

الخريطة ومفتاحها

(تكون أرقام وسائل الإيضاح المذكورة أعلاه وفقًا لترتيب الأماكن المحددة على الخريطة. لكل مكان رقم خاص متتال على الخريطة.)

المراجع باللغات الأخرى

Bozkurt, Nebi. “Kubbetü’Sahre”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 26: 305. (Ankara: TDV Yayınları, 2002).

Creswell. K.AC. Early Muslim Architecure. v.1. pt.1. Oxford: 1969, NY 1979.

Creswell. KA.C. A Short Acc. of Early Muslim Architecure. Mitcham. UK. 1958

Creswell. KA.C. Early Muslim Architecure. v.1. pt.2. Oxford: 1969/NY 1979.

Creswell. KA.C. Early Muslim Architecure. v.2. Oxford 1969/NY 1979.

Demirsoy, S. - Usta, M. Orta Doğu’nun Kalbi Kudüs, (İstanbul: Çamlıca Basım Yayın, 2018.

Harman, Ömer Faruk. “Kudüs”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 26: 324. (Ankara: TDV Yayınları, 2002).

http://www.aktuel.com.tr/dunya/2013/02/14/osmanli-mezarligini-bastilar (Erişim: 09.02.2020).

https://archnet.org/sites/2809 (Erişim: 07.02.2017.)

https://en.wikipedia.org/wiki/ Mamilla_Cemetery (Erişim: 14.02.2020).

https://www.ilimvemedeniyet.com/ibranice-gramer-kitabindan-kanuni-kissasi-aslanli-kapi-ve-turk-sultaninin-ruyasi.html.

Mazar-Ben-Dov. “The Omayyad structures near the Temple Mount”. Israel Exploration Society. Jarusalem: 1971.

Necipoğlu, Gülru. “The Dome of the Rock as Palimpsest: ‹Abd al-Malik’s Grand Narrative and Sultan Süleyman’s Glosses”. Muqarnas V 25. p. 17-105. 2008. Passia, Mescid-i Aksâ Rehberi, (Kudüs: 2003)

Rosen-Ayalon, Myriam. “The Early Islamic Monuments of al-Haram al-Sharif: An Iconographic Study, Al-Masjid al-Aqsa-Al-Aqsa Mosque”. Qedem 28, Jerusalem: 1989.

Taşların Konuştuğu Şehir: Kudüs http://ayvakti.net/?p=2607 (Erişim: 15.02.2020)

Tütüncü, Mehmet. “Kubbetüssahra Yazıları”. Düşünce ve Tarih. 4/40. Ocak 2018.

Tütüncü, Mehmet. “Kudüs ve Sultan 1. Süleyman”. Düşünce ve Tarih. İstanbul: 2016.

Walls, Archie G. “Restorations of Jerusalem and the Dome of the Rock and Their Political Significance 1537-1928”. Muqarnas V, p. 85-97.

١. مسجد القبلة
٢. قبة الصخرة
٣. مسجد الأقصى القديم
٤. المسجد المرواني
٥. مسجد النساء
٦. مهد السيد المسيح ومسجده
٧. مسجد البراق
٨. مسجد المغاربة
٩. قبة السلسلة
١٠. قبة المعراج
١١. محراب النبي وقبته
١٢. قبة سليمان
١٣. قبة موسى
١٤. قبة الخضر
١٥. قبة يوسف أغا
١٦. قبة يوسف
١٧. قبة الارواح
١٨. قبة الزاوية المحمدية/ قبة الخليلي
١٩. قبة السلطان محمود الثاني./قبة عشاق النبي
٢٠. قبة النحويين
٢١. مئذنة باب غوانمة
٢٢. مئذنة باب الأسباط/ مئذنة الصالحية
٢٣. مئذنة باب المغاربة/ مئذنة الزاوية الفخرية
٢٤. مئذنة باب السلسلة
٢٥. البوائك الجنوبية
٢٦. البوائك الشرقية
٢٧. البوائك الغربية
٢٨. بوائك الشمال الغربي
٢٩. بوائك الشمال الشرقي
٣٠. بوائك الجنوب الغربي
٣١. بوائك الجنوب الشرقي
٣٢. المدرسة الختنية
٣٣. المدرسة الفخرية
٣٤. مدرسة دويدار
٣٥. المدرسة التنكيزية
٣٦. مدرسة الفارسية
٣٧. المدرسة الأشرفية
٣٨. المدرسة الملكية
٣٩. المدرسة الجاولية
٤٠. مدرسة الخاتونية
٤١. المدرسة الإسعردية
٤٢. المدرسة الأراغونية
٤٣. المدرسة الامينية
٤٤. المدرسة الباسطية
٤٥. المدرسة المنجكية
٤٦. المدرسة العثمانية
٤٧. الأروقة الشمالية
٤٨. الأروقة الغربية
٤٩. باب الأسباط/القبائل
٥٠. باب حطة
٥١. باب شرف الأنبياء
٥٢. باب غوانمة
٥٣. باب الناظر
٥٤. باب الحديد
٥٥. باب القطانين
٥٦. باب المطهرة
٥٧. باب السكينة
٥٨. باب السلسلة
٥٩. باب المغاربة
٦٠. باب الرحمة وباب التوبة
٦١. باب الجنائز
٦٢. الباب المزدوج
٦٣. الباب المثلث
٦٤. الباب المنفرد
٦٥. شادرفان
٦٦. صهريج الملك عيسى المعظم للماء
٦٧. سبيل قايتباي
٦٨. سبيل النرنج
٦٩. سبيل قاسم باشا
٧٠. سبيل سليمان
٧١. منبر نور الدين زنكي/ منبر صلاح الدين الأيوبي
٧٢. منبر برهان الدين
٧٣. المتحف الاسلامي
٧٤. حائط البراق

التعايش في القدس العثمانية

عبد الله جقمق*

مقدمة: حرية العقيدة والعبادة في الإسلام

لقد أعطى الدين الإسلامي للناس الحقَّ في اختيار دينهم لأن لديهم العقل والإرادة. وبذلك يمكن للناس أن يدخلوا الدين الذي يريدونه أو أن يكون لديهم الإيمان الذي يريدونه. وهناك آيات عديدة في القرآن بخصوص هذه المسألة.[١] ومن بينها الآية المذكورة في سورة البقرة: (لا إكراه في الدين)[٢] والتي تحرم بشدة إكراه أي شخص على تغيير دينه. عندما ننظر إلى هذا القانون الإلهي والحاجة إلى أن يعيش الناس أفرادًا في مجتمع واحد، نفهم أنه لا مفر من أن يعيش المسلمون وغير المسلمين معًا في المجتمع الإسلامي.

طرحت الدولة الإسلامية الأولى التي تأسست بعد الهجرة إلى المدينة المنورة عام ٦٢٢ مبادئَ التعايش في المجتمع الإسلامي. فلا يغيب عنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعطى الأمان لنصارى نجران الذين التقى بهم في المدينة المنورة. إن أول دستور للدولة الإسلامية الذي هو دستور المدينة المنورة يتطرق إلى العديد من القضايا مثل واجبات رئيس الدولة، والدفاع عن الوطن، والعدالة، وحرية المعتقد والعبادة، وأمن الحياة والممتلكات، والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين. ومن بين هذه المواد التي تتضمن حق المعتقد والعبادة الممنوحة لغير المسلمين ما يلي: إن اليهود الذين يدخلون في أمرنا لهم منا حق العون، من غير أن يتعرضوا للاضطهاد ودون مساعدة من يعارضونهم (المادة ١٦). يشكل يهود بني عوف مجتمعًا مع المؤمنين، دين اليهود لأنفسهم، ودين المؤمنين لأنفسهم، وهذا يشمل جميع اليهود حتى أحبارهم (المادة ٢٥).[٣] فكان أول مَن أعطى حرية العقيدة والعبادة لغير المسلمين الذين يعيشون في الأراضي الخاضعة للحكم الإسلامي هو نبينا صلى الله عليه وسلم. عندما هاجر النبي إلى المدينة المنورة كان عدد سكانها نحوًا من ١٠٠٠٠ من بينهم ١٥٠٠ مسلم. كان منهم ٤٥٠٠ من العرب الذين ينتمون إلى قبيلتي الأوس والخزرج والبقية الـ ٤٠٠٠ من اليهود. وعلى الرغم من أن المسلمين كانو يشكلون الأقلية إلا أن المسلمين بقيادة النبي عند وضعهم الدستور الأول لم يستبعدوا غير المسلمين من المجتمع ولم يتجاهلوهم، بل قاموا بدمجهم مع المجتمع ورأوهم أفرادًا في الدولة كغيرهم. وفُرِضت على غير المسلمين الجزية ثمنًا للاعتراف بحقهم في الممتلكات وحرية العقيدة والعبادة والحياة الآمنة.

١- أول عهد يُعطى لغير المسلمين في القدس

عندما فتح سيدنا عمر القدس عام ٦٣٨ وجعلها تحت الحكم الإسلامي لأول مرة، كان من ما فعله في المدينة منح حرية العقيدة والعبادة للمسيحيين الذين يعيشون فيها. وهناك مواد تتعلق بحرية المعتقد والعبادة للشعب المسيحي في كتاب الأمان المُعطى للبطريرك صفرونيوس والموجود في جبل الزيتون في القدس. ووفقًا لكتاب الأمان هذا يحق للمسيحيين الجورجيين والأحباش والأقباط والآشوريين والأرمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة زيارة كنيسة القمامة في القدس وزيارة بيت لحم الذي يُعَدُّ مسقط رأس المسيح ومكان الكنيسة الكبرى والأماكن المقدسة الأخرى، ولن يتم التدخل في أمورهم ما داموا خاضعين لأحكام أهل الذمة. إضافة إلى ذلك، يُذكر أن المعفيين من الجزية، عند زيارتهم كنيسة القمامة سيدفعون ثلاثة دراهم فضية للبطريرك الموجود فيها.[٤]

د. عبد الله جقمق، عضو الهيئة التدريسية، كلية العلوم الإسلامية بجامعة أفيون كوجاتبه.
acakmak@aku.edu.tr.

[١] انظر: يونس: ٩٩/١٠، هود: ٢٨/١١، الزمر: ٤١/٣٩، ق: ٤٥/٥٠، الجاثية: ٢١/٨٨-٢٢، البقرة: ٢٥٦/٢.
[٢] البقرة: ٢٥٦/٢.
[3] Muhammed Hamidullah, İslâm Peygamberi / Salih Tuğ (İstanbul: İrfan Yayınevi, 2003), 188-210; Mustafa Özkan, Medine Vesikası/Anayasası ve Birlikte Yaşama, (Ankara: Fecr Yayınları, 2018), 25-55.
[4] Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Hatt-ı Hümâyûn, [HAT.], Nr: 1516, Gömlek Nr: 47, 5.

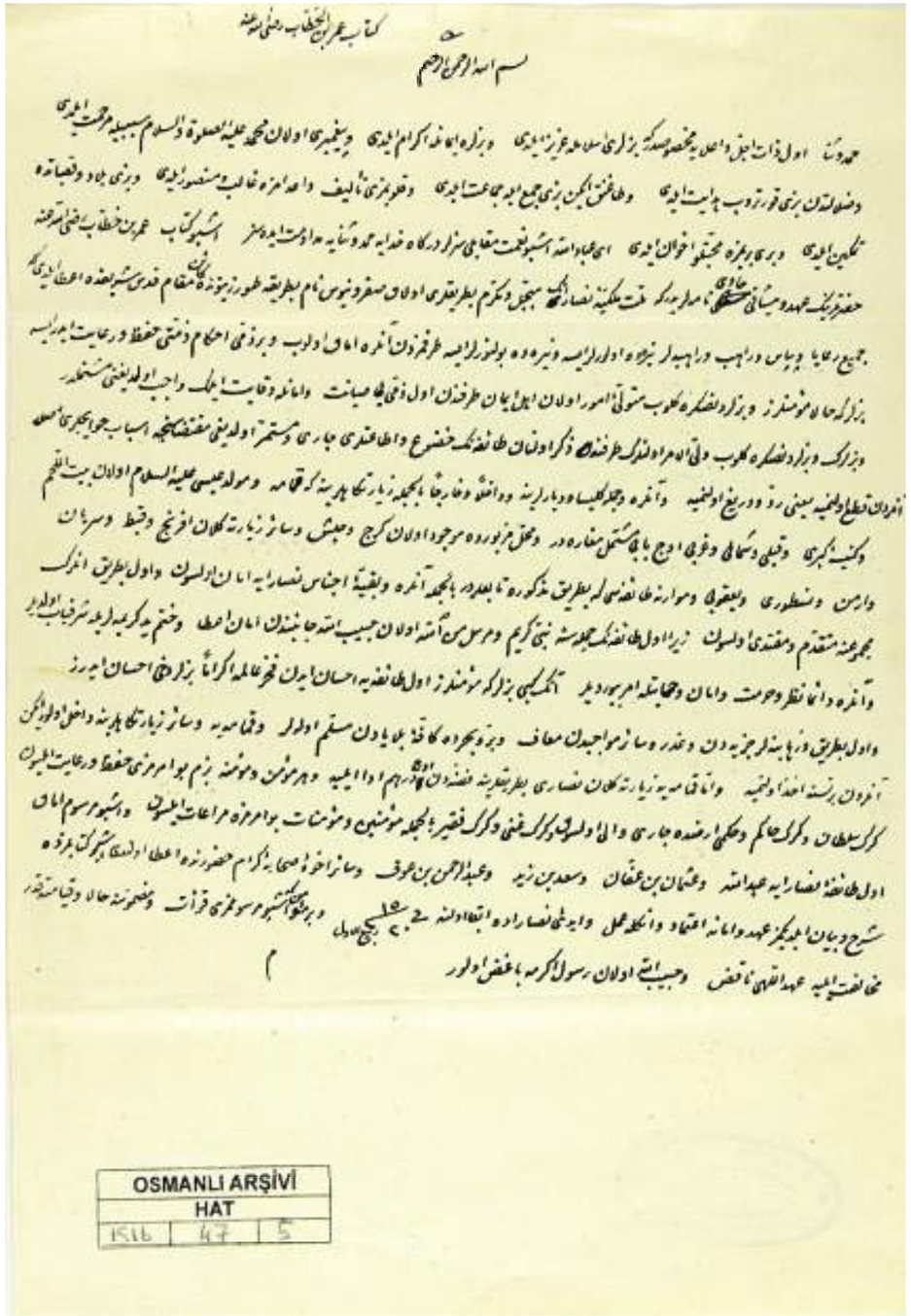

كتاب الأمان الذي أعطاه سيدنا عمر لمسيحيي القدس مترجمة الى التركية

كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم، وهدانا من الضلالة، وجمعنا بعد الشتات وألَّف قلوبنا، ونصرنا عَلى الأعداء، ومكَّن لنا من البلاد، وجعلنا إخوانًا متحابين، واحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة. هذا كتاب عمر بن الخطاب لعهدٍ وميثاق أُعطي إلى البطرك المبجل المكرّم وهو صفرونيوس بطرك الملة الملكية في طورزيتا بمقام القدس الشريف في الاشتمال على الرعايا والقسوس والرهبان والراهبات حيث كانوا وأين وجدوا، وأن يكون عليهم الأمان، وأن الذمي إذا حفظ أحكام الذمة وجب له الأمان والصون مِنَّا نحن المؤمنين وإلى من يتولى بعدنا وليقطع عنهم أسباب جوانحهم كحسب ما قد جرى منهم من الطاعة والخضوع، وليكن الأمان عليهم وعلى كنائسهم وديارهم وكافة زياراتهم التي بيدهم داخلًا وخارجًا وهي القمامة وبيت لحم مولد عيسى عليه السلام كنيسة الكبراء، والمغارة ذي الثلاثة أبواب، قبلي وشمالي وغربي، وبقية أجناس المسيحيين الموجودين هناك، وهم الكرج والحبش، والذين يأتون للزيارة من الإفرنج والقبط والسريان والأرمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة تابعين للبطرك المذكور. يكون متقدمًا عليهم لأنهم أعطوا من حضره النبي الكريم والحبيب المرسل من الله وشرفوا بختم يده الكريم، وأمر بالنظر إليهم والأمان عليهم، كذلك نحن المؤمنون نُحسِن إليهم إكرامًا لمن أحسن إليهم، ويكونوا معافًا (معافيين) من الجزية والغفر (الخفر) والمواجب، ومسلمين من كافة البلايا في البر والبحور وفي دخولهم للقمامة وبقية زياراتهم لا يؤخذ منهم شيء، وأما الذين يقبلون إلى الزيارة إلى القمامة، يؤدي النصراني إلى البطرِك درهم (درهمًا) وثلث من الفضة، وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ ما أمرنا به سلطانًا كان أم حاكمًا واليًا يجرى حكمه في الأرض، غني أم فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات. وقد أعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابة الكرام، عبد الله، وعثمان بن عفان، وسعد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وبقية الأخوة الصحابة الكرام. فليعتمد على ما شرحنا في كتابنا هذا ويعمل به، وأبقاه في يدهم، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وأصحابه، والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل. في العشرين من شهر ربيع الأول سنة خامس وعشر للهجرة النبوية. وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن والى يوم الدين فليكن لعهد الله ناكثًا ولرسوله الحبيب باغضًا».[5]

[5] BOA. HAT, Nr: 1516, Gömlek Nr: 47, 5.

عندما نقوم بدراسة العهد الذي أعطاه سيدنا عمر لمسيحيي القدس، نلاحظ أنه تمت الإشارة إلى قضيتين أولهما يقوم على منح سيدنا محمد حرية العقيدة والعبادة للمسيحيين والثانية هي التوصية باستمرار هذه الحقوق الممنوحة لغير المسلمين من قبل جميع رجال الدولة المسلمين في المستقبل. تكتسب هذه الحريات والتي تم إعلان أساسها في الماضي بعدًا عالميًا من خلال التأكيد على صلاحية هذه الحقوق والامتيازات للمستقبل. وعلى هذا النحو من الممكن رؤية هذه اللغة المشتركة في البيروقراطية في أسماء رجال الدولة المسلمين الذين حكموا القدس بعد سيدنا عمر أمثال السلطان الأيوبي صلاح الدين، وسلاطين مصر طاهر السيفي وأشرف السيفي[٦] والسلاطين العثمانيين السلطان محمد الفاتح،[٧] والسلطان سليمان القانوني، ومحمود الثالث، ومصطفى الثالث[٨] ومحمود الثاني.[٩] والحق أن استمرار هذه الحريات لقرون طويلة كحلقات سلسلة متشابكة تبرز مظهرًا من تقاليد الدول الإسلامية.

في المرسوم المعطى للأرمن:

ضُبِطَ وفقًا للعهد الذي أعطي منذ زمن سيدنا عمر رضي الله عنه والأوامر الشريفة القائمة منذ عهد الملك صلاح الدين....

في المرسوم المعطى للروم:

ضُبِطَ وفقًا للعهد الذي أعطي منذ زمن سيدنا عمر رضي الله عنه والأوامر الشريفة القائمة منذ السلاطين الأوائل....

وقد ذُكِرت العبارات التي تخص الاعتراف بهذه الحقوق في المستقبل أيضًا في كلا المرسومين مع بعض الاختلافات الطفيفة على الشكل التالي:

«لا يُتدخَل في شؤون الرعية وغيرهم ولا يتم فيها تبديل ولا تغيير سواء أكان من آباء الأمجاد أو أبنائهم أو الوزراء العظام والصلحاء الكرام والقضاة والأمراء والولاة وبيت المال ورجال القسمة والزعماء وأرباب التيمار ومباشري العمل والعمال والمتصرفين بالأموال وجميع الرعية وغيرهم والرفيع والوضيع والصغير والكبير وفرد الأفراد كائنًا من كان بوجه من الوجوه وسبب من الأسباب».[١٠]

٢- الدولة العثمانية والمقدسيين غير مسلمين

بعد ضم القدس جاء السلطان سليم الأول إلى هذه المدنية المقدسة وزار العديد من أماكنها المقدسة، ولا سيما المسجد الأقصى، وقبة الصخرة وخليل الرحمن، كما قدم الكثير من العطايا للعلماء المسلمين والفقراء هناك. إضافة إلى ذلك، قام السلطان سليم الأول بعد زيارته للقدس بإعداد مرسومين بناءً على طلب البطريرك الأرمني سركيز والبطريرك الرومي أتاليا. وكان الشيء الوحيد الذي يفصل هذين المرسومين وبين العهدة العمرية هو أنهما يذكران بشكل منفصل الأماكن المقدسة التي تعتبرها الطائفتان مقدسة في القدس. كما ورد في هذين المرسومين الصادرين عن السلطان سليم أن الحقوق والامتيازات الممنوحة للمسيحيين فيما يتعلق بحرية العقيدة والعبادة المذكورة في العهدة العمرية كان لها أساس في الماضي كما تشمل المستقبل أيضًا. والعبارات التي تشير إلى الأساس التاريخي للمراسيم الصادرة للأرمن والروم هي كما يلي:

[6] BOA. HAT, Nr: 1516, Gömlek Nr: 47, 7.

[٧] بعد فتح اسطنبول، أصدر السلطان محمد الفاتح مرسومًا لمسيحيين في القدس، يحمي حريتهم في العبادة، بناءً على طلب أتناسيوس، بطريرك الإغريق. للاطلاع على المرسوم الصادر عام ١٤٥٨ انظر:

Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA) Bâb-ı Defterî Kilise Defterleri [A.DVN. KLS. d.] Nr: 8 6.

[٨] للاطلاع على المراسيم المذكورة عن السلاطين العثمانيين الممنوحة لمسيحيي القدس انظر:

Bk. BOA. A.DVN. KLS. d. Nr: 8 8-25.

[٩] للاطلاع على المرسوم الصادر من أجل الأرمن والروم في القدس انظر :

Bk. BOA. HAT Nr: 1516 Gömlek Nr: 47 14-15.

[10] BOA. HAT, Nr: 1516, Gömlek Nr: 47, 10-11.

في هذين المرسومين اللذين أصدرهما السلطان سليم الأول وجعلَ العهدة العمرية أساسًا لهما، لم يخاطب فيها إلا مسيحيي القدس ويرجع ذلك إلى حقيقة أنه في تلك الفترة من الزمن كان المسيحيون فقط من يعيشون في القدس كغير مسلمين. وعلى الرغم من أن المراسيم المذكورة أعلاه تذكر المسيحيين فقط، فإن الأحكام العامة المتعلقة بحرية العقيدة والعبادة تشمل أيضًا اليهود، وهم مجتمع غير مسلم آخر في القدس العثمانية. ويؤكد هذه النقطة، نقش سليمان القانوني الموجود على باب يافا. وعلى الرغم من أن السلطان القانوني كان قادرًا على نقش كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» على باب يافا ليدل بذلك على أن هذه المدينة المقدسة ملك للمسلمين ولكنه فضَّل هنا كتابة اسم إبراهيم ونقش ذكر «لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله»، النبي المشترك لجميع الديانات السماوية الذين يعيشون في القدس. فأكد بذلك على عقيدة التوحيد وأظهر أن التعايش بين الأديان في القدس أمر مهم في المجتمع.

قدسية القدس في العهد العثماني عند المسلمين والمسيحيين واليهود مهدت الأرضية لتكوين السكان المحليين من أناس ينتمون إلى هذه الأديان وبذلك سميت الأحياء القديمة المحاطة بالأسوار بأسماء الحي الإسلامي وحي المسيحيين والحي اليهودي، وذلك وفقًا للكثافة السكانية في كل حي. ولكن تلك التسميات لا

نقش السلطان سليمان القانوني على باب يافا أحد أبواب القدس

تعني أن المسلمين والمسيحيين واليهود كانوا يعيشون في عزلة عن بعضهم البعض. على الرغم من أن خطط الإسكان في المدينة القديمة كانت منفصلة عن بعضها البعض، إلا أن هذه المجموعات الدينية الثلاث كانت على اتصال مع بعضها البعض في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. وتجدر الإشارة إلى أن الانقسام العرقي في القرى المحيطة بالقدس وبالأخص القرى التي يعيش فيها المسلمون والمسيحيون مع بعضهم لم يكن حادًا كما هو الحال في وسط المدينة. وفي واقع الأمر، تكشف العديد من الأحكام الموجودة في سجلات قاضي القدس عن أن أفراد هذه الديانات الثلاث عاشوا معًا في القرى المحيطة بالقدس.[١١]

[11] Kudüs Sancağı Şeriyye Sicil Defteri, [KŞS], Nr: 290, 5 ve 20; Nr: 299, 51; Nr: 319, 44-47.

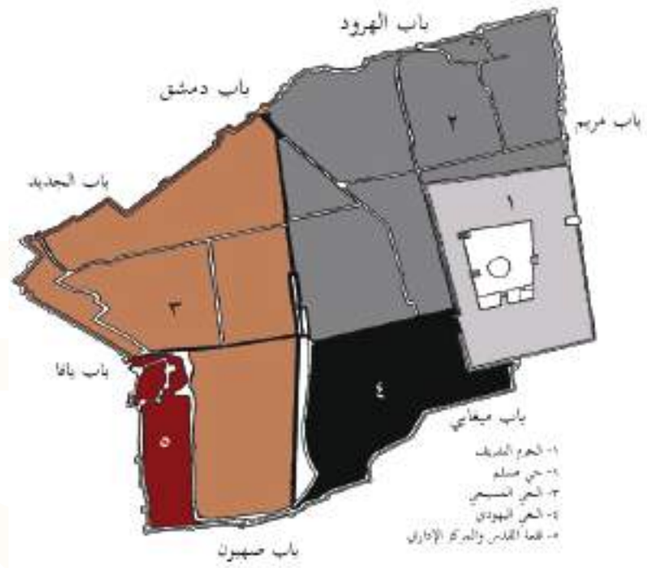

توزع الأحياء في القدس

في أول تعداد سكاني أجري في القدس تحت الحكم العثماني، كان اللواء المركزي للقدس يتألف من اثني عشر حيًّا، عشرة منها من المسلمين. بصرف النظر عن ذلك، فقد وجد أيضًا في المناطق التي تعيش فيها الجالية المغربية المسلمة جاليات غير مسلمة من السريانية واليهودية.

الجالية و الحي	
حي باب الحطة	المسلمين
حي باب القطانين	
حي الزراعنة	
حي الريشة	
حي بني حارث	
حي الهويد	
هي الخوالدي	
حي الشرف	
حي باب العامود	
حي بني زيد	غير المسلمين
جماعة المغاربة	
حي الملكيتة	
ثقافة النصراني	
جماعة السريان	
جماعة اليهود	

أحياء مدينة القدس ما بين تاريخ ٢٦-١٥٢٥[١٢]

[12] Başbakanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Tapu Tahrir Defterleri [TT.d.], Nr: 427, 261-269.

بالنظر إلى التعايش بين المسلمين والمسيحيون واليهود معًا في القدس، وقيام أتباع هذه الديانات الثلاث من جميع أنحاء العالم بزيارة القدس، وبسبب هذا الوضع الخاص للدولة العثمانية، كان لا بد من الانخراط في بعض الأنشطة تجاه المسلمين وغير المسلمين في القدس. وعندما أصبحت منطقة الحرمين تحت الحكم العثماني، أبدى السلاطين العثمانيون، الملقبون بـ «خادم الحرمين الشريفين»، اهتمامًا خاصًا بالمسلمين في هذه الأماكن المقدسة.

كانت القدس «ثالث الحرمين الشريفين»، وحصلت على نصيبها العادل من الاهتمام لأنها ثالث مدينة مقدسة لدى المسلمين. ويبرز مجالان من أنشطة الدولة العثمانية لتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمسلمي القدس، وهما الوقفيات والصرة. فقد رُمِّمَت الكثير من المباني الواقعة في المدينة المحاطة بالأسوار والتابعة للوقفيات خلال العهد العثماني، وخاصة الجامع القبلي الموجود في المسجد الأقصى والصخرة المعلقة المشرفة. استمرت قوانين الوقفيات التي كانت موجودة في المدينة قبل الحكم العثماني بنفس الطريقة خلال العهد العثماني وأضيفت إليها العديد من الأوقاف الجديدة. فتم تحقيق الحياة المزدهرة بالخدمات المقدمة في المجالات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للمسلمين. بالإضافة إلى ذلك، تم تخصيص حصة للقدس من الصرة السلطانية المرسلة من إسطنبول مع قافلة الحج كل عام لأهالي مكة والمدينة. وتكشف الصرة السلطانية التي استفاد منها بشكل خاص السادة والعلماء والفقراء ومعاصروهم في القدس، الأهميةَ التي أولتها الدولة العثمانية لمسلمي القدس، حتى إن الدولة بتخصيصها حصة من صرة الحرمين لمسلمي القدس، جعلتهم تحت حماية الدولة وأشعرتهم بمشروعية الدولة في المدينة المقدسة.

إذا نظرنا إلى سياسة الدولة العثمانية تجاه غير المسلمين في القدس ضمن نطاق حرية العقيدة والعبادة، نرى أن المسيحيين هم الأكثر مخاطبَة، لأنهم في المرتبة الثانية بعد المسلمين. وعلى الرغم من أن القدس هي مكان حج للمسيحيين، إلا أن مركز هذا الحج هو كنيسة القيامة/القبر المقدس، التي شيدتها هيلينا في القرن الرابع الميلادي، والدة الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبير. وإلى جانب الكنيسة التي يشار إليها باسم كنيسة القبر المقدس أو كنيسة القيامة في وثائق الأرشيف العثمانية، يُعَدُّ الكهف الذي ولد فيه المسيح في قرية بيت لحم وقبر السيدة العذراء مريم أيضًا من الأماكن المقدسة لجميع المسيحيين.

كانت هناك صراعات استمرت لقرون في القدس بين الطوائف المسيحية المختلفة حول هذه الأماكن المقدسة وكان المرجع لحل كل هذه النزاعات في العهد العثماني هي ما يعرف باسم الديوان السلطاني (ديوان همايون). فعندما تُرفَع دعوة مطالبة بالحق من قبل أحد الجماعات المسيحية بما يخص الأماكن المقدسة إلى قاضي القدس، كان على قاضي القدس إحالة القضية للديوان السلطاني للبت فيها. وحتى لو كان لدى المدعين الوثائق التي تبرر ادعاءاتهم، كان من الضروري إرسال جميع هذه الوثائق إلى الديوان السلطاني، فيقارن الديوان هذه الوثائق مع العهدة العمرية والتي تم تجديدها في عهد السلطان سليم الأول وبعدها سيكون بإمكانهم التوصل إلى قرار يتماشى مع المعلومات التي تم الحصول عليها منهم. في عام ١٦٨٩ حذر الديوان السلطاني بشدة الحكام المحليين والقضاة الذين لم يرسلوا الوثائق إلى إسطنبول، وهي الوثائق التي قدمتها البطريركية الرومية في القدس إلى المحكمة للمحلية.[١٣] وفي قضية تم رفعها عام ١٦٩٧، اشتكى الروم من احتلال الأرمن للأماكن المخصصة لهم في كنيسة القيامة والتي كانت بحوزتهم لفترة طويلة. وبحسب ادعاءات الروم فإن بعض القضاة الذين يعتقدون أنهم كانوا جشعين قد أخذوا الرشاوي من الأرمن وقاموا بترتيب وثائق مزورة وبذلك أعطوا أماكنهم للأرمن. حتى لو كان المدعى عليه قاضي القدس، فقد أخذ الديوان السلطاني هذه الادعاءات بعين الاعتبار وأرسلت الوثائق المزعومة أنها مزورة إلى إسطنبول وبذلك تم إبلاغهم بأن القضية سينظر فيها الديوان السلطاني .[١٤]

[13] Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Bab-ı Asafi Divan-ı Hümayun Mühimme Kalemi [A. DVNS. MHM. d.], Nr: 98, judg. 266
[14] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 110, judg.: 942.

كنيسة القيامة، مركز حج المسيحيين في القدس[15]

أصبح الخلاف بين الروم والأرمن على الأماكن المقدسة في القدس معقدًا في عهد السلطان سليم الثالث حتى إن الدولة العثمانية اضطرت إلى تعيين حاجب لتسوية هذه القضايا. وهكذا نال الأرمن الذين بذلوا جهودًا كبيرة وعملوا على إصدار مرسوم أيلول/سبتمبر ١٨٠٣، الامتيازات التي كانوا يزعمون دائمًا أنها لهم. في هذا المرسوم قرار يقضي بإزالة المصابيح الموجودة في قبر السيدة العذراء، والتي تم تخصيصها للشعوب الحبشية والقبطية والسريانية الذين كانوا من أتباع الدِّين نفسه وداعمي الروم لفترات طويلة، وتسليم المفاتيح التي بحوذتهم للأرمن، واستبعادهم من الطقوس المشتركة.[16] نتيجة للامتيازات التي حصل علها الأرمن، قام الروم الذين تضرروا من تنظيم الكنائس وأماكن الحج الأخرى، وسُلب منهم جميع حقوقهم تقريبًا بمحاولات مهمة لإعادة الوضع إلى حالته السابقة. كان أهم عمل للروم في هذا الصدد هو تذكير إسطنبول بالمراسيم التي في أيديهم والتي تبين فيها حقوقهم. ونتيجة للتحقيق الذي أجراه الحاجب بخصوص هذا الموضوع، تبين أن الروم على حق وأن حقوق الشعبين الرومي والأرمني في الكنائس وأماكن الزيارات الأخرى في القدس قد تم الكشف عنها بوضوح في المرسوم الجديد الذي صدر قبل مرور شهرين. وانطلاقًا من ذلك أصبح الروم أصحاب الحق على كل من: الحجر المغتسل الموجود في كنسية القيامة، وشمعدان قديمان، والمصابيح الزيتية، وأربعة أقواس تابعة للبطريركية الرومية، والأقواس السبعة الموجودة على ستي مريم، ووسط كنيسة القيامة، وموقع الضريح، وكل أماكن الزيارات، والباحة والكنائس الثلاثة الموجودة في الباحة، وكنيسة أيلينا التي تقع مقابل كنيسة القيامة والتي يقيم فيها البطريرك، ومار سقالة وستي ناي، ومار إفطيميوس، ومار ميكائيل، ومار يورجي، ومار يوحنا، ومار فاسيل، ومار نيكولا، ومار ديمتري، وستي مريم، ومار يوحنا آخر، ودير جورجيا. ومار يعقوب، ومار يورجي، ومار سيوم، ومار يورجي آخر، ومار سيمون، ومار إلياس، ومار سافا، وأديرة مار يورجي في بيت جالا، وضريح السيدة مريم الواقع خارج القدس، وزنزانة سيدنا عيسى في بيت حنّان وقبوره الموجودة في الصحراء، ومغارة وكنيسة بيت لحم حيث ولد سيدنا عيسى، ومفتاح البابِ الشمالي والقبلة للكنيسة، والحديقتان الموجودتان حول الكنيسة، وبستان الزيتون، والمقابر، والكنائس والأديرة التي تقع في القرى الأخرى.[17]

[15] https://digitalcollections.nypl.org/items/510d47d9-5d65-a3d9-e040-e00a18064a99.
[16] Sarkis Karakoç, «Ermenilerin Kuds-i Şerîf'te Haiz Oldukları İmtiyazat-ı Kadimelerinin Teyidiyle Rumların Men'-i Taarruzatı Hakkın da Ferman-ı Âlî (evâil-i Cemaziyelahir 1218)», Külliyât-ı Kavanîn, Dosya Nr: 2/6389, (Türk Tarih Kurumu Kütüphanesi).
[17] Karakoç, Rumların Kuds-i Şerîf'teki Ziyaretgâhlarına Ermenilerin İştiraklerine Mutazammın Olup evâil-i Cema ziyelahir 1218 Tarihinde Tecdit Olunan 1171 Tarihli Fermanın Terkin Kaydı Hakkında Ferman-ı Âlî (evâsıt-ı Recep 1218), Külliyât-ı Kavanîn, Dosya Nr: 2/4007.

ويمككنا القول بإيجاز إنه تم حل الخلافات بين المجتمعات المسيحية، لا سيما الروم والأرمن في القدس، من قبل الإدارة المركزية العثمانية. ومن أجل تنظيم إدارة الأماكن المقدسة، تم إصدار حوالي مئة وخمسين مرسومًا لأجل الجماعات المسيحية في القدس منذ عهد السلطان سليم الأول والتي كان يديرها شخصيًا الديوان السلطاني. ويكفي هذا العدد من المراسيم لتبيان حجم الصراع بين المسيحين أنفسهم في القدس. وفي مواجهة مثل هذا الصراع الكبير بين المجتمعات المسيحية، والذي استمر لقرون، لم تترك الإمبراطورية العثمانية هذه المجتمعات وشأنها وحاولت دائمًا إيجاد حلول لمشاكلها، وبالتالي منع المزيد من الاضطرابات.

من الحقوق التي منحتها الدولة لغير المسلمين في القدس في نطاق حرية المعتقد والعبادة إصلاحُ أماكنهم المقدسة. وهناك نوعان من السياسات اللافتة للنظر للإدارة المركزية فيما يتعلق بإصلاح هذه الأماكن. أولها منع المسؤولين المحليين في القدس من فعل ذلك فهم يحاولون انتهاز هذه الفرصة. لأن الحوادث الفردية تظهر أن بعض الجشعين من المسؤولين المحليين للقدس يرون الرعايا غير المسلمين مصدر دخل لهم. وقد تسبب هذا الوضع في حدوث وقائع غير مرغوب فيها في القدس من وقت لآخر، وهذا الأمر لا يمكن التغلب عليه إلا من خلال شكاوى الرعايا غير المسلمين إلى الديوان السلطاني. عندما اشتكى اليهود الذين جاءوا لزيارة القدس عام ١٥٨١ من أن المسؤولين المحليين في القدس قاموا بإهانتهم وابتزاز أموالهم، أمر الديوان السلطاني آمر متصرفية القدس (سنجق بيك) والقاضي في القدس بوقف مثل هذه الأفعال فورًا وإبلاغ إسطنبول بمن يعارض الأمر.

وعندما يُنظَر إلى الشكاوي المرفوعة والتي يذكر فيها أنه طُلِب من غير المسلمين المال حين أرادوا إصلاح أماكنهم المقدسة بغير وجه حق، اكتُشِفَ أنه تتم المطالبة بالمال ظلمًا. وكان المسؤولون المحليون الجشعون الذين لم يكتفوا بأرباحهم يطلبون الأموال من غير المسلمين لأسباب مختلفة ويقومون بتهديدهم، قائلين إنهم إذا لم يعطوهم المال فسوف يقومون بتفتيش معابدهم. أما السياسة الثانية المطبقة تجاه أعمال الإصلاح هي منع جهود المسيحيين بتوسيع أماكن عبادتهم تحت اسم الإصلاح. وكانت الدولة العثمانية بسماحها لمسيحيي القدس بترميم أماكن عبادتهم القائمة تهدف إلى عدم ظلمهم لأن أماكنهم الأثرية قد تضررت بفعل الزمن. بخلاف ذلك، كان ممنوعًا بناء معبد جديد أو محاولة توسيع معبد قائم بفضل الأوامر المرسلة من قبل الإدارة المركزية العثمانية. وباءت بالفشل جميع محاولات المسيحيين الذين يريدون التعاون مع المسؤولين المحليين وتوسيع معابدهم الحالية باستخدام حيل مختلفة.

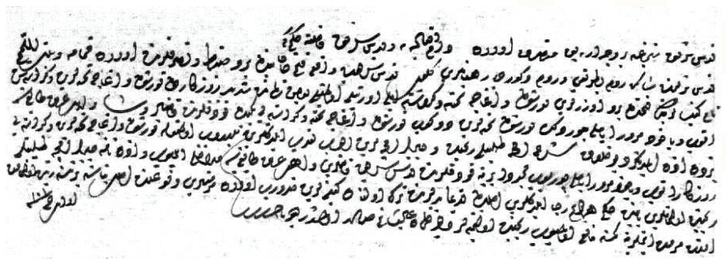

عدم منع المسيحيين من إجراء إصلاحات في كنيسة القيامة
(BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 99, judg. 329)

[18] Sarkis Karakoç, Külliyât-ı Kavanîn.
[19] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 46, judg. 238.
[20] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 99, judg. 330.
[21] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 99, judg. 329; Nr: 102, judg. 438; Nr: 102, judg. 564.

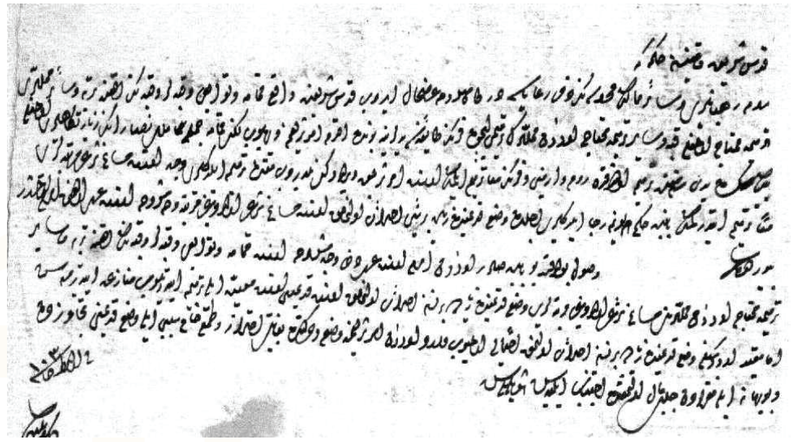

قيام المسيحيين بإصلاحات في كنيسة القيامة بشرط عدم التوسيع

اليهود أثناء عبادتهم على حائط المبكى بين عامي (١٨٩٨-١٩١٤)[٢٣]

عندما ننظر إلى قضايا إصلاح المعبد لليهود، وهم رعايا غير مسلمين آخرين في القدس، نواجه وضعًا أكثر تعقيدًا مقارنة بالمسيحيين. عندما ضم السلطان سليم الأول القدس، لم يكن لليهود معبد. لذلك أعاد السلطان سليمان القانوني بناء حائط المبكى الذي يعتبر مقدسًا لدى اليهود. غير أن منع الرعايا غير المسلمين من بناء معابد جديدة في المناطق الخاضعة للحكم الإسلامي وعدم وجود معبد يهودي ليهود القدس كانت مشكلة كبيرة. حاول المتدينون اليهود في بداية الأمر حل هذه المشكلة عن طريق فتح منازلهم أو الأماكن التي اشتروها لإخوانهم في الدين لأغراض العبادة، وسمحت الدولة العثمانية بوجود هذه الأماكن طالما أنها لا تسبب أزمة عامة، معتبرة أنه كان من الطبيعي أن تحتاج جماعة دينية إلى معبد، وخاصة في العبادات الجماعية. بعد ظهور المعابد اليهودية بهذه الطريقة، تم اتباع السياستين المطبقتين على المسيحيين في مسألة إصلاح المعابد المقدسة. وعندما تعرض اليهود الذين تقدموا بطلبات إلى محكمة القدس للإصلاح، للتهديد من قبل المسؤولين المحليين في القدس، قدموا طلبًا إلى الديوان السلطاني، فحصلوا على حماية قانونية لمعابدهم.[٢٢]

[22] Mustafa Öksüz, «XVI. Yüzyıl Kudüs'ünde Yahudi Mabetleri ve Osmanlı Devleti», İsrailiyat: İsrail ve Yahudi Çalışmaları Dergisi, 2, (Yaz 2018), 9-32.

[23] http://loc.gov/pictures/resource/cph.3b09368/. (eErişim: 6.11.2019).

كان المسيحيون يتدفقون إلى القدس من جميع أنحاء العالم خلال العهد العثماني لقضاء الأيام التي يعدونها مقدسة وفقًا لمعتقداتهم الدينية. ولم تكن هذه الزيارات إلى القدس نفسها في جميع فصول السنة، لا سيما أن عدد الزوار كان يزيد بشكل كبير في الفترة ما بين ٢٥ كانون الأول/ديسمبر المصادف لعيد الميلاد وعيد الفصح في نيسان/أبريل. عندما تضاف احتفالات المسيحيين بعيد الفصح في نيسان/أبريل إلى أعياد المسلمين بالنبي موسى واحتفالات عيد الفصح اليهودي في الشهر نفسه، يمككنا القول إن عدد سكان القدس في ذلك الشهر يصل إلى ذروته. ومكّنت الدولة العثمانية غير المسلمين من أداء طقوسهم مع الأنشطة التي يقومون بها في مواسم الاحتفال دون أي مشاكل.

احتفالات عيد الفصح في كنيسة القيامة (بين عامي ١٨٩٨-١٩١٤)[٢٤]

خروج المسلمين من باب الشام لحضور أعياد النبي موسى (بين عامي ١٨٩٨-١٩١٧)[٢٥]

[24] http://loc.gov/pictures/resource/matpc.06563/. (Erişim: 6.11.2019).

[25] http://loc.gov/pictures/resource/matpc.04617/. (Erişim: 6.11.2019).

تم إحضار تعزيزات من الأحياء المحيطة بالإضافة إلى الجنود الموجودين في القدس، من أجل منع النزاعات بين المسيحيين والمسلمين وحتى بين المسيحيين أنفسهم. وكان يتراوح عدد الجنود الذين يتم ارسالهم كتعزيزات من لواء نابلس وذلك حسب عدد الزوار المتوقع قدومهم إلى القدس بين ١٠٠ إلى ٣٠٠ جندي. وفي الوقت الذي تم فيه اتخاذ مثل هذه الاجراءات الأمنية في المدينة بمبادرة من المسؤولين المحليين في القدس، قدمت الحكومة المركزية التسهيلات اللازمة للمسيحيين الذين كانوا في طريقهم إلى القدس، خاصة القادمين من أوروبا. في عام ١٥٧٩ تمت مناقشة طلب ألكسندر أحد السادة الجورجيين في الديوان السلطاني بشأن عدم منع المسيحيين الذين يريدون الذهاب إلى القدس من جورجيا لغرض زيارة كنيسة القيامة، وفي القرار المتخذ من قبل الديوان السلطاني، تم التأكيد على التطورات في المنطقة من خلال الإشارة إلى منطقة شيروان التي تم فتحها والسيطرة عليها حديثًا في معركة قويون كجيدي التي خاضها العثمانيون ضد الصفويين. ومع ذلك، فقد أُبلغ حاكم أرضروم وآمر متصرفية القدس أنه لا ينبغي منع المسيحيين الجورجيين الذين أرادوا الذهاب إلى القدس، بشرط أن تكون لديهم وثيقة مختومة من قبل السيد الجورجي إسكندر. وفي التعليمات الصادرة بحق اليهودي داوود الذي أراد الذهاب من إسطنبول الى القدس عام ١٦٣١ والتي تتعلق بعدم مسه هو وممتلكاته، تم تنفيذ نفس التعليمات للقضاة والسادة ومن على أشكالهم والذين كانت وجهتهم القدس. وفي العام نفسه، تكرر الأمر نفسه لكتاب أسرار الملك الفرنسي والذين أرادوا الذهاب من إسطنبول إلى القدس، أنه لا ينبغي لأحد أن يتدخل فيهم أثناء مغادرتهم وعودتهم.

كما تم اتخاذ الإجراءات اللازمة لتلبية الاحتياجات السكنية والغذائية والصحية للسكان المسيحيين المتزايدين خلال الاحتفالات في القدس. وطلب بطريرك القدس الرومي من الدولة العثمانية تخصيص مكان مؤقت لإيواء الروم الذين أتوا إلى القدس بغرض الزيارة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وبناءً على طلب البطريرك ومن أجل حل مشكلة الإسكان لغير المسلمين، سمحت الدولة للروم بالبقاء في ثكناتها المتواجدة بالقدس لمدة شهر. خلال مواسم الزيارات على وجه الخصوص، تم زيادة عدد العاملين في مجال الصحة والنظافة في المدينة مع فكرة أن التجمعات المزدحمة وأداء الطقوس قد تسبب العديد من الأمراض المعدية. بالإضافة إلى أن كمية الطعام التي كانت كافية لأهالي المدينة في ظل الظروف العادية لم تكن كافية مع حلول موسم الاحتفالات. لهذا السبب، كان من الضروري زيادة المخزون الغذائي في المدينة خلال مواسم الاحتفال. وتعد التدابير التي اتخذها متصرف القدس حافظ أحمد باشا خلال احتفالات عيد الفصح عام ١٨٥٢ أفضلَ مثال في هذا الشأن. كما تزامن موسم عيد الفصح هذا العام مع عيد النبي موسى للمسلمين، مما زاد الحاجة إلى الطعام في المدينة أكثر من أي وقت مضى. كان لدى حافظ أحمد باشا الكثير من المؤن والطعام في المدينة لهذا العام، مما يضمن استكمال الاحتفالات دون أي مشاكل. بهذه الطريقة أبلغ مسلمو القدس البارزون وكذلك البطريرك الرومي والبطريرك الأرمني، السلطانَ عبد المجيد برسالة أنهم مسرورون بإجراءات حافظ أحمد باشا.

نعتبر أنه من المفيد إضافة نقطة مهمة إلى المبادئ التي طرحناها حتى الآن فيما يتعلق بمنح الدولة العثمانية حق العقيدة والعبادة لغير المسلمين في القدس. على الرغم من أن الدولة العثمانية منحت حرية العبادة لغير المسلمين، إلا أن هذه الحرية لا تعني أن لأهل الذمة حق التصرف كما يشاؤون. وبما أن حرية عبادة أهل الذمة قد أُنشئت وفقًا للمبادئ التي حددها الدين الإسلامي، كان من الضروري منعهم عندما يظهرون سلوكيات مناقضة ومخالفة للشريعة. في هذا الصدد، يتم التدخل مباشرة عند ملاحظة قيام غير مسلمين أثناء تأدية طقوسهم بالسخرية من معتقدات أتباع الديانات الأخرى أو في حال تسببهم بأضرار لأماكنهم المقدسة والسخرية منها.

٢٦ للاستزادة في موضوع إرسال جنود من نابلس إلى القدس في عيد الفصح، انظر:
Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Bab-ı Ali Evrak Odası, [BEO.], Gömlek Nr: 56708, 1, Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Yıldız Mütenevvi Maruzat Evrakı, [Y. MTV.], Nr: 153, Gömlek Nr: 41; BOA. Y. MTV. Nr: 174, Gömlek Nr: 177; Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Yıldız Perakende Evrakı Umumi [Y. PRK. UM.], Nr: 45, Gömlek Nr: 56.

[27] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 32, judg. 497-498, 502.

[28] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 85, judg. 100.

[29] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 85, judg. 280.

[30] Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Sadaret Mektubi Kalemi Nezaret ve Devair Kalemi [A. MKT. NZD.], Nr: 212, Gömlek Nr: 79.

[31] Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), Sadaret Mektubi Kalemi Mühimme Kalemi [A. MKT. MHM.], Nr: 584, Gömlek Nr: 17.

[32] Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA), İrade Hariciye, [İ. HR.], Nr: 87, Gömlek Nr: 4289, 1-4.

الأمر الذي بُعِثَ إلى قاضي القدس على خلفية شكوى الملا سيامي
(BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 5, judg. 191)

إن الالتماس الذي تم إرساله إلى إسطنبول عام ١٥٦٥ مهم من حيث إظهار التدابير المتخذة ضد أولئك الذين يقومون بتدنيس الأماكن المقدسة. وفي الالتماس الذي كتبه الملا سيامي، تم لفت الانتباه إلى القضايا التي تحدث في القدس، وهي:

١- بعض النساء اللواتي يأتين إلى المسجد الأقصى بغرض الزيارة، يلبين احتياجاتهن من المرحاض في الفناء، وعمال النظافة غير كافيين في تنظيف هذه القذارة، خاصة في أوقات صلاة العيد والجمعة والأوقات الأخرى.

٢- في قبر السيدة مريم وقدم عيسى وغيرهما من الأماكن المقدسة، تجتمع النساء غير المسلمات ويتصرفن بطرق لا تتوافق مع الشريعة الإسلامية. على سبيل المثال، عندما يموت أحد العرب في القدس، يزورون الأحياء بصحبة المغنيين ليعلنوا عن وجود جنازتهم، ويدورون حول القبر ملطخين وجوههم بالسواد ويقومون بإصدار أصوات مختلفة.

٣- ازدياد إلقاء بقايا الطعام على الطرق من قبل الذين يعيشون في المنطقة المجاورة لأن حرَّاس الأبواب لا يقومون بواجباتهم.

٤- بعض الهنود المقيمين حول الصخرة المعلقة يقضون حاجتهم للمرحاض ليلًا هنا حول الصخرة المعلقة.

٥- المزارعون الذين يجلبون اللبن والحليب إلى السوق مع زوجاتهم، يمرون من داخل الحرم الشريف بحجة أنها واقعة على طريقهم.

بناء على شكوى الملا سيامي من هؤلاء الذين تصرفوا تصرفات مخالفة للشريعة والتي رفعها للديوان السلطاني، بُعِثَ أمر لقاضي القدس، وتضمن الأمر منع أي رجل أو امرأة من تصرفات مخالفة للشريعة في المسجد الأقصى والصخرة المعلقة الشريفة والأماكن المقدسة الأخرى، وقد تم تسجيل هذا الأمر في دفتر السجل وذكر أن أولئك الذين سيصبحون قضاة القدس من الآن فصاعدًا يجب أن يمتثلوا أيضًا للأمر.[٣٣]

وبناءً على الالتماس المرسل عام ١٥٧٨ إلى الديوان السلطاني والمتضمن فيه أن المسيحيين شربوا النبيذ في ضريح النبي عزير في القدس، تم إرسال أمر إلى متصرف القدس وقاضيها لمنع هذا الأمر على الفور والذي ينص على أنه لا ينبغي السماح لأي مسيحي أو يهودي أو أي شخص آخر بالانخراط في مثل هذا السلوك بعد الآن.[٣٤] وفي مرسوم آخر لعام ١٦٩٥ تم الرد على المسلمين الذين يزعمون أن دير مصالبي الواقع خارج القدس كان مسجدًا. وكان المسلمون قد ادعوا سابقًا أن هذا المكان كان مسجدًا، ونتيجة للاستطلاع الحاصل هناك، تم الكشف عن أن المزاعم لا أساس لها من الصحة. فأُمر المسلمون بعدم إزعاج المسيحيين مرة أخرى بشأن هذا الموضوع.[٣٥] وأما المثال الأخير الذي سنقدمه حول هذه المسألة، فهو أن البطاركة أنفسهم أبلغوا إسطنبول بأن مسيحيي القدس يقومون بأفعال تستفز اليهود. وبناءً على التماس البطريرك المسيحي في القدس في ١٤ نيسان/أبريل ١٨٥٤ والمتضمن فيه أن بعضًا من المسيحيين الجهلة قاموا بلعب نوع من الألعاب في الشوارع بارتداء ملابس يهودية قبل احتفالات عيد الفصح، وهذا الوضع سيضر بالعلاقات بين الشعبين المسيحي واليهودي، وطالب في الالتماس بمنع هؤلاء الأشخاص من فعل ذلك.[٣٦]

[33] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 5, judg. 191.
[34] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 34, judg. 219.
[35] BOA. A. DVNS. MHM. d, Nr: 106, judg. 35.
[36] BOA. A. MKT. NZD, Nr: 113, Gömlek Nr: 39.

الإمبراطور الألماني ويليم الثاني أثناء دخوله للصخرة المعلقة داخل الحرم الشريف.
(IRICICA FAY 184822)

فنفهم مما ذكرنا أنه قد مُنِحَ غير المسلمين الذين يعيشون في القدس تحت الحكم العثماني الحقَ في سلامة أرواحهم وممتلكاتهم، وحرية العقيدة والعبادة وذلك تماشيًا مع أوامر الدين الإسلامي. وقد قدَّم السلطان العثماني سليم الأول الذي ضم القدس أولًا عهدَين للمسيحيين. وشملت الأمور الواردة في هذين العهدَين اليهود أيضًا، وهم رعايا غير مسلمين يعيشون في القدس، والدليل على ذلك التسهيلات المقدمة للمسيحيين واليهود في تنظيم وترميم معابدهم والفرصة التي أتيحت لهم لأداء طقوسهم. وعلى هذا النحو، قام السلاطين العثمانيون بصفتهم أنهم الخلفاء بحماية المسلمين ومنحهم امتيازات مثل الأوقاف والصرة، وكانت السياسات التي ذكرناها تجاه غير المسلمين سببًا لجعلهم دائمًا يشعرون بأنهم أيضًا جزء من المجتمع. ويمكننا القول ختامًا إن القدسَ المكانُ الذي يتجسد فيه قول السلطان العثماني محمود الثاني: «أرى أنه لا فرق بين رعيتي إلا حين يكون المسلم في المسجد، والمسيحي في الكنيسة، واليهودي في الكنيس. حبي لهم جميعًا قوي وعدلي بينهم تام، كلهم أبنائي الحقيقيون».[٣٧]

[37] Reşat Kaynar, Mustafa Reşit Paşa ve Tanzimat, (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi, 1991), 100.

المراجع وثائق الأرشيف

الأرشيف العثماني التابع لرئاسة الجمهورية

Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA)

Bab-ı Ali Evrak Odası, [BEO.], Gömlek Nr: 56708.

Bab-ı Asafi Divan-ı Hümayun Mühimme Kalemi [A. DVNS. MHM. d.], Nr: 5, judg. 191; Nr: 32, judg. 497-498, 502; Nr: 34, judg. 219; Nr: 46, judg. 238; Nr: 85, judg. 100, 280; Nr: 98, judg. 266; Nr: 99, judg. 329, 330; Nr: 102, judg. 438, 564; Nr: 106, judg. 35; Nr: 110, judg.: 942.

Bâb-ı Defterî Kilise Defterleri [A.DVN. KLS. d.], Nr: 8.

Hatt-ı Hümâyûn, [HAT.], Nr: 1516, Gömlek Nr: 47.

İrade Hariciye, [İ. HR.], Nr: 87, Gömlek Nr: 4289, 1-4.

Sadaret Mektubi Kalemi Mühimme Kalemi [A. MKT. MHM.], Nr: 584, Gömlek Nr: 17.

Sadaret Mektubi Kalemi Nezaret ve Devair Kalemi [A. MKT. NZD.], Nr: 113, Gömlek Nr: 39; Nr: 212, Gömlek Nr: 79.

Tapu Tahrir Defterleri [TT.d.], Nr: 427, 261-269.

Yıldız Mütenevvi Maruzat Evrakı, [Y. MTV.], Nr: 153, Gömlek Nr: 41; Nr: 174, Gömlek Nr: 177.

Yıldız Perakende Evrakı Umumi [Y. PRK. UM.], Nr: 45, Gömlek Nr: 56.

مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية/القدس

Kudüs Sancağı Şeriyye Sicil Defteri, [KŞS], Nr: 290, Nr: 299, Nr: 319.

المراجع باللغات الأخرى

Karakoç, Sarkis. Külliyât-ı Kavanîn. (Türk Tarih Kurumu Kütüphanesi).

Hamidullah, Muhammed. İslâm Peygamberi / Salih Tuğ. İstanbul: İrfan Yayınevi, 2003.

Kaynar, Reşat. Mustafa Reşit Paşa ve Tanzimat. Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi, 1991.

Kur'ân-ı Kerîm Meâli / Halil Altuntaş & Muzaffer Şahin. Ankara: Diyanet İşleri Başkanlığı Yayınları, 2006.

Öksüz, Mustafa. «XVI. Yüzyıl Kudüs'ünde Yahudi Mabetleri ve Osmanlı Devleti». İsrailiyat: İsrail ve Yahudi Çalışmaları Dergisi 2 (Yaz 2018): 9-32.

Özkan, Mustafa. Medine Vesikası/Anayasası ve Birlikte Yaşama. Ankara: Fecr Yayınları, 2018.

مصادر الإنترنت

http://loc.gov/pictures/resource/matpc.06563/.

http://loc.gov/pictures/resource/matpc.04617/

http://loc.gov/pictures/resource/cph.3b09368/.

منظر عام للقدس والمسجد الأقصى في عهد عبد الحميد الثاني
(أرشيف IRCICA FAY ١٤٤٠٣٤)

الوظائف الاجتماعية والاقتصادية لأوقاف القدس في العهد العثماني

مصطفى غولار*

مقدمة

قدمت المؤسسات الوقفية الكثير من الخدمات الاجتماعية والاقتصادية والدينية بمختلف المجالات داخل الدول والمجتمعات التي تأسست في العالم الإسلامي منذ العصر العباسي. ،واستمر هذا النحو من الأعمال في الازدياد بمنحى إيجابي بسبب التعزيز الديني من الكتب المقدسة وحثها الناس على الخير اللامحدود والذي لا ينتظر مقابلًا له، إضافةً إلى الحقوق التي أسستها وغرستها المؤسسات الوقفية والجمعيات على طول خط الزمن. وعلى وجه الخصوص فقد انتحت دولة السلاجقة الكبرى والدول التي انفصلت عنها فيما بعد من الأيوبيين والمماليك الذين نشأوا في مصر وصولًا للإمبراطورية العثمانية منحًا آخر إلى جانب الخدمات التاريخية التي قدموها جعل البشر على عرش الخير وتقديم كل الدعم لتحسين حياتهم. وقد تجلت هذه الرغبة العارمة في تحسين مستوى الحياة الاقتصادية للطبقات الكادحة ولمختلف طبقات الشعب لمستوى أعلى في تلك المؤسسات الوقفية المتنوعة التي صعدت للعلن والتي رفعت شعارات الأديان الإلهية والتي تدعوا إلى إنشاء العديد من الأسس المختلفة المقدمة لمنفعة الحياة والاقتصاد والناس على مختلف المستويات.

أي وبعبارة أخرى فابتداءً بالمسجد النبوي في عهد رسول الله صلَّى الله عليه وسلم، وصولًا للكعبة المشرفة والمسجد الأقصى في عهد الأمويين والعباسيين، قد خصص المسلمون أوقافًا مقدسة خاصةً بها بعيدًا عن الأوقاف المعتادة ألهذه المناسك، وقد صنفوا إعمارها والاهتمام بها واجبًا مقدسًا، وبفضل ذلك كانت تلك الأوقاف تقوم على خدمة كل سكان المنطقة من أهلها وممن أقام بها، ولم يقتصر عملهت على الصيانة والتعمير والإصلاح في تلك المدن المقدسة.

* الأستاذ د. مصطفى غولار، قسم التاريخ بجامعة أفيون كوجاتبه.
mustafaguler4308@gmail.com

على الرغم من أننا لا نستطيع الجزم وتوثيق أول مؤسسٍ للأوقاف في القدس وما حولها ولكن بإمكاننا اعتبار سيدنا ابراهيم عليه السلام أولهم، والذي كان قد وضع لبنة الأساس لكلٍ من أوقاف مكة المكرمة والمسجد الأقصى، وعلى الرغم من أنه ليس لدينا بيانات دقيقة مستندة إلى وثائق تثبت تأسيسه لأوقاف تابعة لهما ولكن الوقف الذي أسسه في مدينة الخليل بالقرب من القدس يعد من أقدم الأمثلة على المؤسسات الوقفية الموجودة والذي ما زال مستمرًا حتى يومنا هذا.

تاريخ الأوقاف التي أسستها الإمبراطورية العثمانية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وكذلك في القدس قد يكون طاعنًا في القدم إلى ما قبل قيام الدولة بذاتها السياسية.

ملكية الإمبراطورية العثمانية للقدس قبل عام ١٥١٧

أتمت الإمبراطورية العثمانية التأسيس خلال مدة حكم كلٍّ من أورهان بك ومراد الأول، وأرسل يلدرم بايزيد الأموال -كما كل الدول الإسلامية في ذاك الوقت- إلى الأماكن المقدسة إما من خلال الأوقاف أو بواسطة خزائن الدولة المركزية.

ومن أجلى الصور التي تمثل تلك الفترة هي «الصرر» التي كان يرسلها السلطان يلدرم بايزيد إلى بلاد الحرمين.[١]

ولكن دعونا نوضح التالي: الصرر تلك لم يكن بها حصة مرسلة للقدس، وقد بدأ الاهتمام بالقدس كما دُوِّن في التاريخ من قبل الدولة العثمانية في زمن السلطان مراد الثاني.

وتعود أقدم وثيقة لها علاقة بالأوقاف ومعروفة لدينا عن القدس وبالأخص عن الأقصى إلى عهد السلطان مراد الثاني إلى المدرسة التي قامت إصفهان شاه خاتون[٢] إبنة الأمير محمود وزوجة إبراهيم باشا الشندرلي (١٤٣٠) والمدعوة بمدرسة الأشرفية المقامة عند باب المطهرة[٣] والمكونة من طابقين اثنين.[٤]

ووفقًا لهذه الوثيقة والتي تعد من أقدم الوثائق المتعلقة بالقدس في الأرشيف العثماني نجد أن الورادات من قرية خاصبيلي[٥] التابعة لإزنيك، وقُرى جاييبلي، وأفشار، وغونجاليلار، ومانكلار، وكاباكلار، وغشيتلار، وسورغولار، ودومنلار، ودميرجيلار، وإنجيكلار التابعة لغردة، وقرى كاراغور، وشالغاملو، ويورغوجلو[٦] التابعة لخيرابولو،[٧] قد خُصِّصَت لنفقات هذه المدرسة.[٨] ووفقًا للحسابات والدفاتر المؤرشفة فإن مبلغ الإيرادات القادمة في نهايات القرن السادس عشر من قرى إزنيك وحصبلية فقط قد بلغ ٢٨٨ قطعة ذهبية. ووفقًا لدفاتر الحسابات أيضًا فالمبالغ المصروفة على المدرسة في نهاية ذاك العصر الموضحة فيها هي كالتالي:[٩]

المصروف	مقدار الصرف
المدرسون	٣٨٠ درهم
طاولات، عدد ٧	٢٥٢٠ درهم
مقرأوا القرآن، عدد ٧	٢٥٢٠ درهم
المصلحون والزهاد الدراويش	٩٠٠ درهم
البواب والسقاء	٨٢٠ درهم
الإضاءة	٨٢٠ درهم
إصلاحات	١٠٠٠ درهم

[١] للاستزادة في هذا الموضوع، انظر:
Midhat Sertoğlu, “II. Murâd’ın Vasiyetnâmesi”, VD. (Ankara 1961), 8: 67-69; Mustafa Güler, Osmanlı Devletinde Haremeyn Vakıfları, (İstanbul: TATAV, 2002), 101.

[٢] للاستزادة عن الباشا وزوجته، انظر:
İsmail Hakkı Uzunçarşılı, Çandarlı Vezir Ailesi, (Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1986), 46-55.

[3] http://mirasimiz.org.tr/sayfa/Mescid-i-Aksada-Bulunan-Osmanli-Eserleri/22. (erişim: 14 Kasım 2019).

[4] Başbakanlık Osmanlı Arşivi Ali Emiri Tasnifi, II. Murad dönemi belgeleri Nr: 9; Vakıflar Genel Müdürlüğü Arşivi (VGMA), Derfter Nr: 1760, 1.

[5] Başkanlık Osmanlı Arşivi (BOA) Tapu Tahriri Defterleri (TT), Defter Nr: 438, 801; http://www.iznikrehber.com/yazarlar-48-iznik%E2%80%99te+bilinmeyen+koyler-recep+bozkurt (erişim: 14 Kasım 2019 Köyün bugün Elbeyli civarında olduğu muhtemeldir.

[6] Vedat Turgut, “Germiyanoğulları’nın Menşei, Vakıfları ve Batı Anadolu’nun Türkleşmesi Meselesi Üzerine”, Sosyal ve Kültürel Araştırmalar Dergisi (The Journal of Socialand Cultural Studies), 3/5, (Sakarya 2017):, 41-42.

[7] Ali Emiri II, Murad 9;

[8] Vakıflar Genel Müdürlüğü Arşivi(VGMA); 1760, 227-228.

[9] Başkanlık Osmanlı Arşivi Maliyeden Müdevver Defterler (MAD), 1806, 12; Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi (TSMK) Defter Nr: 1213, vr. 1b.

السؤال الأساسي الذي يجب علينا طرحه والإجابة عليه هنا هو بأي شكل قد استطاعت إصفهان شاه خاتون التصرف في الوقف هكذا أي أن تخصصه للقدس؟ لأنه ووفقًا لقانون التأسيس الكلاسيكي للأوقاف الذي جرت عليه العادة، فإن المهمة الأساسية التي كانت تركز عليها المؤسسة الوقفية هي أن الوقف مكرس للمنطقة التي يحتاجها الناس في المكان الذي تم إنشاؤه فيه أو في محيطه المباشر. فإن كان الأمر على إصفهان شاه خاتون[10] فهي قد عاشت حياتها في مدينة بورصة وأدرنة، وبحسب رأينا فقد تكون السيدة إصفهان قد ذهبت إلى الحج وفي طريق ذهابها أو إيابها قد عرجت على القدس وترتبت على هذه الزيارة ولتلك الذكريات بنائها للمدرسة وربطها إياها بالوقف، أو قد يكون أحد أقاربها وخلفائها قد نفذ تلك الأعمال بناءً على وصيتها. في دفاتر المحاسبة المتبقية عن تلك الحقبة لنهايات القرن السادس عشر[11] ومن بين كل القرى السابقة قد ورد اسم إزنيك فقط، وإن كان هنالك من سبب فهو كون ورود اسم الوقف هو ما يأتي في المقدمة، ولكن ولأنه من الصعب جدًا بل يكاد يعد مستحيلًا أن تحصل أعمال المحاسبة الوقفية مبلغ مثل ٢٨٨ قطعة ذهبية من قرية واحدة.

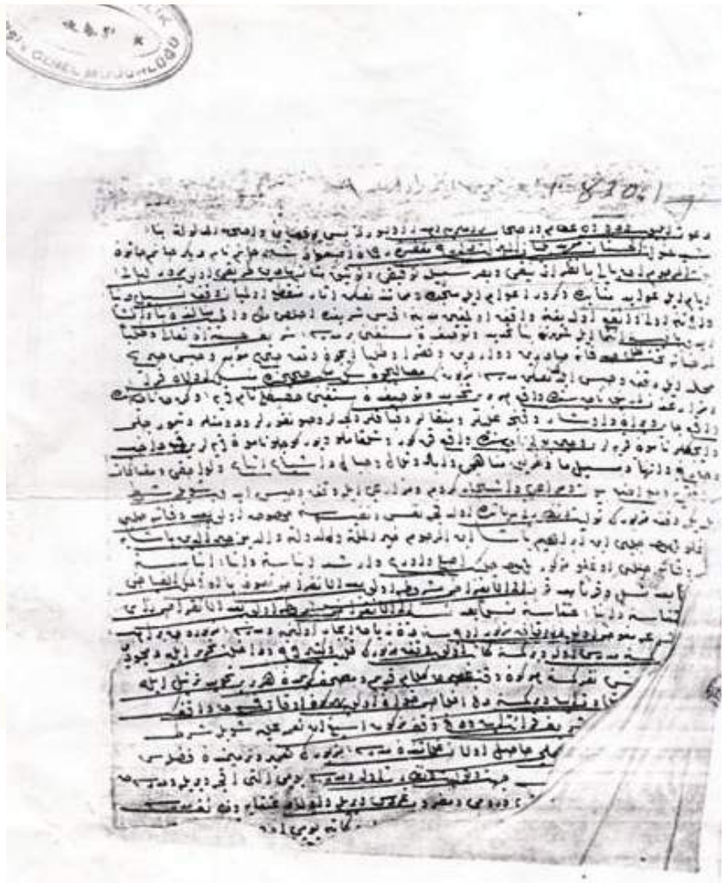

مؤسسة إصفهان شاه خاتون BOA، علي الأميري، وثائق من عهد السلطان مراد الثاني رقم: ٩

[10] Münir Aktepe, “Çandarlı İbrahim Paşa”, Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, (İstanbul: TDV Yayınları, 1993), 8: 214.
[11] MAD 1806, 12, Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi (TSMK), 1172, 14.

كان السلطان مراد الثاني هو أول من أسس وقفًا يعود للقدس من بين السلاطين العثمانيين السابقين، وبل واشترط توزيع ٢٠٠ قطعة ذهبية على فقراء القدس من العائدات القادمة من مانيسا،[12] كما وخصص جزءًا من ريع الوقف التابع للمدرسة التي أنشأها في بورصة للقدس[13] وثالث المؤسسات العثمانية المرتبطة بالقدس قبل ضمها كانت في قرية كايي التابعة لمحافظة نيدة[14] وتم تحويل المدرسة التي بنيت في القدس إلى وقف بحد ذاتها.[15] وكانت قرية كايي بأحيائها الأربعة الغنية بالسكان و المنتعشة اقتصاديًا قد ارتفعت وارداتها بين عام ١٥٠٠ وعام ١٥٣٠ من ١٩٨٣٨ درهم[16] إلى ٣٣٨٠٦ درهم،[17] ومع نهاية القرن السادس عشر قد تم تثبيت وصول واردات هذه القرية إلى ٥٢٨٥٥ درهم.[18]

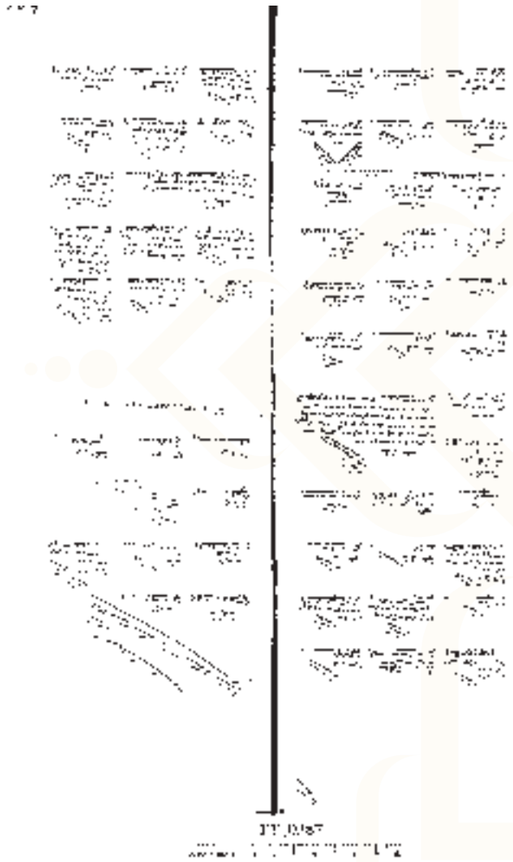

المحفوظات من وقف القدس في قرية كاياي التابعة لنيدة (أرشيف TT، ٣٨٧،١٦٤)

[12] Midhat Sertoğlu, “II. Murâd’ınVasiyetnâmesi”, Vakıflar Dergisi, (Ankara: Vakıflar Genel Müdürlüğü, 1961), 8: 67-69.
[13] Topkapı Sarayı Müzesi Arşivi Defterleri (TSMA. D.), 1213, vr. 2.
[14] للاطلاع على الموقع الجغرافي للقرية:
https://www.google.com.tr/maps/place/kay%c4%b1,+%c4%b0stiklal+mahallesi,+51700+kay%c4%b1+k%c3%b6y%c3%bc%2fbor%2fni%c4%9fde/@37.8959118,34.3930762,14z/data=!4m5!3m4!1s0x14d625f185fc26e5:0x9dbc869aae20dc90!8m2!3d37.90004!4d34.403792?hl=tr (erişim: 14 Kasım 2109).
[15] TT, 387,164.
[16] TT, 42, 24,
[17] TT, 387, 164
[18] MAD, 1806, vr.8a.

١- إلحاق وضم القدس وحمايتها

بعد معركة تشالديران وانتصار السلطان ياووز سليم وكنتيجة عنها ومع تحقق للنصر رافق ذلك خروج السلطان سليم في رحلته الشرقية الثانية في عام ١٥١٦، وكنتيجة للأحداث التي تطورت خلال هذه العملية، هُزم الحاكم المملوكي قانصوه الغوري في سهل مرج دابق في عام ١٥١٦، ما مهد الطريق لدخول سوريا والقدس تحت الحكم العثماني، وبإستمرار المقاومة ومع الإنتصار في معركة خان يونس انكسر الحكم المملوكي تمامًا في المنطقة الفلسطينية، وكما ذكرنا سابقًا حتى ما قبل ضم القدس إلى الإمبراطورية العثمانية فقد كانت مدينتا القدس وخليل الرحمن ذوا أهمية وتقديس كبيرين لدى الدولة العثمانية لقيمتهما المعنوية والدينية العالية ولذلك كانتا تحت حمايتها حتى من دون حاجة للحرب.[١٩]

وفي اليوم التالي ومع قدوم السلطان إلى الأماكن المقدسة[٢٠] فاتحًا مرة أخرى وهبها من جديد للشعب ومسؤولي الحرم، ومن ثم زار السلطان سليم خليل الرحمن بعد زيارته للقدس.[٢١]

في الواقع ما فعله السلطان ياووز سليم ووزراءه بخصوص هذه العملية مثير للاهتمام، لأنه وكما هو معروف فالدولة المملوكية التي كانت في حال مترٍد بسبب نزاعاتها مع الدولة العثمانية من طرف، وبسبب الصراعات الداخلية التي تزعزع استقرارها من طرفٍ آخر لم تعد تولي إمارة القدس أو مقدساتها الرعاية والاهتمام الكافي، بل وتركت شعبها يعاني من أحوال سيئة جدًا ومن انتشارٍ للبطالة، ولذلك فإن زيارة السلطان سليم للأماكن المقدسة في القدس، والأهم من ذلك أخذه للمال لتوزيعه على الشعب، وتقليد المدينة المقدسة لأهلها حتى قبيل الحرب مع المماليك كان من الحركات القوية جدًا التي نفذها. وهذا الحدث مهم من ناحيتين:

١-أنه وعلى الرغم من كونه في حرب فقد قام السلطان شخصيًا بزيارتين منفصلتين وقام بتنحية أهالي المدينة المقدسة عن الحرب وإبقائهم بعيدين.

٢- هذه الزيارة التي تمس موضوع مقالتنا بشكل مباشر، قد تم خلالها القيام ببعض الإجراءات للمؤسسات الحامية والراعية. والجانب الذي نحن بصدد تسليط الضوء عليه قليلًا هو أن كلًا الجانبين من الدولة العثمانية وتلك الأماكن المقدسة لديهم ارتباطات وثيقة متعددة ببعضهم البعض.

بغض النظر عن الوضع السياسي المتأزم والاقتصادي المتردي، فقد عرفت وسعت الإمبراطورية العثمانية بكل جهدها لتنحية شعب القدس والأماكن المقدسة هناك عن الأزمات وكان هذا الأمر بالنسبة لها من الأولويات. بالإضافة لذلك فكما في «الصّرر» المرسلة في زمن يلدرم بايزيد قد كانت هذه الزيارة للسلطان سليم هي بداية الهبات الممنوحة للقدس.

في الواقع وعلى الرغم من أننا لا نملك أي معلومات حول هذا الآن، إلا وأنه بالنظر إلى وضع ضم القدس من قبل السلطان سليم للدولة العثمانية، فيمكننا أن نفترض أنه أخذ أموالًا يمكننا أن نسميها «صُرر» معه عندما غادر إسطنبول.

وفي الزيارة الثانية للسلطان سليم إلى مدينة خليل الرحمن وبشكل أدق إلى مجمع خليل الرحمن، فما بين المدينتين يقارب الأربعين كيلومترًا من المسافة زار خلالها السلطان سليم مقام وقبر سيدنا إبراهيم عليه السلام ووزع على أهالي المنطقة الهدايا والهبات في طرق ذهابه وإيابه، وترتبت على هذه الزيارات والمعاملات نتائج اقتصادية وسياسية هامة بالإضافة إلى جانب قيمها الدينية. ومع ذلك فإن الجانب الأكثر أهمية في الأمر هو أن هذه الزيارات التي قام بها السلطان سليم ورجالاته المقربون قد أثرت بشكل إيجابي على وجهة نظر الأهالي في المدينة المقدسة عن الدولة العثمانية، وبفضل ذلك فقد أمكن للدولة العثمانية أن تفرض حكمها وتستمر به على القدس وما حولها بسلاسة.

وإن كان هنالك سبب آخر يفسر أعمال السلطان سليم هو حقيقة أن الدولة العثمانية كانت مستعدة منذ زمن بعيد لعملية الحماية للمناطق الجغرافية المقدسة والمهمة للمسلمين.

[19] Silahşor, "Fetih Nâme-i Diyar-ı Arab", (Publ. Selahattin Tansel), Tarih Vesikaları Dergisi, (Ankara: 1958), 2-318-319; Feridun Emecen, Yavuz Sultan Selim, İstanbul: 2011, 246-247.
[20] Silahşor, 318-319, Feridun Emecen, Yavuz Sultan Selim, (İstanbul: Timaş Yayınları, 2011), 247.
[21] Emecen, Yavuz, 248.

-الحماية المرئية أو السياسة الاجتماعية والاقتصادية للدولة العثمانية في القدس

واحدة من القضايا التي سنسلط الضوء عليها في هذه الدراسة كأولوية هي أنه ومنذ عام ١٥١٧، كانت الإمبراطورية العثمانية ترسل «صررًا» إلى أهالي القدس في كل عام وفق نظام دقيق. وعلى الرغم من أن أقدم الأوراق التي توثق الصّرر المرسلة والتي بين أيدينا تعود إلى نهايات القرن السادس عشر، استنادًا إلى حقيقة أن الدفاتر الموثقة عن وقائع إرسال الصرر كانت إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة فقط لذلك فسنلطق من منطلق حصول الحدث ونشرح تبعاته وتفرعاته.[٢٢] لأنه وإن كان هذا الوضع -والذي من المرجح جدًا- قد تكرر فعله من بعد عام ١٥١٧، فبإمكاننا القول وبكل ثقة إن الدعامة الأولى للرعاية الاجتماعية والاقتصادية للدولة العثمانية في القدس كانت من خلال الصّرر المرسلة. ذلك لأن الوثائق المتبقية من القرن التاسع عشر و الزاخرة بالمعلومات لدينا،[٢٣] فقد كان هنالك طريقتان من خلالهما تصل الصرر إلى الشعب المقدسي، الأول كان بطبيعة الحال لإدرار الدخل إليها والوثائق التي بين أيدينا تتحدث عن ما يعادل مقدار ذهبية واحدة لكل صرة مرسلة سنويًا، وهو رقم من الواضح أنه لا يكفي للقمة العيش، وفي هذه الحالة كان هنالك بشكل أو بآخر لآخذ الصرة أو مسجلها في الوثائق فائدة مختلفة عن مجرد المال المسجل، أي وبشكل أكثر وضوحًا فقد يشير ذلك إلى تدخل أحد المقربين أو أصحاب النفوذ.

أ-إعادة إحياء وإعمار الأوقاف القديمة في القدس

كما هو معروف وفقًا للشريعة الإسلامية، فإن الوقف تكون معاملاته وقفيةً للأبد، وقد تمت المحافظة على هذه الأوقاف في كل مكان وزمان ولأي غرض كانت. والمحافظة عليها لم تكن فقط من خلال العقارات والأجرة والشروط للملكية، بل أيضًا مع تبدل الدول وتغيير الأحوال قد حافظت على إداراتها من طرف المسلمين كما كانت في السابق. ومن هذا المنطلق حافظت الدولة العثمانية على جميع الأسس التي أقيمت ووجدت قبل الدولة العثمانية، وخاصة في الأناضول وسوريا والعراق وفلسطين والقدس، وضمنت استمرار أصولها وفعالياتها حتى الفترة الماضية.

وبحسب المعلومات الواردة في الوثائق والحسابات فإن العدد الإجمالي للمؤسسات الوقفية التي تم تأسيسها في الفترة المذكورة أعلاه هو خمسة وتسعون وقفًا، خمسة عشر منها تم إنشاؤها في العهد العثماني ولم يتم التعرف على مؤسسي ٣٩ وقفًا منها بينما الاثنان وأربعون وقفًا المتبقيون انتقلوا من فترة ما قبل الدولة العثمانية.[٢٤] وبعيدًا عن هذه الوثائق، يوجد هنالك معلومات مفصلة عن الأوقاف المنقولة في فترة ما قبل الدولة العثمانية، حيث يمكننا الإستفادة من كتابات الكاتب محمد هاشم غوشة في كتابه الذي يحمل اسم «الأوقاف الاسلامية في القدس الشريف: دراسة تاريخية موثقة» والذي نستطيع أن نجده في سجلات الشريعة والمراجع المحلية، وفقًا لتقديرات غوشه، فإن عدد الأوقاف التي كانت موجودة قبل العهد العثماني في القرن السابق هو ١٤٥ وقفًا،[٢٥] ووفقًا للمصدر نفسه، ففي القرن السادس عشر قد بلغ العدد الإجمالي للمؤسسات الوقفية التي أنشأها العثمانيون في القدس وما حولها ٢٩٢ وقفًا.[٢٦]

بادئ ذي بدء لا بد أن نتحدث أوقاف الصرر التي كانت في القدس فهي ولابد أكثر العروض الملموسة المساهمة في تقدم الحياة الاجتماعية فيها.

[٢٢] السؤال الرئيسي الذي يجب الإجابة عليه هنا هو لماذا وعلى الرغم من كل ما ذكر في السجلات العثمانية والتاريخ العربي، وأكثر من ذلك على الرغم من الأوقاف العديدة التي أنشئت في كل مكان بين بداية ١٥١٧ وحتى نهاية القرن، رغم كل ذلك لم تصل إلى أيدينا حتى يومنا هذا أي وثائق مسجلة عن الصّرر. وخلال فترة تحضيرنا لدراسات الدكتوراه تأكد لدينا أنه وفي المنتصف الثاني من القرن السادس عشر أن الوثيقة العائدة إلى ٢ Safer ٣/٩٦٧ من توفمبر لعام ١٥٥٩ هي الدليل الأكثر وضوحًا على الصرر المرسلة في تلك الفترة (الأرشيف الرئاسي العثماني Divan-i Hümayun Mühimme Notebooks A.DVN.MHM، ١٣٨١/٣ وفي حين أن الحال كذلك فلم لم تصل إلى يومنا هذا أي من دفاتر تلك الوثائق العائدة إلى القرن السادس عشر أو حتى القرن الخامس عشر من الأرشيف العثماني إلى كل من قصر توبكابي أو مكتب رئيس الوزراء. في رأينا والذي قد تكون الإجابة الأكثر منطقية عن هذا السؤال في الوقت الحالي، هو أن نظام كتابة وتدقيق وأرشفة الوثائق والإيرادات التي لدينا اليوم لم يكن قد تم اعتماده في الفترات السابقة، أو ربما يكون الأمر أنه بسبب المشاكل الحاصلة أثناء وأثناء توزيع الصرر وبعدما خرجت على طريق إسطنبول ووصلت لمراكز توزيعها قد بدأوا بالاحتفاظ بالبيانات ذاتها في عدة نسخ من الدفاتر لتظل في حمى خان الكتب.
[23] Başkanlık Osmanlı Arşivi Evkaf-i Hümayun Surre Defterleri (EV. HMK SR), 3064.
[24] Hasan Hüseyin Güneş, Kudüs'ü Yeniden Düşünmek, (İstanbul: Önsöz Yayınları, 2017), 58.
[25] Muhammed Haşim Guşe, el-Evkâfu'l-İslâmiyye fi'l-Kudsi'ş-Şerîf Dirâse Târihiyye Târihiyye Muvessika, (İstanbul: IRCICA 2009), 1/29-335, Güneş, Kudüs'ü Yeniden Düşünmek, 59.
[26] Guşe, el-Evkâfu'l-İslâmiyye, 1/336-539; Güneş, Yeniden Düşünmek, 59

ب- أوقاف الصرر في نهاية القرن السادس عشر

تمت تغطية أكثر من نصف المبلغ الإجمالي لصرر القدس وخليل الرحمن من قبل الأوقاف. وقد تم تسجيل هذه الأموال تحت بندين: قسم الصرر تحت مسمى «حقَّانية رومية» والقسم الآخر الذي كان السلطان يوزعه بنفسه تحت مسمى صدقات وهبات السلطان باسم «صدقة سلطانية». الصرر المرسلة باسم «حقَّانية رومية» إلى الأوقاف هي كالتالي:

١-وقف إصفهان شاه خاتون:

تم تخصيص مؤسسات إصفهان شاه خاتون للقدس في عام ١٥٩٠ بـ ٢٨٨ قطعة نقدية ذهبية، هذا المبلغ الذي يعادل حوالي ١٤٤٠٠ درهم لتلك الفترة.٢٧

٢- وقف السلطان مراد الثاني:

منذ تأسيسه لوقف العمارة والذي بناه في بورصة، ساهم بما يصل إلى ٢٤٠٠٠ قرش للفقراء في القدس.

٣-وقف مسجد وعمارة أدرنة التابع للسلطان سليم الثاني:

خصص ٤٠٠ قطعة نقدية أي ما يساوي ٤٨ ألف درهم من الذهب سنويًا، وطُلب أن تعطى هذه القطع النقدية لمن يقرؤون القرآن.

٤-وقف دار السعادة التابع للآغا محمد:

قد خصص أول آغا للأوقاف في الحرمين من وقف دار السعادة آغا ما مجموعه ٦٨٤١١ درهم لفقراء القدس.[٢٨]

٥- وقف كيثودا خاتون:

خصص ٥٠١٦ درهم لفقراء القدس.

٦- وقف قانصوه الغوري في حلب:

قام قانصوه الغوري، أحد آخر سلاطين المماليك، بتخصيص ٤٢٩٦٠ درهم من مؤسساته الوقفية في حلب لفقراء القدس.

٧-وقف عبدالسلام بيك:

توفي عبد السلام بك عام ١٥٢٦، وله مدرسة وعمارة في منطقة كوتشوك تشيكمجة، وقام ببناء مسجد في قرية حاس ومدرسة في كوتشوك بازار، كما قام بتعديل وتطوير على علم السياقات، ونرى أنه قد تم تخصيص ١٢٠٠ قطعة نقدية للقدس من هذه الأوقاف.[٢٩]

٨-وقف السلطان سليمان القانوني:

تم تخصيص ما مجموعه ٢٧٢٠ درهم لـ ٩٢ شخصًا بشرط قرائتهم للقرآن على روح السلطان سليمان القانوني عند الصخرة المقدسة. [٣٠]

٩- قرية كايي في محافظة نيدة:

وفقًا لمصادرنا فهذه الأوقاف المتبقية من فترة سلاجقة الأناضول مع نهايات القرن السادس عشر قد كانت ترسل لفقراء القدس ما مجموعه ٣٨،٧٣٨ درهم.[٣١]

[27] Ali Emiri II, Murad Nr: 9.
[28] Mad 1806, 5-11
[29] Mehmed Süreyya, Sicill-i Osmanî Yahud Tezkire-i Meşahir-i Osmaniyye, (Ali Aktan & Oth.) , (İstanbul: Sebil Yayınları, 1996), 3/382.
[30] TSMK, 1213, 6b-7b
[31] TSMK, 1213, 6b-7b

كاروانسرايُ (بيت المسافرين) السلطان سليمان القانوني داخل سور القدس (أرشيف IV٧)

ج-الأوقاف مع مطلع القرن التاسع عشر

١-وقف دار السعادة آغا في إسطنبول التابع لمحمد آغا:

خصص محمد آغا بن عبد الرحمن (١٦٩٦/١١٠٧)، الذي شغل منصب الإدارة في وقف السعادة آغا مع نهاية القرن التاسع عشر إيجارات بيوته المجاورة لآيا صوفيا لأولاده ومن ثم بعد وفاتهم ليعود الريع شرطًا إلى المدينة المنورة. وأما عن منازل أسكودار وكاديكوي فقد وقف نصف إيجاراتها لفقراء الحرمين ونصفها الآخر لإكمال بناء الجامع الذي أمر بإنشائه.[٣٢]

ومع نهايات القرن السابع عشر يجب أن يكون مصدر الصرر الذي تم إرسالها من أوقاف الآغا إلى فقراء القدس هو مع شرط تحويل جزء من دخل إيجار المنازل أعلاه إلى فقراء الحرمين. وعليه في عام ١٧٩٩/١٢١٤، تم إرسال ١٨ قرشًا ذهبيًا سنويًا على أربع مجموعات محددة الوجهات والأسماء.[٣٣]

٢-وقف دار السعادة آغا في إسطنبول التابع لمحمد آغا

عباس آغا والذي بات صاحب وقف السعادة بعد أن تسلم منصب رئيس الآغوات لدى والدة السلطان في عام ١٠٧٨\١٦٦٧. كان لديه عدة مساجد في منطقة بشكتاش وحمامات في منطقة دمير كابي.[٣٤]

وكان مبلغ الصرر المرسلة إلى القدس من قبل أوقافه الكائنة في إسطنبول ما يعادل ١٤٩ قطعة ذهبية سنويًا. في دفاتر الوثائق الخاصة بالصرر قد تم تبين الواردات من أوقاف الآغا للقدس بوضوح شديد.

وعليه، فإن خدمات مؤسسة آغا في القدس هي كما يلي:

٥٤ قرشًا ذهبًا سنويًا لمؤذن مسجد الأقصى، الذي سيقرأ جزءًا من القرآن الكريم يوميًا من أوقاف الآغا.[٣٥]

وبنفس الطريقة ٥٤ قرشًا ذهبًا سنويًا للمؤذن الذي يقرأ من القرآن الكريم.[٣٦]

[32] Başkanlık Osmanlı Arşivi Evkaf Nezareti Vakfiyeleri (EV.VKF), 15/49; Güler, Osmanlı Devletinde Haremeyn Vakıfları, 110.
[33] Başkanlık Osmanlı Arşivi Evkaf-i Hümayun Surre Defterleri (EV.HMK, SR): 3064, vr. 48 a.
[34] Mehmed Süreyya, Sicill-i Osmanî, 3:331.
[35] HMK, SR. 3064, 48a.
[36] EV. HMK. SR. 3064, 48a.

وقد أراد أن يهدى ثواب قراءة هذه الأجزاء إلى وقف عباس آغا وإلى أرواح علي بن زكريا وبلقيس بنت عبد الله.

وقد خصص ما مجموعه ١٥ قطعة ذهبية، ثلاثة لكل شخص من مجموعة مكون من خمسة أشخاص لعمل قناديل زيتية مضيئة وتعليقها بأماكن مختلفة للإضاءة، وهذه الأماكن كانت كالتالي:

قنديل كف جبريل، قنديل إدريس عليه السلام، قنديل محراب النبي صلَّى الله عليه وسلم، قنديل الأقصى، قنديل صخرة الله.[٣٧] وقام عباس آغا بتخصيص ٥ عملات ذهبية لشخص يقوم بصيانة وإصلاح قناديل الزيت هذه.[٣٨]

وللإشراف على تسيير جميع هذه الخدمات، عين مشرفًا عليها وخصص ١٢ قرشًا لهذا الشخص.

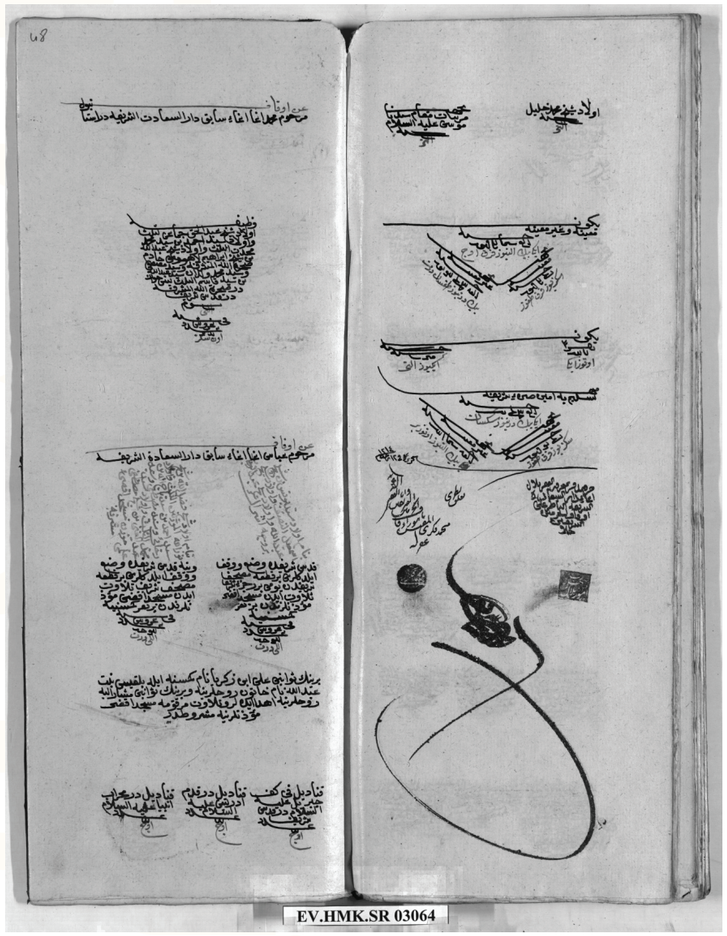

وثيقة متعلقة بتحصيلات الوقف لدفتر صرة القدس في أوائل القرن التاسع عشر (HMK.SR, ٣٠٦٤, ٤٧a-٤٨b)

[37] EV. HMK. SR. 3064, 48b.
[38] EV. HMK. SR. 3064. 48b.

٣- غازي تورهان بك وعمر بك

قام غازي تورهان باي وابنه عمر بك، اللذان لعبا الدور الأكبر في الغزو التدريجي لليونان سابقًا، بتحويل ١٠ عملات ذهبية من عائدات قرية كيريكافاك في أدرنة وجسر إرجين إلى الصّرر المرسلة إلى القدس.[٤٠]

٤- أمة الله (إحدى زوجات أحمد الثالث)

خصصت الوالية ما مجموعه ٢٠ قرشًا ذهبيًّا من وقف الدرب خان في إسطنبول، وتفاصيلها هي كالتالي:[٤١]

١٠	لجميع خطباء المسجد الأقصى
١٢٠	الدروس العامة في الأقصى
٢٥	لشيخ الحرمين في المسجد الأقصى
٢٥	لواعظ وخطيب المسجد الأقصى
٢٥	لباقي شيوخ المسجد الأقصى

٥- الحاج بشير آغا

قام الحاج بشير آغا[٤٢] أحد أهم أمراء القصور في القرن الثامن عشر بتخصيص ٧٠ عملة من دخل إيجار حمامه الواقع في منطقة كوليلي بالقرب من قصر توب كابي في إسطنبول لمؤذني المسجد الأقصى بشكل متساوي بينهم.

بالإضافة إلى ذلك فقد خصص ٣٠ عملة نقدية من جمعيته الخيرية الأخرى في إسطنبول لفقراء القدس الزاهدين المتعففين.[٤٣] وقد أرسل صرة بما يساوي ٣٠٠ عملة بالمجمل.

وبعد طرحنا لهذه الأعمال الوقفية وجب التنبيه والإشارة إلى أنه سيكون من المبالغة الكشف عن حجم التوظيف والحجم المالي للأوقاف في القدس التي لم نذكرها أو تمر معنا أعلاه ولكن فقد تم الاحتفاظ بدفتر أوقاف خاص بالمحاسبة والصادرات والواردات المالية لها عام ١٢٥٨ / ١٨٤٣ لكل ما ينتمي لأوقاف الأقصى وقبة الصخرة. وسننشئ فيما يلي قائمة نموذجية عن اقتصاد الأوقاف ومساهمتها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتي تعود تلك الفترة مستفيدين من دفاتر الصرر ومن دفاتر المحاسبة العائدة إلى وقف السلطانة خاصاكي ١٢٦٣\١٨٤٨

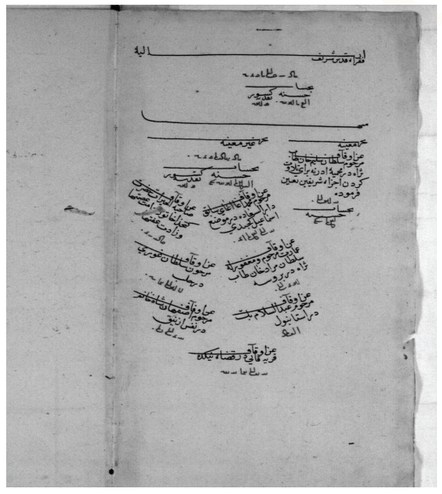

الدفاتر الوثائقية عن الصرر العائدة للأوقاف في نهاية القرن السادس عشر

[40] EV. HMK. SR. 3064, 48b.
[41] EV. HMK. SR. 3064, vr. 48b..

[٤٢] للاستزادة عن الحاج بشير آغا، انظر:
Ayhan Ürkündağ, Hacı Beşir Ağa ve Hayratı, (Afyon Kocatepe Üniversitesi , 2017).

[43] EV. HMK. SR. 3064, vr. 48b.

د-العقارات الوقفية لمسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى في القدس وما حولها مع نهاية القرن التاسع عشر

البدل المترتب على منزل في وسط المدينة ١٤٠٠ قرش	البدل المترتب على منزل في وسط المدينة وتكلفة ضريبة القنطار٨٠٠٠ قرش	البدل المترتب لسوق وسط المدينة هو ٢٧٠٠٠ قرش
مقدار ١٠١٥ قرش منأموال الجزية	ايجارات بعض المحلات التجارية والمنازل والمقاطعات بالمدينة ٧٤٢٧٫٥ قرش.	ضريبة حمام الشفاء ٢٣١٠٠ قرش
نصف الإيجار من حصة دار النداء ٧٥٠ قرش	البدل المأخوذ من أماكن سكن اليهود ٤٥ قرشًا	٢٩ قرشًا من صرر إسطنبول
.إيجار منزل ابي حمدي ٣٠٠ قرش	عائدات الأشجار والمزارع في قضائي الرملة واللود ٢١٨٫٥ قرش	نصف الإيجار من حصة دار القنديل ٢٢٥ قرش
نصف إيجارات المسقفات وغيرها من الائدات القادمة من حلب ٢٢٠ قرش	مقهى في وسط المدينة ٥٠٠ قرش	عائدات دارر المتوولي ٢٠٧ قرش
عائدات القمح والشعير من قرية أبو الغوش ٤٠٠ قرش	عائدات محاصيل الزيتون من الحرم الشريف ١٦٥ قرش	البدل المترتب على مزارع الأجا والنطم ٤٠٠٠ قرش
عائدات قرية بيت لينان ١٤٤٫٥ قرش	حاصلات قطعة الأرض في مركز المدينة بقطع النظر ١٣٢؟٥ قرش	متجر الصابون المجاور لمتجر الأسلحة في وسط المدينة ٢٢٠٠ قرش.

إيرادات قرية بيت حنينا ١١٤٧٫٥ قرش	إيرادات قرية ليفا ٥٢١٧ قرش
إيرادات قرية عين العرب ١٥٧٥ قرش	إيرادات قرية طيبة بني صعب ١٧٢٤ قرش
.عائدات قرية عين بيروت ٣٢٣٧٫٥ قرش	إيرادات قرية بينونة ٤٠٩٢٫٥ قرش

الإيجار العائد من محل في سوق الحلي هو ٢٠٠ قرش[٤]	دخل الزيتون السيامي الذي تم شراؤه للمؤسسة هو ٥٢٠٦ قرش.	إيرادات قرية قانيا ٢٧٥٦ قرش

المجموع:	١٠٢,٦٣٤,٥ قرش

[44] Başkanlık Osmanlı Arşivi Nezaret Sonrası Evkaf Defterleri (EV), Defter Nr: 11886,. 3b-4a.
Huzuru Bekleyen

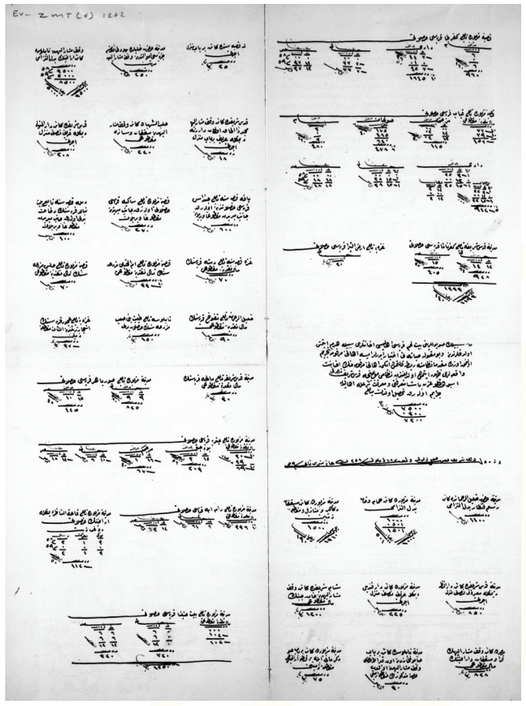

مجمل أوقاف مسجد الأقصى وقبة الصخرة EV.، ١١٨٨٦، 3b-4a

في بداية القرن الثامن عشر كان هناك ما مجموعه ثلاثين قطعة مسجلة لتغطية نفقات المسجد الأقصى وصخرة الله. وعند النظر إليها، فإن البازارات والأسواق والأراضي والقرى الواقعة بشكل رئيسي في القدس وما حولها، وكذلك الجزية المأخوذة من غير المسلمين، كانت تجذب الأنظار والأطماع.

من المثير للاهتمام أن مبلغ ٢٩ قرشًا من صرة إسطنبول مشمول في دخل المؤسسة على الرغم من توزيعها بشكل منفصل وبطريقة مختلفة. لأن الصرة، وكما هو مفصل أدناه، قد تشكلت من قبل المؤسسات الوقفية التي ورد مصادرها في الدفاتر في عهد السلطان كانت الأموال التي ترسل لمساعدة فقراء القدس وما حولها توزع تحت اسم صدقة السلطان.

في رأينا، قد يكون سبب إدراج هذه العملية في كتاب الأوقاف نتيجة هبة شخص أو أكثر ممن أخذوا نصيبًا من الصرر.

على الرغم من أنها ليست ممارسة معتادة للوهلة الأولى ولا تتوافق مع قانون المؤسسات الوقفية، إلا أننا لدينا اعتقادًا أن الصرر تم إنشائها في هذا القرن، كما ذكر أعلاه، بناءً على حقيقة أن الغالبية العظمى من المؤسسات الوقفية التي استمرت وكانت مخصصة للحرم الشريف وقبة الصخرة في حلب وما حولها في هذا القرن.قد باتت فعالة وتم تخصيصها في السنوات الأولى من العهد العثماني في القرن الثامن عشر. الأموال التي حولوها إلى المسجد الأقصى وصخرة الله، هي ٤٢٢٠ قرش.

بالنظر إلى الدخل الإجمالي الوارد أعلاه، يتبين أن الرقم هو ١٠٢،٦٣٤٫٥ قرش. ونحن نعتقد أن حقيقة أن الدخل الإجمالي لمؤسستي الأقصى وصخرة الله فقط يتجاوز ١٠٠٠ ذهب بحساب تقريبي، فالمؤسسات الوقفية تعطي فكرة عن كيفية الحياة الاقتصادية للقدس التي كانت تعاش.

الرسوم المدفوعة مقدمًا للوظائف هي ٤٩٩٥٥ قرشًا	٤٨٠٠ قرش شهريا لمؤذني المآذن الأربعة في المسجد الأقصى.	١٠٤٢٥ قرش شهريًا لمسؤولي حماية ماء المساجد ليلًا
٢٦٤ قرشًا في الشهر تُمنح لبواب المسجد	٧٢٠ قرشًا لدروس الشيخ خليل في المسجد شهريًا	رسوم قناديل الإضاءة للمسجد ٥٤ قرشًا
٥٠ قرشًا للشيخ سليمان أفندي الذي يقرأ القرآن في المسجد الأقصى يوم الجمعة.	٢٥٠ قرشًا للسيد يوسف وإخوانه من كتبة المؤسسة.	٢٠٠ قرش لشيوخ وقف الكُتاب شيخ الحرم والشيخ موسى فيضي٤٥
المجموع:		١٢٧٣٦

بالنظر إلى المدفوعات المستحقة للعاملين نجد أنه قد كانت تستحق الدفع شهريًا، وإذا أمعنا النظر نجد أنه وبعيدًا عن الخدمات المعتادة فإن شاغل وظيفة رعاية الماء قد خصص له مبلغ ملفت للنظر, فمبلغ ١٠٤٢٫٥ قرشًا هو مبلغ جد مرتفع وخاصةً بقياسه مع غيره من الوظائف, بداية نوضح أن القائمين على هذا العمل هم أكثر من شخص لا شخص واحد، فهذا العمل لا يقتصر فقط على الماء والمحافظة عليه بل إن بين طياته تتداخل مواضيع أخرى لأنه ونتيجة لإيصال الماء إلى الحرم الشريف في فترة الحكم العثماني قد تم حل مشكلة المياه في القدس وما حولها لذلك فقد كانت تلك المهمة تهدف إلى تنظيم الأمر وتوفير المياه بشكل دائم للحرم الشريف ومنع استخدامها من قبل العامة لأغراضهم المختلفة. [٤٦]

الأجور السنوية

المبلغ المعتاد من سعر الأرز المعطى للشيخ موسى 15 قرشًا	المبلغ السنوي للشيخ خليل كتب وابنه أبي عرب 150 قرش	50 قرشًا لرئيس الوقف
المقاطعة الممنوحة للأوقاف المذكورة أعلاه وغيرها 104 قرش	المبلغ المدفوع لكنس وتنظيف صخرة الله كل يوم عرفة من السنة 180.5 قرش	1877 قرش سنويًا لقناديل الإضاءة
أسعار الحلل الممنوحة للأسواق 500 قرشًا	حلة من الملزمين "مستأجرين" من الخان 500 قرش	حلة من مستأجري حمام الشفاء 300 قرش
جزية الأموال من الحكام المهيمنين 90 قرشًا	مصارف مرؤوسي مزارع النطم والأجا 18 قرشًا	للمهندس أحمد أفندي القادم من مدينة عكا 1000 قرش
مقابل القهوة المعطاة للمدن من قرى جبل القدس 199.5 قرشًا	المقابل المستحق لكنس وتنظيف المساجد 90 قرشًا	مقابل تنظيف الفنادق المحيط بالحرم 330 قرش
تكلفة الشموع التي كانت ستشعل عند محارب المسجد الأقصى وصخرة الله 1702 قرشًا		أجرة القمح والشعير التي تُعطى للعامل وكتبة المؤسسة وغيرهم من الكتبة، كسعر الخبز، 2395 قرشًا.
المجموع:		١٢٣٧٦ قرشًا

[45] EV 11886, 6a-b.
[46] EV, 11186, 6a.

يعتبر المبلغ المدفوع للمهندس القادم من عكا مهمًا فهو من أموال التأسيس السنوية أو لمدفوعات المرة الواحدة. خلال هذه الفترة، كان من المعروف أن والي صيدا الجزار أحمد باشا كان مراقبًا عن كثب لشؤون الحرم الشريف. يمكننا أن نستنتج أن مهندسًا جاء من عكا مقابل ١٠٠٠ قرش وأنه أحد المهندسين الذين عملوا هناك لتطوير المدينة قام أيضًا بأعمال الإصلاح والصيانة والبناء في الأقصى ومحيطها بوظيفة وهدف محدد.

مقابل لدفاتر الوقف ٣٧ قرش	مقابل لنقل التراب من الحرم ٢٥٠ قرش	مقابل لشراء حصير للمسجد الأقصى ٩٢٨٫٥ قرش
تكاليف إصلاح نواف المسجد الأقصى ٩٨١ قرش	إصلاح وإعمار بعض مناطق محلة الشفاء ٢٧١٥٫٥ قرش	مصاريف الأوراق المصروفة على الوقف ٩٢ قرش
تكلفة الرسوم المنحوتة وألواح الجبس في الحرم ٩٨١ قرش	تكلفة إصلاح زينة الرصاص في الحرم ٧٥٤ قرش	مصاريف التصليحات التي تمت ضمن الصخرة ٨١ قرش
الإصلاحات والإعمار الذي تم في القدس في عهد المتصرف عزت باشا ٣٧٨٥٩ قر		أجرة نقل الأخشاب ١٤٣ قرش
الزيت المستخدم لإضاءة المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة ٢٥٩٩٧ قرش[٤٧]		الإعمارالذي تم في عهد المتصرف محمد رشيد باشا ٣٨٩٩١ قرش
المجموع:		١٠٩٥٧٤ قرشًا

عادة ما تكون الخدمات في هذه الوحدة مدفوعات روتينية يمكن إجراؤها على أي مؤسسة. لكن تخصيص وظيفة مأجورة لتنظيف الأعشاب في الحرم، والتي نادرا ما رأيناها، لأمر جدير بالملاحظة.

عندما يتم جمع الأرقام أعلاه، يتبين أن النفقات الواردة في هذا الدفتر هي ١٣٤،٦٨٦ قرشًا. على الرغم من أنه قد يتبادر إلى الذهن في البداية أن دخل مؤسستي صخرة الله والأقصى من القدس ومحيطها هو ١٠٢،٦٣٤،٥ قرش وأن هذا المبلغ غير كافٍ، فمن الواضح أن دخل المؤسستين مرتفع جدًا بالنظر إلى مقدار الإنفاق. ٢٧٦٦٧ قرش من فائض الدخل الذي سنذكره أدناه وكذلك إرسال أموال إصلاح كلا المسجدين من إسطنبول. فيمكننا أن نستنتج من ذلك أنه يعطي الكثير كمحصلة بالمجمل النهائي .

رواتب فائض التأسيس والنفقات الأخرى

٢١٧٧٨ شهريًا للمتولي حموي محمد آغا حسنة ٥٠ شعير ٥٧ قمح ٤٧٤٥		١٥٠٠ قرش شهريًا لمدير الأوقاف محمد درويش
٩١٠ قرش لكارولا أفندي، الكاتبة العربية التي سجلت دخل ونفقات ٣ مؤسسات وقفية.		راتب الموظف التركي عزت أفندي الذي كان يعمل في خدمة المحاسب درويش أفندي ١٠٠٠ قرش.
بدل رسوم تعيين ٣ مؤسسات وقفية لمدة ٥ أشهر هي ١٠٧٧٥ قرش		مراتب شيخ الوفا أفندي الذي سجل في الوثيقة باللغة العربية ٦٥٠ قرش.
إصلاح النوافذ ٧١٫٥في مدرسة تاجية قرش[٤٨]	متن المدير ٦٠٠ قرش على كتب ابراهيم سليمان الموجودة في	الزكاة التي أعطيت للشيخ درويش إمام صخرة الله ٨٠ سنتًا.
المجموع:		٢٧٦٦٧

[47] E EV, 11886, 6b.
[48] EV, 11886 6b.

من الممكن القول أن فائض المؤسسة من المدفوعات في كما أوضحنا هو محجوز في الغالب لنفقات الموظفين. مبلغ صغير فقط قد دفع لإصلاح نوافذ مدرسة تاجية، ٧١٫٥ قرش، هو مثال واضح رغم بساطته على حقيقة أن الأوقاف تقدم الفائض عند الضرورة وتدعم احتياجات المؤسسة الأخرى.

ج- وقف السبيل

في المدن أو في زاوية أماكن العبادة تم بناء النوافير العامة أو السبل والتي توفر المياه المجانية لأهل المنطقة والمحتاجين، ليس فقط في الأناضول، ولكن أيضًا في معظم المدن العربية، وخاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس. هذه الهياكل، التي زادت أعدادها بسرعة خلال الفترة العثمانية لم تضمن استمرار خدمات المياه فحسب، بل قضت أيضًا على مشكلة إمدادات المياه مع المؤسسات الغنية التي تنتمي إليها ووفرت فرص عمل للعاملين هناك. مجمل الموزعات هي:

٣٦٦ قرش	مداخل قرية مغلوص في الرملة
٢٧٠٩٫٥ قرش	مداخل قرية كفير في الرملة
١٢٣٠ قرش	مداخل قرية القبة في الرملة
١٣٣ قرش	مداخل قرية كفرناتا في القدس
٢٠ قرش[٤٩]	مداخل قرية أرض الشيرا وغزة
٤٤٥٨٫٥ قرشًا	المجموع

أقيم الحفل لأول مرة في باحة الحرم الشريف لمراسم الصلاة على السلطان بمناسبة إمداد المياه لأول مرة (١٧١٢١٤ IRCICA FAY)

في هذه الفترة، برز مصرفان إضافيان على أنهما تكلفة أساس السبيل، وهما ٦٤٫٥ قرش تُعطى للموظفين و ٣٫٥ قرش لإستخدام الحبل في الممر المائي.[٥٠]

[49] EV,11886, 3b.
[50] EV,11886, 6b.

-مساهمة مؤسسات القدس الوقفية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقدس

كما حاولنا التوضيح أعلاه فقد، بنت الإمبراطورية العثمانية مؤسستها الوقفية في القدس ومحيطها وحافظت عليها من خلال ثلاث منهجيات.

١ - توزيع عائدات الوقف القادمة من إسطنبول والأناضول والبلقان بواسطة الصرر المرسلة إلى أشخاص محددين في القدس وكذلك تحويلها إلى المؤسسات.

٢ - بذل الجهد لمواصلة الأوقاف التي كانت موجودة في القدس قبل الدولة العثمانية والتي كانت معظم مصادر دخلها في محيط القدس وسوريا.

٣. أنشطة الأوقاف المنشأة لحاجات أو رغبات أفرادها وتبعًا للحاجة.

من السهل تحديد الحجم المالي للمؤسسات المرسلة من خلال صرة، والتي هي في المقام الأول من بين الأسس التي تأسست على هذه المبادئ الثلاثة، ومساهمتها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمدينة. لأن مصادر الدخل والمحاسبة كانت من إسطنبول. كما ذكرنا بالتفصيل أعلاه، في نهاية القرن السادس عشر كان حجم لأوقاف التي تم إنشاؤه للقدس في نهاية وتم تسليمها إلى المدينة، وعدد الموظفين العاملين على النحو التالي.

العمالة التي وفرتها المؤسسات الوقفية ما بين العصرين السادس والتاسع عشر

العهد	المال	العدد
نهاية القرن السادس عشر	٥٧١ قطعة ذهبية	٣٢٣
نهاية القرن التاسع عشر	٤٦٧٤ قطعة ذهبية	٢١٩١

بالملاحظة والإطلاع على ما سبق نلاحظ أنه بينما حصل ٣٢٣ شخصًا على حصة من الصرر المرسلة بواسطة الأوقاف في نهاية القرن السادس عشر فقد ارتفع هذا الرقم إلى ٢١٩١ في القرن التاسع عشر. دعونا نلاحظ على الفور أن هذه الزيادة ليست سوى عدد الأسماء المسجلة في الدفاتر الموثقة، لكن مبلغ الأموال المخصصة قد زاد ثمانية أضعاف. ومما لا شك فيه أن مخصصات المؤسسات الجديدة المضافة، وخاصة هبات السلاطين قد كان لها دور في هذه الزيادة.

وتأتي أوقاف المسجد الأقصى وصخرة الله والصلاحية والخاصاكي في المقدمة من بين المؤسسات الوقفية التي تقع في المجموعة الثانية. ومن باب إعطاء فكرة عنما نحن بصدده لا بد لنا من أن نذكر أن بعض الأرقام المتعلقة بالتوسع الاقتصادي والاجتماعي لهذه المؤسسات الوقفية المذكورة أعلاه من باب أمانة النقل.

فعلى سبيل المثال أولئك الذين حصلوا على راتب من عائدات وقف خاصاكي من ساكني القدس ومحيطها عام ١٢٦٣، أو من رتلوا القرآن في التكية أو غيرها من المرافق، أو أولئك الذين كانت تلبى كل احتياجاتهم من قبل العمارة سيعطي كل ذلك فكرة واضحة عن الوظائف الاجتماعية والاقتصادية لجميع تلك الأوقاف.

القائمون بوظائف المحاسبة والمترزقون من وقف الخاصاكي لعام ١٢٦٣

المقدار المالي المعطى أو العيني	العدد	صاحب المدفوعات
٦٠٠٠ قرش	١	قائم مقام الوقف
١٨٢٥ قرش	٥	أمين السر
١٥٠ قرش	١	مسؤولو العنابر والتكية
٢٠ من الشعير	٤	مسؤول ناحية جبل القدس
٥٨ قرش و ٢٠ من الشعير	٧	الراعي
٢٠ من الشعير	١	السوباشي (القائد)
٣٤ من الشعير	١	السائس وراعي الخيول
٢ من القمح	٤	لمرتبات قرية كفر جنة
٣٨٠ قرش		إلى شيوخ قرية الوقف فيما حول القدس
٣٣٥ من القمح	٦٨	للدراويش
٢٣٤١ قرش	٨٥	لمرتلي وقرّاء أجزاء القرآن
٤٤١٠ قرش و١٠ قطع نقدية	٩	لعمال النظافة
٩١٠ قرش	١٧	بدل للمقطوعات
١٤١٧٢	٣٢٠	للفقراء، الأيتام، الأرامل، المساكين وغيرهم
٣٨٢٢ قرش[٥١]		مصاريف الماء والحبوب
المجموع:	٦٢٧ فرد	٣٤٠٦٨ قرش ٨٦ صاع شعير و ٣٣٥ ساع قمح

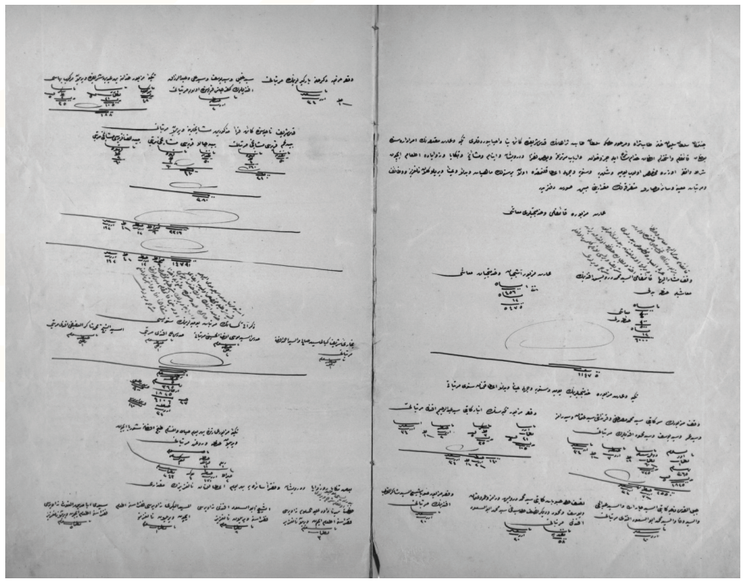

وقف الخاصاكي، مجمل مصاريف الوقف
i EV,13100, 2b-3a

[51] EV, 13100, vr. 1b-10a.

في الجدول الأخير أعلاه، يمكن ملاحظة أن النقد المدفوع لأكثر من ٦٠٠ شخص سنويًا من وقف السلطانة خاصاكي والذي يعد واحدًا من أكبر المؤسسات الوقفية في القدس، يقترب من ٤٠,٠٠٠ قرشًا بنفس التكلفة والمصاريف. وخلال الفترة نفسها قد وصل إجمالي دخل وقف صخرة الله ووقف الأقصى تحت ذات المبدأ لحوالي ١٥٠,٠٠٠ قرشًا كما قد ورد. وبهذا يقدم لنا هذان الرقمان أدلة جادة وواضحة حول الدور الذي لعبته المؤسسات الوقفية في القدس في العهد العثماني، سواءً إن كان في الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية كلٌ منهما على حدًا. ويشير الاستخدام البشري لكل من أوقاف الأقصى وصخرة الله، ووقف الخاصاكي ووقف صلاح الدين الأيوبي، والتي يمكن اعتبارها جميعها بنفس الحجم تقريبيًا، تشير إلى الحجم الاقتصادي للعقارات والذي يعتقد مجاورته للأوقاف. كما ويمكن القول أن حوالي ٢٥٠٠ مسلم فقط من سكان القدس يحصلون على حصة من مؤسستين وقفيتين كبيرتين كل عام، حيث يتجاوز الحجم الاقتصادي الإجمالي ٢٥٠,٠٠٠ قرشًا، وذلك الرقم يتوافق مع رقم ٢٥٠٠ ذهبية عثمانية الوارد في الحسابات للعملات الذهبية. بمعنى آخر فإذا أخذنا في الاعتبار الوظائف الدورية المتكررة في القرون العثمانية، يمكننا القول إن نصف سكان القدس على الأقل حصلوا على نصيب أو راتب من الأوقاف كمجمل بما في ذلك أوقاف الصرر. وبذات الشكل فيمكننا أن نضيف لاقتصاد المدينة مقدار مساهمة الأوقاف الأخرى السنوية والتي قدرها ٣٠٠٠ قطعة نقدية ذهبية.

باب المدخل لتكية السلطانة خُرَّم (أرشيف iY٧)

تكية ومطبخ وميتم وقف السلطانة خُرَّم والذي ما يزال حتى يومنا هذا يقدم خدماته للفقراء والمحتاجين (أرشيف iY٧)

نتيجة

لا بدنا لنا من أن نعي وننتبه إلى نقطة هامة جدًا بخصوص هذه الدراسة، فقد حاولنا الكشف فيها عن المساهمات الاقتصادية والاجتماعية لمؤسستين كبيرتين خلال فترة زمنية محددة، مع الأخذ بالاعتبار إلى حقيقة أنه لو أردنا إجراء دراسة شاملة لكل المساهمات الاقتصادية على مر الزمن فسنحتاج إلى وقت طويل جدًا لإتمامها. لذا من هذا المنطلق وبناءً على أهمية دراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وفهم واردات وصادرات أوقاف القدس، كيف وزعت المصارف وعن الأوضاع الوظيفية فيها، والعقارات، والصدقات، والنفقات، وغيرها الكثير من المتغيرات كان لا بد من إجراء استقصاء ودراسة ولو كانت محدودة بزمن وفترة قصيرة.

وبناءً على هذا الوضع فقد عملنا جهدنا في هذه الدراسة للكشف بالتفصيل الدقيق عن تفاصيل المؤسسات الوقفية في العهد العثماني ما قبل وبعد الإلحاق (ضم القدس للدولة العثمانية)، وقد ضمّنا فيها نشاط هذه المؤسسات في المدة المتراوحة ما بين القرنين السادس والتاسع عشر.

ولا بد من توضيح أن الوضع نفسه استمر في منتصف القرن التاسع عشر، في حين أن دور هذه المؤسسة في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية لم يناقش في القدس حتى أوائل القرن التاسع عشر، عندما كانت المؤسسة تحكمها أنظمتها الخاصة في الإمبراطورية العثمانية. وعلى الرغم من تبني معظم الأوقاف الحديثة في القدس ومحيطها وخاصة مع قبل أوقاف الأماكن المقدسة، فيمكننا ملاحظة أن الأوقاف العريقة الكبيرة مثل وقفي الصلاحية والخاصاكي ما زالت تحتفظ بقوتها السابقة كمصادر للدخل وفرص العمل. وبالمثل فإن الأوقاف المتعددة في الأناضول والبلقان والتي كانت ترسل الصرر للقدس في القرن التاسع عشر قد قدموا مساهمة اجتماعية واقتصادية مهمة لها.

ونتيجة لذلك فمنذ الفترة الأولى للإمبراطورية العثمانية إلى تاريخ انسحابها من القدس عام ١٩١٨ وحتى يومنا هذا، كانت المؤسسات الوقفية العثمانية في قلب الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقدس ومحيطها، ساعيةً لتحقيق أقصى استفادة ومساهمة مادية وثقافية واقتصادية وحتى ودولية في حماية الأرض والشعب وحتى القطع الأثرية التاريخية والبقايا الصامدة ضد المحتل الحالي.

وثائق الأرشيف

الأرشيف العثماني التابع لرئاسة الجمهورية

BOA. Osmanlı Arşivi Evkaf-i Hümayun Surre Defterleri. (EV. HMK SR), 3064.

BOA. Osmanlı Arşivi Nezaret Sonrası Evkaf Defterleri. (EV), Defter Nr: 11886, 13100.

BOA. Osmanlı Arşivi Tapu Tahrir Defterleri (TT), 342, 387, 438.

BOA. Osmanlı Arşivi Divan-i Hümayun Mühimme Defterleri. (A.DVN.MHM), 3/1381.

BOA. Osmanlı Arşivi Evkaf Nezareti Vakfiyeleri. (EV.VKF), 15/49.

BOA. Osmanlı Arşivi Ali Emiri Tasnifi. II. Murad dönemi belgeleri Nr: 9.

BOA. Osmanlı Arşivi Maliyeden Müdevver Defterler (MAD), 1806.

Topkapı Sarayı Müzesi Arşivi (TSMA), 1213.

Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi (TSMK) Defter Nr: 1213.

Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi (TSMK), 1172.

Vakıflar Genel Müdürlüğü Arşivi (VGMA), Derfter Nr: 1760.

المصادر الأخرى

Aktepe, Münir. “Çandarlı İbrahim Paşa”. Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi. 8/213-214. İstanbul: TDV Yayınları, 1993.

Emecen, Feridun. Yavuz Sultan Selim. İstanbul: Timaş Yayınları, 2011.

Güler, Mustafa. Osmanlı Devletinde Haremeyn Vakıfları. İstanbul: TATAV, 2011.

Güneş, Hasan Hüseyin. Kudüs’ü Yeniden Düşünmek. İstanbul: Önsöz Yayınları, 2017.

Sertoğlu, Midhat. “II. Murâd’ın Vasiyetnâmesi”. Vakıflar Dergisi. 8, (1961): 67-69.

Silahşor. “Fetih Nâme-i Diyar-ı Arab”. Tarih Vesikaları Dergisi. (Publ. Selahattin Tansel). 2, (1958): 294-320.

Turgut, Vedat. “Germiyanoğulları’nın Menşei, Vakıfları ve Batı Anadolu’nun Türkleşmesi Meselesi Üzerine”. Sosyal ve Kültürel Araştırmalar Dergisi (The Journal of Socialand Cultural Studies). 3/5, (2017): 1-98.

Mehmed Süreyya. Sicill-i Osmanî Yahud Tezkire-i Meşâhir-i Osmaniyye 3. (Prep. Ali Aktan & Oth.). İstanbul: 1996.

Uzunçarşılı, İsmail Hakkı. Çandarlı Vezir Ailesi. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1986.

Ürkündağ, Ayhan. Hacı Beşir Ağa ve Hayratı. Afyon Kocatepe Üniversitesi , 2017.

Guşe, Muhammed Haşim. el-Evkâfu’l-İslâmiyye fi’l-Kudsi’ş-Şerîf Dirâse Târihiyye Târihiyye Muvessika 1, İstanbul: IRCICA, 2009.

مصادر الإنترنت

http://mirasimiz.org.tr/sayfa/Mescid-i-Aksada-Bulunan-Osmanli-Eserleri/22. (Erişim: 14 Kasım 2019).

http://www.iznikrehber.com/yazarlar-48-iznik%E2%80%99te+bilinmeyen+koyler-recep+-bozkurt (Erişim: 14 Kasım 2019).

https://www.google.com.tr/maps/place/Kay%C4%B1,+%C4%B0stiklal+Mahalesi,+51700+Kay%C4%B1+K%C3%B6y%C3%BC%2FBor%2FNi%C4%9Fde/@37.8959118,34.3930762,14z/data=!4m5!3m4!1s0x14d625f185fc26e5:0x9dbc869aae-20dc90!8m2!3d37.90004!4d34.403792?hl=tr (Erişim: 14 Kasım 2019).

فهرس أسماء الأعلام والمدن والأماكن

أ

أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء ٢٦٩
أبو علي الصغاني ٢٤٠
أبو بكر (عليه السلام) ٦٥، ٦٦، ٢٧٠، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٩
أبو بكر الطرطوشي ٩١
أبو جعفر المنصور ٢٣٨
أبو حامد الغزالي ٢٣٩
أبو حرب تميم المبارك ٨٤
أبو هريرة (رضي الله عنه) ٦٥، ٢٣٧
أبو إسحق الشيرازي ٢٤١
أبو العباس السفاح ٨٠
أبو الفضل عطا المقدسي ٩١
أبو الفضل بن القيسراني ٩١
أبو الفرج الشيرازي ٩١، ٢٤٠
أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي ٢٤١
أبو القاسم مكي بن عبد السلام ٩١
أبو المراق محمد باشا ١٢٥، ١٢٦
أبو المسك كافور ٨٦
أبو رندقة الطرطوشي ٢٣٩، ٢٤٠
أبو سعد الزوزني ٢٤٠
أبو سعيد الزنجاني ٢٤٠
أبو سفيان (رضي الله عنه) ١٧٠
أبو تراب النخشبي ٢٦٩
أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) ٦٦، ٦٧، ٧٣، ٢٣٦، ٢٣٧
أبو عقبة (مدرسة) ٢٤١
أبو يعلى الفراء ٢٤١
أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) ١٧٣، ٢٣٦، ٢٣٧
ابن جماعة ١١٤
ابن حجر العسقلاني ١١٤
ابن عثمان المكنسي ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٢
ابن الدوادار ٢٧٣
ابن العربي ٩١، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٧٥
ابن القيصري ٩١، ٩٣، ٢٦٩، ٢٧٥
ابن العنصري ٢٤٠
ابن الصلاح الشهرزوري ٢٤٤، ٢٤٦
إبراهيم (عليه السلام) ١٥، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٧٧، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٩، ٢٠٧، ٢٩٣، ٣٠٥، ٣٤٣، ٣٥٧
أجنادين ٦٦
أدرنة ١٢٤، ١٨٢، ٢٠٩، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٦٥
إدموند دي روتشيلد ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥
إدموند هنري هينمان ألنبي ١٣٥، ١٤٣
أدوميون ٣٣، ٣٤
إدوارد دانيال كلارك ٢١٨
إدوارد روبنسون ٢١٩، ٢٢٠
إفريقيا ٨٦
افتخار الدولة ٩٥، ١٠١
إخشيدون ٨٦، ٨٩، ٢٣٨
إيليغازي ٩١، ٩٣
إيليا ٤٩، ٦٧، ٧٠، ١٦٧
ايوانيس شيميسكس ٨٧
إيران ٨٥، ٨٩، ١١٧، ١٤١
إيرانيون ٨٣
إسحاق أنجيلوس ١٠٥
إصفهان شاه خاتون ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٢
إسحاق (عليه السلام) ٢٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٩٣
إسحاق بن كونداجك ٨٥
الإسكندرية ٣١، ٥٠، ١٢٥، ٢١٩
مكتبة الاسكندرية ٣١
إسلام ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٥، ١٨، ٥٣، ٥٤، ٥٨، ٦٥، ٦٦، ٧٣، ٧٦، ٨٧، ٨٨، ٩٢، ٩٣، ١٠١، ١٠٢، ١١١، ١١٤، ١٢٥، ١٤٥، ١٤٧، ١٥١، ١٥٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣١٣، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٦١
إسماعيل حقي البورصوي ٢٦٨
الإسراء ١٠، ١٥، ٢٧، ٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٨٠، ٢٠٧، ٢٣٦، ٢٦٨، ٣٠٤، ٣٣٢
إسرائيل ٨، ١١، ٢٠، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥٣، ٥٩، ٦٦، ١٣١، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٦، ٢١٥، ٢١٦، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٧٦، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٤٨، ٣٥٥
دولة إسرائيل ٢٨، ١٣١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٧٦
مملكة اسرائيل ٤٣، ١٥٥
الإسرائيليون ١٠، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٩، ٢٧٦
إسطنبول ٦، ٩، ١١، ٣٠، ٣١، ٤١، ٤٥، ٥٠، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٩، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٥١، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٧، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٥
إشبيلية ٢٤٠
الأفضل (وزير فاطمي) ٩١، ٩٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٨٩
الأفضلية (مدرسة) ٢٤٤
أليعازر ٣١
إلينا (كنيسة) ٣٤٦
أليا‌هو ها نافي ١٨
الأمويون ١٦٨، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٠، ٢٠٤، ٢٨٦، ٢٩٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٩ ٧٠، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٤، ٩٢، ١٨٠١٨١، ٢٨٩، ٣٠٤، ٣١١، ٣١٢،
أبشالوم (تابوت) ٣٩
آدم (عليه السلام) ١٠، ١٥٧، ١٧٣
أدوني صادق ٢٣، ١٥٤، ٢٧٦، ١٥٤
إيليا كابيتولينا ٣٣، ٣٥، ٣٧
الأفغان (زاوية) ٢٧٢
أفريقيا ١٣، ٢١٦، ٢٦٩
أفروديت ٥٠، ٥٥
أفروديت (معبد) ٥٠
أحمد بن الكردي البسطامي ٢٧٠
أحمد بن أبي بكر الحقاري ٢٥٨
أأحمد بن طولون ٨٥
أأحمد الدجاني ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧
أأحمد فقيه ٢٠٧، ٢٠٨
البحر الأبيض المتوسط ١٣، ١٤، ١٥، ٣٧، ٦٦، ٨٨، ٩٥، ١٧٦
أخناتون ٢٢
أكرا ١٥، ١٦، ١٧، ٣١،٤٥، ٥٤
أكرا (تل) ١٦، ٥٤
أكروبوليس ٢٠٠٧،٤٥،٣١
ألبرت مونتيفوري هايمسون ١٣٧
ألكسندر الأول (القيصر الروسي) ٥٨
الألمان ١٣، ٥٣
ألمانيا ٨٨، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ٢٢٦، ٣٥٣
أماجور التركي ٨٥
أمنحتب (فرعون) ٢٢
الولايات المتحدة الأمريكية ١٤٦، ١٣٥، ١٤١، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠
أمواس ٦٧
الأناضول ٦٦، ٦٧، ٨٩، ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٥٥، ١٥٩، ١٩٠، ٢٥٠، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٥
أنطاكيا ٥٠، ٦٦، ٨٦، ٩١، ٩٥، ٢٠٩، ٢٤١
أنطيوك ١٦
أنطيوكس ٣١، ٣٢، ٤٥
أنطيوخس الثالث ٣١، ٤٥
أنتيباتر الأول ٣٣
أراغون (مدرسة) ٣٢٤
أركلوف ٨٣
أرغونية (مدرسة) ٢٥٠
أركولف ١٨
أرنول ٩٧
الأسد (باب) ١٨٣، ١٩٠
أرتوك باي ٩١
الأرض الموعودة ١٦٩
آشور ٢٣، ٢٨، ٤٣، ١٥٥
الآشوريون ٢٨، ٤٣، ١٥٥
الآشوريون ١٣، ٥٣، ٥٧، ٦١، ١٦٤، ٢٤٢
نصوص آشورية ٢٣
آسيا ١٣، ٢٢٥
أتسز ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٢٣٩، ٢٨٩
أوروبا ١٣، ٣٠، ٣٨، ٥٩، ٨٨، ٩٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٤٠، ١٤١، ١٦٤، ١٩٤، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٦٧، ٣٥٠
أبشالوم ٢٣
آيا صوفيا ٢٢٨، ٢٢٩
أياس باشا ١١٩
الأمم المتحدة ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١
الإسكندر الأكبر ١٨، ٢٠، ٣١، ٤٥، ١٧٩
اتفاقية كامب ديفيد ١٤٢
الأمين (الخليفة العباسي) ٨٣، ٢٠٨
الأمينية (مدرسة) ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣٦
الأمير عثمان بن علي الزنجيلي ٣١٢
الأمير سيف الدين قوتلوبوغا ٣١٧
الأمير سيف الدين تنكز ٣١٦، ٣٢٢
الأمير تنكز الناصري ٣٢٦، ٣٣٠
أمير الجيوش الأفضل ٩١
الأندلس ٩١، ٢٤٠، ٢٤٤
أيفانس ٣٢
أريحا ٢٤، ١٤٧
الأرمن ٥٣، ٥٧، ٦٠، ٩٨، ١٦٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧
أسعردية (مدرسة) ٢٥٤، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣٦
الأسباط (باب) ١٨٤، ١٩٠، ٢٨١
أيفين هاشطياح (الحجر الأساس) ٢٦
الأوحدية (مدرسة) ٢٤٦
أوليا جلبي ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٧٩
إيفرينوس بك ١١٨
الأوزاعي ٨٤، ٢٣٨
أيلا ٨٨
أيوب (عليه السلام) ٢٠
الأيوبيون ٧، ١١، ١٨، ٥٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١٧٤، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ٢٦٢، ٢٧٩، ٢٩٠، ٣٤٢، ٣٧٣
الأشرفية (مدرسة) ١١٣، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٤٨، ٢٤٩، ٣٣٦،
أشرف شعبان (سلطان مملوكي) ٣١٧، ٣١٩
أحياش ١٣, ٥٣, ٥٧
الأسبتارية ٨٩، ٩١، ٩٨، ٢٤٠
أوفل ١٤، ١٥، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٤٤، ٤٥
تل أوفل ١٥، ١٩، ٢٠، ٢٢
أورهان بك ٣٥٧
الأرثوذكسية ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٨٦، ١٠٥، ١٦٤
الأرثوذكس ٥٣، ٥٧، ١٢٩، ١٦٢، ٢٤٢
أورفة ٩٥، ٩٧
أوروشاليم ٢٢، ٢٣
أم الدرج (نبع) ٢٠، ٢٢
أم الدرداء (رضي الله عنها) ٢٣٧، ٢٥١
الأردن ٣٥، ٦٦، ٨٤، ١١١، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٥، ٢٥٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٢٤، ٣٣٠
أسامة بن زيد رضي الله عنه ١٧١
أسكدار ٣٦٣
أورشليم ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣١، ٤٤، ٤٩، ٨٠، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٧، ١٧٤

ب

بعل ٢٣
بابل ١٠، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٤٤، ٤٥، ١٥٥، ١٧٩، ٢٧٨، الباب العلاي ١٣٠
باب العمود ٢٣٢
باب الأسباط ٩١، ٢٢٣
باب الخليل ٢٣٢
باب المغاربة ٢٣٢
باب الساهرة ٢٣٢
باب الرحمة ٢٨٢
بركة إياد ٢٠
بغداد ٨٠، ٨٢، ٨٦، ٢١٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٣
بهاء الدين بن شداد ٢٤٣
البستان (قبر) ٥٥، ٦٠
بلفور ٨، ١١، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٥١
بليان دييلين ١٠١
البلقان ٢٥٦، ٣٧١
بانياس ٨٨
بار كوخبا ٣٦، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩
بارسباي ١١٢
بازل/باسيل (مؤتمر) ١٣٤
باسيليوس الثاني ٨٧
الباسطية (مدرسة) ١١٣، ٣٢٤
بيبرس ٤٠، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ٢٦٧، ٢٩٨، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣١
بدر الدين حسن بن قطينة ٢٥٨
بلقيس ١٧٠، ٣٦٤
بني عمرو ١١٩
بني إسرائيل (بركة) ٢٠
بني زيد (حي) ٢٦٠
برقوق ١١٢
بشيكطاش ٣٦٣
بتار ٣٦
بيت ها مقداش ٢٦، ١٥٤، ١٦٧
بيروت ١٣، ١٥، ٦٢، ٦٦، ٧٣، ٧٦، ٧٨، ٨١ر٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٢، ٩٣، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٥، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٥، ١٦٧، ١٦٨،١٦٩،١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ٢١٢، ٢١٤،٢٢٨، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١
بيت جبرين ٦٧
بيت شولمانو ٢٢، ٢٣
بيت لحم ٤٠، ٩٧، ١٢٢، ٢١١، ٣٤٥، ٣٣٩، ٣٤٦
البيت المقدس ٨، ١٠، ١١، ٦٥، ٧٠، ١٥٤، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٥، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٣،٣١١، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٣
بزيتا ١٥، ١٧، ٣٤، ٤٨
بلاد الشام ١١٨، ٢٣٠، ٢٤٧
بلال الحبشي ٧٠، ٢٠٧
بركة سلوان ٢٠
بركة الحمراء ٢٠
بئر أيوب ١٩، ٢٠
بشر الحافي ٨٤، ٢٣٨

البسطامية ٢٦٧
بسطامية (زاوية) ٢٧٣
بيزنطة ٢١، ٣٣، ٣٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٥٧،٥٨، ٦٥، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٢، ٩٣، ٩٨، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٨، ٢٧٩، ٢٩٣
البيزنطيون ٦٦، ٦٩
بوبادجيان مهران ١٣١
باب البراق ٢٨٢
البراق (مسجد) ٢٨٤، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٣٦
برجية (المماليك) ١١٢، ١١٣
برهان الدين (منبر) ١٩٨، ٣١١، ٣٣١، ٣٣٦
بورصا ٢٣٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٢
بنيامين ٢٤ ، ٢٨ ، ١٥٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٧٦
برج أنطونيا ٣٥، ٤٥
بريطاني ٥٣، ١١٧، ١٢٥، ١٣٩، ١٤٤، ٣٠٥
بريطانيا ١٠٥، ١٠٦، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٨٠، ٣٠٥
البحر الأحمر ١٣، ٢١٤
البحر الميت ١٥، ٨٠، ٨٨، ١٥٣
البابا الثاني أوربانوس ٩٥
البابا التاسع غريغوري ١٠٧
باريس (مؤتمر للسلام) ١٣٥، ١٣٦
بطرس ٦١
بيير لوتي ٢٣٢، ٢٣٣
بيلاطس ٣٤، ١٦٣
بومبي ٢٠، ٣٣، ٤٦
البرتغال ٢٢٦
البروتستانت ٥٣، ٥٥، ٦٠
بروسيا ١٢٩
أسرة بطليموس ٣١
البطالمة ٣١، ٤٥
بولس ٣٦، ١٦٣

ت

تابوت العهد ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٤٧، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩
التنظيمات ١٢٩، ٣٥٣، ٣٥٥
تل الهيكل ٢٧٨
التازية (مدرسة) ٣٦٩
تبوك ١٧١
تل أبيب ٨٣، ٩٢، ٩٣، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢، ١٤٧
تل العزيز ٦٦
تميم الداري (رضي الله عنه) ١٧٢
تمبلوم دومينيي ٩٦، ٢٩٩
تمبلوم سولومونيس ٩٧
تنكر ١١١، ١١٢، ١١٣، ٢٤٩
التنكزية (مدرسة) ١١٣، ٢٢٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٣٢٢، ٣٣٦
توراة ٢٣، ٢٩، ٣١، ٣٧، ٦٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧،
تيودور هرتزل ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٤٢
تيغلات بيلاسر ٢٣
تيرا ٣٠
ترزا ٢٨، ٤٣
تيتوس ١٠، ١٨، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٥، ٦١، ١٨١، ٢٠٥، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٣
تراجان ٣٦
توديلا بنيامين ٤٢
الترك ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ١١٢، ١١٤، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٥٢، ٢٥٣
الأتراك ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٢٠٥، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٨٩
تركمان ١١٤
تُنش ٩٠، ٩١، ٢٨٨، ٢٨٩
تيروبوين (وادي القمامة) ٢٠
تشالديران ١١٧، ٣٦٠
توراييا ١٢٢

ث

ثيودوسيوس الثاني ٥١
ثيودوسيوس (بطريرك القدس) ٥١، ٨٥
ثيودوسيوس ٥٠

ج

جابية ٦٧، ٧١
جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) ١٧١
جعفر المنصور ٢٨٧، ٢٩٩
جاهد ظريف أوغلو ٢١٦
جالوت ٢٤، ١١١
جانبرد الغزالي ١١٧، ١١٨، ١١٩
جاولية (مدرسة) ١١٣، ٢٥٠، ٣٢٣، ٣٣٦
جبل المشهد ١٨
جبل المؤامرة ١٩
جبل التكبير ١٩
جبل المشارف ١٨، ١٩، ٣٤
الجليل ٣٦، ١٦١
جمال باشا ٢١٤
جنوة ٩٥
الجراحون ٨٧، ٨٨
الجوز (وادي) ١٩
الجزيرة ٦٦، ٨٧
الجزار أحمد باشا ١٢٥، ١٢٦، ٣٦٩
جبرين ٦٦، ٦٧
الجويني ٢٤١
جورجيا ٣٥٠
الكنيسة الجورجية ١٦٤
الجثسيمانية (حديقة) ١٨، ٥٧
جون واردل ٢١٩
جوليان ٥٠، ١٣٥
جستنيان ٥١
جوبيتر ٣٢، ٣٦، ٣٧، ١٧٨
معبد جوبيتر ٣٧، ١٧٨

ح

حائط المبكى ٣٤، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٧، ٥١، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٢، ٢٥٨، ٣٠٤، ٣٣٢، ٣٤٨
الحرب العالمية الأولى ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ٢١٤، ٢٨٠
حائط البراق ٣٤، ٤١، ١٥٢، ٢٨٠، ٣١٦،٣٠٤، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٣٦
حاييم وايزمان ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣
حيبرو ٢٢، ٢٣
الحجر المعلق ١٥، ٢٦، ٧٠، ٩٦، ١٦٩، ٢١٢
الحاج بشير آغا ٣٦٥، ٣٧٥
الحديد (باب) ١٨٤، ٢٨٢
الحجر المعلق ٢٩٣، ٢٩٩
حافظ أحمد باشا ٣٥٠
الحقانية الرومية ٣٦٢
الحاكم بأمر الله ٥٦، ٨٧
حلب ٦٦، ٨٧، ١٠٤، ١١١، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٣، ٣٣٠، ٣٦٢، ٣٦٧
حلب ١٠٥، ١١٧، ٢١٤، ٣٦٢
حبرون ٢٤، ٢٥
باب الخليل ٣٠٥
الحمدانيون ٨٧
الحنفيون ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٣
حانوقاه ٣٢
حاربا ٢٥٨
الحرميـن ١١١، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٨٤، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٤٥، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٥
الحـرم الشـريف ١١، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٢، ٢٥، ٤١، ٥٨، ٧٦، ٨٩، ٩٠، ٩٦، ١٠٨، ١١٢، ١٢٧، ١٤٥، ١٥٥، ١٦٢، ١٦٦، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢١٣، ٢١٤، ٢٤٢، ٢٧٩، ٢٨٤، ٣٢٢، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٠
الحارث بن سعيد ٧٨
حسـن ٧٣، ٧٥، ٨٦، ١١٥، ١١٩، ١٢٥، ١٣٣، ١٧٢، ١٧٥، ٢٠٥، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٨٠، ٣٢٣، ٣٦١، ٣٧٥
الحسن بن أحمد الغافقي ٢٤٠
الحشمونيون ٣٢، ٣٣، ٤٥، ٤٦
٣٢، ٣٤، ٤٦
حيفا ١٣، ١٣١، ١٣٢، ١٤١، ١٤٢
حفظي ٢٠٩، ٢٢٨
حمص ٦٦
حطانية (مدرسة) ٣٢١، ٣٣٦
حطة (باب) ٤٨، ١٨٤، ٣٢٤، ٣٣٦
حطين ١٠١
الحجاز ٧٥، ١١٤، ١١٧، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، ٢٩٣
حيرام ٢٦
حزقيا ٢٠، ٢٨، ٣٠، ٣٨، ٤٣، ١٥٥
حزقيا (بئر) ٢٠، ٤٣
حزقيا (نفق) ٣٨
الحسين رضي الله عنه ٧٥
حسين واصف ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧

خ

خليج العقبة ١٣
الخادم سنان باشا ١١٧
خالد بن الوليد (رضي الله عنه) ٦٥، ٦٦، ٧٣
الخليـل ١٣، ٢٤، ٤٧، ٧٦، ٧٧، ١٠٨، ١١١، ١١٩، ١٤٢، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٦٧، ٢٧٥، ٣٠٥، ٣٢٤، ٣٣٩، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٨
خليل الرحمن ١١٩، ١٢٠، ٣٤٢
الخلوتية ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٦٩
خان يونس ١١٨
خانقاه ١١٣، ٢٤٢، ٢٦٦، ٢٧٥
خوارزمشاه ١٠٧، ١٠٨
خاصاكي سلطان (وقف) ٣٧٢، ٣٧٣
الخاصكية ٣٧١
خاتونية (مدرسة) ١١٣، ٣٢٣، ٣٣٦
خيالي بك ٢٠٦
الخضر عليه السلام ١٨١، ٣١٠، ٣٣٦
قبة الخضر ١٨١، ٣١٠، ٣٣٦
الخلفاء الراشدون ٧، ١١، ٦٥، ٧٢، ٧١، ٧٣، ٢٣٦
خرم السلطانة ١٢٢، ٢٥٢، ٢٦٠، ٣٧٣
خراسان ٨٩، ٩١، ٢٤٠

د

دايمبرت (بطريرك القدس) ٩٧
داريوس ٣٠
دافيد بن غوريون ١٤٠، ١٤٢
ديفيد لويد جورج ١٣٤، ١٣٥
داوود (عليه السلام) ١٥، ١٦، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٧٠، ٨٨، ٩٦، ١٢٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٣، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٦، ٢٨٢
داوود (برج) ٣٤، ٤٤، ٤٧، ٩٦، ١٠١
داوود (مجمع) ١٧٦
داود (مدينة) ٢٥، ٤٤، ٤٥
دنكيزية (مدرسة) ٢٥٥
دنيس كوهين ١٣٧
درسعادات ١١٨، ١١٩، ١٢٥، ١٣٣، ٣٤٥
دسوقية ٢٦٩
دوداري (خانقاه) ١١٣، ٢٧٣
دمشق ١٣، ٦٦، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١١٣، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٦٩
دحية الكلبي (رضي الله عنه) ١٧٠
دمياط ١٠٦، ١٢٦
ديـوان سـلطاني ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٥، ١٣٣، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٥
ديفدار (مدرسة) ٣٢١، ٣٢٤، ٣٣٦
ديار بكر ١٠٩، ١١٨، ١٢٦
دير الرقاد ٥٩
دير القديس مرقس ٦١
دمشق ١٣، ٤٨، ٥١، ٦٠، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٣، ٩٥، ١٠٧، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٥، ١٤٢، ١٨٣، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٤٩
قضاء دمشق ١٢١
ولاية دمشق ١١٧، ١٢٢، ١٢٨
باب دمشق ٤٨، ٦٠، ٩٥، ١٨٣، ٢٣٢
دونالد ترامب ١٤٧، ١٤٩

ذ

الذهبي ١١٤

ر

ربيعة الأديفية ١٨، ٨٤، ٢٣٨
رافائيل دوكي أوربيا ٢٢٦
رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم ٦٥، ٦٦، ١٧٣، ٢٦٨، ٢٨٥، ٣٤٣
ريموند الرابع ٩٥، ٩٦
ريموند أغويلرس ٩٦
الربابة (وادي) ١٩
رجاء بن أيوب الحيدري ٨٤
رجاء بن حيوة ٧٦، ٧٧
رجب باشا ٢٥٧
الرفاهية ٦٧
رحبعام ١٥٥
رحوفام ٢٨
الرملـة ٧١، ٨٨، ٨٩، ٩٧، ١٠٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٥، ١٢٦، ٢٦٦، ٢٦٩، ٣٦٦، ٣٧٠
رينو دي شاتيلون ١٠١
رباط قلاوون ١١٢
رباط المنصوري ١١٢
ريتشارد رويرت مادن ٢٢٠
رفاعية ٢٦٧، ٢٧٠
رضوانيون ١٢٢٠
روبنسـون ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥
رومـا ١٠، ١٦، ٢٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٨٢، ٨٥، ١٠٥، ١٠٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٨، ١٧٩، ١٧٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٧٨، ٢٨٦، ٣٤٥
الرومان ١٦، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ١٥٥، ١٦٣، ١٧٩
روحي الخالدي ٢١٣
الروس ٥٣، ١٢٩
روسـيا ٣٨، ٤٨، ٥٦، ٥٨، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٥، ٢٢٥، ٢٣٤
ركن الدين بيبرس ١١٣، ٣٢٤
روما الشرقية ١٠٥، ١٧٨، ١٧٩، ٣٤٥

ز

زكريـا (عليـه السـلام) ١٨، ٣٩، ٥٢، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٦٤
تابوت زكريا ٣٩
مكتب زكريا ١٩٥، ١٩٧
محراب زكريا ١٩٧، ٢٩٢، ٢٩٣

الزنكيون ٢٤١
زيتا (تل) ١٦
الزيتون (جبل) ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٥٠، ٥٢، ٥٧، ٥٨، ٨٣، ٩٢، ١٠٢، ١٦٢، ١٧٦، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٧٧، ٣٠٦، ٣٣٢، ٣٣٩
زياد الدين الحقاري ٢٤٣

س

سعيد بن بطريق ٧٧
سعيد بن زيد رضي الله عنه ٢٣٧
السكينة (باب) ٢٨٢
سامريون٣٠، ٣٤، ٣٦
السامرية ٢٨، ٤٣
السنهدرين ١٩، ٣٢، ٣٣، ١٦٣
سانهيريب ٢٨
سان ريمو ١٣٥
ساسانيد ٢٧٩، ٢٩٣
الساسانيون ١٠، ١٧٩
جبل سكوبوس ١٨
سياستيان ٦٧
سلامة بن قيصر (رضي الله عنه) ٧٥، ٢٣٦
السلاجقة ٩٠، ٩١، ٩٣، ٢٣٩، ٢٤١
السلوقيون ١٦، ٣١، ٣٢، ٤٥
السلامية (مدرسة) ١١٣
سلمى أكرم ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٧
سري السقطي ٨٤، ٢٣٨، ٢٦٩
سيسورتيس الثالث (فرعون) ٢٢
سزائي كاراكوتش ١٤٤، ٢١٥، ٢١٦
سبط بن الجوزي ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥١
السلسلة (نافورة) ٢٠٢، ٢٠٣
السلسلة (باب) ١٨٤، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣١٦، ٣٢٨
السلسلة (منارة) ٣١٦
السلسلة (قبة) ١٨١، ١٨٦، ٣٠٩
سلوان ١٤، ١٥، ١٩، ٢٠، ٢٩، ٤٣، ٤٤، ٥١، ٧٢، ٢٣٨
سيمون ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٤٥، ٤٦، ٦٢، ٦٣، ٩٦، ٩٩، ١٧٨، ٢٠٥، ٣٠٧، ٣٤٦
سيمون المكابي ٣١، ٤٥
السير ألفد موند ١٣٦
السير هربرت صموئيل ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٣
ستي مريم (وادي) ١٩
سوكمن ٩١
سفرونيوس (بطريرك القدس) ٥٢، ٦٧، ٧٠، ٧١، ٨٢، ٣٣٩
السلطان عبد العزيز ٢٨٠، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٠
السلطان الكامل ١٠٧، ١٠٨
السلطان (بركة) ٢٠
سوريا ٢٣، ٣٦، ٦٥، ٦٦، ٧٢، ٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ١١١، ١١٧، ١٣٥، ١٤٢، ١٥٥، ١٥٩، ١٧١، ١٧٦، ١٧٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٩٣، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٧١ سُرة ٢٥٦، ٢٦٥، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥
سفيان الثوري ٨٤، ٢٣٨
سوق القطانين ١١٣
سليمان (عليه السلام) ١٥، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٤٢، ٤٤، ١٢١، ١٥٥، ١٦١، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٨، ١٧٩، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٩١، ٣٠٦، ٣١١
سليمان بن عبد الملك ٧٥، ٧٩
سليمان بك ١٢٠، ١٢١
قبة سليمان ٣١١، ٣٣٦
هيكل سليمان ١٠، ٧٠، ١٦١، ١٧٦، ١٧٩، ١٨١، ٢٠٤، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٩٣، ٣٠٦، ٣٣٢
سليمان باشا ١٢٦، ١٢٧
بركة سليمان ٢٠
السجلات الشرعية ٣٦١
السلطان سليم ١١٧، ١١٨، ١٢١، ٢٠٨، ٢٥٢، ٢٦٤، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٣، ٣٦٠، ٣٧٥

ش

شاتوبريان ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٣٢،٢٢٦، ٢٣٥
الشرق الأوسط ١٠، ٣٠، ٩٥، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٥١، ١٥٣، ١٧٦، ١٨٣، ٢٠٥، ٢١٦
شابات ٣٢، ٣٧
الشابي ٢٣٨، ٢٥١
الشافعية ٢٤١
شهربراز ٥٢
شاليم ٢٣
شلمنصر ٢٨
شاؤول ٢٤، ٢٥
شارلمان ٨٢، ٨٣، ٨٨
الشاذلية ٢٦٧، ٢٦٩
شداد بن أوس (رضي الله عنه) ٧٢، ٧٩، ١٧٢
شهم ٢٨، ٤٣
شمس الدين محمد الخليلي ٢٥٧
الشيخ الخليلي ٢٥٢، ٣١٣
شهاب الدين المقدسي ٢٧٠
شيلو ٢٦
شلومو ٢٣، ٩٢
شيرفان ٣٥٠
شوكولو ٨٩، ٩٠
شرحبيل بن حسنة (رضي الله عنه) ٦٦
الشركسي مراد ١١٨
شيمشكس ٨٧

ص

الصليبيون ٧، ١١، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١١١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٠، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٦٧، ٢٧٩، ٢٨٩، ٢٩٩، ٣٠٦، ٣٠٩
الحملات الصليبية ٨٣، ٨٧، ٩٠، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١
مدرسة الصيبية ٣٢٥
الصدوقيون ٢٤، ٣٢
صفد ١١١، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٣
الصفويون ١١٧
صفورية ١٠١
صخرة الله ١٢٧، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٤، ٢٣٢، ٢٦٨، ٣٤٥، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٣
صخرة ١٥، ٦٢، ٧٠، ٧٦، ٧٧، ٩٢، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٣٨، ٢٨٦، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٨، ٣٣٧
الصالحية (خانقاه) ٢٤٢
الصالحية (مدرسة) ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٦٢
صالح أيوب ٣١٠
صالح بن مردس ٨٧، ٨٤، ٨٥
صموئيل (إسماعيل) ٢٤، ١٥٤
صيدا ١١٧، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ٣٦٩
صلاح الدين الأيوبي ٧، ١١، ١٨، ٥٦، ٩٧، ١٠١،١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٥، ٢٦٧، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٩٩، ٢٩٠، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١١، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٦٣٤٢، ٣٧٣
صقلية ٥٩، ١٠٧
صدقي ياهو ٢٩
كهف صدقيا ٣٨
صيدا ٣٠
بوابة صهيون ١٨٣
صهيون ١٥، ١٦، ١٩، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٣٦، ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٩، ١٢٩، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٧٦، ١٨٣، ٢٣٢، ٢٧٦
تل صهيون ١٦، ١٩، ٢٧
قلعة صهيون ٢٥
الصهيونية ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ٣٢٢، ٣٣٠
الصهاينة ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٥٦
الصهيونية ١٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٥٦، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧
الصلحية (طريقة) ٢٦٦

ض

الضفة الغربية ١٤٧، ١٤٩

ط

طبريا ٨٩، ١٠٨
طاهر بن علي المقدسي الشيباني ٢٦٩
طالوت (شاؤول) ٢٤
طولون ٨٥، ٨٦، ٨٩، ٢٣٨
طومان باي ١١٨
طوبكابي ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٧٥
طرابلس ٨٧، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦
قضاء طرابلس ١٢٤
طور ٢٠٨
طور زيتا ٢٥٨
طريق الآلام ٥٥، ١٦٣، ٢٢٥

ظ

الظاهر (الخليفة الفاطمي) ٨٧، ١١٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٨٧، ٣٢٣
الظاهر أبيبارس ٢٩٩

ع

عباس (رضي الله عنه) ٨٠، ١٤٩، ١٧٢، ١٧٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٥١، ٢٧٠، ٣٦٣، ٣٦٤
وقف عباس آغا ٣٦٣
عباسي ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٩٢، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٩٩
العباسيون ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٢٣٨
عبدي هبا ٢٢
عبد الله الأول ٣٠٠
عبد الله بن العباس (رضي الله عنه) ٢٣٧
عبد الله بن عمرو بن قيس (رضي الله عنه) ٢٣٦
عبد الله بن الزبير (رضي الله عنه) ٧٥، ٧٦، ٢٩٣
عبد الرحمن بن غنم ٧١
عبد الحميد الثاني ٥٩، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٨٠، ٢٠٥، ٢٢٨، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣١٧، ٣٢٧
عبد المجيد ١٧٣، ١٩٨، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٥١، ٣٠٠، ٣١٢، ٣٥٠
عبدالملك بن مروان ٧٥، ٨٠، ١٦٨، ١٧٤، ٢٣٨، ٢٨٦، ٢٩٣، ٣٠٩
عبد الملك حسين بن طلال ٣٠٠
عبد الوهاب بن إبراهيم ٨١
عبد السلام بك (وقف) ٣٦٢
علاء الدين الخلوتي ٢٦٠
علي (رضي الله عنه) ٦٧، ٧٢، ٧٥
علي بن يوسف آغا ٣١١
علي أكرم ٢١٠، ٢١١، ٢١٧
علي الخلوتي ٢٥٨، ٢٦٧
علقمة بن حكيم ٧١، ٢٣٦
علقمة بن مجزز ٧١
العلامة شيخي ٢٠٩
العموريون ٢٤
عمرو بن العاص (رضي الله عنه) ٦٦، ٦٧
عسكري منصورة محمدية ١٢٨
عسقلان ٨٨
عسقلان ٦٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٨
عين جالوت ١١١، ٢٤٧
عزرا ٢٠، ٨٣
عمان ١٣، ٦٣، ٧٥، ٧٦، ٩٢، ٩٣، ٩٦، ٩٩، ١١٥، ١٧٠، ١٧٥، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥١،
عكا ١٣، ٦٦، ٩٠، ١٠٥، ١٢٥، ١٢٩، ١٣١، ١٦٤، ٢٢٣، ٢٨٩، ٣٦٨، ٣٦٩، ٩٥، ١٢٥، ١٣٣
عقبة الست (حي) ٢٦٠
عامود (باب) ١٦
عرب ٣٤، ٨٣، ١١٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ٢١٥، ٣٣٩
عيد رفع الصليب ٥٢
العهد القديم ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ٢٧٦
عزرا ٣٠، ٤٤، ١٥٩
العبرية ١٩، ٣٦، ٤٢
العبرانيون ٢٢
عماد الدين زنكي ١٠١
عمارة عامرة ٢٦٠
العراق ٦٥، ٧٥، ٨٠، ٨٩، ١١٣، ١١٤، ١٤٠، ٢٤٠، ٢٤١، ٣٦١
عيسى (عليه السلام) ١٠، ١٦، ١٨، ١٩، ٣٤، ٤٠، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٧٠، ١٢٢، ١٥٣، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٩، ٢٠٧، ٢١١، ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٤٦
عيسى بن موسى النشري ٨٥
عياض بن غانم (رضي الله عنه) ٢٣٧
عز الدين بن عبد السلام ٢٤٤
عز الدين جورديك ١٠٦
العزية (مدرسة) ٢٤٥
العصور الوسطى ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨
عثمان الثالث ٣٤٢
عثمان ٦، ٧، ١١، ٦٥، ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ١١٣، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٨، ٣١٢، ٣٤١، ٣٤٢
العثمانية ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٣، ٤١، ٤٦، ٥٣، ٥٦، ٥٩، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٤، ١٧٤، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥
الإمبراطورية العثمانية ١١، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٨٠، ٢١٠، ٢٣٢، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٧، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥
العثمانيون ٤٢، ٥٧، ١١٤، ١١٨، ٢٣٢، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٦٠، ٣٦١
المدرسة العثمانية ٢٥٠، ٣٢٥، ٣٣٦
عمر (رضي الله عنه) ١٠، ١٩، ٣٨، ٥٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٨٦، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٨، ٢٠٧، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٣، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥
عمر بن عبدالعزيز ٧٥، ٨٠
عيد الفصح ٣٤
عبادة بن الصامت ٧١، ٧٢، ٢٣٧، ٢٥١
عبيد الله المهدي ٨٦

غ

غاد ٢٥
غانم بن علي عساكر المقدسي ٢٧٠
غوانمة (باب) ٢٨١، ٢٨٢، ٣١٦
غوانمة (منارة) ٣١٦

غازي طورخان بك ٣٦٥
الغزالي ٩١، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٧٥
الغزالية (مدرسة) ٢٤٥
غـزة ١٣، ٦٧، ٨٨، ١١١، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣١، ١٤٢، ١٤٧، ١٧٠، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٠، ٣١٢، ٣٧٠
غزة (سنجق) ١١٩
غنش يوسف باشا ١٢٦، ١٢٧
غردا ٣٥٧
غيسيوس فلوروس ٣٤
غيلانية ٢٦٩
غيهون ٢٠، ٢٩، ٤٥ ، ١٥٣
غيريت ٢٦
غودفوري دي يويلان ٩٥، ٩٧
غولغوتا ٣٤، ٣٧، ٤٨، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٦٠، ٧٥

ف

فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ١٠٧
الفخرية (مدرسة) ٣٢١، ٣٣٦
الفخرية (طريقة) ٢٦٦، ٢٧٤
فالح رفقي ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧
الفريسية (مدرسة) ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٦
الفاطميون ٧٨، ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٣، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٣
الفاطميين ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٩
الفريسيون ٣٢، ٣٣
الفروخيون ١٢٢
فلسـطين ٨، ١١، ٢١، ٢٤، ٣٠، ٣٦، ٥٠، ٥١، ٥٨، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣١١١، ١١٨، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦١، ١٧٠، ١٧١، ١٧٦، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٦٩ ، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٢٣، ٣٣١، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٨٠
دولة فلسطين ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠
الانتداب على فلسطين ١٣٥، ١٤١، ١٤٤
المندوب السامي للشؤون المدنية الفلسطينية ١٣٦
فيروز الديلمي ٢٣٦
الفصح ٢٩
فرنسا ٥٦، ١٠٥، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٥، ١٤١، ٣٥٠
الفرنسيسكان ٥٨
فريدريك الثاني ١٠٧
باب الملك فيصل ٢٨١، ٣١١
الفرس ٣٠، ٣٣، ٣٧، ٤٥، ٥٢، ٥٦
فاروس ٣١
فيليب شاف ٢١٨، ٢٢٠
فوكاس ٨٦
فيسابسيان ٣٤
فيا دولوروسا (طريق الآلام/العذاب) ٥٥، ٢٢٥

ق

القبائل (باب) ٢٨١
قدم عيسى ٣٥٢
القاضي برهان الدين (منبر) ١٩٨، ٣٣١
قاضيكوي ٥٠، ٣٦٣
القاهرة ١٣، ١٧، ٢٢، ٤٠، ٤٥، ٥٥، ٥٦، ٦٢، ٦٣، ٧٥، ٨٥، ٩٣، ٩٧، ٩٩، ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٥، ١٢٥، ١٣٣، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٥، ١٩٢، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٨٥
القائم بأمر الله ٢٣٩
قلاوون ١١٢، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٢٩
القلندرية ٢٦٧
القلقشندي ١١٤
القلقشندية ٢٦٩
القمامـة (كنيسـة) ٥٤، ٥٧، ١٦٠، ٢١٤، ٢٥٦، ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨
قنايم ٣٤، ٤٨
قانصوه الغوري ١١٢، ١١٧، ١١٨، ٣٦٠، ٣٦٢
القانوني (نافورة) ١٩٠
سليمان القانوني ٤٠، ٤١، ٤٦، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٣، ١٦٣، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٨٠، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٨، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٦٢، ٣٦٣
القرامطة ٨٥، ٨٧
قاروب ٢٧
قاسم باشا (سبيل) ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٦
القطانين (باب) ١٨٤، ٢٨٢
قايتبـاي ١١٢، ١١٣، ١٧٩، ١٩٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٢، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٦
سبيل قايتبـاي ١١٢، ١٩٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٥٢، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٦
قيصرية ٣٧، ٥٠، ١٦٤
قيطاس بك ١١٩
قبرص ٨٦، ٨٨
قينسارين ٦٦، ٦٧
الأقباط ١٣، ٥٣، ٥٧، ١٦٤
وادي قدرون (وادي الجحيم) ١٩، ٢٠، ١٠٢
قودش ها قوداشيم ٢٧
قسطنطين ٣٧، ٤٩، ٥٠، ٥٥، ١٦٣، ١٧٩، ٣٤٥
القسطنطينية ٢٠٩
قورش (سايروس) ٣٠، ٤٤
الملك يشوع ٢٧٦
قطسيفون ٥٦
قبة الصخرة ١٤، ٧٢، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ١٠٤، ١٠٨، ١١٢، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٦٠
قبة السلسلة ٧٧، ١٨١، ٢٩٤، ٣٠٩، ٣٣٦
القـدس ٦، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨،٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧،٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥،٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣،٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢،٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠،٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨،٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦،٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤،٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢،٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٤،٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤،٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥،٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦،٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٢،٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥،٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣،٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢،٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠،٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥
القدس- بيت لحم ١٤١
القدس الشريف ١١٩، ١٧٦، ٢٠٣، ٢١٢، ٢٦٢، ٣٤٢
مجلس القدس ١٦٣
المقدسـيون ١٨، ٣٣، ٣٩، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ١٥٧، ٢٢٣، ٢٢٦
متصرفية القدس ١٢٩، ١٣٣، ٢١٣
لواء القدس ١١٧، ١١٩، ١٢٦، ١٢٨، ٢٥٣،
٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٣٤٣، ٣٥٥
القرآن الكريم ١٨، ٥٢، ٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١
قبة يوسف آغا ٢٩٢، ٣١٣، ٣٣٦
القدس الشرقية ٤١، ٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ٢٩٤
قبة الأرواح ٣٠٨، ٣٣٦
قبة السلطان محمود الثاني ٣١٤، ٣٣٦
قناة السويس ١٣، ١٣٥، ١٤٢
قيصرية ٣٤
القديس يوسف ١٦٢

ك

الكعبـة ١٠، ٧٦، ٧٧، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ٢٢٥، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٥٧
كاكولا ٢٥٦
كندا ١٤١
كارا حسن بك ١١٩
الكاثوليك ٥٣، ٥٧، ١٢٦، ١٢٩، ١٦٢
كنيسة أسومبتيون ١٦٢
كنيسة القديس ستيفن ٥١
كنيسة الشعوب ١٨، ٥٧، ٥٨
الكنيسة الأثيوبية ١٦٤
الكنيسة القبطية ١٦٤
كنيسـة القيامـة ٥٤، ٥٥، ٦٣، ٧٠، ٧٦، ١٦٠، ١٦٣، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٧٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٤٥
كنيسة القبر المقدس ١٦، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٧٩، ٨٣، ٨٦، ٨٧
كنيسة مريم المجدلية ٥٨، ١٦٤
الكنيسة النسطورية ١٦٤
كنيسة جميع الشعوب ٥٧، ٥٨
الكنيست ١٤٦، ١٥١
كوهين ٢٣، ٣٣، ٣٩
كاتدرائية القديس يعقوب ٦٠
كينيون ٢٢
الكنعانيون ٢٠، ١٥٣
كرك ١٠١، ١١٨
الكريمية (مدرسة) ١١٣، ٢٦٦
الكرامية ٩١
كهف الأرواح ١٩١، ٣٠٨
الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية ٥٧
كنيسة البعث (كنيسة أناستاسيس) ٥٤، ٥٥

ل

لاشين (السلطان الفاطمي) ١١٢
لالا مصطفى باشا ٢٣٢
لامارتين ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥
لاتينيون ٨٣
لجون ١٢٠، ١٢٢، ١٢٨
ليث بن سعد ٨٤
لويد جورج ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦
لندن ١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٩٠، ٢٠٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٨٥
لويبز بورتيو واي روخاس ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٥
اللورد كورزون ١٣٦
اللورد هربرت تشارلس أونسلو بلمبر ١٣٧
مجلس اللوردات ١٣٤، ١٤٠
اللورد موين ١٤١
اللورد روتشيلد ١٣٥
اللقيمي ٢١٨، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥
لوط (عليه السلام) ١٥٣
بحيرة لوط (البحر الميت) ١٣، ١٧٦
لبنـان ٢٦، ٣٠، ٥٦، ٦٦، ١١١، ١٣٥، ١٥٣، ١٧٣، ١٧٥، ٢١٤، ٢٣٦، ٢٥١

م

معرة مصرين ٦٦
المعبد (تل) ٤٥، ٤٦
المغرب ١١٣، ١١٤، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٥٣
باب المغاربة ٣٠٤، ٣٣١، ٣٣٦
مسجد المغاربة ٣٣١، ٣٠٤، ٣٣٦
محمود الثاني ١٢٨، ٣١٣، ٣١٤، ٣٣٦، ٣٤٢، ٣٥٣
محمود عباس ١٤٩
مقبرة الشهداء ٨٦
المكابيون ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٦، ١٧٩
مالكولم ماكدونالد ١٤٠
ماميلا (بركة) ٢٠
مقبرة ماميلا مسلم ٣٠٧
مانيسا ٢٢١، ٢٣٥، ٣٥٩
المنصور (جعفر منصور) ٨٠، ٨١، ٨٢، ٢٣٨، ٢٨٧
مارسيل لادوير ٢٢٩
ماركوس ليسينوس كراسوس ٣٣
ماري دومينيك دي بينوس ٢٢٥
ماريا ألكسندروفنا ٥٨
مارك توين ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٩
الموارنة ٥٣
ماروني ٣٣٩
ماتياهو بن يوحنان ٣٢
مطحرة (باب) ٢٨٢، ٣٢٥، ٣٣٦
المدينـة المنـورة ١٠، ٢٢، ٦٥، ٦٧، ٧٥، ٧٦، ٨٠، ٨٨، ١١٧، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٩، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٣، ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٣
مدينـة السـلام ١٥٦
مدرسـة ٩١، ١١٢، ١١٣، ١٢٢، ١٨٤، ١٩٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣٠٦، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩
المدرسـة الجالقيـة ١١٣
المدرسة الجهاركسية ١١٣
المدرسة الأشرفية ١١٣
المدرسة الوجيهية ١١٣
المدرسة السلطانية ١١٣، ٢٤٨
المغاربة (باب) ٢٨٢، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٩، ٣٣٢
مئذنة باب المغاربة ٣١٥
المغاربة (حي) ٤١، ٢٥٨، ٢٦٥
المهدي (الخليفة العباسي) ٢٨٧، ٢٩٩
محمد آغا (وقف) ٣٦٢، ٣٦٣
محمد علي باشا ١١٧، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩
محمد شوكي بك ٢٩٦، ٢٩٨
محمد عاكف إنان ٢١٦
مكـة ١٠، ٦٥، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٨، ١٠٥، ١١٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٩، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٣، ٣٤٥، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٧٠
الملك العادل المنصوري ٢٩٩
الملك أشرف الثاني ١١٢
المدرسة المليكية ٣٢٣، ٣٢٥
الملك الكامل ١٠٦، ١٠٧
الملك المعظم ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ٢٦٢، ٣١٤، ٣٢٥

مليكشاه ٨٩، ٩٠
الملك العادل سيف الدين ١٠٥، ١٠٦، ٢٤٢
الملك الأفضل علي ٢٤٢
الملك الأشرف قايتباي ٢٤٨
الملك المعظم عيسى ١١٢
الملك الصالح نجم الدين أيوب ١٠٨، ٢٤٧
الملك الظاهر ١١٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٨
ملكي صادق ١٥، ٢٣، ٢٤، ١٥٤
مملوك ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٧، ١١٨، ١٩٦، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٩٨
المماليك ٧، ١١، ٥٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٨، ١٨٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٣٠٧، ٣١١
مأمون ٨٣، ٨٤، ٢٣٨
منسى ٢٩
المدرسة المنجقية ٣٢٤، ٣٣٦
المنجقية (طريقة) ٢٦٦
مرج دابق ١١٧، ٣٦٠
مروان بن الحكم ٧٥، ٢٩٣
مروان الثاني ٧٩
مسجد مروان ٩٧، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٣٦
السيدة مريم ١٨، ٥٩، ٧٥، ٨٣، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٠، ١٨٢، ٢٤٣، ٢٩٣، ٣٠٦، ٣٥٢
كنيسة مريم ٥١، ٥٨، ٨٣
قبر السيدة مريم ٣٥٢
المسجد الأقصى ١٠، ٦٥، ٧٠، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٩١، ١٠٥، ١١٢، ١٧٨، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٧
المسجد الحرام ٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٨
المسجد النبوي ٦٥، ٧٧، ٩٣، ٢٨٤، ٢٨٦
مسجد عمر ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٨٦، ١٨٢، ١٩٥، ١٩٦، ٢٢١، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢
المسيح ٣٧، ٥٠، ٥١، ٥٨، ٥٩، ٦١، ١٥٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣
مشورة فاسدة ١٩
المولوية ٢٦٦
المدرسة الموصيلية ١١٣
ميمونة (رضي الله عنها) ١٧٢، ١٧٣، ٢٤٤
المزامير ٥١، ١٥٦، ١٥٧
مصر ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٦، ٤٣، ٦٦، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ١٠٥، ١٠٨، ١١١، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٢، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٥، ٢٠٩، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٤٧،٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٨٧، ٣٤٢
محراب داوود ١١٢
ميكا ٣٦
ميكداش ٢٦، ١٥٤، ١٦٧
المعماري كمال الدين ٢٨٠
معراج ١٠، ٦٥، ١٥٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٩، ١٨١، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٣٠٤، ٣١٢، ٣٣٢، ٣٣٦
المعراج (قبة) ١٨١، ٣١٢، ٣٣٦
المغول ٢٤٧
مولا فناري ٢٥٠
ملا غوراني ٣٦٣
ملا صيامي ٣٥١، ٣٥٢
مورا ١٢٧، ١٢٨
تل موريا ١٤، ١٥، ١٧، ٢٤، ٢٦، ١٥٦، ٢٧٨، ٢٩٣
معاوية (رضي الله عنه) ٦٩، ٧٢، ٧٥، ٧٦
معاذ بن جبل (رضي الله عنه) ٧١، ٢٣٧
المعظمية ٢٤٥
المحدثية ٢٥٠
محمد بن أبي بكر المقدسي ٢٧٠
محمد بك ٣١٢، ٣١٣
محمد بن قلاوون ١١٢، ٢٩٩، ٣١٩، ٣٢٣
محمد بن مصطفى الحسيني ١٢٤
محمد بن سعيد التميمي ٨٨، ٨٩
محمد بن توغج ٨٦
محمد شاكر بك ٣١٢
محيي الدين ابن الزكي ١٠٤
المعز لدين الله ٨٦
مقاتل بن سليمان ٢٣٨
المقتدر بالله ٨٤، ٢٣٨
مراد الأول ٣٥٧
مراد الثاني ٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٧٥
مراد الرابع ٣٤٢
موسى (عليه السلام) ٢٤، ١٥٤، ١٦٩، ٢٧٦، ٢٨٥، ٣١٠
موسى الهادي إلى الحق ٨٢
قبة موسى ٣١٠، ٣٣٣، ٣٣٦
محراب موسى ١٩٥، ١٩٧
مصطفى الثاني ٣١٣
مصطفى باشا ١٢٤، ١٢٧، ٢٣٢
مطهر بن طاهر المقدسي ٨٩
المعتصم ٨٤، ٨٥، ٩٢
مؤتة ١٧١
المعتزلة ٩١
مجير الدين العليمي ٢٣٧
منبج ٦٦
المسلمون ٧، ١٠، ١١، ١٣، ١٩، ٣٣، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٩٥، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٨، ١٣٩، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٩، ١٧١، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٥٢، ٢٦٨، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩٣، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٣٩، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٧
مشبهة ٩١، ٢٤٠
مجلس كليرمون ٩٥
المغاربة ١٣
محمد الفاتح ٣٤٢
محمد علي باشا ١١٧
مرتفعات الجولان ١٤٢
المسجد الأموي ٢٤٥، ٢٤٦
مجمع نيقية ٤٩، ١٦٤
مسجد القبلة ١٥، ٢٥، ٣٨، ٧١، ٧٨، ٧٩، ١٢٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠٦، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٦، ٣٤٥
مسجد القبلة ١٢٢، ١٧٨، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧
مسجد قرطبة ٢٢٩
مسجد الأربعين شهيد ١٩٥
مسجد الأربعين شهيد ١٩٦، ٢٩٢
مسيحي ١٠، ١٦، ١٨، ٢٩، ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٧٠، ٧٥، ٧٦، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١١٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٠، ٢١١، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٦، ٣٠٥، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٢، مسيحيون ١٣، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٧٠، ٧٥، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠٨، ١١٤، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٤٣، ٢٧٩، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، المسيحية ٨، ١٠، ١١، ١٣، ٤٩، ١٥٣، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٨، ٢٧٦
المنظمة الصهيونية العالمية ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ٢٦٦
مرسوم الوضع الراهن ٥٧

ن

نابي ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٧
نابلس ١٣، ٦٧، ٨٨، ١٠٨، ١١٨، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٨، ١٤٢، ١٥٥، ٢٥٣، ٣٥٠
النابلسي ٢١٨، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥
لواء نابلس ٣٥٠
نبوخذنصر ١٠، ٢٠، ٢٩، ٤٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٧٩
النمسا ١٢٩، ١٤١، ٢١٢
نصوص اللعنة ٢٢، ٢٣
النحويون (قبة) ٣١٤، ٣١٥، ٣٣٦
النحويون (مدرسة) ٢٤٥، ٣١٤
ناحوم سوكولو ١٣٦
النقشبندية ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٥
الزاوية النقشبندية ٢٧٢
نابليون بونابرت ١٢٥، ١٢٦
نابليون ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٤
النارنجية (سبيل) ٣٢٧، ٣٣٦
الناصرة ١٦١
الناصر داوود ١٠٧، ١٠٨
الناصر فرج ١١٢
الناصرية (مدرسة) ٢٣٩، ٢٤١
ناصر خسرو ٢٣٨، ٢٥١
الناصر يوسف ١١١
النصر بن إبراهيم المقدسي ٩١، ٢٤١، ٢٤٥
ناثان ٢٥
الناظر (باب) ٢٨٢، ٣٢٤
قبة النبي ١٨١
النبي موسى ١٣٩، ٣٤٩، ٣٥٠
جبل النبي صموئيل ٩٥
النجف ١٤٢، ٢٧٠، ٢٧٥
نحميا ٢٨، ٣٠، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ١٥٦
نيرون ٣٤
نيغدا ٣٥٩، ٣٦٢
نهر النيل ٢٢
نظام الملك ٩٠
نوح (عليه السلام) ٢٣، ٥٩، ١٧٣
نور الدين محمود ١٠١
نور الدين الزنكي ١٠٤، ٣٣٠، ٣٣٦
نور الدين الزنكي (منبر) ٣٣٠، ٣٣٦
نوري بكديل ٢١٦
النبي صلى الله عليه وسلم ١٠، ١٥، ٢٧، ٦٥، ٧٠، ٧٦، ٩١، ١٠٣، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٣٦، ٣١٤، ٣٣٩، ٣٥٧
قبة عنّاق النبي ٣١٤، ٣٢٨
قبة نبينا ٣١٢
النصوص المقدسة اليهودية ٢١، ٢٦، ٢٩، ٤٠، ٤٣

ه

الهاشميون ٣٠٠
هيرودس الكبير ١٦، ٣٣، ٣٤، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ١٧٨، ١٧٩، ٢٣٢، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٣
هادريان ١٠، ٣٦، ٣٧، ٤٩، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٩٣
هاري ترومان ١٤١
هارون الرشيد ٨٢، ٨٣
هيلينا ٤٩، ٥٠، ٥٥، ٥٦، ١٦٣، ١٦٤
الهيلينية ٣٦
الثقافة الهيلينية ٣١، ٣٧، ٤٥، ١٦٣
هنري بيكر تريسترام ٢٣٠
هرقل ٥٢، ٥٦، ١٧٠
هيرمان ويدويدر ٢٢٢، ٢٢٥
هيرود أغريبا ١٦، ٣٤، ٤٨
هيرود أركيلوس ٣٤
هيزيروغولاري ٣٩، ٤٠
هيروسليما ٣١، ٣٣
الهند ١٢٥، ١٣٥، ١٤١، ٢٧١، ٢٧٢
الزاوية الهندية ٢٧١
هنوم ١٩
الهنود ١٣، ٣٥٢
هيركانوش الأول ٣٢، ٤٦
هولندا ٨٨، ١٤١، ٢٢٢

و

وقف ٢٠٥، ٢٦٧، ٣٥٦، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٢
وقفية ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٢
وفائية (زاوية) ٢٧٠، ٢٧٢
وكيع بن الجراح ٢٣٨
الوليد بن عبد الملك ٧٥، ٧٨، ٢٣٨، ٢٨٦، ٢٩٩
ويليام الثاني (الإمبراطور الألماني) ٥٩
ويليام ليثغو ٢٣٢
ويليام ماكبيس ثاكيري ٢٢٤
ويليام راي ويلسون ٢١٩

ي

يافا ١٣،٦٧، ٩٥، ١٠٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٥، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٦٩، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٤٣
باب يافا ٢٣٢، ٣٠٧، ٣٤٣
اليهود ١٠، ١٣، ١٥، ١٨، ٢٤، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٧٠، ٨٠، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٩، ٢٦٢، ٢٧٢، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٤٨
اليهودية ١٠، ١٣، ٣٦، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٦، ١٨٨، ٢٧٦
يهوه ١٨، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٤٤
يحيى عليه السلام ١٨، ١٦٢، ١٧٠
يحيى (مقام) ١٩٥
يحيى (محراب) ١٩٧
اليعقوبيين ١٦٤
يعقوب عليه السلام ١٧٣
اليبوسيون ٤٢
يهوه آحاز ٢٩
يهوه شفاط ١٩، ٤٠
وادي يهوه شفاط ١٩
يهوشوا ١٥٤
يهوياقيم ٢٩
يهـودا (يهـوذا) ١٩، ٢٣، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٤٠، ٤٣، ٤٤، ١٣٦
يهودا الإسخريوطي ١٩
مملكة يهوذا ٢٨، ٤٣، ٤٤
دولة يهوذا ٢٨، ٢٩، ٣٢
اليهود ٢٨، ٢٩
اليرموك ٦٦
يربعام ١٥٥
اليبوسيون ٢٤، ٢٥
يزيد بن معاوية ٧٥
يزيد بن سلام ٧٦، ٧٧
يلدريم بايزيد ٣٥٧، ٣٦٠
قصر يلدز ١٣٢
يواف ٢٥
يوحنان بن ليفي ٣٤
يوم كيبور ٢٧
يوشيا ٢٩، ١٥٥
يونا ٦٧
يوحنا ٦٠، ٦١، ١٦٢، ٣٤٦
يونسية ٢٦٧، ٢٦٩
يوشع (عليه السلام) ٢٣، ٢٤، ١٥٤
يوسف (عليه السلام) ٢٠٧، ٣١١
قبة يوسف ٣١١، ٣٣٦

يودوسيا (الإمبراطورة) ٣٧
يوسيفوس ٢٠، ٣١، ٤٥، ٤٦، ٦٣، ١٥٦، ٢٧٨
يوسف أكجورا ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣
يوسف بن أيوب صلاح الدين ٣١١
يوليوس قيصر ٣٣
يوليوس سيفيريوس ٣٦

حافظت القدس من بين مدن العالَم القديمة على أهميتها، وكانت لها مكانة مميزة على الرغم مما تعرضت له من غزو واحتلال وخراب ودمار منذ تأسيسها إلى يومنا هذا. وهذه المدينة التي قدَّسها الله تعالى وتمثِّل جميع الأديان السماوية في الشرق الأوسط حيث تتلاقى الأديان والحضارات لم تعش في سلام وأمن واحترام متبادل بين الأديان إلا في ظل الحكم الإسلامي. والقدس مدينة تقع بين البحر المتوسط والبحر الميت وكانت في الماضي جزءًا من بلاد الشام، لكنها اليوم في أراضي فلسطين التي تحتل إسرائيل معظمها، وهي مدينة مقدسة لدى الأديان السماوية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام.

1973
İLİM YAYMA
VAKFI